

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البلدان

كاتب:

أبي عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني

نشرت في الطباعة:

عالم الكتب

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	البلدان
١١	اشارة
١١	مقدمة كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني
١١	اشارة
١٣	ابن الفقيه الهمذاني
١٥	اسم المؤلف و عنوان الكتاب
١٥	مصادر كتاب البلدان
١٦	أخبار الصين و الهند
١٦	المسالك و الممالك
١٦	الحيوان للجاحظ
١٦	فتوح البلدان
١٧	فضائل بغداد و صفتها
١٧	عيون الأخبار
١٨	الأهوية و البلدان و المياه
١٨	الفلاحة
١٨	الطلسمات
١٨	فردوس الحكمة
١٩	المسالك و الممالك
١٩	حرب جوذرز و بيران
١٩	الإنجيل
٢٠	أبو يوسف يعقوب بن إسحاق
٢٠	أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقي

- ٢١ أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل
- ٢١ أبو على محمد بن هارون بن زياد
- ٢١ أبو حامد أحمد بن جعفر المستملى
- ٢١ تميم بن بحر المطوعى
- ٢٢ أبو عبد الله الحسين بن أستاذويه
- ٢٢ أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى المروزى
- ٢٤ محمد بن أبى مریم
- ٢٤ عمر بن الأزرق الكرمانى
- ٢٥ سعيد بن الحسن السمرقندى
- ٢٦ مطاعن على كتاب البلدان
- ٢٧ نقول عن كتاب البلدان
- ٢٨ وصف مخطوطه الكتاب
- ٣٠ عملنا فى الكتاب
- ٣٠ [مقدمه الكتاب]
- ٣١ القول فى خلق الأرض
- ٣٣ القول فى البحار و إحاطتها بالأرض
- ٣٤ القول فى البحار و عجائب ما فيها
- ٣٤ اشاره
- ٣٦ الصين
- ٣٧ الفرق ما بين بلاد الصين و بلاد الهند [١٢٧]
- ٣٨ القول فى مكه
- ٣٨ اشاره
- ٣٩ ذكر البيت الحرام و ما جاء فيه
- ٤٠ مدينه الطائف

- ٤١ القول فى المدينة
- ٤١ اشارة
- ٤١ ذكر مسجد المدينة
- ٤٣ الفرق بين تهامة و الحجاز
- ٤٤ القول فى اليمامة
- ٤٤ اشارة
- ٤٤ صفة اليمامة و أوديتها
- ٤٥ القول فى البحرين
- ٤٥ اشارة
- ٤٥ الحزون
- ٤٤ و الحرّات
- ٤٤ و الشروات
- ٤٤ و البراق
- ٤٤ و الدارات
- ٤٤ القول فى اليمن
- ٥٠ باب فى تصريف الجدّ إلى الهزل و الهزل إلى الجدّ
- ٥٣ باب فى مدح الغربّة و الاغتراب
- ٥٩ القول فى مصر و النيل
- ٥٩ اشارة
- ٦٣ صفة الهرمين
- ٦٧ القول فى المغرب
- ٧٣ القول فى الشام
- ٧٣ القول فى بيت المقدس
- ٧٨ القول فى دمشق

- ٧٨ اشارة
- ٨٤ افتخار الشاميين على البصريين و فضل الحبله على التخله
- ٨٨ القول فى الجزيره
- ٩٢ القول فى الروم
- ٩٩ القول فى العراق
- ١٠٠ القول فى الكوفه
- ١٠٠ اشارة
- ١٠٢ افتخار الكوفيين و البصريين
- ١٠٥ ما جاء فى مسجد الكوفه
- ١٠٦ ذكر الخورنق
- ١٠٨ قصه الغريين
- ١١٠ ما جاء فى ذم الكوفه
- ١١٤ القول فى البصره
- ١١٤ اشارة
- ١١٩ ذم اهل البصره:
- ١٢١ مجلس الكوفيين و البصريين عند المأمون [٢٥٣].
- ١٣٢ القول فى واسط
- ١٣٦ ذكر النبط و ما جاء فيهم [٢٨٩]
- ١٤١ القول فى مدينه السلام بغداد
- ١٤١ اشارة
- ١٨٢ ما ذكر فى ذم بغداد و كراهه نزولها [٣٦٢]
- ١٨٧ القول فى سرمرى
- ١٩٤ القول فى السواد و صفته و اعلام حدوده و كوره و طساسيجه و سبب مساحه الأرض و تقدير خراجه و طوله و عرضه
- ١٩٤ اشارة

- ١٩٨ تقدير السواد [٣٩٧]
- ١٩٨ الجانب الشرقى:
- ٢٠٢ القول فى الأهواز
- ٢٠٦ القول فى فارس
- ٢١٠ القول فى كرمان
- ٢١٢ القول فى الجبل
- ٢٢٠ فى أبنية البلدان و خواصها و عجائبها
- ٢٣٥ القول فى همذان
- ٢٣٥ اشارة
- ٢٤٥ مجارة عبد القاهر و الحسين بن أبى سرح فى مدح همذان و العراق و ذمهما
- ٢٥٢ ذكر حب الأوطان
- ٢٦٥ ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشىء من الأمتعة دون غيرها
- ٢٦٨ منارة ذات الحوافر
- ٢٧٠ ناووس الظبية و قصر بهرام جور
- ٢٧٢ القول فى نهاوند
- ٢٧٣ القول فى إصبهان
- ٢٧٤ قم
- ٢٧٧ القول فى الرى و الدينبوند
- ٢٨٦ القول فى قزوين و أبهر و زنجان
- ٢٨٩ القول فى طبرستان
- ٢٩٧ القول فى آذربيجان
- ٢٩٨ القول فى أرمينية
- ٣٠٧ القول فى خراسان
- ٣٢٢ القول فى الترك

٣٢٣ اشارة

٣٢٨ ذكر بعض مدن الأتراک و عجائبها

٣٦٤ تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

البلدان

إشارة

سرشناسه : ابن فقيه، احمد بن محمد، قرن ٣ ق
 عنوان و نام پديد آور : ... البلدان / تاليف ابى عبدالله احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني ؛ تحقيق يوسف الهادى
 مشخصات نشر : بيروت : عالم الكتب ، ١٤١٦ ق = ١٩٩٦ م = ١٣٧٥ .
 مشخصات ظاهري : ٧٦٠ ص
 وضعيت فهرست نويسى : old catalog
 يادداشت : كتابنامه بصورت زيرنويس
 عنوان ديگر : كتاب البلدان
 موضوع : جغرافيا -- متون قديمى تا قرن ١٤
 موضوع : ايران -- جغرافيا -- متون قديمى تا قرن ١٤
 موضوع : كشورهاي اسلامى -- متون قديمى تا قرن ١٤
 شناسه افزوده : هادى، يوسف ، مصحح
 رده بندي كنگره : G٩٣/الف ب٢ ٨ ١٣٧٥
 شماره كتابشناسى ملي : ٣٤٧

مقدمه كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم قال ياقوت الحموى و هو يردّ على من طلب إليه أن يختصر كتابه (معجم البلدان): «حكى عن الجاحظ أنه صنّف كتابا و بوّه أبوأبا. فأخذه بعض أهل عصره فحذف منه أشياء و جعله أشلاء. فأحضره و قال له: يا هذا! إنّ المصنّف كالمصوّر. و قد صورت فى تصنيفى صورة كانت لها عينان فعورتها- أعمى الله عينيك- و كان لها أذنان فصلمتها- سلم الله أذنيك- و كان لها يدان فقطعتها- قطع الله يديك-.

حتى عدّ أعضاء الصورة. فاعتذر إليه الرجل بجهله هذا المقدار و تاب إليه عن المعاودة إلى مثله»[١].

و ينطبق ما قاله الجاحظ على من اختصر الكتاب الذى نضعه بين أيدي القراء الكرام، حيث بلغ اختصاره أحيانا حدا أدى إلى غموض الجمل و ضياع الأسانيد بما لها من خطورة و أهمية فى تحديد أزمان الوقائع. فقد حذف مثلا اسم الرحالة تميم بن بحر المطوعى الذى قام برحلة إلى آسيا الوسطى و حدث بأخبارها ابن الفقيه، و حذف تبعا لذلك الرحلة بكاملها. و حذف المعلومات المهمة التى أوردها ابن الفقيه نقلا- عن أبى العباس المروزى عن القبائل التركية و التى نقلها ياقوت فيما بعد عن النسخة الكاملة لكتاب ابن الفقيه. كما حذف أخطر فصول الكتاب على الإطلاق و نعى به الفصل المسمى ب (ذكر بعض مدن الأتراك و عجائبها) الذى نقله

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦

ابن الفقيه عن سعيد بن الحسن السمرقندى الذى توغل فى معلوماته إلى حدود القبائل الفينية حيث مدينه بسكوف (Pskov).- كما نرتأى أن تكون آخر المدن التى ذكرها السمرقندى.- فى هذا الفصل. من المعلومات عن الحياة الاجتماعية لتلك القبائل ممّا لا نجده

في أى مصدر آخر.

نشير أولاً إلى أن المخطوطة التي عثر عليها في المكتبة الرضوية بمدينة مشهد الإيرانية في ربيع ١٩٢٣ تمثل نصف الكتاب الأصل بعد أن احتل في بداية الأمر أنها كاملة. والدليل على ذلك ما ورد في الورقة الأولى منها بعد البسملة والصلاة على النبي وآله وهو: «هذا بقية القول في العراق والبصرة وأخبار دار فتحها...» أما مختصر الكتاب فقد حققه العلامة الهولندي دي خويه وطبعه عام ١٨٨٥ ضمن مسلسل المكتبة الجغرافية الذي اعتمد على نسخة قال إنه تم اختصارها على يد أبي الحسن علي بن جعفر الشزري (أو الشيزري) عام ٤١٣هـ [٢]، فهو يضم النصف الأول من الكتاب الأصل ولكن بصورة مختصرة، ويمكن القول بصورة عامة إنه إذا كان المختصر يضم النصف الأول من الكتاب، فإن مخطوطة المكتبة الرضوية تضم النصف الثاني. وعليه فإن كلا من المختصر والأصل المخطوط يكمل بعضهما بعضاً. وقد ارتأينا أن ننشرهما معاً أي النصف الأول المختصر الذي نشره دي خويه ثم أتبعناه بالنصف الثاني الذي هو مخطوطة المكتبة الرضوية كما كتبها مؤلفها ابن الفقيه كاملة.

ولما كانت بعض أبواب النصف الثاني من المختصر تلتقى مع المخطوطة الأصل فقد أشير إلى مواضع الالتقاء تلك بطباعتها بالحرف المحقق (الأسود).

ولكى يطلع القارئ الكريم بصورة دقيقة على ما ذكرناه آنفاً نكتب هنا أبواب مختصر البلدان جنباً إلى جنب الأبواب الواردة في النسخة الأصل ونشير إلى ما هو

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧

موجود هنا أو مفقود هناك:

الأبواب الموجودة في نسخة الرضوية أي أصل الكتاب* الأبواب الموجودة في مختصر الكتاب المطبوع غير موجود القول في خلق الأرض.

غير موجود القول في البحار وإحاطتها بالأرض.

غير موجود القول في البحار وعجائب ما فيها.

غير موجود الفرق ما بين بلاد الصين وبلاد الهند.

غير موجود القول في مكة.

غير موجود القول في المدينة.

غير موجود الفرق بين تهامة والحجاز.

غير موجود القول في اليمامة.

غير موجود القول في البحرين.

غير موجود القول في اليمن.

غير موجود باب تصريف الجد إلى الهزل والهزل إلى الجد.

غير موجود باب في مدح الغرباء والاعتراب.

غير موجود القول في مصر والنيل.

غير موجود القول في المغرب.

غير موجود القول في الشام.

غير موجود القول في بيت المقدس.

غير موجود القول في دمشق.

غير موجود افتخار الشاميين على البصريين.
 غير موجود القول في الجزيرة.
 غير موجود القول في الروم.
 غير موجود في مدح البناء. في ذم البناء.
 غير موجود القول في العراق.
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨
 غير موجود القول في الكوفة.
 غير موجود افتخار الكوفيين و البصريين عند السفّاح.
 غير موجود ما جاء في مسجد الكوفة.
 ما جاء في ذم الكوفة موجود بصورة مختصرة.
 القول في البصرة موجود بصورة مختصرة.
 ذم البصرة و فيه مناظرة بين الكوفيين و البصريين عند المأمون غير موجود القول في واسط غير موجود النبط و ما جاء فيهم غير موجود
 القول في مدينة السلام بغداد غير موجود القول في سرّ من رأى غير موجود القول في السواد و وصفته غير موجود القول في الأهواز
 غير موجود في أبنية البلدان و خواصها و عجائبها توجد بعض نصوصه هنا.
 القول في فارس تلتقى أغلب نصوصه مع الأصل.
 القول في كرمان توجد أغلب نصوصه هنا.
 القول في الجبل و قرماسين و شبديز توجد أغلب نصوصه هنا.
 القول في همدان تلتقى بعض نصوصه مع الأصل.
 ذكر ما خصّ الله تعالى كل بلدة.
 من الأمتعة دون غيرها* تلتقى أغلب نصوصه مع الأصل.
 القول في نهاوند موجود بكامله تقريبا.
 القول في إصبهان موجود بكامله تقريبا.
 القول في قم موجود بكامله تقريبا.
 القول في قزوین و زنجان و أبهر تلتقى أغلب نصوصه مع الأصل.
 غير موجود القول في آذربيجان.
 القول في أرمينية* تلتقى أغلب نصوصه مع الأصل.
 القول في طبرستان تلتقى أغلب نصوصه مع الأصل.
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩
 القول في خراسان تلتقى بعض نصوصه مع الأصل القول في الترك غير موجود.

ابن الفقيه الهمداني

ترجم له ابن النديم ترجمه موجزة جدا نقلها فيما بعد ياقوت الحموي في معجم الأدباء و أضاف إليها- لحسن الحظ- الترجمة التي كتبها له المواطن الهمداني شيرويه بن شهردار الديلمي (٤٤٥-٥٠٩ هـ) مصنف كتاب تاريخ همدان بلده لمناسبة حديثه عن والد ابن

الفقيه و هي:

«قال شيرويه: محمد بن إسحاق بن إبراهيم، الفقيه أبو أحمد، والد أبي عبيد الأخباري: روى عن إبراهيم بن حميد البصرى وغيره. و روى عنه ابنه أبو عبد الله.

و قال شيرويه: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الأخباري أبو عبد الله، يعرف بابن الفقيه و يلقب بحالان، صاحب كتاب البلدان. روى عن أبيه، و إبراهيم بن الحسين بن ديزيل، و محمد بن أيوب الرازى، و أبى عبد الله الحسين بن أبى السرح الأخبارى، و ذكر جماعه و قال: و روى عنه: أبو بكر بن لال، و أبو بكر بن روزنه. و لم يذكر وفاته» [٣].

و بما أننا لا نعرف على وجه التحديد تاريخ ولادته و لا وفاته، فلا بد لنا من معرفة الذين روى عنهم أو روى عنهم ممن ذكر أعلاه على أن نبحت فيما بعد فيمن حدّث عنهم و لم يذكروا هنا، حيث رأينا ياقوتا قد اختصر ذلك بقوله «و ذكر جماعه»، إضافة إلى خطأ الناسخ في بعض تلك الأسماء كقوله عن ابن الفقيه أنه أحمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بإضافة (أحمد) ثانية إلى اسمه. و قوله (ابن روزنه) و الصواب (ابن روزبه) و قوله بن أبى السرح. و رجحنا أنه (ابن أبى السرى).

أمّا أبو فليس لدينا سوى ما ذكره شيرويه أعلاه من أنه حدّث عن إبراهيم بن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠

حميد البصرى، و هو إبراهيم بن حميد بن تيرويه الطويل البصرى المتوفى عام ٢١٩ هـ [٤].

و أمّا إبراهيم بن الحسين الكسائى الهمداني المعروف بابن ديزيل فهو محدث همدان المشهور جدا توفى عام ٢٨١ هـ - وصفه الذهبى بالرحال [٥]. و محمد بن أيوب الرازى: هو محمد بن أيوب بن ضريس البجلي الرازى شيخ الرى و مسندها ولد في حدود ٢٠٠ و توفى بالرى سنة ٢٩٤ هـ [٦].

أما أبو عبد الله الحسين بن أبى السرح: فترجح أنه أبو عبد الله الحسين بن أبى السرى العسقلانى - نسبة إلى عسقلان و هي محله من محال بلخ [٧] - و اسم أبى السرى هو المتوكل. فيكون اسمه الحسين بن المتوكل بن عبد الرحمن بن حسان المتوفى عام ٢٤٠ هـ [٨]. أما الذين روى عنه فهم:

أبو بكر بن لال و هو أحمد بن على الهمداني «ورد بغداد غير مرة و حدّث بها» [٩]. و قال الذهبى: «قال شيرويه: كان ثقة، أوحد زمانه، مفتى البلد - يعنى همدان -، يحسن هذا الشأن. له مصنفات في علوم الحديث غير أنه كان مشهورا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١

بالفقه. و رأيت له كتاب (السنن) و (معجم الصحابة) ما رأيت شيئا أحسن منه. ولد سنة ثمان و ثلاثمائة و توفى في سادس عشر ربيع الآخر سنة ثمان و تسعين» [١٠]. و قد نصّ مترجموه على أن له رحلة لقي بها أبا سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابي بمكة [١١].

و ممن روى عن ابن الفقيه: أبو بكر بن روزبه. و هو عبد الله بن أحمد بن خالد بن روزبه، أبو بكر الفارسى الكسروى المتوفى عام (٣٩٢ هـ) [١٢].

و الذى يهمنا من جميع من ذكرنا أنه إذا كان قد سمع من ابن أبى السرى في نفس السنة التى توفى فيها أى ٢٤٠ هـ على أضعف الاحتمالات و كان عمره آنذاك ١٠ سنوات و هو سن لا بأس به لتحمل الحديث. و كان أبو بكر أحمد بن على بن لال قد سمع من ابن الفقيه و عمره - أى عمر بن لال - ١٠ سنوات أى فى العام ٣١٨ هـ، فيكون ابن الفقيه حياً فى السنوات الواقعة بين ٢٣٠ و ٣١٨ هـ على الأقل. و عليه، فإن ما ذكره ياقوت من أن ابن الفقيه كان حيا فى حدود عام ٣٤٠ هـ [١٣] يثير الشكوك. و قد يكون خلط بينه و بين أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشى الفقيه الذى توفى عام ٣٤٤ هـ [١٤].

و يثار تساؤل آخر و هو: إذا كان ابن الفقيه قد بقى حيا إلى ما بعد العام

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢

٢٩٠ هـ - وهو مؤكدا طبعا بدليل سماع ابن لال منه - فلما ذا لا نجد فى كتابه (البلدان) ما يشير إلى زمن أبعد من عام ٢٨٩ هـ - وهو آخر عام من خلافة المعتضد العباسى حيث ذكره و لم يترحم عليه مما يدل على أن المعتضد كان حيا آنذاك؟ المعروف أن المعتضد قد توفى لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩ و قيل لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٨٩ هـ [١٥]. و عليه فإن تاريخ الانتهاء من تأليف البلدان كان فى أواخر ذلك العام و أوائل ٢٩٠ هـ. نرجح أنه بعد أن انتهى من تأليف كتابه هذا انهمك فى عمله العلمى بوصفه محدثا و فى تأليف أعمال أخرى التى ذكر منها ابن النديم (ص ١٧١) كتابه: ذكر الشعراء المحدثين و البلغاء منهم و المفحمين.

اسم المؤلف و عنوان الكتاب

هو أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن الفقيه الهمدانى. و قد و هم ياقوت فى بعض مواضع من كتابه معجم البلدان فأسماه: محمد بن أحمد [١٦]. فاسمه هو أحمد بن محمد ... كما فى آخر ورقة من مخطوطة المكتبة الرضوية التى نشرها. و كما هو لدى ابن النديم الذى ألف كتابه عام ٣٧٧ هـ.

ولدى حسن بن محمد القمى الذى ألف كتابه عام ٣٧٨ هـ [١٧]. و الرافعى القزوينى من أعلام القرن السادس [١٨]. إلّا أن العجب كل العجب أن يخط إدوارد فنديك بينه و بين جغرافى آخر هو أبو محمد الحسن بن حمد بن يعقوب الهمدانى البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣

المعروف بابن الحائك و يعتبرهما شخصا واحدا رغم بعد الشقة فى الأسماء و الكنى و الألقاب [١٩]. أما الكتاب فهو: البلدان كما هو لدى ابن النديم (ص ١٧١) و القمى (ص ٢٣، ٥٦، ٩٠) و الرافعى القزوينى (ص ٣١) رغم أننا نقرأ فى الورقة الأخيرة من المخطوطة أنه كتاب (أخبار البلدان) و يبدو أن كلمة (أخبار) إضافة من ناسخ الكتاب، إذ أن مختصر الكتاب الذى اختصره فيما بعد سُمى مختصره ب (مختصر كتاب البلدان) و لم يقل (مختصر كتاب أخبار البلدان).

مصادر كتاب البلدان

أهملنا مصادره التى كان يشير فيها إلى الأسماء مجردة عن أسماء الكتب كقوله «قال المدائنى» أو «قال أبو عبيدة معمر بن المثنى» إذ ليس بين أيدينا مؤلفاتهم الجغرافية، و لا ندرى إن كان نقل عنها مباشرة أم بالواسطة. إلّا ما هو بين أيدينا من المصادر فقد راجعناه و ذكرنا ما أخذه عنه. فقوله مثلما «قال عمرو بن بحر» وجدناه فى كتاب الحيوان الذى نقل منه مقاطع طويلة. كما أشار إشارة عابرة إلى البلاذرى إلّا أن وجود كتابه فتوح البلدان بين أيدينا أتاح لنا معرفة النصوص التى نقلها ابن الفقيه عنه - و هى كثيرة - و كذلك الأمر بالنسبة لابن قتيبة الدينورى و غيره. و مما يعزز إهمالنا لبعض مصادره أنه كان يحور فى ألفاظ أسانيد الروايات فيوهم قارئه. ففى حديثه عن (عين الجمل) قال: «و سألت بعض المشايخ عن عين جمل لم سميت بهذا الاسم؟ (ه أ)». و الحقيقة فإن هذا الكلام للبلاذرى مع تحوير طفيف جدا. قال البلاذرى: «و حدثنى بعض المشايخ» [٢٠].

أو أن يقول (٨٧ ب): «و خبر إبراهيم بن العباس ...» و حقيقة الأمر أن هذا الكلام منقول عن الجاحظ فى الحيوان حيث قال الجاحظ: «و خبرنى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤

إبراهيم بن عباس ...» [٢١]. و سوف نفصل ذلك لدى بحثنا فى منقولاته عن البلاذرى و الجاحظ و غيرهما. و سنتناول الآن بالبحث مصادره بقسميها الكتابى و الروائى الذى سمعه و الذى يبدوه عادة بقوله: (حدثنى) أو (حدث) أو (سألناه). و

قد نسهب أحيانا في الحديث عن أحد الرواة لأهمية المعلومات التي رواها. فلنبداً مع الكتب حسب تسلسل ورودها في الكتاب.

أخبار الصين و الهند

من تأليف سليمان التاجر الذي سافر إلى الهند و الصين أكثر من مرة بقصد التجارة «و قد اتفق الباحثون في أخبار الصين و الهند على أن هذه الروايات أو الأخبار جمعت حول سنة ٢٣٧ هـ أي ٨٥١ م. و يرى المستشرق فيران أن سليمان هو الذي دون الروايات بنفسه» [٢٢].

و قد نقل ابن الفقيه عنه أخبارا تتعلق بالصين و الهند. و الكتاب مطبوع متداول بين أيدي القراء.

المسالك و الممالك

نقل عنه ابن الفقيه نصا يتعلق ببناء مسجد دمشق. فإن كان المقصود كتاب ابن خرداذبة فهذا النص ليس موجودا في كتاب المسالك و الممالك الذي بين أيدينا. علما بأن دي خويه يرى «أن النص الكامل لمصنف ابن خرداذبة لم يتم العثور عليه بعد» [٢٣]. كما أنه لا يمكن معرفة ما إذا كان المقصود كتاب المسالك و الممالك لجعفر بن أحمد المروزي الذي قال ابن النديم أنه أول من ألف في المسالك و الممالك كتابا و لم يتمه. و توفي بالأهواز و حملت كتبه إلى بغداد و بيعت في طاق الحرائي سنة ٢٧٤ هـ [٢٤].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥

كما نستبعد أن يكون الممالك و المسالك الذي ألفه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني الذي عين وزيرا لنصر بن أحمد الساماني عام ٣٠١ هـ و الذي وضع كتابه قريبا من عام ٣١٠ هـ - بينما كتب ابن الفقيه كتابه عام ٢٩٠ هـ [٢٥].

الحيوان للجاحظ

صرح ابن الفقيه باسم الجاحظ أكثر من مرة، و قد وجدناه ينقل مقاطع طويلة عن كتابه (الحيوان) الذي لم يشر إليه بالاسم. و قد أشرنا إلى النصوص المنقولة عنه في هوامش كتابنا هذا. و إن كان استخدم أسلوبا مجحفا بحق الجاحظ إذ كان ينقل عنه أحيانا من غير أن يذكره بالاسم، أو أن يحرف كما في قوله (و خبر إبراهيم بن العباس) و الحقيقة أن هذا كلام الجاحظ و لكن على الشكل التالي (و خبرني إبراهيم بن العباس) أو يختصر كما في النص المتعلق بالنار و هو طويل جدا و موجود في (الحيوان).

فتوح البلدان

أشار إلى اسم البلاذري ثلاث مرات، إلّا أنه نقل مقاطع طويلة عنه من كتابه (فتوح البلدان) دون أن يشير و لا مرة واحدة إلى اسم الكتاب. كما أن المعلومة المتعلقة بكور طبرستان التي صدرها ب (قال البلاذري) لم نجدتها في فتوح البلدان الذي بين أيدينا. و علينا هنا أن نذكر بقول ابن النديم من أن للبلاذري كتابين باسم البلدان. أحدهما صغير و الآخر كبير و لم يتمه [٢٦].

و يكتفى أحيانا في نقله عن فتوح البلدان بذكر اسم الراوي من غير ذكر اسم الكتاب فهو يقول مثلا (١٣٨ ب) قال جعفر بن محمد الرازي. و الحقيقة هي أن هذا النص موجود في فتوح البلدان (ص ٣١٥) حيث نتبين منه أن جعفر هذا هو أحد شيوخ البلاذري و النص يبدأ هكذا: «حدثني جعفر بن محمد الرازي ...»

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٦

و هو يحور في بعض كلمات البلاذري أحيانا و لا يكلف نفسه بالإشارة لا إلى (فتوح البلدان) و لا (البلاذري). ففي نص طويل متعلق بعيون الطف و القططانة و الرهيمه و عين حمل و قد نقله ابن الفقيه بأسره من البلاذري من غير أن يذكر ذلك. (٤ أ) و (٤ ب) و

يمكن مقارنته بالمطبوع من فتوح البلدان ص ٢٩٦، نجد ما يلي:
ابن الفقيه وسألت بعض المشايخ عن عين جمل لم سميت بهذا الاسم؟ فذكر أن جملا مات عندها فنسبت العين إليه.
و ذكر بعض أهل واسط أن المستخرج لهذه العين يسمى جملا.
قال: و سميت عين الصيد لأن السمك كان كثيرا جدا فيها فيصطاد فسميت بهذا الاسم.
البلاذري و حدثني بعض المشايخ: أن جملا مات عند عين الجمل فنسبت إليه.
و ذكر بعض أهل واسط أن المستخرج لها كان يسمى جملا.
قالوا: و سميت العين عين الصيد لأن السمك يجتمع فيها.

فضائل بغداد و صفتها

من تأليف يزدجرد بن مهيندان الكسروي. قال عنه ابن النديم إنه عاش في أيام المعتضد و له من الكتب: كتاب فضائل بغداد و صفتها.
و كتاب الدلائل على التوحيد من كلام الفلاسفة و غيرهم. كبير، رأيته بخطه [٢٧].
و عن كتابه هذا قال القاضي التنوخي: «تجارينا عند القاضي أبي الحسن محمد بن صالح بن علي الهاشمي، ابن أم شيان في سنة ستين و ثلاثمائة عظم بغداد و كثرة أهلها في أيام المقتدر.... و ذكرت أنا كتابا رأيت لرجل يعرف بيزدجرد بن مهيندان الكسروي كان على عهد المقتدر بحضرة أبي محمد المهلبى، كان سلم إليّ و إلى جماعة ممن حضر، كراريس منه لنسخه و ننفذه إلى الأمير ركن البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧
الدولة، لأنه التمس كتابا في وصف بغداد و إحصاء ما فيها من الحمامات و أنها كانت عشرة آلاف، ذكر في الكتاب مبلغها و عدد من يحتوى عليه البلد من الناس و السفن و الملاحين و ما يحتاج إليه في كل يوم من الحنطة و الشعير و الأقوات....» [٢٨].
و لا تعارض بين ما ذكره ابن النديم من أن الرجل عاش في زمن خلافة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩ هـ) و قول التنوخي إنه كان في خلافة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠ هـ) فمن الممكن أن يكون قد عاش في العهدين.
و يضيف رضى الدين على بن موسى المعروف بابن طاووس (٥٨٩-٦٦٤ هـ) معلومات مهمة عن يزدجرد هذا و علمه و أخيه بالنجوم فيقول نقلا عن التنوخي:

«و ممن وصف بعلم النجوم سهلون و يزدجرد من علماء الإسلام فيما ذكره التنوخي في أربع أجزاء النشوار فقال ما هذا لفظه: حدثني أبو عبد الله محمد الحارثي قال: كان ببغداد في أيام المقتدر إخوان كهلان فاضلان و عندهما من كل فن مريح، و هما من أحرار فارس. قد نشأ ببغداد و تأدبا بها و تعلمتا علوما كثيرة يقال لأحدهما سهلون و للآخر يزدجرد ابنا مهيندار الكسروي. و يعرفان بذلك لانتسابهما إلى الأكاسرة. و كانا ذوى نعمة قديمة و حالة ضخمة و كنت أزمهما على طريق الأدب. و كان ليزدجرد منهما كتاب حسن ألفه في صفة بغداد و عدد سككها و حماماتها....» [٢٩].

و عن كتابه هذا (فضائل بغداد) نقل ابن الفقيه مقاطع طويلة جدا في إحصائيات تتعلق بعدد الحمامات و المساجد و السكك و الشوارع و ما يدخلها من الأقوات يوميا و ما يباع فيها. و هذا الفصل مما حذفه مختصر كتاب البلدان فأتحفتنا به نسختنا الكاملة.
البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨

عيون الأخبار

لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦ هـ). و قد نقل عنه نصا يتعلق بمدح أهل خراسان فقال: «و قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أهل خراسان...» (١٥٤ ب) من غير أن يذكر الكتاب الذى نقل عنه إذ إن مؤلفات ابن قتيبة كثيرة كما هو معلوم. و قد وجدنا

النص بكامله في عيون الأخبار (١: ٢٠٤-٢٠٥).

الأهوية و البلدان و المياه

من تأليف الطبيب و الحكيم اليونانى بقراط (٤٦٠-٣٧٧ ق. م) الذى يشكك المؤرخون فى كونه من تأليفه [٣٠]. و مع ذلك فإن أول ترجمة لهذه الرسالة إلى العربية تمت على يد حنين بن إسحاق (١٩٤-٢٦٠ هـ) أو الفريق العامل معه [٣١]. و قد أولع الأطباء و الجغرافيون المسلمون بالنقل عن هذه الرسالة. فهناك الطبيب الطبرستانى: على بن ربن الطبرى المتوفى عام ٢٤٧ هـ الذى كان أبوه مترجما [٣٢] أيضا. و لدى مقارنة ما نقله ابن الفقيه عن رسالة (الأهوية و البلدان و المياه) التى أسماها ب (الأهوية و الأبدان)، و ما نقله على بن ربن عنها فى كتابه (فردوس الحكمة) نجد تشابها واضحا بين الاثنين سوى أن ابن الفقيه اختصر قليلا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩

فيما طوّل فيه ابن ربن [٣٣]. و نحن نعرف من خلاف نقل ابن الفقيه الخبر بعثة جبل دماوند عن ابن ربن أنه كان لديه نسخة من كتاب (فردوس الحكمة).

نشير أخيرا إلى أن المؤرخ و الجغرافى يعقوبى الذى ألف كتابه البلدان عام ٢٧٨ هـ قد نقل مقاطع طويلة من (الأهوية و المياه و البلدان) فيها كثير مما هو موجود لدى ابن ربن و ابن الفقيه [٣٤]. كما نجد مقاطع طويلة منها أيضا فى كتاب (هداية المتعلمين فى الطب) للأخوينى البخارى الذى تحدث عن تأثير فصول السنة على الأمزجة و ختم بالقول «و يطول الحديث فى هذا، فإن أردت أن تعلم هذه الحقيقة فعليك بقراءة كتاب (الأهوية و المياه و البلدان) لبقرات أو فصول بقراط» [٣٥].

الفلاحة

نقل عنه ابن الفقيه بعد انتهائه من الاقتباس من كتاب بقراط فقال «و قال فسطوس فى كتاب الفلاحة...» (١٠٢ أ). و الصواب أنه فسطوس. يقول الأستاذ فؤاد سزكين أنه قد ترجم عن اليونانية إلى العربية مباشرة عام ٢١٢ هـ من قبل سرجيس بن هلييا الرومى، كما ترجم عن البهلوية بعنوان روزنامه. و قد استفاد العلماء العرب من الترجمتين. فعلى بن ربن الطبرى رجع على سبيل المثال إلى الرواية الفارسية. بينما رجع ابن قتيبة إلى الترجمة المباشرة عن اللغة اليونانية [٣٦].

الطلسمات

قال ابن الفقيه «و فى كتاب الطلسمات أن قباذ و جبه بليناس الرومى إلى الرى فاتخذ طلسمًا...» (١٤٢ ب).

يوجد كتاب فى الطلاسم نقله حنين بن إسحاق إلى العربية اسمه: كتاب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠

المدخل الكبير لبليناس إلى رسالة الطلاسم. و يرى الأستاذ سزكين أن كتب أبو لونيوس التيانى قد وصلت إلينا باللغة العربية تحت أسماء محرفة مثل: بليناس و بلينس و بولينياس و أبولون [٣٧].

و قد نقل ابن الفقيه كثيرا عن كتاب الطلسمات هذا مما أحدثه من طلسمات فى البلدان التى ذهب إليها.

فردوس الحكمة

اكتفى ابن الفقيه بالقول: «و قال على بن ربن كاتب المازيار: و جبهنا جماعة من أهل طبرستان...» (١٤٥ ب). و لم يذكر كتاب فردوس الحكمة و هو كتاب طبى معروف مؤلفه على بن ربن الطبرى. و حكاية السفارة هذه إلى قمة جبل دماوند ذكرها فيه [٣٨]. و قد نقلها

عنه فيما بعد البيروني في الصيدنة و ابن إسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان الذي ألفه عام ٦١٣ هـ.

المسالك و الممالك

من تأليف أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه المتوفى في حدود سنة ٣٠٠ هـ. و قد نقل عنه صفحات طويلة و إن لم يصرح بذلك و أشهر تلك النصوص خبر رحلة سلام الترجمان إلى سد أجوج و مأجوج بأمر من الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢ هـ) التي تناقلها- رغم ما فيها من تفاصيل أسطورية- الجغرافيون و المؤرخون المسلمون و إن كان المحققون منهم قد شككوا فيها مثل ياقوت الذي كتب بعد نقله لعدة أخبار تتعلق بالسد و منها خبر سلام الترجمان: «قد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١

كُتبت من خبر السد ما وجدته في الكتب و لست أقطع بصحة ما أوردته لاختلاف الروايات فيه و الله أعلم بصحته» [٣٩]. و مثل الثعالبي المرغني (٣٥٠-٤٢٩ هـ) الذي قال «و الذي حكاه سلام الترجمان في ذكر السد من حديث الباب و العزادة و وصف القفل و المفتاح و الدندانجات كالأسطوانات، غير معتمد عليه لأنه غير موافق لما نطق به القرآن من وصفه...» [٤٠].

و يفهم من كلام المقدسي البشاري الذي ألف كتابه عام ٣٧٥ هـ أنه يعزو هذه الرحلة لابن خرداذبه حيث قال: «قرأت في كتاب ابن خرداذبه و غيره في قصة هذا السد على نسق واحد، و اللفظ و الإسناد لابن خرداذبه لأنه كان وزير الخليفة و أقدر على ودائع علوم خزائنه أمير المؤمنين مع أنه يقول حدثني سلام المترجم. إن الواثق بالله...» [٤١] كما نقلها بصورة مختصرة مؤلف مجهول كتب كتابه عام ٥٢٠ هـ [٤٢].

و مما يلفت النظر في كتاب ابن الفقيه التشابه الحرفي بين بعض نصوصه و نصوص المسالك و الممالك لابن خرداذبه. و ليس بإمكاننا أن نجزم هنا أنه قد نقلها عن ابن خرداذبه الذي ألف كتابه عام ٢٥٠ هـ. لأن هناك تداخلا بين كتاب ابن خرداذبه و كتاب آخر للجيهاني الوزير مما سوف نفضله فيما بعد و نكتفي بنقل قول المقدسي - طبقاً لأحد مسودات كتابه أحسن التقاسيم: - «و رأيت مختصرين بنيشابور مترجمين، أحدهما للجيهاني و الآخر لابن خرداذبه تتفق معانيهما غير أن الجيهاني قد زاد شيئاً يسيراً» [٤٣].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢

حرب جودرز و بيران

قال ابن الفقيه: «و قرأت في كتاب حرب جودرز و بيران...» (١٥٤ ب).

لا- يمكننا معرفة ما إذا كان هذا كتاباً مستقلاً أم جزءاً من كتاب قسّم على كتب؟ و الكتاب يتعلق بالتاريخ الأسطوري للفرس في الأعصار السحيقة و هي الفترة التي تمتاز كأمثالها من الفترات الزمنية لكل الأمم- بالغموض و التناقض و تضارب المعلومات حتى أن حمزة الأصفهاني المؤرخ المعروف شكك من ذلك فقال عن تواريخ الفرس: «و تواريخهم كلها مدخولة غير صحيحة لأنه نقلت بعد مائة و خمسين سنة من لسان إلى لسان، و من خط متشابه رقوم الأعداد إلى خط متشابه رقوم العقود فلم يكن لي في حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ إلا إلى جمع النسخ المختلفة النقل فاتفق لي ثمانى نسخ و هي فلما اجتمعت هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب» [٤٤].

و مع ذلك يذكر الشاعر الملحمي الإيراني أسدى طوسى المتوفى عام ٤٦٥ هـ- كتاباً باسم كتاب بيران ويسه [٤٥].

الإنجيل

يقول ابن الفقيه: «و قرأت في الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال: بحق أقول لكم، ليأتين قوم من المشرق...» (١٥٨ أ).

أورد ذلك بعد ذكره لحديث ذوى الرايات السود القادمين من قبل المشرق المروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم). وقد وجدنا فى رؤيا يوحنا اللاهوتى من العهد الجديد (رؤيا ١٦: ١٢-١٦) نصا يتعلق بمعركة هرمجدون التى قيل أنها ستقع فى آخر البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣

الزمان فلعله هو المقصود من خلال قرينه ما ذكر فيه وهو: (الملوك الذين من مشرق الشمس).

أما الحديث المتعلق بالرايات السود فقد وجدناه لدى نعيم بن حماد المتوفى عام ٢٢٩ هـ- و للمقارنة نذكره هنا، إذ يبدو أن ابن الفقيه قد اختصره.

قال نعيم:

«حدثنا محمد بن فضيل و عبد الله بن إدريس و جرير، عن يزيد عن (الصواب: بن) أبى زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضى الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إذ جاء فتية من بنى هاشم فتغير لونه. فقلنا: يا رسول الله ما نزل؟ نرى فى وجهك شيئا نكرهه. قال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، و أن أهل بيتى هؤلاء سيقتلون (الصواب: سيلقون) بعدى بلاء و تطريدا و تشريدا حتى يأتى قوم من هاهنا من نحو المشرق، أصحاب رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه- مرتين أو ثلاثا- فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلوها (كذا) حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيملؤها عدلا كما ملؤها ظلما. فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم و لو حبا على الثلج فإنه المهدي [٤٦].

و نفس الخبر موجود فى دلائل الإمامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبرى الذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس حيث نعلم منه سند الخبر بصورة أوضح و هو «عن صباح بن يحيى و مطر بن خليفة عن يزيد بن أبى زياد، عن إبراهيم النخعى، عن علقمة بن قيس، عن عبد الله بن مسعود....»

[٤٧].

و ذكر أبو أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى (٢٧٧-٣٦٥) فى كتابه الكامل فى ضعفاء المحدثين «و هذا الحديث لا أعلم من يرويه بهذا الإسناد عن إبراهيم [النخعى] غير يزيد بن أبى زياد و يرويه عنه يزيد بن فضيل» [٤٨].

و إلى هنا ينتهى بنا المطاف- و بعد أن انتهينا من الكتب- إلى الحديث عن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤

شيوخه الذين روى عنهم ممن ذكرهم بكلمة (حدثنى) أو (سألته) أو ممن يدل نوع المعلومات على نوع من الصلة له معهم.

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق

قال ابن الفقيه: «و حدثنى أبو يوسف يعقوب بن إسحاق قال حدثنى إبراهيم بن الجنيد، عن إبراهيم بن رويم الخوارزمى قال: فيما بين خراسان و أرض الهند نمل أمثال الكلاب السلوقية...» (١٦٣ أ).

و فى الورقة (٧١ أ): «و قال يعقوب بن إسحاق: سمعت أبى يقول: سمعت يزيد بن هارون...».

عند بحثنا عنم يكون إسحاق هذا الذى يروى عن يزيد بن هارون الواسطى (١١٨-٢٠٦ هـ) فوجدناهم بالعشرات فى كتب الرجال و الحديث. و عليه فلن نقطع بشيء إلى حين ظهور مرجح.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقى

له ترجمة مطولة فى تاريخ بيهق و قال إن لقبه هو المغيثنى نسبة إلى المغيثة و هى قرية من قرى بيهق. ثم ذكر شيوخه فقال إنهم المبرد و ثعلب. و إنه هجا البحترى، و إن ابن الرومى قال فيه ... و لكنه لم يذكر سنة وفاته [٤٩].

و قد روى عنه ابن الفقيه بقوله: «و حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقي قال أنشدني حماد بن إسحاق الموصلي لأبيه...» (٧٤ أ).

أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل

قال ابن الفقيه: «حدثنا أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا بشر بن محمد بن أبان...» (٩٠ أ).
لم نعثر حتى الآن على ترجمة لأبي عمرو عبد العزيز. فأما إبراهيم بن البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥
الجنيد، فهو إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد أبو إسحاق قال الذهبي: «له تصانيف و تاريخ و رحلة لم أجد له وفاة» [٥٠] و قال في تذكرة الحفاظ: «و كأن وفاته في حدود ٢٦٠ هـ» [٥١] و في سير أعلام النبلاء «أنه بقي إلى قرب سنة سبعين و مائتين» [٥٢].
و قال الخطيب البغدادي: «إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد أبو إسحاق المعروف بالختلي صاحب كتب الزهد و الرقائق. بغدادى سكن سر من رأى» [٥٣].
و أما بشر بن محمد بن أبان. فقد وصفه الذهبي بالواسطي السكري أبو أحمد [٥٤].

أبو على محمد بن هارون بن زياد

قال ابن الفقيه: «و قال لى أبو على محمد بن هارون بن زياد- و كان حكيما فيلسوفا- و قد تجارينا ذكر شبديز...» (٩٧ ب).
لا نعرف شيئا عن أبي على هذا.

أبو حامد أحمد بن جعفر المستملى

قال ابن الفقيه: «و حدثني أبو حامد أحمد بن جعفر المستملى قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن بشر البلخي قال: حدثني أبي...» (١٤٨ ب).
و لأبي حامد هذا ترجمة في تاريخ بغداد قال فيها إنه حدث عن محمد بن يحيى الأزدي الذي توفي عام ٢٥٢ هـ. و روى عنه- عن أبي حامد- عبد الصمد بن على بن محمد بن مكرم الوكيل المعروف بالطستى (٢٦٦-٣٤٦ هـ). و لم يذكر لأبي حامد تاريخا لوفاته [٥٥].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦

و قال ابن الفقيه أيضا: «و حدثني أحمد بن جعفر، حدثني أبو حفص عمر بن مدرك قال: كنت عند أبي إسحاق الطالقاني يوما بمرو على الرزيق في المسجد الجامع، فقال أبو إسحاق: كنا يوما عند ابن المبارك...» (١٦٠ ب).
أما أبو حفص عمر بن مدرك، فهو- كما في تاريخ بغداد- «القاص الرازي و يقال البلخي. و أراه بلخيا سكن الري و قدم بغداد و حدث بها ... مات سنة ٢٧٠ هـ» [٥٦].

و في الخبر: إبراهيم بن إسحاق بن عيسى أبو إسحاق الطالقاني المتوفى عام ٢١٥ هـ [٥٧].
و فيه: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي (١١٨-١٨١ هـ) أحد الأئمة المعروفين [٥٨] و الغزاة المطوعة كما كان شاعرا.

تميم بن بحر المطوعى

لو لم تقع مخطوطة المكتبة الرضوية الكاملة، ما عرفنا باسم تميم المطوعى هذا الذى قام برحلة إلى آسيا على بريد أنفذه إليه خاقان

التغزى. و في أخباره من المعلومات كل ما هو مهم و خطير. حيث نجد هذا السؤال الموجه إليه من ابن الفقيه الذى ورد بصيغته «و سألتاه عن طريق كيماك من طراز، فذكر أن الطريق ...» الذى عرفنا منه أن ابن الفقيه التقى به. ثم إن خبر تميم قد نقله ياقوت باختصار دون أن يعزوه لأحد. فقد افتتح كلامه فى مادة تركستان و أورد البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧

خبر تميم فيها بصورة مختصرة عما هو عليه فى أصل كتاب البلدان. و حين وصل إلى خبر (حجر المطر) الذى لدى الترك، ذكر اسم ابن الفقيه و نقل عنه الخبر الذى رواه عيسى بن محمد المروزى. فأوهم ياقوت قارئه أن خبر تميم منقول عن مصدر آخر. بينما الحقيقة غير ذلك و هو موجود لدى ابن الفقيه الذى التقى به و سأله تفصيلات عن رحلته تلك. و مهما يكن فليس لدينا أى معلومات عن تميم بن بحر المطوعى سوى كونه مطوعا و هم طائفة من المتطوعين الذين كانوا يرابطون فى ثغور البلاد الإسلامية لدفع هجمات الدول و القبائل التى كانت تجتاح بين الحين و الآخر حدود البلاد الإسلامية كالروم و الأتراك- قبل إسلامهم-. و يعرف المطوعة هؤلاء أخبارا و وقائع مهمة عن البلاد غير الإسلامية حيث كان بعضهم يسافر إليها، و أشهر أولئك، إبراهيم بن شماس الذى كان يذهب بين الحين و الآخر إلى بلاد الغزية لشراء الأسرى و كان يلتقى بملكهم جبغويه [٥٩].

أبو عبد الله الحسين بن أستاذويه

قال ابن الفقيه: «و حدثنى أبو عبد الله الحسين بن أستاذويه، حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن، حدثنا هشام بن لهراسب السائب الكلبي ...» (١٧٠ أ).

لم نجد لابن أستاذويه ذكرا فى كتب التراجم، اللهم إلا أن يكون أبا عبد الله الحسين بن شاذويه الذى ترجم له النجاشى فقال: «الحسين بن شاذويه أبو عبد الله الصفار و كان صحافا فيقال الصحاف ...» [٦٠] و قال: الرجالي ابن الغضائرى إنه قمى زعم القميون أنه كان غاليا [٦١]. و أما شيخه أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن.

فنحتمله أنه الفندينى الرازى الذى يروى عن أحمد بن سيار المروزى [٦٢]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨

(١٩٨-٢٦٨ هـ) و أحمد بن منصور الرمادى (المتوفى عام ٢٦٥ هـ).

أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى المروزى

روى عنه ابن الفقيه بقوله: «و حدث أبو العباس عيسى ...» (١٧٠ ب) و ليس واضحا ما إذا كان قد التقاه رغم أن المروزى كان معاصرا لابن الفقيه. و قد روى عنه أسطورة حجر المطر الذى لدى الترك و الذى يستجلبون به المطر إذا خافوا من الأعداء.

و قد أدى لقبه (المروزى) و كنيته (أبو العباس) إلى أن يسهو قلم العالم الحجة فى الدراسات الجغرافية و نعنى به أغناطيوس كراتشكوفسكى، فىرى فيه مروزيا آخر توفى قبل عام ٢٧٤ هـ- بقليل فقال:

«أبو عباس جعفر بن محمد بن أحمد المروزى. ابن النديم يذكر أنه أول من صنف فى المسالك و الممالك ... قد تنسب إليه حكايات من وقت لآخر عند الجغرافيين المتأخرين. فابن الفقيه يروى عنه أسطورة تتعلق بحجر المطر، كما ينقل عنه روايات عديدة عن القبائل التركية» [٦٣].

و لأهمية شخصية هذا الرجل و لكونه رحالة فى البلاد ذا علاقة بالأمرء و كبار الشخصيات و لأهمية المعلومات التى قدمها- إذا أسقطنا الجانب الأسطورى منها- فسنفصل القول فيه.

قال السمعانى: «أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن سليمان المروزى الكاتب المعروف بالطهمانى. أظن أنه من

ولد إبراهيم بن طهمان. و هو إمام فى اللغة و العلم و أحد أشراف خراسان بنفسه و آباءه و أسلافه»[٦٤].

أما والده محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن سليمان المروزى الكاتب فقد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩

استوزره طاهر بن عبد الله بمدينة مرو عام ٢٤٠ هـ- [٦٥] و يظهر اسمه فى الحوادث الخطيرة و الشغب الذى حدث ببغداد خلال عام ٢٥٥ هـ- و ما بعده حيث كان مع الجيش القادم من خراسان مع سليمان بن عبد الله بن طاهر، و قبلها فى أحداث عام ٢٥٢ هـ- [٦٦]. و نورد هنا ما تمكنا من جمعه من علماء هذه العائلة و شخصياتهم السياسية.

عيسى بن عبد الرحمن المروزى [٦٧] محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن سليمان المروزى الكاتب «وزر لظاهر عام ٢٤٠ هـ».

عيسى بن محمد بن عيسى (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ-) (كاتب الأمير إسماعيل بن أحمد السامانى) [٦٨].

محمد بن عيسى بن محمد أبو صالح المروزى (العارض بجرجان) [٦٩].

قال الذهبى عن عيسى بن محمد المروزى (الذى روى ابن الفقيه عنه) بعد أن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠

ذكر شيوخه فى الحديث و من روى عنه: «كان رئيسا نبيلًا كثير الفضائل ...

توفى عام ٢٩٣ هـ» [٧٠]. كان كثير التنقل فى البلاد الخراسانية و مدن الأتراك. و يبدو أنه كان يعنى بأخبار الخوارق و العجائب. فقد روى إضافة إلى ما نقله ابن الفقيه عنه من أخبار تدور حول حجر المطر- خبر المرأة التى عاشت نيفا و عشرين سنة لا- تأكل و لا تشرب (!!!) حتى إنه ذكر خبرها لأبى العباس أحمد بن محمد بن طلحة بن طاهر والى خوارزم و ذلك فى سنة ٢٦٦ هـ- و لما عجب الوالى من ذلك أمر بإحضارها و وكل أمه بمراعاتها و إنها بقيت عندها نحوًا من شهرين فى بيت لا تخرج منه فلم يروها تأكل و لا تشرب [٧١].

كما رحل إلى جرجان و حدث بها [٧٢]. و فى رواية ابن الفقيه فى البلدان أنه كان ببلاد الشاش حيث التقى هناك أحد شيوخ الكتاب القدماء المدعو حبيب بن عيسى الذى وصفه بأنه جمع فى كتاب أخبار وقائع نوح بن أسد و حروبه مع الترك [٧٣].

و كانت صلته بأمر خراسان إسماعيل بن أحمد الذى حكم بين (٢٨٧- ٢٩٥ هـ) [٧٤] قد أتاحت له معرفة الكثير مما يتعلق بالبلاد الخراسانية و ما وراء النهر.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١

قدم إلى بغداد و حدث بها. و ذكر أبو سعيد أحمد بن محمد بن الأعرابى (٢٤٦- ٣٤٠ هـ) مؤلف طبقات النساك المعروف بشيخ الحرم أنه سمع منه ببغداد. كما سمع منه فيها عبد الباقي بن قانع (٢٦٥- ٣٥١ هـ) [٧٥] أما حجر المطر الذى يوجد لدى الترك و يقول ابن الفقيه إنهم «إذا أرادوا المطر حركوا منه شيئًا يسيرا فينشأ الغيم فيوافى المطر. و إن هم أرادوا الثلج و البرد، زادوا فيه فيوافى الثلج و البرد. و يقال إنهم إذا أومأوا إلى جهة من الجهات، مطرت تلك الجهة و أبردت» (١٧١ أ)، فأمره لا يخلو من طرافة فى عالم الفولكلور الآسيوى. فقد قال أبو دلف (الرحلة ١٧٧ ب) إنه لدى الترك الكيماك.

و نقل البيرونى عن كتاب النخب لجابر بن حيان (توفى عام ٢٠٠ هـ-) أنه «حجر اليشب و هو حجر الغلبة تستعمله الترك ليغلبوا» [٧٦]. و يزيد الأمر وضوحًا فيقول فى الآثار الباقية: و هو يتحدث عن عدة ظواهر فى الطبيعة: «و فى الجبل الذى بأرض الترك، فإنه إذا اجتاز عليه الغنم شدت أرجلها بالصوف لئلا تصطك حجارتها فيعقبه المطر الغزير و قد يحمل منها الأتراك فيحتالون منها فى دفع مضرة العدو إذا أحيط بهم فينسب من لا يعرف ذلك إلى السحر منهم» [٧٧].

و نظرا للروح العلمية التى لدى البيرونى فقد طلب إلى أحد الأتراك الذين حملوا إليه شيئًا من تلك الأحجار أن يجلب بها المطر. فرماها إلى السماء مع همهمة و صياح فلم ينزل شىء من المطر. و علق على ذلك قائلا: «و أعجب من ذلك أن الحديث به يستفيض.

و في طباع الخاصة فضلا عن العامة منطبع يلاحون فيه من غير تحقق» [٧٨]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢

و يبدو من كلام الكاشغرى الذى كتب كتابه عام ٤٦٦ هـ - أن استجلاب المطر كان من وظائف الكهان حيث قال: «إن الأمير أمر بالكاهن حتى تكهن و جاء بالريح و الأمطار. و ذلك معروف فى ديار الترك يستجلب الريح و البرد و المطر بالحجر» [٧٩] و بعد أن يورد شهردان بن أبى الخير الذى أَلَّف كتابه بين ٤٨٨ و ٥١٣ هـ - أسطورة حجر المطر - يبدو أنها نقلها عن البيرونى - يشير إلى حجر جالب للريح و الرعود و الأمطار فى واد عظيم ببلاد الهند و ذلك إذا غنى أحد فى ذلك الوادى.

و لذا فإن الناس يجتازونه و لا يغنون إطلاقا كما لا يتكلمون مع بعضهم» [٨٠].

و مهما يكن فقد ظلت هذه الأسطورة حية بعد ذلك حتى أن الدنيسرى الذى أَلَّف كتابه عام ٦٦٩ هـ - نقلها و قال إن الحجر يوجد فى تركستان من غير أن يحدد مكانا بعينه [٨١]. كما ذكرها القزوينى (٦٠٠ - ٦٨٢ هـ) و أضاف «و رأيت من شاهد هذا» [٨٢].

محمد بن أبى مريم

ذكره ابن الفقيه - كما هو فى ٢٦٤ من مختصر البلدان المطبوع - و هو يتحدث عن مقدار خراج قم: «أخبرنى محمد بن أبى مريم قال: مبلغ وظيفة الخراج بكورة قم....».

و هو محمد بن إبراهيم عامل مدينة قم الذى نستخلص من خلال وصول لجنة برئاسة بشر بن فرج إلى قم فى رجب عام ٢٨٤ من قبل المعتضد للنظر فى شكاوى أهلها من ثقل الضرائب، أن محمد بن أبى مريم و أخاه أحمد قد تولى كل منهما

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣

منصب عامل قم فى الفترة الواقعة بين ٢٨٢ و ٢٨٤ هـ - [٨٣].

عمر بن الأزرق الكرمانى

أورده ابن الفقيه بقوله: «قال عمر بن الأزرق الكرمانى» (١٦١ أ) حيث ذكر ابن الأزرق معلومات مهمة عن معبد النوبهار بمدينة بلخ الذى قيل أنه كان يوجد فيه بيت من أكبر بيوت المجوس [٨٤]. و إن كان الأرجح أنه كان بيتا للأصنام، حيث يقول من يرى ذلك «إن كلمة (بهار) تأتى أيضا فى الأدب الفارسى بمعنى معبد للأصنام» [٨٥]. و حتى بعد أن هدم هذا المعبد على يد قيس بن هيثم السلمى عام ٤١ هـ، ظل مكانه موثلا للكثير من الزائرين. يقول أبو بكر الواعظ الذى كان حيا عام ٥٨٨ هـ - فى كتابه فضائل بلخ نقلا عن المحدث عبد الله بن شوذب البلخى (٨٦ - ١٥٦ هـ):

«روى عن ابن شوذب أنه حلول رأس السنة الشمسية كان الأكابر و الأشراف من بلاد طخارستان و الهند و تركستان و من بلاد العراق و الشام يأتون إلى هذه المدينة (بلخ) و يعيدون سبعة أيام فى موقع النوبهار» [٨٦].

إن المعلومات التى قدمها ابن الأزرق عن النوبهار فريدة لا نراها فى أى مصدر آخر. فمن يكون عمر بن الأزرق هذا؟ لم نجد له ذكرا فى كتب الرجال و التاريخ. و هناك بصيص ضعيف من الأمل فى أن يكون هو الذى روى عن المدعو ابن سيار معلومة طيبة من بلاد الروم. ففى كتاب فى الأدوية و منافعها أَلَّف على عهد منصور بن نوح السامانى أى بين ٣٥٠ و ٣٦٦ هـ، قال مؤلفه:

«روى ابن الأزرق عن ابن سيار أنه قال: رأيت فى بلاد الروم أنه عند ظهور

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤

داء الخنازير لدى شخص ما، يوتى به و يطرح أمام الخنازير كى تأخذ الغدد و تلعقها، فتذهب الغدد. و هذا من النوادر» [٨٧].

فكون المعلومة الطيبة من بلد خارج نطاق بلاد الإسلام تجعلنا نخمن أن ناقلها كان رحالا زار تلك التخوم. و تجعلنا نحتمل أن يكون

أحمد بن سيار بن أيوب المروزي (١٩٨-٢٦٨ هـ) الذي عرف بكثرة التجول و هو فقيه و محدث مشهور حيث رحل إلى بخارى مع وفد لزيارة الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني، و إلى بغداد و هو في طريقه للحج عام ٢٤٥ هـ و إلى الشام و مصر [٨٨]. و هو على أى حال من أهالي تلك التخوم المجاورة للتغور الإسلامية.

سعيد بن الحسن السمرقندي

تحت عنوان «ذكر بعض مدن الأتراك و عجائبها» (١٧٢ أ) كتب ابن الفقيه فصلاً بدأه ب (قال سعيد بن الحسن السمرقندي) هو أروع فصول الكتاب، الفصل الذي لا نجد له مثيلاً في معلوماته الفريدة الغزيرة. و الحقيقة فإن السمرقندي قد تجاوز في أواخر كلامه بلاد الأتراك و توغل في الغابات المتشابكة الأشجار أى إلى الشمال من نهر الفولغا باتجاه قبائل (و يسو) الذين يقول عنهم أندريه ميكيل اعتماداً على كتاب حدود العالم، إنهم يقرون مع الأقوام اليوغورية و هذا نص كلامه:

يقرنهم كتاب الحدود بالويسو الذين يحيلون إلى قوم فنيين: الفس النازلين في جنوب شرق بحيرة أونيجا» [٨٩].

نقول هذا معتمدين على أن مدينة (سكوب) و هي آخر المدن التي ذكرها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥

السمرقندي هي بسكوف (PSKOV) و هي «ولاية غربية من روسيا أوربا مساحتها مع بحيراتها ٠٦٧، ١٧ ميلاً مربعاً. و عدد سكانها ٧٠١، ٧٧٥. و بها عدة بحيرات أهمها البحيرة المسماة باسمها. و في جهتها الجنوبية الشرقية مستنقعات كثيرة. و قسم كبير منها تغشاها غابات من الصنوبر يستخرج منها كمية وافرة من القطران. و سكانها على الأكثر من أصل روسي و لكن يوجد بينهم قبائل آخر و بعض من المسلمين.

قصبه الولاية المذكورة واقعة على الضفة اليسرى من قاليكاي على بعد نحو خمسة أميال من مصبه في بحيرة بسكوف على السكة الحديدية بين بطرسبرج و وارسو تبعد ١٦٥ ميلاً عن بطرسبرج إلى جنوبي الجنوب الغربي. و عدد سكانها ٩٨١، ١٢. و يحيط بها سور محيطه خمسة أميال. و لها قلعة في وسطها» [٩٠].

فالمدينة التي ذكرها السمرقندي تشترك مع (بسكوف) في عدة نقاط منها كثرة البحيرات حيث قال السمرقندي: «و لهذه المدينة حمة عجيبة النفع تخرج من كهف في جبل شاهق لا يصل إنسان إلى الكهف الذي هي فيه. و إنما تجرى فيه إلى عشرة أبيات مبنية بالصخر: سبعة للرجال و ثلاثة للنساء. ماؤها في الشتاء شديد الحر و ينقص حرّه في الصيف». و يضيف إلى ذلك قوله: «و في هذا الجبل ثعالب سود و حمر و بلق قلما يصطاد شيء منها لتغلغلها بين الشجر و قلة نزولها إلى السهل.

و هي أصبر الحيوان على الثلج و كذلك جميع ما في هذا الجبل، لأن الثلج يقع فيه أكثر السنة» (١٧٤ ب).

كما أن الحرية الجنسية التي لفتياتهم و نسائهم تجعلهم قريبين من الأقوام المجاورين للفنيين و نعى بهم البرطاس الذين «تختار الجارية عندهم من أرادت من الرجال بصرف النظر عن سلطة الأب» [٩١] و مع الصقالبة الذين «إذا أحببت إحدى الفتيات رجلاً، ذهبت إليه و استسلمت تماماً إلى ملذاته. و هذه الممارسة شائعة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٦

جدا حتى إن وصول الفتاة عذراء إلى الزواج يدفع إلى الشك بأنها مصابة بعاهة جسدية أو عقلية و تتعرض إلى الطلاق» [٩٢].

و إن لغتهم غير لغة الأتراك لذلك ميزهم السمرقندي بأن قال «و أهلها يتكلمون بالسريانية». فهل هم يتكلمون السريانية حقاً أم أن عدم تشابه لغتهم مع لغات سائر الأتراك الذين ذكر منهم الواحدة تلو الأخرى هو الذي دعاه إلى ذلك؟

و في هذه الحالة هل إن ذلك يجعلهم يقتربون من أمه البرطاس (البرداس) الذين يحتمل أندريه ميكيل أنهم «فنلنديون تفاوتت تتركهم و يتكلمون لغة خاصة بهم و هم مقيمون على طاعة ملك الخزر. و يغيرون على بلكار و البنجاك و يغير هؤلاء عليهم و

يسبونهم. و يقال لنا بأنهم ينتسبون بدينهم إلى عالم الترك و إلى الغز بوجه أدق»[٩٣]؟

و وجود الثعالب بأنواعها فى تلك المدينة (فى غاباتها بطبيعة الحال) ألا يشير إلى تجارة جلود الثعالب السود و السمور لدى الويسو التى تجعل التجار البلغار يخرجون إلى أرضهم لشراء تلك الجلود، كما يقول ابن فضلان الذى أضاف أن بلاد الويسو تقع على مسافة مسيرة ثلاثة أشهر من بلاد البلغار[٩٤]؟

إننا نقرب تدريجيا من روسيا البيضاء Bielo Russe - طبقا لرأى المستشرق الألمانى فرهن الذى يرى أن ويسو Wisu تقع قرب موسكو غربى ورنك[٩٥] Varang. كما نقرب من أستونيا الواقعة إلى الشمال الغربى من بحيرة بسكوف -

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧

حيث افترضنا أن السمرقندى كان يعنى هذه المنطقة بحيرة و مدينة- أستونيا التى يرى الباحث Mikko Juva «- و طبقا للشواهد الأركيولوجية- أن أسلاف الفنلنديين كانوا يعيشون فيها منذ ٣٥٠٠ عام على الأقل»[٩٦].

و على هذا فالسمرقندى هو أول جغرافى أو رحالة مسلم وصف تلك الأصقاع (أو رحل إليها؟).

أخيرا، لم نعثر على شخص يدعى سعيد بن الحسن السمرقندى فيما بين أيدينا من مصادر، سوى أن ابن شيخ الربوة قد وضع أحد عناوين فصول كتابه على الشكل التالى: فى جزائر البحر الأخضر التى بالقرب من سواحله و منهن الجزائر الخالدات و ذكر الأعجوبة للسمرقندى». ثم فصل ذلك داخل الكتاب بقوله: إن الإسكندر أراد أن يعلم ساحل المحيط الأقصى فجهز عدة مراكب فساروا سنه كاملة لم يروا إلا سطح الماء و ما يخرج من حيوان عظيم الخلقة كالمنارة المشهورة»[٩٧].

مطاعن على كتاب البلدان

كان للتقييم الذى أطلقه ابن النديم (ألف كتابه عام ٣٧٧ هـ و ما تلاه)، أثره المدوى فى الأوساط التى أصدرت أحكامها فيما بعد بحقه. قال ابن النديم:

«ابن الفقيه الهمدانى و اسمه أحمد بن محمد. من أهل الأدب. لا نعرف من أمره أكثر من هذا. و له من الكتب: كتاب البلدان، نحو ألف ورقة، أخذه من كتب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨

الناس و سلخ كتاب الجيهانى. و كتاب ذكر الشعراء المحدثين و البلغاء منهم و المفحمين»[٩٨].

لقد لاحظ العالم كراتشكو فسكى منذ وقت مبكر تهافت قول ابن النديم بأن ابن الفقيه سلخ كتاب الجيهانى المعروف بالمسالك و الممالك فقال:

«يجب أن نأخذ بعين الحذر و الارتياب قول صاحب (الفهرست) أن ابن الفقيه قد (سلخ) كتاب الجيهانى. حقا إن الطابع النقلى لكتاب ابن الفقيه ليس فى الوسع إنكاره، و لكن كتابه يرجع تأليفه إلى ما قبل عام ٢٩٠ هـ أى قبل أن يخرج الجيهانى إلى عالم الوجود»[٩٩]. و مع ذلك تواصلت الهجمات على ابن الفقيه و اتهامه بسلخ كتاب الجيهانى.

فنقل ياقوت نفس ما قاله ابن النديم[١٠٠]. و قفى على آثاره المستشرق رينو فادعى أن ابن الفقيه قد اختصر كتاب الجيهانى و أضاف «إن اختصار الكتاب ربما كان هو السبب فى إهمال شأنه»[١٠١] و استخدم المرحوم العلامة مصطفى جواد ألفاظا أقسى حين ذكر كتاب الجيهانى المسالك و الممالك و قال «و هو الكتاب الذى سلبه ابن الفقيه الهمدانى و سرقه»[١٠٢].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩

و حقيقة الأمر ما قاله المقدسى البشارى و هو وجود تشابه بين مؤلف الجيهانى و مؤلف ابن خرداذبه. حيث تقول إحدى مسودات كتاب المقدسى المسمى أحسن التقاسيم: «و رأيت كتابه- أى كتاب الجيهانى- فى خزائن عضد الدولة غير مترجم. و قبل بل هو لابن

خردادبه. و رأيت مختصرين بنيشابور غير مترجمين، أحدهما للجيهاني و الآخر لابن خردادبه تتفق معانيهما غير أن الجيهاني قد زاد شيئاً يسيراً» [١٠٣].

و مع ذلك تظل المسألة غامضةً بعض الشيء. إذ المعروف أن ابن خردادبه قد كتب كتابه المسالك و الممالك عام ٢٥٠ هـ - و رأينا تشابهاً في نصوصه في كثير من نصوص ابن الفقيه الذي كتب كتابه أواخر عام ٢٨٩ أو أوائل ٢٩٠ هـ - و أن ابن الفقيه قد ذكره و كتابه بقوله (قال صاحب كتاب المسالك و الممالك و هو عبد الله بن محمد بن خردادبه ...» (ص ٢٠٣ من مختصر البلدان) كما نقل عنه رحلة سلام الترجمان. ترى هل أن الجيهاني الذي ألف كتابه فيما بعد قد أفاد من ابن خردادبه البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠

بحيث التبس الأمر على ابن النديم فقال إن ابن الفقيه سلخ كتابه؟ إن قول المقدسي أنفاً يساعدنا على احتمال صحة هذا الرأي. أما الطعن الثاني فقد وجهه المقدسي الذي كتب كتابه عام ٣٧٥ هـ - فقال:

«و رأيت كتاباً صنّفه ابن الفقيه الهمداني في خمس مجلدات، سلك طريقةً أخرى و لم يذكر غير المدائن العظمى و أدخل فيه فنونا من العلوم. مرةً يزهد في الدنيا و دفعه يرغب فيها، و وقتاً يبكي و ساعةً يضحك و يلهي. و أما كتاب الجاحظ فصغير. و كتاب ابن الفقيه في معناه غير أنه أكثر حشواً و حكايات و احتجاً بأننا إنما أدخلنا خلال كتبنا ما أدخلنا ليتفرج فيها الناظر إذا ملّ.

و ربما كنت أنظر في كتاب ابن الفقيه فأقع في حكايات و فنون» [١٠٤].

إن الانتقال من موضوع لآخر مخافةً أن يملّ القارئ هو أسلوب جاحظي.

و لا شك أن ابن الفقيه متأثر بأسلوبه - و ينبغي عدم المبالغة في هذا التأثير. - إلا أن ابن الفقيه نفسه قد توخى هذا الهدف منذ البداية أي أنه جعله من أهداف الكتاب، بل جعل عنوان أحد فصوله: (باب في تصريف الجد إلى الهزل و الهزل إلى الجد).

و قال في مطلع كتابه: «فكتابي هذا يشتمل على ضروب من أخبار البلدان و عجائب الكور و البنيان. فمن نظر فيه من أهل الأدب و المعرفة فليتأمله بعين الإنصاف، و ليعرنا فيه حسن محضره و جميل رأيه، فإن الأجدى في المذهب شأوك و قرابةً دانيةً و رحم ماسّةً و وصلهً و أشجّةً، و يهب زللي لا-عترافي و اغفالي لإقرارى. فيأني إنما ألحقت في هذا الكتاب ما أدركه حفظي و حضره سماعي من الأخبار و الأشعار و الشواهد و الأمثال» [١٠٥].

بل إنه يباهى بهذا التنوع الذي ضمنه كتابه فهو يعقب بعد أن ذكر جملةً من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١

المواعظ و الأشعار الوعظية: «و لو لم يفدك هذا الكتاب من الأخبار العجيبةً و الأشعار الظريفةً و الأمور الغريبةً، لكان فيما يفدك من أخبار البلدان و عجائب الكور و الأمصار بلاغاً و مقنعاً. فكيف و قد أفادك علم الماضين و أخبار الأولين. و ذلك علم المعنيين. و وقفك على الطريقتين، و أرشدك إلى الأمرين جميعاً: حكمهً بالغهً و موعظةً موجزةً. تعرفت منه أخبار الماضين و أبنيةً من قد سلف من الأولين.

و في هذا الخبر الذي أثبتته هاهنا عبرةً لمن اعتبر و فكرةً لمن تفكر، و دليل على وحدانية الله تعالى، و مخبر عن آياته و قدرته. فصّف ذهنك و فرغ قلبك، و أقبل عليه بسمعك و تفكر فيه و فيما تضمنته من الأعجوبة. فإن فيه عبرةً لأولى الألباب» (١٠٩ ب) ثم أورد بعد ذلك قصةً عجيبةً عن الخضر و ملك بني إسرائيل.

نقول عن كتاب البلدان

أول من نقل عنه، حسن بن محمد القمي الذي ألف كتابه تاريخ قم عام ٣٧٨ هـ - الذي نقل عنه في اثني عشر موضعاً.

و الثاني هو المقدسى البشارى (٣٣٥- ٣٩٠هـ) الذى كان ازدرأوه لكتاب ابن الفقيه- كما مرّ بنا فيما مضى- مانعا له عن النقل عنه، فلم ينقل إلّا فى موضع واحد (ص ٢٧ من طبعة بيروت).

و يأتى بعد ذلك محمد بن محمود بن أحمد طوسى مؤلف كتاب عجائب المخلوقات الذى قال حاجى خليفة (٢: ١١٢٧) أنه ألفه عام ٥٥٥هـ- إلّا أن محقق الكتاب لاحظ فيه تاريخ ٥٦٢هـ- و أضاف: «على الرغم من كون اسمه: الطوسى.

إلّا أنه إمّا أن يكون من أهل همدان أو عاش ردحا من الزمن فيها، كما يستفاد من الكتاب. و هو لم يشر إلى مصادره إلّا فيما ندر، و لم يشر إلى ابن الفقيه و لا مرة واحدة» [١٠٦].

و من خلال مطالعتنا لعجائب الطوسى رأينا العجب العجائب. فالرجل قد نقل أكثر من ثلثى كتابه عن ابن الفقيه و لم يشر إليه و لا مرة واحدة. و لم يكن له من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢

جهد فى ذلك النقل سوى ترجمته النصوص إلى الفارسيّة.

أما أكثرهم نقلا مع التنويه بأنه ينقل عن ابن الفقيه- بصورة عامّة- فهو ياقوت الحموى الذى نقل عنه فى مائة و ثلاثة مواضع من كتابه معجم البلدان [١٠٧].

و قد كان قلمه يزل أحيانا فيكتب: محمد بن أحمد بدلا من الصواب: أحمد بن محمد و هو الغالب فى كتابه. و قد ذكرنا فيما مضى من المقدمة الموارد التى زلّ فيها قلمه.

و لقد دلتنا نقوله أنه كان ينقل عن المخطوطة الأصل و ليس المختصرة كما أشرنا إلى ذلك فى هوامش الكتاب. و نعتقد أنه كان ينقل عن نسخة من كتاب البلدان أكمل من هذه التى يوجد نصفها تقريبا بين أيدينا. ففى مادة (شبداز) لدى ابن الفقيه و فى النسخة الأصل لم نجد بضعة أسطر كان ياقوت قد قال صراحة أنه نقلها عن ابن الفقيه (انظر مادة شبداز ٣: ٢٥٠). و كان يجرى تغييرا طفيفا على العبارة. فمثلا- نقرأ فى فصل همدان لدى ابن الفقيه: «و قرأ علىّ بعض النصارى كتابا بالسريانية» (١١١ أ) و نجد ياقوت كتبه هكذا: «و وجد فى بعض كتب السريانيين» (همدان ٤: ٩٨١). أو قول ابن الفقيه (١١١ ب): «فأجمعوا على أن تسدّ عيونها حولا ثم يفتح السد و يرسل على المدينة فإنها تغرق». نجده لدى ياقوت: «فأجمعوا على أن مياه عيونها تحبس حولا ثم تفتت و ترسل على المدينة فإنها تغرق» (مادة همدان ٤: ٩٨٢).

و يبدو أن كثرة نقول ياقوت عن ابن الفقيه كانت تدعوه إلى أن ينقل عنه من غير أن يذكر اسمه. فنحن نعرف بشكل أكيد أن المناظرة بين الواسطى و ابن أبى السرح- قلنا إننا نرجح أن يكون ابن أبى السرى- قد جرت فى منزل محمد بن إسحاق بهمدان، و هو والد أحمد بن محمد بن إسحاق مؤلف كتاب البلدان (١١٧ ب و ما يليها) و مع ذلك فقد نقلها ياقوت (مادة همدان ٤: ٩٨٤) بطولها البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣

و نقل بقية المعلومات المتعلقة بهمدان الموجودة لدى ابن الفقيه من غير أن يذكره و لا مرة واحدة فى هذه المادة.

أخيرا جاء زكريا القزوينى الذى كتب كتابه آثار البلاد عام ٦٧٤هـ. و نرجح أنه قد أخذ عن ياقوت نقوله عن ابن الفقيه و أودعها كتابه، بحيث يمكننا القول بما يشبه اليقين أنه لم ير كتاب ابن الفقيه. دليلنا على ذلك أنه حيثما أخطأ ياقوت فى اسم ابن الفقيه، كان هذا الخطأ يتكرر فى نفس المادة لدى القزوينى. فقد كنا أشرنا إلى أن ياقوتا كان يسهو أحيانا فيكتب اسم ابن الفقيه هكذا: محمد بن أحمد الهمداني. و نصادف هذا الخطأ لدى القزوينى. فحين يقول ياقوت (مادة: رومية ٢: ٨٧٢) «فجميع ما ذكرته هاهنا من صفته هذه المدينة فهو من كتاب محمد بن أحمد الهمداني المعروف بابن الفقيه». نجد القزوينى (ص ٥٩٤ مادة رومية أيضا) يكرر نفس الخطأ فيقول: «و هذه كلها منقولة من كتاب ابن الفقيه و هو محمد بن أحمد الهمداني» [١٠٨].

ضمت المجموعة الخطية التي كشف النقاب عنها في المكتبة التابعة لحضرة الإمام على بن موسى الرضا (ع) بمدينة مشهد الإيرانية المخطوطات التالية:

١- نصف كتاب البلدان لابن الفقيه وهو الذي تقدمه بين أيدي القراء الأفاضل.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤

٢- الرسالتين الأولى والثانية اللتين دون فيهما أبو دلف مسعر بن المهلهل رحلاته.

٣- النص الكامل لرسالة ابن فضلان التي دون فيها مذاكرته عن رحلته التي قام بها عام ٣١٠هـ - لمناطق بلغار الفولغا و بلاد الخزر و الروس و الصقالبة. و قد طبعت رسالتا أبي دلف، كما طبعت رحلة ابن فضلان بينما بقيت مخطوطة بلدان ابن الفقيه حتى يومنا هذا على رف الانتظار.

يقول فلاديمير مينورسكى الأستاذ بجامعة لندن: «إن كاتب المجموعة الخطية هو شخص واحد قد كتبها على التوالي. و من الممكن أن يعود تاريخ كتابتها إلى زمن يرقى إلى ما قبل الهجوم المغولي هو القرن السابع الهجرى على أوجه التقريب. خطها ليس عسيرا على القراءة.... و تظهر ملاحظة بعض خصائص الإملاء أن كاتبها شخص إيراني، من قبيل استخدام (ژ) الفارسية أى ذات الثلاث نقاط. و كذلك كتابته لبعض التراكيب العربية التي لا معنى لها مثل كتابته (١٨٤ أ) (هى مدينة الإسلام وراها) بدلا من الصواب (لا إسلام وراها). أو كتابته (١٨٥ أ) (و به بنو معون المهدي) بدلا من الصواب و هو (و به يتوقعون المهدي) [١٠٩]».

و من خلال المطالعة الدقيقة لمخطوطة البلدان نرى ما يلي: إن المخطوطة عرّضت لتشويهين: أولهما أنها كانت تملى على شخص كان يسمع فيكتب. و دليلنا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥

على ذلك وجود تحريف فى الكلمات لا يمكن تصحيحها بالنقل من كتاب مدون.

فيستحيل مثلا أن يصحف كاتب ما كلمة (سهم) إلى (صهم) إذا كانت كلمة (سهم) مكتوبة أمامه و هو يقوم بنقلها. من الممكن أن تصحف إلى (شهم) أو (بهم) أو (نهم) أو (بينهم) أو أى شىء قريب. لكن أن تصحف إلى (سهم) - بالصاد - فإن ذلك يعنى أن المملى - و هو غير عربى - قد قرأها مضخمة فكتبها السامع بالصاد. و سنقدم أمثلة أخرى على ذلك.

أما التشويه الثانى فقد حدث على ناسخ استنسخ المخطوطة فارتكب أخطاء فى الكتابة مما يمكن صدوره عن نقل من كتاب مدون أمامه مثل كتابة (و نموق قريبا) بدلا من (و تموت) و هو الصواب.

أخطأ سببها السماع المغلوط:

الخطأ الصواب [١١١ ب] فأصبيت عينه بصهم لذهبت بسهم فذهبت [١١٤ أ] فالماء يشرب كرفا و ممزوجا صرفا [١١٤ أ] الماء الذى يطرب كل شىء و لا ينجسه شىء يطهر كل شىء.

[١١٩ ب] و ليس فينا دقة النظر أهل البصرة نظر [١١٠ ب] فلم يجبه بحرفه بحرف أما تصحيقات النوع الثانى و هو الكتابى الممكن حدوثه أثناء النقل من نص مكتوب يقرؤه الناسخ نفسه. فمثل (٩٧ ب) و إذا فكرت فى أمر صورة شبديز هذه و حدثها كما ذكر المعتزلى. و الصواب (وجدتها). و قوله (١٠٣ أ) فأحجج الناس جميعا. و الصواب (فأحجم). و قوله (١٠٣ أ) إن أمر نسائه سيعلمو على أمور

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤

الرجال. و الصواب (سيعلو). (١٠٣ أ) إن حق صحن الدار أن يعمر بالجزم و الحاشية. و الصواب (بالخدم). و (١٠٥ أ) بنيت شديدا و

تأمل بعيدا و نموق قريبا. و الصواب (و تموت). و (١٠٧ ب) فحفروا و انتطوا الماء. و الصواب (و أنبطوا).

عملنا في الكتاب

لما كانت المخطوطة الرضوية تمثل النصف الثاني لكتاب البلدان فقط. فقد اضطررنا إلى الاستعانة بمختصر الكتاب الذي طبعه دى خويه فوضعنا نصفه الأول في أول الكتاب ثم ألحقنا به النصف الثاني المخطوط (مخطوطة الرضوية) تجنبنا لأن يكون في المكتبات كتابان أحدهما (مختصر كتاب البلدان) و الثاني (النصف الثاني من مخطوطة البلدان الكاملة). هذا أولا.

ثانيا: الأبواب التي هي موجودة في المختصر و المخطوط الأصل، اخترنا إثبات ما هو في المخطوطة الأصل الكاملة. إذ لا يعقل أن نثبت ما كتب عن الترك في المختصر و مقداره صفحة واحدة و نهمل ما هو في المخطوطة الكاملة و مقداره يزيد على عشر صفحات. أو نهمل مادة طبرستان الموسعة في المخطوطة لنثبت المختصر الذي هو في المطبوع.

و مع ذلك، و من أجل فائدة من يرغب في المزيد من الدقة. فقد ارتأينا أن تطبع المواد المشتركة بين المختصر و المخطوطة الكاملة، أن تطبع بالحرف الأسود (المحقق) ليرى القارئ مقدار الإساءة التي أساءها مختصر الكتاب حين حذف أسانيد الكتاب أو أسطرا من منتصف المواد حيث كنا نرى الجمل معلقة أحيانا لا تعطى معنى، إضافة إلى اختصاره القطع الشعرية. و كل ذلك يتضح للقارئ من خلال ملاحظته السطور المطبوعة بالحرف الأبيض عن تلك المطبوعة بالأسود.

و يكفي اختصار الكتاب نقصا أنه حذف منه أغلب الأسانيد. كما حذف منه أهم فصول الكتاب و نعى بها تلك المتعلقة بالترك و البلغار و الصقالبة.

أخيرا، أرجو من السادة المحققين و الأساتذة و النقاد، أن يتكرموا على و هم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧

المتفضلون، إن كانت لديهم ملاحظات على الكتاب- سواء نشرت في الصحف و المجلات أم لم تنشر- بإرسال نسخة من تلك الملاحظات إلى دار عالم الكتب، لتفضل مشكورة بإرسالها لي حيث أعيش الألف عام الأولى من العزلة بلا وطن و لا هوية، خارج الجغرافيا و التاريخ.

و الله ولي التوفيق.

الأول من فبراير ١٩٩٥ يوسف الهادي

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥

[مقدمة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد و آله أجمعين الطاهرين.

هذا بقیة القول في العراق و البصرة و أخبار دار فتحها و الوقت الذي بنيت فيه، و ما فيها من العجائب، و القول في الأبله. و القول في البطائح. و القول في واسط. و القول في النبط و الخوز. و القول في بغداد و أخبار كور دجلة. و القول في سر من رأى. القول في خراج الدنيا و ما كان يحمل إلى بيت السلطان من بلد إلى بلد. القول في الأهواز و فارس و مدنها. القول في قرميسين و أخبار شبريز. القول في همدان و عجائبها. القول في نهاوند و إصبهان و قم و عجائبها. القول في الري و دنباوند و أخبار بيوراسف. القول في قزوین و أبهر و زنجان و طبرستان. القول في خراسان و مدنها و أخبارها. القول في الترك و أخبارهم و قبائلهم و شرائعهم. ذكرنا أضيف (؟) إلى ما صنفه أحمد بن محمد الهمداني في آخر كتابه رسالتين كتبهما إلينا أبو دلف مسعود (كذا) بن المهلهل. () في إحداهما أخبار الترك و الصين بمشاهدته ذلك. و الأخرى أشياء رآها و شاهدها () و أضفنا إليه كتابا جمعه أحمد بن فضلان بن راشد بن حماد مولى

محمد بن سليمان الهاشمي في أخبار الترك و الخزر و الروس و الصقالبة و الباشغرد مما وقف عليه و نظر إليه. لأن المقتدر بالله أنفذه إلى بلد الصقالبة في سنة تسع و ثلاثمائة باستدعاء ملكهم ذلك () و الإسلام. فحدّث بجميع ما شاهده في هذه البلدان () [١ ب].
نص ما هو مكتوب على الصفحة التي تلي صفحة العنوان. و الفراغات إما كلمات مطموسة أو غير مقروءة.
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يَسِّرْ قال، قال الفضل بن يحيى: الناس أربع طبقات: ملوك قدّمهم الاستحقاق، و وزراء فضّلهم الفطنة و الرأي، و عليه أنهضهم اليسار، و أوساط ألحقهم بهم التأدّب، و الناس بعدهم زيد جفاء و سيل غثاء لكع و لكاع و ربيطة اتّضاع، هم أحدهم طعمه و نومه. و قال معاوية للأحنف: صف لي الناس. فقال: رؤوس رفعهم الحظّ، و أكتاف عظّمهم التدبير، و أعجاز شهرهم المال، و أدباء ألحقهم بهم التأدّب، ثم الناس بعدهم أشباه البهائم، إن جاعوا ساموا، و إن شبعوا ناموا. و قال بزرجمهر لرجل: إن أردت أن تبلغ أحظى درجة الآداب و أهلها، فاصحب ملكا أو وزيراً، فإنهما برغبتهما في معرفة أيام الملوك و أخبارهم، و الآداب و أهلها، و قسمة الفلك و نجومه، يبعثانك على طلب ذلك. قال: فما وسيلتي إليهما؟ قال: انتحال ذلك رسم الإدراك، و الطلب مادّة الوجود و الآداب عند الهمة. و قال أسامة بن معقل: كان السّفاح راغباً في الخطب و الرسائل، يصطنع أهلها و يشيهم عليها، فحفظت ألف رسالة و ألف خطبة طلباً للحظوة عنده فنلتها، و كان المنصور بعده معتياً بالأسمار و الأخبار و أيام العرب، يدنى أهلها و يجيزهم عليها. فلم يبق شيء من الأسمار و الأخبار إلّا حفظته طلباً للقرية منه، فظفرت بها. و كان موسى مغرماً بالشعر يستخلص أهله فما تركت بيتاً نادراً، و لا شعراً فاخراً، و لا نسيباً سائراً إلّا حفظته، و أعانني على ذلك طلب الهمة في علوّ الحال. و لم أر شيئاً أدعى إلى تعلّم الآداب من رغبة الملوك في أهلها و صلاتهم عليها. ثم زهد هارون الرشيد في هذه الأربعة و أنسيها حتى كأنّي لم أحفظ منها شيئاً. دخل الشّعبي على الحجاج فقال:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨

يا شعبيّ أدب وافر و عقل نافر. قال: صدقت أيها الأمير. العقل سجيّة و الأدب تكلف. و لو لا أنتم - معاشر الملوك - ما تأدّبنا، قال: فالمنة في ذلك لنا دونكم.

قال: صدقت، قال الشاعر، في عبيد الله بن زياد:

علّمني جودك ما لم أكن أحسنه من جيد الشعر

فصرت في الناس أخا ثروء و صرت ذا جاه و ذا قدر

و أنشد لغيره:

و كنت مفحماً دهرًا طويلًا، فصيرني عطاؤك ذا بيان

فما شكري لخلق مثل شكري لمن كفاه أطلقتا لساني

قال: فكتابي هذا، يشتمل على ضروب من أخبار البلدان، و عجائب الكور و البنيان، فمن نظر فيه من أهل الأدب و المعرفة، فليأمله بعين الإنصاف، و ليعرنا فيه حسن محضره و جميل رأيه، فإن الأجدى في المذهب شأو ك، و قرابة دانية، و رحم ماسية، و وصلة واشجة. و يهب زللي لاعترافي، و إغفالي لإقراري. فإني إنما ألحقت في هذا الكتاب ما أدركه حفظي، و حضره سماعي من الأخبار و الأشعار و الشواهد و الأمثال.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩

القول في خلق الأرض

قال الله عزّ و جلّ: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ

قال: و سئل النبي (صلى الله عليه و سلم) عن الأرض: سيع هي؟ قال: نعم، و السماوات سبع. و قرأ: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ.

فقال رجل: فنحن على وجه الأرض الأولى؟ قال: نعم، و في الثانية خلق يطيعون و لا يعصون، و في الثالثة خلق، و في الرابعة صخرة ملساء، و الخامسة ضحضاح من الماء، و السادسة سجّيل و عليها عرش إبليس، و السابعة ثور.

و الأرضون على قرن الثور، و الثور على سمكة، و السمكة على الماء، و الماء على الهواء، و الهواء على الثرى، و الثرى منقطع فيه علم العلماء.

و قال عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي: صورة الدنيا على خمسة أجزاء كراس الطير و الجناحين و الصدر و الذنب. فرأس الدنيا الصين، و خلف الصين أمية يقال لها واق واق، و وراء واق واق من الأمم ما لا يحصى إلا الله. و الجناح الأيمن الهند، و خلف الهند البحر، و ليس خلفه خلق. و الجناح الأيسر الخزر، و خلف الخزر أمتان، يقال لإحدهما منشك و ماشك، و خلف ماشك و منشك يأجوج و مأجوج من الأمم ما لا يعلمها إلا الله. و صدر الدنيا مكّة و الحجاز و الشام و العراق و مصر. و الذنب من ذات الحمام إلى المغرب، و شرّ ما في الطير الذنب. و قال ابن عباس: الأرض كلّها أربعة آلاف فرسخ في مثل ذلك، تكون ستّة عشر ألف ألف فرسخ. و قال أمير المؤمنين (رضي الله عنه): الأرض طولها مسيرة خمس مائة سنة: أربع مائة خراب، و مائة عمران. قال: و في يد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠

المسلمين سنة. و قال أبو خلف [١١٠]: الأرض أربعة و عشرون ألف فرسخ، فللسودان اثنا عشر ألف فرسخ، و للروم ثمانية آلاف فرسخ، و للعرب ألف فرسخ، و لفارس ثلاثة آلاف فرسخ. و ذكر محمد بن موسى الخوارزمي [١١١]: أن دور الأرض على الفضاء تسعة آلاف فرسخ. العمران من ذلك نصف سدسها، و الباقي ليس فيه حيوان و لا نبات، و البحار هي محسوبة من العمران، و المفاوز التي بين العمران من العمران. و ذكر بعض الفلاسفة، أن الأرض مدوّرة كتدوير الكرة، موضوعة في جوف الفلك كالمحّة في جوف البيضة. و النسيم حول الأرض، و هو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك. و بنية الخلق على الأرض، إن النسيم جاذب لما في أيديهم من الخفة، و الأرض جاذبة لما في أيديهم من الثقل، لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجذب الحديد، و الأرض مقسومة نصفين بينهما خطّ الاستواء، و هو من المشرق إلى المغرب. و هذا طول الأرض، و هو أكبر خطّ في كرة الأرض. كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك، و عرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حوله سهيل، إلى القطب الشمالي الذي يدور حوله بنات نعش. و استدارة الأرض في موضع خطّ الاستواء ثلاثمائة و ستون درجة، و الدرجة خمسة و عشرون فرسخا، و الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، و الذراع أربعة و عشرون إصبعا، و الأصبع ستّ حبات شعير مصفوفة بطن بعضها إلى بعض. فيكون ذلك تسعة آلاف فرسخ.

و زعم دورتيوس [١١٢]: أن الأقاليم السبعة على بروج السماء كبار عظام مدينتان في إقليم زحل، و مدينتان في إقليم المشتري، و مدينتان في إقليم المريخ، و مدينة في إقليم الشمس، و مدينتان في إقليم الزهرة، و مدينتان في إقليم عطارد، و مدينة في إقليم القمر. و قالوا أيضا: إن الأقاليم سبعة، إقليم في أيدي العرب، و إقليم في أيدي الروم، و إقليم في أيدي الحبشة، و إقليم في أيدي الهند، و إقليم في أيدي

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١

الترك، و إقليم في أيدي الصين، و إقليم في أيدي مأجوج و مأجوج، لا يدخل هؤلاء أرض هؤلاء، و لا هؤلاء إلى هؤلاء. فالإقليم الأول: مبتدأه من أرض المحرقة التي تدعى باليونانية ريامياروس، و منتهاه أرض سرنديب، و سكّانه سود، قباح الوجوه عراة كالسباع، و أعمارهم طويلة، و دوابهم و طيورهم أعظم من عاقية البهائم و الطير، و هناك رقي و عقاقير و أحجار فيها شفاء و منافع طبيعيّة، و فيها تنانين و هو أمّ ذات سموم، و طولها خمسة آلاف و خمس مائة فرسخ، و عرضه مائتان و خمسة و ثمانون فرسخا. و الإقليم الثاني: مبتدأه من العرض أرض سرنديب، و منتهاه أرض الحبشة، و هناك معدن الزبرجد و البغاء، و منتهاه من قبل شرقية

أرض السند قريب من كابل وزابلستان. وهناك سباع ضارية، وحشرات و طير ممتعة، وأهلها فى القبح دون الإقليم الأول. وفيها أيضا رقى وعقاقير، وأهلها أقصر أعمارا من الأول، وطوله طول الأول.

والإقليم الثالث: مبتدأه عرض أرض الصيغد و جرجان، حتى ينتهى إلى أرض الترك و حدّ الصين إلى أقصى المشرق، و من غربيته نحو مصر، و من شريقته السند و عدن، و منتهى عرضه أرض الشام و فارس و إصبهان. و هناك ناس حكماء. و عرضه و طوله مثل الأول.

والإقليم الرابع: بابل، متوسط الأقاليم، و هو أفضلها مزاجا. و مبتدأه من إفريقية إلى بلخ إلى مشرق الأرض، و عرضه و طوله كالأول. و الإقليم الخامس: قسطنطينية و الروم و الخزر، و عرضه و طوله كالأول.

والإقليم السادس: فرنجة و أمم أخرى، و فيه نساء من عاداتهن قطع ثديهنّ و كيه فى صغرهنّ لثلا يعظم. و عرضه و طوله كالأول. و الإقليم السابع: الترك، و رجالهم و نساؤهم متّركو الوجوه لعلبة البرد عليهم، و سباعهم صغيرة الأجساد، و لا يوجد هناك حشرات و لا هوامّ. و يسكنون الظلال يتخذونها من الألواح، ينقلونها على عجل، تجرّها الثيران، و أنعامهم فى البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢

الفيافى و فى أولادهم قلّة. فمبلغ الأقاليم السبعة على مساحة الإقليم الأول ثمانية و ثلاثون ألف فرسخ و خمس مائة فرسخ، و عرضها ألف و تسع مائة و خمسة و تسعون فرسخا.

و قسمت الأرض المعمورة أربعة أقسام:

أروفي [١١٣]، و فيه: الأندلس و الصقالبه و الروم و فرنجة.

و طنجة إلى حدّ مصر و لوبية و فيها: مصر و قلزم و الحبشة و بربر و ما والاها.

و البحر الجنوبيّ، و ليس فى هذه البلاد خنزير برّى و لا أيل و لا عير و لا تيس، و فيها تهامة و اليمن و السند و الهند.

و أسقوتيا و فيها: أرمينية و خراسان و الترك و الخزر. و زعم هرمس أن طول كلّ إقليم سبع مائة فرسخ فى مثله.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣

القول فى البحار و إحاطتها بالأرض

قال: البحار أربعة:

البحر الكبير، الذى ليس فى العالم بحر أكبر منه. و هو أخذ من المغرب إلى القلزم حتى يبلغ واق الصين، و واق واق الصين هو بخلاف واق واق اليمن، لأن واق واق اليمن يخرج منه ذهب سوء. و هذا البحر يمدّ من القلزم على وادى القرى حتى يبلغ بربر و عمان، و يمرّ إلى الدّيب و المولتان حتى يبلغ جبل الصّنف إلى الصين [١١٤].

ثم البحر المغربى الدبورى الرومى، و هو من أنطاكية إلى جزائر السعادة، و خليج منه آخذ من الأندلس حتى يبلغ السوس الأقصى، و على ساحل هذا البحر طرسوس و المصّيصة و الإسكندرية و أطرابلس. و طول هذا البحر ألفان و خمس مائة فرسخ، من أنطاكية إلى جزائر السعادة. و عرضه خمس مائة فرسخ.

و البحر الثالث الخراسانىّ الخزرىّ، لقرب الخزر منه، إلى موقان إلى طبرستان و خوارزم و باب الأبواب، و من بحر جرجان إلى خليج الخزر عشرة أيام،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤

فإذا طابت. لهم الرياح فثمانية أيام فى البحر، و يومان فى البرّ، و يسمّى هذا البحر الدّوّارة الخراسانية، و قطرها مائة فرسخ، و الذى يطيف بها ألف و خمس مائة فرسخ.

و الرابع، ما بين رومية و خوارزم جزيرة تسمى تولية، و لم يوضع عليها سفينة قط. و ملك العرب في يديه ألف مدينة في زماننا هذا، و في يدي ملك النوبة ألف مدينة، و في يدي ملك الصين أربع مائة مدينة، و ستمائة مدينة من الصين في أيدي ملوك صغار. قال: و أعلم أن بحر فارس و الهند هما بحر واحد لا اتصال أحدهما بالآخر، إلا أنهما متضادان. قال: فأول ما تبدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة و قربها من الاستواء الخريفى، فلا يزال يكثر أمواجه و يتقاذف مياهه و يصعب ظهره، إلى أن تصير الشمس إلى الحوت. و أشد ما تكون صعوبته في آخر زمان الخريف، عند كون الشمس في القوس. و إذا كانت قرب الاستواء الربيعى، يتبدئ في قلبه الأمواج و لين الظهر، إلى أن تعود الشمس في السنبلة، و ألين ما يكون في آخر زمان الربيع، و هو عند كون الشمس في الجوزاء. فأما بحر الهند فإنه خلافه، لأنه عند كون الشمس في الحوت و قربها من الاستواء الربيعى، يتبدئ في الظلمة و الغلظ، و تكثر أمواجه، حتى لا يركبه أحد لظلمته و صعوبته عند كون الشمس في الجوزاء. فإذا صارت في السنبلة أضاء ظلمته، و يسهل مركبه، إلى أن تصير الشمس في الحوت، إلا أن بحر فارس، قد يركب في كل أوقات السنة. فأما بحر الهند، فلا يركبه الناس عند هيجانه لظلمته و صعوبته. قال: فمن أراد الصين، أو عدن، أو شلاهط، أخذ من ناحية المغرب على اليمامة و عمان. و من أراد السند أخذ من ناحية فارس على سيراف

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٥

القول في البحار و عجائب ما فيها

إشارة

قال الله عزّ و جلّ: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ يَرَوَىٰ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: بحر فارس و الروم. و قال سليمان بن أبى كريمة [١١٥]: إذا طلعت الثريا ارتج البحر و اختلفت الرياح، و سلط الله الجنّ على المياه، و تبرأ الله ممن يركب البحر أربعين يوما. و قال النبى (صلى الله عليه و سلم): «من ركب البحر بعد طلوع الثريا، فقد برئت منه الذمة». و سئل ابن عباس عن المدّ و الجزر فقال: إن ملكا موكل بقاموس البحر [١١٦]، إذا وضع رجله فيها فاضت، و إذا رفعها غاضت. قال كعب: و لقي الخضر ملكا من الملائكة فسأله عن المدّ و الجزر فقال الملك: إن الحوت يتنفس فيشرب الماء و يرفعه إلى منخرية فذلك الجزر، ثم يتنفس فيخرجه من منخرية فذلك المدّ. قال:

و في البحر سمكة يقال لها الخراطيم مثل الحية لها منقار كمنقار الكركى، و في منقارها من الشقين كالمنشار. و فيه سمكة يقال لها الأطمر لها فرج كفرج المرأة، و وجهها كوجه الخنزير، و هو طبق من شحم و طبق من لحم. و في البحر سمك على خلقه القروود من جلوده تكون الدرق التى تنبو عنها السيوف، و يقال إنها تحيض و ترضع و كذلك السلاحف. و فيه سمك يسمى الدخس ينجى الغريق. و فيه سمك إذا هاج البحر خرج من قعر البحر، فيعلم البحرىون أن البحر قد هاج، يسمى البرستوج، و هو الذى يكون بالبصرة. و يلى هذا البحر بحر يسمى هر كند، يقال إنه قاموس البحار كلها، و فى هذا البحر جزيرة سرنديب، و فى هذه الجزيرة الجبل الذى أهبط عليه آدم، و عليه أثر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٦

قدم آدم، و هو عظيم طويل، و عليه أنواع الأفاوية و الطيب و فأر المسك، و فى بحره مغاص اللؤلؤ. و فى هذه الجزيرة ثلاثة ملوك، فالملك الأكبر منهم إذا مات قطع بأربع قطع و أحرق بالنار، و رجاله يتهافتون خلفه فى النار حتى يحرقوا أنفسهم. و بعدها جزيرة الرامنى و هى ثمان مائة فرسخ، و فيها عجائب كثيرة، و هى تشرع إلى بحر شلاهط و الهر كند، و فيها ملوك كثيرة، و

بها الكركدن و الكافور، و فيها معادن الذهب، و طعامهم النارجيل، و رجالهم أقوياء يصيدون الفيلة، و فيها بقم كثير يغرس غرسا، و حملة شبه الخرنوب، و طعمه مثل العلقم لا يؤكل. و يقال. إن عروقه شفاء من سم ساعة، و فيها الخيزران الكثير و جواميس عظيمة، و ملوك لهم الأفاوية الطيبة كالصندلين و البسباسة، و ليس هذا لأحد غيرهم. و بالزجاج بيغات بيض و حمر و صفر، تتكلم على ما لقت بكلام فصيح، عربيّة و فارسيّة و روميّة و هنديّة. و من الطواويس خضر و رقط و بزاة بيض لها قنازع حمر، و إن بها قرده بيضا عظاما كأمثال الجواميس، و بها خلق على صورة الإنسان يتكلم بكلام لا يفهم يأكل و يشرب. و بها من السنانير ألوان و لها أجنحة كأجنحة الخفّاش من أصل الأذن إلى الذنب. و أن فأر المسك تحمل أحياء من السند إلى الزابج، و أن الزباد أطيب رائحة من المسك، و الأنتى تجلب مسكا، و إذا مشى فى بيت نفحت منه رائحة المسك، و إذا لمست يدك عقب ييدك [١١٧]. و ذكر سليمان التاجر: أن أكثر السفن الصينيّة تحمل من البصرة و عمان، و تعبأ بسيراف، و ذلك لكثرة الأمواج فى هذا البحر و قلة الماء فى مواضع منه، فإذا عتبى المتاع استعذبوا الماء إلى موضع منها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٧

يقال له مسقط، و هو آخر عمان، و بين سيراف و هذا الموضع نحو مائتى فرسخ.

و فى شرقى هذا البحر فيما بين سيراف و مسقط من البلاد سيف بنى الصفاق و جزيرة ابن كاوان. و فى غربى هذا البحر جبال عمان، و فيها الموضع الذى يسمّى دردور و هو مضيق بين جبلين، تسلكه السفن الصغار و لا تسلك فيه الصينيّة، و فيه جبال كسير و عوير، فإذا جاوزت الجبال صرت إلى موضع يقال له صحار عمان، فيستعذب الماء من مسقط من بئر بها و هناك جبل فيه رعاء غنم من بلاد عمان فتختطف [١١٨] السفينة منها إلى بلاد الهند، و تقصد إلى كولو ملي، و فيها مسلحة لبلاد الهند و بها ماء عذب، فإذا استعذبوا من هناك الماء أخذوا من المركب الصينى ألف درهم و من غيرها عشرة دنانير إلى العشرين الدينار، و ملئ من بلاد الهند.

و بين مسقط و بين كولو ملي مسيرة شهر، و بين كولو ملي و بين الهركدن نحو من شهر. ثم يختطف من كولو ملي إلى بحر الهركدن، فإذا جاوزوه، صاروا إلى موضع يقال له كله بار بينه و بين هركدن جزائر قوم يقال لهم لنج [١١٩]، لا يعرفون لغته، و لا يلبسون الثياب كواسج، لم ير منهم امرأة، يبيعون العنبر بقطع الحديد، و يخرجون إلى التجار من الجزيرة فى زواريق و معهم النارجيل، و شراب النارجيل يكون أبيض، فإذا شرب منه فهو حلو كالعسل، فإذا ترك يوما صار مسكرا، فإن بقى أياما حمض فيبيعونه بالحديد، و يتبايعون بالإشارة يدا بيد، و هم حدّاق بالسباحة، فربما استلبوا الحديد من التجار و لا يعطونهم شيئا، ثم تختطف السفينة إلى موضع يقال له كله بار، و هى من مملكة الزابج متيامنة عن بلاد الهند، يجمعهم ملك و لباسهم الفوط، ثم يتخطف إلى موضع يقال له تيومه، بها ماء عذب و المسافة إليها عشرة أيام، ثم إلى موضع يقال له كدرنج [١٢٠] مسيرة عشرة أيام بها ماء عذب، و كذلك فى سائر جزائر الهند إن احتفر فيها الآبار وجد فيها الماء

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٨

العذب، و بها جبل مشرف. ثم يخطف إلى موضع يقال له الصنف، ثم إلى موضع يقال له صندرفولات [١٢١]، و هى جزيرة فى البحر، و المسيرة إليها عشرة أيام، ثم إلى موضع يقال له صنح إلى أبواب الصين، و هى جبال فى البحر، بين كلّ جبلين فرجة تمرّ فيها السفن، ثم إلى الصين. و من صندرفولات إلى الصين مسافة شهر، إلّا أن الجبال التى تمرّ بها السفن مسيرة سبعة أيام، فإذا جاوزت الأبواب صرت إلى ماء عذب يقال له خانفو، يكون فيه مدّ و جزر فى اليوم و الليلة مرّتين [١٢٢].

و بقرب الصين فى موضع يقال له صنجى و هو أخبث البحار. [كثير الموج و الخب و فيه جبال كثيرة لا بدّ للمراكب من النفوذ بينها. و ذلك أن البحر إذا عظم خبه و كثر موجه ظهر أشخاص] [١٢٣] شبيهون بصبيان الزنج طول أحدهم أربعة أشبار، يخرجون بالليل من الماء فيبيتون فى السفينة و يدورون فيها، و لا يؤذون أحدا، ثم يعودون إلى البحر، فإذا رأوا ذلك كان علامة الريح التى تسمى الخب، و هى أخبث الرياح، فيستعدّون لتلك الريح و يخفّفون المتاع. و قالوا: إذا رأوا أعلى دقل السفينة بهذا الموضع طائرا كأنه شعلة نار،

فذلك عندهم من دلالة التخلّص، و إن في البحر طيرا يقال له جرشى، يكون قريبا من الساحل أعظم من الحمام، يتبعه طير يقال له جوانكرك، يشبه الحمام. فإذا ذرق الجرشى تلقاه الجوانكرك بمنقاره فابتلعه. و أن بقرب الزابج جبلا يسمّى جبل النار لا يقدر على الدنو منه، يظهر بالنهار منه دخان، و بالليل لهب النار، يخرج من أسفله عين باردة عذبة و عين حارة عذبة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٩

جزيرة برطاييل: جزيرة قريبة من جزائر الزابج، سكانها قوم وجوههم كالمجان المطرقة و شعورهم كأذناب البراذين و بها الكركدن، و بها جبال يسمع فيها بالليل صوت الطبل و الدف و الصياح المزعجة، و البحرىون يقولون إن الدجال فيها و منها يخرج. و بها القرنفل و منها يجلب، و ذلك أن التجار ينزلون عليها و يضعون بضائعهم و أمتعتهم على الساحل و يعودون إلى مراكبهم و يلبثون فيها. فإذا أصبحوا ذهبوا إلى أمتعتهم فيجدون إلى جانب كل شىء من البضاعة شيئاً من القرنفل فإن رضيه أخذه و ترك البضاعة. و إن أخذوا البضاعة و القرنفل لم تقدر مراكبهم على السير حتى يردّوا أحدهما إلى مكانه. و إن طلب أحدهم الزيادة فترك البضاعة و القرنفل فيزداد له فيه.

و حكى بعض التجار أنه صعد هذه الجزيرة فرأى فيها قوما مردا وجوههم كوجوه الأتراك و آذانهم مخرمة و لهم شعور، هم على زى النساء، فغابوا عن بصره. ثم إن التجار بعد ذلك أقاموا يترددون إليها و يتركون البضائع على الساحل فلم يخرج إليهم شىء من القرنفل، فعلموا أن ذلك بسبب نظرهم إليهم، ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه. و لباس هؤلاء القوم ورق شجر يقال له اللوف يأكلون ثمرتها و يلبسون ورقها. و يأكلون حيوانا يشبه السرطان، و هذا الحيوان إذا خرج إلى البر صار حجرا صلدا. و هو مشهور يدخل فى الأكحال، و يأكلون السمك و الموز و النارجيل و القرنفل، و هذا القرنفل من أكله رطبا لا يهرم و لا يشيب شعره [١٢٤].

الصين

[أهل الصين يقولون بالتناسخ و يعملون بالنجوم و لهم كتب يشتغلون بها، و الزنا عندهم مباح و لهم غلمان وقفوهم للواطئة. كما أن الهند وقفوا الجوارى على البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧٠
البد [١٢٥] للزنا و ذلك عند سفلتهم لا عند أهل التمييز.

و الملك و كلّ بالصناع ليرفع إلى الملك جميع المعمول، فما أراد من ذلك اشتراه لخزائنه و إلّا يباع فى السوق، و ما فيه عيب يمزّقه. و حكى أنه ارتفع ثوب إلى الملك فاستحسنه المشايخ كلهم إلّا واحدا، فسئل عن عيبه فقال: إن هذا الثوب عليه صورة الطاووس و قد حمل قنو موز، و الطاووس لا يقدر على حمل قنو الموز، فلو بعث الملك هذا الثوب هدية إلى بعض الملوك يقولون: أهل الصين ما يعرفون أن الطاووس لا يقدر على حمل قنو الموز.

و بالصين دابة المسك، و هى دابة تخرج من الماء فى كل سنة فى وقت معلوم فيصطاد منها شىء كثير و هى شديدة الشبه بالطباء، فتذبح و يؤخذ الدم من سرّتها و هو المسك و لا رائحة له هناك حتى يحمل إلى غيرها من الأماكن.

و بها الغضائر الصينى التى لها خواص و هى بيضاء اللون شفافة لا يصل إلى بلادنا منها شىء، و الذى يباع فى بلادنا على أنه صينى معمول بلاد الهند بمدينة يقال لها كولم. و الصينى أصلب منه و أصبر على النار.

و خزف الصين أبيض، قالوا: يترشح السم منه و خزف كولم أدكن.

و طرائف الصين كثيرة: الفرند الفائق و الحديد المصنوع الذى يقال له طاليقون يشتري بأضعافه فضة، و مناديل الغمر من جلد السمندل، و الطاوويس العجيبة، و البراذين الفرّة التى لا نظير لها فى البلاد [١٢٦].

الفرق ما بين بلاد الصين و بلاد الهند [١٢٧]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ٧٠

لوا: ليس بالصين متاع أسرى و لا أحسن مما يحمله التجار إلى العراق، فأما ما يبقى هناك فردى لا حسن له. و لباس أهل الصين كلهم الحرير فى الشتاء،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧١

و الصيف. يلبس الرجل منهم خمس سراويلات حرير لندوة أسفلهم. فأما هواؤهم، فحارّ، و لا يعرفون العمائم، و طعامهم الأرز، و ملوكهم يأكلون خبز الحنطة و اللحم، و ليس فيهم كثير نخل، و يعمل نبيذهم، من الأرز، و لا يستنجون بالماء، و يأكلون الميتة، و نساؤهم يكشفن رؤوسهن، و يجعلن فيها الأمشاط.

فربما كان فى رأس واحدة منهن عشرون مشطا من عاج، و الرجال يغطون رؤوسهم بشبه القلانس، و أهل الصين يلوطون بغلمان قد أقيموا لذلك بمنزلة الزواني للهند.

و حيطان أهل الصين الخشب، و أكثرهم لا-لحى لهم، حتى كأنهم لم تخلق لهم لحي. و أهل الصين يعبدون الأوثان، و لهم كتب لأديانهم.

و الهند لا يأكلون الحنطة، إنما يأكلون الأرز فقط، و تطول لحاهم حتى ربما رأيت لأحدهم لحيه ثلاثة أذرع، و إذا مات أحدهم حلق رأسه و لحيته، و هم يتلازمون بالحقوق، و يمنعون فى الملازمة الطعام و الشراب سبعة أيام، و أهل الهند يقتلون ما أرادوا أكله و لا يذبحونه، يضربون هامته حتى يموت، ثم يأكلونه، و لا-يغتسلون من جنبه، و لا يأتون النساء فى محيض، و أهل الصين يأتون لأن آئينهم آئين المجوس. و أهل الهند لا يأكلون حتى يستاكوا و يغتسلوا، و لا يفعل ذلك أهل الصين، و بلاد الهند أوسع من بلاد الصين أضعافا، و بلاد الصين أعمر و ليس لهم عنب، و ليس بالبلدين جميعا نخل، و للهند السحر و هم جميعا يقولون بالتناسخ، و يختلفون فى فروع دينهم، و أهل الهند أطباء حكماء منجمون، و لهم خيل قليلة، و ملوكهم لا-يرزقون جندهم، إنما يدعوه الملوكة إلى الجهاد فيخرجون بنفقات أنفسهم. و الهند لا مدائن لهم، و يلبسون القرطين و يتحلون بأسورة الذهب الرجال و النساء، و الهند تبيح الزنا ما خلا-ملك قمار، فإنه يحرم الزنا و الشراب [و ملكها يعاقبهم على شرب الخمر، فيحمى الحديد بالنار و توضع على بدن الشارب و لا تترك إلى أن تبرد. فربما يفضى إلى التلف. و ينسب إليها العود القمارى][١٢٨]. و بلاد الصين أنزه و أحسن، و مدنهم عظيمة مشرفة محصنة مسورة، و بلادهم أصحّ و أقلّ أمراضا، و أطيب، لا تكاد ترى بها أعور و لا أعمى و لا ذا عاهة، و لهم عطاء

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧٢

كديوان العرب [١٢٩]. و يقال إن بين الهند و الصين ثلاثين ملكا، أصغر ملك بها يملك ما يملكه ملك العرب، و ملوك الهند كلهم يلبسون الحلى. و فى بلاد الهند مملكة يقال لها رهمى على ساحل البحر، و ملكتهم امرأة و بلادها بيّنة، و من دخل إليها من سائر الهند مات، فالتجار يدخلونها لكثرة أرباحها، ثم تصير إلى بلاد الزابج، فلملك الكبير يقال له المهرج، تفسيره ملك الملوك، و ليس بعده أحد، لأنه فى آخر الجزائر، و هو ملك كثير الخير، و فيها غيضة فيها ورد، إذا أخرج من الغيضة احترق.

و قال عبد الله بن عمرو بن العاص: فيما بين الهند و الهند أرض يقال لها كنام فيها بطة من نحاس على عمود من نحاس، فإذا كان يوم عاشوراء نشرت البطة جناحها، و مدت مناقرها، فيفيض من الماء ما يكفى زروعهم و مواشيتهم و ضياعهم إلى العام المقبل. و قمار من بلاد الهند، و أهل الهند تزعم أن أصل كتب الهند من قمار، و ملكه مسيرة أربعة أشهر، و عبادتهم الأصنام كلهم. و ملك قمار يفترش أربعة آلاف جارية و العنبر يؤتى به من جزيرة شلاهط، و الفلفل من ملوى و سندان، و البقم من ناحية الجنوب من شلاهط، و القرنفل و

الصندل و الكافور و جوزبوا من الزابج، و هو من ناحية القبلة بقرب الصين من بلد يقال له فنصور، و ماء الكافور و النيل من ناحية السند، و الخيزران من بلد يقال له لنكبالوس و كله من ناحية خراسان، و القنى من عمان، و الياقوت و الألماس من سرنديب، و كذلك الكركدن و الطاوس و البيغاء و الدجاج السندى و جميع أنواع العطر و الصيدلة.

قالوا: و مبدأ بحر الصين من جبل قاف إلى أن يجيء إلى عبادان و البصرة، و أول البحار التي تسلك إلى بلاد الصين بحر صنجي، و أول جبل فيه يدعى صندرفولات، و فيه حيات ربما ابتلعت البقر و الرجل، فهو أشد البحار كلفها، و هو قليل المسافة، و على الجبل من الصيادين خلق لهم شباك يكون في قعر البحر، فأهل المركب إذا رأوا بلاد الصين سألوا الصيادين عن الريح فيخبرونهم بهيجان البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧٣

البحر و سكونه، لأنه بحر إذا هاج فيه الريح فقليل من يسلم، و إنما يقطع في عشر أو ثمان إلى بلاد الصين إلى الأبواب، خاصة أبواب الصين، و ذلك البحر بحر كبير و فيه ملك يدعى المهراج، عظيم الملك في جزائره عجائب، و أنواع العطر، و ينبت في بلاده الذهب نباتا، و يقال غلته في كل يوم مائتا من ذهب.

[أتى رجل من الهند هذا الصنم و قد اتخذ لرأسه تاجا من القطن ملطحا بالقطران و لأصابعه كذلك و أشعل النار فيها، و وقف بين يدي الصنم حتى احترق] [١٣٠].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧٤

القول في مكة

إشارة

قال، عبد الله بن عمرو بن العاص: سميت بكه لأنها كانت تبك أعناق الجابرة إذا أُلحدوا فيها بظلم - أي تدق - و قال إبراهيم بن أبي المهاجر: بكه موضع البيت، و مكة موضع القرية. و سميت بذلك لاجتذابها الناس من الآفاق. و قالوا: سميت بكه لأن الأقدام تبك بعضها بعضها - أي تزدحم - و سمى البيت العتيق لأنه أعتق من الجابرة. و هى أم القرى، و أم الرّحم، لأن الرّحم تنزل بها. و من أسمائها: صلاح، و ناسه لقله الماء بها، و بتيه الأمين.

قال النبي (صلى الله عليه و سلم): «ما من نبى هرب من قومه إلّا هرب إلى الكعبة يعبد الله فيها حتى يموت» و قال (عليه السلام): «إن قبر هود و شعيب و صالح فيما بين زمزم و المقام، و إن فى الكعبة قبر ثلاثمائة نبى، و ما بين الركن اليمانى إلى الركن الأسود قبر سبعين نبياً»

و قال (صلى الله عليه و سلم): «من مات فى حج أو. عمرة لم يعرض و لم يحاسب، و قيل له: أدخل الجنة بغير حساب».

و قال (صلى الله عليه و سلم): «من صلى فى الحرم صلاة واحدة كتب الله له ألف صلاة و خمس مائة صلاة».

و قال (صلى الله عليه و سلم): «المقام بمكة سعادة و الخروج منها شقاوة».

و قال (صلى الله عليه و سلم): «الحاج و العمّار و فد الله إن سألوا أعطوا، و إن دعوا أجيبوا، و إن أنفقوا أخلف عليهم لكلّ درهم ألف درهم».

و قال (صلى الله عليه و سلم): «من صبر على حرّ مكة تباعد منه جهنم مسيرة مائة عام و تقرّبت منه الجنة مسيرة مائتى عام».

و قال الكلبي: لما قال إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا... وَ ارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ الْآيَةَ استجاب الله له فأمن فيه الخائف و رزق أهله من الثمرات، يجلب إليهم من الآفاق، و قيل قرية من قرى الشام، فيقال إنها الطائف و قال مقاتل: من نزل بمكة و المدينة من غير

أهلها محتسبا حتى يموت دخل في

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧٥

شفاعة محمد (صلى الله عليه وسلم) قال الله جلّ ذكره: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَلَمْ يَظَلُّوا مَثَابَةً لِّلْعَرَبِ دُونَ الْعِجْمِ، إِذْ كَانَ اسْمُ النَّاسِ شَامِلًا لِلْفَرِيقَيْنِ، فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ مَثَابَةً لِلْجَمِيعِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَطَهَّرُ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ الْآيَةَ فَمَنْ شَرَفَ مَكَّةَ أَمْنَهُ، وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ، وَحَجَّ الْأَنْبِيَاءِ إِلَيْهِ، وَأَنَّ أَهْلَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ لِقَاحًا لَمْ يُوَدُّوا أَتَاوَةً قَطًّا، وَلَا مَلِكُهُمْ مَلِكٌ، وَكَانُوا يَتَرَوَّجُونَ فِي أَيِّ الْقَبَائِلِ شَاءُوا، وَلَا يَشْتَرَطُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَلَا يَزُوجُونَ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَشْتَرَطُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا حَمَسًا عَلَى دِينِهِمْ وَيَدَانَ لَهُمْ وَيَنْتَقِلَ إِلَيْهِمْ، فَحَمَسُوا خِزَاعَةً وَدَانَتْ لَهُمْ، وَحَمَسُوا عَامِرَ بْنَ صَعْصَعَةَ وَدَانَتْ لَهُمْ، وَحَمَسُوا ثَقِيفًا وَدَانَتْ لَهُمْ، سِوَى مَنْ حَمَسُوا مِنْ عِدَدِ الرِّجَالِ، ثُمَّ فَرَضُوا عَلَى الْعَرَبِ قَاطِبَةً أَنْ يَطْرُقُوا أَزْوَادَ الْحَلِّ إِذَا دَخَلُوا الْحَرَمَ، وَأَنْ يَخْلَعُوا ثِيَابَ الْحَلِّ، وَيَسْتَبَدِّلُوا ثِيَابَ الْحَرَمِ إِمَّا شَرِيًّا أَوْ عَارِيَّةً أَوْ هِبَةً، فَإِنَّ أُنَى بِذَلِكَ وَإِلَّا طَافَ بِالْبَيْتِ عَرِيَانًا، وَفَرَضُوا عَلَى نِسَاءِ الْعَرَبِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَكَلَّفُوا الْعَرَبَ أَنْ تَفِيضَ مِنَ الْمَزْدَلْفَةِ، وَهِيَ بَعْدَ عَزِّ الْعَرَبِ يَتَأَمَّرُونَ عَلَى الْعَرَبِ قَاطِبَةً، وَهِيَ أَصْحَابُ الْهَرِيرِ وَالْحَرِيرِ وَالثَّرِيدِ وَالضِّيَافَةِ وَالْأَنْدِيَّةِ وَالْفَالُودِجِ، وَأُولَئِكَ مِنْ ثَرْدِ الثَّرِيدِ مِنْهُمْ عَمْرُو وَهُوَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ [١٣١]:

عَمْرُو الْعَلِيُّ هَشْمُ الثَّرِيدِ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَتُونَ عِجَافٌ

وَلِهَذَا سَمِيَ هَاشِمًا.

ذكر البيت الحرام وما جاء فيه

قال الله تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْكُبْرَىٰ بَيْتًا حَرَامًا قِيَامًا لِلنَّاسِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مَتَبَةَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ لَمَّا أَهْبَطَ آدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ حَزَنَ وَاشْتَدَّ بَكَاءُهُ عَلَى الْجَنَّةِ، فَجَاهَهُ اللَّهُ بِخِيَمَةٍ مِنْ خِيَامِ الْجَنَّةِ، فَوَضَعَهَا لَهُ بِمَكَّةَ فِي مَوْضِعِ الْكَعْبَةِ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ الْكَعْبَةُ وَكَانَتْ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فِيهَا قَنَادِيلٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَأُنزِلَ مَعَهَا الرُّكْنُ، وَهُوَ يَوْمُنَا يَاقُوتَةُ بِيضَاءَ، وَكَانَ كَرَسِيًّا لِآدَمَ (عَلَيْهِ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧٦

السَّلَامُ) وَطُولُ الْحَدِيثِ، قَالَ: فَمِنْ فُضَائِلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ رَأَاهُ إِلَّا ضَحَكَ أَوْ بَكَى، وَ مِنْ فُضَائِلِهِ أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ مِنَ الْحَمَامِ إِلَّا الْعَلِيلُ مِنْهَا، فَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِ بَرِيءٌ، وَتَقَبَّلَ الْفَرْقَةَ مِنَ الطَّيْرِ وَالْحَمَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا تَحَاذَتِ الْكَعْبَةُ افْتَرَقَتِ فَرَقَتَيْنِ، وَ مَالَتْ عَنْ ظَهْرِهَا، وَ لَمْ يَطْرُقْ عَلَى ظَهْرِهَا طَيْرٌ قَطًّا وَ مِنْ عَجَائِبِ الْبَيْتِ وَ الْمَسْجِدِ: كَثْرَةُ الْحَمَامِ بِهَا، وَ لَمْ يَرَوْا عَلَى طُولِ الدَّهْرِ ذَرَقَةَ حَمَامٍ وَ لَا- طَيْرٍ فِي الْمَسْجِدِ وَ لَا الْكَعْبَةَ وَ مِنْ عَجَائِبِهِ: أَنَّ الطَّيْرَ وَ الْوَحُوشَ وَ السَّبَاعَ بِهَا، وَ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهَا شَرَّ الْحَبَشَةِ وَ الْفِيلَةِ، وَ حَجَّه النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَ زَارَهُ وَ هُوَ مَلِكُ نَصْرَانِيٍّ، فَجَلَسَ فِي سَفْحِ أَجْيَادِ فَبَالَ عَلَيْهِ خَالِدُ بْنُ ثَوَالَةَ الْكِنَانِيٍّ فَمَا كَانَ عِنْدَهُ نَكِيرٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ. وَ مَاءُ زَمْزَمَ دَوَاءٌ لِكُلِّ مَبْتَلَى.

وَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «التَّضَلُّعُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ».

[وَ كَانَ ذَرَعٌ زَمْزَمَ مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَسْفَلِهَا سِتِينَ ذِرَاعًا] [١٣٢] وَ قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ قَالَ: لَوْ قَالَ: وَ اجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ لَازْدَحَمَتْ عَلَيْهِ فَارِسُ وَ الرُّومُ. قَالَ قَتَادَةُ: بَنِيَتْ الْكَعْبَةُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبِلٍ: طُورُ سَيْنَا وَ طُورُ زَيْتَا، وَ أَحَدٌ، وَ لُبْنَانٌ، وَ حِرَاءٌ، وَ ثَبِيرٌ. وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَسَّسَ إِبْرَاهِيمُ زَوَايَا الْبَيْتِ بِأَرْبَعَةِ أَحْجَارٍ: حَجَرٌ مِنْ حِرَاءٍ، وَ حَجَرٌ مِنْ ثَبِيرٍ، وَ حَجَرٌ مِنَ الطُّورِ، وَ حَجَرٌ مِنَ الْجُودِيِّ. قَالَ قَتَادَةُ: فَبَنَى إِبْرَاهِيمُ الْبَيْتَ وَ جَعَلَ طَوْلَهُ فِي السَّمَاءِ سَبْعَةَ أَذْرَعٍ، وَ عَرْضُهُ اثْنِينَ وَ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا بَيْنَ الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ إِلَى الرُّكْنِ الشَّامِيِّ الَّذِي عِنْدَهُ الْحَجَرُ مِنْ وَجْهِهِ، وَ جَعَلَ عَرْضَ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ الشَّامِيِّ إِلَى الرُّكْنِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي فِيهِ الْحَجَرُ اثْنِينَ وَ عَشْرِينَ ذِرَاعًا، وَ جَعَلَ طَوْلَ ظَهْرِهَا مِنَ الرُّكْنِ الْغَرْبِيِّ إِلَى الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ أَحَدًا وَ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا، وَ جَعَلَ عَرْضَ شَقِّهَا الْيَمَانِيِّ مِنَ الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ إِلَى الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ عَشْرِينَ ذِرَاعًا، وَ جَعَلَ بَابَهَا فِي الْأَرْضِ مَبُوبٌ حَتَّى كَانَ زَمَنُ تَبَعِ الْحَمِيرِيِّ، فَهُوَ الَّذِي بَوَّبَهَا وَ كَسَاهَا

الوصلات ثياب حبرة و نحر عندها، ثم كساها النبي (عليه السلام) الثياب اليمانية، ثم كساها عثمان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧٧

القباطي، ثم كساها الحجاج الديباج. قال: و معاوية أول من طيب الكعبة بالخلوق و المجرم، و أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت مال المسلمين، و بناه ابن الزبير بعد ما بويغ له بالخلافة، فلمّا قتل نقض الحجاج بناءه و بناه على الأساس الأول، ثم وسّع المنصور مسجد الكعبة سنة ولى الخلافة، ثم زاد فيه المهديّ.

قال: فطول البيت اليوم سبعة و عشرون ذراعاً، و عرضه في الحجر أحد و عشرون ذراعاً، و ذرع جوفها ما بين الركن الأسود إلى الركن اليماني بطن الكعبة خمسة عشر ذراعاً و شبر، و ما بين ركني الحجر ثمانية عشر ذراعاً، و ما بين الباب إلى الشاذروان خمسة أذرع، و عرض بابها أربعة أذرع و فيها ثلاث سوار اثنان منها صنوبر و الوسطى ساج. و بعث عمر بن الخطاب إلى البيت بهلالين كبيرين فعلقا في الكعبة، و بعث عبد الملك بن مروان بالشّمستين، و بعث الوليد ابنه بقدحين، و بعث أبو العباس بالصّفحة الخضراء، و بعث أبو جعفر بالقرورة الفرعويّة، و بعث المأمون بالصنم الذي وجّه إليه ملك التّبت و كان أسلم و له خبر طويل [١٣٣]. و ذرع المقام ذراع و هو مرّبع سعة أعلاه أربعة عشر إصبعا في مثله، و من أسفله مثل ذلك، و في طرفه طوق من ذهب. و ما بين الطرفين من الحجر من المقام بارز لا ذهب عليه، و طوله من نواحيه كلّها تسع أصابع، و عرضه عشر أصابع، و عرض الحجر حجر المقام من نواحيه إحدى و عشرون إصبعا، و سطره مرّبع القادمان داخلتان في الحجر سبع أصابع، دخولهما منحرف و وسطه قد استدقّ من التّمسح به. و المقام في حوض مرّبع حوله رصاص، و على الحوض صفائح من رصاص مكشّرة، و على المقام صندوق ساج في طرفه سلسلتان تدخلان في أسفل الصندوق، و عليهما قفلان. قال: و ذرع المسجد اليوم مائة ألف ذراع و عشرون ألف ذراع مكشّر، و عرضه من باب التّدوة إلى الجدار الذي يلي الوادي عند باب الصّيّفا ثلاثمائة ذراع و أربعة أذرع، و عرض المسجد من المنارة التي عند المسعى إلى المنارة التي عند باب بني شيبه الكبير مائتا ذراع و ثمانية و سبعون ذراعاً، و فيه من الأساطين أربع مائة و خمس و ستون أسطوانة، طول كلّ أسطوانة عشرة أذرع،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧٨

و تدويرها ثلاثة أذرع. و عدد أبواب المسجد في الشقّ الشرقيّ خمسة أبواب، و في الغربيّ ستّة أبواب، و في اليمانيّ سبعة أبواب، و في الشقّ الشاميّ ستّة أبواب، و ذرع الطواف مائة ذراع و خمسة أذرع.

و حدود الحرم من طريق المدينة على ثلاثة أميال، و من طريق جدّه على عشرة أميال، و من طريق اليمن على سبعة أميال، و من طريق الطائف على أحد عشر ميلاً و من طريق العراق على تسعة أميال، و من بغداد إلى مكّة مائتان و خمسة و سبعون فرسخاً و ثلثا فرسخ [١٣٤] تكون ثمانية و خمسين بريداً. و من البريد إلى البريد عشرون ميلاً، و بين كلّ بريدين مشرف و كلّ ثلاثة أميال فرسخ، و من مكّة إلى عرفات اثنا عشر ميلاً.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٧٩

مدينة الطائف

اسمها وجّ، و سمّيت الطائف بذلك الطوف الذي أحاطه عليها قسيّ و هو ثقيف و كانت الطائف مهرباً و ملجأ لكلّ هارب، و بالطائف وهط عمرو بن العاص، و هو كرم كان يعرش على ألف ألف خشبة، شري كلّ خشبة ألف درهم، و الوهط عند العرب دقّ التراب، يقال تراب موهط أي مدقوق. و حجّ سليمان بن عبد الملك فمرّ بالوهط و قال: أحبّ أن أنظر إليه، فلمّا رآه قال: هذا أكرم مال و أحسنه، و ما رأيت لأحد مثله، لولا هذه الحرّة في وسطه. فقليل له: ما هذه بحرّة و لكنها زبيبه، و قد كان جمع في وسط الضيعة، فلمّا رآها من بعيد ظنّ أنها حرّة سوداء فقال: لله درّ قسيّ بأيّ عشّ وضع أفرخه [١٣٥].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨٠

القول في المدينة

إشارة

يروى عن النبي (عليه السلام) أنه قال: للمدينة عشرة أسماء هي: طيبة، والباقية، والموقية، والمسكينة، والمباركة، والمحفوظة، والمحرمة، والعذراء، والمسلمة، والمقدسة، والشافية، والمرزوقة.

فمن فضلها على غيرها أن وهب بن منبه قال: إني لأجد في بعض الكتب أن مهاجر النبي الأمي العربي إلى بلد يقال لها طيبا، وتفسير ذلك أنها طويت بالبركة، وقُدس هواءها، وطيب ترابها، فيها مهاجرة، وموضع قبره، ومن مشى بالمدينة شم بها عرفا طيبا. وقال أبو البختری: هي أرفع الأرض كلها، ولا يدخلها طاعون ولا دجال، وبظاهر بيدها يخسف بالدجال، وبها نزل القرآن وفرضت الفرائض وسنت السنن، وبها أصول الدين والسنن والأحكام والفرائض والحلال والحرام، وبها روضة من رياض الجنة، ودعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يبارك لهم في صاعهم ومدهم وسوقهم وقليلهم وكثيرهم، وبها آثار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومساجده وقبره وقبور أصحابه وأعمامه وأزواجه، وكل بلد في دار الإسلام وإنما فتح بالسيف إلا المدينة فإنها افتتحت بالإيمان.

وقال (صلى الله عليه وسلم): «غبار المدينة دواء من الجذام»

وقال: «حب أهل المدينة محنة فإن منافقا لا يحبهم ومؤمنا لا يبغضهم»

وقال (عليه السلام): «أهل المدينة الشعار والناس الدثار»

وقال: «المدينة معلقة بالجنة».

قال: ولما حج معاوية حرّك المنبر يريد أن يخرج به إلى الشام فانكسفت الشمس، فقال جابر بن عبد الله: بش ما صنع معاوية ببلد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومهاجره الذي اختاره الله له، والله ليصين معاوية شيء في وجهه، فأصابته اللقوة نسأل الله العافية.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨١

فلما قدم النبي المدينة أقطع الناس الدور فخطّ لبنى زهرة في ناحية مؤخر المسجد، وجعل للزبير بن العوام بقيةا واسعا، وجعل لطلحة موضع داره، ولآل أبي بكر موضع داره عند المسجد الذي صار لآل معمر، ولخالد وعمار موضع داريهما، وخطّ لعثمان موضع داره اليوم، ويقال إن الخوخة التي في دار عثمان اليوم تجاه باب النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يخرج منها إذا دخل بيت عثمان بن عفان.

ذكر مسجد المدينة

قال (صلى الله عليه وسلم): «من جاء إلى مسجدي لا يريد إلا الصلاة في مسجدي والتسليم عليّ شهدت وشفعت له، ومن سلم عليّ ميتا فكأنما سلم عليّ حيا»

وكان بناء المسجد على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) باللبن وسقفه جريد، وعمده خشب النخل، فزاد فيه عمر، ثم غير عثمان وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه ساجا. وبناه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وله بابان شارعان: باب عائشة والذي يقال له باب عاتكة، وباب في مؤخر المسجد إلى دار مليكة: وأول من حصّب المسجد عمر قال: والأساس اليوم معمول بالحجارة، والجدران بالحجارة المطابقة، وعمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص، وكان

طوله مائتي ذراع و عرضه مائتي ذراع، و هو معنق و معنق سقف دون سقف، و المحراب و المقصورة من ساج. و تراب المدينة و هواؤها أطيب ريحا من رائحة الأفاويه بسائر البلدان، و يكتفى بالمدينة الرجل الأكل بقرصتين، و لا يكتفى في غيرها بخمسة أرغفة، و ليس ذلك لغلظ فيه أو فساد في حبه و طحنه، و لو كان كذلك لظهر في التحم، و لهم الفقه و الصحبة، و لهم حبّ البان. و منها يحمل إلى جميع البلدان- و هي حشيشة تنبت في باديها- و جبلها أحد،

قال رسول الله: رضوى رضى الله عنه، و قدس قدسه الله، و أحد جبل يحبنا و نحبه، جاءنا سائرا إلينا متعبدا، له تسيح يزف زفاً و من عجائبها جبل العرج الذي بين المدينة و مكة، يمضى إلى الشام حتى يتصل بلبنان من حمص، و يمر حتى يتصل بجبال أنطاكية و المصيصة، و يسمى هناك

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨٢

اللكام، ثم يتصل بجبال ملطية و شمشاط و قاليقلا إلى بحر الخزر، و فيه باب الأبواب يسمى هناك القبق و عليه سبعون لسانا لا تعرف اللغة اللغة و اللسان اللسان إلا بترجمان.

و العقيق خارج المدينة و لما رآها رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال: «لو علمنا بهذه أولا لكانت المنزل»

و قصر عروة بن الزبير بالعقيق، و سئل بعضهم لم سمي العقيق عقيقا؟ قال: لأن سيله عق في الحرة، و بها الجمّوات الثلاث:

[فمنها جمّاء تضارع التي تسيل إلى قصر أم عاصم و بئر عروة و ما والى ذلك و فيه يقول أحيحة بن الجلاح:

إني و المشعر الحرام و ما حجت قريش له و ما نحروا

لا آخذ الخطّة الدنية مادام يرى من تضارع حجر

و منه مكمن الجماء و فيه يقول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

عفا مكمن الجماء من أم عامر فسلع عفا منها فحرة و أقم

ثم الجماء الثانية: جماء أم خالد التي تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى و ما والاه. و فى أصلها بيوت الأشعث من أهل المدينة، و قصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى- و فيفاء الخبر من جماء أم خالد.

و الجماء الثالثة: جماء العاقر و بها بئر رومة- و يقال أرومة- و بئر أريس و بئر بضاعة. و بينها- جماء العاقر- و بين جماء أم خالد فسحة، و هى تسيل على قصور جعفر بن سليمان و ما والاه. و إحدى هذه الجمّوات أراد أبو قتيبة بقوله:

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

إلى البلاد فما حازت قرانته دور نرحن عن الفحشاء و الهون

قد يكتم الناس أسراراً و أعلمها و ليس يدرون طول الدهر مكنونى [١٣٦]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨٣

و يقال: إن ماء بئر رومة أعذب ماء بالعقيق. و فى العقيق و قصوره و أوديته و حراره أخبار كثيرة. و للزبير بن بكار فيه كتاب مفرد [١٣٧].

[خاخ: فى حدود العقيق، و هو بين الشوطى و الناصفة.

قال الأحوص بن محمد:

طربت و كيف تطرب أم تصابى و رأسك قد توشح بالقتير

لغانية تحلّ هضاب خاخ فأسقف فالدوافع من حضير

خفتية: فى أرض العيق بالمدينة قال الشاعر:

و نزل من خفيّة كل وإذا ضاقت بمنزله النعيم

العشيرة: من أودية العقيق. قال عروة بن أذينة:

يا ذا العشيرة قد هجت الغداة لناشوقا و ذكرتنا أيامك الأولا

ما كان أحسن فيك العيش مؤتفاغضا و أطيب في آصالك الأصلا

ذو الضروبة ثم ذو الغراء: من عقيق المدينة قال أبو و جزء:

كأنهم يوم ذى الغراء حين غدت نكبا جمالهم و للبين فاندفعوا

لم يصبح القوم جيرانا فكل نوى بالناس لا صدع فيها سوف ينصدع

الجنيّة: موضع بالعقيق [١٣٨].

و فى عالية المدينة: قبا. و مما يلى الشام: خبير، و وادى القرى، و تيماء، و دومة الجندل، و فدك، - و هو أقربها إلى المدينة-.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨٤

و من عمل المدينة: مرّان، و قبا، و الدثينة- و يقال الدفينة- و فلجة، و ضريّة، و طخفة، و إمرة، و أضاح، و معدن الحسن، و بئر غرس

بقبا، و بئر بضاعة بالمدينة، و كانوا يستشفون بمائها.

[عبلاء البياض: موضعان من أعمال المدينة و عبلاء الهمرد. و الهمرد نبت به يصبغ أصفر.

غمرة: من أعمال المدينة على طريق نجد أغزاها النبى (صلى الله عليه و سلم) عكاشة بن محصن.

فأما أعراض المدينة فأضحّمها الفرع و به منزل الوالى و به مسجد صلى به النبى (صلى الله عليه و سلم) [١٣٩].

الفرق بين تهامة و الحجاز

قال الأصمعيّ: إذا خلفت عجلزا مصعدا فقد أنجدت، فلا تزال منجدا حتى تنحدر فى ثنايا ذات عرق، فإذا فعلت ذلك فقد اتهمت، و

إنما سمى الحجاز حجازا لأنه يحجز بين تهامة و نجد. و قال ابن الأعرابى، الجزيرة ما كان فوق بقّة، و إنما سميت الجزيرة لأنها تقطع

الفرات و دجلة، و بعد تقطع البرّ، و إنما سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة و الشام. و قال ابن الكلبيّ: الحجاز ما يحجز بين

تهامة و العروض، و ما بين اليمن و نجد. و قال جعفر: أودية نجد تسيل مشرّفة و أودية تهامة تسيل مغرّبة و قد قيل: فرق ما بين الحجاز

و نجد أنه ليس بالحجاز غضا فما أنبت الغضا فهو نجد و ما أنبت الطلح و السيمر و الأسل- و واحده أسلة- فهو حجاز و قال الأصمعيّ:

طرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج، و أوّل تهامة من قبل نجد ذات عرق. و قالوا: طول تهامة ما بين جبل السّيراء إلى شطّ البحر،

و طول الحجاز من حدّ العرج إلى السّيراء فطائف. و المدينة من نجد و أرض اليمامة و البحرين إلى عمان من العروض و تهامة تسائر

البحر.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨٥

[زينة: واد طوله عشرون يوما فى نجد و أعلاه فى السراة و يسمى عقيق تمرّة.

السقيا: من أسافل أودية تهامة.

شعر: جبل بالحمى، و يوم شعر بين بنى عامر و غطفان عطش يومئذ غلام شاب يقال له الحكم بن الطفيل فخشى أن يؤخذ فخنق نفسه

فسمى يوم النخاتق.

قال البريق الهذلى:

سقى الرحمن حزم يناعبات من الجوزاء أنواء غزارا

بمرتجز كأن على ذراه ركاب الشام يحملن البهارة

يحط العصم من أكناف شعرو لم يترك بذى سلح خمارا [١٤٠]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨٦

القول فى اليمامة

إشارة

سميت اليمامة بامرأة من طسم بنت مرّة، و كانت منازل طسم و جديس اليمامة و ما حولها إلى البحرين، و منازل عاد الأولى الأحقاف و هو الرمل ما بين عمان إلى عدن، و كانت مساكن غسّان بيثرب، و مساكن أميم بالرمل، و مساكن جرهم بتهائم اليمن، ثم لحقوا بمكة فزلوا على إسماعيل، و كانت منازل العماليق موضع صنعاء اليوم ثم خرجوا فزلوا مكة، و لحقت طائفة منهم بالشام و مصر، و تفرقت طائفة منهم فى جزيرة العرب إلى العراق، و يقال: إن فراعنة مصر كانوا من العماليق منهم فرعون إبراهيم (عليه السلام) و اسمه سنان بن علوان، و فرعون يوسف اسمه الرّيان بن الوليد و فرعون موسى اسمه الوليد بن مصعب، و ملك الحجاز رجل من العماليق يقال له الأرقم، و كان الضحّاك من العماليق غلب على ملك العجم بالعراق و هو فيما بين موسى و داود.

صفة اليمامة و أوديتها

اليمامة واديان يصبان من مهبّ الشمال، و يفرغان فى مهبّ الجنوب، و عيون اليمامة كثيرة فيها عين يقال لها الخضراء، و عين يقال لها الهيت، و عين بجوّ تجرى من جبل يقال له الرّام، و هو جبل معترض مطلع اليمامة يحول بينها و بين بيرين و البحرين و الدوّ و الدهناء، و بجوّ عين يقال لها الهجرة و لا يشرب ماؤها لخبثه، و بالمجازة نهران و بأسفلها نهر يقال له سيح الغمر، و بأعلاها قرية يقال لها نعام، بها نهر يقال له سيح نعام، و أول ديار ربيعة باليمامة مبدأها من أعلاها أولها دار هزان قال: و اليمامة لبنى حنيفة، و البحرين لعبد القيس، و الجزيرة لبنى تغلب، و ذات التسوع قصر باليمامة، و المشقرّ فيما بين نجران و البحرين، و بتيل حجر عليه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨٧

قصر مشيد عجيب من بناء طسم، و معنق قصر عبيد بن ثعلبة و هو أشهر قصور اليمامة من بناء طسم على أكمه مرتفعة، و الثرملية حصن من حصون طسم، و يقول أهل اليمامة: غلبنا أهل الأرض شرقها و غربها بخمس خصال: ليس فى الدنيا أحسن ألوانا من نساننا، و لا أطيب طعاما من حنظتنا، و لا- أشدّ حلاوة من تمرنا، و لا أطيب مضغّه من لحمنا، و لا أعذب من مائنا، فأما قولهم فى نسانهم فإنهنّ درّيات الألوان كما قال ذو الرّمّة:

كانّها فضّة قد مسّها ذهب

و كقول امرئ القيس:

كبكر المقاناة البياض بصفرة

و ذلك أحسن الألوان، و يقال لا تبلغ مولدة مائة ألف درهم إلّا يمامية، و أمّا حنظتهم فتسمى ببيضاء اليمامة و هى عذى لا سقى، يحمل منه إلى الخلفاء، و أمّا تمره فلو لم يعرف فضله إلا أن التمر ينادى عليه بين المسجدين: يمامى اليمامة، يمامى اليمامة، فبياع كلّ تمر ليس من جنسه بسعر اليمامى، و بها أصناف التمور، و بها نخلة تسمى العمرة، و يقال إنها نخلة مريم، و جمعها العمر، و الجدامية

تمر ينفع من البواسير و الصفرقان - تمرء سوداء طيبة - و الحضري، و الهجنء، و البردي، و الصفراء، و القعقاعي، و اللصف، و الصفر، و الصفايا، و التعوض، و العماني، و الجعاب، و المزي، و خرائف بني مسعود، و الصرفان، و الزغري، و الصنغانء، و زب رباح: يقال في المثل: الذ من زبد بزب، و صرفان، و جلاجل، و الخيل، هذه كلها تمرور اليمامة ألوان ملونة. قالوا: أجود تمر عمان: الفرض، و البلعق، و الخبوت، و أجود تمر اليمامة: البردي، و الزرقاء، و الجدامية. و أجود تمر البحرين: التعوض. و المكري، و الآزاد. و أجود تمر الكوفة: النرسيان، و السابري. و أجود تمر البصرة: الآزاد، و القرثاء. و أما لحم اليمامة فإنه يطيب مراعيهم و مأوهم نمير يجلو البلغم و ينقى الصدر، و فيها قالت الشعراء: أرق من ماء اليمامة و اليمامة صرة نجد و مدينة نجد حجر.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨٨

[إصاد: من أودية العلاء من أرض اليمامة] [١٤١].

[الخضارم: حجر، مصر اليمامة ثم جو و هي الخضرمة و هي من حجر على يوم و ليلة و بها بنو سحيم و بنو ثمامة من حنيفة] [١٤٢].
[العرائس: من جبال الحمى.

عيزة: من أودية اليمامة قرب سواج.

عيهم: جبل بنجد على طريق اليمامة إلى مكة، قال جابر بن حنى التغلبى:

ألا يا لقومى للحديد المصرم وللحم بعد الزلة المتوهم

و للمرء يعتاد الصبابة بعد ما أتى دونها ما فرط حول مجرم

فيا دار سلمى بالصريمة فاللوى إلى مدفع القيقاء فالمتلم

أقامت بها بالصيف ثم تذكرت منازلها بين الجواء فعيهم] [١٤٣]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٨٩

القول فى البحرين

إشارة

قال أبو عبيدة: بين البحرين و اليمامة مسيرة عشرة أيام، و بين هجر مدينة البحرين و بين البصرة مسيرة خمسة عشر يوما على الإبل، و هي الخط، و القطيف، و الآرة، و هجر. و بينونة، و الزارة، و جواتا، و السابور، و دارين، و الغابة، و قصبه هجر الصفا، و المشقر، و الشبعان، و المسجد الجامع فى المشقر، و بين الصفا و المشقر نهر يجرى يقال له العين، و من قرى البحرين: الحوس، و الكثيب الأكبر، و الكثيب الأصغر، و أرض نوح، و ذو النار، و المالحء، و الذرائب، و البدى، و الخرصان، و السهله، و الحوجر، و الوجير، و الطربال، و المنسلخ، و المرزى، و المطلع، و الشط، و القرعاء، و الزميلة، و البحرة، و الرجراجه، و العرجة، فهذه قرى بنى محارب بن عمرو بن وديعة، و قرى بنى عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة أضعاف هذه. و بين مكة و اليمن عشرون يوما.

[سفار: بلد بالبحرين] [١٤٤].

الحزون

قال أبو عبيدة: الحزن ما بين زباله فما فوق ذلك مصعدا فى بلاد نجد، و قال أبو سعيد الصيرير: الحزون ثلاثة: حزن بنى جعدة و هم من ربيعة، ثم حزن يربوع، ثم حزن بنى غاضرة. و أما واقصة فهي واقصة الحزون و هي دون زباله، و إنما سميت واقصة الحزون لأن

الحزون أطافت بها من كل ناحية.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩٠

والحزات

في بلاد العرب ثمانية: حزة بنى سليم وهي سوداء، وحزة لفلح، وحزة بنى هلال، وحزة النار، وحزة ليلي، وحزة راجل، وحزة و أقم، وحزة ضرغد.

والسروات

ثلاث: سراة بين تهامة ونجد أدناها بالطائف وأقصاها قرب صنعاء، والسروات أرض عالية و جبال مشرفة على البحر من المغرب، و على نجد من المشرق، والطائف من سراة بنى ثقيف وهو أدنى السروات إلى مكة، ومعدن البرم هي السراة الثانية بلاد عدوان في بريئة العرب وبها معدن البلور، وهو أجود ما يكون في صفاء الماورد توجد القطعة فيها منا وأكثر، وقال الكندي: رأيت قطعة فيها مائة منا.

والبراق

برقة منشد ما بين بنى تميم وبين بنى أسد، وبرقة تهمد لبنى دارم، وبرقة ضاحك لبنى دارم، وأبرق العزاف لبنى أسد، وأبرق الحنّان لبنى فزارة، وإنما سمى أبرق العزاف لعزف الجنّ بها والحنّان لأنه يسمع الحنين بها، وأبرق الثّعار لطىء وغسان، وأبرق الزّوحان.

والدارات

في بلاد العرب سبع عشرة دارة، قال ابن حبيب، الدّور جمع دارة وكلّ أرض اتّسعت فأحاطت بها الجبال في غلظ أو سهولة فهي دارة فمن ذلك: دارة وشجي، ودارة جلجل، ودارة رفر، ودارة مكمن، ودارة الجمد، ودارة الدّور، ودارة الكور، ودارة قطقط، ودارة صلصل، ودارة الجأب، ودارة العليق، ودارة مأسل، ودارة الخرج، ودارة رهيبي، ودارة حيقور، والبحرة مثل الدارة لأنّ البهرة تكون في سهولة و غلظ جميعا .

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩١

القول في اليمن

قال الكلبي: سميت اليمن لأن يقطن بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح أقبل بعد خروج ثلاثه عشر ذكرا من ولد أبيه، فنزل موضع اليمن فقالت العرب: تيمّن بنو يقطن فسميت اليمن ويقال بل سميت اليمن لأنها عن يمين الكعبة ولما جاء أهل اليمن قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): قد جاءكم أهل اليمن أرق قلوبا منكم وهم أول من جاءنا بالمصافحة.

وقال: «الإيمان يمان والحكمة يمانية والإسلام يمان»

وقال: «أهل اليمن زين الحاج».

وقال مجاهد في قول الله عزّ وجلّ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ قال: سبى اليمن قال: وقدم رجل على النعمان بن المنذر

فقال: أخبرني عن أهل اليمن. فقال: أكثر الناس سيّدا وأكثرهم جمعا. قال: فأخبرني عن بني عامر! قال: أعجاز النساء وأعناق الظباء. قال: فتميم! قال: حجر إن وقعت عليه آذاك، وإن وقع عليك أذى.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إذا تعذّر على أحدكم الملتمس فعليه بهذا الوجه» وأشار إلى اليمن.

وفي قوله عزّ وجلّ وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم الآية قال: هم أهل اليمن، وفضائل كثيرة.

قال: فاليمن ثلاثة وثلاثون منبرا قديمة، وأربعون محدثة، وسميت صنعا بصنعاء بن أزال بن يقطن، وهو الذي بناها. وفي قوله عزّ وجلّ: بلدة طيبة ورب غفور قال: صنعاء. وقوله عزّ وجلّ غدوها شهزّ ورواحها شهزّ قال: كان سليمان بن داود (عليه السلام) يغدو من إصطخر ويروح بصنعاء ويستعرض الشياطين بالزّي. قال: وصنعاء أطيب البلدان، وهي طيبة الهواء كثيرة الماء، يشتون مرتين، و يصيفون، مرتين، [و كذلك أهل فران و مارب و عدن و الشحر. و إذا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩٢

صارت الشمس إلى أول الحمل، صار الحر عندهم مفراطا. فإذا صارت إلى أول السرطان و زالت عن سمت رؤوسهم أربعة و عشرين، شتوا. ثم تعود الشمس إليهم إذا صارت إلى أول الميزان فيصيفون ثانية و يشتد الحرّ عليهم. فإذا زالت إلى الجنوب و صارت إلى الجدى شتوا ثانية، غير أن شتاءهم قريب من صيفهم. و كان في ظفار و هي صنعاء كذا.

و ظفار مشهورة على ساحل البحر و لعل هذه كانت تسمى بذلك قريب من القصور: قصر زيدان و هو قصر المملكة، و قصر شوحطان، و قصر كوكبان و هو جبل قريب منها و قد ذكر في موضعه.

و كان لمدينة صنعاء تسعة أبواب و كان لا يدخلها غريب إلّا بإذن. كانوا يجدون في كتبهم أنها تخرب من رجل يدخل من باب لها يسمى باب حقل.

و كانت مرتبة صاحب الملك على ميل من بابها و كان من دونه إلى الباب حاجبان بين كل واحد إلى صاحبه رمية سهم. و كانت له سلسلة من ذهب من عند الحاجب إلى باب المدينة ممدودة و فيها أجراس، متى قدم على الملك شريف أو رسول أو بريد من بعض العمال حركت السلسلة فيعلم الملك بذلك فيرى رأيه [١٤٥].

و أهل الحجاز و اليمن يمطرون الصيف كلّه، و يخصبون في الشتاء فيمطر صنعاء و ما والاها في حزيران و تموز و آب و بعض أيلول من الزوال إلى المغرب، يلقي الرجل الآخر منهم فيكلمه فيقول: عجل قبل الغيث لأنه لا بدّ من المطر في هذه الأيام. و كان ابن عباس يقول: مجاهد عالم أهل الحجاز، و سعيد بن جبير عالم أهل العراق، و طاؤوس عالم أهل اليمن، و وهب عالم الناس.

و باليمن من أنواع الخصب و غرائب الثمر و طرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأكاسرة و القياصرة، و قد تفاخرت الروم و فارس بالبنيان و تنافست

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩٣

فيه، فعجزوا عن مثل غمدان، و مأرب، و حضرموت، و قصر مسعود، و سدّ لقمان، و سلحين، و صرواح، و مرواح، و بينون، و هندة، و هنيذة، و فلتوم، بريدة قال:

أبعد بينون لا عين و لا أثر و بعد سلحين يبني الناس بنيانا

و بصنعاء غمدان قصر عجيب قد بنى على أربعة أوجه: وجه بالجروب الأبيض، و وجه بالجروب الأصفر، و وجه بالجروب الأحمر، و وجه بالجروب الأخضر،- و الجروب الحجارة- و ابنتي في داخله على ما أتقن من أساسه قصرا على سبعة سقوف، بين كلّ سقفين أربعون ذراعا، و سقفه من رخامة واحدة، و جعل على كلّ ركن تمثال أسد من شبه كأعظم ما يكون من الأسد، فكانت الريح إذا هبت من ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت جوفه من دبره، ثم خرجت من فيه، فيسمع له زئير كزئير الأسد. و كان يأمر بالمصايح فتسرح في بيوت الرخام إلى الصبح، فكان القصر يلمع من ظاهره كلمع البرق، فإذا أشرف الإنسان ليلا قال: أرى بصنعاء برقا شديدا و

مطرا كثيرا، ولا- يعلم أن ذلك من ضوء السرج، فكان كذلك حتى أحرق، وعلى ركن من أركانه مكتوب: اسلم غمدان هادمك مقتول، فهدمه عثمان بن عفان فقتل. وقالوا: إن الذي بناه سليمان بن داود و ذلك أنه أمر الشياطين أن يبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء أحدها غمدان و سلحين و بينون و فيها يقول الشاعر:

هل بعد غمدان أو سلحين من أثارو بعد بينون بيني الناس بينانا

وقال أبو عبيدة: لأهل اليمن أربعة أشياء ليست لغيرهم: الركن اليماني في القبلة، و سهيل اليماني في السماء، و البحر اليماني في الجور، و اليمن في البلدان، و لهم الخطّ المسند، و عقد الجليل، و الحساب، و الخطّ الحميري، و قال الكلبي، علوج مصر القبط، و علوج الشام جرامة، و علوج الجزيرة جرامة، و علوج السواد نبط، و علوج الهند سباجة، و علوج عمان المزون، و علوج اليمن سامران، و يحمل العقيق من مخاليف صنعاء و أجوده ما أتى به من معدن يسمّى مقرى، و قرية البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩٤

أخرى تسمى الهام، و جبل يقال له قساس، فيعمل بعضه باليمن، و يحمل بعضه إلى البصرة، و حدث يزيد بن هارون [١٤٦] عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): قال لي جبرئيل: يا محمد تختم بالعقيق، فقلت: و ما العقيق؟

قال: جبل باليمن يشهد لله بالتوحيد، و لى بالرسالة، و لك بالنبوة، و لعلّى بالوصية، و لذريته بالإمامة، و لشيعتهم بالجنة، و بها معدن الجزع و هو أنواع، و جميع هذه الأنواع يؤتى بها من معدن العقيق، و أجود هذه الأنواع البقراني و أثنها، و منه: العرواني، و الفارسي و الحبسي و المعسل، و المعرق، و قال الأصمعي: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلّا باليمن: الورد، و الكندر، و الخطر، و العصب، فأما المعرق من الجزع فإنه يتخذ منه الأواني لكبره و عظمه، و لهم الحلل اليمانية و الثياب السعدية و العدنية و الشب اليماني و هو ماء ينبع من قلّة جبل فيسيل على جانبه قبل أن يصل إلى الأرض فيجمد، فيصير هذا الشب اليماني الأبيض، و لهم الورد و هو شيء يسقط على الشجر كالترنجبين، و لهم البنك و يقال إنه من خشب أم غيلان، و من أبنيتها القشيب الذي يقال له: أقفر من أهله القشيب و عن مكحول قال: أربعة مدن من مدن الجنة: مكة، و المدينة، و إيلياء، و دمشق، و أربعة من مدن النار: أنطاكية، و الطّوانة، و قسطنطينية، و صنعاء. و بها سدّ أسعد الملك و هو سدّ بين جبلين، بحجارة مرّعة منقّشة بين الحجرين عمود من حديد من الأسفل إلى الأعلى، و قد رصص ما بين الجبلين مقدار ميلين، و سمكه ثلاثمائة ذراع، تنصبّ إليه أودية و أنهار فيرتفع الماء حتى يسقوا مزارعهم و حدائقهم، و هو أعجب سدّ في الأرض، مكتوب عليه بالمسند أشياء كثيرة. و من عجائب اليمن القردة و هي بها كثيرة جدّا، و فيهم قرد عظيم، في عنقه لوح يقال إنه عهد من سليمان بن داود صلى الله عليه و على سيدنا محمد، و يقال: إن هذه القردة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩٥

وكلهم سليمان بحفظ شياطين محبسين في هذه الناحية من الجنّ و من عجائبهم العدار و هو شيطان يتعرّض للنساء و الرجال منهم، و له أير كالقرن صلابة فيجامعه في دبره فيموت من ساعته، و في المثل: ألوط من عدار و باليمن قرية و بار و هي مسكن الجنّ، و هي أخصب بلاد الله و أنزهها، لا- يقدر أحد على الدنو منها من الأنس، و قال أبو المنذر: و بار ما بين نجران و حضرموت، و زعمت العرب أن الله حين أهلك عادا و ثمودا أن الجنّ سكنت في منازل و بار و حمتها من كلّ من أرادها، و أنها أخصب بلاد الله، و أكثرها شجرا، و أطيبها تمرا و نخلا و عبا و موزا، فإن دنا اليوم من تلك البلاد إنسان متعمدا أو غالطا حثوا في وجهه التراب، فإن أبي إلّا الدخول حبلوه، و ربّما قتلوه، و زعموا أن الغالب على تلك البلاد الجنّ و الإبل الحوشية- و الحوش من الإبل عندهم التي قد ضرب فيها فحول إبل الجنّ و هي من نسل إبل الجنّ- و الهندية، و المهريّة، و العسجدية، و العمائية، هذه كلّها قد ضرب فيها الحوش قال ذو الرّمة:

جرت رذايا من بلاد الحوش

قال بعضهم: قدمنا البحرين فلحقنا أعرابي على ناقه له صغيرة قد أكل الجرب جنبها و معنا إبل لم ير الناس مثلها فقلنا: يا أعرابي أبيع ناقتك ببعض هذه الإبل؟ قال: والله لو أعطيتموني بها جميع إبلكم كلها ما بعتمكم. قلنا: فلك مائة دينار، فأبى، فقلنا: ألف دينار، فأبى، ونحن في كل ذلك نهزأ به فقال: لو ملأتم جلدها ذهباً ما بعتمكم. قلنا: فأرنا من سيرها شيئاً. قال: نعم، فسرنا فإذا نحن بحمير و حش قد عنت فقال: أي الحمير تريدون أعرضه لكم؟ فقلنا: نريد غير كذا؟ فغمزها ثم زجرها فمزت ما يرى منها شيء حتى لحقت الحمير ثم تناول قوسه فرمى فلم يخط الحمار، فلم يزل يرشقه حتى صرعه و لحقناه و قد ذبحه، فلما رأينا ذلك ساومناه بجداً فقال: ليس عندي من نسلها إلا ابن لها و ابنة و لا والله لا أبيعها أبداً بشيء.

و بأرض و بار السناس [١٤٧] و يقال: إن لهم نصف رأس و عين واحدة و يصادون

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩٦

فيؤكلون. قال: و هو شيء له وجه كوجه الإنسان و إنما له يد و رجل في صدره، و يتكلمون و هم في غياض هناك و باليمن جبل فيه شق يقال له شمخ، يدخل منها الرجل الضخم حتى ينفذ إلى الجانب الآخر ما خلا ولد الزنا فإنه يضيق عليه حتى لا يقدر أن ينفذ منه. قال المدائني: كان أبو العباس السفاح أبو الخلفاء يعجبه منازعة الناس، فحضر ذات ليلة إبراهيم بن مخرم الكندي و ناس من بلحارث ابن كعب و كانوا أخواله، و خالد بن صفوان فحاضوا في الحديث و تذاكروا مضر و اليمن فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين إن اليمن الذين هم العرب الذين دانت لهم الدنيا، لم يزالوا ملوكاً و أرباباً و وزراء الملك منهم: التعمانات و المندرات و القابوسات، و منهم غاصب البحر، و حمى الدبر و غسيل الملائكة، و منهم من اهتز لموته العرش، و مكلم الذئب [١٤٨]، و منهم البذخ و الفتاح و الرماح، و من له مدينة الشعر و بابها، و من له أفعال الوفاء و مفاتها، و منهم الخال الكريم صاحب البؤس و النعيم، و ليس من شيء له خطر إلا إليهم ينسب، من فرس رائع، أو سيف قاطع، أو درع حصينة، أو حلة مصونة، أو درة مكنونة، و هم العرب العاربة و غيرهم متعربة. قال أبو العباس: ما أظن التميمي يرضى بقولك، ثم قال: ما تقول أنت يا خالد؟ قال: إن أذنت لي في الكلام تكلمت، قال: تكلم و لا تهب أحداً. قال:

أخطأ المتفخم بغير علم، و نطق بغير صواب، و كيف يكون ذلك لقوم ليست لهم ألسن فصيحة، و لا لغة صحيحة، و لا حجة نزل بها كتاب، و لا جاءت بها سنة،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩٧

و إنهم منّا لعلى منزلتين، إن جازوا حكمنا قتلوا، و إن جاروا عن قصدنا أكلوا، يفخرون علينا بالنعمانات و المندرات و القابوسات و غير ذلك ممّا سيأتي، و نفخر عليهم بخير الأنام و أكرم الكرام محمد عليه السلام، فله به المنّة علينا و عليهم، لقد كانوا أتباعه به عرفوا، و له أكرموا، ممّا النبي المصطفى و الخليفة المرتضى، و لنا البيت المعمور و المشعر الحرام و زمزم و المقام و البطحاء مع ما لا يحصى من المآثر، فليس يعدل بنا عادل، و لا يبلغنا قول قائل، و ممّا الصديق و الفاروق و ذو النورين و الولي و السبطان و أسد الله و ذو الجناحين و سيف الله، و بنا عرفوا الدين، و أتاهم اليقين، فمن زاحمنا زاحمناه، و من عادانا اصطلمناه.

ثم أقبل خالد على إبراهيم فقال: أ عالم أنت بلغه قومك؟ قال: نعم. قال:

فما اسم العين؟ قال: الجحمة. قال: فما اسم السن؟ قال: الميذر. قال: فما اسم الأذن؟ قال: الصنارة. قال: فما اسم الأصابع؟ قال: الشناتر. قال: فما اسم اللحية؟ قال: الزب. قال: فما اسم الذئب؟ قال: الكنع. قال: أ فعالم أنت بكتاب الله؟ قال: نعم. قال: فإن الله عزّ و جلّ يقول: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَ قَالَ:

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَ قَالَ: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ فَنَحْنُ الْعَرَبُ وَ الْقُرْآنُ عَلَيْنَا أَنْزَلَ بِلِسَانِنَا، أ لم تر أن الله عزّ و جلّ يقول

وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ و لم يقل الجحمة بالجحمة، و الصنارة بالصنارة، و الميذر بالميدر، و قال: جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ و لم يقل شناتهم في صناراتهم، و قال لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي و لم يقل بزبي، و قال: أَكَلَهُ الذُّبُّ* و لم يقل أكله الكنع.

ثم قال خالد: إني أسألك عن أربع خصال لا يجعل الله لك منها مخرجا، إن أقررت بهن قهرت، و إن جحدت بهن كفرت، قال: و ما هي؟ قال: الرسول (صلى الله عليه و سلم) منّا أو منكم؟ قال: بل منكم. قال: القرآن علينا أنزل أو عليكم؟ قال: بل عليكم. قال: فالييت لنا أم لكم؟ قال: بل لكم. قال: فالمنبر فينا أو فيكم؟ قال بل فيكم.

قال: فاذهب فما كان بعد هذا فهو لكم. قال: فغلب خالد إبراهيم فأكرم أبو العباس خالدا و حابها جميعا، فقام خالد و هو يقول ما أنتم إلّا سائس قرد، أو

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩٨

دايع جلد، أو ناسج برد، ملكتكم امرأة و غرقتكم فأرة و دلّ عليكم الهدهد.

[شباب: جبل عظيم بقرب صنعاء بينها و بينه يوم واحد، و هو صعب المرتقى ليس إليه إلّا طريق واحد. و ذروته واسعة فيها ضياع كثيرة و مزارع و كروم و نخيل و الطريق إليها في دار الملك. و للجبل باب واحد مفتاحه عند الملك، فمن أراد النزول إلى السهل استأذن الملك حتى يأذن بفتح الباب له. و حول تلك الضياع و الكروم جبال شاهقة لا تسلك و لا يعلم أحد ما وراءها إلّا الله. و مياه هذا الجبل تنسكب إلى سدّ هناك، فإذا امتلأ السدّ ماء فتح ليجرى إلى صنعاء و مخالفيها.

و بها جبل كوكبان، إنه بقرب صنعاء عليه قصران مبنيان بالجواهر يلمعان بالليل كالكوكبين و لا طريق إليهما، قيل إنهما من بناء الجن. و بار: كانت أكثر الأرضين خيرا و أخصبها ضياعا و أكثرها شجرا و مياهها و ثمرها، فكثرت بها القبائل و عظمت أموالهم. و كانوا ذوى أجسام، فأشروا و بطروا لم يعرفوا حق نعم الله تعالى عليهم، فبدّل الله تعالى خلقهم و صيّرهم نسناسا لأحدهم نصف رأس و نصف وجه و عين واحدة و يد واحدة و رجل واحدة. فخرجوا يرعون في تلك الغياض على شاطئ البحر كما ترعى البهائم، و هم فيما بين و بار و أرض الشحر و أطراف اليمن يفسدون الزرع فيصيدهم أهل تلك الديار بالكلاب، ينفرونهم عن زروعهم و حدائقهم][١٤٩]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٩٩

باب في تصريف الجدّ إلى الهزل و الهزل إلى الجدّ

قال منصور بن عمّار [١٥٠]: خرجت في ليلة قد قيّدت العيون ظلامها، و أخذت بالأنفاس حندسها، فما يسمع إلّا غطيظ. و لا يحسّ إلّا نباح، فوجدت في بعض أبواب أهل الدنيا الذين قد سخرهم زخرفها، و راقهم زبرجها، و شغف قلوبهم بهجتها، رجلا واقفا و هو يقول بصوت لم يسمع أحسن منه و لا أشجى لقلب و لا أفرح لكبد و لا أبكى لعين:

أنا المسيء المذنب الخاطي المفرط البين إفراطى

فإن تعاقب كنت أهلا له و أنت أهل العفو عن خاطى

فلا- و الله أن ملكت نفسى، و تذكّرت ما سلف من ذنوبى، و وقفت كالواله المرعوب الحائر قد امتلأت من الله خوفا، و عملت على أنى قد أحرزت و عطا فقلت: أيها القائل ما أسمع و الباكى على ما سلف زدنا من هذا، فإنّ دواءك قد وافق داء قديما فعسى أن يشفيه، فزاد في صوته بترجيع قوله الذى قرح، قلبى و ذكّرني ذنوبى، ثم قال:

يا ساحرا أوطنى حبه و عشقه فى شرّ إراط

قلت: قبحك الله و اعطا و ترّحك، و آجرني على وقفتي عليك و طلبى منك، و أنت تطيع الشيطان و تعصى الرحمن، ثم قلت: اللهم اغفر لى و تب عليه.

و قال عوف بن مسكين: سمع الربيع بن خثيم فى جوف الليل رجلا يقول:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠٠

بعفوك يستكين و يستجير عظيم الذنب مسكين فقير

رجاك لعفو ما كسبت يداه و أنت على الذى يرجو قدير

فقال الربيع: أسألك بحق من ترجوه لما تريد إلّا رددت ما تقول، فجعل يردده، فقال الربيع: زدنى يرحمك الله فقال:

فقد علم الإله بما ألقى من الحب الذى ستر الضمير

فقال الربيع: و سواتاه من استماعى دعاء لغير الله جلّ و عزّ.

و مر سفیان الثورى برجل يبكى و يقول:

أتوب إلى الذى أمسى و أضحى و قلبى يتقيه و يرتجيه

تشاغل كل مخلوق بشىء و شغلى فى محبته و فيه

قال له سفیان: يا هذا لا تقنط كل هذا القنوط، و لا تيأس من الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده، و ذنبك بين المقصير و الغالى، فإن

كنت قد أسلفت ذنوبا فإنك من الإسلام لعلى خير كثير، استغفر الله و تب إليه، و أقلل من هذا البكاء، عصمنا الله و إياك، فنعم ما

شغلت به نفسك، فقال الرجل:

عسى قلب الممكن من فؤادى يرق لترك طاعة عاذليه

فقال سفیان: اللهم أعذنا من الحور بعد الكور: و لا تضلنا بعد إذ هديتنا، أعزب عزب الله بك.

و قال إبراهيم بن الفرج: مرّ خليل الناسك بغرفة مخلد الموصلى الشاعر و هو لا يعرفه فسمعه يقول:

أسأت و لم أحسن و جئتك هاربا و أنى لعبد غير مولاه مهرب

فوقف الخليل و مخلد يردد البيت و يبكى، و الخليل يبكى معه، ثم ناداه: يا قائل الخير عد، يا سائل الفضل زد، فقال مخلد: نعم و

كرامة يا أبا محمّد:

غزال إذا قبلته و لثمته رشفت له ريقا من الشهد أطيّب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠١

فقال الخليل: سقاك الله حميما و غساقا. ثم قال: اللهم لا تؤاخذنى بهذا الموقف و مضى.

و خرج عمر بن الخطاب يوما فإذا جوار يضربن بالدفّ و يغنين و يقلن:

تغنين تغنين فللهو خلقتن

فجعل يضرب رؤوسهن بالدرة و يقول: كذبتن كذبتن:

فأخزى الله شيطانارمى هذا إلكن

و قال بعض المتعبدين: كنت أماشى بعض الصوفية بين بساتين. البصرة فسمعنا ضارب طنبور يقول:

يا صباح الوجوه ما تنصفونا أنتم زدتم القلوب فتونا

كان فى واجب الحقوق عليكم إذ بلينا بكم بأن ترحمونا

قال فشهق شهقة ثم أفاق و قال: يا مغرور قل:

يا صباح الوجوه سوف تموتون و تبلى حدودكم و العيون

و تصيرون بعد ذاك رميما فاعلموا ذاك إن ذاك يقينا

و مر بعض الشعراء بنسوة فأعجبه شأنهن فأنشأ يقول:
 إِنَّ النَّسَاءَ شَيَاطِينَ خَلَقْنَ لِنَا عَوْذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ
 فَأَجَابَتْهُ وَاحِدَةٌ:

إِنَّ النَّسَاءَ رِيَاحِينَ خَلَقْنَ لَكُمْ وَكَلَّمَكُمْ يَشْتَهِي شَمَّ الرِّيَاحِينَ
 و مر حسين بن عليّ (رضى الله عنه) بنسوة فقال لهن: لولا أنتنّ لكنا مؤمنين،
 فأجابته واحدة منهن و قالت: لولا أنتم لكنا آمنين.

و كان عمرو الجهنيّ ناسكا فدخل المسجد الجامع بالبصرة فوقف على حلقة النهديين و القرشيين و أنشأ يقول:
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠٢

ما جرت خطرة على القلب منى منك إلا استترت من أصحابي
 بدموع تجرى و إن كنت وحدى خاليا أتبع الدموع انتحابي
 أنت همى و منيتى و هواى و رجائى و غائتى و ارتقابى

قال: فتصوّب الحلق يستمنعون إليه فأقبل عليهم و قال: هذا يقوله مخلوق لمخلوق و تدعون الخيرات الحسان المقصورات فى الخيام.
 و قال بشر بن أبى قبيصة: قلنا لأبى همّام- و قد كان غلب على عقله- تأمر فى ميراثك عن أبيك؟ فأقبل علينا مغضبا و قال: يا بشر! أو
 يتوارث أهل ملتين؟

قلت: و نحن أهل ملتين؟ قال: نعم، أنتم تزعمون أن الله قضى الخير و لم يقض الشرّ، و أنا أزعم أن الله قضى الخير و الشرّ، و أن من
 عذبه الله عذبه غير ظالم له، و من رحمه فرحمته وسعت كلّ شىء.

و قال عبد الله بن إدريس: مررت بابن أبى مالك و كان معتوها ذاهب العقل لا يتكلّم حتى يكلم، فإذا كالم أجاب جوابا معجبا، فقلت:
 يا ابن أبى مالك ما تقول فى النبيذ؟ قال: حلال. قلت: أ تشربه؟ قال: إن شربته فقد شربه و كيع و هو قدوة.

قلت: تقتدى بوكيع فى تحليله و لا- تقتدى بى فى تحريمه و أنا أسنّ منه؟ قال: قول و كيع مع اتفاق أهل البلد معه أحبّ إلى من
 مقالتك مع خلاف أهل البلد عليك.

و قال عبد الله بن إدريس: مررت بابن أبى مالك فناديته فقال: ما تشاء؟ قلت: متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسؤول بأعلم من السائل،
 غير أن من مات فقد قامت قيامته، و الموت أول عدل الآخرة. قلت: فالمصلوب يعذب؟ قال: إن كان مستحقا فإن روحه يعذب و ما
 أدرى لعلّ هذا البدن فى عذاب من عذاب الله لا تدركه عقولنا و أبصارنا، فإن لله لطفلا لا يدرك.

و كان جالسا فى موضع قد كان فيه رماد و معه قطعة جصّ فكان يخطّ به فيستين بياض الجصّ فى سواد الرماد، فتبسّم فقلت له: أى
 شىء تصنع؟ قال: ما كان يصنع صاحبنا مجنون بنى عامر. قلت: و ما كان يصنع؟ قال: أو ما سمعته يقول:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠٣

عشيّة ما لى حيلة غير أنّى بلقط الحصى و الخطّ فى الدار مولع
 أخطّ و أمحو الخطّ ثم أعيده بكفى و الغزلان حولى ترتع

قلت: ما سمعته، فتضحك ثم قال: أما سمعت الله عزّ و جلّ يقول: أَلَمْ تَرِ إِلَى رِبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ أَسْمَعْتَهُ أَمْ رَأَيْتَهُ؟ يا ابن إدريس
 هذا كلام العرب.

و قال خلف بن تميم: عدنا مريضا فقال رجل ممن كان فى البيت:

ناد ربّ الدار ذا المال الذي جمع المال بحرص ما فعل

فأجابه من ناحية البيت:

كان في دار سواها داره علّته بالمنى ثم ارتحل

إنّما الدنيا كظل زائل طلعت شمس عليه فاضمحل

وقال بعضهم: أحببت جارية من العرب ذات جمال وأدب، فما زلت أحتال في أمرها حتى التقينا في ليلة ظلماء شديدة السواد فقلت

لها: طال شوقي إليك، قالت: وأنا كذلك، وإنّما تجرى الأمور بالمقادير. فتحدّثنا ثم قلت: قد ذهب الليل وقرب الصبح، قالت: و

هكذا تنفذ اللذات وتنقطع الشهوات، قلت: لو أدنيتني منك. قالت: هيهات إنى أخاف الله من العقوبات، قلت: فما دعاك إلى

الحضور في هذا الموضوع الخالي؟ قالت: شقوتي وبلائي. قلت: فما أراك تذكّرني بعد هذا، قالت: ما أراني أنساك و أما الاجتماع

فما أراني أراك ثم ولّت عني وقالت:

أخاف الله ربّي من عذاب شديد لا أطيق له اضطبارا

قال: فاستحييت والله ممّا سمعت منها وانصرفت وقد ذهب عني بعض ما كنت أجد بها.

قال: وكان سليمان بن عبد الملك شابًا وضيئًا وكان يعجبه اللباس والخمرة، فلبس ذات يوم وتهيأ ثم قال لجاريته له حجازية: كيف

ترين الهيئة؟ قالت: أنت أجمل الناس. قال: أنشدني على ذلك، فقالت:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠٤

أنت خير المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلو من العيوب ومما يكره الناس غير أنك فان

قال عبد الملك بن مروان يوما لجاريته له: ألقيت على جلسائي صدر بيت فأعياهم إجازته. قالت: و ما هو؟ قال:

نروح إذا راحوا و نغدوا إذا غدوا فقلت: و عمّا قليل لا نروح ولا نغدو

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠٥

باب في مدح الغربة والاعتراب

قال الله عزّ وجلّ: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ وقال: فَمَاذَا قُضِيَ الصَّلَاةُ

فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وقال: أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ وقال: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ الْآيَةَ،

قال: و روى الزبير بن العوام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «البلاد بلاد الله، و العباد عباد الله، فحيث ما أصبت خيرا فأقم،

و اتق الله»

وقال: «سافروا تغنموا»

وقال (صلى الله عليه وسلم): «موت الغريب شهادة».

قال أبو المليح: أتيت ميمون بن مهران و قلت له: إنى أريد سفرا، فقال: اخرج لعلك تصيب من آخرتك أفضل ما تؤمل من دنياك،

فإن موسى بن عمران خرج يقتبس نارا لأهله فكلمه الله عزّ وجلّ، و خرجت بلقيس تطلب ملكها فرزقها الله الإسلام.

وقال عمر (رضي الله عنه): لا تلتوا بدار معجزة- أى لا تقيموا.

وقال سفيان الثوري: لما خرج يوسف (عليه السلام) من الجبّ قال قائل منهم: استوصوا بالغريب خيرا، فقال يوسف: من كان الله معه

فلا غربة عليه.

و عن شريح بن عبيد قال: ما مات غريب في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت السماء عليه و الأرض و أنشد:
 إنَّ الغريب إذا بكى في حندس بكت النجوم عليه كلُّ أو ان
 و قال معاوية للحارث بن الحباب: أي البلاد أحب إليك؟ قال: ما حسنت فيه حالي و عرض فيه جاهي ثم أنشأ يقول:
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠٦

فلا كوفه أمتي و لا بصره أبي و لا أنا يثيني عن الرّحله الكسل
 و قرئ على باب خان طرسوس:

ما من غريب و إن أبدى تجلده إلا سيذكر عند الغربة الوطن
 و أسفل منه مكتوب:

أير الحمار و أير البغل في قرن في است الغريب إذا ما حنّ للوطن

و قال بعضهم: غرس المشقة مع دوام الغربة يحببان الدعة، و حسن التعب يصير إلى محلّ الراحة. و قال بعضهم: اطلبوا الرزق في البعد
 فإنكم إن لم تغنموا مالا كثيرا غنتم عقلا كبيرا و أنشد:

لا يمنعك خفض العيش في دعة حنين نفس إلى أهل و أوطان

تلقي بكلّ بلاد إن حللت بها أهلا بأهل و جيرانا بجيران

هذا كما قيل في الأثر: ليس بينك و بين البلدان عداوة، فخير البلاد ما احتملك. و قال بعض المحدثين:

و ما بلد الإنسان غير الموافق و لا أهله الأذنون غير الأصادق

و قال آخر:

و إذا الديار تنكرت عن حالها فدع الديار و أسرع التحويلا

ليس المقام عليك فرضا لازما في بلدة تدع العزيز ذليلا

و قال آخر:

إذا كنت في أرض تكرهت أهلها فدعها و فيها إن رجعت معاد

و قالوا: الراحة عقله. و قال أحمد بن المعافى:

إنّ التواني أنكح العجز بنته و ساق إليها حين زوجها مهرا

فراشا و طيا ثم قال لها أتكى فقصرهما لا شك أن يلبدا الفقرا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠٧

نعوذ بالله منه، و قال آخر:

أغرّك أن كانت لبطنك عكنه و أنك مكفى بمكة طاعم

و قال الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و أقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

و قالوا: قناعه الناس بالأوطان من النقص و الفشل و الطلب من علم التجارب و العقل.

و قال أكتهم بن صيفي: ما يسرني أني مكفى أمر الدنيا، و أني أسمنت و ألبنت.

قالوا: و لم؟ قال: مخافة عادة العجز.

و قالوا: لا توحشك الغربة إذا آنست بالكفاية، و لا تجزع لفراق الأهل مع لقاء اليسار.

و قالوا: الفقر أوحش من الغربة، و الغنى آنس من الوطن، و ترك الوطن أدنى إلى فرح الإقامة.

و قيل: الفقير في الأهل مصروم، و الغنى في الغربة موصول.

و قالوا: أوحش قومك. ما كان في إيحاشهم أنسك، و اهجر وطنك ما نبت عنه نفسك.

و قالوا: إذا عدت أنكرك قريبك، و إن أثرت عرفك غريبك.

و قال قس بن ساعدة: أبلغ العظات النظر إلى محلّ الأموات، و أفضل الذكر ذكر الله، و خير الزاد التقوى، و أحسن الجواب الصمت، و

أزين الأمور الاحتمال، و الحزم شدة الحذار، و الكرم حسن الاضطبار، و في طول الاغتراب فوز الاكتساب.

و قال آخر: تألفوا النعم بحسن مجاورتها، و التمسوا المزيد بحسن الشكر، و اغتربوا لتكسبوا، و لا تكونوا كالنساء اللاتي قد رضين

بالكنّ و اقتصرن على

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠٨

القعود، فإن الغربة تحرّج الغمر، و تشجّع الجبان، و تحرّك المضطجع، و تزيد في بصيرة الماهر.

و قال:

الفقر في أوطاننا غربة و المال في الغربة أوطان

و قال آخر: لا يآلف الوطن إلّا ضيق العطن.

و قال آخر: ما حنّ أحد إلى بلد جمع فيه شمله إلّا لوصمة في عقله، و لا تنزع بامرء نفسه إلى بلد قلّ به رفته إلّا لاستيلاء الموق عليه.

و قالوا: الحنين إلى الأوطان من أخلاق الصبيان و في طول الاغتراب فوز الاكتساب، و في فائدة صالح الإخوان مع النزوح عن الأوطان

سلو عن مقارنة الجيران، و لولا- اغتراب الناس عن محالهم ضاقت بهم البلدان و سئم ألافهم الإخوان، و من طالب أخاه بمحلّه قلّت

هيئته و سئمه أهله و تمّنوا الراحة منه. قال:

و لولا اغتراب المغتربين ما عرف ما بين الأندلس إلى الصين، و لا ردم الإسكندر السدود، و دوّخ الأقاليم، و مدّن المدن، و بخر له

ملوكها بالطاعة، و لا- قتل دارا بن دارا، و لا أسر الأساورة، و لا جمعت الملوك بين الصفائح اليمانية، و القبض الهندية، و الرماح

البلوصية، و الأسنة الخزرية، و الأعمدة الهروية، و الأجرنة [١٥١] الأروسية، و الخناجر الصغدية، و السروج الصيية، و الدروع

السابرية و الجواشن الفارسية، و القسي الشاشية، و الأوتار التركية، و السهام النوكية، و الجعاب السجزية، و الدرق المغربية، و الأترسة

التبتية، و الجلود الزنجية، و النمر البربرية، و اللجم الخاندية و الركب المروزية، و الستور الصيية، و الخيل الخزرية، و الكراسي

القمية، و الشهارى البخارية و البغال الأرمية، و الحمير الميسية، و الكلاب السلوقية، و البزاة الرومية، و الصوالجة النهاوندية، و الثياب

المتيرة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٠٩

الرازية، و الأكسية القزوية، و الثياب السعيدية، و الحلل اليمانية، و الأردية المصرية، و الملاحم الخراسانية، و الثياب الطاهرية، و الحلل

الأندلسية، و الدرّ العماني، و الياقوت السيرنديي، و الحرير الصيني، و الخزّ السوسى، و الديباج التستري، و البيزون الرومي، و الكتان

المصرى، و الوشى الكوفى، و العتابى الأصبهاني، و لا علم أن بلاد المغرب و مصر عجائب لا تكون إلّا بها مثل منارة الإسكندرية و

عمود عين الشمس، و الهرمان و جسر أذنه، و قنطرة سنجة، و كنيسة الزها، و سور أنطاكية، و الأبلق الفرد، و برهوت، و هاروت، و

الفرس الذى فى أقصى المغرب، و الأسد الذى بهمدان، و السمكة و الثور بنهاوند، و إيوان كسرى بالمدائن، و تخت شبديز فى الطاق،

و بناء قصر شيرين و الدكان، و أساطين قصر اللصوص، و عجائب رومية، و التمساح بالنيل، و الرعاد و السقنقور، و غير ذلك مما لا

يحصى و لا يعدّ. و قالوا: أبعد الناس نجعة فى الكسب بصرى، و حميرى، و من دخل فرغانة القصى، و السوس الأقصى، فلا بدّ أن

يرى فيها بصرى، أو حميرى، على أن أهل إصبهان و الخوز معروفون بذلك، و يجد فى كل بلد منهما صفًا قائما.

و مما قالوا في التقلب في البلدان و التباعد في الأطراف قول أبي العتاهية في الرشيد:

و لولا أمير المؤمنين و عدله إذا لبغى بعض البلاد على بعض
و سيطرة هادون في الأرض بالهدى ليحكم بالإبرام لله و التقض
لئن كان ذو القرنين أدرك غاية لحسبك من هارون ما سار في الأرض
و قال آخر في غزوة خراسان:

و ما كان ذو القرنين يبلغ سعيه و لا غزو كسرى للهياطلة الجرد
و جؤاب آفاق و طلاع أنجدو طلب و تر لا ينم على حقد
و قال آخر في تقلبه في البلاد:

خليفة الخضر من يربع على وطن في بلدة فظهور العيس أوطاني
بالشام داري و بغداد الهوى وطني بالزقمتين و بالفسطاط إخواني
البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١٠

و ما أظنّ النوى ترضى بما صنعت حتى تسافر بي أقصى خراسان
و قال الطائي:

إن تراني ترى حساما صقيلا مشرفيا من السيوف الحداد
ثاني الليل ثالث البيد و السير نديم النجوم ترب السهاد
كلم الخضر لي يصيرني بعدك عينا على عيار البلاد
ليلة بالشام تمت بالأهواز يوما و ليلة بالسواد
وطني حيث حطت العيس رحلي و ذراعي الوساد و هو مهادي
و قال آخر في شبيه هذا المعنى:

قبح الله آل برمك إنني صرت من أجلهم أخوا أسفار
إن يك ذو القرنين قد مسح الأرض فإني موكل بالعيار
و يقول الشاعر للمعتصم بالله:

تناولت أطراف البلاد بقدره كأنك فيها تبتغي أثر الخضر

قال: و قد كانت للخلفاء فتوح و لكنّه لم يتسق لأحد ما اتسق للمأمون و عبد الملك بن مروان و المعتصم بالله، إلا أن فتوح المأمون و عبد الملك كانت لمن قصد إلى ملكهما، فبلغا في ذلك ما لم يبلغه أحد في الإسلام من الملوك، و للمعتصم ست فتوح عظام جليّة، لم يحارب في واحدة منهن إلا من قصد المسلمين دون ملكه خاصّة، فمن ذلك: مازيار ملك طبرستان عبد أن غلب و قتل و تمكّن من تلك القلاع و الجبال المنيعه و السبل الوعرة حتى ظفر به و قتله، و من ذلك: بابك كسر العساكر و قتل الأجناد و قتل القواد و أخرج البلاد و ملأ القلوب هيبه و مخافة فأخذه أسيرا و قتله و صلبه إلى جنب مازيار، و من ذلك: فتح عمورية، و هزيمة الطاغية أمير ياطيس صاحب الصّواحي، فأسرّه و صلبه إلى جنب بابك و مازيار، و من ذلك: استباحته الرّط حتى اجتث أصلهم و أباد خضراءهم، بعد أن منعوا بغداد الميرة، و قتلوا القواد، و غلبوا على البلاد، و بعد أن رامهم خليفة بعد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١١

خليفة، و من ذلك: أمر جعفر الكرديّ و إخافته السبل فظفر به و قتله، و من ذلك:

ما كان منه في أمر الهند و شقّ الهند كلّها، حتى ظفر من عدد البروج و رؤساء الهند و إبطال المقاتلة و أخرب السواحل على يدى عمر بن الفضل الشيرازي.

ثم خليفتنا المعتضد بالله أتسق له من الفتوح الجلييلة العظيمة مثل ذلك فمن ذلك: أسره لهارون الخارجى الشارى بعد أن كان قد تغلب على البلاد و منع الميرة من جميع الآفاق، و من ذلك: قصده لآل عبد العزيز بن أبى دلف بناحية الجبل، حتى اجتث أصلهم، و استباح حريمهم، ثم ما كان من شأن رافع بن هرثمة و خلعه الطاعة، فحمل رأسه إلى مدينة السلام، ثم أمر محمّد بن زيد العلوى بطبرستان بعد أن تمكّن من القلاع و الحصون التى لا ترام، بعد أن كانت الخطبة قد انقطعت عنهم ثمان و ثلاثين سنة بمقامه و مقام الحسن بن زيد، و كان دخول الحسن بن زيد إليها فى المحرم سنة ٢٥٠، و توفى فى ذى الحجة سنة ٢٧٠، و صار مكانه أخوه محمّد بن زيد، فقتل (رحمه الله) بجرجان يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة ٢٨٧، و من ذلك: عمرو بن الليث الصفار و قتله إياه، و من ذلك: فتح آمد و هى أحصن مدينة فى بلاد العرب، و إيقاعه بابن الشيخ، و أخذه إياه أسيرا، ثم أمر و صيف الخادم و خروجه إليه بنفسه إلى تخوم أرض الروم حتى أوقع به و أخذه أسيرا، ثم قتله و صلبه [١٥٢].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١٢

و كان الحسن بن عليّ (رضى الله عنهما) يتمثل:

من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجابموتا على عجل أو عاش منتصفا

لا تركبوا السهل إن السهل مفسدة لن تدرکوا المجد حتى تركبوا عنفا

و قالوا: ليكن اليقين من أفضل سلاحك، و الرضا بالقضاء من أفضل أعوانك و الجدّ فى طلب الخير من بالك، و أنشد:

فلا تحسبن الرزق بابا سدده عليّ و لا أتى إليك فقير

ففى العيس منجاة و فى الأرض مذهب و فى الناس أبدال سواك كثير

و كتب بعضهم إلى أهله من بلاده بعيدة:

كتابى إليكم من بلاد بعيدة تجشمتها كى لا يضرّ بى الفقر

و أنشد:

اصبر لها فالحرّ صباراً أو اشكها إن مسك العار

دائرة دارت على عاقل لم يخشها و الدهر دوّار

نبت بك الدار فسر آمنالفتى حيث انتهى دار

و لبعضهم:

تبدّل بدار غير دارك موطناً إذا صعبت فيها عليك المطالب

فما الكرج الدنيا و لا الناس قاسم و فى غيرها للطالين مكاسب

و للطائى:

و طول مقام المرء فى الحيّ مخلوق لديبا جتته فاغترب تتجدّد

ألم تر أنّ الشمس زيدت محبة إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

و قالوا: العسر فى الغربية مع العزّ، خير من اليسر فى الوطن مع الذلّ. و قيل لآخر: ما العيش؟ قال: دوران البلدان، و لقاء الإخوان، و

مغازلة القيان، و مرافقة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١٣

الفتيان، و استماع النعمات من الزير و المثانى.

وقيل لآخر: ما السرور؟ قال: غيبه بعد غنى و أوبه تعقب منى. و قال آخر:
 سرى طيفها نحو امرئ متطوح طليح سفار أسفع اللون شاحب
 تراه كنصل السيف أصدأ صفحة مقادمه و النصل ماضى الضرائب
 تغرب يبغى اليسر ليس لنفسه خصوصا و لكن لابن عم و صاحب
 و ما عذر ذى العشرين و الخمس قاعداو لم يبيل عذرا فى طلاب الرغائب
 و من لا يزل يخشى العواقب لا يزل مهينا رهينا فى حبال العواقب
 و أشفق من اسم التنكر مقترافلم ينجه إلّا نجاى الركائب
 و لعبد الله بن طاهر:

وا سوءتى لامرئ شبيته فى عنفوان و ماؤها خضل
 و هو مقيم بدار مضيعه طباعه فى اصطناعه الفشل
 راض بدون المعاش متضع على تراث الآباء متكل
 لا حفظ الله ذاك من رجل و لا رعاه ما حنت الإبل
 كلاً و ربى حتى يكون فتى قد نهكته الأسفار و الرّحل
 تسمو به همّة منازعه و طرفه بالسهاد مكتحل
 نال بلا منة و لا ضرع و لا بوجه تفوته الحيل
 إلّا بعض أو مت بشفرته كفّ تمطى بها فتى بطل
 حتى متى يصحب الرّجال و لا يصحب يوما لأمه الهبل

و كان عمرو بن العاص يقول: عليكم بكلّ أمر مزلفه مهلكه، أى عليكم بجسام الأمور.

و لما نظر معاوية إلى عسكر أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: من طلب عظيما خاطر بعظيمته - يعنى برأسه -.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١٤

و كان يقال: من سرّه أن يعيش مسرورا فليقتنع، و من أراد الذكر فليجتهد، و من أراد أن يعتبر فليغترب. و قالوا: لا ينبغى للعاقل أن يكون إلّا فى إحدى منزلتين: إمّا فى الغايه القصوى من الدنيا و الطلب لها، أو فى الغايه و النهايه من الترك لها.

و قال آخر: الدنيا مرعى فمن وجد الكلا فى موضع فليلزمه. و لأبى نواس:

أرى النفس قد أضحت تتوق إلى مصرو من دونها جوب الحزونه و الوعر
 و و الله ما أدرى أ للخفض و الغنى أساق إليها أم أساق إلى قبرى
 سأرمى بنفسى عن قريب أمامها و أترك قول العاذلين ذوى الرّجر
 لأنّ الذى قد قدر الله كائن ألا إنّما تجرى الأمور على قدر

و قال آخر: السلامه إحدى العصمتين، و المرأة الصالحه إحدى الكاسيين، و اللبن إحدى اللحمين، و العاده إحدى الطبيعتين، و الدعاء للسائل إحدى الصدقتين، و خفه الظهر أحد اليسارين، و الغربه إحدى اللذتين.

و أنشدنى صديق لابن عبدوس الكاتب:

زعم الذين تشرفوا و تغربوا أنّ الغريب و إن أعزّ دليل
 فأجبتهم إنّ الغريب إذا أتقى حيث استقلّ به الركاب جليل
 قالوا الغريب يهان قلت تجلدا إنّ الإله بنصره لكفيل

قالوا إذا مات الغريب ببلدة أدلى و لم يسمع عليه عويل
 قلت الغريب كفاه رحمة ربه و غنى البكاء عن الفقيد قليل
 و له أيضا:
 يقولون لى لا تغترب قلت إننى إذا ما اتقيت الله غير غريب
 إذا كنت ذا عسر و حال خسيسه أمنت شماتات بها لقريب
 و إن كنت ذا مال و حال جليله فأحذر أن لا يطلبون عيوبى [١٥٣]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١٥

القول فى مصر و النيل

إشارة

قال الكلبي: سميت مصر بمصر بن أينم بن حام بن نوح، و افتتحها عمرو بن العاص، و روى فى قول الله عزّ و جلّ: وَ أَوْيَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ قال: مصر. قال ابن السكيت: سميت مصر لأنها الحدّ، و أهل هجر يكتبون فى شروطهم اشترى جميع الدار بمصورها أى بحدودها، قال عدى بن زيد التميمي:
 و صير الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار و بين الليل قد فصلا
 أى حدّا حاجزا. و قال عبد الله بن عمرو: من أراد أن ينظر إلى الفردوس فلينظر إلى مصر حين تحرث. و روى عن الضحّاك بن مزاحم عن ابن مسعود مرفوعا قال: ينادى يوم القيامة مناد من السماء يا أهل مصر فيقولون جميعا أولهم و آخرهم: لبيك، فيقال: إن الله عزّ و جلّ يقول ألم أمنن عليكم بسكنى مصر، و أطعمتكم فيه الخمر [١٥٤] و الخمير و صيد طير السماء و حيتان البحر و الماء العذب؟ فيقولون: بلى ربنا.

و أرض مصر محدودة أربعين ليلة فى مثلها، و كانت منازل الفراعنة و كان اسمها باليونانية مقدونية، و طول مصر من الشجرتين اللتين بين رفح و العريش إلى أسوان، و عرضها من برقة إلى أيلة و هى مسيرة أربعين ليلة فى أربعين ليلة، و من بغداد إلى مصر خمس مائة و سبعون فرسخا، يكون ذلك أميالا ألف و سبع مائة و عشرة أميال [١٥٥].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١٦

قال: و قال عبد الله بن عمرو بن العاص: البركة عشر بركات، فى مصر تسع بركات و فى الأرضين بركة واحدة. و الشّر عشرة أجزاء، بمصر جزء واحد، و فى الأرض كلّها تسعة أجزاء و أما معنى قولهم: عمر مصر الأمصار فإنه لم يحدث إلّا البصرة و الكوفة، و قد تفعل العرب هذا فتسمى الاثنين باسم الجميع، و قال الحسن: مصر سبعه أمصار: المدينة، و البحرين، و البصرة، و الكوفة، و الجزيرة، و الشام، و مصر. و قال أبو الخطاب: لم يذكر الله جلّ و عزّ شيئا من البلدان باسمه فى القرآن ما ذكر مصر حين قال: وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ و قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: اهْبُطُوا مِصْرًا، وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوُّا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بِيوتًا وَ كُنَّا هَا فَهَذَا عَزَّ وَ جَلَّ: وَ قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ وَ سَمَّاها اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ الْأَرْضِ فَقَالَ: وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا آيَةً وَ سَمَّى اللهُ جَلَّ وَ عَزَّ ملكها العزيز فقال: قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ وَ قَالَ:

يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا وَ أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: رأيت بمنف من كور مصر دار فرعون، و درت فى مجالسه، و مشارفه و غرفه و صفافه فإذا كلّه حجر واحد منقور، فإن كانوا لا يحكوا بينه حتى صار فى الملامسة لا يستبين فيه مجمع حجرين، و

لا- ملتقى صخرتين، فهذا عجب، وإن كان حجرا واحدا فنقرته الرجال بالمناقير حتى تحزقت فيه تلك المخارق إن هذا لأعجب، و النيل قد سماه الله بحرا قال الله: فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَهِيَ ذات عيون سقّاهة. و من مفاخر أهل مصر مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، و تزوج خمس عشرة امرأة، و توفي (صلى الله عليه وسلم) عن تسع، و حرم الله جلّ و عزّ مارية على الرجال بعد أن ولدت إبراهيم من بعد وفاة النبي (عليه السلام) كما حرم سائر نسائه. من مفاخر مصر هاجر أم إسماعيل (صلى الله عليه وسلم) الصادق الوعد. و قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «إذا استفتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإنى لهم صهر». و قالوا: لو عاش إبراهيم ما ملكت قبطية أبدا. قالوا: و أرض مصر محدودة في الكتاب. إنها مسيرة أربعين ليلة في مثلها، و أرض السودان مسيرة سبع سنين، فما فضل عنهم من مائها صار البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١٧

إلى مصر، و أرض مصر جزء من ستين جزءا من أرض السودان، و أرض السودان جزء من ستين جزءا من الأرض. و من مفاخر مصر و سكانها من القبط مؤمن آل فرعون، و السحرة و أصحاب التوبة النصوح، و هاجر، و آسية، و أم إبراهيم، و فى نسائهم ملح و هن يشبهن فى الحظوة البربريات، و القبط أحذق فى الكمانكية [١٥٦] و اللعب من السند، و مع القبط خفة عجيبة. و بمصر جبل المقطم، و يروى عن كعب أنه قال: جبل مصر مقدس من القصير إلى اليموم، و سأل كعب رجلا يريد مصر فقال: أهد لى تربة من سفح مقطمها، فأتاه بجراب، فلما توفي أمر به ففرش تحت جنبه فى قبره. و قالوا: جبل الزمرد من جبال البجة موصول بالمقطم، و المقطم جبل مصر. و قال ابن لهيعة: سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم كله بسبعين ألف دينار، فكتب عمرو إلى عمر فقال عمر: سله لم أعطانا بها و هى لا تستنبط، و لا تزرع فقال: إنى أجد فى الكتب أن فيه غرس الجنة، فأعلم عمرو عمر ذلك فكتب إليه: إننا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين، فاقبر فيه من مات من المسلمين، و لا تبعه بشيء، فكان أول من قبر فيه رجل من المعافر، يقال له عامر، فقيل عمرت.

و مدينة فسطاط: هى مدينة مصر سميت بذلك لأن عمرو بن العاص ضرب فسطاطه بذلك المكان بباب أليون، و سويقه وردان بمصر، و بمصر حائط العجوز على شاطئ النيل، بنته عجوز كانت فى أول الدهر ذات مال، و كان لها ابن و كان واحدا فقتله السبع فقالت: لأمنعن السباع أن ترد النيل، فبنت ذلك الحائط حتى لا تصل السباع إلى النيل، و يقال: إن ذلك الحائط كان طلسمًا و كان فيه تماثيل، كل إقليم على هيئتهم و زيهم، و الدوابّ و السلاح، و كل أمة مصورة فى طرقها التى تجىء منها، فإذا أراد أهل إقليم غزو مصر و انتهوا إلى تلك الصور انصرفوا، و يقال: بنى ذلك ليكون حاجزا بين أهل الصعيد و النوبة، لأنهم كانوا يغيرون على البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١٨

أهل الصعيد و لا يستعرفون، فبنى ذلك من أهل النوبة. و قيل أمر بعض الملوك أفلاطون فبنى بناحية مصر ممّا يلي البر حائطا طوله ثلاثون فرسخا ما بين الفرما إلى أسوان حاجزا بينهم و بين الحبشة. و بالفسطاط صورة امرأة من حجر عظيمة قاعدة، على رأسها إجانة و على كل واحدة من ركبتيها درجة إلى غرفة، تسمى أم يزيد الخولانية.

و قالوا: البطّ ترعى بمصر كما ترعى الغنم، و بها الثعابين و ليس هى فى بلد غيرها، و إليها حوّل الله عصا موسى، قال الله عزّ و جلّ: فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ يعنى أنه حوّلها ثعبانا. و من أعاجيب مصر النمس، و ليس ذلك لأحد غيرهم، و هى من عجائب الدنيا، و ذلك أنها دويبة متحركة كأنها قديرة، فإذا رأت الثعبان دنت منه، فينطوى الثعبان عليها يريد أن يعصها و يأكلها، فتزفر زفرة تقدّ الثعبان بقطعتين، و ربّما قطعته قطعاً، و لولا النمس لأكلت الثعابين أهل مصر، و هى هناك أنفع لأهلها من القناذد لأهل سجستان،

و سجستان بلد كثير الأفاعى و فى شروطهم أن لا يقتل لهم قنفذ و لا يصاد. و بمصر أعجوبة أخرى و هى التمساح، لا يكون إلّا فى النيل، و يكون فى نهر السند مهرا [١٥٧]، فإذا عضّ أوغل أسنانه و اختلفت، فلم يدع ما أخذه حتى يقطع بأسنانه ما قبض من شىء، و حنكه الأعلى يتحرّك و لا يتحرّك الأسفل، و ليس ذلك فى غيره من الدواب، و لا يعمل الحديد فى جلده، و ما بين رأسه و ذنبه عظم واحد، و ليس يلتوى و لا ينقبض لأنه ليس فى ظهره خرز، و إذا انقلب لم يستطع أن يتحرّك، و إذا سفد الذكر الأنثى خرج من النيل فيلقبها على ظهرها ثم يأتيها مثل ما يفعل الرجل بالمرأة، فإذا فرغ ألقبها، و إن أقرّها على ظهرها صيدت، لأنها لا تقدر أن تنقلب، و ذنب التمساح حاد جدا، فربما قتل من الضربة، و ربما جرّ الثور إلى نفسه فيأكله، و له بيض مثل بيض الأوز، و بيض ستين بيضة، و له ستون فإذا سفد ففى ستين مرة، فإذا خرج التمساح من بيضه خرج مثل الحرذون فى خلقه و جسمه، فيعظم حتى يكون عشرة أذرع أو

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١١٩

أكثر، و هو يزيد كلما عاش، و إن أخذ من جانب حنكه الأيمن، أول سنّ فى الحنك و علّق على من به حمى نافض تركته من ساعته، و ربما دخل اللحم فى خلال أسنانه فيفتح فاه، و له صديق من الطير يشبه بالطيطوى، يجيئه حتى يسقط على شذقه فيخلل بمنقاره ذلك اللحم، فيكون ذلك طعاما للطير، و ترفيها للتمساح لأنه ينقى ما فى أسنانه من اللحم و يحرسه هذا الطائر ما دام ينقى أسنانه فإن رأى صيادا أو إنسانا يريد. أو ابن عرس فإنه عدوّه أعلمه ذلك و ذلك إن ابن عرس يجىء إلى التمساح و هو نائم و يحبّ النوم على شطّ النهر فيستحمّ فى الماء و يتمرّغ فى الطين ثم ينتفض حتى يقوم شعره فى فم التمساح فيقتله قتلا- عنيفا أو يأكل ما فى جوفه فلذلك الطير يحرس التمساح و إذا رأى ابن عرس مقبلا- أنه التمساح و آذنه فيهرب التمساح إلى الماء و ليس هذا بأعجب من الخلد و هى دابة عمياء فتخرج من جحرها فتفتح فاهها فيتساقط الذبان فى فيها و أشداقها و لا تزال تضمّ فاهها على الذبان و تبلعه حتى تشبع ثم تدخل جحرها و ليس هذا بأعجب من طائر ينير يراهما الناس من أدنى حدود البحر من شقّ البصرة إلى غاية البحر من شقّ السند أحدهما كبير و الآخر صغير يقال لأحدهما جوانكرك و يسمى الآخر جرشى فلا يزال الصغير يرتق على رأس الكبير و يعبث به و يطوف حوله و يخرج من بين رجليه و يغمه و يكره حتى يتقيه بذرقه فإذا ذرق الجرشى تلقاه الجوانكرك فلا- يخطئ أقصى حلقة حتى كأنه ردى به فى بئر فإذا استوفى ذلك الذرق رجع شعبان ريان بقوت يومه و مضى ذلك الكبير لطيته و أمرهما مشهور ظاهر، و أعجوبة أخرى و هو إن الدّخس من دوابّ الماء مما يقيس السمك و ليس بسمك يعرض للغريق فيدنون منه حتى يضع الغريق يده على ظهره فيسبح و الغريق يذهب معه و يستعين بالالتكاء عليه و التعلق به حتى ينجيه، و هو عند البحرين مشهور، قالوا و من آدهن بشحم حرذون ثم ألقى نفسه على التمساح فى الماء صاده و الحرذون دويبة تكون بمصر و زبله ينفع من وجع العين و يقاتل العقرب و إذا ظفر بالجدى أكل أذنه، و أهل مصر يعدّون كون التمساح فى النيل من غرائب ما عندهم و هو كثير فى خلجان سندان و الزنج و لكنهم لا يعرفون له هناك هذا الطائر الذى يخلل أسنانه، و كون التمساح موصول فى نيل

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢٠

مصر بوادى مهرا و هو وادى السند و من هناك أتاه. و بمصر من العجائب الفرس الذى يكون فى النيل يأكل التماسيح و غيره من الدوابّ و يربى هذا الفرس إذا كان فلوا فى البيوت مع النساء و الصبيان و فى سنّه شفاء من وجع المعدة. و النوبة و الحبشة تتعالج به لأنهم يأكلون الأطعمة الغليظة فيشرفون على الموت من وجع المعدة فيأخذون سنّ هذا و يتعالجون به فيبرؤون و أعفاجه تبرئ من الجنون الذى يأخذ فى الأهلّة. و من عجائب النيل دابة تسمى ذا القرن تكون فى النيل على أنفها مثل السيف الحادّ تقطع الصخرة إذا ضربتها و ربما قتلت به القيل.

و أهل مصر يعدّون النيل من أحد عجائبهم و ذلك أنه مخالف لجميع الأودية التى عليها ضبع العالم و كلّ سرب و مغيض فإنما استقباله من ناحية الشمال و ليس النيل كذلك لأن مجراه من ناحية الجنوب و ليست التماسيح فى شىء من هذه الأودية المعروفة لا

ترى بالفرات و لا- دجلة و لا- سيحان و لا- جيحان و لا- نهر بلخ، و لا- فيها من الفساد و الدواب الخبيثة، و شرب أهل مصر فى البواقي [١٥٨]،

و قال النبى (صلى الله عليه و سلم): «تغور المياه كلها و ترجع إلى أماكنها، إلا نهر الأردن و نيل مصر و الحجرات و عرفات و منا». و قال ابن الكلبي: إذا طلع العيوق غارت المياه كلها و نقصت إلا نيل مصر، و يمتد النيل لسبع من أيار. و قال عبد الله بن عمرو: نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق و المغرب، فإذا أراد الله أن يجريه أمر كل نهر أن يمدّه، فأمدته الأنهار بمائها، فإذا فجر الله به الأرض عيوننا و انتهى من جريته إلى ما أراد الله، أوحى الله عزّ و جلّ إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره، و فى الخبر أربعة أنهار من الجنة: النيل، و الفرات، و سيحان، و جيحان.

و قال بعضهم: النيل يخرج من خلف خطّ الاستواء من بحيرتين يقال لهما بحيرتا النيل، و هو يطيف أرض الحبشة و يجىء فيمزم بين بحر القلزم- و هو بحر الفرما- و بين المفازة، فيجىء فيصبّ بدمياط، و يخرج إلى البحر الرومى المغربى، و دمياط على البحر الرومى المغربى. و قال أبو الخطاب: قال المشتري ابن الأسود: غزوت بلاد أنبيّة عشرين غزاة، من السوس الأقصى، فرأيت النيل بينه و بين البحر الأجاج

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢١

كتيب من رمل، يخرج النيل من تحته. و قال بعض الفلاسفة: أقول إنه قد يكون البحر فى موضع من بعض المواضع ثم ينضب الماء عنه حتى يصير أرضا يابسة ثم يعود بحرا، و العلة فى ذلك أن قرار الأرض يشبه أجسام الحيوانات و النبات، و أن لها نهاية و غاية بمنزلة الشباب و الهرم ينقص و يزيد، فإذا قربته الشمس حيناً طويلاً حلّته فارتفع و جفّ ذلك الموضع، فإذا بعدت الشمس هنه رطب ذلك الموضع و ندى و اجتمعت فيه المياه من الندى و الأمطار، ذكروا أن أرض مصر كانت بحرا، و كذلك جميع الأرض عليها فنضب ذلك الماء قليلاً، فجفّت تلك المواضع فى مدّة من الزمان، فظهر اليبس و غرس فيه الأشجار و زرع فيه الزرع. و لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل بوونه، فقالوا: أيها الأمير لنيلنا هذا سنّة لا يجرى إلا بها، قال: و ما ذاك؟ قالوا: إذا كان لاثنى عشرة ليلة تخلوا من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أوبها فأرضيناها و جعلنا عليها من الحلّى و الحلل و الثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى هذا النيل. قال عمرو:

إن هذا أمر لا يكون أبدا فى الإسلام، و إن الإسلام يهدم ما قبله، فهتموا بالجلء فلمّا رأى ذلك عمرو كتب إلى عمرو بن الخطاب، فكتب إليه أنك قد أصبت و أنى قد بعثت إليك بطاقة فى داخل كتابى هذا- يعنى رقعة- فألقها فى النيل، فلمّا قدم كتاب عمر على عمرو و أخذ البطاقة ففتحها، فإذا فيها من عبد الله عمر إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجر، و إن كان الله العزيز الغفار الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم، و قد تهيأ أهل مصر للجلء لأنهم لا تقوم مصلحتهم إلا بالنيل، فأصبحوا يوم الصليب و قد أجراه الله سنّة عشر ذراعا فى ليلة واحدة، و قطع الله تلك السنّة عن أهل مصر، و قال ابن الكلبي: كتاب عمر إلى نيل هو الطلسم الأكبر.

و من عجائب مصر: حشيشة يقال لها الدقس، يتخذ منها حبال للسفن، تسمى تلك الحبال القرقس، يؤخذ من القرقس قطعة فيشعل بين أيديهم كالشمع، ثم يطفى فيمكث سائر الليل، فإذا احتاجوا إليه أخذوا طرفه فأداروه كالمخراق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢٢

فيشعل. و من أعاجيب مصر: الشجرة التى تدعى باليونانية المومقس، يرى بالليل من بعيد كأنه حريق، فإذا دنا منه الإنسان لم يجد عنده شيئاً بته. و من أعاجيب مصر: الرماد الذى يقال له رماد السنط، و هو خشب يوقد نهارهم كله، و لو جمع الإنسان ذلك الرماد لما ملأ- راحته. و لهم حجارة الواحات، كل من تناول منها حجراً فحرّكه فكأنما يحرك مقلّة نواتها فى جوفها، و لهم القراطيس التى لا يشركهم فيها أحد، و لهم دابة يقال لها الأسقفور يهيج الجماع إذا أكل، و فيه أعجوبة أخرى و ذلك أن ثلاثة من الحيوان للذكر منها

أيران: الأسقنقور و الورل و الضبّ.

و من مفاخرهم: شراب العسل و هو هناك يختار على الخمر البابليّ للذّته و طيبه و شدّة أخذه، و موضع الأعجوبة فيه أنه يتخذ في زمان مدود النيل، و يعمل من ذلك الماء الخاثر الكدر، و لو عمل من الصافي لم يخرج على صفاء هذا و لا جودته، و لا تزيده تلك الكدورة إلّا صفاء و حسنا، و لهم اللسان، و دهن الفجل، و دهن الخردل، و لهم الخيش و الريش، و لهم أن كلّ واد في الأرض مخالف لواديهم، لأنه يستقبل الشمال و ماؤها يجرى من الجنوب، و أعجوبة أخرى أنها لا تمطر مطرا، و أعجوبة أخرى أن اسمها مصر، و على اسمها سمّيت الأمصار مثل:

الكوفة و البصرة- و إنّما سمّيت البصرة فسطاطا على التشبيه بفسطاط مصر-.

و قال الكلبيّ: كان لفرعون ما بين مصر إلى مغرب الشمس و هي مملكة إفريقية و الأندلس، و إنّما هو مثل أرض واسط أربعون في مثلها و أعجوبة أخرى بمصر و هي الأترج، ربّما وضع الرجل الأترجة بينه و بين صاحبه فلا يرى أحدهما الآخر لكبرها، و بمصر من الأعاجيب السمك الزعاد، و من صاد منه سمكه لم تزل يده ترعد و تنتفض ما دام في شبكته و شصّه، و ليس هذا بأعجب من الجبل الذي بآمد، يراه جميع أهل البلد فيه صدع فمن انتضى سيفه فأولجه فيه ثم قبض على قبيعه بجميع يديه، اضطرب السيف في يديه و ارتعد هو و لو كان أشدّ الناس، و فيه أعجوبة أخرى لأنه متى حكّ بهذا الجبل سيف أو سكين حمل ذلك السكين الحديد، و جذب الأبر و المسالّ بأكثر من جذب المغناطيس، و أعجوبة أخرى أن ذلك الحجر بعينه لا يجذب الحديد، فإن حكّ عليه سكين أو حدّ به جذب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢٣

الحديد، و فيه أعجوبة أخرى أنه لو بقى مائة سنة لكانت تلك القوّة قائمة فيه، و لو سقى كما تسقى السكاكين، و المغناطيس نفسه إذا حكّ عليه الثوم لم يجذب الحديد، و ذلك شبيه بناب الأفعى، لأنهم إذا حشوا فيه حمّاض الأترج، ثم عضّ و انقلب لم يكن له سمّ قاتل.

و قد بارك رسول الله (عليه السلام) في بنها قرية مصر. و قال أهل مصر:

اتخذ يوسف (عليه السلام) الفيوم بالشرقي في جبل شرب أسفلها و أعلاها و وسطها بماء واحد لا تعدم الثمرة فيها رطبة شتاء و لا صيفا.

قالوا: و إذا جاوزت بلاد غانة إلى أرض مصر انتهت إلى أمية من السودان يقال لها كوكو، ثم إلى أمية يقال لها مرندة، ثم إلى أمية يقال لها مراوة، ثم إلى واحات مصر بملسانة.

صفة الهرمين

و بمصر، الهرمين [١٥٩] الذي يرى أصحابه كأنهم دفنوا حديثا، إلّا أنهم في عمق من الأرض، و هي ثلاثة أهرام، كلّ هرم أربع مائة ذراع طول في أربع مائة ذراع عرض، في سمك أربع مائة ذراع في الهواء، مبيّنة بحجارة المرمر و الرخام، غلظ كلّ حجر و طوله و عرضه عشرة أذرع مهندز مهندم، لا يستبين هندامه إلّا الحدّ البصر، منقور في كلّ حجر بالكتاب المسند، يقرأه كلّ من يقرأ المسند، كلّ سحر و كلّ عجب من الطبّ و كلّ طلسم و كلّ خلقه طير. و حدّث بعض المشايخ بمصر أنه قرئ لبعض خلفاء بني العباس على الهرمين مكتوب أتى بنيتها فمن كان يدعى قوّة في مله فليهدمهما، فإن الهدم أيسر من البناء، فأرادوا هدمهما فإذا خراج الأرض لا يقوم به فتركوها. و قال عبد الله بن طاهر: رأيت بمصر من عجائب الدنيا ثلاثة أشياء: النيل، و الهرمين، و ابن عفير. و كان ابن عفير هذا كثير العلم، و اسمه سعيد بن كثير بن عفير. قالوا: و وجد في أهرام مصر حيّة من ذهب في شقوقها صفيحة فضّة مكتوب فيها:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢٤

إني وربّ البدن و القلاص عملتها من خالص الرّصاص

و قرئ عليه أيضا: أنى نقبتها و كسوتها الأنطاع، ثم كسوتها الحبر اليمانية، ثم كسوتها الديداج، فمن ادعى القوّة فى ملكه فليكسها الحصر، فأراد المأمون أن يكسوها الحصر فكان [١٦٠] يخرج فيها خراج مصر أجمع.

و بمصر الرمل المحبوس، و الطور الذى كلّم الله عزّ و جلّ موسى (عليه السلام) بها، و هو فى صحراء التيه فيما بين القلزم و أيلة، و فيها الصّرح الذى لم يرقط شىء مثله، و هم يقولون نحن أكثر الناس عبدا و شهدا و قندا و نقدا، قالوا:

و الصوف و الكتان لنا ليس لأحد من أهل البلدان مثلها، و قالوا: و لنا الحمير المريسيّة، و البغال المصريّة، و الخيل العتاق، و المطايا من الإبل، قالوا: و لنا الأودية و المرايع التى ليس لأحد مثلها، و ربّما خيف على الإبل الهلاك من السمن، لأنها إذا بلغت الغاية فى السمن، فرّبما انصدعت كراكرها عن شحمه كالسنام، حتى يخزّ البعير ميتا، قالوا: و لنا الشمع و العسل و الريش و الخيش، و لنا ضروب الرقيق و الجواهر.

و بمصر، الإسكندريّة،

قال النبىّ (صلى الله عليه و سلم): «خير مسالحكم الإسكندريّة»،

و هى من بناء الإسكندر و به سميت، و يروى فى قول الله عزّ و جلّ: إرم ذات العماد قال: هى الإسكندريّة، و قال الحسن البصرى: لأن أبيت بالإسكندريّة ليلة على فراشى أحبّ إلى من عبادة سبعين ليلة، كلّ ليلة منها ليلة القدر بمقدارها. و روى زهرة بن معبد القرشىّ قال: قال لى عمر بن عبد العزيز: أين تسكن بمصر؟ قلت:

الفسطاط. قال: تسكن المدينة الخبيثة و تذر الطيبة. قلت: أين؟ قال:

الإسكندريّة، فإنك تجمع دينا و دنيا و هى طيبة الموطأ، و الذى نفسى بيده لوددت أن قبرى فيها و لما همّ الإسكندر ببناؤها دخل هيكلا لليوناتين عظيما، فذبح فيه ذبائح كثيرة، و سأل أبحارها أن تبين له أمر المدينة هل يتمّ بناؤها، و كيف يكون؟ فرأى فى المنام كأن جدار ذلك الهيكل يقول له: إنك تبني مدينة يذهب صوتها فى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢٥

أقطار الأرض، و يسكنها من الناس ما لا يحصى عددهم، و يختلط الرياح الطيبة بهوائها، و يثبت حكمه أهلها، و يصرف عنها سورة السموم و الحرّ، و يطوى عنها قسوة البرد و الزمهير، و يظعن عنها الشرور حتى لا يصيبها خبل من الشيطان، و إن جلب إليها الملوك و الأعم بجنودهم و حاصروها لم يدخل عليها ضرر. فبناها و سماها الإسكندريّة، ثم رحل عنها فيقال: إنه مات ببابل و حمل إلى الإسكندريّة فدفن بها و يقال: إنها عملت فى ثلاثمائة سنة، و خمرت نورتها ثلاث سنين، و ضربت ثلاثمائة سنة. و لقد غير أهلها سبعين سنة ما يمشون بالنهار فيها إلّا بخرق سود، فرق أن تذهب أبصارهم من بياض جدرها، و ما أسرج فيها أحد سراجا بليل من ضوئها، و منارة الإسكندريّة على سرطان من زجاج فى البحر [١٦١].

و الجوف بمصر و باليمامة و هما جوفان، مثل الطوخ بالعراق، و حلوان بمصر على فرسخ من الفسطاط، و به نخل كثير و الكريون على ثلاثة فراسخ منها.

فأما منارة الإسكندريّة فلها عمودان من نحاس على صورتين أحدهما من زجاج و الآخر من نحاس، أما النحاس فعلى صورة عقرب، و الزجاج على صورة سرطان، و المنظره إلى جنبهما و يقال لها المنارة.

و عين الشمس على ثلاثة فراسخ من الفسطاط و منف مساكن فرعون بينها و بين عين الشمس ثلاثة فراسخ.

و قد اختلفوا فى الإسكندر فرعم بعضهم أنه ذو القرنين، و قال آخرون: ليس هو ذو القرنين ابن فيلفوس، ولكنه لكثرة جولانه فى الأرض و طيه الأقاليم شبّهه من لا علم له بذى القرنين، و بينه و بين ذى القرنين المعمّر صاحب سدّ يأجوج و مأجوج و بانى مدينة مرو

و منارة الإسكندرية المركزة على سرطان من زجاج، و باني مدينة البهت بالمغرب و تعرف بالبهاء، و هي مبنية من حجر يسمّى حجر البهت، من تطّع فيها تاه و استغرب ضحكا حتى يتلف نفسه دهر طويل، و ذو القرنين المعمر هو الذي وقف على صاحب الصور حين دخل الظلمات، و بلغ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢٦

مكانا لم ينفذ وراءه، فصور فرسا من نحاس عليه فارس من نحاس ممسك على عنان فرسه بيسرى يديه، و مادّ يده اليمنى مكتوب فيها بالحميرية ليس ورائي مسلّك، فهذا عمّر عمرا طويلا حتى عاش سبع مائة سنة، و أوتى من كلّ شيء سببا، و رفع إلى السماء و كان يسمّى عتاشا، و الرومى عمّر عمرا قليلا و كانت سيرته أخبث سيرة.

و قال عطاء بن أبي خالد المخزومي: كانت الإسكندرية بيضاء تضيء بالليل و النهار، فكانوا إذا غربت الشمس لم يخرج منهم واحد من بيته، و من خرج اختطف، و كان لهم راع يرعى الغنم على شاطئ البحر، و كان يخرج من البحر شيء فيأخذ من غنمه فكمن له الراعى فى بعض المواضع حتى خرج، فإذا جارية فتشبت بشعرها و مانعته فذهب بها إلى منزله، فأنست بهم فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس، فسألتهم عن ذلك فأخبروها أن من خرج فى ذلك الوقت اختطف، فعملت لهم الطلسمات و كانت أول من وضع الطلسمات بمصر.

و يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: عجائب الدنيا أربع [١٦٢].

مرآة معلقة بمنارة الإسكندرية، كان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية، و بينهما عرض البحر، و فرس نحاس: عليه راكب من نحاس بأرض الأندلس باسط يده رافعها، عليه مكتوب ليس خلفى مسلّك، و لا يطاء تلك البلاد أحد إلا ابتلعه النمل. و منارة من نحاس بأرض عاد، عليها راكب من نحاس، فإذا كان الأشهر الحرم هطل منه الماء، فشرّبوا منه و سقوا و صبّوا فى الحياض و الآبار، فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء.

و شجرة من نحاس: عليها سودانية من نحاس بأرض رومية، فإذا كان أوان الزيتون صفرت السودانية التى من نحاس، فتجىء كلّ سودانية من الطيارات بثلاث زيتونات زيتونة فى منقارها و زيتونتان فى رجليها حتى تلقيها على الشجرة فيعصر البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢٧

أهل رومية ما يكفيهم لأدامهم و سرحهم إلى قابل.

و بعين شمس من أرض مصر بقايا أساطين كانت هناك، فى رأس كلّ أسطوانة طوق من نحاس، يقطر من أحدهما ماء من تحت الطوق إلى نصف الأسطوانة لا يجاوزه و لا ينقطع قطره ليلا و لا نهارا، فموضعه من الأسطوانة أخضر، و لا يصل الماء إلى الأرض، و هو من بناء هوشنك. و بالإسكندرية موضع فيها سوار و أساطين من حجارة من بقرية بناء قديم، و فيها سارية تعرف بسارية سليمان (عليه السلام) فيها أعجوبة، و ذلك أن الرجل فيها يجىء إليها و معه زجاج أو خزف أو غير ذلك فيلقيه على السارية و يقول: بحق سليمان بن داود إلا انكسرت فيتفتت الزجاج و الخزف و ليس هذا إلا فى هذه السارية، و إن لم يقل بحق سليمان لم ينكسر.

و بمصر منف مدينة فرعون، لها سبعون بابا، و حيطان المدينة من حديد و صفر، و فيها كانت الأنهار التى تجرى من تحته و هى أربعة. [انصنا: مدينة قديمة على شرقى النيل بأرض مصر. أهل هذه المدينة مسخوا حجرا فيها رجال و نساء مسخوا حجرا على أعمالهم فالرجل نائم مع زوجته، و القصاب يقطع لحمه، و المرأة تخمر عجينها، و الصبى فى المهد، و الرغفان فى التنور. كلها انقلبت حجرا صلدا] [١٦٣].

و من كور مصر: منف، و وسيم، و دلاص، و بوصير، و الفتيوم، و أهناص، و القيس، و طحا، و أسبوط، و أشمونين، قهفاء، البهنسى، هو و قنى، فقط الأقصر، أسنى، أرمنت، سوان، الإسكندرية، المليدس، الطور، مصيل، قرطسا، خربتا، اليدقون، صاوشباس، تيده، الأفراخون، لوبيا، الأوصية، منوف العليا، منوف السفلى، دمسيس، أتريب، عين شمس، فرخطشا، الجوف الشرقى، الجوف الغربى.

و بمصر نهر اللاهون، و يقال: إن يوسف (عليه السلام) احتفزه و هو يأخذ من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢٨

النيل، و آخر عمل مصر من حدّ النوبة أسوان، و دمقله مدينة النوبة و بينهما مسيرة أربعين ليلة.

و من عيوب مصر أنها لا تمطر، و يكرهون المطر، و الله عزّ و جلّ يقول:

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ و من عيوبها الريح الجنوب التي يدعونها المريسية، و ذلك أنهم يسمون أعلى الصعيد إلى بلد النوبة مريس، فإذا هبت الريح المريسية ثلاثة عشر يوما تباعا اشترى أهل مصر الأكفان و الحنوط، و أيقنوا بالوباء القاتل و الفناء العاجل نسأل الله العافية. و من عيوبها اختلاف هوائها، لأنه في يوم واحد يختلف عليهم أهوية برد و حرّ، و إذا أجذبوا انقضوا لأنه ليست لهم ميرة من وجه من الوجوه، و الناس من عندهم يمتارون فإذا انقطعت من عندهم فنوا نسأل الله العافية. و هم قتلوا عثمان بن عفان و عليّ بن أبي طالب و عميرا المأمونيّ. و نساء أهل مصر و القبط ضدّ نساء خراسان، لأن نساء خراسان يلدن أذكارا، و نساء القبط لا يكاد يرى منهن إلّا مثنثا، و تلد الاثنيين و الثلاثة و الأربعة، و لا نعلم ناسا في الأرض أكثر ذكرا من آل أبي طالب.

و تربة مدينة الرسول (عليه السلام) طيبة و الغالية و الطيب بها يزداد على العبق و طول الأيام طيبا، و الغالية الثمينه الخطيرة بالأهواز تنقلب في أيام يسيرة، و حمّاها على الصغير منهم و الكبير لا تزيله حتى على المولود ساعة يولد قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): «إن مصر ستفتح بعدى فانتجعوها و لا تتخذوها دارا فإنه يساق إليها أعجل الناس أعمارا» فحمّاها أخبث من حمى الأهواز، و وباؤه أشدّ من ذلك.

و قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): «انتجعوا خيرها و اسكنوا غيرها، فإنها معدن السحر و الزنا و دار الفاسقين، و لا تغسلوا رؤوسكم بطينها الأسود، فإنه يميت القلب و يكثر الهمّ، و يذهب بالغيرة نعوذ بالله منه». قال: و كشف عن حجر بمصر فإذا فيه كتابة:

ويلك يا مصر خرابك سيلك، ملوكك غرباء لا- يسود منك فيك و لا- منك في غيرك. و قال وهب المعافريّ: إذا رأيت منبر الفسطاط قد حوّل عن مكانه فتحوّلوا منها. و قال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتينّ على الناس زمان قتب على جمل دبر خير من دار بمصر، و قال يحيى بن محفوظ: خلق الله العقل و خلق معه المكر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٢٩

و أسكنه العراق، و خلق المكر و خلق معه الجفاء فأسكنه الشام، و خلق الفقر و خلق معه القنوع و أسكنه الحجاز، و خلق الغناء و خلق معه الذلّ و أسكنه مصر، و قال كعب القرظيّ: خلق الله السرقة تسعة أجزاء سبعة منها في القبط.

و من عجائب مصر: الشبّ و هو حجر أسود مجدر يطفو فوق الماء، و الأبنوس يرسب في الماء، فأى شيء أعجب من خشب يرسب في الماء، و حجر يطفو على الماء؟ و ضرور من الخشب ترسب في الماء: الأبنوس، و الشيز، و العنّاب، و الأهندال، و حجر المغناطيس عجب و إن شأن الألماس لعجب، و من أعاجيب الحجارة الحصاة التي في صورة النواة، تسبح في الخلّ كأنها سمكة، و الخرزة التي تجعل في حقو المرأة لئلا تحبل، و الحجر الذي يوضع على حرف التّور فيساقط خبز التّور كلّه، و يدعون أن كعب الأرنب إذا شدّ بساق الملسوع لم يضرّه.

قال: و خراج مصر وحدها يضعف على جميع خراج الروم، و حمل منها موسى بن عيسى في دولة بني العباس ألفى ألف و مائة ألف و ثمانين ألف دينار.

و على أعلى مصر، النوبة و الحبشة و البجة. و كان عثمان صالح النوبة على أربع مائة رأس في السنة، و في الخبر قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): من لم يكن له أخ فليتخذ أخا من النوبة.

و قال: خير سبيكم النوبة،

و للنوبة كَفّ و وفاء و حسن عهد، و بها الأبنوس الأبيض يتخذ منه الأسرّة، و بها الكركدن و هو مثل العجل، و في جبهته قرن يقا تل به، و آخر صغير أسفل منه بين عينيه، يقلع به الحشيش و يطعن الأسد بالذى في جبهته فيقتله، و له ظلف كظلف البقر، و يهرب منه الأسد و الفيل، و بالنوبة الزرافة و ذكروا أنها بين النمر و الناقة، و أن النمر يترى على الناقة فتلد الزرافة، و لا تغذى إلّا بما تستخرجه من البحر، فخلق البارى جلّ و عزّ لها عنقا طويلا لتبلغ الموضع الذى تستخرج منه الغذاء، و مثله فى الحيوان فيما يشاكله و يقرب منه فى النتاج، كما يلقح الفرس الحمار، و الذئب الضبع، و النمر اللبوء، فيخرج من بينهما الفهد، فالزرافة لها جثة جمل، و رأس إيل، و أظلاف بقر، و ذنب طير، و ليديها ركبتان و ليس لرجليها ركبته، و جلدها منمر، و هو منظر عجيب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣٠

و تسمى بالفارسية أشركا و بلنك أى إنها بين الجمل و الثور و النمر و الزرافة فى اللغة الجمع، و سميت هذه الدابة لاجتماع هذه المشابهة فيها، و ذكر بعض الحكماء أن الزرافة نتاجها من فحول شتى و هذا باطل، لأن الفرس لا يلقح الجمل و لا الجمل يلقح البقرة و بالحشّة دابة يقال لها الرعى، تقبض على خرطوم الجمل فتصرعه و تشرب دمه و لا تأكل لحمه.

و النوبة يعقوبية، و للصقالبة صلبان- الحمد لله على الإسلام- و كذلك أهل علوا و تكريت و القبط و الشام كلها نصارى يعقوبى و ملكى، و نسطورى، و نيقلائى، و ركوسى، و مرقيونى، و صابى، و منانى- الحمد لله على الإسلام.

و النوبة أصحاب ختان لا تطأ فى الحوض، و لا تغتسل من الجنابة، و هم نصارى يعقوبية، يهدون الإنجيل، و الروم ملكانية يقرءون الإنجيل بالجرمقانية، و أهل بجة عبّاد أوّثان، يحكمون بحكم التورية و دمقله مدينة النوبة و بها منزل الملك، و هى على ساحل البحر، و لها سبع حيطان و أسفلها بالحجارة، و طول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة، و طول علوا إلى بلاد النوبة مع المغرب مسيرة ثلاثة أشهر، و من دمقله إلى أسوان أول مصر مسيرة أربعين ليلة، و من أسوان إلى الفسطاط خمس عشرة ليلة و من أسوان إلى أدنى بلاد النوبة خمس ليال، و فى الشرق من بلاد النوبة البجة ما بين النيل و بحر اليمن، و هو بحر القلزم بمصر، و بحر الجار بالمدينة، و بحر جدّة بمكة، و بحر اليمن بالشحر، و عمان و فارس و الأبلّة و فيما بين أرض النوبة و البجة جبال منيعة، و هم أصحاب أوّثان، و فى بلادهم معدن الزبرجد يحفر التراب من معدنه، ثم يغسل فيوجد فيه قطع الزبرجد.

و البجة أصناف: فالنوبة و البجة تسمى الله عزّ و جلّ بحير، و بالزنجية لمكولوجو، و القبطية أبنوده، و بالبربرية مديكش، و من خلف بلاد علوا أمية من السودان تدعى تكنة، و هم عراة مثل الزنج و بلادهم تنبت الذهب، و فى بلادهم يفترق النيل، و قد ذكرنا مخرجه، و قالوا: من وراء مخرج النيل الظلمة، و خلف الظلمة مياه تنبت الذهب فى تكنة و غانة.

[بلاد التبر: هذه البلاد حرّها شديد جداً. أهلها بالنهار يكونون فى السرايب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣١

تحت الأرض، و الذهب ينبت فى رمل هذه البلاد كما ينبت الجزر بأرضنا. و أهلها يخرجون عند بزوغ الشمس و يقطفون الذهب. و طعامهم الذرة و اللوبيا، و لباسهم جلود الحيوانات و أكثر ملبوسهم جلد النمر، و النمر عندهم كثير [١٦٤].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣٢

القول فى المغرب

أسفل الأرض من الفسطاط إلى برقة ستمائة و ستون ميلا. و برقة مدينة حسنة فى صحراء، و هى صلحية صالح عليها عمرو بن العاص و جبر أهلها على الجزية، و هى خصبة ممتعة، و من برقة إلى القيروان مدينة إفريقية ستمائة و ثمانية و ثلاثون ميلا، و سميت بأفريقيش بن أبرهة الرائش، و هو الذى بناها، و إفريقية افتتحها عقبه بن نافع بن عبد القيس الفهرى (رحمه الله) و جبه معاوية و هى الآن فى يدى ابن الأغلب [١٦٥]، و فى يديه أيضا: قابس، و جلولاء، و سبيللة مدينة جرجير الملك و كان روميا، و بينها و بين القيروان سبعون

ميلا- و زرود، و قفصه، و قسطلية، و مدينة الزاب، و ودان، و ضفرجيل، و زغوان، و تونس، و بينها و بين إفريقية مرحلتان على البغال، و اسم مدينة تونس قرطاجنة، و هي على ساحل البحر، يحيط بسورها أحد و عشرون ألف ذراع، و من مدينة تونس إلى الأندلس ستة فراسخ، و إلى قرطبة مدينة الأندلس مسيرة خمسة أيام.

و في يدى الرستمى الإباضى، و هو أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم من الفرس، يسلم عليه بالخلافة بقيروء، و سلمه، و سلمية، و تاهرت، و ما والاها، و بين إفريقية و تاهرت مسيرة شهر على الإبل، و مدينة سبتة إلى جانب الخضراء.

و ملك سبتة ليان و في يدى ابن صفير البربرى خلقاية إلى وادى الرمل و وادى الزيتون و قصر الأسود بن الهيثم إلى أطرابلس.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣٣

و في يدى الخارجى الصيرى مدينة كبيرة تدعى درعة، فيها معدن الفضة، و هي ممّا يلي الحبشة فى ناحية الجنوب، و مدينة تدعى زيز.

و في يدى إبراهيم بن محمد بن محمود البربرى المعتزلى مدينة تلى تاهرت تدعى أيزرج.

و في يدى ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) مدينة تلمسين، و من تاهرت إليها مسيرة خمسة و عشرين يوما عمران كله، و طنجة، و فاس و بها منزله، و و ليلة، و مدركة، و متروكة، و مدينة زفور، و غزة، و غميرة، و الحاجر و ماجراجرا، و فنكور، و الخضراء، و أوراس، و ما يتصل ببلاد زاغى بن زاغى، و طنجة خلف تاهرت بأربع و عشرين ليلة، و خلف طنجة السوس الأدنى، و خلف السوس الأدنى السوس الأقصى على بحر اليمن فى شرقى النيل، و مدينة السوس الأقصى تدعى طرفلة، و مدينة الأندلس تدعى قرطبة، و بلاد أنبيء من السوس الأقصى على مسيرة سبعين ليلة فى برارى و مفاوز، و أهلها و أهل لمطة أصحاب الدرق، ينقونها فى اللبن حولاً مجرداً، فينبو عنها السيف و إن قطع السيف منها شيئاً نشب السيف فى الدرق، و لم يمكن أن ينزع من الدرق، و الدرق اللطية ليس عليها قياس.

و كان سبب خروج إدريس و وقوعه إلى هذه النواحي ما حكاه صالح بن علي [١٦٦] قال: أخبرنا مشايخنا أن إدريس بن عبد الله بن حسن الطالبى أفلت من وقعة العباسيين بالطالبيين بفتح مكة، و ذلك فى خلافة الهادى، فوقع بمصر و على بريدها يومئذ واضح مولى المنصور، و كان رافضياً فحمله على البريد إلى أرض المغرب، فوقع بأرض طنجة بمدينة يقال لها و ليلة، فاستجاب له من بها و بأعراضها من الناس، فلما استخلف الرشيد أعلم بذلك فضرب عنق واضح و صلبه، و دس إلى إدريس الشماخ اليمانى مولى المهدي، و كتب له كتاباً إلى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣٤

إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية، فخرج حتى وصل إلى و ليلة، و ذكر أنه متطّبب و أنه من أوليائهم، فاطمأن إليه إدريس و أنس به، فشكا إليه إدريس علة فى أسنانه، فأعطاه سنونا مسموما ليلا، و أمره أن يستق به عند طلوع الفجر، و هرب من الليل، فلما طلع الفجر استن إدريس بالسنون فقتله و طلب الشماخ فلم يظفر به، و قدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره بما كان منه، و لحقت الأخبار بعد مقدمه بموته فكتب بذلك إلى الرشيد فولّى الشماخ بريد مصر، ثم ملك من بعد إدريس ابنه، و إلى هذه الغاية هى ثابتة فى ولده.

و فى يدى محمّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أمية ما وراء بحر الأندلس، و فى يديه قرطبة و بينها و بين الساحل مسيرة خمس ليال، و من ساحل قرطبة إلى أربونة آخر الأندلس ممّا يلي فرنجة ألف ميل، و طليطلة و بها كان ينزل الملك، و من طليطلة إلى قرطبة عشرون ليلة، و للأندلس أربعون مدينة، و يجاور الأندلس فرنجة و ما والاها من بلاد الشرك، و الأندلس مسيرة أكثر من شهر فى شهر، و هى خصبة كثيرة الخير و الفواكه و ممّا يلي الشمال و الروم فرنجة، و الأندلس افتتحها طارق بن زياد و موسى بن نصير، فأصاب بها مائدة سليمان (عليه السلام) فيها جواهر لم ير خلق مثلها فقطع طارق قائمه من قوائم المائدة و صير مكانها أخرى لا تشبهها، فلما قدموا بها على الوليد بن عبد الملك و كان موسى

وجَّهها إليه فقال طارق: أنا أصبته فكذبته موسى فقال طارق للوليد: ادع بالمائدة فنظر إلى قائمته فإذا هي لا تشبه القوائم، فقال طارق: سله عنها، فسأله فقال: كذا أصبته فأخرج طارق إليه القائمة فصدقه الوليد وقومت المائدة مائتي ألف دينار.

ومن العجائب بيتان وجدا بالأندلس عند فتحها في مدينة الملوك، في أحدهما عدد تيجان لملوكها، وفي هذا البيت وجد مائدة سليمان بن داود (عليه السلام)، وعلى البيت الآخر أربعة وعشرون قفلا، كلما ملك منهم ملك زاد عليه قفلا، ولا يدرون ما في البيت حتى ملك لدريق، وهو آخر ملوكهم فقال: لا بد أن أعرف ما في هذا البيت، وتوهم أن فيه مالا، فاجتمعت الأساقفة والشمامسة البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣٥

و أعظموا ذلك عليه فأبى فقالوا له: انظر ما يخطر ببالك من مال تراه فيه، فنحن ندفعه إليك ولا تفتحه، فعصاهم وفتح الباب فإذا في البيت تصاوير العرب على خيولهم بعماثهم ونعالهم وقسيهم ونبلهم، فدخلت العرب بلدهم في السنة التي فتح فيها ذلك البيت، وكان ملك الأندلس حين فتحت يسمى لوذريق من أهل إصبهان، وبأصبهان يسمى أهل قرطبة الأسبان، ويسلم على الأموي بها السلام عليك يا ابن الخلائف، وذلك أنهم لا يرون اسم الخلافة إلَّا لمن ملك الحرمين.

أعراض البربر: هواره، وزنانه، و ضريسه، ومغيلة وورفجومه، وأحياء كثيرة، فدواب هواره غاية في الفراهة، وكانت دار البرابرة فلسطين وملكهم جالوت، فلما قتله داود انتقلت البربر إلى المغرب، ثم انتشرت إلى السوس الأدنى خلف طنجة، والسوس الأقصى و هي من مدينة قمونية من موضع القيروان على ألفين وخمسين ميلا و كرهت البربر نزول المدائن فنزلوا الجبال والرمال و برجان و بلدان الصقالب. والإبر، شمالي الأندلس.

والذي يجيء من هذه الناحية الخدم الصقالبة، والغلمان الرومية والأفريقية والجواري الأندلسيات، و جلود الخزّ والوبر والسمور، و من الطيب الميعة والمصطكى، ويقع من بحرهم البسند، وهو الذي تسميه العامة المرجان [١٦٧]، ولهم الخيل العراب، والإبل العراب، والقسي العربية، وهم أهل غفلة وقلّة فطنه، و قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): نساء البربر خير من رجالهم بعث إليهم نبي فقتلوه، فتولت النساء دفنه، والحدّة عشرة أجزاء تسعة منها في البربر و جزء في الناس.

[و يروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: ما تحت أديم السماء ولا على الأرض خلق شر من البربر، ولئن أتصدق بعلامة سوطى في سبيل الله أحب إليّ من أن أعتق رقبة بربرى] [١٦٨].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣٦

قالوا: و بلاد طنجة مدينتها و ليلته، و الغالب عليها المعتزلة، و عميدهم اليوم إسحاق بن محمّد بن عبد الحميد، و هو صاحب إدريس بن إدريس، و إدريس موافق له، و أم إدريس بربرية مولدة، و بربر أخواله، و اسم أم إدريس كنز، و هي التي كانت تتولّى طعامه و طبيخه خوفا من السمّ. و من و ليلة إلى طنجة إلى ناحيتي مدينة السوس الأدنى مسيرة عشرين ليلة، و ليس في بلادهم نخل، و لا كرم، و لا زيتون. و لهم القمح، و الشعير، و الأغنام، و الرماك، و البقر، و العسل، و ليس لهم قطن و لا كتان، لباسهم الصوف، و زرعهم على ماء السماء، و من آخر مدينة السوس إلى آخر طرفه مدينة السوس الأقصى شهران، و ليس وراء طرفه أنس.

و من عجائبهم وادى الرمل و مدينة البهت، و هي في بعض مفاوزها، قال:

و لما فرغ الإسكندر من فتح مصر أخذ متيامنا نحو المغرب حتى انتهى إلى أمة من بنى إسرائيل قوم موسى بمدينة لهم و كانوا عبادا أتقياء، فلما انتهى إلى تخوم أرضهم بلغهم وروده عليهم فاجتمع عظاماؤهم و أحبارهم و كتبوا إليه: بسم الله ذى الطول و المنّ، من البرجمائين الفقيرين إلى الله و ذوى التواضع لله إلى الإسكندر المغترب بالدنيا، أما بعد فقد بلغنا مسيرك إلينا، فإن كنت محاربا كما حاربت غيرنا لتأخذ من دنيانا، فارجع فما لك عندنا طائلة، و لا لك في قتالنا نفع، لأننا أناس مساكين، ليست لنا أموال، و لا للملوك في أرضنا أرب، و إن كنت إنما تقصد نحونا لتطلب العلم فارغب إلى الله أن يفقهك و يهديك، مع علمنا أنك لا تحب ذلك، لأن

انهما كك في طلب الدنيا بلا فكرة في زوالها و انقطاعها عنك، يدل أنك غير راغب فيها، فأما نحن فقد خلينا الدنيا و رفضناها، و رغبتنا في الآخرة و تشوقناها، فانصرف أيها العبد عنّا، و لا تؤذينا و تخرب بلادنا، و لا أرب لك فينا.

فلما أتاه الكتاب عزم على إتيانهم في مائة فارس من علماء أصحابه و زهادهم، و قد كان بينه و بينهم بحر رمل يجرى كما يجرى الماء، و يسكن كل يوم سبت فلا يتحرك إلى الليل، و مدينتهم تسمى مقارات، و حولها تسع قريات، و هم متفرقون فيها، و أسماؤها: عطروت، و ربعون، و يمحون، و قنوا، و حسنون، و بعلی، و سبام، و بنوا، و بنعون، و دورهم مستوية، و ليس فيهم رجل أغنى من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣٧

الآخر، و قبورهم على أبواب دورهم، فأقام الإسكندر على حافة ذلك البحر حتى إذا كان يوم السبت سكن ذلك الرمل، فسلكه و سار يومه كله إلى اصفرار الشمس، حتى جاز النهر في أصحابه، فاستقبلوه و سلموا عليه، فلما دنا منهم نزل فاجتمع إليه من أفاضلهم و علمائهم زهاء مائة رجل، فدعوا له بالصلاح فرحب بهم الإسكندر، و دخل معهم المدينة. فجلس على الأرض، و جلس أولئك الأخبار حوله، ثم قال: ما بال قبوركم على أبواب منازلكم؟ قالوا: ليكون ذكر الموت نصب أعيننا. قال: فهل فيكم مسكين؟ قالوا: ما فينا أحد أغنى من الآخر. قال:

فمن شرّ عباد الله؟ قالوا: من أصلح دنياه و أخرج آخرته. قال: فمن أفسى الناس قلبا؟ قالوا: من أغفل أمر الموت و نسي الحساب و العقاب. قال: فالبرّ أقدم أم البحر؟ قالوا: لا بل البرّ لأن البحر إنما يحول إلى البرّ. قال: فالليل أقدم أم النهار؟ قالوا: بل الليل أقدم لأن الخلق إنما خلقوا في الظلمة في بطون الأمهات، ثم خرجوا بعد ذلك إلى النور. قال الإسكندر: طوبى لكم، لقد رزقتهم زهادة و علما. قالوا: بل طوبى لمن وقاه الله فتنة الدنيا، و أخرجه منها سالما. قال: فإني أحبّ أن تعظوني. قالوا: و ما يغني و عظنا إياك مع انهما كك على الدنيا و حرصك عليها بلا فكرة منك في زوالها. قال: فسلوني حوائجكم. قالوا: نسألك الخلد.

قال: هل يقدر على ذلك أحد إلا الله؟ قالوا: فإن كنت موقنا بالموت فما تصنع بقتل أهل الأرض؟ قال: نعم إنني موقن بذلك غير أنني لا أملك لنفسي ضرا و لا نفعا، ثم قال: يا معشر البرجمانيين إن الله قد خصكم بالعلم، و حلّاكم بالزهادة، و زينكم بالحكمة، و صرف قلوبكم عن الشهوات، فسلوني حكمكم من زهرة الدنيا. قالوا: لا حاجة لنا في شيء من ذلك. قال: فأحبّ أن تقبلوا مني شيئا فإن معي يواقيت و جواهر حسانا. قالوا: أحضره لننظر إليه، فأمر بإخراج أسفاط فيها جواهر مثمّنة، ففتحت فلما نظروا إليها قالوا له: أيها الملك و يعجبك مثل هذا؟

قال: ليس شيء من عرض الدنيا أحبّ إلينا منه. قالوا: فانطلق بنا حتى نريك ما هو أحسن منه و أكثر، و ليس عليك فيها مؤونة، فانطلقوا إلى نهر عظيم فيه صنوف الجواهر و اليواقيت، و فيه من الجواهر ما لم ير مثله، فقالوا: هذا أكثر أو ما معك؟

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣٨

قال: بل هذا. فقالوا: بالذي نزع عن قلوبنا الشهوات، و وقّنا لطاعته، و قوّنا على العبادة، ما تزيت امرأة منّا قطّ بشيء من هذا، و لا انتفعنا به بفضّ خاتم. فأقام عندهم إلى السبت الآخر حتى سكن البحر فجازه حتى أتى معسكره فيقال: إنهم القوم الذين ذكرهم الله جلّ و عزّ في كتابه فقال و قوله الحقّ: و من قوم موسى أمّة يهدون بالحقّ و به يعدلون قال: فلما ملك ناشر ينعم تجهّز و سار في جمع لا يحصى عددهم نحو المغرب، حتى إذا بلغ وادي الرمل أراد أن يجوزه فلم يجد مجازا، فأقام إلى يوم السبت، فلما سكن الرمل يوم السبت أرسل نفرا من أصحابه و أمرهم أن يقطعوه، ثم يقيموا من ذلك الجانب إلى السبت الآخر، ثم ينصرفوا إليه بخبر ما رأوه، فساروا يرمهم ذلك حتى هجم عليهم الليل قبل أن يقطعوه، فجرى ذلك الرمل فغرقوا فيه، فلما رأى ذلك و لم يرجع إليه من أصحابه أحد، أمر بصنم فنصب على حافة الوادي، و كتب على جبهته: ليس ورائي لامرئ مذهب فلا يتكلّفن أحد المضى إلى الجانب الآخر، ثم انصرف إلى مملكته.

و من طرقله إلى مدينة غانه مسيرة ثلاثة أشهر مفاوز و قفار، و بلاد غانه ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل، كما ينبت الجزر و يقطف

عند بزوغ الشمس، و طعامهم الذرة و اللوياء، و يسمون الذرة الدخن، و لباسهم جلود النمر و هي هناك كثيرة. و معدن الفضة و الذهب بموضع يقال له تدمير، بينه و بين قرطبة عشرة أيام، و معدن الفضة في أعلى مدينة يقال لها جيان، و بها معدن الزبيق في موضع يقال له فحس البلوط، و من معدن الزبيق إلى قرطبة خمسة أيام، و أهلها بربر و هم في سلطان الأموي. و يتاخم الشرك أمه يقال لها علجشكش و هي قريبة من البحر.

و بقرطبة دار الضرب في موضع يقال له باب العطارين، و ليس في دراهمهم مقطعة، و لهم فلوس يتعاملون بها ستين فلسا بدرهم، و دراهم تسمى طليبا.

و للأموي جند و ديوان يعطيهم أرزاقهم من العرب و الموالي و غيرهم. قرطبة طيبة الهواء لا يحتاجون في الصيف إلى خيش، و بها عيون و آبار، و عندهم ثلج يقع على جبل يقال له شلير، بينه و بين قرطبة أربعة أيام، و بقرطبة آبار طيبة عذبة باردة، البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٣٩

يشربون في الصيف من تلك الآبار لشدة بردها.

و يروى عن عامر الشعبي قال: إن الله جل و عز خلق خلقا خلف الأندلس ليس بينهم و بين الأندلس إلا كما بيننا و بين الأندلس، لا يرون أن الله عصاه أحد، لا- يحرثون، و لا- يزرعون، و لا- يحصدون، على أبوابهم شجر نبت لهم ما يأكلون منه، و للشجرة أوراق عراض، يوصلون بعضها إلى بعض فيلبسونها، و في أرضهم الدر و الياقوت، و في جبالهم الذهب و الفضة، فأتاهم ذو القرنين فخرجوا إليه فقالوا له: ما جاء بك، تريد أن تملكنا، فوالله ما ملكنا أحد قط، و إن كنت تريد المال فخذ. فقال: و الله ما واحدة من هاتين أريد، و لكن سألت ربي أن يسيرني فيما بين مطلع الشمس إلى مغربها، فهذا حيث جئكم من المطلع قالوا: هذا المغرب عندك. و بالأندلس نخل قليل، و بها زيتون كثير، و زيت و قطن و كتان.

حديث البهت: فمن عجائب الأندلس، البهت، و هي المدينة التي في بعض مفاوزها، و لما بلغ عبد الملك بن مروان خبر هذه المدينة و أن فيها كنوزا، كتب إلى موسى بن نصير- و كان عامله على المغرب- يأمره بالمسير إليها، و دفع الكتاب إلى طالب بن مدرك، فسار حتى انتهى إلى مدينة القيروان، و موسى مقيم بها، فأوصل كتاب عبد الملك إليه فلما قرأه تجهز و سار في ألف فارس من أبطال قومه و أشرفهم، و حمل معه من الزاد لأربعة أشهر، و من الماء لنفسه و أصحابه ما يكفيهم، و أخرج رجالا أدلاء بذلك الطريق، فسار ثلاثة و أربعين يوما حتى انتهى إليها، فأقام ثلاثا حتى علم كنه علمه، ثم ارتحل إلى البحيرة، و كانت على ميلين من المدينة، و تفهم أمرها ثم انصرف إلى القيروان، و كتب إلى عبد الملك بن مروان مع طالب بن مدرك، بسم الله الرحمن الرحيم: أصلح الله أمير المؤمنين صلاحا يبلغ به شرف الدنيا و الآخرة، أخبرك يا أمير المؤمنين أني تجهزت لأربعة أشهر، و سرت في مفازة الأندلس في ألف رجل من أصحابي، حتى أوغلت في طرق قد انطمست و مناهل قد اندرست و عفت فيها الآثار، و انقطعت عنها الأخبار، أحاول بلوغ مدينة لم ير الرءون مثلها و لم يسمع السامعون بمثلها، فسرنا ثلاثة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤٠

و أربعين يوما فلاح لنا بريق شرف تلك المدينة من مسيرة خمسة أيام، فهالنا منظرها و امتلأت قلوبنا منها رعبا من عظمها و بعد إقطارها، فلما قربنا منها إذا أمرها عجيب هائل، و منظرها مخيف موجل كأن المخلوقين لم يصنعوها، فنزلنا عند ركنها الشرقي فصلينا عشاء الآخرة، ثم بتنا بأربع ليلة بات بها أحد من المسلمين، فلما أصبحنا كبرنا استئناسا بالصبح و سرورا به، ثم أرسلت رجلا من أصحابي في مائة فارس، و أمرته أن يدور مع سور المدينة ليعرف لنا موضع بابها، فغاب عنا يومين، ثم أتانا صبيحة يوم الثالث فأخبر أنها مدينة لا باب لها، و لا مسلكت إليها، فجمعت أمتعة أصحابي إلى جانب سورها و جعلت بعضها إلى بعض لأنظر من يصعد إليها فيأتيني بخبر ما فيها فلم تبلغ أمتعتنا ربع الحائط لارتفاعه في الهواء فأمرت فاتخذت سلاليم كثيرة، و وصلت بعضها إلى بعض بالجبال و نصبتها على الحائط، و ناديت في المعسكر من يتعرف لي خبر هذه المدينة، و يصعد هذه السلاليم فله عشرة آلاف درهم، فانتدب

رجل من أصحابي فتسّم السلم و هو يتعوّذ و يقرأ، فلما صار في أعلاها و أشرف على المدينة فهقه ضاحكا، ثم هبط إليها فناديناها: أخبرنا بما رأيت فيها، فلم يجبنا، فجعلنا أيضا لمن يصعد إليها و يأتيها بخبرها و خبر الرجل ألف دينار، فانتدب رجل من حمير و أخذ الدنانير و جعلها في رحله، ثم صعد فلما استوى على السور فهقه ضاحكا، ثم نزل إليها فناديناها:

أخبرنا بما وراءك و ما الذى ترى فلم يجبنا أحد، حتى صعد ثلاثة رجال كلهم يقهقه ضاحكا و يتطير، فامتنع أصحابي بعد ذلك من الصعود و أشفقوا على أنفسهم، فلما نيست من أولئك الرجال و من معرفة المدينة، رحلت نحو البحيرة، فسرت مع سور المدينة فانتبهنا إلى مكان من السور فيه كتابة بالعربية [١٦٩]، فوقفت حتى أمرت باستنساخه و هى:

ليعلم المرء ذو العز المنيع و من يرجو الخلود و لا حى بمخلود

لو أن خلقا ينال الخلد فى مهل لنال ذاك سليمان بن داود

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤١

سالت له العين عين القطر فائضة فيها عطاء جليل غير مصرود

و قال للجنّ ابنا منه لى أثرا يبقى إلى الحشر لا يبلى و لا يودى

فصيروه صفاحا ثم ميل به إلى السماء بأحكام و تجويد

و أفرغوا القطر فوق السور منحدرافصار صلبا شديدا مثل صيخود

و ردّ فيها كنوز الأرض قاطبه و سوف يظهر يوما غير محدود

لم تبق من بعدها فى الملك شارفه حتى يضمّن رسا بطن أخدود

و صار فى قعر بطن الأرض مضطجعا مضمنا بطوايق الجلاميد

هذا لتعلم أن الملك منقطع إلا من الله ذى التقوى و ذى الجود

ثم سرت حتى وافيت البحيرة عند مغيب الشمس فإذا هى مقدار ميل فى ميل، و هى كثيرة الأمواج، فنظرنا فإذا رجل قائم فناديناها من أنت؟ قال: أنا رجل من الجنّ، و كان سليمان بن داود حبس والدى فوق الماء فى [١٧٠] هذه البحيرة، فأتيته لأنظر ما حاله، قلنا: فما لك قائما فوق الماء؟ قال: سمعت صوتا فظننته صوت رجل يأتى هذه البحيرة فى كل عام مرة فهذا أوان مجيئه. فيصلّى على شاطئ هذه البحيرة أياما و يهلل الله و يمجده، قلنا: فمن تظنه؟ قال: أظنه الخضر، ثم غاب عنا، فبتنا تلك الليلة على شاطئ البحيرة، و قد كنت أخرجت معى عدّة من الغوّاصين، فغاصوا فى البحيرة فأخرجوا منها حبا من صفر مطبّقا رأسه بصفر، مسمورا بمسامير من صفر، فأمرت بقلع الصفر فخرج منه رجل من صفر على فرس من صفر بيده مطرد من صفر، فطار فى الهواء و هو يقول: يا نبيّ الله لا- أعود، ثم غاصوا ثانية و ثالثه فأخرجوا عدّة من أولئك، ثم ضجّ أصحابي و خافوا أن ينقطع بهم الزاد، فأمرت بالرحيل و انصرفت بالطريق الذى سلكته، و أقبلت حتى نزلت القيروان، و كتابى منها و الحمد لله الذى حفظ لأمير المؤمنين أموره و سلّم له جنده و السلام. فلما قرأ عبد الملك بن مروان كتاب موسى بن نصير و كان عنده الزهرى قال: ما تظنّ بأولئك الذين صعدوا فوق السور كيف استطيروا؟ قال: أظنهم خبلوا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤٢

فاستطيروا لأن بتلك المدينة جفا قد و كلوا بها. قال: فمن أولئك الذين خرجوا من الحجاب ثم يطرون؟ قال: أولئك مردة الجنّ الذين حبسهم سليمان بن داود (عليه السلام) فى البحار.

[بيرة: جزيرة فيها اثنتا عشرة مدينة و ملكها مسلم يقال له فى هذا الوقت سودان بن يوسف، و هى فى أيدي المسلمين منذ دهر، و أهلها يغزون الروم و الروم يغزونهم، و منها يتوجه إلى القيروان] [١٧١].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤٣

القول في الشام

قال: سميت الشام شاماً لأنها شامة للكعبة، وقالوا: سميت لشامات بها حمر و سود، وقال ابن الأعرابي: إذا جرت جبل طيء - يقال لأحدهما سلمى و للآخر أجا - فقد أشامت حتى تجوز غزوة و دمشق و فلسطين و الأردن و قنسرين من عمل العراق. وقالوا: الشام من الكوفة إلى الرملة، و من بالس إلى أيلة. و قال عبد الله بن عمرو: قسم الخير عشرة أجزاء فجعل منها تسعة أعشار في الشام، و جزء في سائر الأرضين. و قال وهب الذماري: إن الله جلّ و عزّ أوحى إلى الشام أني باركتك و قدستك، و جعلت فيك مقامى، و إليك محشر خلقى، فاتسعى لهم كما يتسع الرحم، إن وضع فيه اثنان وسعهما، و إن وضع ثلاثة وسعهم، و عيني عليك من أول السنين إلى آخر الدهر، من عدم فيك المال لم يعدم فيك الخبز و الزيت.

و روى جبير بن نفير الحضرمي قال: شكت الشام إلى ربها فقالت: يا رب فضّلت الأرضين عليّ بالجبال و الأنهار و تركتني كظهر الحمار، فأوحى الله عزّ و جلّ إليها أن المسكين يشبع فيك، و عيني عليك و يدي إليك، و فى خبر آخر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: الشام صفوة الله من بلاده، و إليه يجتبي صفوته من عباده، يا أهل اليمن عليكم بالشام فإن صفوة الله من الأرض الشام.

و قال الحجاج لابن القزويني: أخبرني عن مكران. قال: ماؤها و شل، و تمرها دقل، و سهلها جبل، و لصيها بطل، إن كثر بها الجيش جاعوا، و إن قلوا ضاعوا.

قال: فأخبرني عن خراسان. قال: ماؤها جامد، و عدوها جاهد، و بأسهم شديد، و شرهم عنيد. قال: فأخبرني عن اليمن. قال: أرض العرب و أهل بيوتات

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤٤

و حسب. قال: فأخبرني عن عمان. قال: حرّها شديد، و صيدها عتيد، و أهلها بهائم، ليس بها رائم. قال: فأخبرني عن البحرين. قال: كناسة بين مصرين كثيرة جبالها، جهلة رجالها. قال: فأخبرني عن مكة. قال: رجالهم علماء، و فيهم جفاء، و نساؤها كساء عراة. قال: فأخبرني عن المدينة. قال: رسخ العلم فيها ثم علا و انتشر منها فى الآفاق. قال: فأخبرني عن اليمامة. قال: أهل جفاء و جلد و ثروة و عدد و صبر و نكر. قال: فأخبرني عن البصرة. قال: حرّها شديد، و ماؤها مالح، و حربها صالح، مأوى كلّ تاجر و طريق كلّ عابر. قال: فأخبرني عن واسط. قال: جنّة بين حماة و كنة تحسدانها، و دجلة و الزاب يتباريان عليها. قال:

فأخبرني عن الكوفة قال: سفلت عن برد الشام و ارتفعت عن حرّ اليمن، فطاب ليلها و كثر خيرها. قال: فأخبرني عن الشام. قال: عروس فى نسوة جلوس كلهن يزفنها و يرفدنها. [١٧٢]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ١٤٤

قال عدى بن كعب فى قوله: وَ نَجَّيْنَاهُ وَ لَوْ طَأَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ قال: الشام.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤٥

القول فى بيت المقدس

قال فى قول الله عزّ و جلّ: وَ لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ قال: بيت المقدس. و قال مقاتل بن سليمان فى قول الله تعالى وَ نَجَّيْنَاهُ وَ لَوْ طَأَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ قال: هى بيت المقدس. و قوله:

وَأَوْبَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ. وَقَوْلُهُ: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَالَ: بَيْتِ الْمُقَدَّسِ. وَشَدَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلِكًا دَاوُدَ بِهَا، وَسَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ يَسْبِغْنَ بِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَوَهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ سُلَيْمَانَ بِهَا، وَغَفَرَ لِسُلَيْمَانَ ذَنْبَهُ، وَفَهَّمَهُ الْحِكْمَةَ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَكَانَتْ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَقْرُبُ بِهَا، وَاصْطَفَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَرْيَمَ بِهَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَآتَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحْيَى الْحِكْمَةَ بِهَا، وَسَرَّةَ الْأَرْضِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ. وَفِي الْخَبَرِ: مَنْ صَلَّى فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَكَأَنَّمَا صَلَّى فِي السَّمَاءِ، وَتَزَفَّ الْكَعْبَةُ بِجَمِيعِ حَجَّاجِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَيَقُولُ لَهَا: مَرْحَبًا بِالزَّائِرِ وَالْمُزَوَّرِ، وَتَزَفُّ مَسَاجِدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَأَوَّلُ مَا انْحَسَرَ عَنْهُ الطُّوفَانُ صَخْرَةَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَيَنْفَخُ فِي الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهَا، وَيَحْشُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلَائِقَ إِلَيْهَا، وَتَزَفُّ الْجَنَّةُ عِنْدَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَبَابُ السَّمَاءِ مَفْتُوحٌ عَلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَيَغْفِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ أَتَى إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَيُخْرِجُ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى: انْطَلِقْ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَإِنَّ بِهَا نُورِي، وَنَارِي. وَتَكْفَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ أَتَاهَا أَنْ لَا يَفُوتَهُ الرِّزْقُ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا: سَتَهَاجِرُونَ هَجْرَةً إِلَى مَهَاجِرِ إِبْرَاهِيمَ - يَعْنِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ - فَمَنْ صَلَّى فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ رَكَعَتَيْنِ خَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ مِثْلَ يَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِهِ مِائَةٌ نُورٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَشْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ. وَقَالَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤٦

دَاوُدَ حِينَ فَرَّغَ مِنْ بِنَائِهَا. سَلَّنِي أَعْطَاكَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذَنْبِي. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَكَ ذَلِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ مِنْ جَاءَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ أَنْ تَخْرُجَهُ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: وَلَكَ ذَلِكَ. قَالَ: وَأَسْأَلُكَ مِنْ جَاءَهُ فَقِيرًا أَنْ تَغْنِيَهُ، أَوْ سَقِيمًا أَنْ تَشْفِيَهُ. قَالَ: ذَلِكَ لَكَ. قَالَ: وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَكُونَ عَيْنَكَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: وَلَكَ ذَلِكَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَشَدَّ الرَّحَالَ إِلَى أَفْضَلِ مِنْ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَصَلَاةٌ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي سِوَاهِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشَدَّتْهَا جَاءَهُ اللَّهُ بِرِزْقِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلَفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ وَمَنْ فَوْقَهُ وَمَنْ تَحْتَهُ فَأَكَلَ رَغْدًا ثُمَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهِيَ أَوَّلُ أَرْضِ بَارِكِ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فِيهَا، وَبَشَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ بِإِسْحَاقَ بِهَا، وَبَشَّرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ زَكَرِيَّا بِيَحْيَى بِهَا، وَتَسَوَّرَ الْمَلَائِكَةُ الْمَحْرَابَ عَلَى دَاوُدَ بِهَا، وَيَمْنَعُ الدَّجَالَ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهَا، وَيَهْلِكُ بِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ حَوْلَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَأَوْصَى آدَمَ أَنْ يَدْفِنَ بِهَا، إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَحَمَلَ يَعْقُوبَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَيْهَا، وَدَفَنَتْ مَرْيَمَ بِهَا، وَبِهَا مَوْضِعُ الصَّرَاطِ وَوَادِي جَهَنَّمَ وَالسَّكِينَةُ، وَإِلَيْهَا الْمُحْشَرُ وَالْمُنْشَرُ، وَتَابَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَى دَاوُدَ بِهَا، وَصَدَّقَ إِبْرَاهِيمَ الرَّؤْيَا بِهَا، وَكَلَّمَ عِيسَى النَّاسَ فِي الْمَهْدِ بِهَا، وَتَقَادَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ كَعْبٌ: مَنْ زَارَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَزَارَهُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَبَطُوهُ وَمَنْ صَامَ يَوْمًا بِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ كَانَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَمَا مِنْ مَاءٍ عَذِبَ إِلَّا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الصَّخْرَةِ الَّتِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا قَالَ: أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٌ: سِيحَانٌ وَجِيحَانٌ وَالْفَرَاتُ وَالنَّيْلُ الَّذِي بِمِصْرَ، فَأَمَّا سِيحَانٌ فَدَجْلَةٌ، وَأَمَّا جِيحَانٌ فَنَهْرٌ بَلْخِ، وَأَمَّا الْفَرَاتُ فَالْكُوفَةُ قَالَ.

وَقَالَ كَعْبٌ: كَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعُ مِائَةِ سَرِيَّةٍ وَثَلَاثُ مِائَةِ مُحَصَّنَةٍ [١٧٣]، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ فَكَانَ يَعْمَلُهُ بِالْجَنِّ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤٧

وَالْأَنْسِ، فَكَانَ طَعَامُهُمُ الَّذِي يَطْعَمُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ اللَّحْمِ سِتِّينَ أَلْفَ شَاءٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ عَجَلٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ فِدَّانٍ، وَالَّذِي يَصْلِحُ لِذَلِكَ مِنَ الْحَنْطَةِ.

وَقَالَ كَعْبٌ: هَبَطَ آدَمُ بِالْهِنْدِ فَخَرَّ سَاجِدًا، فَوَقَعَتْ جَبْهَتُهُ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ.

وقال كعب: لا تسموها إيلياء ولكنها بيت المقدس، إنما إيلياء امرأة بنت بيت المقدس.

وقال كعب: من أتى بيت المقدس يسأل الله عز وجل فيها حاجة لا يسأله غيرها إلا أعطاه الله إياها

وقالت ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفتنا عن بيت المقدس. قال: نعم المصلي، هو أرض المحشر وأرض المنشر يتوه فضلوا فيه، فإن الصلاة فيه كألف صلاة. قلت: بأبي وأمي أنت من لم يطق أن يأتيه؟ قال: فليهد إليه زيتا يسرج فيه. فإنه من أهدى إليه كان كمن صلى فيه.

وقال كعب: دخلت امرأة الجنة في مغزل شعر أهدته إلى بيت المقدس.

وعن ابن عباس قال: بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته الأنبياء، ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي وقام عليه ملك.

وقال فضيل بن عياض: لما صرفت القبلة نحو الكعبة قالت صخرة بيت المقدس: إلهي لم أزل قبله لعبادك حتى بعثت خير خلقك فصرفت قبلتهم عنى، فقال: أبشرى فإنى واضع عليك عرشى، وحاشر إليك خلقى، وقاض عليك أمرى وناشر منك خلقى.

وقال وهب: أهل بيت المقدس جيران الله عز وجل، وحق على الله ألا يعذب جيرانه.

وقال كعب: من زار بيت المقدس شوقا إليها دخل الجنة، ومن صلى فيه ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأعطى قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا، ومن تصدق فيها بدرهم كان فداءه من النار، ومن صام فيها يوما واحدا كتبت له براءة من النار.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤٨

وقال كعب: قرأت في التوراة أن الله جل وعز يقول للصخرة: أنت عرشى الأدنى، منك ارتفعت إلى السماء، ومن تحتك بسطت الأرض، ومن أحببك أحبني ومن أبغضك أبغضني ومن مات فيك فكأنما مات في السماء. أنا جاعل لمن يسكنك أن لا يفوته الخبز والزيت أيام حياته وكل ماء عذب من تحتك يخرج، لا تذهب الأيام حتى يزف إليك البيت الحرام. وكل بيت يذكر فيه اسمي، يحفون بك كما يحف الركب بالعروس.

وقال بعضهم: رد الله جل وعز على سليمان ملكه بعسقلان، فمشى إلى بيت المقدس على قدميه تواضعا لله وشكرا، ويقول الله عز وجل لبيت المقدس: أنت نصب عيني لا أنساك، أنت منى بمنزلة الولد من والديه، فيك جنتي وناري، وإليك محشري، وفيك موضع ميزاني.

وقال يحيى بن كثير: لا تقوم الساعة حتى يضرب على بيت المقدس سبع حيطن: حائط من ذهب، وحائط من فضة، وحائط من لؤلؤ، وحائط من ياقوت، وحائط من زبرجد، وحائط من نور. وبيت المقدس افتتحه عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).

وعن وهب بن منبه قال: أمر إسحاق ابنه يعقوب ألما ينكح امرأة من الكنعانيين، وأن ينكح من بنات خاله لابان، وكان مسكنه الفدان [١٧٤]، فتوجه إليه يعقوب فأدركه في بعض الطريق تعب، فبات متوسدا حجرا، فرأى فيما يرى النائم كأن سلما منصوبا إلى باب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل منه وتخرج فيه، وأوحى الله عز وجل إليه أنى أنا الله لا إله إلا أنا إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك، وباركت فيك وفيهم، وجعلت فيكم الكتاب والحكم والنبوة، ثم أنا معك حتى أردك إلى هذا المكان، فأجعله بيتا تعبدني فيه وذريتك، فيقال: إن ذلك بيت المقدس، ومات عنه داود (عليه السلام) فلم يتم بناءه، وأتمه سليمان، فأخرجه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٤٩

بخت نصير، فمر عليه شعيا فرآه خرابا فقال: أنى يحيى هذه الله بعيد موتها فأما الله مائة عام ثم بعثه وابتناه ملك من ملوك فارس يقال له كوشك.

وقال وهب بن منبه: لئما أراد الله جل وعز أن يبنى بيت المقدس ألقى على لسان داود فقال: يا رب ما هذا البيت؟ فأوحى الله عز وجل

جلّ إليه: يا داود هذا محلّة رسلي. و أهل مناجاتي، و أقرب الأرض إلى فصل القضاء يوم القيامة، ضمنت ألا يأتيه عبد كثرت ذنوبه و خطاياها إلا غفرت له، و لا- يستغفرني إلا- غفرت له و تبت عليه، قال: يا ربّ و ارزقني أن آتية. فأوحى الله عزّ و جلّ إليه: يا داود لا يخالط من التبتت كتمّاه بالدنيا. قال: يا ربّ أما قبلت توبتي و أعطيتني رضائي، فأوحى الله عزّ و جلّ إليه: أن البيت طاهر طهرته من الذنوب، و غسلته من الخطايا، فلذلك منعتك بناءه حتى يجرى بناؤه على يدي نبيّ من أنبيائي تقى الكفّين، و قد كان داود أسيس أساس المسجد حتى ارتفعت الجدر، فأوحى الله جلّ و عزّ إليه يأمره أن يمسك عن البناء، و يعلمه أن الذي يتولّى بناءه من بعده ابنه سليمان و أنه قد جعل له اسم ذلك البناء و بشّره بما يعطى سليمان بعده من عظيم الملك، فلمّا أوحى الله جلّ و عزّ إلى داود بذلك أمسك عن البناء، فلمّا توفّي داود و ملك سليمان أمر ببناء البيت، و أمر أن يجرى في كل سنة من البر عشرون ألف كز، و من الزيت عشرون ألف كز زيتون، و كان له سبعون ألف رجل أصحاب مساح و مرور، و ثمانون ألف رجل ممن ينحت الحجارة، فبناه بالحجارة، و بطنه بألواح من خشب مزخرف، و بطن البيت الذي كان يقرب فيه بصفائح من ذهب، و وضع في البيت الذي كان يقرب فيه مثال ملكين من خشب منقوشين، و ألبسهما صفائح الذهب، و جعلها عن يمين المذبح و عن يساره في الحائط، و اتخذ له أبوابا منقوشة بالذهب، و استتمّ عمله في ثلاث عشرة سنة، ثم وجه إلى الصين فأتى برجل يعمل الشبه و النحاس، فأتخذ أمتعة للبيت لا تحصى عددا، و اتخذ عمودين من نحاس، طول كلّ واحد ثمانية عشر ذراعا في غلط اثني عشر ذراعا، و اتخذ على رأسهما إجانيتين كل واحدة في طول خمسة أذرع، و اتخذ لهما أعطية و سلاسل، و علّق فيهما أربع مائة رمانة شبه صفّين، يقابل بعضها بعضا، و اتخذ حوضا من نحاس، يحمله اثنا عشر ثورا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥٠

مستديرا مع تماثيل و عجائب، و فضّص سقوفه و حيطانه بألوان الياقوت و سائر الجواهر، فلمّا فرغ من بنائه اتخذ سليمان ذلك اليوم عيداً في كلّ سنة، و جمع عظماء بني إسرائيل و أحبارهم فأعلمهم أنه بناه لله جلّ و عزّ، و أن كلّ شيء فيه خالص لله، ثم قام على الصخرة رافعا يديه إلى الله جلّ و عزّ و حمده و مجّده و قال:

اللهم أنت قوّيتني على بناء هذا المسجد، و أعنتني عليه، و سخرت لي الجنّ و الشياطين و الريح و الطير، اللهم أوزعني شكر نعمتك عليّ و عبادتك و أعني، و توفّني على ملّتك، و لا- ترغ قلبي بعد إذ هديتني، و هب لي ذلك، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال فاستجبها لي يا إله العالمين، لا يطلبه مذنب يطلب التوبة إلا غفرت له ذنبه و تبت عليه، و لا يدخله خائف إلا أمّنت روعته و خوفه و وقّيته شرّ ما يخاف و يحذر، و لا يدخله سقيم إلا وهبت له الشفاء و العافية، و لا يدخله فقير يطلب من فضلك إلا أغنيته و رزقته من حيث لا يحتسب من حلال رزقك، و الخامسة يا ربّ لا تصرف بصرك عمن يدخله حتى يخرج منه إلا من أراد إلحادا و ظلما يا ربّ العالمين.

و يقال: إن طول مسجد بيت المقدس ألف ذراع و عرضه سبع مائة ذراع، و فيه أربعة آلاف خشبة، و سبع مائة عمود، و خمس مائة سلسلة نحاس، و يسرج فيه كلّ ليلة ألف و ستمائة قنديل، و فيه من الخدم مائة و أربعون خادما، و في كل شهر له مائة قسط زيت، و له من الحصر في كلّ سنة ثمان مائة ألف ذراع، و فيه خمسة و عشرون ألف حبّ للماء، و فيه ستّة عشر تابوتا للمصاحف المسبّلة، و فيها مصاحف لا يستقلّها الرجل، و فيه أربعة [١٧٥] منابر للمطوّعة و واحد للمرتزقة، و له أربع [١٧٦] مياضي، و على سطوح المسجد مكان الطين خمس [١٧٧] و أربعون ألف صحيفة رصاص، و على يمين المحراب بلاطة سوداء مكتوب فيها خلقه محمّد صلى الله عليه و سلم، و في ظهر القبلة في حجر أبيض كتابه بسم الله الرحمن الرحيم محمّد رسول

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥١

الله نصره حمزة و داخل المسجد ثلاث مقاصير للنساء طول كل مقصورة سبعون ذراعا، و فيه خمسون بابا داخلا و خارجا، و وسط المسجد دكان طوله ثلاثمائة ذراع في خمسين و مائة ذراع و ارتفاعه تسعة أذرع، و له ستّ درجات إلى الصخرة، و الصخرة وسط هذا

الدكان و هي مائة ذراع في مائة ذراع ارتفاعها سبعون ذراعا و دورها ثلاثمائة و ستون ذراعا، يسرج فيها كل ليلة ثلاثمائة قنديل، و بها أربعة أبواب مطبقة، على كل باب أربعة أبواب، و على كل باب دكانة مرخمة، و حجر الصخرة ثلاثة و ثلاثون ذراعا في سبعة و عشرين ذراعا، تحتها مغارة يصلّي فيها الناس يسعها تسعة و ستون نفسا، و فرش القبة رخام أبيض، و سقوفها بالذهب الأحمر، في دور حيطانها و في أعلاها ستة و خمسون بابا مزججة بأنواع الزجاج، و الباب ستة أذرع في ستة أشبار، و القبة بناها عبد الملك بن مروان على اثني عشر ركنا و ثلاثين عمودا، و هي قبة على قبة، عليها صفائح الرصاص و صفائح النحاس مذهبة، جدرها من داخل و خارج ملبس بالرخام الأبيض و من شرقي قبة الصخرة قبة السلسلة على عشرين عمودا رخاما، ملبسة بصفائح الرصاص، و أمامها مصلى الخضر (عليه السلام) و هو وسط المسجد، و في الشامي قرية النبي صلى الله عليه و سلم و مقام جبريل (عليه السلام)، و عند الصخرة قبة المعراج، و فيه من الأبواب: باب داود، و باب حطّة، و باب النبي، و باب التوبة- و فيه محراب مريم- و باب الوادي، و باب الرحمة، و محراب زكرياء، و أبواب الأسباط، و مغارة إبراهيم، و محراب يعقوب، و باب دار أم خالد، و من خارج المسجد على باب المدينة في الغرب محراب داود، و مربوط البراق في ركن منارة القبلة، و عين سلوان في قبلة المسجد، و طور زيتا [١٧٨] مشرف على المسجد، و فيما بينهما وادي جهنم، و منه رفع عيسى (عليه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥٢

السلام)، و عليه ينصب الصراط، و فيه مصلى عمر بن الخطاب، و فيه قبور الأنبياء، و بيت لحم على فرسخ من المدينة، و هو موضع ولد فيه عيسى، و مسجد إبراهيم على خمسة عشر ميلا، و فيه قبر إبراهيم و إسحاق و يعقوب و يوسف و سارة و نعل النبي صلى الله عليه و سلم عند الإمام.

و كانت سلسلة قضاء الخصوم من اتخاذ سليمان، و كان مما اتخذ أيضا بيت المقدس من الأعاجيب أن نصب في زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس، فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم يضره مسها و من مسها من غيرهم احترقت يده، فلم يزل كذلك على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر، فخرّب بيت المقدس، و نقض المسجد، و أخذ ما كان في سقوفه من الذهب و الفضة و الجواهر، فحملة معه إلى دار مملكته بالعراق، و بقي بيت المقدس خرابا حتى مرّ به شعيا النبي و رآه خرابا، و هو الذي قال الله عزّ و جلّ أو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا و ابتناه بعد ذلك ملك من ملوك فارس يقال له كوشك [١٧٩].

و بين بيت المقدس و الرملة ثمانية عشر ميلا، و هي من كورة فلسطين، و كانت دار ملك داود و سليمان و رحبعم بن سليمان و ولد سليمان، و لما ملك الوليد بن عبد الملك ولى سليمان بن عبد الملك جند فلسطين، فنزل لدا ثم أحدث مدينة الرملة و مصرها، و كان أول ما بنى فيها قصره، و الدار التي تعرف بدار الصباغين، و جعل في الدار صهريجا متوسطا لها، ثم اختط المسجد و بناه، و أذن للناس في البناء فبنوا، و احتفر لأهل الرملة قناتهم التي تدعى برده، و احتفر أيضا آبارا عذبة، و ولى النفقة على بنائه بالرملة و مسجد الجامع كاتبها له نصرانيا من أهل لدا يقال له البطريق بن بكا، و لم تكن مدينة الرملة قبل سليمان، و كان موضعها رملة و صارت دار الصباغين لورثه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، لأنها قبضت عن بني أمية، و كانت بنو أمية تنفق على آبار الرملة و قناتها بعد سليمان بن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥٣

عبد الملك، فلما استخلف أبو العباس أنفق عليها، ثم كان ينفق خليفه بعد خليفه، فلما استخلف المعتصم بالله سجلّ بتلك النفقة سجلا فانقطع الاستثمار و صارت جارية يحتسب بها العمال فتحسب لهم.

و من كور فلسطين أيضا عمواس، و كورة لدا، و كورة يينا، و كورة يافا، و كورة قيساريّة، و كورة نابلس، و كورة سبسطية، و كورة بيت جبرين، و كورة غزة، و عسقلان، و سميت فلسطين بفيلسطين بن كسلوخيم بن صدقيا ابن كنعان بن حام بن نوح النبي (عليه السلام) و قال ابن الكلبي في قول الله عزّ و جلّ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ قال: هي فلسطين و في قوله الْأَرْضِ الَّتِي

بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ قَالَ: فلسطين.

وفلسطين بلاد واسعة كثيرة الخير، و يقال: إنها من بناء اليونانيين، و الزيتون التي بها من غرسهم.

و قال النبي (صلى الله عليه و سلم): «أبشركم بالعروسين غزّة و عسقلان».

و قال عمر بن الخطاب: لولا أن تعطلّ الثغور و تضيق عسقلان بأهلها لأخبرتكم بما فيها من الفضل.

و قال عبد الله بن سلام: لكلّ شيء سراء و سراء الشام عسقلان.

و افتتحها معاوية في خلافة عمر بن الخطاب.

و عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه و سلم) فقال: يا رسول الله إني أريد العراق، فقال (صلى الله عليه و سلم): عليك بالشام، فإن الله جلّ و عزّ قد تكفّل لي بالشام و أهله، ثمّ أزم من الشام عسقلان، فإنه إذا دارت الرحا في أمّتي كان أهل

عسقلان في راحة و عافية.

و قال أبو أمامة الباهلي: قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): من رابط بعسقلان يوما و ليلة ثمّ مات بعد ذلك بستين سنة مات

شهيدا، و لو مات في أرض الشرك.

و خراج فلسطين خمس مائة ألف دينار.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥٤

[و كان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل بالقرب من حمص في قرية تدعى سحر، و يقال إن بها فار التنور. و جبل الجليل بالقرب

من دمشق أيضا. يقال إن عيسى عليه السلام دعا لهذا الجبل أن لا يعدو سبعة و لا يجرب زرعه، و هو جبل يقبل من الحجاز فما كان

بفلسطين منه فهو جبل الحمل و ما كان بالأردن فهو جبل الجليل، و هو بدمشق لبنان و بحمص سنير، و قال أبو قيس بن الأسلت:

فلو لا ربنا كنّا يهودا و ما دين اليهود بذي شكول

و لولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل

و لكننا خلقنا إذ خلقنا حنيف ديننا عن كل جيل [١٨٠]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥٥

القول في دمشق

إشارة

قال الكلبي: دمشق بناها دمشق بن فالى بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح. و قال الأصمعي: أخذت دمشق من دمشقها أى

أسرعوها. و قال كعب في قول الله عزّ و جلّ: وَالتَّيْنِ قَالَ: الجبل الذي عليه دمشق وَالرَّيْتُونَ قَالَ:

الذي عليه بيت المقدس وَطُورِ سَيْنِينَ حيث كلم الله موسى (عليه السلام) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ مَكَّة.

و قال كعب: مريض ثور في دمشق خير من دار عظيمة بحمص. قال في قوله عزّ و جلّ: لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ قَالَ: دمشق. و قال

كعب: معقل المسلمين من الملاحم دمشق، و معقلهم من الدجال نهر أبي فطرس، و من يأجوج و مأجوج الطور.

و قال هارون الرشيد للحسين بن عمّار: وليتك دمشق و هي جنة تحيط بها غدر تتكفأ أمواجها على رياض كالدراري، فما برح بك

التعدى لإرفاقهم أن جعلتها أجرد من الصخر، و أوحش من القفر. قال: و الله يا أمير المؤمنين ما قصدت لغير التوفيق من جهته، و لكنني

رأيت أقواما ثقل الحقّ على أعناقهم فتفرّقوا في ميادين التعدى و رأوا المراغمة بترك العمارة أوقع ياضرار السلطان، و أرادوا بذلك

المشقة على الولاة، و إن سخط أمير المؤمنين فقد أخذ بالحظ الأوفر من مساء تي. فقال الرشيد: هذا أجزل كلام سمع من خائف.
و قال الأصمعي: جنان الدنيا ثلاث: غوطة دمشق، و نهر بلخ، و نهر الأبله.

و حشوش الدنيا ثلاثة: الأبله، و سيراف، و عمان.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥٦

و قال: عروسا الدنيا: الرّي و دمشق.

و قال يحيى بن أكرم: ليس في الأرض بقعه أنزه من ثلاث بقاع: قهندز سمرقند، و غوطة دمشق، و نهر الأبله.

و قال المدائني: دمشق مدينتها الغوطة، و كورها: إقليم سنير و كورة جليل، و بيروت، و صيدا، و بشتية، و حوران، و جولان، و ظاهر البلقاء، و جبرين الغور، و كورة مآب، و كورة جبال، و كورة الشراة، و بصرى، و عمان، و الجابية، و القریتان، و الحولة، و البقاع، و السواحل منها ستة: صيدا، و بيروت، و أطرابلس، و عرقه، و صور، منبرها إلى دمشق و خراجها إلى الأردن، و خراج دمشق أربع مائة ألف و تيف، و دمشق هي أربعة أحماس صلح و خمس عنوة و هو خمس خالد بن الوليد، و فتحت سنة ١٤، في رجب للنصف منه في خلافة عمر بن الخطاب. و قال البحرى في دمشق:

أما دمشق فقد أبدت محاسنها و قد وفي لك مطربها بما وعدا

إذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن و زمان يشبه البلدا

تمسى السحاب على أجالها فرقاو يصبح النور في صحرائها بددا

فلست تبصر إلّا و اكفا خضلاو يانعا خضرا أو طائرا غردا

كأنما القيظ و لى بعد جيئته أو الرّبيع دنا من بعد ما بعدا

و قال أبو تمام:

لولا حدائقها و أنى لا أرى عرشا هناك ظننتها بلقيسا

و أرى الزّمان غدا عليك بوجهه جذلان بسّاما و كان عبوسا

قد نورت تلك البطون و قدست تلك الظهور بقربه تقديسا

و قالوا: عجائب الدنيا أربع [١٨١]: قنطرة سنجة، و منارة الإسكندرية، و كنيسة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥٧

الرّها، و مسجد دمشق. و لمدينة دمشق ستة أبواب: باب الجابية، و باب الصغير، و باب كيسان، و باب الشرقى، و باب توما، و باب الفرديس، هذه التي كانت على عهد الروم و لما أراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق دعا نصارى دمشق فقال: إنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيسةكم هذه، و نعطيكم موضع كنيسة حيث شئتم، فحذروه ذلك و قالوا: إنا نجد في كتبنا أنه لا يهدمها أحد إلّا خنق، فقال الوليد: فأنا أول من يهدمها. فقام عليها و عليه قباء أصفر فهدمها بيده و هدم الناس معه، ثم زاد في المسجد. فلما هدمها كتب إليه ملك الروم أنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها. فإن كان حقا ما عملت فقد أخطأ أبوك، و إن كان باطلا فقد خالفت أباك، فلم يعرف الوليد جوابا فاستشار الناس و كتب إلى العراق فقال الفرزدق: أجه يا أمير المؤمنين بقول الله جلّ و عزّ: وَ داوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذِ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ - الآية إلى قوله - حُكْمًا وَ عَلِمًا فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بِذَلِكَ فَلَمْ يَجِبْهُ.

و الوليد [١٨٢] مَن زاد في المساجد و بناها، فبنى المسجد الحرام، و مسجد المدينة، و مسجد قبا، و مسجد دمشق، و أول من حفر المياه في طريق مكة إلى الشام، و أول من عمل البيمارستانات للمرضى، و كان في ذلك أنه خرج حاجا فمرّ بمسجد النبي (صلى الله عليه و سلم) فدخله فرأى بيتا ظاعنا في المسجد شارعا بابه فقال: ما بال هذا البيت؟ فقيل: هذا بيت عليّ بن أبي طالب (رضى الله عنه) أقرّه رسول الله (صلى الله عليه و سلم) و ردم سائر أبواب أصحابه فقال: إن رجلا نلعه على منابرنا في كلّ جمعة ثم نقرّ بابه ظاعنا في

مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من بين الأبواب، اهدم يا غلام. فقال روح بن زنباع الجذامي: لا تفعل يا أمير المؤمنين حتى تقدم الشام، ثم تخرج أمرك بتوسيع مساجد الأمصار مثل: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، و تبنى بدمشق مسجدا فيدخل هدم بيت علي بن أبي طالب فيما يوسع من مسجد المدينة. فقبل منه و قدم الشام و أخذ في بناء مسجد دمشق، و أنفق عليه خراج المملكة سبع سنين. ليكون ذكرا له، و فرغ من المسجد في ثمانى سنين، فلما

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥٨

حمل إليه حساب نفقات مسجد دمشق على ثمانية عشر بعيرا أمر بإحراقها.

قال في كتاب (المسالك و الممالك) [١٨٣]: أنفق على مسجد دمشق خراج الدنيا ثلاث مّرات، و بلغ ثمن البقل الذى أكله الصّناع فى مدّة أيام العمل ستّة آلاف دينار، و هذا المسجد مقعد عشرين ألف رجل، و أن فيه ستّمائة سلسله ذهب للقناديل.

قال زيد بن واقد: وكنى الوليد على العمّال بمسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذاك، فنزل فى الليل فإذا هى كنيسة لطيفة، ثلاثة أذرع فى مثلها، و إذا فيها صندوق، و فيه سفظ مكتوب عليه هذا رأس يحيى بن زكرياء، فرأيناها فأمر به الوليد أن يجعل تحت عمود معين، فجعل تحت العمود المسقط الرابع الشرقى و يعرف بعمود السكاسك، و قال أبو مهران رأس يحيى بن زكرياء تحت عمود السكاسك، و قال زيد أيضا: رأيت رأس يحيى بن زكرياء حين وضع تحت العمود و البشرة و الشعرة لم تتغير.

قالوا: فمن عجائب مسجد دمشق أن لو بقى الرجل فيها مائة سنة لكان يرى فيها فى كل وقت أعجوبة لم يرها قبل.

و قال كعب: لبيّن فى دمشق مسجد يبقى بعد خراب الأرض أربعين عاما و المئذنة التى بدمشق كانت ناظرا للروم فى كنيسة يحيى، فلما هدم الوليد الكنائس و أدخلها المسجد تركت على حالها، و هدم الوليد عشر كنائس و اتخذها مسجدا، و لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قال: إنى أرى فى مسجد دمشق أموالا أنفقت فى غير حقّها، فأنا مستدرك ما استدركت منها، و رادّها إلى بيت المال، أنزع هذا الرخام و الفسيفساء و أطينه، و أنزع هذه السلاسل و أصير بدله حبالا، فاشتد ذلك على أهل دمشق فخرج أشرافها إليه و كان فيهم يزيد بن سمعان و خالد بن عبد الله القسرى، فقال خالد لهم: دعونى و الكلام، قالوا: تكلم، فلما

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٥٩

دخلوا عليه قال له خالد: بلغنا أنك هممت بمسجدنا بكذا و كذا. قال: نعم. قال:

و الله ما ذلك لك. قال: فلمن ذلك لأمك الكافرة؟ و كانت أمه نصرانية. فقال: إن تك كافرة ولدت مؤمنا، فاستحيى عمرو و قال: صدقت. و ورد على عمر رسل الروم فدخلوا مسجد دمشق لينظروا إليها فرفعوا رؤوسهم إلى المسجد، فنكس رئيس منهم رأسه و اصفرّ لونه فقالوا له فى ذلك فقال: إننا كنا معاشر أهل رومية نتحدّث أن بقاء العرب قليل، فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدّة سيلغونها، فأخبر عمر بذلك فقال: أرى مسجدكم هذا غيظا على الكفار، فترك ما هم به من أمر المسجد.

و المسجد مبنى بالرخام و الفسيفساء، مسقف بالساج، منقوش باللازورد و الذهب، و المحراب مرصع بالجواهر المثمنة، و الحجارة العجيبة.

و بنى معاوية الخضراء بدمشق فى زمن عثمان بن عفّان، و أمر على الشام و هو ابن ثمان و ثلاثين سنة، و استخلف و هو ابن ثمان و خمسين سنة، و توفى لثمان و سبعين سنة، و هو أوّل من اتخذ المحاريب و المقاصير و الشّروط و الحرس و الخصيان و أصفى الأموال.

و قد أنكر قوم بناء الدور و الأبنية، و النفقة و التبذير عليها، و هذا طلحة بنى داره بالآجرّ و القصّة [١٨٤] و أبوابه ساج، و بنى عثمان بن عفّان بالحجارة المنقوشة المطابقة و خشب الصنوبر و الساج، و حمل له من البصرة فى البحر و من عدن فى البحر، و حمل له القصيّة من بطن نخل، و بنى الزبير أربعة أدور: دارا بمصر، و أخرى بالإسكندرية، و أخرى بالكوفة، و أخرى بالبصرة، و أنفق زيد بن ثابت على داره ثلاثين ألف درهم.

و قال كعب الحبر: أربع مدائن من مدائن الجنّة: حمص، و دمشق، و بيت جبرين، و ضفار اليمن، و أجناد الشام أربعة: حمص، و

دمشق، و فلسطين، و الأردنّ.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٦٠

و لقي كعب رجلا فقال: من أين أقبل الرجل؟ قال: من الشام. قال: أ فمن أهله أنت؟ قال: نعم. قال: فلعلك من الجند الذين ينظر الله إليهم كل يوم مرتين.

قال: و أيّ جند هم؟ قال: جند فلسطين. قال: لا. قال: فلعلك من الجند الذين يلقون الله في الثياب الخضرة. قال: و أيّ جند هم؟ قال: جند الأردنّ. قال: لا.

قال: فلعلك من الجند الذين يستظلون تحت العرش يوم لا ظلّ إلا ظله. قال:

و أيّ جندهم؟ قال: جند دمشق. قال: لا. قال: فلعلك من الجند الذين يبعث الله منهم سبعين ألف نبي. قال: و أيّ جند هم؟ قال: جند حمص. قال: لا. قال:

فمن أين أنت؟ قال: من قنسرين. قال: ليست تلك من الشام، تلك قطعة من الجزيرة يفزق بينهما الفرات.

و خراج حمص ثلاثمائة ألف و أربعون ألف دينار، و أقاليمها كثيرة منها: إقليم سلمية و تدمر.

قال: و لما هدم مروان بن محمد حائط تدمر وصل إلى بيت مجصص عليه قفل ففتحه فإذا امرأة مستلقية على قفاها، في بعض غداثرها صحيفة نحاس مكتوب عليه: بسمك اللهم أنا تدمر بنت حسان، أدخل الله الذلّ على من يدخل عليّ في بيتي. قال: فو الله ما ملك مروان بعدها إلا أياما حتى أقبل عبد الله بن عليّ فقتل مروان بن محمد، و فرّق خيله، و استباح عسكره، فقيل وافق دعاءها.

و يقال: إن مدينة تدمر بناها سليمان بن داود، و كانت عجيبة البناء، كثيرة الصور و التماثيل. و يقال: إنه بنى فيها دارا فيها مقاصير و أروقة و حجرات و إيوانات و غير ذلك، و أن سطح هذه الحجرات و المقاصير و غير ذلك حجر واحد بقطعة واحدة، و هو باق إلى يومنا هذا، و بها صورة جاريتين من حجارة من بقايا صور كانت بها، و قال: فيهما بعض الشعراء [١٨٥]:

فتاتي أهل تدمر خبراني ألما تسأما طول المقام

قيامكما على غير الحشاياعلى جبل أصم من الرّخام

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٦١

و إنكما على مرّ الليالي لأبقى من فروع ابني شمام

و أنشد أبو دلف فيهما لنفسه:

ما صورتان بتدمر قد راعتا أهل الحجي و جماعة العشاق

غبرا على طول الزمان و مرّه لم يسأما من ألفة و عناق

فليرمين الدهر من نكباته شخصيهما منه بسهم فراق

و ليبلينهما الزمان بكرّه و تعاقب الإظلام و الإشراق

كى يعلم العلماء ألّا دائما غير الإله الواحد الخلاق

و أنشد أبو الحسن العجليّ فيهما:

إنّ اللّتين صيغتا بتدمرو كلّتا قلبي بوجد مضمّر

صورتا في أحسن التصوّر لم يرهبا كّرّ صروف الأعصر

و تدمر صلحيّة صالح أهلها خالد بن الوليد.

و السواحل من حمص السّنة: كورة اللاذقية، و كورة جبلة، و كورة بلنياس، و كورة أنططوس، و كورة مرقية، و كاسرة، و السّقي، و

حبنه، و الحولة، و عملوا، و رندك، و قبراثا. و إذا عبرت الفرات جئت إلى خشاف و ناعورة، ثم إلى حلب و قنسرين و كورها، و خراج قنسرين أربعة آلاف دينار.

و قال مشايخ أنطاكية: كانت ثغور المسلمين أيام عمر و عثمان أنطاكية و الكور التي سماها الرشيد العواصم و هي: كورة قورس، و الجومة، و منبج، و أنطاكية و توزين، و بالس، و رصافه هشام، فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم الروم، و كانت فيما بين الإسكندرية و طرسوس حصون و مسالح للروم.

و قالوا: حمص من بناء اليونانيين، و زيتون فلسطين من غرسهم، و مدينة حمص افتتحها خالد بن الوليد صالحهم على مائة و سبعين ألف دينار، و كانت مدينة حمص مفروشة بالصخر، و هي اليوم كذلك.

و من عجائب حمص: صورة على باب المسجد الجامع بجنب البيعة على

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٦٢

حجر أبيض، أعلى الصورة. صورة إنسان، و أسفلها صورة عقرب، فإذا لدغ العقرب إنسانا فأخذ طينا، و وضعه على تلك الصورة، ثم أدافه بالماء و شربه سكن وجعه و برئ من ساعته، و يقال: إن تلك الصورة طلسم للعقرب خاصية، و كان فتح حمص قبل دمشق في أول ليلة من رجب سنة أربع عشرة.

و بدمشق لبنان و هو الجبل الذي يكون عليه العباد و الأبدال، و عليه من كل الثمر و الفواكه، و فيه عيون كثيرة عذبة، و هو متصل ببلاد الروم، و عند باب دمشق جيرون، و هي من بناء سليمان بن داود، و هي سقيفة مستطيلة على عمد، و حولها مدينة تطيف بجيرون، قال أبو عبيدة: الجيرون عمود عليه صومعة، و هو من البناء المذكور، و من البناء المذكور الأبلق الفرد و الورد أيضا، قصر بناه سليمان بن داود.

قالوا: و أول من ابنتي حصن المصيصه في الإسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله، ثم بنى عمر بن عبد العزيز بها مسجدا من ناحية كفرييا، و اتخذ فيها صهريجا و كان اسمه عليه مكتوبا، ثم إن المسجد خرب في خلافة المعتصم، و هو يدعى مسجد الحصن، و شحونها بالرجال، و بنى المنصور فيها مسجدا جامعا في موضع هيكل كان بها، و جعله مثل مسجد عمر ثلاث مرّات، ثم زاد فيه المأمون أيام ولاية عبد الله بن طاهر المغرب، و فرض فيها المنصور لألف رجل، و زاد فيها المهدي ألفي رجل، و لم يعطهم شيئا لأنها قد كانت شحنت بالجند و المطوعة.

و قال أبو النعمان الأنطاكي: كان الطريق فيما بين أنطاكية و المصيصه مسبعة، يعرض للناس فيها الأسد، فلما كان أيام الوليد بن عبد الملك شكى ذلك إليه، فوجه أربعة آلاف جاموس و جاموسة فنفخ الله جلّ و عزّ بها.

قال الواقدي: و لما غزا الحسن بن قحطبة الطائي بلاد الروم سنة ١٦٣ في أهل خراسان و الموصل و الشام و مطوعة العراق و الحجاز خرج ممّا يلي طرسوس، فأخبر المهدي ما في بنائها و تحصينها و شحنتها بالمقاتلة من عظيم الغناء عن الإسلام و الكبت للعدو، و كان خرج في مرج طرسوس، فركب إلى مدينتها، و هي

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٦٣

يومئذ خراب، فنظر إليها و أطاف بها من جميع جهاتها، و حرز عدّه من يسكنها فوجدهم مائتي ألف، فلما كان سنة ١٧١ بلغ الرشيد أن الروم قد ائتمروا بينهم للخروج إلى طرسوس لتحسينها و ترتيب المقاتلة بها. فأغزى الصائفة هرثمة بن أعين، و أمر بعمارة طرسوس و بنائها و تمصيرها، ففعل فأجرى أمرها على يدى فرج بن سليم الخادم، فبنى قصبته و مسجدها، و مسح ما بين النهر إلى النهر، فبلغ ذلك أربعة آلاف خطّة، كل خطّة عشرون ذراعا في مثلها، و أقطع أهل طرسوس الخطط في شهر ربيع الآخر سنة ١٧٣، و لما كانت سنة ١٨٠ أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربة و تحصينها [١٨٦]، و حوّل إليها خلقا من الخراسانية و أقطعهم المنازل، و في سنة ١٨٣ أمر ببناء الهاروتية، فبنيت و شحنت بالمقاتلة، و نسبت إليه، و أمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء و تحصينها، و أمر المنصور صالح بن

علی بناء ملطیة و كانت خرابا، و كان الحسن بن قحطبة أتمها بأمر المنصور و أعان الفعله بنفسه و ماله، و كان الحسن يقول: من سبق إلى شرفه فله كذا، فجد الناس فی العمل حتی فرغوا من بناء ملطیة و مسجدھا فی سته أشهر، و هم یومئذ سبعون ألفا و بنی بها للجند الذین أسكنوها، لكل عرافة بیتان سفلیان و علیتان، و العرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلا، و بنی لهم مسلحة علی ثلاثین میلا منها، و مسلحة علی نهر یدعی قباغب یدفع فی الفرات، و أسكنها أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة، و زاد كل واحد منهم عشرة دنانیر، و أقطع الجند المزارع، و بنی حصن قلوذیة، و أرض التیه بموضع یقال له حصن منصور أربعون فرسخا.

و قال الحجاج بن یوسف لزدان فرّوخ: أخبرنی عن العرب و الأمصار.

فقال: أصلح الله الأمير، أنا بالعجم أبصر منی بالعرب. قال: لتخبرنی. قال: فسل عما بدا لك. قال: أخبرنی عن أهل الكوفة. قال: نزلوا بحضرة أهل السواد فأخذوا من ضیافتهم و سماحتهم. قال: فأهل البصرة. قال: نزلوا بحضرة الخوز.

فأخذوا من مكرهم و بخلهم. قال: فأهل الحجاز. قال: نزلوا بحضرة السودان.

البلدان، ابن الفقیه، ص: ١٦٤

فأخذوا من ضیافتهم و سماحتهم. قال: فأهل البصرة. قال: نزلوا بحضرة الخوز.

فأخذوا من مكرهم و بخلهم. قال: فأهل الحجاز. قال: نزلوا بحضرة السودان فأخذوا من حمقه عقولهم و طربهم، فغضب الحجاج فقال له: أعزك الله لست حجازیا، إنما أنت رجل من أهل الشام. قال: فأخبرنی عن أهل الشام. قال: نزلوا بحضرة الروم فأخذوا من ترفقهم و صناعتهم و شجاعتهم.

و یقال: ریف الدنیا من السمك ما بین ماهیرویان إلى عمان، و ریف الدنیا من التمر ما بین الیمن إلى البصرة و هجر، و ریف الدنیا من الزیتون فلسطین إلى قسّیرین.

و قال المدائنی: قدم وفد من العراق علی معاویة بن أبی سفیان فیهم صعصعة بن صوحان العبدی، فقال معاویة: مرحبا بكم و أهلا، قدمتم خیر مقدم، و قدمتم علی خیر خلیفه، و هو جنه لكم، و قدمتم الأرض المقدسه، و قدمتم أرض المحشر و المنشر، و قدمتم أرضا بها قبور الأنبیاء. فقال صعصعة: أما قولك یا معاویة قدمتم خیر مقدم فذاك من قدم علی الله و الله عنه راض، و أما قولك قدمتم علی خلیفتكم و هو جنه لكم فكیف بالجنه إذا احترقت، و أما قولك قدمتم الأرض المقدسه، فإن الأرض لا تقدس أهلها لكن أهلها یقدسونها، و أما قولك قدمتم أرض الحشر و المنشر فإن بعد الأرض لا ینفع كافرا و لا یضر مؤمنا، و أما قولك قدمتم أرض الأنبیاء بها قبور الأنبیاء فإن من مات بها من الفراعنه أكثر ممن مات فیها من الأنبیاء. فقال معاویة: اسكت لا أرض لك. قال: و لا لك یا معاویة، الأرض لله یورثها من یشاء من عباده و العاقبه للمتقین. قال معاویة: یا صعصعة إنی كنت لأبغض أن أراك خطیبا. قال: و أنا و الله یا معاویة أبغض أن أراك أمیرا.

قالوا: و دومه الجندل شامیه، و هی فصل ما بین العراق و الشام، و هی علی سبع مراحل من دمشق.

قال: و لما فتح أنوشروان قسّیرین و منبج و حلب و أنطاکیه و حمص و دمشق و إلیاء استحسن أنطاکیه و بناءها، فلما انصرف إلى العراق بنی مدینه علی مثال أنطاکیه بأسواقها و شوارعها و دورها و سمّاها زندخسره، و هی التي تسمیها العرب

البلدان، ابن الفقیه، ص: ١٦٥

رومیة، و أمر أن یدخل إليها سبى أنطاکیه فلما دخلوها لم ینکروا من منازلهم شیئا، فانطلق كل رجل منهم إلى منزله إلا رجلا اسکافا، كان علی بابه بأنطاکیه شجرة فرصاد، فلم یرها علی بابه برومیة، فتحیر ساعه، ثم اقتحم الدار فوجدها مثل داره، فلما رأى ملك الروم ما قد فتحه كسرى من مدائنه وادعه و وجه كسرى رجلا من مرابته إلى أرض الروم یقبض الأتاوه.

و قال عمرو بن بحر: ربّ بلد یتحیل فیہ العطر، و تذهب رائحته كقصبه الأهواز [١٨٧].

و قد كان هارون الرشید همّ بالمقام بأنطاکیه و کره أهلها ذلك، فقال شیخ منهم و صدقه: لیست من بلادك یا أمیر المؤمنین، قال: و

كيف؟ قال: لأن الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لا ينتفع منه بكبير شيء، و السلاح يصدأ فيها و لو كان من قلعة الهند.

و قالوا: سيحان بأذنه، و جيحان بالمصيصة، و البردان و يسمى الغضبان بطرسوس، و جيحون نهر بلخ.

و قال ابن شاذب: تغور المياه قبل يوم القيامة إلا بئر زمزم و نهر الأردن و هو الذي قال الله عز و جل: إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ.

و كور الأردن: طبرية، و السامرة، و بيسان، و فحل، و كورة جرش، و عكا، و كورة قدس، و كورة صور. و خراج الأردن ثلاثمائة ألف

و خمسون ألف دينار، من الطبرية إلى اللجون عشرون ميلا ثم إلى القلنسة عشرون ميلا ثم إلى الرملة مدينة فلسطين أربعة و

عشرون ميلا و هي على الجادة فحاج الشام و الثغور ينزلونها[١٨٨].

و مدينة اللجون: فيها صخرة عظيمة مدورة خارج المدينة، و على الصخرة قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم (عليه السلام) يخرج من تحت

الصخرة ماء كثير،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٦٦

و ذكروا أن إبراهيم ضرب بعضاه هذه الصخرة فخرج منها من الماء ما يتسع فيه أهل المدينة و رساتيقهم إلى يومنا هذا.

قالوا: و لنا الزيت و الزيتون الذي ليس في شيء من البلدان أكثر منه في بلادنا، و قال الله عز و جل: مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ وَ مِنْ

أَبْنِيَتِهِمُ الْعَجِيبَةُ لَدَّ، و حدثني رجل قال: قلت لأهل لدا هذا بنته الشياطين لسليمان، قال: أنتم إذا جل في صدوركم البنيان أضفتموه إلى

الجن و الشياطين، هذا قبل مولد سليمان (عليه السلام) بدهور كثيرة.

و على سبعة أميال من منبج حمة. عليها قبة تسمى المدير، و على شفير الحمة صورة رجل من حجر أسود، تزعم النساء أن كل من لا

تلد تحك فرجها بأنف الصورة فيولد لها، و فيها حمام يقال له حمام الصوابي فيه صورة رجل حجر يخرج ماء الحمام من إحليله.

قالوا: و من عجائبنا تفاح لبنان، و فيه أعجوبة و ذلك أنه يحمل التفاح من لبنان، و هو تفاح جبل عدى لا طعم له و لا رائحة، فإذا

توسط نهر البليخ فاحت رائحته، و هذا شبيه بالذريرة التي بنهاوند، فإن بها قسبا يتخذ منه الذريرة، فليست له رائحة بته حتى يجاز بها

ثيئة الزكاب، و هي من نهاوند على فراسخ كثيرة، فإذا جازت الثيئة فاحت رائحته و حمل منها إلى البلدان، و بشيراز شجرة تفاح،

التفاحة منها نصفها حلو في غاية الحلاوة، و نصف حامض في غاية الحموضة، و ليس بفارس كلها من هذا النوع إلا هذه الشجرة

الواحدة.

قالوا: من عجائب الشام أربعة أشياء: بحيرة الطبرية، و البحيرة المنتنة، و أحجار بعلبك، و منارة الإسكندرية.

فأما أحجار بعلبك فإن فيها حجرا على خمسة عشر ذراعا أقل و أكثر ارتفاعه في السماء عشرة أذرع في عرض خمسة عشر ذراعا في

طول خمسة و أربعين ذراعا هذا حجر واحد في حائط.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٦٧

و أما منارة الإسكندرية فإنه يصعد إليها رجل على بردون حتى يبلغ أعلاها، و هي مبيتة على سرطان من زجاج.

و أما بحيرة الطبرية فإنه يشرع إليها و ينتفع بها للغسالات، فإذا منع منها هذا أنتنت.

و البحيرة المنتنة لا يغرق فيها شيء، و كل شيء يقع فيها فإنما يطفو على رأس الماء.

و من عيوب الشام كثرة طواعينها، و الناس يقولون: حمى خبير و طواعين الشام و دماميل الجزيرة و جرب الزنج و طحال البحرين.

قالوا: و من أقام بالموصل حولا وجد في قوته فضلا، و من أطال الصوم بالمصيصة خيف عليه الجنون، و من قدم من شق العراق إلى

بلاد الزنج لم يزل حزينا ما أقام بها، فإن أكثر من شرب نبيذها و شرب ماء النارجيل صار كالمعتوه[١٨٩].

و قال أبو هريرة: أنا لبراغيث الشام أخوف مني لغيرها.

و قالوا في قول الله عز و جل: وَ جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ قَال: من فلسطين.

افتخار الشاميين على البصريين و فضل الحبله على النخلة

قال أبو عباد محمد بن سلمة البصري المعروف بابن العلاف القارئ: إني لفي يوم من أيام المعترّ بالله في ديوان الخراج بسرّ من رأى مع جماعة من قرّاء البصريين نطالب بأرزاقنا، و فينا عليّ بن أبي ناشر، إذ طلع علينا فتية من كتاب الأنبار، و معهم أبو حمران الشاعر، و نحن نصف البصرة و ما خصّت به من أرض الصدقة التي لا يسوغ للسلطان الأعظم تبديلها، و لا للعمال تغييرها، و ما فيها من المدّ و الجزر و الخلجان و مقادير الساعات و منازل القمر، فقال أبو حمران: ما من بلد إلّا و قد أعطى نوعاً من الفضل يتفرد به، و ضرباً من المرافق معدولاً عن غيره،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٦٨

يعجب به أهله، و يطمئنون إليه في تقيظته، فقلت له مجيباً: لئن قلت ذلك فإنّنا لا نعرف مصراً جاهلياً و لا إسلامياً أفضل من البصرة، و لا أرضاً يجري عليها الأتاوة أشرف من أرض الصدقة، و لا شجرة هي أفضل من النخلة، و لا نعرف بلداً أقرب برّاً من بحر، و حضراً من بدو، و ريفاً من فلاة، و ملاحاً من جمال، و قانص و حش من صائد سمك، و نجداً من غور من البصرة، فهي واسطة الأرض، و غوصة البحر، و مغيض الأقطار، و قلب الدنيا، و لقد مثّلت الحكماء الأرض بصورة طائر، فجعلوا الجوّ جؤ بما فيه من القلب البصرة، و الرأس الشام و الروم، و الجناحين المشرق و المغرب، و الذنب السودان، و هم أكثر عدداً من البيضان، فكفى بهذا وحده فخراً، فقال أبو حمران:

كلّ فتاة بفتاها معجبه و الخنفسى في عين أمّه لؤلؤه

و قالت الأعرابية و هي تزفّن ابناً لها و تقول:

يا قوم ما لى لا أحبّ حشوده و كلّ خنزير يحبّ ولده

فأين أنت يا أبا البصرة عن خصب الشام و الجزيرة و عن فضل المسجد الأقصى و البلاد المقدّسة، و عن عذاة دارى مصر و ربيعة، و عن رفيع قدر الكرمه و عن قول عمرو بن كلثوم:

و عند الله يأتيه دعاها إلى أرض يعيش بها الفقير

لأرض الشام و هي حمى و حبّ و زيتون و ثمّ نشا العصير

و و الله للرقّة البيضاء وحدها أطيب من البصرة، و للرافقة أغذى من الأبله، و لحلب أخصب من الكوفة، و للخم و جذام و أفناء قبائل قضاعة أشرف من بكر و تميم و ضبّه، و للجلبة أفضل من النخلة، و للعنب أحلى من الرطبة، و للزبيبة أطيب من التمرة، و لقد خصّ الله بلاد الشام من بركة الزيتون، و العواصم و الجزيرة من لدّة التين و من أنواع الفواكه بما يتهالك في أصغره النخل، و يستبشع معه الرطب و التمر، قال: فقلت لأبى حمران: قد سمعنا نشيدك و وعينا افتخارك، و لا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٦٩

أحسبك سمعت قول الخليل بن أحمد في وصف البصرة إذ يقول في قصر أنس بن مالك و نهر بن عمرو و وادى العقيق:

يا وادى القصر نعم القصر و الوادى [١٩٠]

و قول ابن أبى عيينه في ذلك [١٩١]:

يا جنّه فاقت الجنان فما تبلغها قيمه و لا ثمن

علقتها فاتخذتها و طناً إنّ فؤادى بذكرها وطن

زوج حيتانها الصّباب بها فانظر و فكّر يا صاح في سفن

و قوله أيضاً في أرض البصرة:

يذكرنى الفردوس طورا فأرعوى و طورا يواتينى إلى القصف و الفتك

لغرس كأبكار الجوارى و تربة كأن ثراها ماء ورد على مسك
و سرب من الغزلان يرتعن حوله كما انسل منظوم من الدّر من سلک
و ورقاء تحكى الموصلي إذا شدت بتغريدها أحب بها و بمن تحكى
فيا طيب ذاك القصر قصرا و نزهة بأفيح رحب غير وعر و لا ضنك

و سأل هشام بن عبد الملك خالد بن صفوان عن البصرة فقال: إذا أخبرك يا أمير المؤمنين، يخرج قانصان فيجىء هذا بالطير و
الظليم، و هذا بالسّمك و الشّبوط، و نحن أكثر الناس ساجا و عاجا و خزّا و ديباجا و بردونا هملاججا، و جاريه مغناجا، بيوتنا الذهب، و
نهرنا العجب، أوله رطب و آخره عطب، فالنحل فى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧٠

مكاربه كالزيتون عندكم فى منابته، ثم هو فى أكمامه كذاك فى أغصانه، ثم هو فى إيّانه كذاك فى زمانه، هنّ الراسخات فى
الوحد، المطاعم فى المحل، الملقحات بالفحل، يخرجن أسفاطا عظاما و أوساطا نظاما، كأنما ملئت رياطا، ثم تفتّر عن قضبان اللّجين
منظومة باللؤلؤ الأخضر، ثم يصير ذهبا منظوما بالزبرجد الأخضر، ثم يصير عسلا معلقا فى الهواء، ليس فى قربه و لا سقاء، بعيدا من
التراب كالشهد المذاب، ثم يصير فى أكيسه الرجال فيستعان به على العيال. و أما نهرنا العجب فإنه يقبل عند حاجتنا إليه و يدبر عند
رينا منه، و له عباب لا يحجبه، و لا يغلق عنا دونه حجاب.

فقال هشام: بلدكم أكرم بقاع الأرض يا أخا بنى تميم، فلما رأى أبو حمران إطراب النشيد فى مدح بلدى قطع علىّ كلامى، و
عارضنى دون مرادى فقال: و الله إن لنا معكم بنخل بيسان و نواحي الأردنّ لأعظم الشرك فى النخل، فما نعبأ به، و لا نراه طائلا
فذكره، و ما نصنع بطلب الحجّة من بعد و نحن نجدها من قرب هذا الحسن بن هانئ صاحبكم الذى لا تنكرونه، و خزّيجكم الذى لا
تدفعونه يقول فى البصرة:

ألا كلّ بصرى يرى أنّما العلى مكّمه سحق لهنّ جرين

فإن يغرسوا نخلا فإنّ غراسناضراب و طعن فى النّحور سخين

فإن أك بصريا فإنّ مهاجرى دمشق و لكنّ الحديث شجون

لازد عمان بالمهلب ثروة إذا افتخر الأقوام ثم تلين

و بكر ترى أنّ التّبوء أنزلت على مسمع فى الرّحم و هو جنين

و لا لمت قيسا فى قتيبه بعدها و فخرا به إنّ الحديث فنون

و أنشد أبو حمران يصف نفسه لما اجتمعوا عليه فى المناظرة و هو وحده:

حمول لما حمّلتها غير ضيق ذراعا بما ضاق الكرام به مسكا

دعانى فأعطانى مودّة قلبه مودّته المثلى و فى ماله الشركا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧١

ثم أشار إلى ابن أبى ناشر فقال:

جندلتان اصطكنا اصطكاكا إنّ الدليل يكره العراكا

و قد يضطر العير و المكواة فى النار، ثم قال أبو حمران: لنا الزيت و الزيتون، و لنا عروسا الدنيا غزّة و عسقلان، و مدينه دمشق و هى
إرم ذات العماد، و لنا الأرض المقدّسه، و فى بلادنا الجبل الذى كلّم الله عزّ و جلّ عليه موسى (عليه السلام)، و جبل لبنان من جبالنا،
و بيت المقدس من بلادنا، و لنا المدن العجيبه و الكور الشريفه مثل: طرسوس و المصيصة، و ملطيه، و الرمله، و فلسطين، و أنطاكيه، و
حلب، و صور، و صيدا، و طبريّه، و الكرمه أفضل الأشجار و العنب سيّد الثمار، و هى ناعمه الورق، ناضرة الخضرة، غريبه تقطيع

الورقة، بديعة الزوايا، مليحة الحروف، حسنة المقادير، كأنما قورت من سرقة حرير، واستخرجت من ثوب نسيج، كثيفة الظل خفيفة الفىء، لدنة الأعصاب، لينة الأفنان، خضرة الأطراف، كريمة الأخلاق، سلسلة القياد، رفيعة جوهر الأعواد، لذيدة الجنى، قريبة المجتنى، صغيرة العجمة، رقيقة الجلدة، عذبة المذاق، سهلة المزرد، كثيرة الماء، فاضلة المخبر على المنظر، شريفة العنصر و الجوهر، و كلام كثير لم يستدرك، ثم لا يألف الغربان الناعقات الكرم كإلفها النخل، و لا يعشش في جوانبها العصافير المؤذية بصيلائه أصواتها عند غناء النيران و ورق العيدان كتعشيشها في الأدقال و أصول الكرايف و الأكراب، و لا يتولد منها من ضخام الدود و سمجة الحشرات و الهوام ما يتولد من الليف، و لا يستكن في أثنائه من الذرّ و الفراش، و لا يتحصن فيها من الحيات و العقارب و عظام العناكب و ذوات السموم القاتلة ما يتحصن في رؤوس النخل، فهذا على هذا و النخل تخلف و تحيل، و لم نر كرمه حالت و لا أخلفت، و اسم الكرم مشتق من الكرم و الكرامة و الإكرام و التكرم، و قد قدم الله جلّ و عزّ ذكره في كتابه على سائر الأشياء فقال جلّ و عزّ: وَ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَاوِرَاتٌ وَ جَنَاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَ زُرْعٌ وَ نَخِيلٌ فَقَدِمَ ذَكَرَ الْكُرْمِ وَ جَعَلَ النَّخْلَ نَدَاءَ لِلزَّرْعِ، وَ لَلَّهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، وَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَ قَالَ جَلَّ وَ عَزَّ:

وَ أَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧٢

وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا فَجَعَلَ الْكُرْمَ أَصْلًا لِلجَنَّتَيْنِ وَ النَّخْلَ مِنَ الزَّوَائِدِ، وَ قَالَ:

وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ قَالَ: أ تُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ فَالجَنَاتُ حدائق الكرم و قَالَ: فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَ عِنَبًا وَ قَضْبًا وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا فَجَعَلَ النَّخْلَ فِي تَرْتِيبِ مِنَ الْخَلْقِ وَ الْكُرْمِ فِي مَكَانِهِ مِنَ التَّقَدُّمِ وَ قَالَ: وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَ غَيْرَ مَّعْرُوشَاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ فَهَلْ يَعْرِشُ مِنَ الشَّجَرِ شَيْءٌ غَيْرَ الْكُرْمِ وَ الْجَنَّةِ الْمُؤَنَّقَةِ مَقْصُورٍ عَلَيْهِ، وَ الْمَعْرُوشَةُ الْمَرْفُوعَةُ الْعِيدَانِ عَلَى الْخَشْبِ وَ الْقَصْبِ وَ هِيَ فِي الْفَرَادِيسِ. وَ أَحَدُهَا فَرْدُوسٌ، وَ الْحَصْرَمُ أَرْفَعُ مِنَ الْبَلْحِ، وَ الْوَكَابُ أَطْيَبُ مِنَ الْبَسْرِ، وَ الْعِنْبُ أَلَذُّ مِنَ الرُّطْبِ، وَ الْعَجْدُ أَقْلُّ غَوَائِلَ مِنَ التَّمْرِ، وَ الْخَمْرُ أَنْفَعُ مِنَ النَّبِيذِ، وَ خَلُّ الْخَمْرِ أَثْقَفُ وَ أَحْسَنُ مِنْ خَلِّ الدَّقْلِ، وَ الطَّلَاءُ فَوْقَ الدَّوْشَابِ، وَ الْحَبْلَةُ سَيِّدَةُ النَّخْلَةِ، لِأَنَّ الْحَبْلَةَ خَيْرٌ وَ نَفْعٌ كُلُّهَا، وَ النَّخْلَةُ شَرٌّ وَ عَزٌّ وَ كَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ:

النَّخْلُ عَبْدٌ وَ هَذَا الْكُرْمُ سَيِّدُهُ وَ مِنْ يُقَايَسُ بَيْنَ التَّمْرِ وَ الْعِنْبِ

وَ ذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّهُ رَأَى بِمَدِينَةِ صَنْعَاءَ عِنْبًا يُقَالُ لَهُ الْمُخْتَمُّ، فَوْزَنَ مِنْهُ حَبَّةٌ فَوَجَدَهَا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَسَاتِيرِ، وَ الْأَسْتَارُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ، وَ حَمَلُ بَعْضِ عَمَالِ الرَّشِيدِ بِالْيَمَنِ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ مَا حَجَّ عِنُقُودِينَ فِي مَحْمِلِينَ عَلَى بَعِيرٍ، وَ قَدْ يَحْمَلُ مِنْ جِبَالِ أَرْمِينِيَّةٍ وَ آذْرِيجَانِ أَخُونَةَ عَظِيمَةً جَدًّا يَكُونُ دُورَ بَعْضِهَا عَشْرِينَ شَبْرًا مِنْ خَشْبِ الْكُرْمَةِ. قَالُوا: وَ أَطْيَبُ الْعِنْبِ الْجَرَشِيُّ، وَ هُوَ دَقِيقٌ وَ لَهُ عِنَاقِيدُ تَكُونُ ذِرَاعًا، وَ مِنْهُ عِيُونَ الْبَقْرِ وَ هُوَ عِنْبٌ أَسْوَدٌ عِظَامُ الْحَبِّ، وَ مِنْهُ السِّيَّكْرُ عِنْبٌ صَادِقُ الْحَلَاوَةِ، وَ مِنْهُ أَطْرَافُ الْعَذَارَى عِنْبٌ أَسْوَدٌ كَأَنَّهُ بَلُوطٌ عِنُقُودُهُ نَحْوُ الذِّرَاعِ، وَ مِنْهُ الضَّرُوعُ عِنْبٌ أَبْيَضٌ كَبَارُ الْحَبِّ قَلِيلُ الْمَاءِ عَظِيمُ الْعِنَاقِيدِ، وَ مِنْهُ الْكَلَفِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى كَلَفِ بَلَدٍ فِي شَقِّ الْيَمَنِ، وَ مِنْهُ الدَّوَالِيُّ عِنْبٌ أَسْوَدٌ غَيْرُ حَالِكٍ، وَ هَلْ نَحْنُ وَ إِنْ أَطْنَبْنَا فِي ذِكْرِ الْعِنْبِ، وَ أَسْهَبْنَا فِي نَعْتِ مَنَافِعِهِ وَ مَنَاقِبِهِ فَمَعْطُوهُ مَا لَهُ، أَوْ بِالْغَوْنِ بِهِ اسْتِحْقَاقِهِ، وَ مَوْفُوهُ مَا هُوَ لَهُ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ وَ الْخِلَالِ الْمَرْضِيَّةِ، وَ مِنْ طَيْبِ الطَّعْمِ وَ شِدَّةِ الْحَلَاوَةِ، وَ كَثْرَةِ الْمَاءِ، وَ عَمُومِ النِّفْعِ وَ فُورِ الْجِسْمِ، وَ صِغَرِ الْعِجْمِ، وَ كَثْرَةِ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧٣

الأجناس و الضروب و الأنواع، و لو أن رجلا خرج من بيته مسافرا في عنفوان شببته، و حدثه سنّه، و استقرى البلدان صقعا فصقعا، يتبع الكروم مصرا فمصرا.

حتى يهرم، و صغيرا حتى يبدن لتعرف أجناسه و إحاطة العلم بأنواعه، بل إقليما واحدا من الأقاليم، و ناحية من أقطار الأرض، لأعوزه و

غلبه و عزّه و بهره، إذ كان كثرة فنونه و اختلاف أنواعه لا يدرك كالسرنابا[١٩٢]، و الخمرى بطسوج قطربل، و الملاحى بيغداد، و الصيقلبى و الأحمر بسرمن رأى، و الزراوى بالكوفة، و الحلاوى و البيروزى و الجرشى بالبصرة و أنهارها، و السماقى بالأهواز، و عيون البقر بالشام، و المورقى بالبليخ و نهر سعيد، و المختم بالرى، و الفارسى و الزرجون و الأسفيدمشك، و السياوشك و الناشقنى و البازجنك، و الخرجج بقزوين، و الوفرباى و المانى، و الماسبذى بناحية الجبل، و أهل الطبّ مجتمعون على أن العنب أكثر غذاء، و أنقى كيموسا من جميع الفواكه و الثمار، و أن الإكثار منه غير ضارّ كضّر التين و الخوخ و سائر الفواكه الرطبة، و أنه حارّ رطب على طبع الحياة، قليل الفضول مؤلّد للدم الصحيح النقى، و أنه ملاوم بجميع الطبائع، نافع لجميع الأسنان فى كلّ البلدان، و الأبيض أقلّ حرارة من الأسود، و لخمريّ قطربل خاصيّة فى الرائحة عجيبة.

و قال الثقفى: أطيب الطعام عنب قطيف أصابه الخريف بوادى ثقيف. و قال خالد بن صفوان: من فاته الرازقى فى إداره فحقّ لأهله أن يبكوا عليه.

و قال الرسول (صلى الله عليه و سلم): كلوا الزبيب فإنه يأكل البلغم، و يطفى المرّة و يذهب بالنصب، و يشدّ العصب، و يحسن الخلق. و قالوا: أنفع الأشربة شراب الكرم فإنها أفضل الأشربة، كما أن ثمرتها رأس الثمار، و شجرتها رئيس الأشجار، و إنها دواء لا داء فيه، و خير لا شرّ معه، و أن من أصحّ الدلائل على ذلك و أوضح البرهانات له وصف ربّ العالمين لها باللذّة،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧٤

و إجماع محلّليها و محرّميها على تقديمها فى الطيب، و تفرّدها بطيب النكهة، و صفاء اللون، و سلس المذاقة، و سهولة المجرى، و لذاذة الطعم، و حسن اللون، و ذكاء العرف، و حمرة البشرة، و صحّة الجوهر، و طول البقاء على الدهر، و توليد الفرح و السرور، و نفى الهمّ و الغمّ، و على أنها تغذو فلا تؤذى، و تنفع و لا تضرّ، و أنها أنفع المشروبات المفرّقة و المركّبة لجميع الأسنان فى كلّ البلدان و فى كلّ فصل و زمان، و أنها تشارك المسكرات فى منافعتها و تنافيتها فى رذائلها، و أن من أفعالها التى هى لها دون غيرها تنظيف الأبدان و رخص الأبدان، و توفير المخاخ و تنقية الأمشاج، و تصفية النطفة، و غسل المفاصل الرئيسة من الأمشاج القذرة و الكيموسات المتسخة، و أنها تفتح السدود المنعقدة، و تذيب الفضول الزائدة، و تولد الدم الصحيح الذى هو الحياة، و تسخن الدم الغليظ الجامد الفاسد الذى منه بدو الأدوية الفاحشة، و تذكى النار الغريزيّة، و تقوى الحرارة الطبيعىّة، و تحسن اللون، و تدفى الكلى، و تدرّ البول، و تغسل المثانة، و تقوى الكبد و المعدة، و تهضم الطعام، و تطرد الرياح، و ترقق البلغم المالح و اللّزج، ثم الخمر مع ما قد وصف لها من الطيب و الحسن و صار فى حيّزها من ذكاء المشمّ و صحّة الجوهر فوق كبار المعجونات فى دفع المضارّ و أرفع الإيارجات فى تحليل أوصاب الدماغ و الأعصاب، و ألطف من دهن الخروع فى التمشى فى عمق المفاصل، و الوجود فى العظام، تجانس بنفعها العقاقير المختارة، و تنوب عن السموم المحلّلة، و الضمادات المندّدة، و الأتلية المقوية، و تجرى مع الأدوية النافعة حيث جرت، و لا- بدّ للمعجونات الكبار منها إذا ركبّت، فهى أفضل ما غير به الماء بعد شرب الأدوية المسهلة، و عند العلاج فى الحمية، و لا تذاب الصمغ المتجسّدة، و تماع ألبان النبات الداخلة فى المعجونات الرفيعة، نحو الشّليثا و الترياق و التياذريطوس و الهبطارغان[١٩٣] إلّا بها، و بما كان من نوعها من العقيد أو نبيذ الزبيب و خلّ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧٥

الخمر، فقالوا: أنس الله ببقائك الأيام، و عمر بك الآداب، و أحيا بحياتك العلوم.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧٦

القول فى الجزيرة

سئل الشعبى عن الجزيرة العرب فقال: ما بين العذيب إلى حضرموت.

و قال الأصمعيّ: جزيرة العرب ما لم تطلّه فارس و الروم.

و قال الرياشيّ: جزيرة العرب ما بين نجران إلى العذيب.

و قال أبو عبيدة: جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، و في العرض ما بين رمل يبرين إلى السماوة.

و قالوا: الجزيرة ما بين دجلة و الفرات و الموصل من الجزيرة و كذلك الرقة و الرافقة.

و قال محمّد بن الحسن: بلاد العرب الذين لا تقبل منهم الجزية، و لا يرضى منهم إلّا بالدخول في الإسلام أو السيف من العذيب إلى أبين عدن فذلك الجزيرة.

قال ابن الأعرابيّ: الجزيرة ما كان فوق بقعة، و إنما سميت الجزيرة لأنها تقطع الفرات و دجلة و قد تقطع في البر.

و إنما سميت الموصل موصلًا لأنها وصلت بين الجزيرة و الشام، و الجزيرة من عمل سميساط إلى بلد و من الموصل إلى الأردن، و يقال سميت الموصل لأنها وصلت بين الفرات و دجلة.

و مدينة الموصل بناها محمّد بن مروان، و راوند الموصل بناها راوند بن بيوراسف.

و ولي عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد السلميّ الموصل سنة عشرين، فقاتله

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧٧

أهل الحصن فأخذ حصنها الشرقيّ عنوة، و عبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية و الأذن لمن أراد الجلاء في الجلاء، ثم فتح المرج و قراه و أرض بانهدرا و داسن و جميع معقل الأكراد، و أول من اختطّ الموصل و أسكنها العرب، و مضى بها هزيمة بن عرفجة البارقيّ، و كان عمر عزل عتبة عن الموصل و ولّاها هزيمة، و كان بها الحصن و بيع النصاري و منازلهم و محلة اليهود، فمضى بها هزيمة ثم بنى المسجد الجامع، ثم بنى بعدها الحديثه، و كانت قرية قديمة فيها بيعتان، فمضى بها، و أسكنها قوما من العرب فسميت الحديثه، لأنها بعد الموصل، و افتتح عتبة بن فرقد الطيرهان و تكريت، و آمن أهل حصن تكريت على أنفسهم و أموالهم، و سار في كورة باجرمق حتى صار إلى شهرزور [١٩٤].

و تكريت من كور الموصل، و بإزائها في البرية مدينة الحضرة على بركة سنجان، و بينها و بين دجلة خمسة عشر فرسخًا، و بينها و بين الفرات خمسة عشر فرسخًا، و هي مبيتة بالحجارة البيض، بيوتها و سقفها و أبوابها، و هي على تلّ و لها ستون برجا كبارًا، و بين البرج و البرج تسعة أبراج صغار، على رأس كلّ برج قصر، و أسفله حمام، و قد حمل عليها نهر الثرثار، و يشقّ المدينة ثم يخرج، و على حافتي الثرثار القرى و الجنان، و الثرثار يخرج من سنجان و يصبّ في الفرات، و يحمل عليه السفن، و كان ملك الحضرة الساطرون ثم الضيزن، و يقال: إنه كان على الحضرة باب يغلقه رجل و لا يفتحه إلّا خلق كثير، و هو الذي قال فيه عدّي بن زيد:

و أخو الحضرة إذ بناه و إذ دجلة تجبى إليه و الخابور

و قال: الشرقيّ بن قمامي: لما افتقرت قضاة خرجت فرقة منهم إلى الجزيرة، و عليهم ملك يقال له الضيزن بن جبهلة، أحد الأحلاف، فنزلوا مدينة الحضرة، و كان بناؤها، على طلسمين ألّا يهدمها إلّا حمامة ورقاء مطوّقة بحيض امرأة زرقاء، فأخرج ضيزن كلّ امرأة عارك [١٩٥]، و غزا الضيزن في جميع قضاة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧٨

فأصاب خلقًا من أهل شهرزور فقتلهم، و أغار على السواد فأصاب، ما أخت سابور ذي الأكتاف، فسمع سابور بذلك فخرج و أقام عليهم سنتين، لا يظفر منهم بشيء حتى عركت النّصيرة بنت الضيزن، فأخرجت إلى الربض، فنظر إليها سابور فعشقها و عشقته فقالت له: ما لي عندك أن دلتك على ما تفتح به هذه المدينة قال لها: أجعلك فوق نسائي. قالت: فاعمد إلى حيض امرأة زرقاء فاكتب به في ورقة ثم اجعلها في عنق ورشان و سرحه، فإذا وقع على القصر أرفض بأهله، ففعل فكان كما قالت، فقتل من قضاة نحو مائتي ألف رجل، و أفنى قبائل كثيرة، و بادت إلى يومنا هذا، فقال الجدّي القضاة:

ألم يحزنك والأنباء تنبى بمقتل ضيزن و بنى العبيد

ثم إنه خرج بابنة الضيزن حتى عرس بعين التمر، فلم تنم تلك الليلة، قال لها: ما لك؟ قالت: لم أنم على فراش قط أحسن من فراشك هذه. قال: ويلك و هل نامت الملوكة على فرش قط أوطأ من فرشي؟ قالت: نعم، و نظر فإذا فى الفراش ورقة آس و كانت قد التزقت ببطنها، فقال: بما كان أبواك يغذوانك قالت:

بشهاد الأبقار و لباب البرّ و صغار المعز فقال سابور: أنت لم تكافئى أبويك على حسن صنعهما بك، و لم تفى لهما، فكيف تفين لى؟ فشددت ذوائبها إلى ذنب فرسين جموحين ثم استحضرها فقطعهاها [١٩٦].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٧٩

و من الموصل أيضا: الطيرهان، و السنّ، و الحديثة، و مرج جهينة، و نينوى و باجلى، و المرج، و بانهدار، و باعدرا، و حبتون، و بانقلى، و حزة، و بانعاس، و المعلة، و رامين، و الحناية، و باجرمى، و بابغيش، و الداسن، و كفر عزي، و خراج الموصل أربعة آلاف ألف درهم [١٩٧].

و بالموصل جبل يسمّى شعران، لكثرة أشجاره، و يقال للشجر الشعراء و يقال: بل هو جبل باجرمى، و يسمّى جبل قنديل و بالفارسيّة تخت شيرويه، و هو من أعمار الجبال، و فيه كمثرى و العنب و أنواع الطير و شجر عظام كبار يقطع فيحمل إلى العراق، و الثلج فيه قائم فى الشتاء و الصيف، و إذا خرجت من دقوقا ظهر لك وجه منه يلى الزاب الصغير.

و قال الزهرى: لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلّا فتح على عهد عمر بن الخطّاب (رضى الله عنه)، على يدى عياض بن غنم فتح حرّان، و الرّقة، و قرقيسيا، و نصيبين، و سنجان، و آمد، و ميفارقين، و كفرنوتا، و طور عبيد، و حصن ماردين، و دارا، و قردى، و بزبدى، و أرزن.

و الرّقة: واسطة ديار مضر، و لم يكن للرّافة أثر، و إنّما بناها المنصور سنة مائة و خمس و خمسين على بناء مدينته ببغداد، و رتب فيها جندا من أهل خراسان.

قال الكنانى فى قول الله عزّ و جلّ إنّى مهاجرٌ إلى ربّى قال: إلى حرّان.

و فى قوله إنّى ذاهبٌ إلى ربّى قال: إلى حرّان. قال كعب فى قوله عزّ و جلّ:

وَنَجِّينَاهُ وَ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ قال: حرّان. و قوله أنزّلنى مُنزلًا مُباركًا قال: حرّان، و

قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): «رفعت ليله أسرى بى فرأيت مدينته فأعجبتنى فقلت: يا جبريل ما هذه المدينة؟ فقال: نصيبين. فقلت:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨٠

اللهم اعجل فتحها و اجعل فيها بركة للمسلمين».

و من مدنها: الرّها، و سميساط، و سروج، و رأس كيفا، و الأرض البيضاء، و تلّ موزن، و الرّوابى، و المازحين، و المدير، و الرّصافة، و كفر حجر، و الجزيرة، و تقدير خراج ديار مضر ألف ألف و ستمائة ألف درهم.

و من عمل الفرات قرقيسيا، و هى على الفرات، و على الرّحبة، و على الخابور، و هيت و عانات و الحديثة و الزاب. و من كور الخابور: الصّور، و الغدير، و ماكسين، و الشمسانية، و السّكبير، و عرابان، و طابان، و تنيير العليا، و تنيير السفلى، و شاعا، و هذه المدن على الخابور.

فأما كور ديار ربيعة: فنصيبين، و أرزن، و آمد، و رأس العين، و ميفارقين، قال الشاعر:

بآمد مرّة و برأس عين و أحيانا بميفارقينا

و من الموصل إلى بلد سبعة فراسخ، و من نصيبين إلى أرزن ذات اليمين سبعة و ثلاثون فرسخا، و من آمد إلى الرقة أربعة و خمسون فرسخا، و خراج ديار ربيعة سبعة آلاف ألف و سبع مائة ألف درهم [١٩٨].

و من عجائب الجزيرة كنيسة الرها، و الروم تقول: ما من بناء بالحجارة أبهى من كنيسة الرها، و لا بناء بالخشب أبهى من كنيسة منبج، لأنها بطاقات من خشب العناب، و لا بناء بالرخام أبهى من قسيان أنطاكية، و لا بناء بطاقات الحجارة أبهى من كنيسة حمص. و قالوا: إن حول مدينة الرها ثلاثمائة و ستين ديرا، و كان بالرّها صورة امرأة يقال لها هيلانة قاعدة على كرسي لم ير في جسمها و جمالها مثلاً، فعشقها رجل فمرض من حبها، فجاء أبوه فسكّر رأسها، فلمّا نظر إليها الفتى تسلّى عنها.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨١

قالوا: و من عجائبنا: الجبل الذي بآمد، يراه جميع أهل البلدة فيه صدع، فمن انتضى سيفه فأولجه فيه و قبض على قببته بجميع يديه اضطرب السيف في يديه، و أردد القابض. و إن كان أشدّ الناس. و فيه أعجوبة أخرى: أنه متى يحكّ بذلك الجبل سكّين، أو حديد، أو سيف، حمل ذلك السيف و السكّين الحديد و جذب الإبر و المسالّ بأكثر من جذب المغناطيس. و أعجوبة أخرى: أن ذلك الحجر نفسه لا يجذب الحديد فإن حكّ عليه سكّين، أو سيف جذب الحديد. و فيه أعجوبة أخرى: و ذلك أنه لو بقى مائة سنة لكانت تلك القوّة قائمة فيه.

و بالرقّة دهن الخطارة، و فيه أعجوبة و ذلك أنه لا يتخذ إلّا في حانوت بها معروف، فإن اتّخذ في غيره من الحوانيت فسد و خاصّيته أنه نافع للرياح و النقرس.

قالوا: و مخرج الخابور من رأس العين، و يستمدّ من الهرماس، و يصبّ في الفرات، و مخرج التّراث من الهرماس، و يمرّ بالحضر، و يصبّ في دجلة قالوا:

و لنا الأفراس الجزيرة.

و سأل معاوية ابن الكوّاء [١٩٩]. عن أهل الكوفة فقال: أبحث الناس عن صغيرة و أضيعهم لكبيرة، قال: فأخبرني عن أهل البصرة. قال: غنم وردن جميعا، و صدرن شتى. قال: فأخبرني عن أهل الحجاز. قال: أسرع الناس إلى فتنه، و أضعفهم فيها، و أقلهم غناء. قال: فأخبرني عن أهل الموصل. قال: قلادة أمة فيها من كلّ خرزة. قال: فأخبرني عن أهل الجزيرة. قال: كناسة بين المصريين، ثم سكت معاوية. فقال ابن الكوّاء: لتسألني أو لأخبرنّ أو ما عنه تحيد، قال:

أخبرني عن أهل الشام قال: أطوع الناس لمخلوق، و أعصاهم لمخلوق لا يدرون ما بعده.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨٢

و قال الهيثم بن عدّي: كانت دار إباد ظهر الكوفة و دير الأعور و دير قرّة و دير الأعور هو دير الجماجم.

و قال الأصمعيّ: كانت قریش تسأل في الجاهليّة عن خصب باعربايا و هي الموصل لقدرها عندهم، و لم ينلهم في خصبها شيء قطّ، و عن ريف الجزيرة و ما يليها، لأنها تعدل في الخصب باعربايا، و في التمر البصرة و في السمك عمان.

و خراج كور الجزيرة و ديار ربيعة تسعة آلاف ألف و سبع مائة ألف و خمسة عشر ألفا و ثمان مائة درهم. أرزن: ألف ألف و ستّة و خمسون ألفا. آمد: ألف ألف و مائة و خمسون ألفا، ديار ربيعة: مئتا فارقين: ثمان مائة ألف و ستّة و خمسون ألفا. و كذلك سائر

المدن مثل: ماردین، و دارا، و بلد، و سنجار، و قردی، و بزبدی، و طور عبدین، و رأس العين، و قد أجمل خراجها. ديار مضر: حرّان سبع مائة ألف و أربعون ألفا. الرّها: ألف ألف و ثلاثمائة ألف درهم. سميساط ألف ألف درهم. سروج: ستّمائة ألف درهم. قريات

الفرات: ستّون ألف درهم. رأس كيفا: ثلاثمائة ألف و خمسون ألف درهم. أرض البيضاء: مائة ألف و خمسون ألف درهم. الرقّة: مائة ألف درهم و ستّون ألف درهم. الرافقة و الرّوابي: سبعة و خمسون ألف درهم. المازحين و المدير: مائة ألف و خمسة و ثمانون

ألف درهم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨٣

القول فى الروم

و إنما ذكرنا الروم فى هذا الموضوع لأنها تحاذى الشام و الجزيرة.

قال يحيى بن خالد البرمكى: الملوك خمسة: ملك الأناث، و ملك الدواب، و ملك المال، و ملك الفيلة، و ملك الإكسير. فأما ملك الأناث فملك الصين، و ملك الدواب ملك الترك، و ملك المال ملك العرب، و ملك الفيلة ملك الهند، و ملك الإكسير فملك الروم. فأرض الروم غربيّة دبورّيّة، و هى من أنطاكية إلى صقلية، و من قسطنطينية إلى تولية. و الغالب عليهم رومى و صقلبي، و الأندلس صقالبة، و الروم كلّهم: نصارى ملكائبة، و يقرءون الإنجيل بالجرمقائبة، و هم أصحاب بقر و خيل و شاء، و يحكمون بحكم التوراة، و هم أهل صناعات و حكم و طب، و هم أحذق الأمة بالتصاوير، يصور مصوّرهم الإنسان حتى لا يغادر منه شيئاً، ثم لا يرضى بذلك حتى يصيره شايّياً و إن شاء كهلاً، و إن شاء شيخاً، ثم لا يرضى بذلك حتى يجعله جميلاً ثم يجعله حلواً ثم لا يرضى حتى يصيره ضاحكاً و باكياً، ثم يفصل بين ضحك الشامت و ضحك الخجل، و بين المستغرق و المبتسم و المسرور و ضحك الهاذى، و يركب صورة فى صورة، و لمّا توادع قباذ و قيصر ملك الروم أهدى إليه قيصر هدايا كثيرة، فكان فيما أهدى إليه تمثال جارية من ذهب، كان إذا كان وقتاً من الليل يسمع لها ترنم لا يطنّ على أذن أحد إلّا أرقده، و فسطاط عظيم من كيمخار، و سفظ جوهر.

و أوفد بعض الخلفاء عمارة بن حمزة [٢٠٠]، إلى ملك الروم، و كتب يتوعده

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨٤

بالخيل و الرجال، قال عمارة، فانتهيت إلى مكان يحجب منه الرجل على مسافة بعيدة، فجلست حتى أتى الأذن، فسرت إلى مكان آخر فجلست حتى أتى الأذن ثلاث مرّات، ثم وصلت إلى داره فأدخلت داراً، و إذا على طريقى أسدان عن جنبى الطريق، و طريقى عليهما لا أجد من ذلك بدءاً، فقلت: لا بدّ من الموت، فلن أموت عاجزاً فحملت نفسى فلمّا صرت بينهما سكنا فجزت و دخلت داراً أخرى، و إذا سيفان يختلفان على طريقى، فحزرت أنه لو مرّ بينهما ذبابه لقطّعاها، فقلت:

الذى سلّمنى من الأسدين يسلمنى من السيفين، فاستخرت الله و مضيت، فلمّا صرت بينهما سكنا، ثم دخلت داراً ثالثة و فيها الملك فلمّا صرت إلى بهوه، إذا هو فى بهو فسيح أكاد أن لا أبصره لبعده مسافة البصر بينى و بينه، فمشيت حتى انتهيت إلى قدر ثلثة فغشيتنى سحابة حمراء لم أبصر شيئاً فجلست مكانى ساعة، ثم تجلّت عنى فقامت فمشيت، فلمّا بلغت نحو الثلثين غشيتنى سحابة خضراء فغشى بصرى منها، فجلست حتى تجلّت، ثم قامت فمشيت فانتهيت إلى الملك فسلمت عليه، و الترجمان بينى و بينه، فأدّيت الرسالة و أوصلت الكتاب، فأمرنى بالجلوس و سألتنى عن الخليفة و عن أشياء من أمر الأقاليم، ثم أمر بمنزل و إقامة ما أحتاج إليه، و أمرنى بالانصراف و البكور عليه، فكنت لأغتبه و آنس بى، فركبت معه يوماً فانتهينا إلى حائط عليه باب و حفظه، فدخلنا فإذا أصول طرفاء فقال: أتعرف هذه الشجرة؟

فقلت: لا، و ظننت أن عنده فيها معنى، فقال: هذه شجرة ينفع دخانها من الخراج و تمرئ الطعام، فقلت فى نفسى: لو يعلم أنها ببلادنا حطب الأراذل منا، ثم مضى إلى حائط آخر عليه باب و حفظه، فدخل و دخلنا معه فإذا مقدار قفيز من أرض فيه كبر، فقال: أتعرف هذا؟ قلت: لا، و ظننت به ظنّى الأول فقال: هذا نبت و هو جوارشن، و ينفع من أصابه الحرق [٢٠١]، و يدخل فى أدوية الجراحات.

فقلت فى نفسى: لو يعلم هذا أن عندنا لا يكون إلّا فى أخابر المواضع و المفاوز،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨٥

و أنه مباح لمن أرادته، فلمّا آنست به قلت: أيها الملك أريد أن أسأل عن شىء قال:

سل عما بدا لك. قلت: إنى رأيت أسدين و سيفين و سحابتين كان من قصتهما كيت و كيت، و لم أعرف السبب. قال: أما الأسدان و السيفان فإنهما حيلة تحتال لمن ورد علينا من رسل الملوك لنروّعهم بذلك، و إذا قرب الرجل منهم سكنت كما رأيت، و أما السحابتان فإنى أعلمك خبرهما، ثم ضرب بيده إلى ثنى فراشه فاستخرج قطعة ياقوت أحمر كالنعل، فإذا السحابة قد غشيتنا من ضوءها ثم ردها و استخرج أختها من زمرد أخضر فغشيتنا السحابة الخضراء، فلما أرف خروجى و أجاب عن الكتاب قال: امض بنا إلى قصرى فخرجنا حتى انتهينا إلى قصر عليه حفظة فدخلنا فإذا بيوت مختومة، فأمر بباب منها ففتح، فإذا جرب بيض منضدة حوالى البيت، ثم قال: أشر إلى ما شئت منها، فأشرت إلى جراب منها فأمر برتيه فملئت منها، ثم أمر بختمها، ثم استفتح بابا آخر كالأول فى طوله، فإذا جرب حمر فقال: أشر إلى ما شئت منها، فأشرت إلى جراب منها فملئت منه برتيه ثم ختمها و انصرفنا إلى القصر، فدعا بكير و منفخ و رطل نحاس و رطل رصاص، فأمر بأحدهما فأذيب، و أمر أن يلقى عليه من الدواء الأبيض ما يحمل ظفر الإبهام، ثم أفرغه فخرج فضة بيضاء، ثم أذيب النحاس و ألقى عليه من الأحمر مثل ذلك فخرج ذهباً أحمر فقال: أعلم صاحبك أن هذا مالى، و أما الخيل و الرجال فإنك تعلم أنهم أكثر و أكبر، فقال عماره: فحدث المنصور بهذا الحديث، فكان هذا الذى حداه على طلب الكيمياء. قال عماره: و أعجب ما رأيت فى مجلسه أنه كان إذا أراد أن يصرف الناس خرجت فى ظهر كل رجل كف من الحائط فيدفعه فيعلم أنه قد أمر بالقيام.

و قال سيف بن عمر: كان ملك الروم الأول من آل بالع بن بعور، و بنى قرية دنحب، ثم ملك بعده يوب بن زرح، ثم ملك بعده هوشم، و نزل التيمن، ثم ملك بعده هدد بن بدد الذى قتل المدتيين، ثم ملك سمل بن مسرق، ثم عدّه كثيرة.

و قال حذيفة: كان على الروم ملك يقال له مورق سىء السيرة، فاجتمع إليه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨٦

من المؤمنين اثنان و سبعون رجلا على أن يأمره بالمعروف و ينهوه عن المنكر فانتدب منهم رجلان لذلك فكلماه فأمر بهما ليصلبا، فاجتمع السبعون فقال بعضهم لبعض: نقضتم العهد و أسلمتم إخوانكم للقتل، و أمركم الآن أشد من أمركم الأول، فائتمروا ليأخذوا السلاح و يفتكوا لمورق. حتى يقتلوه، فلما أبرز المورق بالرجلين شدوا عليه فقتلوه، و نادوا: أيها الناس لا بأس فإنما غضبنا لله، فاجتمع إليهم الناس و قالوا لهم: قد قلدناكم أمورنا، فولوا من أنفسكم من شئتم، فملكوا عليه رجلا يقال له فوق، فهو الذى ضرب الدنانير الفوقية، ثم ملك فوق و كان سىء السيرة، فأرادت الروم أن تخلعه، فعمد إلى خزانهم و أموالهم فرمى بها فى البحر، و شحن منها السفن، و أسرعها تحملها الريح حتى جاءت بها إلى الشام، و كان شهر براز غلاما لكسرى على الشام، فخرج إلى الساحل فرأى السفن، فأمر بها فأخذت و استخرج ما فيها من الأموال، فسمى ذلك المال كنج باذاورد، فبطلت أموال الروم منذ حينئذ، فليس فى الأرض رومى له عطاء أكثر من خمسة دنانير و عشرة دنانير هذا للشريف منهم فهم إلى يومنا هذا على هذا.

و قال ابن دأب [٢٠٢] عن موسى بن عقبه قال: كان عبادة بن الصامت يحدث أن بعض الخلفاء بعثه و هشام بن العاص و نعيم بن عبد الله إلى ملك الروم يدعوه إلى الإسلام، قال: فخرجنا حتى جئنا جبله ابن الأيهم الغسانى و هو بالغوطة، فأدخلنا إليه فإذا هو على فرش مع السقف، فأجلسنا بعيدا فأرسل إلينا رسولا نكلمه، فقلنا لا و الله لا كلمناه برسول، فأدبنا منه فكلمه هشام و دعاه إلى الله، فإذا عليه ثياب سود فقال له هشام: ما هذه المسوح التى لبستها؟ قال: لبستها و على نذر ألما أنزعها حتى أخرجكم من الشام، قلنا: و الله لنخرجنك من فرشك و من دار مملكتك و نملك الملك الأعظم إن شاء الله،

أخبرنا بذلك نبينا (صلى الله عليه و سلم)، قال: إذا أنتم السمرء. قلنا: و ما السمرء؟ قال: الذين يصومون النهار و يقومون الليل. قلنا:

فنحن و الله هم. قال: و كيف صومكم؟ فأخبرناه بذلك. قال: فرطن لأصحابه

و قال: قوموا و علاه سواد

ثم بعث معنا رسولا إلى ملك الروم، فلما دنونا من مدينته قال الذين معنا: إن دوابنا هذه لا تدخل مدينة الملك، و كنا على رواحل فإن شئتم حملناكم على براذين و بغال، قلنا: لا و الله لا ندخل إلا عليها، فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون، فأرسل أن خلوا عنهم، فدخلنا معتمين علينا السيوف على الرواحل، و إذا غرفة مفتوحة ينظر منها إلينا، و أقبلنا حتى أنخنا تحت الغرفة، قلنا:

لا إله إلا الله و الله أكبر، قال: و الله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى كأنها عذق سعة ضربها الريح، و أرسل أنه ليس لكم أن تجهروا بدينكم على بابي، فأرسل أن ادخلوا فدخلنا، فإذا عليه ثياب حمر، و إذا كل شيء عنده أحمر، و البطارقة حوله فدنونا منه، فإذا هو يفتح العريضة، فقال لنا و ضحك: ما منعكم أن تحيونى بتحية نبيكم؟ فإن ذلك أجمل بكم، قلنا: تحيتنا لا تحل لك، و تحيتك التي تحيا بها لا تحل لنا. قال: و ما هي؟ قلنا السلام عليكم. قال: فما تحيون ملككم؟ قلنا: بهذا نحياه. قال: فكيف يرد عليكم؟ قلنا: كما نقول له. قال: أ فما يرثكم؟ قلنا: لا. إنما يرث منا الأقرب فالأقرب. قال: و كذلك ملككم؟ قلنا: نعم. قال: فما صومكم و صلاتكم؟ فوصفنا له. قال: فما أعظم كلامكم؟ قلنا: لا إله إلا الله و الله أكبر، فالله يعلم أنه انتفض سقفه حتى ظن هو و أصحابه أن سيسقط عليهم، ثم قال: هذه الكلمة هي التي نفقت الغرفة؟ قلنا: نعم. قال: و كلما قلتموها نفقت سقفكم؟ قلنا: لا. قال: فإذا قلتموها في بلاد عدوكم تفعل ذلك؟ قلنا: لا، قلنا: و ما رأيناها صنعت ذلك إلا عندك. قال: ما أحسن الصدق، أما أنى وددت أنى خرجت إليكم من نصف ملكى، و أنكم كلما قلتموها ينفذ كل شيء. قلنا:

و لم ذاك؟ قال: كان ذاك أيسر لشأنها و أجدر ألا يكون نبوة، و أن يكون من حيلة الناس. قال: فما كلمتكم التي تقولون لا إله إلا الله ليس معه غيره. قلنا: نعم.

قال: و الله أكبر أكبر من كل شيء؟ قلنا: نعم. ثم سألتنا سؤالاً شافياً و خرجنا من عنده، و قد أمر لنا بمنزل حسن، و نزل كثير فمكثنا ثلاثاً، ثم أرسل إلينا ليلاً فدخلنا عليه، فإذا ليس عنده أحد فاستعادنا القول، فأعدنا عليه، و دعا بشيء كهيته الزبعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار، عليها أبواب، ففتح بيتاً فأخرج منه خرقة سوداء

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨٨

حريراً، فنشرها فإذا فيها صورة، و إذا رجل ضخم العينين، عظيم الألتين، طويل العنق، فقال: أ تدررون من هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا آدم (عليه السلام)، ثم فتح بيتاً آخر فأخرج منه خرقة سوداء فنشرها، فإذا صورة بيضاء فإذا رجل له شعر كشعر القبط، أحمر العينين، عظيم الهامة، قال: أ تدررون من هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا نوح (عليه السلام)، ثم فتح بيتاً آخر فاستخرج خرقة مثل الأوليين، فإذا صورة بيضاء شديدة البياض، و إذا رجل حسن العينين، طويل الخد، شارع الأنف، مختلط شيب الرأس أبيض اللحية، و الله لكأنه يتبسم، قال: أ تعرفون هذا؟ قلنا:

لا. قال: هذا إبراهيم (عليه السلام)، ثم أخرج خرقة سوداء مثلها، فنشرها فإذا صورة و إذا و الله رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال: أ تعرفون هذا؟ قلنا: نعم، و بكينا و قلنا: هذا نبينا محمد (صلى الله عليه و سلم) فالله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس فقال: الله لهو هو، قلنا: و الله لهو هو، كأننا ننظر إليه حياً، فأمسك ساعة ينظر ثم قال: أما و الله إنه آخر البيوت و لكنى عجلته لكم لأعلم ما عندكم، فأعاده و فتح بيتاً آخر فأخرج خرقة سوداء فإذا فيها صورة صحماء أدماء رجل كثير الشعر جعد قطط، غائر العينين، حديد النظر، عابس، متراكب الأسنان، مقلص الشفة، و إلى جنبه صورة شبيه به غير أنه مدور الرأس عظيم الجبين فى عينه قبل، فقال: هذا موسى و أخوه هارون، ثم فتح باباً آخر فاستخرج خرقة سوداء فإذا فيها صورة بيضاء أشبه ما خلق الله بصورة امرأة عجيزة و ساقا، قال: هذا داود (عليه السلام)، ثم استخرج خرقة سوداء فيها صورة بيضاء، فإذا رجل أوقص طويل الرجلين قصير الظهر و إذا هو راكب على فرس لكل شيء منه جناح، قال: أ تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا سليمان، و هذه الريح تحته، ثم أخرج لنا خرقة سوداء فيها صورة صفراء و إذا رجل شديد سواد الشعر سبطه كثيرة حسن الوجه و العينين مشته كل شيء، قال: أ تعرفون هذا؟ قلنا: لا.

قال: هذا عيسى (عليه السلام)، قلنا: و من أين هذه الصور هكذا؟ فأنا نعمل أن هذه الصور على ما صورت، لأن صورة نبينا (صلى الله عليه و سلم) مثله، قال: إن آدم (عليه السلام) سأل ربه جلّ و عزّ أن يريه أنبياء بنيه، فأنزل عليه صورهم فاستخرجها ذو القرنين من خزانه آدم في مغرب الشمس، فصورها دانيال على تلك الصور في البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٨٩

خرق حرير، فهي هذه بعينها، و والله لوددت أن نفسى تطيب بالخروج من ملكى و أكون عبدا لأشرككم ملكه، و لكن نفسى لا تطيب ثم أجازنا و أحسن جائزتنا و سرحنا.

قال: و لما دخل أنوشروان أرض الروم و خرج منها فقد بها رجلا من متطبييه يسمونه الزرسييد، فاشتدّ على أنوشروان ذلك، و غير الرجل بأرض الروم سنين، حتى عرف كلامهم، و قرأ كتبهم، و عظم شأنه، فلما أحكم ما يريد انصرف إلى أنوشروان، فعظم موقعه لما رجا أن يجده عنده ما يحبّ أن يعرف من حال الروم، فخلا به فسأله عن شدّة ما رأى من بأس القوم و نجدتهم، فقال الزرسييد: إننا لم نزل نسمع من الملك أن النجدة قسم شريف، و قد يجمع قسمه أقساما لا تتمّ إلّا بها، و أنه لا يستحقّ أحد اسم البأس و الشدّة إلّا بما يشيعه من الصبر الذى به يحتمل الإخطار بالنفس، و الأنفة التى بها يقدم على ما أقدم به، و حسن الذكر و البصيرة الذى هو ملاك ذلك كلّ، و رباطة الجأش التى بها يوطن على ما ناله من إحراز المكرمه و حسن الثناء، و قلّ من رأيتهم ممن يستحقّ هذه الصفة، و ذلك لمخالفتهم دينهم الذى يدينون به.

قال: فكيف حظّهم من العلم؟ فوصفهم بقلته و زعم أن مفتخرهم إنما يفتخر بكتب الفلاسفة فى المنطق، و إنما هى غايتهم، قال: فأين مبلغهم من الطبّ؟ قال:

أما الطبّ فمعرفةهم بالطبائع، و الجواهر، و علاج الحرارة و البرودة، و فضول المرّة و البلغم، بالعقاقير المسماة لهم، لا يعرفون غير ذلك ممّا بسط لأهل الهند من علاج الأرواح، و الأدوية الغليظة، و الرقى، و الاستعانة ببعض الأرواح على بعض، قال: فالنجوم؟ قال: قلّ حظّهم منه جدّا، قال كسرى: فما بلغك فيما يدّعيه بعضهم من صنع الذهب و الفضة، و عن الأصباغ التى يصنع بها الجواهر، فينقل إلى غير طبائعه، و ما حكى لنا عن طلسماتهم؟ قال: كان ذلك من أهمّ أمورهم عندى أن أظفر به، فلم أجد لشيء من ذلك حقيقة، فأما الطلسمات فإنها أمور قديمة، كان على الأرض من قوى بشىء لشيء قد ألف من الكلام و الرقى و العقد على تماثيل قد رأيتها بها، ممّا تقادم عمله فى الأزمنة الماضية قبل مخرج عيسى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩٠

(عليه السلام)، فأما اليوم فقد ذهب من يدّعيها و بطل من يعملها.

و فى الخبر [٢٠٣]: أن الروم لمّا أخربت بيت المقدس كتب الله عليهم السبى فى كلّ يوم، فليس يمرّ يوم من أيام الدهر إلّا و أمّية من الأمم المطيفة بالروم يسبون من الروم سبايا.

و بحر الروم من أنطاكية إلى قسطنطينية، ثم يدور آخذا من ناحية الدبور، حتى يخرج خلف الباب و الأبواب من ناحية الخزر، حتى يبلغ قبروان إفريقية و أطرابلس إفريقية، حتى يبلغ الأندلس إلى السوس الأقصى إلى جزائر السعادة.

و أرض الروم غربيّة دبورية، و هى من أنطاكية إلى صقلية، و من قسطنطينية إلى تولية، الغالب عليها روسى و صقلية و أندلسى، و الصقالبة صنفان: سمر و آدم، و هو ممّا يلي البحر، و منهم بيض فيهم جمال، و هم فى البرّ، و مدينة الملك، قسطنطينية، و أنطاكية على ساحل البحر، و فيها مجمع البطارقة، و من طرسوس إلى خليج قسطنطينية مائة ميل، فيه مسجد مسلمة بن عبد الملك حيث حصر قسطنطينية، و يمرّ خليج قسطنطينية حتى يصبّ إلى بحر الشام، و عرض الخليج بأبدس قدر غلوة، و إذا صار إلى بحر الشام فعرضه عند مصبه أيضا قدر غلوة، و هناك صخرة عظيمة عليها برج فيه سلسلة تمنع سفن المسلمين من دخول الخليج و عمورية دون الخليج، و بينها و بين قسطنطينية ستون ميلا، و ذكر أن بطارقة الروم الذين هم مع الملك اثنا عشر بطريقا بقسطنطينية، و أن خيلها أربعة آلاف، و

رجالها أربعة آلاف.

و روى عن كعب قال: شمتت قسطنطينية بخراب بيت المقدس فتعززت و تجبرت فدعيت المستكبرة، و قالت: إن كان عرش ربى جلّ جلاله على الماء، فقد بنيت على الماء، فوعدها الله العذاب قبل يوم القيامة، فقال الله جلّ و عزّ لها: و عزّتى و جلالى لأنزعنّ حليك و حريرك و خمرك و خميرك، و لأتركنك لا- يصيح فيك ديك، و لا- أجعل لك عامرا إلّا الثعالب و بنات آوى، و لأنزلنّ عليك ثلاث

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩١

نيران: نارا من زفت، و نارا من كبريت، و نارا من نفظ، و لأتركنك جلاء قرعاء لا يحول بينك و بين السماء شىء، و ليلغنّ صوتك عنان السماء، فإنه طال ما أشرك بى فيك، و عبد فيك غيرى، و ليفترعن فيك جوارى ما كدن أن ترى الشمس من حسنهن، و لأسمعنّ خرير البحر صوتك، فلا يعجز من بلغ منكم ذلك أن يمشى إلى بيت بلاطة ملكهم، فإنكم ستجدون فيه كنز اثنى عشر ملكا من ملوكهم، كلهم يزيد فيه و لا ينقص منه، فتقسمون ذلك كيلا بالأترسة قطعاً بالفؤوس فتحملون ما استطعتم من كنوزها فتقسمونه بالغدقوتية، فإتيكم آت من قبل الشام أن الدجال قد خرج، فترفضون ما فى أيديكم، فإذا بلغت الشام و جدتم الأمر باطلا، و إنما هى نفحة كذوب.

قال خالد بن معدان: ليس فى الجنة كلب إلّا كلب أصحاب الكهف، و حمار بلعم، و اسم كلب أصحاب الكهف دين، و قال غيره: بل اسمه حمران، و اسم الكهف جيرم، و أصحاب الرقيم بقسطنطينية فى جبل هناك فى شعب و هم ثلاثة عشر رجلا.

و خراج الروم مساحة كل مائتى مدى ثلاثة دنانير فى كل سنة، و يأخذ عشر الغلات فيصير فى الأهرام للجيش، و يأخذ من اليهود و المجوس من كل رجل ديناراً فى السنة، و يؤخذ له فى كل بيت يوقد فيه كل سنة درهم، و ديوانه مقسوم على مائة ألف و عشرين ألف رجل، على كل عشرة آلاف رجل بطريق، و أجل البطارقة خليفة الملك و وزيره، ثم اللغثيط صاحب ديوان الخراج، ثم اللغثيط صاحب عرض الكتب، ثم الحاجب و صاحب ديوان البريد، ثم القاضى، ثم صاحب الحرس، ثم المرقب [٢٠٤].

و الروم أصحاب بقر و خيل و شاء، و لهم البيزون العجيب، و الديداج الرومى، و لهم من العطر الميعة و المصطكى و الجوارى الروميات، و الخدم و ينبت فى قعر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩٢

بحرهم البسّيد، و بها القبة التى من الرصاص و هى فى بعض مفاوزها، و ذكر بعضهم أنه دخلها و عيان ما فيها، و وجد على لوح بها مكتوب عليه: يا ابن آدم خف الموت، و بادر الفوت، و استكثر من ادّخار صالح الأعمال، و اعلم أن ذكر الموت يهون على اللسان، و أن الموت على الفراش أشدّ من ألف ضربة بالسيف، يا ابن آدم داو الموت بالطاعة، و اعلم أن ملك الموت رؤوف بأهل الطاعة. يا ابن آدم إن كنت تحبّ نفسك فصنها عن المعاصى، و احملها على التعب الذى يعقبك الراحة، و أعدّ للسفر البعيد زادا، فإنّ من رحل بلا زاد عطب. يا ابن آدم ما أقسى قلبك تعمر دارا تخرّب، و تخرّب دارا تبقى، يا ابن آدم خذ لنفسك من نفسك، و اعرف المذاهب بالأسباب، فإن سبب العقل المداراة، و سبب المزيد الشكر، و سبب زوال النعمة البطر، و سبب المروّة الأنفة، و سبب الأدب المواظبة، و سبب البغضاء الحسد، و سبب المحبّة الهدية، و سبب الأخوة البشاشة، و سبب القطيعة المعاتبه، و سبب الفقر إسراف المال، و سبب العداوة المراء، و سبب المحبّة السخاء، و سبب قضاء الحوائج الرفق، و سبب المذلة مسألة الناس، و سبب الحرمان الكسل، و سبب الريبة مصاحبة الريب، و سبب النبل العفاف، و سبب ثياب العقل المرأة الصالحة، و سبب الغناء قلة الفساد، و سبب الغضب الصلّف، و الخير كلّه يجمعه العقل، و من لا عقل له و لا حياء فلا خير فى صحبته قال: و إذا خوان موضوع هناك من ملح قدر ما يأكل عليه ألف رجل مكتوب عليه: يا ابن آدم قد أكل على هذا الخوان مائة ملك، كلّهم مصاب بعينه اليسرى، فكم كان الأصحاء؟ يا ابن آدم قد قضم فى هذه القبة مائتا ألف ملك، و قد رام حمل هذا الخوان و اللوح ألف ملك فماتوا كلّهم.

قال: فدعاني قيصر فسألني عنه ففسرته له فبكى ثم قال: لله درّ العرب ما أعظم أحلامها، و أكرم فروعها، ثم وصلني و أحسن جائزتي، و وجه معي من أخرجني من بلاده.

قال أبو المنذر: سميت الروم بنى الأصفر لأنه لما مات ملكهم لم يبق منهم من يصلح للملك إلا امرأة، فأجمعوا أن يملكوا عليهم أول طالع من الفجّ فطلع

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩٣

حبشيّ قد أبق من مولاة، فأخذه فزوّجه الملكة فولدت له ابنا فسّمى الأصفر لأنه من أسود و أبيض.

و من عجائب الروم: رومية الداخله، فإنها عجيبة البناء، كثيرة الأهل، و بينها و بين قسطنطينية مسيرة سنة. و قال جبير بن مطعم: لولا صوت أهل رومية لسمع الناس وجبة الشمس من حيث تطلع و قال حسن بن عطية: يفتح على المسلمين مدينة خلف قسطنطينية يقال لها رومية فيها مائة ألف سوق، في كلّ سوق مائة ألف رجل و قال بعض العلماء: ينقّس برومية في كلّ يوم عشرون و مائة ألف ناقوس، لولا وجبة أهلها لسمع الناس تسيح الملائكة و وقع غروب الشمس.

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: حلية بيت المقدس أهبطت من الجنة فأصابتها الروم فانطلقت بها إلى مدينة لهم يقال لها رومية. قال: و كان الراكب يسير بضوء ذلك الحلى مسيرة خمس ليال.

و قال رجل من آل أبي موسى: أخبرني رجل يهودى قال: دخلت رومية و ان سوق الطير فيها فرسخ.

و قال مجاهد: في بلد الروم مدينة يقال لها رومية فيها ستمائة ألف حَمَام.

و قال الوليد بن مسلم الدمشقي: أخبرني رجل من التجار قال: ركبنا البحر و ألقنا السفينة إلى ساحل رومية فأرسلنا إليهم: إنّا إياكم أردنا، فأرسلوا إلينا رسولا. فخرجنا معه نريدها. فعلونا جبلا في الطريق فإذا بشيء أخضر كهية اللّج فكبرنا فقال لنا الرسول: لم كبرتم؟ قلنا: هذا البحر، و من سيبلنا أن نكبر إذا رأيناه. فضحك و قال: هذه سقوف رومية و هى كلها مرصصة.

قال: فلما انتهينا إلى المدينة إذا استدارتها أربعون ميلا في كل ميل منها باب مفتوح.

قال: فانتبهنا إلى أول باب و إذا سوق البيطرة و ما أشبهه. ثم صعدنا درجا فإذا سوق الصيارفة و البرازين. ثم دخلنا المدينة فإذا في وسطها برج عظيم واسع في أحد جانبيه كنيسة قد استقبل بمحرابها المغرب و بابها المشرق و فى وسط البرج

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩٤

بركة مبلطة بالنحاس يخرج منها ماء المدينة كله. و فى وسطها عمود من حجارة عليه صورة رجل من حجارة. قال: فسألت بعض أهلها فقلت: ما هذا؟ فقال: إن الذى بنى هذه المدينة قال لأهلها لا تخافوا على مدينتكم حتى يأتكم قوم على هذه الصفة، فهم الذين يفتحونها.

و ذكر بعض الرهبان ممن دخلها و أقام بها أن طولها ثمانية و عشرون ميلا فى ثلاثة و عشرين ميلا و لها ثلاثة أبواب من ذهب. فمن باب الذهب الذى فى شرقها إلى البابين الآخرين ثلاثة و عشرون ميلا، و لها ثلاثة جوانب فى البحر، و الرابع فى البر. و الباب الأول الشرقى و الآخر الغربى و الآخر اليمنى. و لها سبعة أبواب سوى هذه الثلاثة الأبواب من نحاس مذهب. و لها حائطان من حجارة رخام، و فضاء طوله مائتا ذراع بين الحائطين.

و عرض السور الخارج ثمانية عشر ذراعا و ارتفاعه اثنان و ستون ذراعا. و بين السورين نهر ماؤه عذب يدور فى جميع المدينة و يدخل دورهم مطبق يرفوف النحاس، كل دفه منها ستة و أربعون ذراعا. و عدد الرفوف مائتان و أربعون ألف دفه. و هذا كله من نحاس.

و عمود النهر ثلاثة و تسعون ذراعا فى عرض ثلاثة و أربعين ذراعا. فكلما همّ بهم عدو و أتاهم، رفعت تلك الرفوف فيصير بين السورين بحر لا يرام.

و فيما بين أبواب الذهب إلى باب الملك اثنا عشر ميلا و سوق ماد من شرقيها إلى غربيها بأساطين النحاس، مسقف بالنحاس و فوقه سوق آخر، و فى الجميع التجار.

و بين يدي هذا السوق سوق آخر على أعمدة نحاس، كل عمود منها ثلاثون ذراعا. و بين هذه الأعمدة نقيرة من نحاس فى طول السوق من أوله إلى آخره فيه لسان تجرى من البحر، فتجىء السفينة فى هذا النقيرة و فيها الأمتعة حتى تجتاز فى السوق بين يدي التجار فتقف على تاجر تاجر فيبتاع منها ما يريد ثم ترجع إلى البحر.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩٥

و فى داخل المدينة كنيسة مبنية على اسم مار فطرس و مار فولس الحواريين و هما مدفونان فيها. و طول هذه الكنيسة ألف ذراع فى خمسمائة ذراع فى سمك مائتى ذراع. و فيها ثلاث باسليقات بقناطر نحاس.

و فيها أيضا كنيسة بنيت باسم اصطفانوس رأس الشهداء طولها ستمائة ذراع فى عرض ثلاثمائة ذراع فى سمك مائة و خمسين ذراعا. و ثلاث باسليقات بقناطرها و أركانها. و سقوف هذه الكنيسة و حيطانها و أرضها و أبوابها و كواؤها كلها و جميع ما فيها حجر واحد.

و فى المدينة كنائس منها أربع و عشرون كنيسة للخاصة و فيها كنائس لا تحصى للعامّة.

و فى المدينة عشرة آلاف دير للرجال و النساء و حول سورها ثلاثون ألف عمود للرهبان.

و فيها اثنا عشر ألف زقاق يجرى فى كل زقاق منها نهران، واحد للشرب و الآخر للحشوش.

و فيها اثنا عشر ألف سوق، فى كل سوق قناة ماء عذب.

و أسواقها كلها مفروشة بالرخام الأبيض منصوبة على أعمدة النحاس مطبقة برفوف النحاس و فيها عشرون ألف سوق بعض هذه الأسواق صغار.

و فيها ستمائة ألف و ستون ألف حمام.

و ليس يباع فى هذه المدينة و لا يشتري من ست ساعات من يوم السبت حتى تغرب الشمس من يوم الأحد.

و فيها مجامع لمن يلتمس صنوف العلم من الطب و النجوم و غير ذلك، يقال إنها مائة و عشرون موضعا.

و فيها كنيسة الأمم إلى جانبها قصر الملك و تسمى هذه الكنيسة صهيون، بصهيون بيت المقدس، طولها فرسخ فى فرسخ و فى سمك مائتى ذراع و مساحة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩٦

هيكلا ستة أجرية، و المذبح الذى يقدر عليه القربان من زبرجد أخضر طوله عشرون ذراعا فى عرض عشرة أذرع يحمله عشرون تمثالا من ذهب طول كل تمثال ثلاثة أذرع، أعينها يواقيت حمر، و إذا قرّب على هذا المذبح قربان فى الأعياد لا يطفأ إلّا يصاب.

و فى رومية من الثياب الفاخرة ما يليق به. و فى الكنيسة ألف و مائتا أسطوانة من المرمر الملمع و مثلها من النحاس المذهب، طول كل أسطوانة خمسون ذراعا.

و فى الهيكل ألف و أربعمائة و أربعون أسطوانة، كل أسطوانة ستون ذراعا لكل أسطوانة رجل معروف من الأساقفة. و فى الكنيسة ألف و مائتا باب كبار من النحاس الأصفر المفرغ و أربعون بابا كبارا من ذهب سوى أبواب الابنوس و العاج و غير ذلك. و فيها ألف باسليق طول كل باسليق أربعمائة و ثمانية و عشرون ذراعا فى عرض أربعين ذراعا، لكل باسليق أربعمائة و ثمانية و عشرون ذراعا،

لكل باسليق أربعمائة و أربعون عمودا من رخام مختلف ألوانه طول كل واحد ستة و ثلاثون ذراعا.

و فيها أربعمائة قنطرة يحمل كل قنطرة عشرون عمودا من رخام.

و فيها مائة و ثلاثون ألف سلسلة ذهب معلق فى السقف ب بكر ذهب تعلق فيها القناديل سوى القناديل التى تسرج يوم الأحد. و هذه القناديل تسرج يوم أعيادهم و بعض مواسمهم. و فيها الأساقفة ستمائة و ثمانية عشر أسقفا. و من الكهنة و الشماسة ممن يجرى عليهم

الرزق من الكنيسة دون غيرهم خمسون ألف، كلما مات واحد أقاموا مكانه آخر.

و في المدينة كنيسة الملك و فيها خزائنه التي فيها أواني الذهب و الفضة مما قد جعل للمذبح، و فيها عشرة آلاف جرة ذهب يقال لها الميزان، و عشرة آلاف خوان ذهب و عشرة آلاف كأس و عشرة آلاف مروحة ذهب. و من المنائر التي تدار حول المذبح سبعمائة منارة كلها ذهب، و فيها من الصلبان التي تخرج يوم الشعانين ثلاثون ألف صليب ذهب، و من صلبان الحديد و النحاس المنقوشة المموهة بالذهب ما لا يحصى، و من المقطوريات عشرون ألف مقطورية و فيها ألف مقطرة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩٧

من ذهب يمشون بها أمام القرايين. و من المصاحف الذهب و الفضة عشرة آلاف مصحف. و للبيعة و حدها سبعة آلاف حمام سوى غير ذلك من المستغلات.

و مجلس الملك المعروف بالبلاط يكون مساحته مائة جريب و خمسين جريبا، و الإيوان الذي فيه مائة ذراع في خمسين ذراعا ملبس كله ذهباً. و قد مثل في هذه الكنيسة مثال كل نبي منذ آدم عليه السلام إلى عيسى ابن مريم عليه السلام، لا يشك الناظر إليهم أنهم أحياء. و فيها ثلاثة آلاف باب نحاس مموه بالذهب، و حول مجلس الملك مائة عمود مموهة. بالذهب على كل واحد منها صنم من نحاس مفرغ، في يد كل صنم جرس مكتوب عليه ذكر أمية من الأمم و جميعها طلسمات، فإذا هم بغزوها ملك من الملوك تحرك ذلك الصنم و حرك الجرس الذي في يده فيعلمون أن ملك تلك الأمة يريدهم فيأخذون حذرهم.

و حول الكنيسة حائطان من حجارة طولهما فرسخ و ارتفاع كل واحد منهما مائة ذراع و عشرون ذراعا. لهما أربعة أبواب. و بين يدي الكنيسة صحن يكون خمسة أميال في مثلها في وسطه عمود من نحاس ارتفاعه خمسون ذراعا. و هذا كله قطعة واحدة مفرغة و فوقه تمثال طائر يقال له السوداني [٢٠٥]، من ذهب على صدره نقش طلسم و في منقاره مثال زيتونه و في كل عشرين واحدة من رجليه مثال ذلك. فإذا كان أوان الزيتون لم يبق طائر في الأرض إلا و أتى و في منقاره زيتونه و في كل واحدة من رجليه زيتونه حتى يطرح ذلك على رأس الطلسم. فزيت أهل رومية و زيتونهم من ذلك. و هذا الطلسم عمله لهم بليناس صاحب الطلسمات.

و هذا الصحن عليه أمناء و حفظة من قبل الملك، و أبوابه مختومة، فإذا امتلأ و ذهب أصل الزيتون اجتمع الأمناء فعصروه فيعطى الملك و البطارقة و من يجري مجراهم قسطهم من الزيت و يجعل الباقي للقناديل التي للبيع. و هذه القصة - أعنى قصة السوداني - مشهورة قلما رأيت كتابا تذكر فيه عجائب البلاد إلا و قد ذكرت فيه.

و قد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: من عجائب الدنيا شجرة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩٨

برومية من نحاس عليها صورة سودانية في منقارها زيتونة، فإذا كان أوان الزيتون صفرت فوق الشجرة فيوافي كل طائر في الأرض من جنسها بثلاث زيتونات في منقاره و رجليه حتى يلقي ذلك على تلك الشجرة فيعصر أهل رومية ما يكفيهم لقناديل بيعتهم و أكلهم لجميع الحول.

و في بعض كنائسهم نهر يدخل من خارج المدينة، في هذا النهر من الضفادع و السلاحف و السراطين أمر عظيم. فعلى الموضع الذي تدخل منه الكنيسة صورة صنم من حجارة و في يده حديدة معقفة كأنه يريد أن يتناول بها شيئا من الماء. فإذا انتهت إليه هذه الدواب المؤذية رجعت مصاعدة، و لم يدخل الكنيسة منها شيء البتة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ١٩٩

قال أبو عبيدة: سُمي العراق عراقاً لأنه سفلى على نجد، ودنا من البحر، كعراق القرية وهو الخرز المثني الذي في أسفلها وهو الذي يضعه السقاء في صدره وقال الأصمعي: ما دون الرمل عراق وقال المدائني: عمل العراق من هيت إلى الصين والسند والهند، ثم كذلك الرمي وخراسان، والديلم وجيلان والجبالي، وإصبهان سرّة العراق، ومن ولى العراق فقد ولى البصرة والكوفة والأهواز وفارس وكرمان والهند والسند وسجستان وطبرستان وجرجان. والعراق في الطول من عانة إلى البصرة، والبصرة تتاخم الأهواز، والأهواز تتاخم فارس، وفارس تتاخم كرمان، وكرمان تتاخم كابل، وكابل تتاخم زرنج، وزرنج تتاخم الهند.

وقال بعض أهل النظر: أهل العراق هم أهل عقول صحيحة، وشهوات محمودة، وشمائل موزونة، وبراعة في كل صناعة، مع اعتدال الأعضاء، واستواء الأخلاق، وسمرة الألوان، وهي أعدلها وأقصدتها، وهم الذين أنصجتهم الأرحام، فلم تخرجهم بين أشقر وأصهب وأمهق ومغرب، وكالذي يعتري أرحام نساء الصقالبة وما ضارعها وصاقبها، وهم الذين لم تتجاوز أرحام نسائهم في النضج إلى الإحراق، فيخرج الولد بين أسود وحالك ومتن الرياح ذفر ومفلفل الشعر مختلف الأعضاء ناقص العقل فاسد الشهوة كالزنج والحبشان ومن أشبهها من السودان، فهم بين فطير لم يختمر ونضيج قد احترق.

وقالوا: مناكحة الغرائب أنجب، ومناكحة القرائب أضوى.

وقالوا: اغتبروا ولا تضووا. وقالوا: فارس أعقل والروم أعلم وللروم صناعات.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠٠

القول في الكوفة

إشارة

قال قطرب: سميت الكوفة من قولهم: تكوف الرمل أي ركب بعضه بعضاً.

والكوفان: الاستدارة. وقال أبو حاتم السجستاني: الكوفة رمله مستديرة، يقال كأنهم في كوفان.

وقال المغيرة بن شعبه: أخبرنا الفرس الذين كانوا بالحيرة قالوا: رأينا قبل الإسلام في موضع الكوفة فيما بين الحيرة إلى النخيلة نارا تأجج. فإذا أتينا موضعها لم نر شيئاً. فكتب في ذلك صاحب الحيرة إلى كسرى فكتب إليه أن أبعث إليّ من تربتها. قال: فأخذنا من حوايلها ووسطها وبعثنا به إليه، فأراه علماءه وكهنته فقالوا: يبني في هذا الموضع قرية يكون على يدي أهلها هلاك الفرس. قال: فرأينا - والله - الكوفة في ذلك الموضع.

قالوا: وأول من اختط مسجد الكوفة سعد بن أبي وقاص.

وقال غيره: اختط الكوفة السائب بن الأقرع وأبو الهيثم الأسدي.

وكانت العرب تقول: أولع البرّ لسانه في الريف. فما كان يلي الفرات فهو الملطاط، وما كان يلي الطين فهو الخيف.

ويروى عن أمير المؤمنين أنه قال: الكوفة كنز الإيمان وجمجمة الإسلام وسيف الله ورمحه، يضعه حيث يشاء. والذي نفسى بيده لينصرن الله جلّ وعزّ بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز.

وكان (عليه السلام) يقول: حبذا الكوفة، أرض سهلة معروفة، تعرفها جمالنا المعلوفة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠١

ويقال: موضع الكوفة اليوم كانت سورستان.

وكان سلمان يقول: الكوفة أهل الله، وهي قبة الإسلام، يحنّ إليه كل مسلم.

وقال أمير المؤمنين: ليأتين على الكوفة زمان وما من مؤمن ولا مؤمنة إلّا بها أو قلبه يحنّ إليها.

وقال ابن الكلبي: وفد الحجاج على عبد الملك بن مروان و معه أشراف العراق، فلما دخلوا عليه تذاكروا أمر الكوفة و البصرة. فقال محمّد بن عمير العطاردي: إن أرض الكوفة أرض سفلت عن الشام و عملها و وباءها، و ارتفعت عن البصرة و حرّها و عمقها، و جاورها الفرات فعذب ماؤها و طاب ثمرها، و هي مريئة مريئة.

فقال عبد الله بن الأهم السعدي: نحن و الله يا أمير المؤمنين أوسع منهم تربئة، و أكثر منهم دربة، و أعظم منهم بريئة، و أغدّ منهم في السريّة، و أكثر منهم قندا و نقدا، يأتينا ما يأتينا، عفوا صفوا، و لا يخرج من عندنا إلّا سائق أو قائد أو ناعق.

فقال الحجاج: إن لي بالبلدين خيرا يا أمير المؤمنين.

قال: هات فأنت غير متهم فيهم.

قال: أما البصرة فعجوز شمطاء بخراء ذفراء، أوتيت من كلّ حلّى و زينة، و أما الكوفة فكبير عاطل لا حلّى لها و لا زينة.

فقال عبد الملك: ما أراك إلّا و قد فضّلت الكوفة.

و كان عمر بن الخطّاب يكتب: إلى سيّد الأمصار و جمجمة العرب يعني الكوفة.

و كان عبد الله بن عمر يقول: يا أهل الكوفة أنتم أسعد الناس بالمهدى.

و قال أمير المؤمنين للكوفة: ويحك يا كوفة و أختك البصرة كأنني بكما تمدّان مدّ الأديم، و تعرّكان عرك العكاظي، إلّا أني أعلم

فيما أعلمني الله عزّ و جلّ أنه ما

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠٢

أراد بكما جبار سوء إلّا ابتلاه الله بشاغل.

و كان محمّد بن عمير بن عطاردي [٢٠٦] يقول: الكوفة سفلت عن الشام و وبائها، و ارتفعت عن البصرة و عمقها، فهي مريئة مريئة بريئة بحريّة، إذا أتتنا الشمال هبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور، و إذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السواد، و وردة، و ياسمينه و خيريه و أترجه، ماؤنا عذب، و محتشنا خصب.

و كتب إليهم عمر بن الخطّاب: أني اختيرتكم فأحببت النزول بين أظهركم، لما أعرف من حكم الله و لرسوله، و قد بعثت إليكم عمّار بن ياسر أميراً، و عبد الله بن مسعود مؤدّنا و وزيراً، و هما من النجباء من أهل بدر، فخذوا عنهما و اقتدوا بهما، و قد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي.

و كان زياد يقول: الكوفة جارية حسناء، تصنّع لزوجها فكّلما رآها يسرّ بها.

قالوا: و لنا فتوح و أيام، فمن فتوحنا: الحيرة، و بانقيا، و الفلوجتين، و نستر، و بغداد، و عين التمر، و دومة، و الأنبار، و ما فتحوا مع خالد بن الوليد في مسيرهم إلى الشام: المصيح، و حصيد، و بشر، و قرقر، و سوى، و أراك، و تدمر، ثم شاركوا أهل الشام في بصرى و دمشق، هذا كلّ في خلافة أبي بكر، ثم كان من آثارهم في خلافة عمر: يوم جسر أبي عبيد، و يوم مهران، و يوم القادسيّة، و يوم المدائن و جلولاء و حلوان، هذا كلّ قبل أن ينزلوا الكوفة، ثم نزلوها ففتحوا الموصل، و آذربيجان، و تستر، و ماسبدان، و رامهرمز، و جرجان، و الدّينور، و لهم مع أهل البصرة نهاوند، و لهم بعض الرّي، و بعض إصبهان، و لهم طميس و نامية من طبرستان، و نزل الكوفة من الخلفاء و الأئمّة عليّ و الحسن (عليه السلام)، و من الملوك و الخلفاء معاوية، و عبد الملك، و أبو العباس، و أبو جعفر المنصور،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠٣

و المهدى، و هارون الرشيد، و كان بها عمّال العراق و الدعوة لهم في العطاء قبل أهل البصرة عدّة أهل الكوفة ثمانون ألفاً، و مقاتلتهم أربعون ألفاً، و كان زياد يقول: أهل الكوفة أكثر طعاماً، و أهل البصرة أكثر دراهم.

و قال الأحنف بن قيس: نزل أهل الكوفة في منازل كسرى بن هرمز بين الجنان الملتصّة و المياه الغزيرة و الأنهار المطّردة، تأتيهم

ثماهم غَضَّة لم تخضد و لم تفسد، و نزلنا أرضا هَشَّاشَةً في طرف فلاة، و طرف ملح أجاج في سبخة نَشَّاشَةً، لا يجفُّ ثراها، و لا ينبت مرعاها، يأتينا ما يأتينا في مثل مرىء النعامة.

قال: و لَمَّا ظهر أمير المؤمنين (عليه السلام) على أهل البصرة قال أعشى همدان:

اكسع البصرى إن لاقيته إنما يكسع من قل و ذل
و اجعل الكوفى في الخيل و لاتجعل البصرى إلَّا في النفل
و إذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثونه و فتى أبيض و ضاح رفل
جاءنا يخطر في سابغة فذبحناه ضحى ذبح الحمل
و عفونا فنسيتم عفونا و كفرتم نعمه الله الأجل

و قال فطر بن خليفة: نازعنى قتادة فى الكوفة و البصرة فقلت: دخل الكوفة سبعون بدرىا، و دخل البصرة عتبه بن غزوان فسكت.

و قال أمير المؤمنين: قبه الإسلام الكوفة، و الهجرة بالمدينة، و الأبدال بالشام، و النجباء بمصر و هم قليل.

و قالوا: من نزل الكوفة فلم يقر لهم بفضل ثلاث، فليست له بدار: بفضل ماء الفرات، و رطب المشان، و فضل أمير المؤمنين على (عليه السلام) و من نزل البصرة. فلم يقر لهم بثلاث فليست له بدار: بفضل عثمان، و فضل الحسن البصرى و رطب الأزاد.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠٤

قالوا: و من أسخياء الكوفة: هلال بن عتاب، و أسماء بن خارجة، و عكرمة بن ربعى الفياض، و من فتيانها: خالد بن عتاب، و أبو سفيان بن عروة بن المغيرة بن شعبه، و عمرو بن محمد بن حمزة.

و قال سعيد بن مسعود المازنى لسليمان بن عبد الملك: مآ أحلم الناس:

الأحنف، و أحملهم بحمالة: إياس بن قتادة، و أسخاهم: طلحة بن عبد الله بن خلف، و أشجعهم عباد بن حصين و الحريش [٢٠٧]، و أعبدهم: عامر بن عبد قيس.

فقال نظار الكوفة: مآ أشجع الناس الأشتر [٢٠٨]، و أسخاهم: خالد بن عتاب، و أحملهم: عكرمة الفياض، و أعبدهم: عمرو بن عتبة بن فرقد.

و قالوا جميعا: إذا كان علم الرجل حجازيا و طاعته شاميا و سخاؤه كوفيا فقد كمل.

افتخار الكوفيين و البصريين

قال: اجتمع عند أبى العباس أمير المؤمنين عدّة من بنى على، و عدّة من بنى العباس، و فيهم بصريون و كوفيون منهم: أبو بكر الهذلى و كان بصريا، و ابن عياش و كان كوفيا [٢٠٩]، فقال أبو العباس: تناظروا حتى نعرف لمن الفضل منكم.

قال بعض بنى على: إن أهل البصرة قاتلوا علينا يوم الجمل، و شقوا عصا المسلمين.

قال أبو العباس: ما تقول يا أبا بكر؟

قال: معاذ الله أن يجهل أهل البصرة، إنما كانت شرذمة منها شدت عن سبل

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠٥

المنهج، و استحوذ عليها الشيطان، و فى كل قوم صالح و طالح فأما أهل البصرة فهم أكثر أموالا و أولادا، و أطوع للسلطان، و أعرف برسوم الإسلام.

قال ابن عياش: نحن أعلم بالفتوح منكم، نحن نفينا كسرى عن البلاد و أبرنا جنوده و أبحنا ملكه و فتحنا الأقاليم، و إنما البصرة من

العراق بمنزلة المثنائ من الجسد، ينتهي إليها الماء بعد تغييره وفساده، مضغوطة قبل ظهرها بأخشن أحجار الحجاز وقلها خيرا، مضغوطة من فوقها ببطاحتها، وإن كانوا يستعدون ماءهم، و لولا ذلك ما انتفخوا بالعيش، و مضغوطة بالبحر الأخضر من أسفلها و نحن قللناهم على وجه المعزاء، و بعثنا إليهم من جندنا ما كان منه قوامهم، و إنما أهل البصرة بمنزلة الرسل لنا، و محل الكوفة محلّ اللهوات و اللسان من الجسد، و موضعها على صدور الأرضين ينتهي إليها الماء برده و عذوبته، و يتفرق في بلادنا و يجوز بالعذبة الزكية الفرات و دجلة، و البصرة من العراق بمنزلة المثنائ من الجسد.

قال أبو بكر: أنتم مع ما وصفت أكثر أنبياء و ما لنا إلّا نبي واحد و هو محمد صلى الله عليه و عامّة أنبيائكم الحاكة.

فضحك أبو العباس حتى كاد يسقط عن السرير ثم قال: لله درك يا أبا بكر.

فقال أبو بكر: و ما رأيت الأنبياء مصلوبين إلّا ببلاد الكوفة.

فقال ابن عياش: عيرت أهل الكوفة بثلاثة مجانيين من السفلة ادّعوا النبوة بالجنون، فصلبهم الله بالكوفة، فمن يعير به أهل البصرة من المدّعين للعقول و الشرف و الروايات للحديث كثيرا، و كلّهم يزعم أنه يهدى نفسه و يضلّها، و المتبّي بالجنون أيسر خطبا من ادّعاء الصحيح هدى نفسه و ضلالها، فلقد ادّعوا الربوبية في قول بعضهم.

فقال أبو العباس: هذه بتلك أو أشدّ يا أبا بكر، فاعترض عليهم بعض العلوية و هو الحسن بن زيد فقال: يا أبا بكر ما قاتلم علينا يوم الجمل؟ فقال:

بلى، قاتله شردمة، و كفّ الله عزّ و جلّ أيدينا و سلاحنا عن قتله نظرا منه لنا، ثم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠٦

رجع إلى الكوفة فقتلوه و ولده و ولد ولده و بنى عمّه. و أخرجوا الحسن بن عليّ بعد بيعتهم له حتى هرب منهم.

فقال ابن عياش: بل قصير الله أيديكم بطول أيدي الكوفة و بنصرتهم عليكم، و كيف تعيرنا باطل رجل واحد منّا يبلغ باطله ما عجز عنه عامتكم، و لقد حدّثني أشياخ من النخع أن أهل الكوفة كانوا يوم الجمل تسعة آلاف رجل مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، و كان عليه ثلاثون ألفا مع طلحة و الزبير و عائشة، فلما التقوا لم يكن أهل البصرة إلّا كرماد اشتدّت به الرياح في يوم عاصف.

فقال أبو بكر: و متى كان أهل البصرة ثلاثين ألفا يقاتلون أمير المؤمنين (عليه السلام) و قد اعتزلهم الأحنف بن قيس في سعد و الزباب، و قد دخلنا بعد ذلك الكوفة، فذبحنا بها ستمائة ألف رجل من أصحاب نبيهم المختار، كما يذبح الحملان، سوى من هرب بعد أن جاء أسماء بن خارجة الفزاريّ و محمّد بن الأشعث الكنديّ و شيبث بن ربعي التميمي، و استعانوا بأهل البصرة و شكوا إليهم المختار و أصحابه، و ما قتل من رجالهم و استباح من حريمهم، فخرجنا مع مصعب بن الزبير حتى قتلنا نبيهم المختار، و من قدرنا عليه من أصحابه و أعتقناهم من الرق، فلنا الفضل على أهل الكوفة، و لنا المنّة عليهم و على أعقابهم لو كانوا يشكرون.

قال ابن عياش: أتاكم أهل الكوفة يوم الجمل مع عليّ فقتلوكم، فأرى أهل الكوفة غالبين و مغلوبين على الحقّ، و أرى أهل البصرة غالبين و مغلوبين على الباطل.

فقال أبو العباس: يا أبا بكر دونك فإنني أرى ابن عياش مفوّه جديلا.

قال أبو بكر: ما لهم بنا طاقة.

قال ابن عياش: لسنا في حرب فيرى مغالبا، و إنما نحن في كلام، فأحسن الكلام أوضحه حجّة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠٧

فقال الحسن بن زيد: يا أبا بكر لا تغالب أهل الكوفة و لا تفاخرهم، فإنهم أكثر فقهاء و أشرافا منكم.

فقال أبو بكر: معاذ الله أنّي يكون هذا و ما كان فيهم شريف إلّا و فينا أشرف منه، و ما كان في تميم الكوفة مثل الأحنف في تميم البصرة، و لا في عبد القيس الكوفة مثل الحكم بن الجارود في عبد القيس البصرة، و لا كان في بكر الكوفة مثل مالك بن مسمع في

بكر البصرة، ولا كان في قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم في قيس البصرة.

قال ابن عياش: زدنا يا أبا بكر إن وجدت مزيدا، فعندنا أضعاف ما ذكرت و من أنت ذاكره إن شاء الله.

قال أبو بكر: كفى بهذا فخرا و عزّا و شرفا.

فقال ابن عياش: قطع بك يا أبا بكر، إنما أهل البصرة مثل نظام البعر المستوى واسطته درّة فهي فيهم مشهورة، و أهل الكوفة مثل نظيم الدرّ فواسطته منه لها أشباه كثيرة، ذكرت الأحنف في تميم البصرة و في تميم الكوفة محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس رهن قوسه عن جميع العرب، و النعمان ابن مقرن صاحب النبيّ (صلى الله عليه و سلم)، المقدم على جميع جيوش المسلمين أيام عمر بن الخطّاب، و حسن بن المنذر بن ضرار من بيت ضبّة، و سيدها عتاب بن ورقاء جواد العرب، و شبت بن ربعي التميمي قائد أهل البصرة و سائقهم مع مصعب بن الزبير، و عكرمة بن ربعي التميمي الذي قيل فيه:

و عكرمة الفياض ربّ الفضائل

فهؤلاء سادة تميم الكوفة، و العجب لفخر ك بمالك بن مسمع في بكر بن وائل على مصقله بن هبيرة، و قد أقرّ بين يدي عليّ بن أبي طالب بشرفه و فضله، و منهم خالد بن معمر و شقيق بن ثور السدوسيّ و سويد بن منجوف و حريث بن جابر و الحصين بن المنذر و محذوج المخزوميّ و يزيد بن رويم الشيبانيّ و القعقاع بن شور الدهليّ، و أما فخر ك بقتيبة بن مسلم فما أنت و ذاك، إنما هو

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠٨

رجل من باهله صنعه الحجّاج، و الشرف من قيس في عامر بن صعصعة في بني لييد بن ربيعة الشاعر جاهليا و إسلاميا، و إنما فخرت بواحد من مائه، ألا أتى أجمل لك: أميرنا عليّ بن أبي طالب و مؤدّننا عبد الله بن مسعود و قاضيا شريح، فهات في أهل البصرة واحدا من هؤلاء الثلاثة.

قال أبو بكر: أميرنا عبد الله بن عباس.

قال ابن عياش: نحن بطانة عبد الله و ظهارته و أنصاره و جنده عليكم، و نحن أحقّ به منكم.

فقال أبو بكر: فإن كان مؤدّنكم عبد الله بن مسعود فمنا أنس بن مالك خادم النبيّ (صلى الله عليه و سلم).

فقال ابن عياش: و أين أنس من ابن مسعود فتقيسه به، و لقد نزل الكوفة سوى من سميت لك سبعون رجلا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و سلم)، فنقيم لك واحدا بأنس، ثم نفتخر عليك بتسعة و ستين باقين.

فقال أبو بكر: فإن كان شريح قاضيكم ففينا الحسن البصريّ سيّد التابعين، و ابن سيرين في فضلها و فقهها.

فقال ابن عياش: إن عددت هذين و باهيت بهما، عددنا لك أويسا القرنيّ الذي يشفع في مثل ربيعة و مضر، و ربيع بن خثيم، و الأسود بن يزيد و علقمة، و مسروق، و هبيرة بن يريم، و أبا ميسرة، و سعيد بن جبيرة، و الحارث الأعور صاحب عليّ بن أبي طالب و راويته، و أين أنت عمّن لم تر عينك مثله في زمانه من أصحاب النبيّ صلى الله عليه، و لا أحفظ لما سمع، و لا أفقه في الدين، و لا أصدق في الحديث، و لا أعرف بمغازي النبيّ صلى الله عليه و أيام العرب و حدود الإسلام و الفرائض و الغريب و الشعر، و لا أوصف لكل أمر من عامر بن شراحيل الشّعبيّ؟

فقال كلّ من حضر: لقد كان كذلك، و بالكوفة بيوتات العرب الأربعة:

فحاجب بن زرارة بيت تميم، و آل زيد بيت قيس، و آل ذي الجديين بيت ربيعة، و آل قيس ابن معدى كرب الزبيديّ بيت اليمن. و بالكوفة فرسان العرب الأربعة في

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٠٩

الجاهليّة و الإسلام: عمرو بن معدى كرب، و العباس بن مرداس السلميّ، و طليحة بن خويلد الأسديّ، و أبو محجن الثقفيّ، و أهل

الكوفة جند سعد بن أبي وقاص يوم القادسيّة، وأصحاب الجمل، و صفين، و خانقين، و جلولاء، و نهاوند، و فرسانهم المعدودون في الإسلام: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، و سعد بن قيس الهمداني، و عروة بن زيد الطائي صاحب وقعة الديلم، و عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث الكندي.

فقال أبو بكر: هذا الذي سلب الحسين بن عليّ قطيفة فسماه أهل الكوفة عبد الرحمن قطيفة، فقد كان ينبغي أن لا تذكره. فضحك أبو العباس من قول أبي بكر.

فقال ابن عيّاش: و الذي سار تحت لوائه أهل الكوفة و البصرة و جماعة أهل العراق و بالكوفة من أحياء العرب بأسرهم ما ليس بالبصرة منهم إلّا أهل بيت واحد و هم الذين يقول فيهم عليّ بن أبي طالب: لو كنت بؤابا على باب جنّة لقلت لهمدان ادخلي بسلام [٢١٠] فقال أبو بكر: فهل فيمن سميت أحد إلّا قاتل الحسين بن عليّ، و أهل بيته أو خذلهم أو سلبهم أو أوطأ الخيل صدورهم؟ فقال ابن عيّاش: تركت الفخر و أقبلت على التعيير، أنتم قتلتهم أباه عليّ بن أبي طالب، فأما أهل الكوفة فكان منهم مع الحسين يوم قتل أربعون رجلا، و إنما كان معه سبعون رجلا فماتوا كلّهم دونه و قتل كلّ واحد منهم عدوّه قبل أن يقتل.

فقال أبو بكر: إن أهل الكوفة قطعوا الرحم و وصلوا المثانة، كتبوا إلى الحسين بن عليّ إنّا معك مائة ألف و غزوه حتى إذا جاء خرجوا إليه فقتلوه و أهل بيته صغيرهم و كبيرهم، ثم ذهبوا يطلبون دمه، فهل سمع السامعون بمثل هذا؟ فقال ابن عيّاش: و من أهل الكوفة أبو عبد الله الجدليّ [٢١١] الذي صار ناصرا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١٠

لبنى هاشم حين حصرهم ابن الزبير، و كتب ابن الحنفية يستنصرهم فسار في عدّة مّمن كان مع ابن الزبير حتى صير الله بني هاشم حيث أحبّوا فهل كان فيهم بصريّ؟

فنهض أبو العباس و هو يقول: الكوفة بلاد الأدب و وجه العراق و مبرز أهله و عليها الجحاش و هي غاية الطالب، و منزل خيار الصحابة و أهل الشرف، و أن أهل البصرة لأشبه الناس بهم ثم قام.

ما جاء في مسجد الكوفة

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لقد صلّى في هذا البيت يعني مسجد الكوفة تسعون نبيّا، و ألف وصيّ، و فيه فار التّور، و خرجت منه السفينة، و فيه عصا موسى و خاتم سليمان بن داود، و البركة منه على اثني عشر ميلا، و هو أحد المساجد الأربعة التي تعظم، و لأنّ أصلّى فيه ركعتين أحبّ إليّ من أن أصلّى عشرا في غيره إلّا في المسجد الحرام و مسجد الرسول. و قال ليث بن أبي سليم: بلغني أن المكتوبة في مسجد الكوفة تعدل حجّة، و التطوّع يعدل عمره. و قال زادانفروخ مسجد الكوفة تسعة أجره.

و يروى عن ابن عيينة قال: مرّ إبراهيم (عليه السلام) بالقادسيّة فرأى زهرتها فقال: قدّست و سميت القادسيّة. و يقال إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: إن بالكوفة أربع بقاع قدس مقدّسة فيها أربعة [٢١٢] مساجد، قيل: سمّها يا أمير المؤمنين. قال: أحدها مسجد ظفر: و هو مسجد السهلة، إن أطناها من الأرض لعلى ياقوته خضراء، ما بعث الله نبيّا إلّا صورة وجهه فيها. و الثاني مسجد جعفيّ: لا تذهب الأيام و الليالي حتى تنبع منه عين. و الثالث مسجد غنيّ: لا تذهب الليالي و الأيام حتى تنبع منه عين، و حوله جنيّة. و الرابع مسجد الحمراء: و هو في موضع بستان، لا تذهب الليالي

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١١

و الأيام حتى تنبع منه عين، تنطف ماء حوالبه و فيه قبر أخي يونس بن متى.

و يقال: إن مسجد السهلة مناخ الخضر، و ما أتاه مغموم. إلّا فرّج الله عنه، قال: و نحن نسّمى مسجد السهلة مسجد القرى. و بالكوفة الفرات و هو نهر من أنهار الجنة، و فى الخبر: الفرات و النيل مؤمنان، و دجلة و برهوت كافران. و قال عبد الملك بن عمير: الفرات نهر من أنهار الجنة، لولا- ما يخالطه من الأذى، ما تداوى به مريض إلّا أبرأه الله، فإن عليه ملكا يذود عنه الأذواء.

و قال سماك بن حرب: أصبت ببصرى فرأيت إبراهيم (عليه السلام) فى منامى فقال: ائت الفرات فاستقبل بعينيك جريه الماء، ففعلت فردّ الله عليّ بصرى.

و مخرج الفرات من قاليقلا و يدور بتلك الجبال حتى يدخل أرض الروم، و يجىء إلى كمخ و إلى ملطية، و يجىء إلى جبلتا و عيونها حتى يبلغ سميساط، فيحمل من هناك السفن، ثم يصبّ إليه الأنهار الصغار: نهر سنجة و نهر كيسوم، و نهر ديسان و البليخ، ثم يجىء إلى الرقة، ثم يتفرّق فيصير أنهارا، فمن أنهاره:

نهر سورا و هو أكبرها، و نهر الملك، و نهر صرصر، و نهر عيسى و الصراتين، و نهر الخندق، و كوثنى، و سوق أسد، و نهر الكوفة و الفرات العتيقة.

و قال المدائنى: اجتمع أهل العراق عند يزيد بن عمر بن هبيرة فقال ابن هبيرة: أى البلدين أطيب ثمرة الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان: ثمرتنا أطيب أيها الأمير منها كذا و منها كذا. فقال عبد الرحمن بن بشير العجليّ: لست أشكّ أيها الأمير إلّا و أنكم قد اخترتم للخليفة ما تبعثون به إليه، فقال: أجل.

فقال: قد رضينا بأن تحكم لنا و علينا، فأى الرطب تحملون إليه؟ قال: المشان.

قال: فليس بالبصرة منه واحدة، فأى التمر تحملون إليه؟ قال: النرسيان. قال:

و هذا فليس بالبصرة منه واحدة. قال: و الهير و الأراذ. قال: و هذا فليس بالبصرة منهما واحدة، ثم قال: فأى القسب تحملون إليه؟

قال: قسب العنبر. قال: و هذا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١٢

فليس بالبصرة منه واحدة. قال: أ فلست تعلم أنها أفضل من البصرة؟

ذكر الخورنق

قالوا: و من البناء المذكور الأبلق الفرد، و باليمن غمدان، و هو قصر من أعجب ما بنته الملوك، و قد ذكرنا خبره. و قصر نباج بناه الأحنس بن شهاب، و الهرمان [٢١٣] بمصر و الإسكندرية و منارتها، و منف مدينه فرعون، و ملعب فامية بحمص، و تدمر بالشام، و إيوان أنوشروان و مأرب و شبديز و الخورنق بظهر الكوفة. و كان الذى بناه النعمان بن امرئ القيس، و هو ابن الشقيقة بنت أبى ربيعة بن ذهل بن شيان فارس حليمه، ملك ثمانين سنه و بنى الخورنق فى ستين سنه، بناه له رجل رومى. يقال له سنمار، و كان يبنى السنين و الثلاثة ثم يغيب الخمس سنين، فيطلب فلا- يوجد، ثم يأتى فيبنى كذلك حتى أتت عليه ستون سنه و فرغ من الخورنق، فصعد النعمان على دابته فنظر إلى البحر تجاهه و البر خلفه، و رأى الحوت و الضبّ و الطير و الظليم و النخل و الزرع فقال: ما رأيت مثل هذا البناء قطّ، فقال له سنمار: أما أنى أعلم موضع آجره لو زالت زال هذا القصر كله. فقال له النعمان: أ يعرفها أحد غيرك؟ قال: لا- قال: لا- جرم لأدعها لا يعرفها أحد، ثم أمر فحذف سنمار من فوق القصر فتقطع، فضربت العرب به المثل فتقول: جازانى جزاء سنمار، فقال الشاعر:

جزانى جزاه الله شرّ جزائه جزاء سنمار و ما كان ذا ذنب

سوى رمه البنيان ستين حجّة يعلى عليه بالقراميد و السكب

فلما رأى النبيان تمّ سحوقه و آص كمثل الطود ذى الباذخ الصّعب
و ظنّ سنّمار به كلّ خيرته و فوز لديه بالموّدة و القرب
فقال: أقذفوا بالعلاج من فوق رأسه فهذا لعمر الله من أعجب الخطب [٢١٤]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١٣

و كان النعمان غزا الشام مرارا و أكثر المصائب فى أهلها و سباهم، و كان من أشدّ الملوك نكايه، فجلس ذات يوم فى مجلسه من
الخورنق فأشرف على النّجف و ما يليه من البساتين و النخل و الجنان و الأنهار ممّا يلي المغرب، و على الفرات ممّا يلي المشرق، و
الخورنق قصر بحذاء الفرات، يدور عليه فى عاقول كالخندق، فأعجبه ما رأى من الخضرة و النور و الأنهار و الزهر، فقال لوزيريه: رأيت
مثل هذا المنظر؟ قال: لا، لو كان يدوم. قال: و ما الذى يدوم؟ قال: ما عند الله فى الآخرة. قال: فبم ينال؟ قال: بتركك الدنيا و تعبد
الله، و تلتمس ما عنده، فترك ملكه من ليلته و لبس مسوحوه و خرج هاربا لا يعلم به أحد، و أصبح الناس لا يعلمون بحاله فحضروا بابه
فلم يؤذن لهم ثلاثة أيام، فلما أبطأ الأذن سألوا عنه فلم يجده، ففى ذلك يقول عدى بن زيد [٢١٥]:

و تبين ربّ الخورنق إذ أشرف يوما و للهدى تفكير
سره حاله و كثرة ما يملك و البحر معرضا و السدير
فارعوى قلبه و قال و ما غبطة حى إلى الممات يصير
ثم صاروا كأنهم ورق جفّ فألوت به الصّبا و الدّبور

و سمى السدير لأن العرب نظرت إلى سواد النخل فسدرت أعينهم أى تحيّرت فقالوا: ما هذا إلّا سدير.

و قال الكلبي: أوّل من بنى الخورنق بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذى الأكتاف، و ذلك أن يزدجرد كان لا يبقى له ولد، و كان
بهرام أصابه جن فى صغره، فسأل عن منزل مرىء صحيح من الأدوية فقالت الأطباء: لا يبرأ حتى تخرجه من أرضك إلى بلاد العرب،
و يسقى أبوال الإبل و ألبانها، فوجهه يزدجرد إلى النعمان و أمر ببناء الخورنق مسكنا له ليعالج فيه، فعولج فبرأ، فكان بهرام يكرم
العرب و يركب الإبل و هو فى الصّور التى تصوّرها العجم فى أوانيها و بسطها و فرشها راكب بعيرا أبدا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١٤

و قال الهيثم بن عدى: لم يقدم الكوفة أحد إلّا أحدث فى هذا القصر شيئا، يعنى الخورنق، فلما قدمه الضحّاك بن قيس بناء و عمره،
فدخل عليه شريح القاضى فقال: أبا أمية أ رأيت بناء قطّ أحسن منه؟ قال، نعم، قال: كذبت و أىّ بناء رأيت أحسن منه؟ قال: السماء.
قال: و عن السماء سألتك أقسم لتسبّ أبا تراب [٢١٦].

قال: لا أفعل. قال: و لم؟ قال: لأننا نعظم أحياء قريش، و لا نسبّ موتاهم، قال:
جزاك الله خيرا.

و أنشد لعلّى بن محمّد العلوى [٢١٧]:

كم وقفة لك بالخورنق لا توازى بالموافق
بين السدير إلى الغدير إلى ديارات الأساقف
فمدارج الرّهبان فى أطار خائفه و خائف
دمن كأنّ رسوما ياكسين أعلام المطارف
و كأنما غدرانها منها عشور من مصاحف
و كأنما أنوارها تهتّ بالريح العواصف

يلقى أواخرها أوائلها بألوان الرفارف
بحرية شتواتها برية منها المصايف
درية الحصباء كافرية منها المشارف

قصة الغريين

و بها الغريان بناهما المنذر بن امرئ القيس، و هو ابن ماء السماء، و كان سبب ذلك أنه كان له نديمان من بني أسد خالد بن نضلة و عمرو بن مسعود و أنهما

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١٥

ثملا من النيذ ليلة فراذا الملك بعض الكلام فأمر فحفر لهما حفيرتان، بجانب البئر بظهر الكوفة فدفنا فيه حيين و فيهما يقول الشاعر:
ألا بكر الناعي بخيري بني أسد بعمر بن مسعود و بالسيد الضمد

يعنى خالد بن نضلة، و أمر ببناء طربالين عليهما و هما صومعتان، و جعل لهما فى السنة يومين: يوم بؤس و يوم نعيم، فيذبح فى يوم بؤسه كل من يلقاه، و يغرو بدمه الطربالين ما كان من شىء آدمى أو وحشى، و فى يوم بؤسه قتل عبيد بن الأبرص الأسدى الشاعر، و كان أول من أشرف عليه فى يوم بؤسه، فقال له المنذر: هلأ كان الذبح لغيرك يا عبيد، فقال عبيد: أتتك بحائن رجلاه فأرسلها مثلاً، فقال المنذر: أجل بلغ أناه، فقال له المنذر: أنشدنى. فقال: حال الجريض دون القريض، و بلغ الحزام الطيبين، فأرسلها مثلاً فقال المنذر: أسمعنى. فقال:

عبيد المنايا على الحوايا، فأرسلها مثلاً. فقال له بعض أصحاب الملك: أنشده هبلك أمك. فقال عبيد: و ما قول قائل مقتول، فأرسلها مثلاً. فقال له آخر: ما أشد جزعك من الموت. قال: لا يرحل رحلك من ليس معك، فأرسلها مثلاً، أى لا تدخل فى أمرك من لا يهتم بك. قال المنذر: قد أملتنى فأرحنى، قال عبيد:

من عز بؤ، فأرسلها مثلاً ثم قتله. و كان سبب تركه لهذين اليومين رجل من طيء يقال له حنظلة، هم بقتله فتكفل به شريك بن عمرو بن شراحيل أبو الحوفزان على أن يرجع إلى أهله و يصلح حالهم، ثم يعود إليه فانقضت السنة و لم يرجع حنظلة فهم الملك بشريك، فلما وضع السيف على عنق شريك فإذا بحنظلة قد أقبل متحنطاً متكفناً، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما فخلى عنهما و أبطل السنة، و قال: لا أكون الأم الثلاثة.

و الغرى فى اللغة ما يبس عليه الدم من صنم و غيره. و لما دخل معن بن زائدة الكوفة رأى الغريين قد انهدهما فأنشأ يقول:

لو كان شىء مقيماً لا يبيد على طول الزمان لما باد الغريان

قد فزق الدهر و الأيام بينهما و كل ألف إلى بين و هجران

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١٦

قالوا: و بالكوفة الحيرة البيضاء، و كانت الملوك تنزلها قبل أن بنيت الكوفة لطيب هوائها و فضلها على سائر المواضع، و إنما سميت الحيرة لأن تبعاً لما سار إلى موضع الحيرة. أخطأ الطريق و تحير هو و أصحابه فسميت الحيرة و أول من نزل من العرب الحيرة جذيمة الأبرش، و يقال: بل أول ملوكها مالك بن فهم بن غنم بن دوس من الأزد. و قال ابن عيينة: سمعت ابن شبرمه يقول: يوم و ليلة بالحيرة خير من دواء سنة، و كان ابن كناسة ينشد:

فإن بها لو تعلمين أصانلاو ليلا رقيقا مثل حاشية البرد

قال: و كان أول من ملك منهم فى زمن ملوك الطوائف مالك بن فهم، و كان منزله فيما يلى الأنبار، ثم مات فملك أخوه جذيمة الأبرش، و كان من أفضل ملوك العرب رأياً، و أبعدهم مغاراً، و أشدهم نكايه، و أظهرهم حزماً، و صار الملك من بعده فى ابن أخته

عمرو بن عدى، و هو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العراق، و هم ملوك آل نصر: إليه ينسبون ثم غلب على الأمر أردشير بن بابك فى أهل فارس.

قالوا: و سوق يوسف بالحيرة نسب إلى يوسف بن عمرو بن محمّد بن الحكم بن عقيل الثقفى ابن عمّ الحجاج بن يوسف و حيام أعين نسب إلى أعين مولى سعد بن أبى وقاص.

و شهر سوج [٢١٨] معناه شهر طاق بجله بالكوفة نسب إلى قبيلة بجله، و هم ولد مالك بن ثعلبه و بجله أمهم و غالبتهم على نسبهم، و نسبوا إليها و غلط الناس فقالوا بجيله.

و جبانة عرزم منسوبة إلى رجل كان يلبن فيها، و لبنها ردىّ فيه قصب و خرق، فربما أصابها شطيئة من نار فاحترقت الحيوان. البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١٧

و زرارة نسبت إلى زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بنى البكاء، و كانت منزله فأخذها معاوية بن أبى سفيان [٢١٩]. و دار حكيم بالكوفة فى أصحاب الأنماط نسبت إلى حكيم بن سعد بن ثور البكائى.

و قصر مقاتل نسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبه.

و السوّارية بالكوفة نسبت إلى سوار بن زيد العبادى الشاعر.

و قرية أبى صلابه التى على الفرات نسبت إلى أبى صلابه بن مالك بن طارق العبدى.

و أفساس مالك تنسب إلى مالك بن قيس.

و دير الأعرور منسوب إلى رجل من إياد من بنى أمية بن حذاقه.

و دير قرّة ينسب إلى قرّة أحد بنى أمية بن حذاقه، و إليهم نسب دير السوا و السوا العدل.

و دير الجماجم دير لإياد، و كان بين حيين منهم قتال، و هم: بنو بهراء بن الحاف بن قضاة، و بين بنى القين بن جسر بن شيع الله بن و برة، فقتل منهم خلق، فلما انقضت الوقعة دفنوا قتلاهم عند الدير، فكان بعد ذلك إذا حفروا فيه لبعض أمورهم و جدوا جماجم

فيخرجونها فسّمى دير الجماجم.

و يقال أيضا: إن دير كعب لإياد أيضا.

و دير هند لأّم عمرو بن هند.

و دار قمام نسب إلى قمام بنت الحارث بن هانى الكندىّ و هو عند دار الأشعث بن قيس.

و بيعه عدىّ نسبت إلى بنى عدىّ بن الدميل من لخم.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١٨

و كانت طيزناباذ تدعى ضيزناباذ منسوبة إلى ضيزن بن معاوية بن العبيد السليحيّ.

و مسجد سماك بالكوفة منسوب إلى سماك بن مخزّمه بن حمين الأسدىّ.

و بها محلّة بنى شيطان منسوبة إلى شيطان بن زهير من زيد مناة بن تميم. [٢٢٠]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ٢١٨

رحا عماره نسبت إلى عماره بن عقبه بن أبى معيط.

و جبانة سالم نسبت إلى سالم بن عمار من بكر بن هوازن.

و صحراء البردخت نسبت إلى البردخت الشاعر الضببىّ.

و مسجد بنى عنز ينسب إلى بنى عنز بن وائل بن قاسط.

و مسجد بنى جذيمة.

و قصر العدسيتين فى طرف الحيرة لبنى عمّار بن عبد المسيح نسبوا إلى جدّتهم عدسة بنت مالك بن عوف الكلبيّ.

و سكّة البريد اليوم بالكوفة كانت بيعة لأم خالد بن عبد الله القسريّ.

و نهر الجامع من حفر خالد و قصر خالد معروف هناك.

و سوق أسد منسوب إلى أخيه أسد بن عبد الله القسريّ.

و قنطرة الكوفة أحدثها عمر بن هبيرة و أصلحها خالد بن عبد الله القسريّ.

و قصر يزيد بن عمر بن هبيرة بالقرب من جسر سورا.

و المدينة الهاشمية التي بناها أبو العباس بحيالها و كان نزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنى فيها مدينتها المعروفة به، فلمّا استخلف

المنصور نزل المدينة الهاشمية بالكوفة، و استتمّ بناءها و زاد فيها، ثم تحوّل منها إلى بغداد فبنى مدينته و مصير بغداد، و سمّاها مدينة

السلام.

و بنى المنصور بالكوفة الرّصافة، و أمر أبا الخصيب مرزوقا مولاه فبنى له القصر المعروف بأبى الخصيب على أساس قديم له، و يقال

بل بناه لنفسه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢١٩

و أما الخورنق فقد أتمّ بناءه النعمان لبهرام جور.

و جبانة ميمون نسبت إلى ميمون مولى محمّد بن عليّ بن عبد الله و هو أبو بشر بن ميمون صاحب الطاقات ببغداد بالقرب من باب

الشام.

و صحراء أم سلمة نسبت إلى أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله امرأة أبى العباس أمير المؤمنين.

ما جاء فى ذم الكوفة

من ذلك غدرهم بأمر المؤمنين عليه السلام حتى قتل بينهم، و خذلانهم له حتى فى تجهّم [٢٢١] غيره. و خذلانهم الحسين بن على

رضى الله عنهما بعد مكاتبتهم إياه، حتى قتل بين ظهرائهم و هم ينظرون. بل هم كانوا أصحابه و قتلته. و قبل ذاك غدرهم بالحسن و

مكاتبتهم معاوية و مصير أكثرهم إليه. و طعنهم الحسن و سلب متاعه. و قتل مسلم بن عقيل راسلا من إياه [٢٢٢]. و غدرهم يزيد بن

على رضى الله عنهما، بعد مبايعتهم له. و كذلك فعلهم بيحيى بن عمر و غيره من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم. و قتلوا

المختار بن عبيد و قد خرج طالبا بدماء أهل البيت.

و كثرة شكائتهم للعمال. شكوا سعد بن أبى وقاص فدعا عليهم أن لا يرضيهم الله بوال و لا يرضى وال عنهم. و شكوا عمار بن ياسر،

و المغيرة بن شعبة و الوليد بن عقبه، و سعيد بن العاص.

و كان (٢٢٣) يقول: ما أبالى بعد السبعين لو دحيت صخرة قتلت بها عشرة من أهل الكوفة. و قال إذا كان رأس السنة فلو صعدت

مسجد الكوفة و ألقيت بصخرة ما خشيت أن أقتل مؤمنا. و قال عمر (٢٢٤) استعملت عليهم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢٠

الضعيف خوفوه. و إن استعملت عليهم القوى (٢٢٥). و قال بعض أهل الكوفة للوليد بن عقبه بعد ما عزل عنهم: جزاك الله خيرا يا

با وهب، فما رأينا بعدك خيرا منك. قال: و لكنى بحمد الله لم أر بعدكم شرا منكم، و ان بغضكم لتلف و حبكم لكلف.

و قال النجاشي:

إذا سقى الله أرضا صوب غادية فلا سقى الله أهل الكوفة المطرا

التاركين على طهر نساءهم و النائكين بشطى دجلة البقرا
و السارقين إذا ما جنّ ليلهم و الدارسين إذا ما أصبحوا السورا
ألقي العداوة و البغضاء بينهم حتى يكونوا لمن عاداهم جزرا
[٢ أ] و قال فيهم أيضا:

لعن الله و لا يغفر لهم ساكنى الكوفة من حى مضر
و اليمانيين لا يحفل بهم فهم من شرّ من فوق الغبر
جلدونى ثم قالوا قدر قدر الله لهم سوء القدر
و كان قوم من أهل البصرة و الكوفة بخراسان فى بعض المغازى. فعير البصريون الكوفيين بشرب السويق، و عير الكوفيون البصريين
بشرب النبيذ. فقال الشاعر فى ذلك:

إذا ذكر الفرات بكوا عليه بعيد ما تمنّاهم سحيق
و قد علموا بأنّ الحرب ليست لأصحاب التزايد و السويق
ضربناكم على الإسلام حتى أقمناكم على وضح الطريق
و أتت غيرهم أهل الشام بالسمن، فقال شاعرهم:

(٢٢٦) غير سبع

بقين من المحرّم أو ثمان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢١

و ادعى النبوة من أهل الكوفة جماعة منهم المختار بن عبيد. كتب إلى الأحنف بن قيس: بلغنى أنكم تكذبوننى. و لئن كذبتمنى فقد
كذبت الأنبياء قبلى.
و لست خيرا من كثير منهم.

قيل لابن عمر: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، فقال: صدق، وحي الشيطان. قال الله تعالى يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
عُرْوَرًا و يروى أن المختار قال لرجل دخل إليه: اجلس على وسادة كانت فى مجلسه: أ تدرى من قام عن هذه الوسادة آنفا؟ قال: لا،
قال جبريل.

و كان منهم أبو منصور الخنّاق [٢٢٧]، و كان يتولّى سبعة أنبياء من بنى قريش و سبعة من بنى عجل.

و كان منهم المغيرة بن سعيد [٢٢٨].

و سأله رجل عن أمير المؤمنين على. فقال لا تحتمله. قال: بل أحتمله. قال فذكر آدم و من دونه من الأنبياء فلم يذكر أحدا منهم إلّا
فضّل عليا رضى الله عنه حتى انتهى إلى النبى (صلى الله عليه و سلم) فقال فقلت كذبت.
قال قد أخبرتك أنك لا تحتمل.

و حج راشد الهجرى و أتى المدينة و ذلك فى ولاية زياد [٢ ب] العراق، فقال للحسن رضى الله عنه: استأذن لى على أمير المؤمنين.
قال: أو ليس قد مات؟ قال: لا و الله ما مات، و إنه ليتنفس تنفس حى، و يعرق تحت الدثار الثقيل. فقال له الحسن: كذبت يا عدو الله.
و اتصل الخبر بزياد فقتله و صلبه على باب داره.

و كانت فيهم هند الأفاكة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢٢

و قال أصغر بن حسان المازنى - مازن مذحج - و قد قدم الكوفة يلتمس الإحسان من أهلها فلم يفعلوا به جميلا، و قالوا: أقم حتى يقفل

الجيش من جرجان. فلم يقيم ورحل عنهم و قال:
 رحلت إلى قوم أوئل رفدهم و ما سائل الكوفى إلا مقاتله
 لصوص إذا مارستهم فى بيوتهم منيت بخصم لا تزال تجادله
 و قالوا تربص أوبه الجيش إنه بجرجان لم نحبس عليك مجاهله
 و إن عطاء دونه ما زعمتم على سائل الأعراب قد راث جائله
 فأذنت حرجوجا كأن سنامها من الأين (؟.....؟) [٢٢٩] و رحلت كما راح النجاشى منهم خفيفا من النقد الجياد رواحله
 فويل أمها من قرية غير أنها قليل بها معطى الجزيل و فاعله
 و فيهم يقول شاعر من بنى عمرو بن عامر:
 يا أيها الراكب الغادى لطيبه يؤم بالقوم أهل البلده الحرم
 أبلغ قبائل عمرو إن لقيتهم لو كنت من دارهم يوما على أمم
 إننا وجدنا فقروا فى بلادكم أهل الكتاب و أهل اللوم و العرم
 أرض تغير أحساب الرجال بها كما رسمت بياض الريط بالحرمر [٢٣٠]

و خرج جيش من أهل الكوفة إلى حبيش بن دلجة بالربذة فخافوا و رجعوا.
 و خرج جيش من أهل البصرة فقتلوه فقال الشاعر فى ذلك: [٣ أ]
 ألسنا بأصحاب ابن دلجة إذ عباهنا لك خيلا كالسراحين ضمرا
 تقاد بفرسان إذا حمس الوغى أحلوا الحرام و استباحوا المنكرا
 فلاقتهم خيل لنا فارسية أساوره تدعو يزيد المسورا
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢٣

فلما التقوا ولى المشامون هرباعزيز (؟) و أحلوا عن حبيش مقطرا
 و يروى عن مجاهد أنه قال: لما أوحى الله عز و جل إلى الأرض أيام نوح فقال يا أرض ابلعى ماءك، كانت أرض الكوفة آخرها
 ابتلاعا و أشدها تقعسا. فمن هناك سائر الأرضين تكرب على حمارين و ثورين و أرض الكوفة على ستة.
 و قال إبراهيم التيمى: لما أمرت الأرض أن تغيض الماء، أغاضت إلا أرض الكوفة. فلغنت فسائر الأرض تكرب على ثورين و أرض
 الكوفة على أربعة.

و قالت أم العلاء الأوذية: مزا يزيد بن على فى سوق كنده على حمار قد خولف بوجهه. فقاموا إليه ليكون. فأقبل عليهم و قال: يا
 شرار خلق الله! أسلمتمونى للقتل ثم جئتمونى تبكون؟
 و قال على رضى الله عنه لأهل الكوفة: اللهم كما نصحتهم فغشونى، و ائتمتتهم فخانونى، فسلبت عليهم فتى ثقيف الذيال الميال يأكل
 خضرتها، و يلبس فروتها، و يحكم فيهم بحكم الجاهلية.

و قال أبو عبد الله القشيري: قام أهل الكوفة إلى على رضى الله عنه فقالوا:
 العطاء يا أمير المؤمنين. فقال: ما لهم ميث الله قلوبهم كما يماث الملح فى الماء.
 أ تطلقونى ولادة من غير زوج؟ أما و الله لو تجتمعون على حنكم كما تجتمعون على باطلكم ما غل على أموالكم حلب شاء. اللهم
 إنى قد كرهتهم و كرهونى. فأرحهم منى و أرحنى منهم. قال: فأصيب فى ذلك العام.

و قدم رجل من أهل المدينة يكنى أبا مريم الكوفة فلقبه على رضى الله عنه.

فقال: يا أبا مريم ما أقدمك هذه البلاد؟ فقال: ما كانت لي حاجة، و لكن عهدي بك و أنت تقول: لو وُليت هذا الأمر لفعلت و فعلت. قال: فأنا على العهد الذى عهدت. و لكنى بليت بأخبث قوم فى الأرض. ما دعوتهم قط إلى حق فأجابونى [ب ٣] إليه. و لا يدعونى إلى أمر فأجيبهم إلا اختلفوا [٢٣١].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢٤

و قال جرير بن سبب [٢٣٢]: قدمت الكوفة و قد انصرف على بن الحسين من كربلاء، فرأيت نساء أهل الكوفة يلتدمن مهتكات الجيوب. فسمعت على بن الحسين يقول بصوت صبي و قد نهكته العلة: ألا إن هؤلاء قتلونا.

و رأيت زينب بنت على رضى الله عنها و قد أومأت إلى الناس أن انصتوا.

فارتدت الأنفاس و سكنت الأجراس، ثم قالت: الحمد لله و الصلاة على نبيه. أما بعد يا أهل الكوفة. يا أهل الختل و الخذل. فلا رقأت العبرة و لا هدأت الرئة. إنما مثلكم كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا. تتخذون أيمانكم دخلا بينكم. ألا و هل فيكم إلا الصلف و الصدف و الشنف. ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم ان سخط الله عليكم و فى العذاب أنتم خالدون. أ تبكون؟ اى و الله. فابكوا كثيرا و اضحكوا قليلا. فلقد فزتم بعارها و شنارها و لن ترخصوها بغسل بعدها أبدا. و أنى ترحمون بعد قتل سليل خاتم الرسالة و سيد شبيهة أهل الجنة و ملاذ خيرتكم و مفزع نازلتكم.

ألا ساء ما تزرون. تعسا و نكسا. فلقد خاب السعى و تبت الأيدي و خسرت الصفقة و يؤتم بغضب من الله و ضربت عليكم الذلة و المسكنة. و يلکم أ تدرن أى كبد لمحمد (صلى الله عليه و سلم) فريتم؟ و أى دم سفكتم؟ و أى حرمة له أضعتم؟ لقد جئتم شيئا إذا تكاد السماوات يتفطرن منه و تنتشق الجبال و تخر الجبال هدا. و لقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض و السماء. فعجبتم أن قطرت السماء دما. فلعذاب الآخرة أجزى و لا تنصرون. فلا يستخفنكم المهمل، فإنه لا يخاف فوت الثار. كلاً. إن ربك لبالمرصاد. قال: فرأيت الناس حيارى و لهى قد ردوا أيديهم فى أفواههم.

و دخل اليقظان بن ظهير على عائشة فقالت: ممن أنت؟ فقال: من أهل الكوفة. فقالت: وددت أن الله سلط على أهل الكوفة عذابا مثل عذاب يوم الظلة.

و لما قتل مصعب بن الزبير، و كانت امرأته سكينه بنت الحسين. أرادت

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢٥

الرحيل إلى المدينة و كانت بالكوفة. فقالت لها أهل الكوفة: يا بنت رسول الله، أحسن الله صحابتك [٤ أ] و فعل بك و فعل. فقالت: يا أهل الكوفة! لا أحسن الله صحابتكم. فلقد قتلتكم جدى عليا و عمى الحسن و أبى الحسين و بعلى مصعبا.

فأيتتمونى صغيرة و آيتتمونى كبيرة. فلا أحسن الله عليكم الخلافة و لا رفع عنكم سوء.

و قال عمر بن الخطاب: أعضل بى أهل الكوفة ما يرضون بأمير، و لا يرضاهم (أمير) و لا يصلحون لأمير و لا يصلح لهم.

و يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بلغه عن أهل الكوفة خصب و قيل له: ما تقول فى الضب و النون يجتمعان فى سفود؟ فقال إنكم لتنتعنون أرضا بريئة بحرية. و أعجبه ذلك فقال: ما أرانى إلا سآتهم فأمرهم بمعروف. فكتب إليه كعب: يا أمير المؤمنين لا تعجل فإنه بلغنى أن بها الداء العضال و بها تسعة أعشار الشر. و بلغنى أنه كان إذا كل شىء يتكلم اجتماع ثمانية أشياء فى واد: الإيمان و الحياء و الهجرة و الموت و الغناء و العى و الشقاء و الصحة. فقال بعضهم لبعض:

تعالوا نتفرق فى الأرض. فقال الإيمان: أنا ألحق بأرض اليمن. فقال الحياء: أنا معك. قالت الهجرة: أنا ألحق بأرض الشام. قال الموت: و أنا معك. قال الغنى:

أنا ألحق بأرض العراق. قال التقى: أنا معك. قالت الصحة: ما تركتم لى شيئا من البلاد إلا و قد أخذتموه، فأنا ألحق بالبرية. قال الشقاء:

و أنا معك.

و قالوا: السدير ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب.

و عيون [٢٣٣] الطف منها مثل عين الصيد و الققطانة و الرهيمه و عين جمل و ذواتها، و بها عيون كانت للموكلين بالمسالح التي وراء خندق سابور الذي حفره بينه و بين العرب و غيرهم. و ذلك أن سابور أقطعهم أرضها فاعتملوها من غير أن يلزمهم خراجا. فلما كان يوم ذى قار و نصر الله العرب بنبيه (صلى الله عليه و سلم)، غلبت العرب على

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢٤

طائفة من تلك العيون و بقي بعضها في أيدي الأعاجم. ثم لما قدم المسلمون الحيرة و هربت الأعاجم بعد أن طمت عامة ما كان في أيديها منها و بقي الذي في أيدي العرب. فأسلموا عليه، و صار ما عمروه من الأرض [٤ ب] عشرا. و لما انقضى أمر القادسية و المدائن دفع ما جلا عنه الأعاجم من أرض تلك العيون إلى المسلمين و أقطعوه، فصارت عشيرة أيضا.

و كان مجرى عيون الطف و أرضها مجرى أعراض المدينة و قرى نجد.

و كانت صدقتها على عمال المدينة. فلما ولي إسحاق بن إبراهيم بن مصعب السواد للمتوكل ضمها إلى ما في يده. فتولى عماله عشرها و صيرها سوادية. فهي على ذلك إلى اليوم. و قد استخرجت فيها اليوم عيون إسلامية تجرى ما عمرتها من الأرضين هذا المجرى.

و سألت بعد المشايخ عن عين جمل لم سميت بهذا الاسم؟ فذكر أن جملا مات عندها فنسبت العين إليه.

و ذكر بعض أهل واسط أن المستخرج لهذه العين يسمى جملا. قال:

و سميت عين الصيد لأن السمك كان كثيرا جدا فيها، فيصطاد فسميت بهذا الاسم.

و كانت عين الرحمة مما طمّتها و غوّرتها الأعاجم. فيقال إن رجلا من أهل كرمان اجتاز بها و هو يريد الحج. فنظر إليها- و كان بصيرا باستنباط المياه- فلما قضى حجه و رجع، أتى عيسى بن موسى فدلّه عليها و قال أنا أستنبطها لك. فكاتب السلطاني في أن يقطعه إياها و أرضها، ففعل. و استخرجها له الكرمانى فاعتمل ما عليها من الأرض و غرس النخل الذي في طريق العذيب. و على فراسخ من هيت عيون تدعى الغرق تجرى لهذا المجرى و أعشارها إلى صاحب هيت

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢٧

القول في البصرة

إشارة

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى [٢٣٤]: سميت البصرة لأنه كان فيها حجارة رخوة. و البصرة: الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض. قال ذو الرمة:

[تداعين باسم الشيب في مثلم] [٢٣٥]

جوانبه من بصره و سلام

و قالوا: سميت البصرة لأنه كان فيها حجارة سود بصره. و قال محمد بن شرحبيل بن حسنة إنما سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة و هي البصرة.

قال خفاف بن ندبة:

إن تلك جلمود بصر لا أوْبسه أوقد عليه فأحميه فينصدع

و قال الطرماع: [٥ أ]

مؤلفه تهوى جميعا كما هوى من النيق فوق البصرة المتطحطح

و قال نافع بن كلداء: كان عمر بن الخطاب قد همّ أن يتخذ للمسلمين مصرا.

و كان المسلمون قد غزوا من قبل البحرين و توجّ و نوبندجان و طاسان. فلما فتحوها كتبوا إليه: إنا وجدنا بطاسان مكانا لا بأس به: فكتب إليهم: إن بيني و بينكم دجلة فلا حاجة لي في كل شيء بيني و بينه دجلة أن تتخذوه مصرا. فقدم عليه رجل من بنى سدوس يقال له ثابت فقال: يا أمير المؤمنين. إني مررت بمكان دون دجلة فيه قصر و فيه دياذبة الأعاجم يقال له الخريبة و يسمى أيضا البصيرة. بينه و بين دجلة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢٨

أربعة فراسخ له خليج يجرى فيه الماء إلى أجمه قصب. فأعجب ذلك عمر فدعا عتبة بن غزوان فبعثه في أربعين رجلا فيهم نافع بن الحارث بن كلداء. و أبو بكره و زياد. فلما خرجوا قالت لهم أختهم: احمولوني معكم. فحملوها. قال: فلما بصر بنا الدياذبة [٢٣٦] خرجوا هربا و جئنا فنزلنا القصر. فقال عتبة: ارتادوا لنا شيئا نأكله.

قال: فدخلنا الأجمه فإذا زنبيلان في أحدهما تمر و في الآخر أرز بقشره. فجبذناهما حتى أدنيناها من القصر و أخرجنا ما فيهما. فقال عتبة هذا سم أعدّه لكم العدو- يعنى الأرز- فلا تقرنه. فأخرجنا التمر و جعلنا نأكل منه. فإنا لكذلك إذا نحن بفرس قد قطع. قيادة فأتى ذلك الأرز يأكل منه. فلقد رأيتنا نسعى إليه بشفارنا نريد ذبحه قبل أن يموت. فقال صاحبه أمسكوا عنه. احرسه الليله فإن أحسست بموته ذبحته. فلما أصبحنا إذا الفرس يروث لا بأس عليه. فقالت أختي: يا أختي. إني سمعت أبي يقول إن السم لا يضر إذا نضج. فأخذت من الأرز تطبخه و جعلت توقد تحته ثم نادى: ألا إنه يتفصّي عن حبيبه حمراء. ثم قالت: قد جعلت تكون بيضاء. فما زالت تطبخه حتى أنماط قشره فألقيناه في الجفنة. فقال عتبة: اذكروا اسم الله عليه و كلوه. فأكلوا منه فإذا هو طيب. قال [٥ ب]: فجعلنا بعد نميط عنه قشره و نطبخه. فلقد رأيتني بعد ذلك و ما أجد منه شيئا إلّا و أنا أعدّ لولدى منه.

ثم إنا التأمنا فبلغنا ستمائة رجل و ست نسوة إحداهن أختي. فقلنا ألا نسير إلى الأبله فإنها مدينه حصينه، فسرنا إليها و معنا العنز [٢٣٧] و عليها الخرق و سيوفنا.

و جعلنا للنساء رايات على قصب و أمرناهن أن يثرن التراب وراءنا حين يرون أننا قد دنونا من المدينه. فلما دنونا منها صففنا أصحابنا. قال: و فيها دياذبتهم و قد أعدوا السفن في دجلة. فخرجوا علينا في الحديد مسومين لا ترى منهم إلّا الحدق.

قال: فو الله، ما خرج آخرهم حتى [رجع] [٢٣٨] بعضهم على بعض قتلا. و ما قتلوا هم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٢٩

أنفسهم كان أكثر. و نزلت الدياذبة فعبروا إلى الجانب الآخر. و انتهى إلينا النساء.

و قد فتح الله علينا و دخلنا المدينه و حوينا متاعهم و أموالهم و سألناهم ما الذى هزمكم من غير قتال؟ فقالوا: عرفتنا الدياذبة أن كميننا لكم قد ظهر و علا رهجه- يريدون النساء فى إثارتهن التراب- قال: فاستعمل عتبة بن غزوان زيادا على قسمة الغنائم و جمعها. و رزقه كل يوم درهما. و استجمع الناس و أقبلت أعاريب بنى تميم و بكر بن وائل إلينا فصرنا ثلاثة آلاف فى الديوان. فتروجنا فكان أول مولود ولد بالبصرة عبد الرحمن بن أبى بكره.

ثم قدم عتبة بن غزوان على عمر فأعلمه بما فتح الله عليه. فأرسل مكانه المغيرة بن شعبة فسار بنا فافتتح الفرات و ميسان و دستميسان و أبرقيان. ثم وجّه مكانه أبا موسى الأشعري.

و فى بعض الجند إن أول من اختط البصرة عتبة بن غزوان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. و كانت تسمى يومئذ أرض

الهند. فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن حطّ قيروانك بالكوفة وابعث عتبة بن غزوان إلى أرض الهند، فإن له من الإسلام مكانا، وقد شهد بدرا- والبصرة يومئذ تسمى أرض الهند- فيزلها و يتخذها المسلمون قيروانا. و لا تجعل [٦ أ] بيني و بينك بحرا. فدعا سعد بعتبة فأخبره بكتاب عمر فأجاب. و خرج من الكوفة في ثمانمائة رجل، فسار حتى نزل البصرة و ضرب قيروانه و ضرب المسلمون أحييتهم. و كانت خيمة عتبة من أكسية.

ثم رماه عمر بالرجال. فلما كثروا بنى رهط منهم فيها سبع دساكر من لبن. منها في الخريبة اثنتان و في الأزد اثنتان [٢٣٩]. و في الزابوقة واحدة. و في بنى تميم اثنتان.

و كان ذلك في سنه سبع عشرة.

و قال أبو عبيدة في روايته: الذي بصير البصرة لعمر بن الخطاب عتبة بن غزوان كتب إلى عمر: لا بد للمسلمين من منزل إذا شتوا، شتوا فيه. و إذا رجعوا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣٠

من غزوهم سكنوا فيه. فكتب إليه عمر: أن أوتد لهم منزلا- قريبا من المراعى و الماء و اكتب إلي بصفته. فكتب إلى عمر: إنى قد وجدت أرضا كثيرة القضة [٢٤٠] في طرف البر إلى الريف و دونها مناقع فيها ماء و فيها قصباء. فلما قرأ عمر كتابه قال: هذه أرض بصرة قريبة من المشارب و المراعى و المحتطب. و كتب إليه أن أنزلها. فنزلها و بنى مسجدها من قصب و بنى دار إمارتها دون المسجد فى الرحبة التى يقال لها رحبة بنى هاشم و كانت تسمى الدهناء، و فيها السجن و الديوان و حمام الأمراء بعد ذلك لقربها من الماء. فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ثم حزموه و وضعوه حتى يعودوا من الغزو. فإذا عادوا أعادوا بناءه. فلم يزل كذلك حتى استعمل عمر أبا موسى الأشعري و عزل المغيرة بن شعبه فبنى المسجد بلبن و كذلك دار الإمارة. فلم تزل على تلك الحال. فكان الإمام إذا أراد أن يصلى تخطى الناس حتى ينتهى إلى القبلة. فلما استعمل معاوية زيادا على البصرة، قال زياد: لا ينبغي للأمير أن يتخطى رقاب الناس. و لكنى أحول دار الإمارة إلى قبلة المسجد. فحول دار الإمارة من الدهناء و زاد فى المسجد زيادة كثيرة و بنى دار الإمارة باللبن و بنى المسجد بالجص و الآجر و سقفه [٦ ب] بالساج. فلما فرغ من بنائه جعل يطوف فيه و ينظر إليه و معه وجوه أهل البصرة. فقال: هل ترون خلافا؟ قالوا: لا نعلم بناء أحكم منه. قال: بلى، هذه الأساطين التى على كل واحدة أربعة [٢٤١] عقود، لو كانت أغلظ من سائر الأساطين كان أحكم لها.

و قال أبو عبيدة عن يونس: و لم يؤت منهن قط صدع و لا ميل و لا عيب.

و قال حارثة بن بدر الغداني:

بنى زياد لذكر الله مصنعة بالصخر و الجص لم يخلط من الطين

لو لا تعاور أيدي الرافعين له إذا ظنناه أعمال الشياطين

و جاء بسواريه من الأهواز. و كان ولي بناءه الحجاج بن عتيق الثقفى.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣١

فظهرت له أموال و حال لم تكن قبل. ففيه قيل: حبذا الإمارة و لو على الحجارة.

و الذى اختط أيام عتبة بن غزوان مسجد البصرة حجر بن الأوزع أمره عتبة بن غزوان بذلك. و كان المنبر فى وسط المسجد فأول من حوله إلى القبلة زياد. و كان فى جانب المسجد الشمالى منزويا، و ذلك أنه كان دارا لنافع أخى زياد أبى أن يبيعها، فلم تزل على تلك الحال حتى ولى معاوية عبيد الله بن زياد البصرة. فقال عبيد الله لبعض وكلائه: إذا شخص عبد الله بن نافع إلى أقصى ضيعة له فأعلمنى، فشخص إلى قصره الأبيض. فأعلمه ذلك. فبعث فهدم الدار و أخذ فى بناء الحائط الذى يستوى به تريع المسجد. و قدم عبد الله بن نافع فضج. فقال: إنى أئتمن لك و أعطيك مكان كل ذراع خمسة أذرع و ادع لك خوخة فى حائطك إلى المسجد و أخرى

في غرفتك. فرضى. فلم تزل الخوختان في حائطه حتى زاد المهدي فيه ما زاد. فدخلت الدار كلها في المسجد ثم دخلت دار الإمارة كلها في المسجد. أمر بذلك الرشيد.

و لما قدم الحجاج خبر ان زيادا بنى دار الإمارة بالبصرة. فأراد أن يذهب ذكر زياد [٧ أ] منها فقال: ابنيها بالآجر. فهدمها. فقيل له: إنما غرضك أن تذهب ذكر زياد فما حاجتك إلى أن تعظم النفقة و ليس يزول ذكر زياد عنها؟ فتركها مهدومة.

قال يونس[٢٤٢]: فعمارة التي حولها إنما بنيت من طينها و جمع أبوابها. فلم تكن للأمرء دار ينزلونها حتى قام سليمان بن عبد الملك فاستعمل صالح بن عبد الرحمن على خراج العراق. فقال له صالح: إنه ليس بالبصرة دار إمارة، و حدثه بحديث الحجاج. فقال له سليمان: أعدها. فأعادها بالآجر و الجص على أساسها الذي كان و رفع سمكها. فلما أعادوا أبوابها عليها قصرت. فلما مات سليمان و قام عمر بن عبد العزيز استعمل عدى بن أرطاة على البصرة، فبنى فوقها غرفا. فبلغ ذلك عمر، فكتب إليه: هبلك أمك يا ابن أم عدى! أ تعجز عنك مساكن و سعت زيادا و ابن زياد؟ فأمسك عدى عن بنائها.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣٢

فلما قدم سليمان بن على البصرة عاملا- للسفاح أنشأ فوق البناء الذي كان عدى أراد أن يجعله غرفا، بناه بطين. ثم إنه تحول إلى المربرد.

فلما قدم الرشيد هدمها و أدخلها في قبلة المسجد. فليس اليوم للأمرء بالبصرة دار إمارة.

و قال الواقدي: أنشئت البصرة سنة سبع عشرة من التاريخ، قبل الكوفة بسنة و أشهر. و أول مولود ولد بالبصرة في الإسلام، عبد الرحمن بن أبى بكره فنحر عليه أبوه جزورا، فكفت أهل البيت و ذلك لقتلهم يومئذ. و أبو بكره أول من غرس النخل بالبصرة و قال هذه أرض نخل ثم غرس الناس من بعده.

و قال هشام بن الكلبي: أول دار بنيت بالبصرة دار نافع بن الحارث ثم دار معقل بن يسار المزني. و كان عثمان بن عفان أخذ دار عثمان بن العاص الثقفي بالمدينة و كتب أن يعطى أرضا بالبصرة. فأعطى أرضه المعروفه بشاطئ عثمان حيال الأبله و كانت سجنه فاستخرجها و عمرها و إليه تنسب [٧ ب].

[و أول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبد الله بن عثمان بن أبى العاص و هو موضع بستان سفیان بن معاوية الذى بالخريه. ثم الثانى، حمام فيل مولى زياد ثم الثالث حمام مسلم بن أبى بكره، و حمام منجاب ينسب إلى منجاب بن راشد الضبى. و قال الشاعر:

يا ربّ قائله يوما و قد لغبت كيف الطريق إلى حمام منجاب

و قصر أنس بالبصرة ينسب إلى أنس بن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه و سلم).

و قدم الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله و إن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأعم الخالية، بين المياه العذبة و الجنان الملتصه، و إننا نزلنا أرضا نشاشه، لا يجفّ ثراها، و لا ينبت مرعاها، ناحيتها من قبل المشرق البحر الأجاج، و من قبل المغرب الفلاة، فليس لنا زرع و لا ضرع، تأتينا منافعا و ميرتنا فى مثل مرىء النعامه، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين، و تخرج المرأة كذلك فتريق ولدها كما يريق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣٣

العنز، تخاف بادرة العدو و أكل السبع، فالأ ترفع خسيستنا و تجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا، فألحق عمر ذراري أهل البصرة فى العطاء، و كتب لهم إلى أبى موسى يأمره أن يحفر لهم نهرا.

فحدث جماعة من أهل البصرة قالوا: كان لدجلة العوراء- و هى دجلة البصرة- خور، و الخور طريق للماء لم يحفره أحد يجرى إليها فيه ماء الأمطار، و يتراجع ماؤها فيه عند المد، و ينضب فى الجزر، و كان طوله قدر فرسخ، و نهر الإجمانة احتفره أبو موسى و قاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة، فكان طول نهر الأبله أربعة فراسخ، ثم إنه انطم منه ما بين البصرة و بئق الحيرى، و ذلك على قدر فرسخ

من البصرة، فلما شخص ابن عامر إلى خراسان استخرج زياد نهر أبي موسى، فرجع ابن عامر و غضب عليه و تباعد ما بينهما و قال: إنما أردت أن تذهب بذكر النهر دوني.

و كانت البصرة أيام خالد بن عبد الله طولها فرسخان [٢٤٣] و عرضها فرسخان [٢٤٤].

و تذاكروا عند زياد البصرة و الكوفة فقال زياد: لو ضلّت البصرة لجعلت الكوفة لمن يدلّني عليها، و قال ابن سيرين: كان الرجل منّا يقول: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة و ولّاه الكوفة، و قال أبو بكر الهذلي: نحن أكثر منكم ساجا و عاجا و ديباجا و نهرا عجّاجا و خراجا، و أنشد لابن أبي عيينة في البصرة:

يا جنّة فاقت الجنان فما يبلغها قيمة و لا ثمن

ألقتها فاتخذتها وطنان فؤادي لحسنها وطن

و قالوا: بالبصرة أربع بيوتات ليس بالكوفة مثلها: بيت بنى المهلب، و بيت بنى مسلم بن عمرو الباهليّ من قيس، و بيت بنى مسمع من بكر بن وائل، و بيت آل الجارود من عبد القيس، و دخل فتى من أهل المدينة البصرة فلما انصرف قالوا:

كيف رأيت البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع و الغريب و المفلس، أما الجائع

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣٤

فياكل خبز الأرزّ و الصّحناء و لا- ينفق في الشهر إلّا درهمين، و أما الغريب فيتزوج بشقّ درهم، و أما المحتاج فلا عيلة عليه ما بقيت استه يخرأ و يبيع. و قالوا:

بالبصرة ستّة ليس بالكوفة مثلهم: الحسن البصريّ، و الأحنف، و طلحة بن عبد الله، و ابن سيرين، و مالك بن دينار، و الخليل بن أحمد.

و بنى زياد بالبصرة دار الرزق، و حفر نهر الأبلّة و نهر معقل، و بنى داره، و بنى البيضاء و الحمراء فلم يضافا إليه، و بنى سكّة فأسكنها أربعة آلاف من البخاريّة فقيل سكّة البخاريّة فأضيفت إليهم، و بنى سبعة مساجد فلم يضاف إليه شيء منها:

مسجد الأساوره، و مسجد بنى عدى، و مسجد بنى مجاشع، و مسجد حدّان، و كلّ مسجد بالبصرة كانت رحبته مستديرة فإنه من بناء زياد، و كلّ الذي بنى فيها أو صنع فإنه نسب إلى غيره مثل: مسنّاه مصعب، و نهر عدىّ و نهر بلبل، و باب الأصفهانيّ، و حفيرة مطيع، و قصر ابن عمّار، و حَمّام سياه، و حَمّام فيل، و حَمّام منجاب، و قصر أوس، و باب عثمان، و مقبرة حصن، و مقبرة بنى شيبان، و نهر مرّة، و نهر بشار.

و بنى عبيد الله بن زياد داره بها و فيها باب إلى السكّة التي تنفذ إلى سكّة اصطفانوس، و باب آخر إلى السكّة التي تعرف بالبخاريّة، و بالبصرة دور كثيرة كانت لمواليهم فأضيفت إلى دينارزاد و دينار بنده، و لهم دار عجلان و دار القطن و نهر والس و نهر شيطان.

و دخل بعض الدهاقين البصرة فرأى ما اجتمع فيها فقال: قاتلك الله فو الله ما صرت هكذا حتى أخربت بلادا و بلادا.

و قال ابن الأهمم البصريّ: يأتيها ما يأتيها عفوا صفوا، و لا يخرج منها إلّا سائق أو ناعق أو قائد. و قالوا: أبعد الناس نجعة في الكسب بصريّ و خوزيّ، و من دخل فرغانة القصوى و السوس الأقصى فلا بدّ من أن يرى بها بصريّ أو خوزيّ أو حيريّ.

و أهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه و سلم) طبق من تمر، فجعل يأكل منه البرنيّ و القريناء

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣٥

ثم قال: اللهم إنك تعلم أني أحبّهما فأبنتهما في أحبّ البلاد إليك، و اجعل عندهما آية بيّنة،

قال الحسن: فو الله ما أعلمهما في بلد أكثر منهما بالبصرة، و قد جعل الله عزّ و جلّ عندها آية بيّنة المدّ و الجزر.

و قال عليّ بن محمّد المدائنيّ: وفد خالد بن صفوان على عبد الملك بن مروان فوافق عنده وفد جميع الأمصار، و قد اتّخذ مسلمة مصانع له، فسأل عبد الملك أن يأذن لهم بالخروج معه إلى تلك المصانع فأذن لهم، فلما نظروا إليها أقبل مسلمة على وفد أهل مكة

فقال: يا أهل مكّة هل فيكم مثلها؟ قالوا: لا، إلّا أن فينا بيت الله المستقبل. ثم قال لوفد المدينة: هل فيكم مثل هذا؟ قالوا: لا، إلّا أن فينا قبر نبيّ الله المرسل. ثم أقبل على وفد الكوفة فقال: هل فيكم مثلها؟ فقالوا: لا، إلّا أن فينا تلاوة القرآن العظيم. ثم أقبل على وفد البصرة فقال: هل فيكم مثل هذا؟ فتكلم خالد بن صفوان فقال: أصلح الله الأمير إن هؤلاء أقرّوا على بلادهم، ولو أن عندك من له خبرة ببلادهم لأجاب عنهم قال: أفعندك في بلادك غير ما قالوا؟ قال: نعم، أصف لك بلادنا قال: هات. قال: يغدو قانصانا فيجيء هذا بالشبوط والشيم، ويجيء هذا بالطير والظليم، ونحن أكثر الناس عاجا وساجا وخزا وديباجا وبردونا هملاجا وخريدة مغناجا، بيوتنا الذهب، ونهرنا العجب، تمام هذا الخبر في باب افتخار الشاميّين على البصريّين، وفضل الحبلّة على النخلة [٢٤٥].

ونحن قتلنا أحمرًا في جموعه وقد كان قتال الكمأة مظفرًا [٢٤٦] غداة علا الإسكاف بالسيف رأسه فخرّ صريعا لليدين معفرا وكان ابن سيرين يقول: تكون فتنة أعفى الناس فيها أهل البصرة. وقال رجل لعبد الله بن عمرو بن العاص: بلغني أنك تقول البصرة أسرع خرابا. قال: ليس كذاك قلت. إنما قلت هي أبطأ الأرض خرابا، لأنها أقومها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣٦

قبله، وهي حيال البيت والمقام والحجر وزمزم. فهي أبطأها خرابا. وقال أبو بكر رحمه الله: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ينزل ناس من أمتي غائطا من الأرض يقال له البصرة أو البصيرة، لها نهر يقال له دجلة يعقد عليه جسر وهو من أمصار المهاجرين، ويكثر أهله. وقال كعب الأحبار: وجدت في كتب الله المنزلة إن بالبصرة كنز الله أربعون ألفا يردون الناس إلى المهدي بعد انهزامهم عنه. قال و حج ابن عمر و حج في ذلك العام ناس كثير من أهل الكوفة واليمن، ولم يحج من أهل البصرة أحد. فقال ابن عمر: ما بال أهل البصرة؟ قالوا: أصابهم و باء. فقال: أهل البصرة خير من أهل الكوفة. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: ما رأيت أهل بلد أبكر إلى ذكر الله من أهل البصرة. وقال أبو ظبيان: سمعت ابن عمر، و أتاه رجل فقال: أخبرني عن البصرة فإنه بلغني أنها أول الأرض خرابا. فإن كان كذلك حوّلت أهلي منها. قال: فإنها أبطأ الأرض خرابا.

ومدح عمر بن ذرّاك أهل البصرة فقال: هم أعظم الناس أخطارا و أكرمهم جوارا و بعدهم في الأرض آثارا. أهل البصرة أعظم إمرة، و أوسع هجرة، و أعطى للبررة. و هم أعظم أعلاما، و أوفى زامما و أكثر أعلاما، و أجود كفا، و أحسن عطفًا، و أيمن لواء، و أصدق حياء، و أكرم إخاء. صبر تحت الرايات، و أكرم عند البيات. أهل البصرة أكثر عده، و أجود عده، و أكرم سجيّة، و أقسم بالسوية، و أحسن سياسة للرعية. و أقرب من ورع، و أحضر للجمع، و أقل عند الطمع. أهل البصرة أسمع و أطوع و أرضى و أمنع. و هم أطيب ثمارا، و أكثر أشجارا، و أكرم أنهارا. و أجزل عطية، و أكرم بقية، و أشد عصية، و أكثر غنما، و أحسن سلما، و أطيب طعما، و أصدق ثبات، و أكرم هبات، و أفضى للحاجات. و أحسن أخلاقا، و أشد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣٧

إشفاقا، و أملى رواقا. و أحلم في الغضب، و أصبر في الكرب، و أجمل في الطلب. أهل البصرة أصبر للبلية، و أحمل للرزية، و أكرم خبيّة. و هم أحمل للديات، و أسرع في الخيرات، و أطعم في الفلوات. و هم أكثر للذهب، و أركب للقتب، و أشهر في العرب. و هم أركب للبحور و أحسن في الأمور، و أصبر في الثغور.

قال كعب لأبي مسلم: من أين أنت؟ قال: من أهل العراق. قال: من أيها؟

قال: من أهل البصرة. قال: إذا رأيت نخلها قد أطمع فاخرج منها. قال: فإن لم أستطع ذاك؟ قال: فإذا رأيت آجامها قد اتخذت بساتين فاخرج منها. قال: فإن لم أستطع. قال: إذا تناول أهلها في بناء المدر فاخرج. قال: فإن لم أستطع. قال:

فعليكم بضواحيها وإياك و سباحها فإنه سيكون بسباحها خسف.

وقال قتادة: يخسف بالدار و تنجو الدار. و يخسف بالحي و ينجو الحي.

و روى عن أسود العدوى، قال: قال عمر بن الخطاب: أريد أن آتى البصرة فأقيم فيها شهرا. فقال له كعب: لا تأتها [٢٤٧]. فإن بها تسعة أعشار الشر و الداء العضال، و بها تكون الفتن، و فيها يخرج الدجال.

و عن أبي مجلز قال: ائتفتك البصرة مرتين و لتأتفكن الثالثة.

و قال أبو موسى: للبصرة أربعة أسماء، الخريبة و البصيرة و تدمر و المؤتفكة.

و كان كعب الأحبار يقول لشبعت الضبع من النو [٢٤٨] فى مسجد البصرة و القرى حولها عامرة.

و قال أبو غيلان: البصرة يسلط عليهم القتل الأحمر، و الجوع الأغر. و أما مصر فينضب [٩ ب] نيلها.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣٨

و كان ابن عمر يقول: البصرة أسرع أرض الله خرابا، و أخبثه ترابا. قيل: فما بال الكوفة؟ قال: يأتى الله بأمره إذا شاء.

و كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول لتغرقن البصرة أو لتحرقن إلّا بيت مالها و مسجدها.

و قال عبد الله الضبعي: سمعت عليا عليه السلام يقول: ويحك يا بصرة لتغرقن أو لتحرقن حتى يرى بيت مالك و مسجدك كجؤجؤ سفينة [٢٤٩].

و قال قتادة: لتحرقن البصرة و أهلها كثير. قيل له: و كيف ذلك؟ قال: يظهر منافقوها على مؤمنها فيخرجون منها رجالا و ركبانا. و أنشد لمحمد بن حازم:

ترى البصرى ليس به خفاء لمنخره من التنت انتشار

ربا بين الحشوش و شبّ فيها من ريح الحشوش به اصفرار

يعتق سلحة كيما يغالى به عند المبايعه التجار

و لما افتتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة ارتقى منبرها فحمد الله و أثنى عليه. ثم قال: يا أهل البصرة! يا بقايا ثمود و يا جند المرأة و يا أتباع البهيمه. رغا فاتبعتم، و عقر فانهمتم. دينكم نفاق، و أخلاقكم رفاق، و ماؤكم زعاق. يا أهل البصرة و البصيرة و السبخة و

الخريبة! أرضكم أبعده الأرض من السماء، و أقربها من الماء، و أسرعها خرابا و غرقا [٢٥٠].

و كان خالد بن ميمون يقول: البصرة أشد الأرض عذابا، و أسرع خرابا و شره ترابا.

و سأل الحجاج بن يوسف، ابن القرية عن البصرة فقال: حرّها شديد، و خيرها بعيد. و ماؤها ملح، و حربها صلح. ماوى كل فاجر، و طريق كل عابر.

و كان الأوزاعى يقول: نظرت فيما اختلف فيه العلماء من أهل البلدان و فتنوا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٣٩

به، فرأيت أهل البصرة قد فتنوا بخصلتين: الخخصضة و القدر. و فتن أهل الكوفة بخصلتين: شرب المسكر و تأخير السحور. و فتن أهل الشام بخصلتين: طاعة [١٠ أ] الظلمة، و أخذ الجوائز، و فتن أهل مكة بخصلتين: تزويج المتعة و الدرهم بالدرهمين. و فتن أهل المدينة بخصلتين: حب السماع و إتيان النساء فى الأدبار.

وقال ابن شبرمة لأهل البصرة: لنا أحلام ملوك المدائن، و سخاء أهل السواد، و ظرف أهل الحيرة. و لكم سفه السند و بخل الخوز و حمق أهل عمان.

وقال ابن شاذب: أول منبر يصعده الدجال منبر البصرة فيقول: أيها الناس من كان غنيا زدناه، و من كان فقيرا مؤلناه.

وقال عبد الله بن عباس: إذا كثرت القدرية بالبصرة انتفكت بأهلها، و إذا كثرت السبائية [٢٥١] بالكوفة انتفكت بأهلها.

و استشار رجل ابن مسعود في سكون البصرة فقال له: إن كنت لا بد فاعلا، فاسكن رايبتها و لا تسكن سبختها فإنه قد خسف بها مرة، و سيخسف بها أخرى.

و الخسف الذي كان بها، أنه كان بها خمسة حكام أسماؤهم: جائر و جابر و خاطي و مخطي و حمال الخطايا. فخرج رجل معه امرأة له حامل على حمار له حتى أتاهما، فلما دخلها منعه جائر و قال: لا تدخل حتى تؤدي درهمين. فأخذ منه درهمين. فتظلم و قال: أنا رجل فقير و قد أخذت مني درهمان [٢٥٢]. فما أحد يعديني على من أخذهما مني؟ فقالوا: بلى، جابر. فأتاه فشكا إليه. فقال له هات أربعة دراهم. فأخذها منه مكرها. فأتى خاطي يشكوها إليه، فقال: هات ثمانية دراهم. فأخذها منه فأتى مخطي فقال: هات ستة عشر درهما. فقال أنا إنسان مسكين لا شيء لي. فضربه و ضرب امرأته حتى أسقطت، و قطع ذنب حماره. فأتى حمال الخطايا فشكا إليه ما حلّ به من إسقاط امرأته و قطع ذنب حماره. فقال

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤٠

لأصحابه: انكحوا امرأته حتى تحبل، و اعملوا على حماره حتى ينبت ذنبه.

فخسف الله بها.

و يروى أن أمير المؤمنين عليه السلام لما دخل البصرة صعد المنبر و خطب و قال في خطبته: يا أهل البصرة! إن الله لم يقسم خيرا [١٠ ب] لأحد من أهل الأرض إلّا و قد جعل فيكم أكثر منه. فعابذكم أعبد الناس، و قارئكم أقرأ الناس.

غير أن حكم الله فيكم و فيمن مضى قبلكم جائز بقوله عزّ من قائل و إن من قزيبه إلّا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معدّبوها عذاباً شديداً. كان ذلك في الكتاب مسطوراً و الله، ما ابتدأتكم بما ابتدأتكم به من المدح رغبة مني لما في أيديكم.

غير أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) يقول: أما علمت أن جبريل عليه السلام حمل جميع الأرضين على منكبه الأيمن فأتاني بها. ألا و إنني وجدت البصرة أبعد بلاد الله من السماء و أقربها من الماء و أخبثه ترابا و أسرعه خرابا، ليأتين عليها يوم لا يؤتى منها إلّا شرفات مسجدها كجؤجؤ السفينة في لجة البحر، فقال المنذر بن الجارود: و لذاك يا أمير المؤمنين، و ممّ ذاك؟ قال: إذا رأيتم آكامها خدورا، و آجامها قصورا، فلا بصره، ثم قال: كم بينكم و بين أرض يقال لها الأبله؟ قالوا:

أربعة فراسخ. فقال: صدقني و الذي عجل روحه إلى الجنة و أكرمه بالنبوة فقال: يا علي أما علمت أن بين البصرة و بين أرض يقال لها الأبله أربعة فراسخ، يكون في ذلك الموضع العصور، ينبغي أن يقتل فيه سبعون ألفا هم نظراء قتلى بدر، فقيل و من يقتلهم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخوان الجنّ، إخوان الجنّ، ثم قال: ويحك يا بصره! ويحا لك من جيش لا غبار له. قيل: يا أمير المؤمنين ما الويح؟ قال:

الويح و الويل بابان، فالويح رحمة و الويل عذاب.

مجلس الكوفيين و البصريين عند المأمون [٢٥٣]

كان المأمون يوما جالسا و عنده نفر من خاصته و ذوى المنزل عنده. فأفاض معهم في الحديث ثم قال: قد قرأت القرآن فحفظته و سمعت الحديث و علمت

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤١

الأدب و ناظرت المتكلمين، فلم يبق شيء من العلم إلّا و قد كشفت ظاهره و فتشت باطنه [١١ أ] إلّا ما يتنازع فيه أهل الكوفة و البصرة، من فخر بعضهم على بعض.

و قد أحببت أن تتكلموا فى ذلك حتى أسمع.

فقال هشام [٢٥٤]: أيد الله أمير المؤمنين. ما زلنا نسمع أن أهل البصرة أبعد فى الأرض آثارا و أكثر فتوحا و أبلغ خطيبا و أكثر أدبا، و البصرة قبل الكوفة.

قال الحجاج بن خيثمة: أبقى الله أمير المؤمنين، و كيف يكون أهل الكوفة أشرف من أهل البصرة و عندنا من معايهم و الطعن عليهم ما لو سمعه أمير المؤمنين لعجب منه و سيما ما صنف فيهم شيخ لأهل البصرة يكونه أبا عبيدة؟ فقال أحمد بن يوسف [٢٥٥]: أيد الله أمير المؤمنين، أبو عبيدة و أهل البصرة كما قال الفرزدق: جرير و قيس مثل كلب و ثلث بيت حوالها يطوف و ينبج.

و أبو عبيدة يهودى من يهودهم كان قال لأبيه موزجير اليهودى ليس له قديم و لا حديث و لا أول و لا آخر. عاب أنسابهم و تناول أحسابهم و شتم الأمهات و الآباء و ذكر الأخوة و الأخوات، و عاش بينهم سبعين سنة يشتم أعراضهم و ينتهك أحسابهم. فقال أحمد بن هشام: أنتم لا تعتدون على أهل البصرة أنهم عابوكم و لا شتموكم بأكثر من قول أبى عبيدة. فإن أردتم الانتقام فليكن ذلك فيه، لأن الله عز و جل يقول و إن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به.

فقال المأمون: قد كنت أعلم أن عندكم اختلافا و افتخارا. و لم أكن أحسبه بلغ هذا، و الكلام كثير، و قد رأيت أن يدلى كل فريق بحجته و يكتبه كاتب حفيظ.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤٢

فقال الخليل بن هشام [٢٥٦]: اكتبوا ما شتمت و لا تنسوا خذلان على و قتل الحسين عليهما السلام.

فقال العباس: لقد أمسكنا عن مساوئكم و قلنا بأحسن ما حضرنا من أمركم، فأتيتم الآن تهيجونا على أنفسكم، كقول الأخطل: [١١ ب] صفادع فى ظلماء ليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر

قال أحمد بن يوسف: يا أمير المؤمنين. هو أعلم بمآثر الكوفة و مفاخرهم منى. و أنا أعلم بمعايب أهل البصرة و الطعن عليهم منه. فقال: قل ما أحببت.

فقال أحمد: ما شاء الله و لا حول و لا قوة إلّا بالله. إنا وجدنا أهل البصرة فتقوا فى الإسلام فتوقا و ابتدعوا من الضلالة بدعا، و بنوا من الباطل منارا. إثم ذلك فى أعناقهم، و عارة باق فى أعقابهم. و لو استقصينا القول فى ذلك كان كثيرا. و لكننا نذكر بعض ما لا يجوز تركه، و نترك ما يستغنى عن ذكره. فكان من ذلك: إنهم أول شهود ردت شهادتهم فى الإسلام. و هم شبل بن معبد البجلي و نافع بن الحارث و أبو بكر نافع بن مسروح [٢٥٧] حين شهدوا على المغيرة بن شعبة، فحدّهم عمر بن الخطاب. و منهم أول قسامة شهدت على زور و باطل، و ذلك عند الجواب حين قالت عائشة رضى الله عنها- و قد سمعت نباح كلاب الحوآب: أى مكان هذا؟ فقيل لها الحوآب. فقالت: ردّونى،

فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) يقول: أى نسائى تنبها كلاب الحوآب.

فجاء خمسون شيخا ممن تلقاها من البصريين فحلفوا لها ما هو الحوآب. و منهم أول ساع سعى و غماز غمز و هو أبو

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤٣

المختار يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعو الكلابى حين كتب إلى عمر شعرا، يسعى بعماله. يقول فيه:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فأت أمين الله فى الحال و الأمر

فأرسل إلى النعمان و ابن معقل و أرسل إلى حزى و أرسل إلى نشر

فأرسل إليهم يصدقوك و يخبروا أحاديث مال الله ذى العد و الدّثر

و قاسمهم نفسى فداؤك إنهم سيرضون إن قاسمتهم منك بالشّطر

[١٢] فكانت هذه أول سعاية فى الإسلام، و ذلك باق فيهم إلى اليوم.

و منهم أول عمال أقزوا بالخيانة فى الإسلام، لأن عمر قال لهم: إن شئتم فتشتكم و إن شئتم صالحتكم. فقالوا: تصالحنا. فقاسمهم

أموالهم. منهم النعمان بن عدى بن نقله قرشى عدوى، و عبد الله بن معقل المزنى و عبد الله بن جزى و السعد بن عمر و الأحنف بن

قيس و بشر بن المحيص المزنى و الحجاج بن عثمان الثقفى.

و منهم أول شهود ردّ شهادتهم حكم رسول الله (صلى الله عليه و سلم)، ثم أخذوا على شهادتهم الجعالة و الرشى. و المنذر بن الزبير

و أبو مريم السلولى و غيرهما شهدوا أن أبا سفيان أقر عندهم أنه فجر بأمر زياد، و زعم أبو مريم أنه هو كان القواد الذى جاء بسمية

إلى أبى سفيان. فردّ معاوية بشهادة هؤلاء حكم رسول الله (صلى الله عليه و سلم) (الولد للفراش و للعاهر الحجر). فجعل الحجر

للفراش و للعاهر الولد.

و هم أول من تابع إمام هدى ثم خالفوه و نكثوا بيعته و ذلك أمير المؤمنين على رضى الله عنه.

و هم أول من جرى عليه حكم الحرب فى الإسلام حين قتلهم الله بأيدنا يوم الجمل.

فقال أمير المؤمنين رضى الله عنه: لا تتبعوا موليا و لا تجيزوا على جريح [٢٥٨].

و أخذ ما فى بيوت أموالهم فقسمه بيننا، فأصاب كل رجل منا خمسمائة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤٤

درهم و فى ذلك قال شاعرنا:

فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل

ابعث الكوفى فى الخيل و لا تبعث البصرى إلّا فى الثقل

و منهم أول من أجار ثم غدر فى الإسلام و هو المجاشعى الذى أجار الزبير بن العوام حين انصرف من وقعة الجمل ثم غدر به حتى

قتل.

و منهم أول من ارتد عن الإسلام و هم بنو ناجية، تنصروا بعد الإسلام، فبعث إليهم على بن أبى طالب رضى الله عنه [١٢ ب] معقل بن

قيس الرياحى فقتل المقاتلة و سبى الذرية.

و منهم من عطّل حدود الله و هو عبد الله بن عامر بخراسان فى خلافة عثمان بن عفان، فقيل له: عطلت الحدود. فقال: أنا أعطيتهم مالى

و هم يذمونى، فكيف لو ضربت ظهورهم؟

و منهم أول من خرج على المسلمين و هم أصحاب عبد الله بن عامر بخراسان.

و منهم أول من ردّ

قول رسول الله (صلى الله عليه و سلم) (من انتفى من أبية فعليه لعنة الله)

فكان ذلك زياد و هو منهم.

و هم أول من ردّ

قول النبى (صلى الله عليه و سلم) (لا حلف فى الإسلام)

فتحالفت الأزد و بكر بن وائل. و كان الذى عقد الحلف مالك بن مسمع. فقال له الأحنف: يا مالك أكلف فى الإسلام؟ فقال مالك:

أ دعوة فى الإسلام و قد قال الله ادعوهم لآبائهم؟- يريد أمر زياد.

و منهم أول من انهزم فى الإسلام هزيمة محلية و هو سلمة بن زرعة، انهزم من مرداس الخارجى. فصاح به الصبيان فى الطرقات: يا

سلمة! قد جاء أبو بلال مرداس. فحرد من ذلك. و زاد عليه الأمر حتى أقام في منزله و لم يخرج حتى مات.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤٥

و منهم أول من عرف بالتطفيل و هو الجارود بن سبرة الهذلي. كان يجيء إلى موائد الأمراء و الأشراف من غير أن يدعوه. و كذلك كان إمام مسجدهم سعيد بن أسعد الأنصاري إذا كانت وليمة سبق إليها.

و منهم أول من أعلن الفاحشة و أقر على نفسه بالأبنة و الفضيحة جحشويه [٢٥٩].

و هم المقدمون على الناس بالحق، المعروفون بالنوك. منهم هبنقة القيسي و هو الذي يضرب به المثل حتى قيل (أحمق من هبنقة). و كتب عمر إلى عتبة بن غزوان: أما بعد، فاحذر أهل بلدك فإن أكثر أهله تميم و هم بخل. و بكر بن وائل و هم كذب. و إن في الأزدي لموقا. فهذا قول عمر فيهم خاصة. و لو كان عرف ذلك في أهل الكوفة لكتب إلى سعد [١٣ أ] بن أبي وقاص.

و من حمقهم أن أبا خيرة القشيري كان مملقا فخدعه الفرزدق و أمره أن يبيع ابنته من المهلب على أنها وصيفة له: فهيتأها ثم ذهب بها إليه و عرضها عليه، فوعدت بقلبه و استام عليه بها مائة ألف فأخذها منه بما قال. فقال الفرزدق للمهلب: إن أبا خيرة إنما باعك ابنته. قال: كذبت. فأرسل إليه فسأله، فقال نعم، لم أطمع أن أزوجهك فبعتك بيها حالاً. فوقف على جهله فقال: قد جعلت المائة ألف مهرها. فولدت له محمداً و أبا عينه.

و من حمقهم ما ذكره الشرقي بن القطامي قال: كان رجل من أهل البصرة جالسا مع امرأته فدعا الحجام ليحجمه، فلما وضع المحاجم على عنقه شرطه و هو غافل، فضرط. فضحكت امرأته. فأخذ السيف و ضرب الحجام فقتله. فصاحت امرأته و اجتمع الناس فأخذ و أتى به عبيد الله بن زياد و هو على البصرة. فقال: لم قتلت هذا؟ قال: لأنه يشرط و لا يحذر.

و من حمقهم أن شيخين من الأزدي تنازعا في شيء، فقال أحدهما لصاحبه:

و الله لو كان غيرك. قال: فأنا غيري. قال: أنت غيرك. قال نعم. فرفع يده و لطم عينه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤٦

و من حمقهم أن مصعب بن الزبير لما أراد المسير إلى المختار بعث إلى الأحنف بن قيس بمائة ألف درهم و قال سر معي. فأمر الأحنف بفسطاطه فضرط في العسكر. فبلغ ذلك زبرا جارية الأحنف و كانت صاحبة أمره فقالت: ما أرسل إلي مصعب شيئا؟ قيل: لا. فجاءت حتى دخلت على الأحنف و بكت ثم قالت:

أبعد قتالك المشركين و موافكك المحمودة في بلد العدو، تخرج إلى المسلمين و من يطلب بتأر أولاد النبي عليهم السلام تقاتلهم؟ قال: صدقت زبرا. فوضوا [٢٦٠] فسطاطي. ففعلوا. فبلغ ذلك مصعبا فقال: ما الذي دهاه؟ [١٣ ب] فخبروه بقصة زبرا. فبعث إليها ثلاثين ألف درهم. فجلست بين يدي الأحنف ثم قالت: أمر قد اجتمعت إليه العرب و الأشراف، و يوم من أيامهم المذكورة، له ما بعده، تغيب عنه فيخمل ذكرك و يدرس اسمك؟ قال: صدقت زبرا. أعيدي فسطاطي، فأعيد.

و من حمق الأحنف أنه جرى بينه و بين الحنات كلام فقال له: إنك لضئيل، و إن أمك لورهاء، و إن خالك للثيم. فقال له الأحنف: إنك لجلف جاف، و ما فيك من شيء إلا أنك ابن دارم. اسكت يا دبرة. فطرح الحنات ثيابه بين الناس و قال: هل ترون شيئا؟ فبلغ من حمق الأحنف أنه كذب كذبا كذب به قبل أن يبرح.

و من حمقه: أن الحسن بن علي رضي الله عنهما كتب إليه يستنصره فقال: قد بلونا حسنا و أبا حسن فلم نجد عندهما ابالة للملك و لا سببا للحرب و لا خيانة للمال الأمر هاهنا- و أشار بيده إلى الشام- فخذل الناس عن الحسن رضي الله عنه.

ثم شخص مع من شخص أمثال الحسين رضي الله عنه فقامت ركابه فكان ذلك سبب تخلفه.

و من حمقه: انه حين نزل به الموت قيل له ما تشتهي؟ فلم يقل رحمة الله.

و قال: شربة من ماء الغرير. و هو ماء ردىء لبني سعد. فترك ما ينفعه و تمنى ما لا يرجع إليه منه نفع في دنيا و لا آخرة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤٧

و سئل قتادة عن الأحنف فقال: كان ممن زفَّ سجاح إلى مسيلم الكذاب.

و من حمق أهل البصرة: ان الحبل لما اضطرب عند موت يزيد بن معاوية، قام عبيد الله بن زياد على منبر البصرة فقال: أيها الناس: إنه لا بد لكم من إمام يقاتل عدوكم و يجبي فينكم و يقسم بينكم. فاختاروا رجلا يلي أمركم حتى يصطليح أهل الشام على رجل فتدخلوا في اختيارهم. فقام إليه الأحنف فقال: أنت فكن ذلك [١٤ أ] الرجل. ثم ضرب يده على يده فبايعه و تتابعوا كلهم على ذلك.

و من حمقهم: ان سفيان بن مسعود بن عمر الأزدي دخل على عبد الملك و افدا من عند الحجاج. فأراد أن يطريه و يعظم شأنه فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، قد خرينا من خوف الحجاج.

و من حمقهم، ان الثفال البكراوى كان فاجرا خليعا فكان أن فسق برجل كرهنا أن نسميه. و لولا أن جحشويه كشف ذلك على نفسه ما ذكرناه. فخطب الثفال بنت المفعول به، و ظن أن تزويجها لا يحل له لفسقه بأبيها. فأتى الحسن البصرى و هو جالس و الناس عنده فقال: يا أبا سعيد ما تقول فى رجل نكح رجلا، أ يحل له أن يتزوج ابنته؟ فقال له الحسن: لعلك أردت أنه نكح أمها؟ قال: لا. أنا أدري ما سعت فيه. فأعرض عنه الحسن.

و ليس فى الأرض بصرى يدخل الكتاب إلّا و له كرسى يجلس عليه لثلا تأكل الأرض ثوبه.

و من بخلهم أن صاحب باقلى كان فى بعض سلكهم فأخرجوه و قالوا: تعلم صبياننا الإسراف و يقتلهم الجوع لأنهم يشترى منك بخبزهم باقلى.

و أخرجوا غربيا كان نازلا فى بعض سلكهم فقال لهم: أى شىء أجمرت إليكم؟ قالوا: تأكل اللحم فى كل يوم.

و لقي بعضهم صاحباً له: أعرنى نعلك إلى الكلا بتعليق يريد أنه يعلقها بيده و يمشى ليظن الناس أنها منقطعة الشراك.

و ليس فى الأرض أهل بلد أطمع و لا أدق أخلاقاً و أنظر فى الخطر الخسيس

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤٨

منهم. فإنهم أول من جعل حب الأرز فى الموازين. و أربع حبات أرز، حبة شعير. و لا نعرف ذاك فى شىء من البلدان إلّا بلدهم.

و من فضل الكوفة على البصرة: ان ملوك العرب و العجم طافوا الآفاق و اختاروا البلاد فوقع اختيارهم على الكوفة و ما يقرب منها. من ذلك الأنبار نزلها دارا بن دارا و جذيمة الأبرش [١٤ ب]. و منها بابل نزلها بخت نصر و من كان قبله و بعده من الملوك. و منها

مدائن كسرى نزلها أردشير بن بابك و من بعده من ملوك فارس إلى يزيد جرد. و منها الخورنق نزل بهرام جور و النعمان بن الشقيقة و

غيره من ملوك العرب. و منها الحيرة نزلها عمرو بن عدى و ولده بعده إلى عمرو و قابوس ابنى المنذر، و النعمان بن المنذر، و إياس

بن قبيصة الطائى حتى جاء الله بالإسلام.

و إنما كانت البصرة منازل ينزلها الجند مثل منجشان صاحب المنجشانية و من أشبهه من السفلة و الرعا.

و هم الذين شخصوا إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقال الأحنف يا أمير المؤمنين. إن إخواننا من أهل مصر نزلوا منازل فرعون،

و إن إخواننا من أهل الشام نزلوا فى منازل ملوك الروم، و إن إخواننا من أهل الكوفة نزلوا بين حيرة النعمان و مدائن كسرى فى مثل

حولاء الناقة أو حدقة البعير الغاسقة فى جنان خصبة و أنهار عذبة تأتيهم ما يأتيهم من رزقهم غريضا غضا. و إننا نزلنا فى سبخة هشاشة

نشاشة زعفة لا يجف ثراها و لا ينبت مرعاها عسفتها الفلاة من خلفها و خنقها البحر الأجاج من أمامها، يأتيها ما أتاها فى مثل حلقوم

النعام. فلا يزيد من الفخر عليهم بطيب المنازل إلّا بما أقرّ به صاحبهم. و لم يزل أهل البصرة يشربون الماء المالح حتى و ليها عبد الله

بن عمر بن عبد العزيز، فحفر لهم نهرا من البطيحة فهم يسمونه نهر ابن عمر، و فيه يقول بشار فى شعر طويل:

لا نشرب الماء إلّا قال قائلنا نعم الأمير، فده السمع و البصر

روى من العذب ها مات مصرّدة قد كان أزرى بهنّ الملح و الكدر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٤٩

وقال شاعرنا يصف الكوفة و طيب هوائها و أن الشام ارتفعت عنها و البصرة سفلت منها:

سفلت عن برد أرض زادها البرد عذابا

و علت عن حر أرض تلهب النار التهابا

مزجت حرا ببردفصفا العيش و طابا

و لم يزل عمال العراق ينزلون الكوفة يرونها [١٥ أ] عذب ماء و أصفى هواء و أطيّب ترابا. و كل الأرض يجعلها الله للمسلمين طهورا. و مسجدا إلا أرض البصرة فإنه ليس يستطيع أحد أن يتيمم و لا يصلى على أرضها لقذرهما و فسادهما و كثرة سمارها. و ما نزلها من أمراء العراق أحد إلا الحجاج مديده ثم تحول إلى واسط. و مسلمة بن عبد الملك أياما حين قتل يزيد بن الأسلت. فأما الكوفة فأكثر الولاة كانوا ينزلونها و يقيمون بها و لا يمضون إلى البصرة إلا لحادثه تحدث، أو فتق يحذر. كان خالد بن عبد الله القسرى يسميها الذفراء. و كذلك يوسف بن عمر.

و لما ولي يزيد بن عمر بن هبيرة العراق، لم يختر شيئا على الكوفة و بنى عند قنطرتا مدينه و سماها الهبيرة و هى المعروفة بقصر ابن هبيرة. و لم يزل مقيما بالكوفة حتى جاءت الدولة الهاشمية فتحول إلى واسط.

و من الكوفة ظهرت دولة بنى العباس و فيها كان وزيرهم و بها عقد لهم الملك.

و الكوفة بمنزلة العين من الرأس، و البصرة بمنزلة الكراع من الأديم. ثم ترك المهدي الكوفة و بنى القصر الأبيض بالحيرة و هو الذى كان النعمان بن المنذر ينزله، و بنى بها قصر أبى الخصيب على طرف النجف و فيه يقول الشاعر:

يا دار غير رسمها مّر الشمال مع الجنوب

بين الخورنق و السدير فبطن قصر أبى الخصيب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥٠

فالدير فالنجف الأشمّ حيال أرباب الصليب

و لا- يحتج علينا أهل البصرة أن أحدا من ولاة العراق نزلها إلا زيادا و عبيد الله ابنه. فإنها كانت وطنهما و مشتاهما. و لم يكونا على ننتها و ملوحة مائها و شدة بخرها و كثرة بقها و كدوره هوائها و فساد طينتها. يطيلان المقام بها. بل كان أكثر مقامهما بالكوفة. و بحسبك أن السمك فى نهرها لا يصبر على ملوحة الماء حتى ينتقل. فإذا كان سمك البحر لا يصبر، فكيف ينبغى لذوى العقول أن يفخروا بها؟

[١٥ ب] و لو لم يكن من فضل بلدنا على بلدهم إلا أنا لا نحتاج إلى دباغ العفص و قشور الرمان فى الصيف، لكان ذلك فضلا عظيما. و فى الحديث (إن الفرات و دجلة من أنهار الجنة) و قد خصنا الله بعدوئتهما و بردهما. و حرم الله على أهل البصرة أن يذوقوا منهما قطرة حتى يختلط بهما البحر الأجاج. فهم كما قال الله عزّ و جلّ «و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله. قالوا إن الله حرّمهما على الكافرين».

و قدم أبو شدقم العنبرى البصرة فملح عليه الماء و اشتد عليه الحرّ و آذاه تهاوش ريحها و كثرة بعوضها. ثم مطرت السماء فصارت ردغاء. فقال:

أشكو إلى الله ممسانا و مصبحنا و بعد شقّتنا يا أمّ أيوب

و إن منزلنا أمسى بمعترك يزيد طبعنا وقع الأهاضيب

ما كنت أدري و قد عمّرت من زمن ما قصر أوس و ما سخّ الميازيب

تهيجنى نفحات من يمانية من نحو نجد و تنعاب الغرايب
 كأنهن على الأجدال كل ضحى مجالس من بنى حام أو النوب
 يا ليتنا قد حللنا واديا أنفأ أو حاجزا نصبا غصّ اليعاسيب
 و حبذا شربة من شنة خلق من ماء صداء تسلى [٢٦١] كل مكروب

و آذاه قدرها فقال أيضا:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥١

إذا ما سقى الله البلاد فلا سقى بلادا بها سيحان برقا و لا رعدا
 بلاد تهبّ الريح فيها خبيثه و تزداد نتنا حين تمطر أو تندى
 خليلي أشرف فوق غرفة درهم إلى قصر أوس فانظرن هل ترى قصرا؟
 و قال أعرابي قدمها فنزل إلى جانب دار محمد بن سليمان:
 هل الله من وادي البصرة مخرجي فأصبح لا تبدو لعيني قصورها
 و أصبح قد جاوزت سيحان سالما و أسلمنى أسواقها و جسورها
 [١٦ أ]

و مربدها المذرى علينا ترابه إذا شحجت أبغالها و حميرها
 فنضحى بها غبر الرءوس كأننا أناسي موتى نبش عنها قبورها
 و قال أبو تغلب يذكر ننتها و قدرها:

يا رب لا تسق نازل البصرة فهى على كل حالة قدره
 تأتيك منها إذا نزلت بهاروائح من روائح العذرة

فقال على بن هشام: يا أمير المؤمنين! إن أحمد بن يوسف عدد عيوب البصرة و مثالبهم و ترك ما على أهل الكوفة. فلئن كان الذى
 ذكر من أهل البصرة على ما ذكر فما يعرفه إلا خواص من الناس ممن نظر فى الأمور و بحث عن المستور. فأما عيوب الكوفة فأوضح
 من النهار و أبين من الشمس، تعرفها العاتق فى خدرها و العجوز فى مجراها و الصبى فى كتابه.

قال المأمون: و أى شىء تعرف؟

قال: على أول ذلك

قول على بن أبى طالب رضى الله عنه حين قال على المنبر: يا أيها الملأ المجتمع أبدانهم، المختلفه أهواؤهم. ما عدت دعوة من
 دعاكم، و لا- استراح من قاساكم. كلامكم يوهن الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم الخود الكعاب. إن قلت لكم انفروا فى الشتاء
 قلتهم أمهلنا يذهب عنا الصر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥٢

و القر. و إن قلت لكم انفروا فى الصيف، قلتهم أمهلنا تذهب عنا حمارة القيظ و ينسلخ عنا الحرّ. أعاليل بأضاليل. أية دار بعد داركم
 تمنعون؟ أم عن أى إمام بعدى تقاثلون؟ فى خطبة طويلة [٢٦٢].

فقال أحمد بن يوسف: إن أمير المؤمنين عليه السلام لما انتفضت عليه البلاد و خالفه أكثر [٢٦٣]، اختارنا لنفسه و رضينا لنصره. فكنا
 إذا أحسنا دعا لنا و أثنى علينا.

و إذا أسأنا عاتبنا و استبتأنا كما يعاتب الرجل ولده. و إنك لتعلم يا أمير المؤمنين إنه انحدر من المدينة يريد البصرة فنزل ذا قار ثم بعث إلينا فخرجنا لنصره على الصعب [١٦ ب] و الذلول. فنصرناه قبل أن نراه، و آزرناه بعد أن رأنا. فكان يقول عليه السلام: أنتم الشعار و أنتم الدثار، و فيكم محياى و عندكم مماتى. و كان يقول: اختار الله لنبيه مكة، فاختار رسول الله عليه السلام لهجرته المدينة [٢٦٤]. و كان يقول على منبر البصرة: يا أهل البصرة! يا أهل الحيرة. يا أهل تدمر. يا أهل المؤتفكة اثتفكت بأهلها ثلاث مرات و على الله تمام الرابعة. يا جند المرأة، يا أنصار البهيمه. رغا فأجبتهم و عقر فانهزمتهم. أخلاقكم رفاق و عهدكم نفاق و ماؤكم زعاق. و قد لعنكم الله و رسوله. فالمقيم بذنب و الخارج عنها بنجاة [٢٦٥].

قال على بن هشام: فإن أهل الكوفة قتلوا على بن أبى طالب رضى الله عنه.

قتله ابن ملجم و كان نازلًا فى دار الأشعث و تزوج قطام التميمية.

فقال أحمد بن يوسف: احتججت على نفسك. إن كان من أهل الكوفة، فكيف ينزل دار الأشعث و يترك دار قومه؟ إنما هو رجل من مصر ممن كان مع محمد بن أبى بكر رحمه الله. فلما قتله عمرو بن العاص و مضى جنده إلى على رضى الله عنه كان ابن ملجم فيهم.

قال عمرو بن الحارث: فإن أهل الكوفة قد قتلوا الحسين عليه السلام. و قد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥٣

قتلوا زيد بن على و يحيى بن زيد عليهما السلام و غروهما و خذلوهما.

قال العباسى: قد علم الناس أنه ليس فى الأرض بلد أجمع أهله على حب بنى هاشم إلا الكوفة. و ما قتل أحد من بنى هاشم فى شرق و لا غرب إلا و حوله قتلى من أهل الكوفة تختلط دماؤهم بدمه. فأما الحسين عليه السلام فإنه كتب إلى أشرافكم. فأما منذر بن الجارود فإنه أخذ الرسول و هو عبد الله بن يقظن [٢٦٦] الليثى فدفعه إلى ابن زياد فقتله، و ذلك أن أنبته بحربة كانت عند ابن زياد. و كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان. و ما أكرم الله رجلا أن يسفك دمه [١٧ أ] معه فيكون فى ذلك شرف الدنيا و الآخرة. فهل سمع سامع بمثل أنصار الحسين و هم سبعون رجلا لقوا جبال الحديد حتى قتلوا حوله؟

قال الحجاج بن خيثمة: فإن الله قد أعطى أهل البصرة ما لم يعط أهل الكوفة. إن الماء يغدوا عليهم إذا غدوا إلى ضياعهم فيأخذونه إذا أرادوه. و إن استغنوا عنه حجبوه.

قال أحمد بن يوسف: ما رأيت ذلك عندهم. فلم ينقطع أعناقهم من العطش فلا يشربون حسوتين إلا بالمنجنون [٢٦٧] و الإبل، فإن عطب بعير و انكسرت منجنونه أو أبطأ الموكل بذلك تعطلت السقايات. و إنما يقيم لهم الماء ساعة فى أول النهار و ساعة فى آخره. و ما أحد من أهل البصرة يشرب الماء العذب إلا أن يتصدق به عليه. و متى كثر عليهم الماء خافوا الغرق و ضربوا الفساطيط على المكان الذى يخشونه. و إن قلّ عطشوا حتى يمزجوا الماء بالخل من ملوحته. و إن المريض منهم ليقال له ما تشتهى؟ فيقول: الماء العذب. و هم يسمون ماءنا الماء الحى.

و إذا قدم الغائب و كان طريقه على الماء العذب أخذ منه ليفرقه هدايا على أقاربه و أهله و إخوانه. و ماؤهم صبابه المياه و مفيض الأنهار.

و قال ابن عياش الهمداني لأبى بكر الهذلى يوم فاخره عند أبى العباس

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥٤

السفاح: إنما الكوفة مثل اللهاة من البدن يأتيها الماء ببرده و عذوبته. و البصرة بمنزلة المثانة يأتيها الماء بعد تغييره و فساده.

و كان بالبصرة رجل من أهل الكوفة يقال له أبا المعدل بن غيلان ففاخرهم يوماً فقال: أ لستم تروون أن من بال فى الماء القائم المبال أربعين صباحاً تغير عقله؟ قالوا: بلى. قال: فهو ذا أنتم يشرب أحدكم الماء القائم المبال فيه ثمانين سنة. فكيف تكون عقولكم مثل

عقول أهل الكوفة؟ فما استطاعوا أن يجيبوه.

فقال عمرو بن الحارث [٢٦٨]: فإن [١٧ ب] لأهل البصرة الرطب الذي ليس في الدنيا أكثر ولا ألد منه.

فقال ابن يوسف: أما الكثير ليس بزائده في الطيب. ولو كان الكثير أطيب لكان بعر الإبل أطيب من الجوز. وأما الطيب، فإن أهل العراق اجتمعوا ليله في سمر عند يزيد بن عمر بن هبيرة فقالوا: أي البلدين أطيب تمرا الكوفة أم البصرة؟

فقال خالد بن صفوان: بل تمرنا أطيب وأعذب، ولنا على أهل البصرة فضل العنب الرازقي في طيبه السنابى [٢٦٩] في حلاوته و الخمرى في رفته. فإذا فخر البصرى بالعنب ذكر لهم عنبا يسمونه المترورى، و ما رأيت الحصى قط يباع حتى رأيت هذا العنب يباع.

قال على بن هشام: فإن لأهل البصرة فيلسوفى الإسلام اللذين استخرجا النحو والعروض: أبو الأسود الدؤلى و الخليل بن أحمد.

فقال عمرو بن مسعدة [٢٧٠]: أما العروض فهو وإن كان علما فما يحتاج إليه كثير من الناس، و ليس من علم الأشراف. و أما النحو فإن أبا الأسود احتاج إليه لفساد السنة أهل البصرة. و لم يحتج أصحابنا لفصاحتهم. و لئن كان أبو الأسود

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥٥

تقدم في النحو، إن لأصحابنا الفصاحة في العلم بالقرآن و الإعراب به و المعرفة بوجوه القراءات حتى أكثر القراء بقراءتهم يقرءون. و منا الفقهاء و العلماء و الأدباء و الفصحاء و النجباء و الشجعان و الفرسان المذكورون و الشعراء المعروفون.

قال على بن هشام: فإن أبا عمرو بن العلاء من أنبل الناس و أفصحهم لسانا.

قال ابن يوسف: إن كان الناس يقولون: أبو عمرو الراوية كما يقولون حماد الرواية. فهو مثله إذ كان ديوان الشعر مجموعا في قلبه. و من مثل المفضل في رواية أشعار الشعراء و أشعار القبائل و أيام الجاهلية و أخبارهم؟ و منا خالد بن كلثوم [٢٧١] كان إذا علم شيئا أذاه كما سمعه. [لا كمن] [٢٧٢] كان يروى الخبر لا أصل له و ربما زاد فيه و نقص منه.

قال عمرو بن الحارث [١٨ أ]: فإن لأهل البصرة أبا بكر الهذلى أعلى الناس بالجاهلية و الإسلام.

قال عمرو بن مسعدة: فأين هو من قبيصة بن ذؤيب الأسدى و عبد الملك المعيطى و عبد الله بن عياش الهمدانى و الحجاج بن أرتاة النخعى. و هم كلموه عند السفاح، فما تأتى له الرد عليهم.

و منا الثقة المؤتمن هشام بن محمد بن سائب الكلبى الذى ملأ الآفاق علما، و أبو مخنف لوط بن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي و الهيثم بن عدى.

قال الحجاج: أو ليس دغفل بن حنظلة الشيبانى من أهل البصرة؟

قال ابن يوسف: فإن التجار العذرى [٢٧٣] كوفى بهلال بن الكيس الحميرى و ابن لسان الحمى التيمى و محمد بن السائب الكلبى و هشام بن محمد و المنتوف و الشرقى بن القطامى. و ما منهم أحد إلا كما قال الأول:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥٦

و ما كان بين الخافقين قبيلة يقال اشترؤهم، واحد فتبادله

قال الحجاج: فإن خطباء البصرة أخطب و أبلغ منهم: عبد الله بن الأهمم و صفوان بن الأهمم و خالد بن صفوان و شبيب بن شبه.

قال عمرو: فأين هم من خطباء الكوفة مثل صعصعة بن صوحان و القعقاع بن عمرو الأسدى و مصقلة بن رقبه العبدى و محمد بن المفضل السكونى و ابنه خطباء الرشيد و خطباءك يا أمير المؤمنين.

قال على بن هشام: فإن الشعراء بالبصرة أشعر و أكثر منهم: جرير و الفرزدق و ذو الرمة و يزيد بن الحكم و العجاج و روبة و أبو النجم. فهل لأهل الكوفة مثلهم؟

قال عمرو: أما جرير فإنه أعرابى صاحب عمود و بيت شعر كان يدخل البصرة كما يدخل الكوفة. و كان أكثر دهره باليمامة. و منا

الشماخ بن مزرد و لبيد و العباس بن مرداس و الكميت بن زيد الأسدي و عمرو بن شاس و ضابئ البرجمي و الحطيئة و أبو محجن الثقفي و أبو شمال الأسدي و أبو زيد الطائي و النجاشي الحارثي و أعشى همدان و عمرو بن معدى كرب و عدى بن حاتم و عروة بن زيد الخيل و ابن [١٨ ب] مقبل و القطامي و كعب بن جعيل و الجحاف بن حكيم و غيرهم من الشعراء الموجودين.

قال عمرو بن الحارث: فإن الأسخياء بالبصرة أكثر منهم بالكوفة. منهم:

عبد الرحمن بن أبي بكره و طلحة الطلحات فهل سمعت بمثلهما؟

قال ابن مسعدة: فينا عدى بن حاتم الجواد بن الجواد. و عبد الملك بن بشر بن مروان و محمد بن عمير بن عطار.

قال عمرو بن الحارث: فإنه لم يل [٢٧٤] العراق أحد من أهل الكوفة، و قد وليه غير واحد من أهل البصرة منهم زياد و ابنه و يزيد بن المهلب.

قال ابن مسعدة: هذا الحسن بن سهل معنا في المجلس، و من قبله على بن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥٧

أبي سعيد كلاهما قد ولي العراق. و ثالثهما الفضل بن سهل ولي المشرق و المغرب و دعى له على أكثر منابر الأرض في ولاية واحدة. فهل لأهل البصرة مثله؟

قال الحجاج: فمن أهل البصرة كتاب أمر العراق منهم صالح بن عبد الرحمن و هو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية و هو كاتب الحجاج بن يوسف. و منهم المغيرة بن أبي قرة كاتب المهلب. و شيبه بن أيمن كاتب يوسف بن عمر. و قحذم مولى أبي بكر كاتب يوسف. و هارون بن ياسين كاتب خالد بن عبد الله القسري. و جبلة بن عبد الرحمن و القاسم بن سلم و عبد ربه بن أبي أيوب و ابن أبي عبيدة و عمير بن أبي معن و المغيرة بن عطية و أخوه سعيد بن عطية.

قال العباس: أما صالح بن عبد الرحمن فهو مولى امرأة من أهل الكوفة من بني تميم. و لكن منّا زياد بن عبد الرحمن كاتب الحجاج. و سعد كاتب خالد.

و عون كاتب خالد. و يونس بن مروة كاتب يوسف بن عمر. و عبد الجبار بن مغيث. و الهيثم بن مسلم كاتب عيسى بن موسى. و حماد بن موسى كاتب محمد بن سليمان. و كتاب الخلفاء منا، لم يكتب لهم قط أحد من أهل البصرة. منهم يحيى بن زياد بن عبد الرحمن استكتبه المنصور و ضمه إلى جعفر ابنه. و عمرو بن كليح و إبراهيم و محمد ابنا حبيش. هؤلاء كتاب المنصور. و كتاب المهدي [١٩] أ[على بن يقطين و عمرو بن بزيع. و كتاب الرشيد: يحيى بن سليمان و منصور بن زياد و مجاشع بن مسعدة و يوسف بن القاسم. ثم هؤلاء كتاب أمير المؤمنين [٢٧٥]:

الحسن بن سهل على الخراج، و عمرو بن مسعدة على الرسائل، و أحمد بن يوسف على الديوان بالجبل و خراسان، و محمد بن عمران على ديوان البريد بالآفاق.

و ثابت بن يحيى منّا و إن كان قد نشأ بالرّي.

قال على بن هشام: إن أبا عبيدة زعم أن عليا عليه السلام قال على منبر الكوفة فقال: إنكم ترعمون أن دابة الأرض [٢٧٦] إن كنتم كاذبين فلا أمتكم الله

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥٨

حتى يخرج من أصلابكم نساء زواني.

قال ابن يوسف: كان على عليه السلام اتقى الله و أرحم بعباده و أفقه في دينه من أن يقول هذا لقوم مسلمين. و أما الفجور فمعاذ الله أن يرمى به المسلمات.

و لكن قد علم الله أن النهاريات و الليليات لا يعرفن في شيء من البلدان إلّا بالبصرة. و ليس بالبصرة شريف إلّا و قد بنى في داره

دكانا تركب منه امرأته. و ما بالبصرة امرأة جليئة إلا و لها حريف من المكاريين يخرجها إلى الأعياد و المواسم و قدوم الولاة. و كل حدث يكون.

و ما يحل للمسلمين أن يقدموا رجلا من أهل البصرة يصلى بهم حتى يحبس كما تحبس الإبل الجلالة سبعة أيام لأن غداءه السماء. فضحك المأمون.

فقال علي بن هشام: أنت بالفحش أحذق و به أرفق. و لكن بالبصرة أربعة بيوتات من بيوتات العرب ليس بالكوفة مثلها بيت: بيت بنى الجارود، و ليس فى عبد القيس بالكوفة مثلهم. و بيت بنى المهلب و ليس فى أزد الكوفة مثلهم. و بيت بنى مسمع ليس فى بكر الكوفة مثلهم.

قال عمرو بن مسعدة: أما بيت بنى المهلب فإن النجاشى قال: و كنت كذى رجلين: رجل صحيحه و رجل بها ريب من الحدثان فأما التى صحت فأزد شئوه و أما التى شلت فأزد عمان [١٩ ب] و بالكوفة بيت بنى مخنف بن سليم بن مزيقياء بن ماء السماء. ليس فى أزد البصرة مثله. و لهم بعد ذلك من البيوتات الشريفة ما لا يحد و لا يوصف.

فمنهم بيت النعمان بن مقرن صاحب رسول الله (صلى الله عليه و سلم).

و قال النبى عليه السلام: آل مقرن من بيوتات الجنة.

و منهم حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله (صلى الله عليه و سلم). و منهم فرسان العرب الذين أدركوا الجاهلية و الإسلام: عمرو بن معدى: كرب و قيس بن مكشوح و عروة بن زيد الخيل و العباس بن مرداس و طليحة الأسدى و الأشتر بن الحارث النخعى و مصقلة بن هبيرة و إبراهيم بن الأشتر و أبو بردة بن أبى موسى.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٥٩

فنحن فىنا بيوتات العرب و أشراف الجاهلية و فرسان الإسلام. خير الأقاليم إقليمنا و خير الإقليم بلدنا و خير الأنهار نهرنا و خير الصحابة فقهاؤنا. و منهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه و ابن مسعود و عمار بن ياسر و حذيفة اليمان، و سلمان منا.

و مسجدنا المسجد الرابع فى الفضل. مسجد كان من على و سعد عامرا برهه، و من عمار و الرجال المهاجرين إلى الله من الأولين و الآن. و فيه يقول السيد بن محمد الحميرى:

لعمر ك ما من مسجد بعد مسجد بمكة طهرا أو مصلى بيثرب

لشرق و لا غرب علمنا مكانه من الأرض معمور و لا متجنب

بأبين فضلا من مصلى مبارك بكوفان رحب ذى أواسى و مخصب

مصلى به نوح تأثل و ابتنى به ذات حيزوم و صدر محتب

و فار به التور ماء و عندهاله قيل قم يا نوح فى الفلك و اركب

و باب أمير المؤمنين الذى به ممر أمير المؤمنين المهذب

[٢٠ أ] و ليس فىنا قدرى و لا خارجى.

فقال المأمون للبصريين: قد نظرت فى أمركم و سمعت قولكم و فهمت احتجاجكم، فما لمتكم فى جدال و لا مدافعة. و لكنى رأيت مثلكم فى مفاخرة أهل.

الكوفة كقول القائل:

يا حار قد كنت فى عز و مكرمة لو أن مسعا من جاريته أمم

ثم دعا المأمون صاحب بيت حكمته فقال: اجعل هذا الكتاب فى خواص كتبنا. ثم قال على بن صالح للقوم انهضوا. فنهضوا و انقضى المجلس و الحمد لله رب العالمين

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦٠

القول فى واسط

و إنما ذكرنا واسط فى هذا الموضوع لأنها توسطت المصرين أعنى البصرة و الكوفة و لذلك سميت واسط. و قال يحيى بن مهدي بن كلال: بنى الحجاج بن يوسف [واسط] فى سنتين و كان فراغه منها فى سنة ست و ثمانين. و هى السنة التى مات فيها عبد الملك بن مروان.

و يروى أن ابن عمر بن عبد العزيز قال: إن الحجاج إنما بنى واسط إضراراً بالمصرين يعنى الكوفة و البصرة. و قد أردت أن أهدم مسجدها و أخرجها و أردت كل قوم إلى وطنهم. فقال له أبو منبه: يا أمير المؤمنين! إن جل قومها فيها ولدوا و بها نشأوا، لا يعرفون غيرها، و مسجد جماعة قد قرأ فيه القرآن. فسكت.

و ذكر بعض أهل الكوفة قال: سألت حازماً أبا عبد الله الضبى أن يشهد على دار اشتريتها بواسط فقال: لا أشهد على شىء بيع بواسط. قلت: و لم ذاك؟ قال:

لأن الحجاج غضب عليها.

و ذكرت واسط عند أبى سفيان الحميرى و قيل ليس بها فاكهة. فقال: لأنها مشؤومة بناها رجل مشؤوم.

و قال أبو سفيان الحميرى: ولى الحجاج العراق عشرين سنة، قدمها سنة خمس و سبعين و مات سنة خمس و تسعين فى شهر رمضان ليلة سبع و عشرين.

و كانت ولايته فى [٢٠ ب] أيام عبد الملك أحد عشر سنة، و فى أيام الوليد بن عبد الملك تسع سنين.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦١

و كان قد ولى الحجاز ثلاث سنين و له ثلاثون سنة، ثم ولى العراق فمات و له ثلاث و خمسون سنة. و دفن بواسط على النيل. و هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن عمرو بن مسعود بن عامر بن معتب. و افتتح السند و الهند بخراسان و سجستان، و ولى الحجاز مكة و المدينة، و حج بالناس فى حصار ابن الزبير سنة اثنين و سبعين. و قتل ابن الزبير فى جمادى الآخرة و هو أول من ابتنى مدينة ألاً و هى واسط، و أول من اتخذ المحامل و ضرب الدراهم و كتب عليها قل هو الله أحد. و قال حميد الأرقط:

أخزى الإله عاجلاً و آجلاً أول عبد عمل المحاملاً

عبد ثقيف ذاك أولاً فأولاً

و هو أول من ضرب له الخيس، و أول من أطعم على ألف خوان على كل خوان عشرة رجال و جنب شوى و ثريدة و سمكة و برنية عسل و برنية لبن. و كان يقول لمن يحضر غداه و عشاءه: رسولى إليكم الشمس، فإذا طلعت فاغدوا إلى غدائكم و إذا غربت فروحوا إلى عشائكم.

و أول من أجاز بألف ألف درهم للجحاف بن حكيم. و ولى العراق بعد بشر بن هارون. و قدم الكوفة و عليه قباء هروى أصفر متقلدا سيفه متنكبا قوساً معتما بعمامة خز حمراء لا ترى إلّا عيناه. و لم يسلم عليه من أصحاب ابن الأشعث إلّا الشعبى و الغصبا بن يزيد [٢٧٧].

و قال بعضهم: صليت خلف الحجاج بالكوفة يوم جمعة فعددت الناس خلفه فكانوا ستين نفساً.

قال: و قدم الحجاج العراق سنة خمس و سبعين و وليه عشرين سنة. و بنى واسط فى سنتين و فرغ سنة ست و ثمانين و هى السنة التى مات [٢١ أ] فيها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦٢

عبد الملك. و لما فرغ كتب إلى عبد الملك: إنى اتخذت مدينة فى كرش الأرض بين الجبل و المصرين و سميتها واسط، فلذلك سمي أهل واسط الكرشين.

و قال الأصمعى: وجه الحجاج الأطباء ليرتادوا له موضعا. فذهبوا يطلبون ما بين عين التمر إلى البحر و جوار العراق. و رجعوا إليه و قالوا: ما أصبنا مكانا أوفق من موضعك هذا فى خفوف الريح و أنف البرية.

و كان الحجاج قبل اتخاذه واسط أراد نزول الصين من كسكر و حفر بها نهر الصين و جمع له الفعله ثم بدا له، فعمر واسط و نزلها و احتفر النيل و الزابى و سماه زابيا لأخذه من الزابى القديم. و أحيا ما على هذين النهرين من الأرضين، و أحدث المدينة التى تعرف بالنيل و مَصْرَهَا، و عمد إلى ضياع كان عبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبى سفيان استخرجها لنفسه أيام ولايته على خراج الكوفة مع المغيرة بن شعبه من موات مرفوض من مغايض و آجام، فضرب عليها المسنات ثم قلع قصبها و دخلها فحازه الحجاج لعبد الملك بن مروان.

و قال الوضاح بن عطاء: لقد رأيت المقصورة بواسط و إنه ليغشاها أربعون رجلا شريفا من آل أسلم بن زرع الكلابى.

و حدث على بن حرب الموصلى عن أبى البخترى وهب بن عمرو بن كعب بن الحارث الحارثى قال سمعت خالى يحيى بن الموفق يحدث عن مسعدة بن صدقة العبدى قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن عن سماك بن حرب قال: استعملنى الحجاج بن يوسف على ناحية بادوريا. فبينما أنا يوما على شاطئ دجلة و معى صاحب لى إذا أنا برجل على فرس من الجانب الآخر، فصاح باسمى و اسم أبى. فقلت: ما تشاء [٢١ ب]؟ فقال الويل لأهل مدينة تبنى هاهنا. ليقتلن فيها ظلما سبعون [ألفا] [٢٧٨]. كرر ذلك ثلاث مرات ثم أقحم فرسه فى دجلة حتى غاب فى الماء. فلم أره. فلما كان قابل ساقنى القضاء إلى ذلك الموضع فإذا أنا برجل على فرس، فصاح كما صاح فى المرة الأولى، و قال كما قال و زاد: سيقتل

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦٣

فيما حولها ما يستقل الحصى لعدددهم. ثم أقحم فرسه فى الماء حتى غاب.

قال بعضهم: فكانوا يرون أنها واسط و ما قتل فيها الحجاج من الناس.

و يقال إنه أحصى فى حظيرة الحجاج بن يوسف ثلاثة و ثلاثون ألف إنسان لم يحبسوا فى دم و لا تبعه و لا دين. و أحصى من قتله صبورا فكانوا مائة و عشرين ألف إنسان.

و قال الحسن بن صالح بن حبي: أول مسجد بنى بالسواد، مسجد المدائن بناه سعد و أصحابه، ثم وسع بعد و أحكم بناؤه. و جرى ذلك على يدى حذيفة بن اليمان بالمدائن. مات حذيفة سنة ست و ثلاثين. ثم بنى مسجد الكوفة ثم مسجد الأنبار. و أحدث الحجاج مدينة واسط فى سنة ثلاث و ثمانين أو سنة أربع، و بنى مسجدها و قصرها و القبة الخضراء. و كانت أرض قصب فسميت واسط القصب.

و لما فرغ من بنائها كتب إلى عبد الملك: اتخذت مدينة فى كرش الأرض بين الجبل و المصرين و سميتها واسط. فلذلك سمي أهل واسط الكرشيين.

و نقل الحجاج إلى قصره و المسجد الجامع أبوابا من زندرود و الدوقرة و دير ماسرجيس و سرايط. فضج أهل هذه المدن و قالوا قد غصبتنا على مدننا و أموالنا، فلم يلتفت إلى قولهم. و حفر خالد بن عبد الله القسرى المبارك [٢٧٩].

قال و أنفق الحجاج على بناء قصره و المسجد الجامع و الخندقين و السور و القصر ثلاثة و أربعين ألف درهم. فقال له كاتبه صالح بن

عبد الرحمن: هذه نفقة كثيرة و إن حسبها لك [٢٢ أ] أمير المؤمنين وجد في نفسه. قال فما تصنع؟ قال الحروب لها أحمل. فاحتسب منها في الحروب بأربعة و ثلاثين ألف ألف درهم.

و احتسب في البناء تسعة ألف ألف درهم.

و لما فرغ الحجاج من حروبه استوطن الكوفة فأبغضه أهلها و أبغضهم، فقال لرجل من حرسه: امض فابتغ لي موضعا في كرش من الأرض أبني فيه مدينه، و ليكن ذلك على نهر جار. فأقبل يلتمس ذلك حتى صار إلى قرية فوق واسط بيسير

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦٤

يقال لها واسط القصب فبات بها و استطاب ليلها و استعذب أنهارها و استمرأ طعامها و شرابها فقال: كم بين هذا الموضع و الكوفة؟ فقيل: أربعون فرسخا. فقال: كم منها إلى المدائن؟ قال: أربعون. قال: فكم إلى الأهواز؟ قال: أربعون. فقال:

هذا موضع متوسط. و كتب إلى الحجاج بالخبر و يمدح له الموضع. فكتب إليه:

اشتر لي فيه موضعا أبني به مدينه. و كان موضع واسط لرجل من الدهاقين يقال له داوردان. فساومه بالموضع فقال له الدهقان: ما يصلح للأمير؟ قال: و لم؟ قال أخبرك عنه بثلاث خصال، تخبره بها ثم الأمر إليه. قال: و ما هي؟ قال: بلاد سبخة و البناء لا يثبت فيها، و هي شديدة الحر و السموم، و إن الطائر ليطير في الجو فيسقط لشدة الحر ميتا، و هي بلاد أعمار أهلها قليلة. فكتب بذلك إلى الحجاج فكتب إليه: هذا رجل يكره مجاورتنا فأعلمه أنا سنحفر بها الأنهار، و نكثر فيها من البناء و الغرس و الزرع حتى تغدوا و تطيب. و أما ما ذكر أنها سبخة و أن البناء لا يثبت فيها فسنحكمه ثم نرحل عنه فيصير لغيرنا. و أما قلبه أعمار أهلها فهذا شيء إلى الله عز و جل لا إلينا. و أعلمه أنا نحسن مجاورته و نقضى زمامه بإحساننا إليه.

قال: فابتاع الموضع من الدهقان و ابتدأ في البناء سنة ثلاث و ثمانين و استتمه في سنة ست و ثمانين و مات في سنة خمس و تسعين. و لما فرغ منه و سكنه أعجب به إعجابا شديدا. فينا هو ذات يوم في مجلسه [٢٢ ب] إذ أتاه بعض خدمه فقال له: إن فلانة - جارية من جواريه، كان مائلا إليها - أصابها لمم [٢٨٠]. فغمه ذلك و وجه إلى الكوفة في إشخاص عبد الله بن هلال [٢٨١] الذي كان يقال له صديق إبليس. فلما قدم عليه عزفه الخبر فقال له أنا أحل [السحر] عنها. قال: افعل. فلما زال ما كان بها. قال له الحجاج: ويحك إني

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦٥

أخاف أن يكون هذا القصر محتضرا [٢٨٢]. قال: أنا أصنع فيه شيئا فلا ترى فيه أمرا تكرهه. فلما كان بعد ثلثه، جاء عبد الله بن هلال يخطر بين الصفيين و في يده قلعة مختومة. فقال: أيها الأمير تأمر بالقصر أن يمسح ثم تدفن هذه القلعة في وسطه فلا ترى فيه شيئا فيما يكره. فقال له الحجاج: يا ابن هلال! و ما العلامة في هذه القلعة؟

قال: أن يأمر الأمير برجل بعد آخر من أشد أصحابه حتى يأتي على عشرة منهم فيستقلوا بها من الأرض [٢٨٣] فإنهم لا يقدرين على ذلك. فأمر الحجاج بذلك ففعل، فكان كما قال ابن هلال. و كان بين يدي الحجاج مخصرة خيزران فوضعها في عروة القلعة ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم. إن ربكم الذي خلق السماوات و الأرض. ثم شال القلعة فارتفعت على المخصرة، فوضعها ثم فكر منكسا رأسه ساعة. ثم التفت إلى عبد الله بن هلال فقال: خذ قلعتك و الحق بأهلك. قال: و لم؟

قال: إن هذا القصر سيخرب بعدى و ينزله قوم و يحتفر محتفر يوما فيجد هذه القلعة فيقول: لعن الله الحجاج إنما كان بدء أمره السحر. قال: فأخذها و لحق بأهله.

قال: و كان ذرع القصر أربعمائة ذراع في مثلها. و ذرع المسجد الجامع مائتين في مائتين. و وصف الرحبة التي تلي صف الحدادين ثلاثمائة في ثلاثمائة.

و ذرع الرحبة التي تلي الخرازين و الحوض ثلاثمائة في مائة ذراع. و الرحبة التي تلي المضممار مائتين في مائة. قال: و الأبواب كانت على مدينه قديمة أعجمية يقال لها الدوقرة. و قد قيل عليها و على غيرها فقلعت و حملت إلى واسط.

وقال محمد بن خالد: كان محمد بن [٢٣ أ] القاسم الثقفي أيام كان يتقلد الهند و السند قد أهدى إلى الحجاج فيلا فحمل من البطائح في سفينة، فلما صار إلى واسط أخرج في المشرعة التي تدعى مشرعة الفيل فسميت به إلى الساعة [٢٨٤].

ولما استوطن الحجاج واسط نفى النبط عنها و قال: لا يساكنني أحد منهم فإنهم مفسدة. و كان في طباخيه رجل منهم و كان يطبخ لونا يعجب الحجاج. فلما

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦٦

أمر بإخراج النبط فقد ذلك اللون فسأل عنه فقيل إن طباخيه نبطي. فلهي عنه مدة ثم قال: اشتروا لي غلاما و مروه أن يعلمه ذلك اللون. ففعلوا فلم يحكمه الغلام.

فقال: ادخلوا هذا النبطي نهارا و أخرجوه ليلا. قال: فكان يأتي في كل يوم بقدره و مغرفته فيطبخ ذلك اللون ثم ينصرف.

قال و كتب إلى الحكم بن ثوبان عامله على البصرة: أما بعد. فإذا نظرت في كتابي هذا فأجل من قبلك من الأنباط و ألحقهم بسوادهم فإنهم مفسدة الدين و الدنيا.

فكتب إليه الحكم: أما بعد. فقد أخليت من في عملي من الأنباط إلما من قرأ منهم القرآن و فقه في الدين و علم الفرائض و السنن.

فكتب إليه الحجاج: فهمت ما كتبت به فإذا نظرت في كتابي هذا فاجمع من قبلك من الأطباء فليفتشوا عروقك عرقا عرقا، فإن وجدوا فيك عرقا نبطيا قطعه. و السلام.

و يروى عن مكحول أنه قال: لما أخرج بخت نصر السواد كان أشدها بكاء كسكر. فأوحى الله إليها أني محدث فيك مسجدا يصلي فيه. قال مكحول: فكنا نرى أنه مسجد واسط.

و كان بعضهم يقول: كان الحجاج أحق، بنى مدينه في بادية النبط و حماهم دخولها، فلما مات دخلوها من قرب.

و قال المري ذكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفي [٢٨٥] بسوء فغضب و قال:

إنما تذكرون المساوي، أ و ما علمتم أنه أول من ضرب درهما عليه لا إله إلا الله.

و أول من بنى مدينه في الإسلام، و أول من اتخذ [٢٣ ب] المحامل. و ان امرأة من المسلمين سببت بالهند فنادت يا حجاجاه! فلما

اتصل به ذلك أقبل يقول: يا لبيك! و أنفق سبعة ألف ألف حتى افتتح الهند، و أخذ المرأة و أحسن إليها غاية الإحسان.

و اتخذ المناظر بينه و بين قزوين، فكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر - إن كان نهارا - و إن كان ليلا أشعلوا النيران فتجرد الخيل إليهم. فكانت المناظر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦٧

متصلة بين قزوين و واسط. و كانت قزوين ثغراً في ذلك الوقت.

و أنشد لحميد الأرقط في واسط يهجوها [٢٨٦].

الله أسقاك من الفرات النيل ينقض من الصراة

و أحدث يعلو المسنّيات نضرب غرسه بواسقات

سيق إلى المدينه مسفات دايه الريف من الغداة

بعيدة الأهل من الآفات طمت عليّ بقصص البغاء

يهدى إليها الرزق من شتات من البحور و من الفلاة

و قال حمدان بن السخت الجرجاني: حضرت الحسين بن عمر الرستمي [٢٨٧] و كان من أكابر قواد المأمون و قد سئل الموبذ بخراسان

و نحن في دار ذى الرياستين عن النوروز و المهرجان و كيف جعلنا عيدا و كيف سميا، فقال الموبذ: نعم أنبيك عنهما. إن واسط

كانت تجرى على سننها في ناحية بطن جوخي، فانبثقت في أيام بهرام جور و زالت عن مجراها إلى المذار، و صارت تجرى إلى

جانب واسط منصبة. ففرقت القرى و العمارات التي كانت موضع البطائح و كانت متصله بالبادية- و لم تكن البصرة و لا ما حولها إلا الأبله فإنها من بناء ذى القرنين، و كان موضع البصرة قرى عادية مخسوف بها لا ينزلها أحد و لا يجرى بها نهر إلا دجلة الأبله- فأصاب أهل القرى و المدن التي كانت فى موضع البطائح- و هم بشر كثير- و باء فخرجوا هاربين على وجوههم و تبعهم أهاليهم بالأغذية و الصلاحيات، فأصابوهم موتى، فرجعوا [٢٤ أ] فلما كان فى أول يوم من فروردين ماه من شهور الفرس أمطر الله عز و جل عليهم مطرا فأحياهم فرجعوا إلى أهاليهم. فقال ملك ذلك الزمان: هذا نوروز، و معناه يوم جديد. فسمى به. و قال الملك: هذا يوم مبارك فإن جاء الله فيه بمطر و إنما فليصب بعضكم الماء على بعض و تبركوا به. و صيروه عيدا، فبلغ المأمون هذا القول فقال إنه لموجود فى كتاب الله عز و جل بقوله

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦٨

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ و قال ابن عباس فى قول الله جل و عز أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ... قال: كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها. فهلك من أقام فى القرية و سلم الآخرون. فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين. فقال من بقى و لم يمت فى القرية: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا. لو صنعنا كما صنعوا سلمنا، و لئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن. فوقع الطاعون بها قابل. فهربوا و هم بضعة و ثلاثون ألفا حتى نزلوا ذلك المكان و هو وادى فيح، فناداهم ملك من أسفل الوادى و آخر من معلاه أن موتوا، فماتوا، فأحياهم الله لحزقيل فى ثيابهم التي ماتوا فيها. فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى، حتى ماتوا بأجالهم التي كتبت لهم.

قال الهيثم بن عدى: سألت عبد الله بن هلال صديق إبليس عن اسم عامر واسط، فقال: زوبعة.

قلت: فما حدثك عن الحجاج؟

قال: لقد كان كافرا بالله و ما رأيته يصلى قط خاليا. و ما رأيت أحدا كان أجبن منه، لقد تراءيت له ذات يوم فبلغ من جنبه أنه عجن الطين بماء القرآن و طين به خضراء واسط [٢٨٨].

قلت: فأخبرنى عن خالد بن عبد الله القسرى.

قال: أشجع الناس. و لقد كان به النقرس، فلو أن ذبابة سقطت [٢٤ ب] على رجله لصاح منها. و كان له عمود حديد لا يفارقه، فترأيت له يوما فلم يقدر على القيام و نظر إلى و قال يا خبيث! لقد علمت أنى لا أقدر على القيام. و لكن إن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٦٩

كنت رجلا- فادن منى. ثم حذفتى بالعمود حذفة لو أصابتنى لأوهنتنى. ثم ظهرت ليوسف بن عمر- و كان جبانا- فأدخل رأسه فى لحافه و صاح بجارية له يقال لها طائفية: ويلك بادرى إلى، فما جاءته حتى بال فى فراشه و لا أخرج رأسه حتى علم أنها عنده، و ظهرت لابن هبيرة فانتضى سيفه و بادر إلى فاستترت منه، فقال: أما و الله لو تظهر لعلمت أنك لا تروع أحدا بعدى.

و قال بشار بن برد يهجو واسط:

على واسط من ربها ألف لعنة و تسعة آلاف على أهل واسط

أ يلتمس المعروف من أهل واسط و ماوى كلّ عالج و ساقط

نييط و أعلاج و خوز تجمعو اشرار عباد الله من كلّ غائط

و إنى لأرجو أن أنال بستمهم من الله أجرا مثل أجر المرابط

ذكر النبط و ما جاء فيهم [٢٨٩]

قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): لا تبغضوا قريشا، و لا تسبوا العرب، و لا تذلووا الموالى، و لا تساكنا الأنباط فإنهم آفة الدين و

قتله الأنبياء، إذا هم سكنوا الأمصار و شيدوا الدور و نطقوا بالعربية و تعلموا القرآن، استولوا على الناس بالمكر و الخديعة فعندها يبغون الإسلام غوائله.

و يروى أنه كان لأبي هريرة صديق يكرمه. فقال له ذات يوم: إنى قد أحببتك و لست أدري من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل السواد. فقال له أبو هريرة: تنح عني!

فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) يقول: أهل السواد قتل الأنبياء و آفة الدين،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧٠

و أعوان الظلمة فى كل زمان، و أكلة الربا و أصحاب الأهواء.

و يروى أن قوما [٢٥ أ] أتوا أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين! إنا نسكن بأرض السواد فنصيب من مرافقها. فقال لهم على رضى الله عنه: إنكم لتساكنون أهل الغفلة و الحسد و البغى و المكر و الخديعة، الذين ساهمهم فى الإسلام منقوص و حطهم فى الآخرة قليل. سمعت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) يقول: إذا تفقحت الأنباط فى الدين، و نطقت بالعربية و تعلمت القرآن فالهرب الهرب منهم. فإنهم أكلة الربا و معدن الرشا و أهل غش و خديعة لا سهم لهم فى الإسلام.

و يروى أن الشيطان عشق خنزيرة فوثب عليها فأجلبها فولدت ابنا فسمته مشنوء. فلما كثر نسله أتى سليمان فقال له أرنا أولادنا. فقال: أولادكم الأنباط الذين يستنبطون الأرض أصبر الناس على حرّ و برد.

و يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): لا يدخل الجنة نبطى.

و روى عن عكرمة فى قوله «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ» قال: كانوا نبط.

و قال عون بن عبد الله: لو كان إبليس من الإنس لكان نبطيا لأنهم أبذخ قوم إذا أمروا، و أذل شىء إذا قهروا. يغترفون الهوان و يكفون الإحسان.

و يروى عن عمر أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): ثلاثة هم شرار الخلق، الشيطان الرجيم، و إمام يخشى غشمه و ظلمه، و النبطى إذا استعرب.

و كان يقال من أحب أن يكثر عياله و يقل خير بنيه فليتزوج نبطية.

و يروى عن أبى هريرة أنه قال: إن إبليس باض سبع بيضات. ثنتان وقعتا بأرض بابل و ثنتان وقعتا بميسان و ثنتان وقعتا ببلاد الخوز و واحدة وقعت بهمينيا.

ففى الثنتين اللتين وقعتا ببابل ذكر و أنثى. اسم الذكر شقتى و الأنثى بلعث.

و قال نصر بن محمد: اسم الذكر ميسان و اسم الأنثى دلغث. و هما اللتان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧١

بلبلتا الألسن و دعتا إلى الشرك و عبادة [٢٥ ب] الأوثان.

و الثنتان اللتان وقعتا بميسان فذكر و أنثى. اسم الذكر هيماء و الأنثى هيماء.

لهم أذنان منكرة و قلوب قاسية و أكباد غليظة لا يتفقهون. لئام وضعه عتاه فجرة، لا يرقون للضعيف و لا يجلون الكبير و لا يستحيون من القبيح.

و الثنتان اللتان وقعتا بالخوز فذكر و أنثى اسم الذكر أبو مرة و الأنثى شيلث.

نسلهما أشر النسل و أقبحه كلاما و أرداه أخلاقا. و يقال إنه بعث إليهم نبى فذبحوه و أكلوه.

و أما التى وقعت بهمينيا فذكر يقال له أحول. نكح جارية من الإنس فأولدها شيطانا مريدا.

و يروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا تناكحوا الأنباط ولا تسترضعوا فيهم، فإنهم يورثون أولادكم اللؤم النبطي. وقالوا في قول الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً» قال: هم النبط. وقال مقاتل بن سليمان: الأنباط من ولد شناس بن إبليس وإن شناس نكح شاة لآدم عليه السلام يقال لها ورسه فولدت أبناء فسماه نباط.

وقال وهب بن منبه: حبس سليمان عليه السلام نبطيا من أهل دستميسان وقيده. فجاء أهل السجن يشكونه. فدعا به وقال: ويلك! أما يشغلك بما أنت فيه من ضيق المجلس و ثقل الحديد حتى يشكوك الناس؟ فقال: لا أعود يا نبي الله. فقال: زيدوه قيادا و ردوه. ففعلوا ذلك. فعاود أهل السجن يشكونه. فدعا به وقال له مثل قوله الأول. فقال: لا أعود. فقال: زيدوه قيادا آخر و ردوه. ففعلوا. فلم يبق إلا يوما حتى عاد أهل السجن يشكونه. فأحضره وقال له مثل قوله الأول و زاده قيادا. فلم يكفه ذلك. و عادوا فشكوه. فلما شكوه الرابعة، نقله عنهم إلى سجن الجن، فجاء الجن يضحون منه و يشكونه. فدعا به و أمر بضربه فضرب و زاده قيادا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧٢

آخر. فشكوه ثلاثا في كل ذلك يزيدونه [٢٩٠] قيادا. فلما كان في الرابعة قال لهم: ما الذي يصنع بكم حتى ضججتم منه؟ فقالوا: يا نبي الله! أعظم ما نشكو منه السعاية و النميمة. قد تقاتلنا [٢٦] أ على يده. فأخرجه عنهم و دعا بصخر المارد- و كان ينقل الصخر من فارس إلى الشام- فقال له: يا صخر! اكفني مؤونة هذا النبطي و ليكن معك في سلسلة. ففعل ذلك. [٢٩١]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ٢٧٢

ينا سليمان في بعض مواكبه و قد حملته الريح، إذ عارضه صخر في الهواء و النبطي معه في سلسلة، و صخر يستغيث إلى سليمان و يستوقفه. فأمر سليمان الريح فركدت و دعا به فسأله عن شأنه فقال: يا نبي الله! اعفني من هذا النبطي و اقرن معي مائة عفريت في موضعه. قال: و ما الذي يصنع بك؟ قال: يا نبي الله! يدعني حتى إذا حملت الصخرة على رأسي، استقدم في سلسلتى و لفها على صدره ثم جذبني و طرح نفسه على وجهه، فأقع على وجهي و تقع الصخرة على عنقي و ظهري. فأقول له: ما شأنك؟ فيقول: أثرت- و يريد عثرت-. ثم أقوم فأجعلها على رأسي و أقول له: تأخر فكن من ورائي حتى لا تعثر، فيفعل. ثم يقبض على الطوق الذي في عنقه و يستعقد فيطرحني على ظهري و تقع الصخرة على جنبي.

فأقول: ويلك! ما ذا دهاك؟ فيقول: أنت شيطان من الشبوط و نهن لا نلهق بك.

يريد: أنت شيطان من الشيطان و نحن لا نلهق بك. فضحك سليمان ثم قال: قد جعلتك يا نبطي عريفا على الجن النقاله فخذهم بالجد و استعجلهم في الحمل. فمضى لذلك.

فقال له الجن: إن بيننا و بينك رحما ماسه فانظر لنا في ولايتك، قال لهم:

و أي رحم بيننا و أنتم من الجن و أنا من الإنس؟ قالوا: إن هاهنا امتزاجا آخر لا تعرفه. قال: و ما هو؟ قالوا: إنه لما ملك سليمان أخته ملكة دستميسان فسألته أن يوجه معها شيطانين يبيان لها قصرا من وقت طلوع الشمس إلى الظهر. ففعل ذلك و وجه معها شيطانين يقال لأحدهما أكي، فبناها لها إلى قبل الظهر. فلما فرغا منه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧٣

قالا لها: أشغلينا في عمل آخر إلى الليل، فإنا لا نجسر أن نرجع إلى سليمان.

قالت: ما لي [٢٦ ب] عمل، قد فرغتما من عملي الذي أردت. قالوا: فإننا نهدم القصر و نتشاغل بذلك إلى آخر النهار فتحتاجين أن ترجعي إلى سليمان فتعدي عليه المسألة. فلما رأت الجدّ منهما دفعت إلى أحدهما مسحا أسود و قالت: اغسله حتى يبيض. و قالت للآخر: تعال حتى أشغلك في عمل آخر. و استلقت على قفاها و كشفت عن فرجها و قالت: رشّ على هذا الجرح ماء و روّحه حتى يلتحم. و كان الذي فعلت به هذا يسمى أكي. فلما روّحها ساعة و رآه لا يلتحم دعتة نفسه إلى موائعتها. ففعل و أحبلها فولدت الشيصبان و تالي و داقويه. و هم بنو عمك و قرائبك. فلينفعنا هذا عندك.

فقال النبطي: هذه لعمرى رحم ماسه و في دون رعايه و حفاظ، و لن أدع القيام بشأنكم، فما الذي تشكون؟

قالوا: ما نحن فيه من التعب و نقل هذا الصخر من فارس إلى الشام.

قال: أو ليس إنما تنقلونه ذاهبين فتستريحون راجعين؟

قالوا: بلى.

قال: فهذا نصف الطريق. فتركهم و انطلق إلى سليمان فقال: يا نبي الله! أظن أنك قد شغلت هؤلاء الجن الذين ينقلون الصخر و كفتهم عن التولّع بيني آدم؟

قال: نعم.

قال: فاعلم أنهم يرجعون فرغا يعثون بالناس في طريقهم و يؤذونهم.

قال: فما ينبغي أن أصنع بهم؟

قال: تحملهم الصخر من فارس إلى الشام لبناء بيت المقدس، و يحملون من الشام إلى فارس المرمر فيبني لك به ما تريد و تكفهم عن أذى الناس. ففعل بهم ذلك.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧٤

فقالوا للنبطي: ويحك! زدتنا تعباً على تعبنا. و قد رجونا أن تخفف عنا.

قال: أو ليس عملكم إنما هو بالنهار، و بالليل أنتم مستريحون؟

قالوا: بلى.

قال: فإنما تعملون نصف الدهر و نصفه تبطلون. ثم انطلق إلى سليمان فقال: يا نبي الله! اعلم أن هؤلاء الجن الثقاله يعملون نهارهم. فإذا كان الليل عرجوا إلى السماء و استرقوا السمع و أتوا [٢٧ أ] الكهان فخبروهم بذلك و عبثوا بالناس و البهائم.

قال: فما الحل؟

قال: تبنى حول مدينتك هذه أركاناً معلقه على عددهم. فإذا فرغوا من عملهم نهاراً أمرتهم فصعدوا ليلهم إلى هذه الأركان و تأمرهم بالتسيح و التهليل إلى الصباح. فيكون لك ثواب ذلك. و من فقدت صوته منهم عذبتة فإنك تعرف أصواتهم و لا يخفى عليك شيء منها.

ففعل ذلك بهم فشكوا إلى إبليس ما قد حلّ بهم فقال: ليس وراء هذه الشده شيء فتوقعوا الآن الفرج. فلم تمض إلّا أيام يسيرة حتى مات سليمان عليه السلام.

و كان رجل من أهل السواد في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخلف.

بعض عمال عمر على السواد. فأتاه غلام من العرب و هو في قرية تدعى برائثا من بَرّ رخسابور فسأله أن يحمله فأبى، و سأله القرى فالتوى. فلما أكثر عليه قال: يا غلام! أعطه دجاجة. فانصرف الغلام و هو يقول- و كان العامل يكنى أبا جبيرة:

أتيت أبا جبيرة في برائثا فقال الحق بأهلك يا غلام

و هاك دجاجة فتعشّ منها و لا يكثر على لك الكلام

فبلغ خبره عمر، فجعل على أهل السواد قرى الضيف و حمل المنقطع و إرشاد الضال.

و قال ابن عباس: النبطى و الأعرابى لا يقطعان أمرا دون نساتهما.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧٥

و قال المدائنى: أمر بعض ملوك العجم رجلا من حاشيته فقال له: صد شرّ الطير و اشوه بشر الحطب و أطعمه شر الخلق. فصاد رخمه و شواها ببعرة و قدّمها إلى رجل خوزى. فقال له الخوزى: أخطأت. اذهب فصد بومئ و اشوها بدفلى و أطعمها نبطيا ولد زنى. ففعل ذلك و عرفه الملك. فقال: لا يحتاج أن يكون ولد زنى. كفاه أن يكون نبطيا.

و عن سعيد بن المسيب قال: كتب سليمان بن داود عليه السلام كتبا إلى الناس و إلى [٢٧ ب] النسناس و إلى أشباه الناس و إلى أولاد الشياطين. فأما الناس فأهل الصلاح و العلم. و أما النسناس فأهل الأسواق. و أما أشباه الناس فأهل الجهل. و أما أولاد الشياطين فالنبت.

و قال إسماعيل بن عبد الله: قال لى المنصور: صف لى الناس. قلت:

ليسأل أمير المؤمنين عما أحب. قال: ما تقول فى أهل الحجاز؟ قلت: مبدأ الإسلام و بقيه العرب. قال: فأهل العراق؟ قلت: قطر الإسلام و مقاتله الدم. قال:

فأهل الشام؟ قلت: حصن الأمة و أسنة الأئمة. قال: فأهل خراسان؟ قلت: فرسان الهيجاء و أعنة الرجاء. قال: الترك؟ قلت: إخوة السباع و أبناء المغازى. قال:

فأهل الهند؟ قلت: حكماء استغنوا ببلادهم و اكتفوا بما يليهم. قال: فالروم؟ قلت:

أهل كتاب و تدين، نجاهم الله عن القرب و صيرهم إلى البعد قال: فالأنباط؟ قلت: شرار الخلق و عبيد من غلب.

و قال شيبه بن عثمان: ما أحد أنقر عن صغيرة و لا أركب لكبيره من أهل العراق لقربهم من النبت.

و قال إسحاق بن طلحة بن أشعث: بعثنى عمر بن عبد العزيز إلى العراق فقال أقرهم و لا تستقرأهم و علمهم و لا تعلم منهم، و حدثهم و لا تستمع حديثهم.

قلت: و لم ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنهم خالطوا الأنباط ففهم غشهم و مكرهم و خديعتهم.

و لما غلب أردشير على ملك النبط رأى جمالهم و عقولهم. قال: ما أخوفنى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧٦

أن حدث فى حدث أن يعود الملك إلى هؤلاء. ففرض لهم فرضا و بعث متهم ببعوثا و أغزاهم خراسان. فأهل المرو من النبط، ففهم شحهم و غدرهم.

و قال الهيثم بن عدى: إنما سموا نبطا لأنهم استنبطوا المياه و حفروا الأنهار.

فمن ذلك: الصرأة، و نهر سورا، و نهر أبا.

و قد قيل إن الصرأة حفرها أفريدون جشنش و نهر أبا حفر أبا بن المصمغان و نهر الملك حفر أففور شاه بن بلاش، قتله أردشير بن [٢٨ أ] بابكان. و نهر الملك حفره شابور.

و كانت سره الدنيا فى يد النبط، و ذلك أن الفرات و دجلة ينصبان جميعا من الشام فلم يكن أحد ينتفع بهما إلّا النبط. و كان حدّ ملكهم الأنبار إلى عانات إلى كسكر و ما والاها من كور دجلة. و ملك آل ساسان من المدائن إلى نهر بلخ إلى السند إلى الروم إلى حد البادية.

و قال عبد الملك بن الماجشون: قلت لخالى: أخبرنى عن أهل العراق.

قال: أهل العراق على عقولهم جلده رقيقة ما لم تزل عنها فلا بأس بعقولهم. فإذا زالت كسفتهم عن الترك أجمع.

وقال ابن عمر: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): اللهم بارك لنا في مكنتنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: يا رسول الله. وفي (٤) [٢٩٢] قال: هناك الزلازل و من هناك يطلع قرن الشيطان. و لما ملكت النبط الأرض خرجوا إلى الصحراء و معهم العصي يلقونها إلى السماء و يقولون: قد غلبنا أهل الأرض فانزلوا يا أهل السماء حتى نقاتلكم. فبعث الله عليهم أهل ماه في أربعين ألفا فقتلوهم و ملكوا بلادهم مائة عام. و قال ابن عياش: كان آخر ملوك النبط سنحاريب و كان ملكه ثلاثمائة سنة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧٧

و كان بعده بخت نصر. و قال غيره: كان ملكهم ثلاثة آلاف سنة. و كان قبل إبراهيم عليه السلام. و إنما سموا النبط لأنهم أنبطوا الأرض أى احتفروا أنهارها الكبار.

و قال ابن الكلبي: لما هلكت عاد قيل ثمود أرم. ثم هلكت ثمود قيل لبقايا أرم: أرمان. فهم النبط الأرمانيون. و قال بعضهم: لما سلب سليمان عليه السلام ملكه، و ثبت مردة الشياطين على نساء من الإنس فولدن منهم أولادا كثيرة. فلما رد الله عليه ملكه، شكا الناس ذلك النسل إلى سليمان. فأمر الشياطين فعملت له بساطا طويلا- عريضا. ثم أمر بذلك النسل فحملوا على البساط ثم أمر العاصف من الريح فحملهم [٢٨ ب] حتى ألقاهم بميسان.

و قال ابن عباس: لو كان الشيطان إنسيا لكان نبطيا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧٨

القول في مدينة السلام بغداد

إشارة

قال بعض العلماء: بغداد تسمى بغداد و بغدادان [٢٩٣]. قالوا و هى تسمى مدينة السلام أيضا. فأما الزوراء فهى مدينة المنصور خاصة. و سميت مدينة السلام لأن دجلة يقال لها وادى السلام.

و قال موسى بن عبد الحميد النسائي: كنت جالسا عند عبد العزيز بن أبى دؤاد فأتاه رجل فقال: من أين أنت؟ قال من بغداد. قال: لا تقل بغداد. فإن بغ صنم و داد عطاء. و لكن قل مدينة السلام. فإن الله هو السلام و المدائن كلها له.

و قالوا: سميت بغداد لأن كسرى أهدى له خصى من المشرق فأقطعه بغداد.

و كان لقوم ذلك الخصى صنم بالمشرق يقال له البغ. فقال الخصى: بغداد. يعنى ذلك الصنم أعطاه ذلك الموضع.

و يقال إن بغداد كانت سوما يقصدها تجار الصين بتجاراتهم فيربحون الربح الواسع. و كان اسم ملك الصين بغ. فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا: بغ داد، أى ذلك الربح الذى ربحناه أعطانا الملك.

و داد لقطعة بالفارسية و هو الإعطاء.

و قال قوم: سميت مدينة السلام أرادوا أنها مدينة الله. لأن الله هو السلام المؤمن. و قد جرى لها هذا الاسم على ضرب الدنانير و الدراهم و ما تقع به الأثرية فى الكتب و يتبايع به الناس و ما يقع فيها من غلات الطساسيج من الحنطة و الشعير

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٧٩

و ما يسمى به القفيز، فيقال قفيز مدينة السلام.

و اسمها الأول الزوراء، و الزوراء مدينة أبى جعفر. و الناس يسمونها بغداد، و الخلفاء يسمونها مدينة السلام. و مدينة بغداد بناها أبو

جعفر المنصور سنة خمس و أربعين و مائة.

و قال عبيد الله بن إسحاق: بنى أبو جعفر بغداد سنة خمس و أربعين و مائة، و ارتفع بناؤها سنة تسع و أربعين.

و قال إبراهيم بن الجنيد: قطن أبو جعفر بغداد سنة تسع و أربعين و مائة.

و كان أسسها قبل [٢٩ أ] ذلك بسنة أو تنتين. و كانت [٢٩٤] قديمة فمصرها و أخذ في بناء المدينة، فلما بلغه خروج محمد و إبراهيم

ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، ترك البناء و عاد إلى الكوفة و حوّل بيوت الأموال و الخزائن إليها.

فلما انقضى أمر محمد و إبراهيم رجع فاستتم بناءها و بنى سورها القديم سنة سبع و أربعين و مائة. و توفي سنة ثمان و خمسين و مائة.

و قبل ذلك بنى الرصافة في جانب الشرقي للمهدى. و كانت الرصافة تعرف بعسكر المهدي لأنه عسكر به حين شخص إلى الري.

فلما قدم من الري نزل الرصافة، و ذلك في سنة إحدى و خمسين و مائة.

و قد كان المنصور أمر ببناء قصر للمهدى. و هو المعروف بقصر الوضاح في الشرقية. فبنى و نسب إلى الوضاح - و الوضاح رجل من

أهل الأنبار تولّى النفقة عليه فنسب إليه.

و بنى المنصور مسجدي مدينة السلام، و بنى القنطرة الجديدة على الصراة و ابتاع أرض مدينة السلام من أرباب القرى ببادرويا و

قطر بل و نهر بوق و نهر بين و أقطعها إلى أهل بيته و قواده و جنده و صحابته و كتابه، و جعل مجمع الأسواق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨٠

بالكرخ. و أمر التجار فابتنوا الحوانيت و ألزمهم الغلة.

و روى أن رجلا من أهل الحيرة جاء إلى المثنى بن حارثة الشيباني فقال: ألا أدلك على قرية يأتيها تجار من مدائن كسرى و السواد و

يجتمعون بها في كل سنة يوما و معهم من الأحوال مما لا يحد. و هذه أيام سوقهم. فإن أنت أغرت عليهم أصبت فيها مالا يكون غناء

للمسلمين و تقوية على عدوهم.

قال: فأى شيء يقال لهذه القرية؟

قال: بغداد.

قال: و كم بينها و بين المدائن؟

قال: بعض يوم.

قال: و كيف لى بها؟

قال: تأخذ طريق البرّ حتى تنتهى إلى الخنافس، فإن أهل الأنبار سيصيرون إليها و يخبرون عنك فيأمنون. ثم تعرج على أهل الأنبار و

تأخذهم بالأولى و تسير ليلتك من الأنبار حتى تأتيهم صباحا فتغير عليهم و هم غارون.

فخرج من أليس إلى [٢٩ ب] الخنافس ثم عرج حتى رجع إلى الأنبار. فلما أحسّه صاحبها تحصن و هو لا يدري من هو - و ذلك

ليلا - فلما عرفه نزل إليه فأطمعه و خوّفه و استكتمه و قال: إنى أريد أن أغير فابعث معى الأدلاء حتى أغير منها على المدائن. قال: أنا

أجىء معك. قال: لا و لكن ابعث معى من هو أدل منك. فبعث معهم الأدلاء. حتى إذا كانوا بالمنصف قال لهم المثنى: كم بيننا و

بين هذه القرية؟ قالوا: أربعة فراسخ. فقال لأصحابه: من يتتدب للحرس؟ فانتدب له قوم. فقال: اذكوا حرسكم و نزل. فلما كان في آخر

الليل أسرى إليهم و صبّحهم و هم في أسواقهم فوضع فيهم السيف، فقتل و أخذ ما شاء. ثم قال: يا أيها الناس! لا تأخذوا إلّا الذهب و

الفضة و لا - تأخذوا من المتاع إلّا ما يقدر الرجل أن يحمله على دابته. و هرب أهل السوق. و ملأ المسلمون أيديهم من الصفرء و

البيضاء.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨١

ثم سار حتى وافى الأنبار و ذلك في سنة ثلاث عشرة [٢٩٥].

قال [٢٩٦]: و خرج المنصور منحدرًا إلى جرجرايا ليرتاد منزلاً. ثم صار إلى بغداد و منها إلى الموصل. ثم عاد إلى موضع بغداد. فقال: هذا موضع معسكر جيد. هذه دجلة يأتينا كل ما في البحر منها، و تأتينا أيضا فيها الميرة من الجزيرة و أرمينية و ما والاها. و هذا الفرات يحمل فيه متاع الشام و الرقة و ذلك البلد. فنزل و ضرب عسكره على الصراء و اختط المدينة و وكل بكل ربع قائدا. و قال سليمان بن مجالد [٢٩٧]: أفسد أهل الكوفة جند المنصور فخرج نحو الجبل يرتاد منزلاً- و طريق الناس يومئذ على المدائن- فخرجنا على ساباط.

فتخلف بعض أصحابنا لرمد أصابه. فأقام يعالج عينيه. فسأله الطبيب أين يريد أمير المؤمنين قال: يرتاد منزلاً. قال: فأنا نجد في كتاب عندنا أن رجلاً يدعى مقلصاً بينى مدينة بين الصراء و دجلة تدعى الوزراء. فإذا أسسها أتاه فتق من الحجاز فقطع بناءها و أقبل على إصلاح ذلك الفتق فإذا كاد أن يلتئم أتاه فتق آخر من البصرة هو أعظم عليه من الأول [٣٠ أ] فلا يلبث الفتقان أن يلتئما. ثم يعود إلى بناءها فيتمه.

في عمر عمراً طويلاً و يبقى الملك في عقبه. قال: فأخبرت المنصور بذلك. فقال:

اللَّهُ أكبر! و اللّهُ هو. لقد لقت مقلصاً و أنا صبي لخبر كان لي ثم انقطع ذلك اللقب عنى.

و قال ابن عياش [٢٩٨]: لما أراد المنصور الانتقال من الهاشمية، بعث رواداً يرتادون له موضعاً بينى فيه مدينة، و يكون الموضع واسطاً رافقاً بالعامّة و الجند.

فنتعت له موضع قريب من بارماً. و ذكر له عنه غداء و طيب. فخرج إليه بنفسه حتى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨٢

نظر إليه و بات فيه فرآه موضعاً طيباً فقال لجماعة من خاصته منهم سليمان بن مجالد و أبو أيوب الخوزي و عبد الملك بن حميد الكاتب: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: هو موضع طيب موافق صالح. قال: صدقتم هو كذلك. و لكنه لا يحتمل الجند و الناس. و إنما أريد موضعاً ترتفق به الرعية و يوافقها و لا تغلو عليها فيه الأسعار و لا تشتد فيه المؤونة. فإنى إن أقيمت في موضع لا يجلب إليه في البرّ و البحر، غلت الأسعار و قلت المادة و اشتدت المؤونة و شق ذلك على الناس. و قد مررت في طريقى بموضع قد اجتمعت فيه هذه الخصال. فأنا راجع إليه و باث فيه. فإن اجتمع لى ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما أريده لى و للناس.

قال: فأتى موضع بغداد و عبر في موضع قصر السلام ثم صلّى العصر و ذلك في صيف و حر شديد، قال: و كان في ذلك المكان بعة. فبات أطيب مبيت و أقام يومه. فلم ير إلّا خيراً فقال هذا موضع صالح للبناء. فإن المادة تأتيه من الفرات و دجلة و جماعة الأنهار، و لا يحمل الجند و الرعية إلّا مثله. فخط المدينة و قدر البناء و وضع أول لبنه بيده و قال: بسم الله و الحمد لله و الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين. ثم قال: ابنوا على بركة الله.

و ذكر سليمان بن مجالد [٢٩٩] أن المنصور لما قدم القائد الذى بعث به يرتاد منزلاً- و كان من ثقاته- انصرف [٣٠ ب] راجعاً حتى نزل عند الدير الذى بحذاء القصر المعروف بالخالد. ثم دعا صاحب الدير و أمره بإحضار البطريق- و كان هناك بطريق مقيم و صاحب بغداد و صاحب المخرم و صاحب دير القس و صاحب العتيقة و هؤلاء تناء بالناحية لكل واحد منهم ضياع حول بغداد- فلما حضروا عنده سألهم عن مواضعهم و كيف هى فى الحرّ و البرد و الأمطار. فكل واحد منهم قال قولاً يقدر ما عنده. ثم إنه وجّه رجلاً من ثقاته. فبات كل واحد منهم فى قرية من القرى القريبة من بغداد، فلما عادوا إليه اتفق قولهم على طيب الموضع و صحه هوائه. فقال لصاحب بغداد و هو الدهقان الذى قرينه قائمه إلى اليوم فى المربعه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨٣

المعروفة بأبى العباس الفضل بن سليمان الطوسى و داره قائمه على بنائها- و كان عاقلاً فهماً- ما رأى عندك فيما قد عملت عليه من البناء فى أحد هذه المواضع؟

فقال: يا أمير المؤمنين! سألتني عن هذه الأمكنة و طبيها، و هي كلها طيبة و الاختيار إليك فيها.

فقال له المنصور: دع اختياري و أخبرني عما عندك في مكان منها.

فقال: الذي أراه يا أمير المؤمنين أن تنزل في نفس بغداد. فإنك بين أربعة طساسيج. منها طسوجان في الجانب الغربي، و طسوجان في الجانب الشرقي.

فاللذان في الغربي فهما قطربل و بادرويا. و أما اللذان في الشرقي فهما نهر بوق و كلواذي. فإن خرب منها طسوج أو تأخرت عمارته، كان الآخر عامرا. و أنت يا أمير المؤمنين على الصراة و دجلة. تجيئك الميرة من المغرب في الفرات و من الشام و مصر و سائر تلك البلدان. و تحمل إليك طرائف الهند و الصين و السند و البصرة و واسط في دجلة. و تجيئك ميرة أرمينية و آذربيجان و ما يتصل بها في تامرا. و تجيئك الميرة من الروم و آمد و ميافارقين و أرزن و الثغور الخزرية و من الجزيرة و الموصل و بلد و نصيبين إلى مشارق الشام في دجلة، و أنت بين الأنهار لا يصل [٣١ أ] إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة. فإذا قطعت الجسر و أخربت القنطرة لم يصل إليك. و أنت بين دجلة و الفرات لا- يجيئك أحد من المشرق و المغرب إلا احتاج إلى العبور، و أنت متوسط للبصرة و الكوفة و واسط و السواد.

و أنت قريب من البرّ و البحر و الجبل.

فازداد المنصور رغبة في الموضع و أمر بالبناء فيه.

و قال له ذلك الدهقان: نعم يا أمير المؤمنين، و هاهنا شيء آخر. قال: و ما هو؟ قال: إن المدن تحصن بالاسوار و الخنادق. و قد رزقك الله سوقا و خندقا لم يعمل مثلهما لسائر مدن الشرق و الغرب. قال: و ما هما؟ قال: دجلة و الصراة يكتنفان مدينتك من جانبيها. فقال: صدقت يا دهقان.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨٤

قال سليمان بن مجالد [٣٠٠]: و وجه المنصور في حشر الصنّاع و الفعلة من الشام و الموصل و الجبل و الكوفة و واسط و البصرة، فأحضروا. و أمر باختيار قوم من أهل الفضل و العدالة و الفقه و الأمانة و المعرفة بالهندسة. فجمعهم و تقدم إليهم أن يشرفوا على البناء و كان فيمن أحضر الحجاج بن أرتاة و أبا حنيفة. ثم أمر بخط المدينة و حضر الأساسات و ضرب اللبن و طبخ الآجر، فبدئ بذلك. و كان أول ابتدائه في عملها سنة خمس و أربعين و مائة.

و كان المنصور [٣٠١] أراد أبا حنيفة أن يتولى له شيئا من أمرها فأبى. و أراد على القضاء فأبى أيضا. فحلف المنصور أن لا بدّ له من أن يتولاه فحلف أبو حنيفة أن لا- يفعل. فولّاه عدّ اللبن و أخذ الرجال بالعمل. و إنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه. فكان أبو حنيفة يتولى ذلك حتى فرغ من استتمام الحائط الذي يلي الخندق. و كان الفراغ منه سنة تسع و أربعين و مائة.

و كان أبو حنيفة أول من عدّ اللبن بالقصب.

قال: و أمر المنصور [٣٠٢] بإحكام الأساس و أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعا. و أن يكون أعلاه عشرين ذراعا و أن يجعل في البناء جرز القصب [٣١ ب] مكان الخشب. فلما بلغ السور مقدار قامه- و ذلك في سنة خمس و أربعين و مائة- اتصل به خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن رضی الله عنهم. فقطع البناء حتى فرغ من أمره و أمر أخيه إبراهيم بن عبد الله.

و قال جابر بن داود: كانت بغداد قديمة، و كانت في أيدي قوم من الدهاقين بعضها منسوب إلى طسوج بادرويا من الجانب الغربي. و كان الجانب الشرقي بعضه إلى طسوج نهر بوق و بعضه إلى كلواذي و الفرق ما بين الطسوجين الموضع المعروف بالفارقين حتى مَصْرها المنصور.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨٥

و قال علي بن يقطين: كنت في عسكر أبي جعفر حين صار إلى الصراة يلتمس موضعاً لبناء مدينته. قال: فتزل الدير الذي على الصراة

في العتيقة. فما زال على دابته ذاهبا و جاثيا منفردا عن الناس يفكر. قال: و كان في الدير راهب عالم فقال لي: كم يذهب هذا الملك و يجيء؟ قلت: يريد أن يبني مدينة. قال:

فما اسمه؟ قلت: عبد الله بن محمد. قال: أبو من؟ قلت: أبو جعفر. قال: يلقب بشيء؟ قلت: المنصور. قال: ليس هو الذي يبنيها. قلت: و لم؟ قال: لأننا قد وجدنا في كتاب عندنا نتوارثه قرنا عن قرن، الذي يبني مدينة في هذا المكان يقال له مقلاص. قال: فركبت من وقتي حتى تقدمت منه فقال: ما وراءك؟ قلت: خبر ألقية إليك و أريحك هذا العناء. قال: و ما هو؟ قلت: أمير المؤمنين يعلم أن هؤلاء الرهبان معهم علم، و قد أخبرني راهب هذا الدير بكيت و كيت. فلما ذكرت مقلاصا ضحك و استبشر و نزل عن دابته فسجد و أخذ سوطه فأقبل يذرع به. فقلت في نفسي لحقه اللجاج. ثم دعا المهندسين من وقته فأمرهم بخط الرماد. فقلت له: أظنك يا أمير المؤمنين أردت معاندة الراهب و تكذيبه. فقال: لا و الله و لكني كنت ملقبا بمقلاص، و ما ظننت أن أحدا عرف ذلك غيري. فاسمع حديثي بسبب [٣٢ أ] هذا اللقب: كنا بناحية الشراء في زمان بنى أمية على الحال التي تعلم.

فكنت و من كان في مقدار سني من عمومتي و اخوتي نتداعى و تتعاشر، فبلغت النبوة إلى يومنا من الأيام و ما أملك درهما واحدا فما سواه، فلم أزل أفكر و أعمل الحيلة إلى أن أصبت غزلا- لداية كانت لي فسرقته ثم وجهت به فيبيع و اشترى بثمنه ما احتجت إليه و جئت إلى الداية فقلت لها: افعلي كذا و اصنعي كذا. قالت: و من أين لك ما أرى؟ قلت: اقترضت دراهم من بعض أهلي. ففعلت ما أمرتها به. فلما فرغنا من الأكل جلسنا للحديث، طلبت الغزل فلم تجده، فعلمت أني صاحبه.

و كان في تلك الناحية لصّ يقال له مقلاص شهر بالسرقة. فجاءت إلى باب البيت الذي كنا فيه فدعتني فلم أخرج إليها لعلمي أنها قد وقفت على ما عملت. فلما ألحت و أنا لا- أخرج قالت: اخرج يا مقلاص! الناس يتحرزون من مقلاصهم و مقلاصي معي في البيت. فمزح معي اخوتي و عمومتي بهذا اللقب ساعة. ثم لم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨٦

أسمع به إلا منك الساعة، و قلت إن الراهب قال لك ذلك. فعلمت أن أمر هذه المدينة سيتم على لصحة ما وقفت عليه. قال الشروي: أخبرني بعض المشايخ الموالى أن المنصور لما أراد بناء بغداد وسط المكان الذي قدر أن يجعله مدينة و أمر أن يوتد هنالك و تد و أخذ جبلا فمدّه على المقدار الذي أدار أن تكون استدارتها ثم أمر بطرح الرماد فطرح ثم نقص من مقداره أربعين ذراعا. ثم أراد خطأ آخر و جعل من الخطين الخندق. و جعل فتحة أربعين ذراعا ثم عمل السور الذي خلف الفصيل و عرضه من أسفله ثمانية عشر ذراعا، و عرض أعلاه ثمانية أذرع. و جعل على ذراع منه مما يلي الخندق الشرافات فصار الباقي خمسة أذرع يمشى عليها الناس.

قال حماد التركي: بنى المنصور المدينة مدورة. لأن المدورة لها معان ليست للمربعة، و ذلك أن المربعة إذا كان [٣٢ ب] الملك في وسطها كان بعضها أقرب إليه من بعض. و المدورة من حيث مسحت كان أمرها إلى وسطها مستويا لا يزيد بعضه على بعض. و بنى لها أربعة أبواب فكان إذا جاءها الجائي من المشرق، دخل من باب خراسان. و إذا جاءها من الحجاز، دخل من باب الكوفة، و إذا جاء من المغرب، دخل من باب الشام، و إذا جاء من فارس و الأهواز و البصرة و واسط و اليمامة و البحرين و عمان، دخل من باب البصرة. و عمل لها سورين و فصيلين، بين كل باب فصيلان، و السور الداخل أطول من الخارج. و أمر أن لا يبني إنسان تحت السور شيئا من المنازل. و أمر أن يبني في الفصيل الثاني مع السور المنازل، لأن ذلك أحسن للسور. ثم بنى قصره في وسطها، و بنى المسجد الجامع مع القصر و عمل الشوارع على ما أراد، و أقطعها القواد و أنزل فيها خاصته و أهل ثقته. و جعل الطول من باب خراسان إلى باب الكوفة ثمانمائة ذراع. و من باب الشام إلى باب البصرة ستمائة ذراع. و عدد الطاقات في السور الكبير ثلاثة و خمسون طاقا سوى الطاق المفتوح. هذا في كل صف. و الطاقات الصغار التي تلي الرحبة في كل صف ست طاقات سوى طاق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨٧

البايين. و ساحة القصر أربعمائة ذراع في مثلها. و ساحة المسجد الجامع مائتا ذراع في مثلها.

و الذى خط المسجد الحجاج بن أرتاة و جعل حوالى القصر و المسجد رحابا على تربيعة القصر و الجامع. و جعل الأبواب الداخلة مزواة ليست على سمت الأبواب الخارجة. فلذلك سميت الزوراء. و بين القصر و بين كل باب من الأبواب مساحة قائمة لا يزيد بعضها على بعض. و كذلك بينه و بين كل ناحية من السور و أساطين الخشب التى فى المسجد الجامع كل أسطوانة قطعتين بعقبين (٣٠٣) و الغرى و ضبات الحديد إلّا خمسة أو ستة عند الشنال [٣٠٤] الذى يلى المنارة ثمان فى كل واحدة عدة قطع معقبة محكمة. و قال بعض أهل بغداد [٣٠٥]: هدمنا قطعة من السور الذى يلى باب المحول فوجدنا لبنه عليها مكتوب بمغرة: وزنها مائة و سبعة عشر رطلا فوزناها فوجدنا ذلك كما كتب عليها.

و قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى [٣٠٦]: لما أراد المنصور بناء مدينته شاور أصحابه فى ذلك، و كان فيمن شاوره خالد بن برمك فأشار عليه ببنائها. فلما عمل منها صدرا صالحا احتاج إلى الأجر، فعزم على نقض إيوان كسرى الذى بالمداين. فاستشار فى ذلك أيضا فأشار عليه جماعة خواصه أن يفعل. و كان فيهم خالد بن برمك فلم يقل شيئا فقال له: لم لا تكلم يا خالد و تشير بما عندك؟ قال: لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين. قال: و لم؟ قال: لأنه علم من أعلام الإسلام يستدل به الناظر و الوافد و الملوك على عظم شأن أربابه و عن سلطانهم، و ان الإسلام قهرهم و أزالهم عنه. و أيضا فإن فيه مسجدا لأمر المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: هيهات يا خالد! أبيت إلّا التعصب لأصحابك و الميل إليهم. و أمر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨٨

بنقضه و نقض ما حوله من الأبنية. قال: فنقض شىء من ذلك و حمل آجره إلى بغداد فوجدوا أن النفقة على هدمه و حمله و مؤونته أكثر مما ينفق على الأجر الجديد إذا عمل. فرفع ذلك إلى المنصور فأمر بتركه و أحضر خالدًا فعرفه الخبر و قال له ما عندك فى هذا؟ فقال: قد كنت أشرت على أمير المؤمنين أن لا تعرض لشىء من نقضه فلم يفعل، فأما الآن و قد ابتداء بذلك فما أرى أن يكف عنه حتى يلحقه بقواعده لئلا يقال إنه عجز عن هدم ما بناه غيره. و الهدم أيسر من البناء. فتبسم المنصور و أمر بترك ذلك.

قال: و أمر [٣٠٧] المنصور أن تجعل الأسواق فى طاقات المدينة إزاء كل باب سوقا. فلم تزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من الروم و افدا من عند الملك فأمر الربيع أن يطوف به المدينة حتى ينظر إليها و يتأملها و يرى سورها و أبوابها [٣٣ ب] و ما حولها من العمارة و يصعد السور حتى يمشى عليه من أوله إلى آخره، و يريه قباب الأبواب و الطاقات و جميع ذلك. ففعل الربيع ما أمره به. فلما دخل إلى المنصور قال له: كيف رأيت مدينتى؟ قال: رأيت حسنا و مدينة حصينة إلّا أن أعداءك معك فيها. قال: و من هم؟ قال: السوق، يوافى الجاسوس من بعض الأطراف فيدخل لعله ما يشتري فيتجسس الأخبار و يعرف ما يريد و ينصرف من غير أن يعلم به. فسكت المنصور. فلما انصرف الطريق أمر بإخراج السوق من المدينة و تقدم إلى إبراهيم بن الحبيش الكوفى و خراش بن المسيب اليمامى بذلك.

و أمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ و يجعلها صفوفًا، لكل سوق صف، و أن يدفعوها إلى الناس، فلما فرغا من ذلك، حوّل السوق من طاقات المدينة و وضع عليهم الغلة على قدر الدرع. فلما كثر الناس ضاقت عليه. فقالوا لإبراهيم بن حبيش و خراش: قد ضاقت علينا هذه الصفوف و نحن نتسع. و تبنى لنا أسواقا من أموالنا و تؤدى عنها الأجرة. فأجيبوا إلى ذلك، فاتسعوا فى البناء و الأسواق.

و قال الشروى: بل كان سبب إخراج الأسواق عنها أن المنصور حين استتم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٨٩

البناء، دعا إليه رسل الملوك الذين كانوا على بابه فقال: كيف ترون مدينتى هذه؟

فقالوا: ما رأينا أحسن تقديرا ولا أحكم بناء ولا أحصن أسوارا منها. فقال: هل ترون فيها عيبا؟ فقال أحدهم: نعم. سوقها في جوفها و الجواسيس لا ينكر عليهم مخالطة السوق و مبايعتهم. و قال آخر: و من عيوبها أيضا أنه ليس لها نهر يخترقها. و قال آخر: و من ذلك أنه لا مقبرة لها و لا ميدان فيها.

فأمر المنصور فعمل لها دولايب أجرى ماؤه إلى القصر، فكان يخترقها حتى يوافي القصر، و قال هذا يقوم مقام النهر. فلم يزل ساج ذلك النهر و الدولايب [٣٤ أ] يصب فيه إلى أيام محمد بن عبد الله بن طاهر ثم قلع و عطل.

قال: و أمر بإخراج السوق إلى ناحية الكرخ و باب الشعير و قطيعه الربيع و ما قرب من ذلك. و عمل ميدانا في الرحبة لقواده و خاصته. و عمل المقبرة المعروفة بمقبرة قريش، و ذلك في سنة تسع و خمسين و مائة. و في هذه السنة بنى قصره الذي يشرع إلى دجلة و سماه الخلد. و أمر بعقد الجسر عند باب الشعير، و جعل النفقة لذلك على يدى حميد بن القاسم الصيرفي [٣٠٨].

قال: و كان فراغ المنصور من بناء مدينة السلام و نزوله إياها و نقل الخزائن و الدواوين و بيوت الأموال إليها، سنة ست و أربعين و مائة. و كان استتمامه لبناء السور و الفراغ من الخندق و أحكام جميع أمر المدينة سنة تسع و أربعين و مائة. ثم شخص في هذه السنة إلى حديثه الموصل لأمر أراده ثم انصرف.

و قال الشروي: لما قدم المهدي من الري وفد إليه أهل الكوفة و أهل الشام و غيرهم من وجوه الناس فهنؤه بمقدمه و لقوا المنصور فهنؤه أيضا، فأمر المهدي لعامتهم بالجوائز و الخلع و الحملان.

و قد كان المنصور أمره أن يقيم في الجانب الشرقي من مدينة السلام و أمره ببناء الرصافة، و أن يعمل بها سورا و خندقا و بستانا. فابتدأ بعمل ذلك و جعل النهر مخترقا لها حتى يدخل المسجد الجامع. فكان الناس يشربون منه يوم الجمعة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩٠

و قدّر شوارعها، فلم تكن في الإحكام و الاستواء مثل شوارع الجانب الغربي.

و قال يحيى بن الحسين: كان بناء المهدي كله بالرهوص إلّا ما كان يسكنه هو. و كذلك كان بناء موسى الهادي بعده. و كان استتمام بناء المهدي الرصافة و الجامع سنة تسع و خمسين و مائة.

و خرج المنصور بعد قدوم المهدي من الري بشهور إلى البردان ليعرض الجند و يسقط من لم يكن من أهل خراسان، فأحكم ما أراد من ذلك و عاد إلى بغداد [٣٤ ب].

و قال عيسى بن المنصور [٣٠٩]: وجدت في بعض خزائن أبي مبلغ النفقة على مدينة السلام و المسجد الجامع و قصر الذهب و الأسواق و الفصلاان و الخنادق و القباب و الأبواب، فكان جميع ذلك أربعة آلاف ألف و ثمانمائة و ثلاثه و ثمانون درهما، يكون من الفلوس مائة ألف و ثلاثه و عشرين ألف فليس. و ذلك أن الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بغيرا [إلى خمس حبات] [٣١٠] و الروزجاري بحبتين إلى ثلاث حبات.

و قال أبو سهل بن نوبخت عند جده نوبخت [٣١١] قال: أمرني المنصور لما أراد بناء بغداد بأخذ الطالع ففعلت، فإذا الطالع الشمس و هي في القوس. فخبرته بما تدل النجوم عليه من طول بقائها و كثرة عمارتها و فقر الناس إلى ما فيها. ثم قلت:

و خلّة أخرى أسرك بها يا أمير المؤمنين. قال: و ما هي؟ قلت: نجد في أدلة النجوم أنه لا يموت فيها خليفة أبدا حتف أنفه. قال: فتبسّم ثم قال: الحمد لله، ذلك فضل الله يؤتية من يشاء و الله ذو الفضل العظيم. و لذلك يقول الشاعر:

أ عاينت في طول من الأرض و العرض كبغداد من دار بها مسكن الخفض

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩١

صفا العيش في بغداد و اخضرّ عودوه و عيش سواها غير صاف و لا غضّ

تطول بها الأعمار انّ غداءها مرىء. و بعض الأرض أمرا من بعض

[قضى ربّها أن لا يموت خليفة بها، إنه ما شاء فى خلقه يقضى] [٣١٢] تنام بها عين الغريب و لا ترى غريبا بأرض الشام يطمع فى الغمض

فإن جزيت بغداد منهم بقرضها فما أسلفت إلّا الجميل من القرض

و إن رميت بالهجر منهم و بالقلى فما أصبحت أهلا لهجر و لا بغض

و كان تحول المنصور من الهاشمية إلى بغداد و الابتداء ببنائها سنة خمس و أربعين و مائة. و ذلك فى اليوم العاشر من مردادماه سنة

إحدى و ثلاثين و مائة ليزدجرد. و آخر يوم من تموز سنة ألف و ثلاثمائة و سبعين للإسكندر. و الشمس يومئذ فى الأسد [٣٥ أ] ثمان

درجات و عشر دقائق و زحل فى الحمل درجة و أربعين دقيقة. و المشترى فى القوس ست درجات. و الزهرة فى الجوزاء ثلاثين

درجة. و عطارد فى الجوزاء أربع و عشرين درجة. و الراس فى الجدى خمسا و عشرين درجة.

قال: و وكل بالبناء قواده فقسمها بينهم أرباعا فدفع إلى الربيع الحاجب باب خراسان، و إلى أبى أيوب الخوزى وزيره باب الكوفة، و

إلى عبد الملك بن حميد باب البصرة، و إلى ابن رغبان مولى محمد بن مسلمة الفهرى باب الشام فبنوها.

قال: و على المدينة ثمانية [أبواب] [٣١٣]، خمسة منها كانت على مدينة فى ظهر واسط يقال لها الزندروذ يقال إن الجن بنتها لسليمان

بن داود عليه السلام. و ان الأبواب من عمل الشياطين له أيضا. فنقلها المنصور من هذه المدينة إلى بغداد لَمّا بناها و هى الأربعة

الأبواب الداخلة من كل باب. و منها باب البصرة الخارج، و الباب الخارج من باب خراسان، حمل من الشام، يقال إنه من عمل

الفراعنة،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩٢

و هو أقصرها. و باب الكوفة الخارج باب قصر خالد بن عبد الله القسرى حمل من الكوفة. و باب الشام الخارج عمل للمنصور ببغداد و

هو أضعفها. و كانت الحربية أيام فتنه الحسن بن سهل قبل دخول المأمون إلى بغداد أحرقوه فسقط أحد المصراعين و انصدع فضبّ

من جانبيه.

و قيل لرجل: كيف رأيت بغداد؟ قال: الأرض كلها بادية و بغداد حاضرتها.

و حدث أحمد بن حميد بن جبلة [٣١٤] قال: حدثنى أبى عن جدى جبلة، قال:

كانت مدينة أبى جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة. فلما أخذها المنصور عوضهم منها عوضا رضوا به. فأخذ جدى

من ذلك حصته.

قال [٣١٥]: و كان شارع باب الأنبار لأهل قرية بباب الشام يسمون الترابية.

قال: و قال حماد التركى [٣١٦]: كان حول مدينة أبى جعفر قبل بنائها قرى فكان إلى جانب باب الشام قرية يقال لها أخطانية على باب

درب النورة إلى درب الأقفاص. و كان بعض نخلها فى نفس شارع باب الشام. فلم يزل إلى أن قلع فى أيام فتنه المخلوع [٣٥ ب] و

كانت هذه القرية التى يقال لها أخطانية لقوم من الدهاقين يقال لهم بنو فروة، و بنو قنورا، منهم مالك بن دينار و يعقوب بن سليمان.

و حدث [٣١٧] أبو جعفر محمد بن موسى بن الفرات أن القرية التى فى مربعة أبى العباس الطوسى، كانت قرية جده من قبل أمه و

أنهم من دهاقين يقال لهم بنو زرارى، و كانت القرية يقال لها الوردانية. و قرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلي مربعة أبى قره يقال لها

سرقانية [٣١٨] و لها نخل قائم إلى اليوم مما يلي قنطرة أبى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩٣

الجوز. و أبو الجوز هذا من دهاقين بغداد من أهل هذه القرية و القنطرة منسوبة إليه.

و كانت [٣١٩] قطعة الربيع مزارع لناس من أهل قرية يقال لها ماورى من رستاق الفروستج من بادرويا و اسمها إلى اليوم معروف فى

الديوان.

و كان موضع بركة زلزل و ما والاها إلى ناحية مسجد الأنبار بين مزارع. و كان النهر الذى يسقى هذه المزارع فى موضع باب طاق الحرانى إلى باب الكرخ.

و ذكر بعض المشايخ قال: رأيت عند باب قطيعة الربيع قبل بنائها كرما و معصرة. و هو المكان الذى بنى به خان الطيالس و الحوانيت التى يباع فيها الكاغذ الخراسانى.

و قال محمد بن موسى بن الفرات الكاتب [٣٢٠]: سمعت جدى يقول: كنت فى ديوانى يوما، فدخل إلى رجل من دهاقين بادوريا له قدر، فرأيته مخزق الطيلسان.

فقلت من خرق طيلسانك؟ فقال: خرق و الله فى زحمة الناس و تضاعطهم فى موضع طالما طردت فيه الطباء و الأرانب. قلت: و أين هو؟ قال: الكرخ.

و ذكر رجل من ولد الربيع الحاجب عن أبيه أن المنصور أقطع الربيع القطيعة التى يسكنها التجار اليوم و قطيعة الحربى بين السورين فى ظهر درب جميل. و أن التجار و غيرهم من مجاوريها اغتصبوا ولد الربيع عليها.

و سويقه غالب و قطيعة الربيع كانتا فى القديم قرية تدعى ورتالا. و يقال إن قطيعة الربيع الخارجة إنما كانت إقطاعا من المهدي للربيع. و إنما أقطعه المنصور القطيعة [٣٦ أ] الداخلة. و قيل إن الذى خارج القطيعة من أصحاب اللبود، و درب الطيالس إلى التوتة إلى درب

الدمشقيين و ما وراء ذلك إلى حدود دجلة و العتيقة من ورتالا أيضا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩٤

و النهر المعروف بنهر القلائين غربيه من ورتالا- و شرقيه من نهر طابق. و نهر طابق إنما هو نهر بابك، منسوب إلى بابك بن بهرام من بابك، و هو قديم، و بابك هذا هو الذى اتخذ الصقر الذى عليه قصر عيسى بن على و احتفر هذا النهر. و ما كان وراء هذا النهر فهو من رستاق الكرخ. و باب الكرخ منسوب إلى هذا الرستاق لأنه الطريق إليه. و نهر عيسى غربيه من الفروستج، و شرقيه من رستاق الكرخ و فيه دور المعبدین.

و قنطرة بنى زريق و دار البطيخ و دار القطن و قطيعة النصارى إلى قنطرة الشوك من نهر طابق، و شرقيه و غربيه من قرية ماورى.

و مسجد الواسطيين مع الموضع المعروف بظله ميشويه- و ميشويه رجل من الدهاقين نصرانى- إلى أن يخرج إلى الخندق المعروف بخندق الصينيات من باب المحول إلى الياسرية.

و ما كان من غربى الشارع فهو من مزارع كانت منسوية إلى القرية المعروفة ببراثا.

و ما كان من شرقيها فمن رستاق الفروستج. و ما كان من درب الحجارة و قنطرة العباس شرقيا و غربيا فهو من نهر كرخايا من قرية براثا. و إنما سمى نهر كرخايا لأنه كان يسقى رستاق الفروستج و الكرخ. فلما أحدث عيسى بن على الرحي المعروفة برحى أم جعفر،

قطع نهر كرخايا و جعل سقى رستاق الكرخ من نهر رفيل.

و ما كان على الصراة من شرقيها فهو من بادوريا و ما كان من غربها فهو من طسوج قطربل.

قال: و من حد قنطرة الجديدة و شارع طاق الحرانى إلى شارع باب الكرخ، منسوب إلى القرية المعروفة للعامه مقبرة باب حرب، ثم مقابر المسيب ثم مقابر باب التبن ثم مقابر الكناسة ثم المقابر التى تلى باب الكوفة [٣٦ ب].

و أقطع المنصور قواده فى أرباض المدينة شوارع تنسب إليهم. فأول ذلك

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩٥

مما يلي السور من الجانب الغربى ربض حرب بن عبد الملك البلخى، و كان يتولى شرطة جعفر بن أبى جعفر، و جعفر إذ ذاك يتقلد الموصل. و إليه تنسب الحربية.

و قتل فى سنة سبع و أربعين و مائة. قتلته الترك.

و يتصل برىض حرب، رىض ينسب إلى المراوزة ثم رىض الترجمان بن صالح. ثم رىض ينسب إلى عتيك بن هلال الفارسى، و له فى الدولة آثار و أخبار، و له فى المدينة أيضا درب ينسب إليه.

ثم مربعة أبى العباس الفضل بن سليمان الطوسى. و كان من النقباء السبعين.

ثم يتصل بمربعة أبى العباس الشارع المتصل بباب الشام.

ثم مربعة شبيب بن وأج [المرووذى][٣٢١]. و عن يسارها اقطاع أبى العباس الطوسى و رىضه و غلاته و مستقر اقطاعه. و عن يمينها السوق النافذة إلى درب الرؤاسيين و الشارع النافذ إلى بستان القس. و هذا البستان قبل أن تبنى بغداد.

ثم المعطف إلى باب الكوفة. و عن يمين هذا المعطف باب الكوفة و السوق المنسوبة إلى عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد الإمام. و المقابر الشارعة بين الطريقين لأهل المدينة.

و هناك الرىض المنسوب إلى زهير بن المسيب الضبى، و هو النافذ إلى طريق الأنبار.

و قال محمد بن عطاء الشانى: اقطاع زهير بن المسيب فى شارع باب الكوفة ما بين حدّ دار الكندى إلى حدّ سويقة عبد الوهاب بن إبراهيم إلى داخل المقابر.

و اقطاع القحاطبة من شارع باب الكوفة إلى باب الشام.

و جهاز سوق الهيثم منسوب إلى الهيثم بن معاوية، بعض قواد الخراسانية و ممن أقطعه المنصور فى الشارع المعروف بدور الصحابة، أبو بكر الهدلى، و له درب هناك و مسجد منسوب إليه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩٦

و قال أحمد بن الهيثم بن فراس: كانت دار البطيخ قبل أن ينقل إلى الكرخ فى درب يعرف بدرب الأساكفة، و إلى جانبه درب يعرف بدرب الخير. فنقلت من هذا المكان إلى موضعها بالكرخ [٣٧] فى أيام المهدي. و دخلت هذه الدروب فيما بعد فى الدور التى ابتاعها أحمد بن محمد الطائى و جعلها دورا له و لحاشيته و اصطبلات.

و كانت القطائع التى من جانب الصراه مما يلى باب المحول، منها قطيعة لعقبة بن جعفر بن محمد بن الأشعث.

ثم سويقة أبى الورد و هو عمر بن المطرف الخراسانى المروزى، و كان يلى المظالم للمهدى و ينظر فى القصص التى تلقى فى البيت الذى سماه بيت العدل فى مسجد الرصافة.

و يتصل بسويقة أبى الورد مما يلى الدار المنسوبة إلى الجلودى، قطيعة إسحاق الأزرق الشروى مولى محمد بن على. و هى عن يمين هذه القطيعة.

و عن يسار سويقة أبى الورد، البركة المنسوبة إلى زلز الضارب. و كان من كرام الناس فى أيام المهدي و الهادى و الرشيد. و كان فى موضع البركة قرية يقال لها شال قنيا إلى قصر الواضح. و كان زلز غلاما لعيسى بن جعفر بن المنصور، فحفر هذه البركة و جعلها وقفا على المسلمين.

و قصر الواضح بناه المنصور للمهدى قبل الرصافة. و المسجد الذى يعرف بالشرقية، و الشرقية أيضا قرية قديمة كانت تسمى بهذا الاسم و كذلك العتيقة و هى كسروية.

و الواضح الذى ينسب إليه القصر المعروف بقصر الواضح، رجل من أهل الأنبار تولى النفقة عليه فنسب إليه. و قد قيل إن الواضح رجل من موالى المنصور.

قال: و المنصور الذى بنى القنطرة المعروفة بالجديدة على الصراه مما يلى دور الصحابة و باب الطاق الحرانى. قال: و الحرانى هو إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحرانى مولى المنصور. قال: و كان لذكوان أخ يقال له الفضل أعتقه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩٧

مروان بن محمد، و أعتق ذكوان على بن عبد الله.

قال: و كان باب الشعير في القديم مرفأ للسفن التي توافى من الموصل و البصرة. و كان موضع مسجد ابن رغبان مزبلة. و ذكر بعض مشايخ الدهاقين قال: اجتاز بي رجل و أنا عند [٣٧ ب] المزبلة التي صارت مسجد ابن رغبان، و ذلك قبل أن تبنى بغداد فوقف عليها و نظر إليها و قال: ليأتين على الناس زمان من طرح في هذا الموضع شيئاً فأحسن أحواله أن يحمل إياه في ثوبه. فضحكت تعجبا من قوله. فما مضت الأيام حتى رأيت الأمر على ما قال.

قال: و كان موضع الخلد ديراً فيه راهب. و إنما اختار المنصور نزوله و بناء قصره فيه لقله البق. و كان عذبا طيب الهواء. و كان موضع الحبس و ما والاہ إقطاعاً [٣٢٢] لعبد الله بن الخزاعي ثم صار بعد ذلك في أيام الرشيد لمحمد بن يحيى بن خالد. ثم صار جميع ذلك لأم جعفر في أيام الرشيد و أيام الأمين.

و المسجد الكبير قبالة الحبس مما يلي السجن الجديد، مسجد عبد الله بن مالك. ثم ابنت أم جعفر في أيام الأمين القصر المعروف بالفزار و هو القصر الذي أقطعه المتوكل لمحمد بن عبد الله بن طاهر. فأقطعه محمد جماعة من أصحابه و في قطيعة أم جعفر الزبيدية المنسوبة إليها كان ينزلها مواليها و حاشيتها. ثم يلي الحبس درب سليمان بن أبي جعفر و هو منسوب إليه و فيه كانت داره.

ثم أقطع المنصور قوماً من أهل خراسان يعرفون بالبغيين، و هم ممن كان في الدولة. و أصلهم من قرية من قرى مروالروء تعرف ببغ، الموضع المعروف

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩٨

البغيين. و هذا الموضع أول الدرب المعروف بسوار مما يلي دجلة إلى آخر ربض البرجلانية.

ثم قطيعة زهير بن محمد و أصحابه إلى جانب القطيعة المعروفة بأبي النجم و هو أحد قواد المنصور، و أصله من خراسان، و كانت أم سلمة بنت أبي النجم هذا عند أبي مسلم صاحب الدولة.

و يتصل بهذه القطيعة الزهيرية مما يلي باب التبن، و هو ربض يعرف بأصحاب زهير بن محمد قائد من أهل أبيورد، و مع حدّ سور بغداد إلى باب قطربل و هو الباب المعروف بالباب الصغير. [٣٨ أ] و زهير صاحب هذه القطيعة أزدى من عرب خراسان.

و يتصل بالزهيرية ربض أبي النجم. و وراء ذلك الخندق الذي عليه القنطرة النافذة إلى قطيعة أم جعفر. و يتصل بالقطيعة دار إسحاق بن إبراهيم، و كانت جزيرة فأقطعها المأمون إسحاق. فأولها يتصل بدار البطيخ و آخرها بمقابر باب التبن.

و يتصل بباب التبن ربض ينسب إلى أبي حنيفة أحد قواد المنصور. ثم تتصل به مربعة الفضل بن سليمان المعروف بالطوسي و هو من أهل أبيورد. و كان مخرجه في الدولة من طوس فعرف بالطوسي و كان على شرط المنصور.

ثم ربض عثمان بن سهيل و كان على حرس المنصور.

ثم تخرج من مربعة أبي العباس إلى مربعة الفرس و ربضهم. و هؤلاء قوم من الفرس أقطعهم المنصور هذه الناحية فنسبت إليهم. و يتصل بربض الفرس، ربض الخوارزمية و هم من جند المنصور. و في شارعهم درب يعرف بدرب النجارية.

ثم ربض عمرو بن اسفندياذ.

ثم ربض رشيد. و رشيد مولى المنصور، و هو أبو داود بن رشيد المحدث مولى المنصور.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٢٩٩

و يتلوه ربض يعرف بسعيد بن حميد و هو نافذ إلى [ان] يخرج إلى طاق مناس.

و يتلوه ربض سعيد بن المسيب المعروف بطاق أبي علي.

و في طرف ربض زهير قطائع تعرف بالموالي. و هم موالي أم جعفر.

و يتصل بها ربض سليمان بن مجالد مولى المنصور. و قد ولى للمنصور.

و المهدي ولايات.

و يتصل به ربض حمزة بن مالك بن هيثم الخزاعي.

ثم ربض زرّاد بن سنان و كان أحد قواد المنصور.

و سويقه الهيثم بن شعبة بن ظفير مولى المنصور.

و قال بعض العلماء بأمر بغداد: المنائر التي في شارع الأنبار بناها كلها طاهر بن الحسين. و ذلك أنه كان حصاره الأمين كلما بلغ إلى

موضع من ذلك الشارع بنى فيه مسجداً أو منارة.

ثم يليه ربض حميد بن قحطبة الطائي. و كان أحد النقباء.

ثم ربض نصر بن عبد الله و هو الشارع النافذ إلى دجيل [٣٨ ب] من شارع باب الشام إلى درب السقائين.

و عن يمينه قطائع قوم يعرفون بالسرخسية. و في قطيعتهم طاقات الروندي [٣٢٣]، و هو أحد الشيعة من السرخسية و اسمه محمد بن

الحسن. و كان صهرا لعلی بن عيسى بن ماهان على أخته.

و في الشارع المنسوب إلى أبي حنيفة، دار عمارة بن حمزة، و كان أحد البلغاء. و هو من ولد أبي لبابة مولى رسول الله (صلى الله

عليه و سلم). و دار عمارة إقطاع من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠٠

المنصور. و كانت من قبل أن تبنى بغداد بستانا لبعض [ال] ملوك. و يتصل بها ربض أبي حنيفة.

ثم ربض إبراهيم بن عثمان بن نهيك. و هو ما بين دار عمارة و مقابر قريش.

ثم طاقات العكي في الشارع النافذ إلى مربعه شيب بن و أج في ربض يعرف بربض الحرس. و العكي اسمه مقاتل بن حكيم و أصله

من الشام و مخرجه من خراسان من مرو. و هو من السبعين. و له قطيعة في المدينة بين باب البصرة و باب الكوفة و درب ينسب إليه

إلى اليوم. و يقال إن أول طاقات بنيت في الربض ببغداد، طاقات العكي، ثم طاقات الغطريف. و هو الغطريف بن عطاء، و كان أخوا

الخيزران خال موسى الهادي و الرشيد. ثم طاقات أبي سويد، و اسمه الجارود مما يلي مقابر باب الشام و قطيعته و ربضه هناك.

و يتصل به ربض العلاء بن موسى الجوزجاني مما يلي الدرب المعروف بأبي حية و هو الشارع النافذ إلى درب السقائين.

ثم ربض أبي نعيم موسى صبيح من أهل مرو، من قواد المنصور. و فيه الموضع [الذي] يقال [له] شيرويه. و شيرويه مجوسى من

دهاقين بغداد القدماء.

و ربض أبي عون في شارع دار الرقيق، و اسمه عبد الملك بن زيد، في الدرب النافذ إلى دار عبد الله بن طاهر. و كان أبو عون من

موالى المنصور و كان يتولى له مصر ثم عزل عنها.

و قصر عبدويه مما يلي براءا، منسوب إلى عبدويه الأزدي. و هو من وجوه رجال الدولة. و إنما كان المهدي صير إليه النفقة على هذا

القصر فنسب إليه.

و قصر هانى منسوب إلى [٣٩ أ] هانى بن بشير، و كان يتولى للمهدي ديوان الخراج.

و الرهينية كانت قطائع لقوم أخذوا رهينة من بعض البلدان في أيام المنصور، فلم يزالوا بها إلى أيام الرشيد، ثم خرجوا مع طاهر بن

الحسين إلى خراسان في أيام المأمون فلم يبق منهم أحد و خربت منازلهم إلى اليوم.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠١

و الرهينية متصلة بربض نوح بن فرقد، أحد قواد المنصور. و هو في طرف بغداد مما يلي مسجد طاهر الذي بناه هناك إياك فتنة

الأمين.

و صحراء قيراط منسوبة إلى قيراط مولى طاهر بن الحسين. - و كان عيسى و قيراط من أشرف الموالى - و له هناك مسجد يعرف به. و دويرة مبارك مما يلى شارع باب الأنبار. و مبارك من موالى المنصور. و هناك ربض يعرف بالخوارزمية.

و فى طريق باب الأنبار، ربض سعيد بن حميد بن دعلج. و كان سعيد يتولى شرط المنصور سنة ست و خمسين و مائة. و تولى البصرة بعد ذلك.

و فى طرف باب الأنبار، منارة الحكم. و هو الحكم بن ميمون مولى عامر بن دلجة أحد بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة و عامر بن دلجة و يحيى أخوهما عرقبا جمل عائشة بالبصرة فهانت الحرب.

و العباسية منسوبة إلى عباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس. و كان بعض القواد يذكرها و يقول: عزمى أن استقطعها من أمير المؤمنين. ثم قدم العباس على المنصور فاستقطعها منه فأقطعه إياها و جعل مؤدى خراجها بمصر. فاتخذ بها العباس زنجا كانوا ينسبون إليه فيقال زنج العباس. و هو أول من زرع فيها الباقلى.

و كان باقلاؤها نهاية، فقال: الباقلى العباسى. و كانت تدعى جزيرة العباس لأنها بين الصراتين. و من أجل باقلائها و جودته صار الباقلى الرطب فى كل موضع يقال له العباسى.

و قال رجل من ولد عمارة بن حمزة: كانت دار عمارة و رحبته ضيقة فأراد أن يستقطع العباسية منه. فسبقه العباس بن محمد فاستقطعها فأقطعه إياها.

و يروى أيضا أن موسى [٣٩ ب] بن كعب - و كان من أجل قواد المنصور - كان ضيق الدار و الرحبة. فزاره العباس بن محمد. فلما نظر إلى ضيق منزله قال:

ما لمنزلك فى نهاية الضيق و الناس فى سعة؟ قال: ندمت و قد أقطع أمير المؤمنين الناس منازلهم. و عزمى أن أستقطعه هذه الرحبة التى بين يدى المدينة - يعنى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠٢

العباسية. فسكت العباس و انصرف من عنده إلى المنصور و قال يا أمير المؤمنين! تقطعنى هذه الرحبة التى بين يدى مدينتك. قال: قد فعلت. فانصرف و معه التوقيع بإقطاعها.

و صار موسى بعد خروجه إلى المنصور، فأعلمه ضيق منزله، و أنه لا قطيعه له و سأله أن يقطعه إياها. فقال له: هل شاورت فيها أحدا قبل أن تسألنى؟ قال:

لا. إلا أن العباس بن محمد كان عندى اتفاقا. فأعلمته أنى أريد استقطاعها منك.

فتبسم المنصور و قال قد سبقك و استقطعنى إياها فأجبتته إلى ذلك فأمسك عنها موسى بن كعب و لم يذكرها.

و ذكر بعض المشيخة قال: رأيت السجل بإقطاع العباس و فيه: إنك سألت أمير المؤمنين إقطاعك الساحة التى كانت مضربا للبن مدينة السلام، فأقطعكما أمير المؤمنين على ما سألت و ضمننت.

و قصر عيسى منسوب إلى عيسى بن على بن عبد الله و هو أول قصر بناه الهاشميون ببغداد فى أيام المنصور.

و روى أن المنصور زار عيسى بن على و معه أربعة آلاف رجل من الجند فتغدى عنده و جميع خاصته، و دفع إلى كل رجل من الجند زنبيل فيه خبز و ربع جدى و دجاجة و بيض و لحم بارد و حلوى. فانصرفوا كلهم مسمطين ذلك. فلما أراد المنصور أن ينصرف قال

لعيسى: يا أبا العباس لى حاجة. قال: ما هى يا أمير المؤمنين، فأمرك طاعة؟ قال: تهب لى هذا القصر. قال: ما بى ظن عنك به، و لكن أكره أن يقول الناس: إن أمير المؤمنين زار عمه فأخرجه من قصره و شرده و شرده عياله. و بعد، فإن فيه من حرم أمير المؤمنين و مواليه

أربعة آلاف نفس. فإن لم يكن بد من أخذه فليأمر لى أمير المؤمنين بفضاء يسعنى [٤٠ أ] و يسعهم أضرب فيه مضارب و خيما أنقلهم

إليها إلى أن أبني لهم ما يواريهم. فقال له المنصور:

عمر الله بك منزلك يا عم، وبارك فيه. ثم نهض منصرفا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠٣

وقنطرة بنى زريق منسوبه إلى قوم من دهاقين بغداد كان يقال لهم بنو زريق لهم نسب معروف.

وقنطرة المعبدى منسوبه إلى عبد الله بن محمد المعبدى. و كان له هناك إقطاع. وهو الذى بنى هذه القنطرة على النهر مع رحي اتخذها هناك. و كانت فى هذا الدكان فصارت بعد ذلك لمحمد بن عبد الملك الزيات و جعلها بستانا فانقبضت مع ما قبض من أملاكه. اشتراها قوم من الكرخيين وغيرهم.

قال: و النوبختية إقطاع من المنصور لنوبخت لما حكم بأن أمر محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن عليهم السلام، لا يتم. و هناك درب يعرف بدرب الناووس كان فيه ناووس قديم فنسب إليه.

و قال أبو زكريا: دخلت على أبي العباس الفضل بن الربيع يوما فوجدت يعقوب بن المهدي عن يمينه، و منصور بن المهدي عن يساره، و يعقوب بن أبي الربيع عن يمين يعقوب بن المهدي، و قاسم أخوه عن يسار منصور بن المهدي.

فسلمت و أوما بيده إلى الانصراف. و كان من عادته إذا أراد أن يتغدى معه أحد من جلسائه أو أهل بيته، أمر غلاما له يكنى أبا حلبة برده إلى مجلس فى داره حتى يحضر غداه و يدعوا به. قال: فخرجت فردنى أبو حلبة فدخلت فإذا موسى بن عيسى. فقال لى: أما أنت فقد علمنا أنك رددت إلى الغداء، و لكن الشأن فى غيرك. فقلت: أنت الذى لا يقدم عليك أحدا.

قال: و جلسنا حتى حضرا الغداء. فأحضرنى و أحضر كتابه- و كانوا أربعة:

موسى بن عيسى بن أهرون. و عبد الله بن أبي نعيم الكلبى، و داود بن بسطام، و محمد بن المختار- فلما أكلنا جاءوا بأطباق الفاكهة فقدموا إلينا طبقا فيه رطب [٤٠ ب]. فأخذ الفضل منه رطبة فناولها يعقوب بن المهدي و قال له: إن هذا من بستان أبى الذى و هبه له المنصور. فقال له يعقوب: رحم الله أباك، فإنى ذكرت أمس و قد اجترت على الصراة برحى البطريق. فإذا أحسن موضع، و إذا الدور من تحتها و السوق من فوقها و ماء غزير حاد الجرية. فمن البطريق الذى نسبت هذه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠٤

الرحى إليه، أمن موالينا أم من أهل دولتنا أم من العرب؟

قال، فقال الفضل: أنا أحدثك حديثه. لئما أفضت الخلافة إلى أبيك رحمه الله، قدم عليه بطريق أنفذه ملك الروم مهنتا له. فأوصلناه إليه و قربناه منه. فقال المهدي للربيع: قل له يتكلم. فقال الربيع لترجمانه ذلك. فقال هو برىء من دينه و إلأ فهو حنيف مسلم إن كان قدم لدينار و لا درهم و لا لعرض من أعراض الدنيا.

و لا كان قدومه إلأ سوقا إلى وجه الخليفة. و ذلك أنا نجد فى كتبنا أن الثالث من أهل بيت النبى (صلى الله عليه و سلم) يملأها عدلا كما ملئت جورا. فجئت اشتياقا إليه. فقال المهدي للربيع قل لترجمان يقول له: قد سرتنى ما قلت و وقع منى حيث أحببت و لك الكرامة ما أقمت، و الجباء إذا شخصت، و بلادنا هذه بلاد ريف و طيب فأقم بها ما طابت لك. ثم بعد ذلك فالإذن إليك. و أمر الربيع بإنزاله و إكرامه. فأقام أشهرا ثم خرج يوما يتزهر ببرائا و ما يليها. فلما انصرف اجتاز على الصراة، فلما نظر إلى مكان الأرحاء، وقف ساعة يتأمله فقال له الموكلون: قد أبطأت، فإن كانت لك حاجة فأعلمنا إياها. فقال: شىء فكرت فيه. و انصرف. فلما كان العشى راح إلى الربيع فقال له أقرضنى خمسمائة ألف درهم. قال: و ما تصنع بها؟

قال: أبني بها لأمير المؤمنين مستغلا يؤدى فى السنة خمسمائة ألف درهم. فقال له الربيع: و حق الماضى صلوات الله عليه، و حياة الباقي أطال الله [٤١ أ] بقاءه لو سألتنى أن أهبها لغلامك ما خرجت إلأ معه. و لكن هذا الأمر لا بد من إعلام الخليفة إياه. قال: قد علمت أن ذاك كذلك. قال: و دخل الربيع إلى المهدي فأعلمه فقال ادفع إليه خمسمائة ألف و خمسمائة ألف، بل أدفع إليه جميع ما

يريد بغير مؤامرة. قال: فدفع ذلك الربيع إليه. فبنى الأرحاء المعروفة بأرحاء البطريق.

فأمر المهدي أن تدفع عليها إليه. فكانت تحمل إليه إلى سنة ثلاث و ستين و مائة، فإنه مات. فأمر المهدي أن تضم إلى مستغله. قال: و كان اسم البطريق طافات بن الليث بن العيزار بن طريق بن قوق بن مورك. و مورك كان الملك في أيام معاوية. و قال الخليل بن مالك: كان المنصور قد أمر بعد ثلاثة جسور: جسر يعبر الناس عليه، و جسر يرجعون فيه، و جسر في الوسط للنساء، و عقد بعد ذلك بباب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠٥

البستان جسرين: جسرا له و لولده، و جسرا لخدمه و حشمه.

و عقد الرشيد بعد ذلك عند باب الشماسية جسرين. و كان لأم جعفر جسر عند مشرعة فرج الرخجي بالقرب من سويقة قطوطا. فلم تزل هذه الجسور قائمة إلى أن قتل محمد بن زبيدة، ثم عطلت إلا الثلاثة المنصورية القديمة التي عند مجلس الشرطة فإنها باقية إلى وقتنا هذا.

قال: و طاق أسماء بالجانب الشرقي منسوب إلى أسماء بنت المنصور. و هذا الطاق كان طاقا عظيما، و كان في دارها التي صارت لعلی بن الجهشياري بمشرفة الصخر أقطعه إياها الموق ثم أقطعها أزكوتكين بن أساتكين. و عند طاق أسماء كان مجلس الشعراء. و هناك كانوا يجتمعون في أيام الرشيد.

و الموضع المعروف بين القصرين هو قصر أسماء بنت المنصور.

و قصر عبيد الله بن المهدي و الخضرية مما يلي باب الطاق منسوبة إلى خضر مولى صالح صاحب المصلى، و فيها تباع الجرار و تعمل المزمالات.

و سوق يحيى منسوبة [٤١ ب] إلى يحيى بن خالد البرمكي. و كانت إقطاعا له من الرشيد، ثم صارت بعد البرامكة لأم جعفر ثم أقطعها المأمون طاهر بن الحسين بعد الفتنة. فهي في أيدي ورثته إلا ما بيع منها. و سويقة أبي عبيد الله منسوبة إلى عبيد الله وزير المهدي و اسمه معاوية بن عمرو.

و شارع الميدان خارج الرصافة و هو شارع مارّ من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء. و فيه قصر أم حبيب بنت الرشيد. و كان هذا القصر و دوره إقطاعا من المهدي لعباد بن أبي الخصيب ثم صار جميع ذلك للفضل بن الربيع، ثم صار لأم حبيب بنت الرشيد في أيام المأمون، ثم صار بعد ذلك لبنات الخلفاء إلى أن صرن يجعلن في قصر المهدي بالرصافة.

و سوق العطش بناها شعبة الجرمي للمهدي و حوّل إليها التجار ليخزّب الكرخ. و قال المهدي عند تمام بنائها: سمّها سوق الرى. فغلب عليها سوق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠٦

العطش. و أولها يتصل بسويقة الحرسى [٣٢٤] و داره و الإقطاعات التي أقطعه إياها المهدي هناك.

و سويقة العباسية منسوبة إلى العباسية بنت الرشيد. و يقال إن الرشيد فيها أعرس بزبيدة ابنة جعفر سنة خمس و ستين و مائة. قبل أن تنتقل العباسية إليها ثم دخلت بعد ذلك في أبنية بناها المعتصم.

و دار فرج فوق سوق يحيى. و كان فرج مملوكا لحمدونة بنت عضيض أم ولد الرشيد، ثم صار ولاؤه للرشيد. و داره إقطاع من الرشيد. و لم يكن على شاطئ دجلة بناء أحكم من بنائها. ثم هدمت فيما هدم من منازل عمر بن فرج لما قبضت.

و كانت دار أحمد بن أبي خالد الأحول لأبي عبيد الله معاوية بن عمرو.

و هناك السويقة المنسوبة إليه. و كان أبو خالد الأحول أحد كتاب أبي عبيد الله فاشترها أحمد بن أبي خالد من ورثة أبي عبيد الله.

و درب المفضل هو المفضل بن زمام من موالى المهدي.

و سويقة نصر منسوبة إلى نصر بن مالك الخزاعي، إقطاع من المهدي.

و دار الربيع مما يلي المخرم، كانت لمكين الخادم فاشتراها الربيع منه.

و اتصل خبرها بالمنصور فقال للربيع: أنت تريد عملها بستانا و تذهب منى بخراجه. فقال: لا و الله يا أمير المؤمنين. و لكن كلما ولد لى ابن فتحت له فيها بابا. و هى شارع فى الميدان فى أيدى ورثة الربيع إلى اليوم.

و سويقة خالد بباب الشماسية منسوبة إلى خالد بن برمك إقطاع من المهدي ثم بنى فيها الفضل قصره المعروف بقصر الطين. و بنى أيضا فيها جعفر بن يحيى قصرا آخر.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠٧

و رحبة يعقوب منسوبة إلى يعقوب بن داود مولى بنى سليم، أقطعه إياها المهدي حين استوزره. و ذكر بعض المشايخ أنه رأى فيها أزاجا عتيقا تشبه السباط كانت قبل بناء بغداد لقوم من دهاقينها.

و المخرم منسوب إلى مخرم بن يزيد بن مخرم بن شريح بن مخرم بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة. كان ينزله أيام نزول العرب السواد فى الإسلام فنسب إليه. و قال أبو المنذر: سمعت قوما من بنى الحارث بن كعب يقولون: المخرم إقطاع من عمر بن الخطاب فى الإسلام للمخرم بن شريح.

و خان بنى زياد منسوب إلى رجل من سواد الكوفة من النبط كان يكنى أبا زياد عمر عمرا طويلا، لأنه كان ممن و سمه الحجاج. و ذلك أن الحجاج و سم النبط على أيديهم ليعرفوا من سائر الناس. و كان أبو زياد من سواد الكوفة و عاش إلى أيام المنصور. و قال رجل من طيء أنا رأيته بالكوفة فى بنى عكل فى حانوت له يربط البقل [٣٢٥]، عليه إزار ورد و الوشم على ذراعه. قال: و كان انتقاله من الكوفة مع المنصور لما انتقل إلى بغداد. فنزل فى المخرم فى شارع النفاطين. فقام الخان و ترك بيع البقل و كان تكنى قبل مصيره إلى بغداد أبا زينب ثم تكنى بأبى زياد. و نشأ له ابن فتأدب و فصح فصار إلى همدان فأصاب مالا و تزوج هناك امرأة من العرب، و

ذلك أنه ادعى أنه عربى. ثم طعن فى نسبه عند الرجل الذى [٤٢ ب] تزوج إليه.

فقدم الرجل بغداد فسأل عنه فأخبر بقصته و دل على أبيه فصار إليه و وقف عليه.

فقال: ما ربيع منك؟ قال بنتى. فشه عليه السيف و حال الناس بينه و بينه و قيل له:

لم نفسك لأنك زوّجت من لا تعرف.

و كانت الثلاثاء [٣٢٦] قبل بناء بغداد تقوم فى يوم معروف من الشهر و هو يوم الثلاثاء. و كان أكثر من يحضرها أهل كلواذى و أهل بغداد فنسبت إلى اليوم الذى كانت تقوم فيه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠٨

و سويقة حجاج منسوبة إلى الحجاج الوصيف مولى المهدي.

و دار عمارة فى طرف شارع المخرم منسوبة إلى عمارة بن أبى الخصيب مولى روح بن حاتم، و قيل إنه كان مولى للمنصور. و كان أبو الخصيب أحد من تولى حجة المنصور.

و قنطرة على نهر المهدي منسوبة إلى بعض بنات المهدي.

و خان وردان [٣٢٧]. ذكر أحمد بن إسحاق برصوما قال: حدثنى على بن الحكم العقيلي قال: كان ابن سنان من قواد المنصور و كان عظيم اللحية جدا. قال فكتب عبد الله بن عياش المنتوف إلى المنصور يسأله حوائج و كان أحد ما طلب من الحاجات أن يهب له لحية وردان ليتدفأ بها فى الشتاء. فوَّع له بقضاء جميع ما سأل، و وقع تحت سؤاله لحية وردان: لا، و لا كرامة. لا أهب لك لحية رجل من قوادى و جلّة أصحابى.

و الصالحية إقطاع من المنصور لابنه صالح المعروف بالمسكين.

وقباب الحسين التي خارج بغداد على طريق خراسان منسوبة إلى الحسين بن قره الفزاري. و كان قره ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج.

عيسى آباد، منسوبة إلى عيسى بن المهدي. و كان عيسى في حجر مبارك التركي، و كانت أمه الخيزران. و هو أخو الهادي و الرشيد لأبيهما و أمهما، و كانت إقطاعا له.

حوض هيلانه. زعم قوم أن هيلانه قيمه كانت للمنصور حفرت هذا الحوض و جعلته للسبيل فنسب إليها. و باب المحول في الجانب الغربي إقطاع لهيلانه أقطعها إياه المنصور. و قد قيل إن [٤٣] هيلانه كانت جارية للرشيد و إليها ينسب هذا الحوض. و فيها يقول الرشيد:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٠٩

أفّ للدينا و للزينة فيها و الأثاث إذ حثا التراب على هيلانه في الحفر حاث

و حوض داود منسوب إلى داود مولى للمهدي و له إقطاع مما يلي سوق العطش. و قد قيل إن داود مولى نصير، و نصير مولى للمهدي. و ذكر بعض المشايخ أنه يذكر ما بين سوق يحيى عن يمينه السوق إلى باب الشماسية منابت طرفاء قبل أن يقطع الناس فيها. و أول من أقطع فيها على بن المهدي و هو ابن رائطة بنت أبي العباس السفاح. ثم أقطع بعده المنصور بن المهدي. و ذكر أحمد بن الحارث الخراز أن بغداد صورت لملك الروم بأرباضها و أسواقها و شوارعها و بساكنيها و أنهارها من جميع جانبيها الشرقي و الغربي. قال:

فكان كثيرا مما يحضر الصورة و يتأملها و يستحسن شارع باب الميدان و يتعجب من حسنه و حسن القصور التي فيه، و يزداد استحسانه لشارع الزرادين و سويقه نصر بن مالك إلى الثلاثة الأبواب و القصور التي في هذا الشارع. و كذلك أيضا كان يستحسن الأسواق من الخضريه إلى قنطرة بردان. و كان يقول: قد كان يجب على ملك العرب أن يجعل داره في هذا الشارع- و يجعل إصبغه على شارع الزاردين.

و كان إذا شرب دعا بالصورة فيشرب على هذه الشوارع التي ذكرناها لحسن أبنيتها و قصورها. و فضيل أبي العلاء، منسوب إلى سليم أبي العلاء مولى المهدي.

و قال يحيى بن داريه السواق: كان ببغداد في شارع الثلاثة الأبواب ثلاثمائة ملقى للسويق. و كان في قنطرة بردان و قنطرة ميمونه و رحي عبد الملك و سوق يحيى و المخرم و في أطراف بغداد سوى الكرخ أكثر من ثلاثمائة ملقى آخر. و كان سبب كثرة السويق ببغداد أن بغداد كانت في أيام الرشيد و ما قبله إلى أيام المأمون [٤٣ب] عسكرا لكثرة الناس بها و مصيرهم إليها من كل بلد، و كانت الأرباض محشوة بالناس. و كان اللحم يعزّ، لأن الأغنام كانت تدخل في أيام الربيع يجلبها الأعراب من هذا الوقت من البرية. و يجلبها التجار في زمان الخريف من ناحية

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١٠

الجبيل. و يتعذر دخولها في الشتاء إلا الشيء اليسير، يجلب من ناحية الكوفة.

فكان ربما بيع اللحم ببغداد على ستة أواق. فكثير استعمال الناس للسويق لهذه الحال لأنهم كانوا يأكلونه مع التمر و مع السكر و مع الدبس و غير ذلك. فلذا صار كثيرا.

و قال أحمد بن أبي طاهر [٣٢٨]: أخذ الطول من الجانب الشرقي من بغداد للناصر لدين الله عند دخوله مدينة السلام، فوجد مائتا جبل و خمسون جبلا.

و عرضه مائة جبل و خمسة أحبل. يكون ستة و عشرين ألف جريب و مائتين و خمسين جريبا. و وجد طول الجانب الغربي مائتين و

خمسين [٣٢٩] جبلا. و عرضه سبعين جبلا. يكون ذلك سبعة عشر ألف جريب و خمسمائة جريب. فجميع ذلك ثلاثة و أربعون ألف جريب و سبعمائة و خمسون.

و قيل لرجل: كيف وجدت بغداد؟ قال: الأرض كلها بادية و بغداد حاضرتها. و أنشد بعضهم فى بغداد.

بغداد يا دار الملوك و مجتنى صنوف المنى يا مستقر المنابر

و يا جنة الدنيا و يا مطلب الغنى و منبسط الآمال عند المتاجر

و وصف بعض الأدباء بغداد فقال: هى سهليّة جبلية بريّة بحريّة، صيدها غزير و خيرها كثير، طيب هواؤها، يسر فناؤها، دائم رخاؤها. فضلها على سائر البلدان كفضل ماء الأنهار على ماء البحار. فهى كما قال عمارة:

ما ذا ببغداد من خير أفانين و من منازل للدنيا و للدّين

تمسى الرياح بها حسرى إذا درجت و حرّشت بين أغصان الرياحين

و هى محل الخلفاء و مسكن الوزراء و مأوى بنى هاشم و الأبناء و مقرهم و مفرعهم فى الشدائد [٤٤ أ] و الرخاء، الواسعة الدور، الكثيرة القصور، الغزيرة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١١

الأنهار، المريئة العيون، صحيحة البناء، رحبة الفناء، نزهة الهواء، رفيقة بالغرباء، مؤاتية لكل من أتاها، مغيثة لمن استغاث بها، قديمة الصحبة، طيبة التربة، مسكن من تفتى و معقل من تنسك. بناها المنصور و سكنها المهدي و الهادي و الأمين و المأمون. جنة من جنان الدنيا. دجلة فى وسطها، و الصرّاء عن يمينها و نهر الملك أمامها و نهر عيسى مخترق لها و نهر كرخايا يتخلل طرقاتها و نهر الخندق دائر بها. لها الرومية و كلواذى و القفص و عمى و قطربل و المزرفة و بزوغى و الأجمة و الغرك و الشماسية.

إذا غضب على جبار عات حمل إليها. و إذا رضى عنه شهر بها. مواكبها قائمة و منائرها عالية. و نغم مغنياتها ناعمة. الظرف فيها يقتبس و الشكل منها يستوصف. مكان الرئاسة و مقبس السياسة. فهى جنة موقنة و حديقة مشرقة.

و عروس فى مجاسدها و كللها و حجابها. شهية المنظر جميلة المخبر. صبيحة مليحة ظاهرة الوسامة، دمه التراب، مريعة الجنب، غدقة المشارع، و طيبة المضاجع. تروق عيون الناظرين، و تسرّ قلوب المتأملين. و يعيش فى أفنياتها الفقراء و المساكين. مطابقتها وثيقة، و سجونها حريزة. مع كثرة أسواقها و اتساع أرباضها، و فساحة رحابها و امتداد طرقها و سككها.

معشوقه محببة إلى الخلفاء و ولاة العهود و الوزراء. دار ملكهم و معدن صيدهم، و منتهى غاية لذاتهم، موقرة لغلاتهم مباركة عليهم. شامخة البناء، عريضة الفناء، فياحة السطوح، نزهة البساتين، كثيرة الأشجار و الرياحين. مفرع كل ملهوف، و معدن كل تاجر معروف. و حسبك ببلدة قد جمع الله فيها ما فرقه فى غيرها من البلدان من أنواع التجارات و أصناف الصناعات. فهى سلة الدنيا و خزانه الأرض، معدن العلم و ينبوع الحكمة. ليس لها مشتاة كمشتاة الجبال، و لا مصيف كمصيف عمان، و لا صواعق كصواعق [٤٤ ب] تهامة. و لا دماميل كدماميل الجزيرة. و لا جرب كجرب الزنج، و لا طواعين كطواعين الشام. و لا يلحق أهلها ما يلحق أهل البحرين من وجع الطحال. و لا فيها حمى كحمى خبير. و لا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١٢

رداع [٣٣٠] الجحفة. و ليس بها شعابين كنعابين مصر. و لا أفاعى سجستان. و لا عقارب نصيبين. و لا جرّارات الأهواز، و لا قتالات شهرزور.

و أهلها ظرفاء فضلاء فيهم الجمال و لباسهم الكمال، فهم كما قال الشاعر:

ما مثل بغداد فى الدنيا و لا الدين على تقلبها فى كلّ ما حين

ما بين قطربل فالكرخ نرجسة تندی و منبت خيرى و نسرين

تحيا النفوس بريّاهها إذا نفحت و حرّشت بين أوراق الرياحين
سقى لتلك القصور الشاهقات و ماتخفى من البقر الإنسية العين
تستنّ دجلة فيما بينها فترى دهم السفين تغالى كالبراذين
مناظر ذات أبواب مفتحة أيقه بزخاريف و تزيين
فيها القصور التي تهوى بأجنحة بالزائرين إلى القوم المزورين
من كلّ حرّاقه يعلو فقارتها قصر من الساج عال ذى أساطين.
و قدم عبد الله بن صالح بن على بغداد فرأى كثرة الناس بها فقال: ما مررت بطريق من طرق هذه المدينة إلّا ظننت أن الناس قد نودى
فيهم [٣٣١].

و قال المنصور لبعضهم: أخبرنى عن بغداد. قال: جنه بين حماه و كنه تحسدانها، و دجلة و الزاب يتباريان عليها.
و كتب الحسن بن أبى الرعد إلى أبى عبد الله بن الحسن بن أبى الشوارب و هو مقيم بضياعه فى سنجار، يشوقه إلى بغداد:
يا من أقام على قرى سنجار و اختارها دارا بأكرم دار
خلفت بغداد التي لنسيمها أرج من النوار و الأشجار
هى جنه الدنيا فكيف تركتها و قررت أرضا غير ذات قرار
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١٣

أو ليس فيها ألف ألف خريده فى وجهها متنزه الأبصار
و انظر لقلبك لا بعينك هل ترى كرجالها فى سائر الأمصار
[٤٥ أ]

من ذا تصادفه هناك و عنده طرف من الأشعار و الأخبار
معقودة بخلايق أدبية فى رقه الماء الزلال الجارى
و حدثنى بعض الأدباء قال: حججت فرأيت على بعض الأميال [بطريق مكه] [٣٣٢] مكتوبا:
أيا بغداد يا أسفى عليك متى يقضى الرجوع لنا إليك
قنعا سالمين بكلّ خير و ينعم عيشنا فى جانبك
و قال: و رأيت فى غرفة بقرميسين هذين البيتين و قد كتبا فى الحائط:
ليت شعرى عن الذين تركنا خلفنا فى العراق هل يذكرونا
أم لعلّ المدى تطاول حتى قدم العهد دوننا فنسونا
و لما حج الرشيد و بلغ زرود التفت ناحية العراق و قال:
أقول و قد جزنا زرود عشيه و كادت مطايانا تجوز بنا نجدا
على أهل بغداد السلام فإننى أزيد بسيرى عن ديارهم بعدا
و قال بعضهم: لو أن الدنيا خربت و فرق أهل [بغداد] [٣٣٣] فيها لعمرها.
و لما قلّد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بلد اليمن و عمل على الخروج قال:
أير حلّ آلف و يظلّ إلف و تحيا لوعه و يموت قصف
على بغداد دار اللهو منى سلام ما سجا للعين طرف

و ما فارقتها لقلبي و لكن تناولني من الحدثان صرف

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١٤

ألا روح ألا فرج قريب ألا جار من الحدثان كهف

لعلّ زماننا سيعود يوما فيرجع ألف و يسرّ إلف

فبلغ هذا الشعر الوزير فأعفاه من التقليد.

و قال بعض الأدباء:

ببغداد يصفو العيش للمتعبّدو للقارف اللاهي و للمتورّد

و هي أبيات ما فيها طائل.

و قال الجاحظ: قد رأيت المدن [العظام] [٣٣٤] المذكورة بالإتقان و الإحكام، ببلاد الروم و الشامات و غيرها [٤٥ ب]. فلم أر مدينة

قط أرفع سمكا، و لا أجود استدارة، و لا أحكم سورا و فصيلا من مدينة المنصور. كأنما صبت صبا في قالب، و أفرغت إفرغا في

دريزك [٣٣٥] و أنشد.

يا حبّذا بغداد من بلديا ليتني أوطنت بغدادا

لم تر عيني مثلها بلدة طيبة صدرا و إيرادا

إن ردّني الله إلى أهلها لم أتوّد للنوى زادا

و قال الكلبي: سمى المخرم مخرما، لأن مخرم بن حزن الحارثي نزل.

و كانت قنطرة البردان لرجل يقال له السرى بن الحطم صاحب الحطمية التي بقرب بغداد.

و الحرّية منسوبة إلى حرب بن عبد الله البلخي و كان على شرطة جعفر بن المنصور و هو يتقلد الموصل.

و الزهيرية بقرب باب التبن، نسبت إلى زهير بن محمد بن أهل أبيورد.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١٥

و عيسى آباد نسبت إلى عيسى بن المهدي و هو ابن الخيزران و كان في حجر مبارك التركي.

و قصر عبدويه منسوب إلى رجل من الأزدي يقال له عبدويه، و كان من وجوه رجال الدولة.

و أقطع المنصور عمارة بن حمزة الناحية المعروفة.

و أقطع ميمون أبا بشر بن ميمون قطيعة عند بستان القس. و طاقات بشر نسبت إلى بشر بن ميمون و هو مولى لعبد الله بن علي.

و أقطع أم عبيدة حاضنة المهدي، و هي مولاة لمحمد بن علي قطيعة منسوبة إليها. و إليها تنسب الطاقات المعروفة بطاقات أم عبيدة

بقرب الجسر.

و أقطع منيرة و هي مولاة لمحمد بن علي الموضع المنسوب إليها من الجانب الشرقي.

و أقطع ريسانة قطيعة تقرب من مسجد ابن رغبان بالقرب من باب الشعير.

و درب مهرويه في الجانب الشرقي، نسب إلى مهرويه الرازي الذي كان مملوكا فأعتقه المهدي.

و نزل المنصور مدينة السلام منذ يوم بناها إلى آخر خلافته ثم حج منها و توفي بمكة.

و نزلها بعده [٤٦ أ] المهدي، ثم شخص منها إلى ماسبندان فتوفي هناك.

و كان أكثر نزوله إذا كان بمدينة السلام، عيسى آباد حتى بنى فيها أبنية كثيرة. و بها توفي الهادي.

نزلها الرشيد و كان قليل المقام بها، و شخص عنها إلى الرقة فأقام بها مدة ثم سار إلى خراسان فتوفي بطوس.

و نزلها محمد الأمين فقتل بها.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١٦

ثم قدمها المأمون من خراسان و أقام بها ثم شخص عنها غازيا فمات بالبدندون و دفن بطرسوس.

ثم نزلها المعتصم مدة من خلافته، ثم شخص عنها إلى القاطول فنزل قصرًا كان الرشيد بناه. و حفر بها قاطوله الذي سماه أبا الجند لكثرة ما كان يسقى من الأرضين. و كان قد جعله لأرزاق جنده. ثم بنى بالقاطول بناء و دفع ذلك إلى أشناس التركي مولاه. ثم انتقل إلى سرمرى و نقل إليها الناس و بنى مسجدا جامعًا في طرف الأسواق و سماها سرمرى. و أنزل أشناس فيمن ضم إليه من الأتراك و القواد كرخ سرمرى و هو كرخ نيروز. و نزل بعضهم بالدور المعروفة بدور العرياني. و توفي بسرمرى في سنة سبع و عشرين و مائتين. و أقام الواثق بسرمرى و بها توفي.

و استخلف المتوكل فأقام بالهاروني و بنى به أبنية كثيرة و أقطع الناس في ظهر سرمرى في الحير الذي كان المعتصم احتجزه فاتسع الناس بذلك. و بنى مسجدا جامعًا فأعظم النفقة عليه و أمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها. و حتى ينظر إليها من فراسخ. فجمع الناس فيه و تركوا المسجد الأول. و أمر بحمل المحذنين من النواحي فحملوا و حدثوا الناس، فحسنت له بذلك الأحدث. ثم بنى مدينه سماها المتوكليه و عمرها و أقطع الناس بها قطائع و سماها الجعفرى في أول سنة ست و أربعين و مائتين. فانتقل إليها الناس عنها إلى سرمرى.

و قال بعض الظرفاء: مجالسة التمارين تورث المخاتلة. و مجالسة البزازين [٤٦ ب] تورث البخل. و مجالسة العطارين تورث التجميش. و مجالسة الحنطين تورث النفاق. و مجالسة أصحاب السقط تورث الورع. و مجالسة النخاسين تورث الإفلاس. و مجالسة أهل فارس تورث الزندقه. و مجالسة أهل الأهواز تورث الغدر. و مجالسة أهل البصرة تورث صغر الهمة. و مجالسة أهل واسط تورث البدالة. و مجالسة أهل الكوفة تورث المروءة و التجمل. و مجالسة أهل بغداد تورث الفتك و الظرف و اللباقة و النظافة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١٧

و قال عثمان بن أبي شيبة: سمعت أبا الحر السكونى يقول: سمعت ابن عياش يقول و قد ذكرت عنده بغداد فقال: هي دنيا و آخرة. و قال يزدجرد بن مهيناد الكسروى: قد تكلم الناس في بلاد همذان و إصبهان و الرى و سائر الكور الشريفه من بلاد الجبل و خراسان و فخموا شأن مصر خاصة و قالوا بها مقدمين لها على بغداد العراق و سائر الآفاق في كثير من الأفاويل.

و نحن مبطلون ذلك على معتقدى مصر خاصة، و متوصلون إلى التفرقة بين بلدين لا يقومان في عيار، و لا يتوافيان على مقدار. فإذا فعلنا ذلك كان حكم ما لم نذكره من سائر البلدان كالرى و إصبهان و سائر كور أرمينية و آذربيجان، حكم مصر المشهورة بخواصها المذكورة بأنواعها، و يستبدل الاختصار بالتطويل، و أمهات الكلام دون القال و القيل، و نعلم أن الله خلق خلقا مقسوما ما بين قنوات مختلفات حارات و باردات، رطبات و يابسات. ثم جعل تعديل الحياة هو أن لا تشاح على الصيف دون الشتاء، و على برد الماء دون لطف الهواء. فلو كان الزمان بردا جميعا أو حرا أبدا أو خريفا دائما أو ربيعا سرمدًا، لملت الطبيعة زمانها، و ثقل عليها منه فنسمها (؟) و مكانها. و لولا شدة الجوع و كرب العطش لزال لذة الماء و التلذذ بالغذاء. و كذلك القول في الرقاد و السهر، و الحركة و السكون، و الحمام و الجماع، و الحر و البرد، و الرطوبة و اليبس، و لو كلف أحدنا أكل الخبيص دائما و اللبن دائما و العسل دائما، لكلفنا [٤٧ أ] أمرا مربوطا بمكروه الطبيعة، مقرونا بأنكره و أرداه و أضناه. و لو كان الغذاء واحدا و الزمان واحدا و الدواء واحدا، لكان الغذاء هو الدواء و الربيع هو الشتاء. فقد دللنا بذلك على أن أشرف البلدان مكانا، و أفضل البقاع زمانا، ما كان منتقلا بين أقسام الحر و البرد و الرطوبة و اليبس. و لا خير في زمان يكون ليلا سرمدًا، و نهارا أبدا.

و سندل على أن المتطاولين بالحد الواجب المتناسب من الزمان بمصر، هم الملتجئون من منائر أرضهم هذه إلى السماء. و المحوجون إلى النوم تحت السقف الواحد أبدا. و الماء و الهواء هما مع ذلك ركنا حياتنا و خلته لتتام خلقنا. فأیما بقعة الباث فيها الاعتدال، و

الاعتدال هو الانتقال، و الانتقال هو الزوال من حال إلى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١٨

حال، حتى تكون دهرًا قطرا، و ليها و نهارها واحدا بدائم. نجد مع ذلك الذي ينبغي منه دوام بقائه و اتصاله و صفائه، هو ماء نيلهم الأ-عظم و عزهم الأ-كبر. فهو الذي لا- دوام لمائه و لا- اتصال لطيبه و صفائه. فإن مثل الناس بين الهواء بمصر و بين أزمان بغداد المعدلات، و بين نيلها و ما فيه من الحوادث الهائلات و العجائب الطارقات، و كثيرا مما لا يطيب استماعه- فضلا عن مشاهدته- و لو لا- ما قد جرت لأهله العادات، و بين ماء دجلتنا و الفرات و غياث السحاب الربيعيات، و أيام الشتاء المدجنات، و ما في السماء من البركات، مِيلوا باطلا و أضاعوا محصولا.

و قد زعم كثير من أهل النظر أنه لولا طلسم بمصر لأغرقها النيل و البحر.

و أن بلدا لا- تقوم أركانه، و ثبات أهله و جيرانه إلا بحيلة من المربوبين، لا يؤمن فسادها، و بعاصمة من المخلوقين تشوبها الظنون، و تزول بدونها عقد اليقين، لعل على خطر عظيم و غرر جليل.

هذا و ليس بين أن ترى ساكنيه عطشى يتشطحون و بين أن يكونوا في السفائن [٤٧ ب] و الزواريق يتزاورون، و في مراكب الطوفان يذهبون و يجيئون فرقا في مواقيت معلومة من الزمان و أحوال معتادة من الأيام.

و مما يزيد بعده بمقادير عقول المصريين، و يجوز لك الدليل على موازين المعدلين بين مصر و مدينة السلام، أن يعلم أن قوما قد زعموا أن الأحكام لم تكن لتملك على قوم ملكا، و ذلك الملك أنقصهم عقلا و لا أوضعهم رأيا و لا أسيرهم نهما و لا أصغرهم علما، مع تقدم الشهادات لعقول الملوك خاصة. و بالخواص التي تكون مقرونة بهم و منسوبة إلى قرائحهم، عدل الملك في زمانه أو جاره.

و إذا كان هذا هكذا، ثم وجدنا فرعون قد ملك مصر دون غيرها و غلب عليها دونما سواها (أنا رَبُّكُمْ الأعلى)، فما ظنك بعقول قوم هذا عقل من ملكوه عليهم.

و مغرس هذه آثار ثماره، و نتائج أشجاره. و نحن قد فوضنا مصر إلى خمارويه و زدناه من الأقطار إلى حدود الأنبار.

و إذا ذهبنا نقابل المصريين بما ببغداد من الفضائل: وزيراً بوزير و أميراً بأمير

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣١٩

و حكيمًا بحكيم و خطيبًا بخطيب و بليغًا ببليغ و أديبًا بأديب و طيبًا بطيب و حاسبًا بحاسب و كاتبًا بكاتب و محاربًا بمحارب و مضاربًا بمضارب و مقاتلًا بمقاتل و مفاضلًا بمفاضل و قاضيا بقاض و فقيها بفقير حتى يؤول الأمر بنا إلى ذكر أرباب الصناعات الشريفة و المهن اللطيفة، كنا قد تعرضنا إلى ما لا سبيل إلى استيفائه و لا دليل على إحصائه. و إلا فمن أين للمصريين كذى الرأى و الغنى و البأس و البلاء و الحكم و الدعاء و الحيلة و الدهاء و الجود و السخاء و العهد و الوفاء و الشدة و الرخاء، عدو عدائه، و أين إليها ليل من آبائه، عبيد الله بن عبد الله بن الطاهر، و كابن الطيب الحكمى و ثابت بن قره الحرانى و العباسى المنطقى و المنيقط الناشى و الأقليدس الذكى [٤٨ أ] و البرذعى العدلى و أبى صالح السنى، إلا أن يظنوا أن لهم أيضا كالمبرّد المشهور أو ثعلب المذكور. و من لم يزل و لا يزال بها من الفاضلين على الدهور و على السنين و الشهور.

و ليس لهم أن يفاخرونا بهرمس في زمانه أو بمثله في زماننا. و لا بأغاثيمون في أواننا هذا، و هم يعلمون أو لا يعلمون أن بابل العراق كانت مركز العلم و العلماء و مكان الحكمة و الحكماء. و لكن الملك المظفر لما غلب على ملوك العمران، نقل الحكمة و الحكماء إلى بلاد المينا أو نحوها مما قد سلف.

فأما مفاخرة القوم بالديار و المقاصير و سائر الأغذية و التدابير، أو مما ببغداد من سائر الفواكه و الثمار و غرائب النخل و الأشجار، فظنّ ما شئت أن تعدّه تجده موجودا غير مفقود و قريبا غير بعيد. زعم لى مهرويه باغبان [٣٣٦] السلطان أنه يعرف بمدينة السلام نيفا و

سبعين نوعاً من التفاح، ثم عدّها، فتبسم أخوه شهريار ثم قال: كذا وكذا زيادة على ما قال أخوه بنحو أربعمائة نوع و تسعة أنواع. وما ظنك ببلد مع جميع ما فيه من غرائب الأشجار و أجناس النخيل و البقول و المزارع و الثمار ينبت الأترج و النارج كما ينبت الزعفران و الأقحوان، كما ينبت الفستق و اللوز و الزعرور و الموز و الشاهبلوط و الجوز و الغبيراء و الجلوز و السدر البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢٠

و الحبة الخضراء و اللقاح و البنديق و البلوط و المقل و السبستان و الهليون و الريباس و الفوة و المحروث و الاشرغاز و الراس و الانجذان و العنصل و الاشقىل و الداذى و البلمخية (؟) و الزوبن (؟) و ما لا يحصى و لا يلحق من جميع الأشياء. و لقد حدثني يونس الصيدلاني قال: ما أحصى ما يحمل من العقاقير النابتة على سواقي الأنهار ببادرويا كالشبرم و السورنجان و البنج و الخريق و التريذ و المازريون و الثيل و الإذخر [٤٨ ب] و الأفسنتين و الجعدة و الفنجمشك و الغافت و المرقد و الحنظل، و أضعاف ما ذكرت من العقاقير التي تدخل في الأدوية.

فإن شئت أن نذاكره بالسكر و الجيسوان و الازاد و الخركان و العروسى و الحمران و الهيثا و الهليان و البردى و المشان و الطبرزد و الباذنجان و القرثيا و المادبان و القرشى و البدالى و المعقلى و الصيحاني و البهشكر، وصلنا من ذلك إلى خير كثير و أمر مشهور. فأما أنواع الاخبزة و الاخبضة و أصناف الأشربة و الانبذة و سائر الانبجات و الافشرجات و أنواع الأرباب و المربيات فغير معلوم لأهل المغرب و لا معدوم في أفنية بابل و ما عملت.

و لا- أعلم في الماضين من ملوك الزمان جميعاً ملوكاً دانوا بالظن بأزمانهم و انتحلوا القرى إلى الله بالاعراق في التماس اللذات الزمانيات في مطاعمهم و مشاربهم و ملابسهم و مناكحهم من أولاد فارس و ملوك الأكاسرة، فإنهم كانوا دون ملوك الروم و الهند و سائر الأطراف، و أعلم بموافق الريف و أحذق بتدبير العيش اللطيف، و هم كانوا الأئمة في غرائب الغايات و العلماء بأصناف التدابير و الملهذات، و كانت الأفاضل من ملوك بنى ساسان خاصة تفاخر غيرها من الملوك باستيطان مدائن العراق، و بتناول تطف الهواء بها و صحة الماء فيها. هذا من حكم الخمرة البالية التي كانت تفاخر بها في أعيادها و تعازٍ بخواصها في أيامها، و تزعم أنه لو لا اعتدال الأرض و الماء و اتزان مناسبة الماء و الهواء، ما وصلوا من طعوم شرابهم هذا، و أنواع ألوانه و نسيمه و روائحه إلى غايات لا سبيل إلى مثلها إلا نظير لها في شكلها. و إذا كان ذلك لهم في الشراب أن يكون ذلك هو حق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢١

الحكم لها في سائر المنابت و الأشجار، و أنواع الأغذية و الثمار. و لئن صح ذلك بذلك [٤٩ أ] و هو كذلك، فسيصح أن الغايات التي جرت باعتدالها طبائعها، و اتصلت لإمداد خلقتنا و غرائزنا خليفة ان تفرد بالخاصيات المعدلات و الخصائص المكملات، فليس إسراف الهواء في اللطافة و دوامه إلا كإسرافه في الكثافة و اتصالها فيه. و الاعتدال إذا هو الكمال الفاضل و الزمان العادل. و قد ذكرت الجماعة المميزة من المادرائيين انهم كانوا لا يشمون بنواحي الرى و إصبهان و قروين و زنجان إلى سائر أمهات الجبال من بلاد همذان شيئاً من روائح الصنيع المشوى و القديد، سواء كان ذلك من الثور أو البعير أو الفروج أو العصفور، إلا اختلاسا و نزهما (؟) و ذلك هو إما لكثافة الهواء في نفسه أو لغلظ الغذاء في جنسه.

و إنك و الحق لتشهد أن تنسى مك عندنا روائح خبز المخابز البعيدة فضلاً [عن] الجديدة. فما ظنك بالحيوان المشوى في التنور و الصنيع المدبر بالقدور؟

و يمثل ذلك حدثني الفطن الذكى و اللبيب الحسى، إبراهيم بن أحمد المادرائي عن الهواء بمصر، الذى يمحق رائحة المسك الأذفر و الكافور و العنبر كما قال غيره.

و قد علمنا أن لأهل قم الشراب الميرى، و لأهل إصبهان الشاهجاني، و لأهل الرى السدنى، و لأهل همذان المرجاني، و لأهل قروين الدستباني، و لأهل مصر الرساطون العسلى، و لأهل الشام الحلفى. و لكن أين فضائل هذه الأنواع جميعاً لو جمعت في نوع منها من

الشراب السورى و العصير البابلى و الطيخ القطربلى و المعثق الصريفينى؟

ثم رجع الكلام إلى نوعه فى مصر و المصريين فنقول: فأين طرقات مصر من طرقات بغداد؟ و ديارها من ديارها و رحابها من رحابها و دروبها من دروبها. و هى محال الأقدار و مزابل الطفار؟

و حدث إبراهيم بن ياسين و كان مصريا يجهز المسك إلى مصر، إنه لا يكاد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢٢

يشم فى محال مصر شيئا من المسك الأذفر و لا الكافور و العنبر.

و حدثنى فى أثر ذلك صديقى السرخسى فقال: إن طباخا [٤٩ ب] لنا أتى بقمامة فرماها إزاء باب دار منزلنا ببغداد فجلست لتأديه قبالتها و دعوت بالمقارع، إذ أقبل رجل يسعى لشأن كأنما لم يخلق لغيره، فبحث القمامة بيده و أثار منها صوفا و زجاجا مكسرا فالتقفه و مضى مبادرا. ثم أتى آخر فى أثره ينحو نحوه فبحث باقيها و أثار منها قشور جوز و قشور [٣٣٧] فأخذ منها و لى منطلقا. ثم تلاهما ثالث يقفو أثرهما فأثار القمامة و أخرج ما كان فيها من النوى فأخذها و مضى. ثم أقبل قمام الحمام فغربلها و تزود ما فيها ثم مضى. ثم أقبل آخر معه فنخل التراب فاستخرج منه شيئا فأخذه و مضى. ثم جاء أجير الحراث فكسح باقيها و كان ترابا و رمادا فأخذه و مضى. قال: فأمسكت عن ضرب الغلام و قلت: ذلك تقدير العزيز العليم.

و ما حاجتنا و ما حاجتك إلى الانتصار بغير العيان و التظاهر على خصماننا بغير ما هو لنا [٣٣٨] فى الزمان؟ هؤلاء المدارئون أهلنا و أصحابنا و إخوتنا و أترابنا رؤساء مصر و سؤاسها و كتاب أعمالها و أربابها ذوو القدرة التامة و الأمر النافذ و السلطان الظاهر و العز المتظاهر، يتطلع أعظمهم قدرا و أكبرهم أمرا و أعزهم شأنا و أوسعهم سلطانا إلى قوافل الحاج و وفود المجهزين من بغداد، حتى يستصحب لهم الخفاف الطائفية و النعال السندية و المقاريض الهيثية و الأمشاط الطاهرية و السكاكين الكتابية و كثيرا مما يصنع من الأبنوس و العاج و العمام الموجود من العطر و الزجاج. فما ظنك بما لا يتهيأ حمله و لا يسهل تجهيزه و نقله؟

و لست تجد كبيرا من كبراء الأطراف و لا- عظيما من عظماء ملوك النواحي كملك الديلم و الطيلسان و ملك السوس و من وراء آذربيجان و سائر المتغلبين من أولياء الدولة فى مشارق الأرض و مغاربها إلا متبجحين بمن يصير إليهم و يلقاهم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢٣

من مدينة السلام. كائنا من كان أو يحمل إلى مواطنهم [٥٠ أ] و يغشاهم و ينافسون على اصطناعه و يشاؤون على ادخاره و يغارون على اقتنائه كما يستقصون على فقده و يتحاسدون على وجدانه. و أحسبهم يعنون بعد المجاهدة فى ذلك و المبالغة فى اطلاب ذلك إلى غير المنفيين من الطباخين و المستجهلين من المتطبيين و المستبردين من المغنين و المسترقين من الحنطين. فقد قنع الرئيس الأ-عظم و الملك الأ-كبر من الجماعة أن يقال هذه مغنية بغدادية و عاملة عراقية و زامرة زربية و طبالة عتقية و عوادة بناتية أو خريجة [٣٣٩] شارية، و زنبق و رحيب و منعم و عرفان و زاعم و بدعة، و كفاهم من ذلك أن تقول الجارية رأيت بدعة و كلمت تحفة و سمعت جدوة، و شاهدت طيايا و أعرف زريابا. كما كفاهم أن يقولوا: ماشطة طاهرية و خازنة حريمية، و كانت ستي فلانة الفلانية. فتلك عندهم من النعم المعدودات و الذخائر المقتصدات.

ثم رجع الكلام إلى ذكر شبيه ما كنا فيه من ذكر المصريين، فلعن القوم أن يفاخرونا بالمعادن و يعاروننا بالزبرجد و الديقى، فإن فعلوا، فأخلق بنا أن نقول إن ذلك شئ إن استجاز القوم المعازة به فى المعادن و فى الزبرجد و الديقى، فكانوا قد دلوا من أنفسهم على ضعف كبير و عجز مشهور. و إنما فإن كان المعدن هو العلة لشرفهم فليس بمأمون زوال الشرف بزوال المعدن. و إن كان شرف المعدن إنما هو شرف لنفسه، كانت كل ذات معدنية ذات شرف بنفسها. و إن كان شرف الذهب شرفا لنفسه، فلا يكون الرصاص و حجر النار شريفا لنفسه. و إن كان شرف القوم إنما هو شئ هو لعتهم و علمة المعدن معا، و قد وجدنا نصيب أبعدنا من المعدن كنصيب أفرنا منه و أوفر، و لست مع ذلك تجد الحد فى ثمن المثقال من الذهب بمصر إلا كالحدد فى قيمته بأقصى حجر بالتبر و

الطيلسان.

فأما معازتهم بالقصب والديبقي [٥٠ ب] والملحم والخليجي، فقد قلنا و نقول: إن ذلك هو شيء لنا دونهم. فإنه لو وجب التناول بذلك علينا لاستجاز

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢٤

الحرّاثون مفاخرة أرباب الضياع، و نساجو الديباج التناول على لابسية. و لكان مرّكب التاج بالدر و الياقوت يشارك الملك الأعظم في عزه و سلطانه و في أقصى من مكانته من شأنه. حتى كون صائغ الإكليل أحق به ممن أمره و نهاه و استأجره و أعطاه. و الدليل على صدقنا، أن أهل مصر لو كانوا إنما يتخذون الديبقي و يتكلفون صنعة الملحم و التنيسي لهم و لمن هو منهم و إليهم، لهلك النساجون و لمات البزازون و سائر من بها من أرباب القراطيس و صناع الشمع و الخيش و الكرايس. ذلك هو القول في المجهزات جميعا من خراسان و سائر بلاد الله في جميع العمران.

ثم لا- نجد بغداد عند ذلك إلّا كالجوهر القائم بنفسه، و البلدان دونها كالأعراض التي لا قوام لها إلّا بما هو أثبت بها و أغنى عنها. فالدنيا العراق و الناس أهلها. و الطاعنون على بغداد هم الطاعنون على اختيار الخلفاء. و الطاعنون على الخلفاء، الطاعنون على الأنبياء، و الطاعنون على الأنبياء هم الطاعنون على رب الأنبياء.

و حدثني القاضي إسماعيل بن إسحاق، و كفى به محدثا. و محمد بن يزيد و كفى به مخبرا، قال: لقد كنا نلتمس بالبصرة من جيد التمور و أنواع الأرباب فنجد ببغداد ما لم ير مثله بأنهار البصرة جميعا.

و حدثني من لا ارتياب للعقلاء في عقله و لا اشتباه عند الحكماء في فضله بعلمه و آدابه و أنسابه و إحسانه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر متمثلا- في أثر كلام مّ في غرائب بغداد فقال: تزعم العامة أن رجلا من مجهزي القطن كان بالشام ثم وقع إلى كورة مرو من بلاد خراسان و هو لا يظن أن القطن يكون بغير الشام فاحتمل من كثرته بمرور بما فاض عن عقله و اتهم معه فهمه. ثم سأل عن البلدان التي يحتمل تجهيز ذلك إليها فقليل له بغداد. فقال: و كم في الأرض من [٥١ أ] بغداد. فصدق عن القصة فقال: أظن أن أهل بغداد يأكلون القطن أو تبنى لهم به المساكن و الجدران. فأقبل يريد العراق لذلك.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢٥

[و] أشرف من بلاد الري و نواحيها على ما لم تر عينه مثله من الأقطان أيضا و تجهيزها، فسأل فكانت القصة سواء. ثم أقبل إلى ملتقى القوافل بقرميسين فأقبلت عليه الأرض بيضاء بالأقطان فازداد حرصا على مشاهدة بلد يأكل أهل القطن و يشربونه و يبنون به دورهم. فلما بلغ بغداد، لم يرها بنيت بالقطن و لا مصنوعة منه فقال له: ها أنت ببغداد. قال: فإذا كانت هذه بغدادكم، فأين الدنيا و الآخرة؟ و قال المعروف بابن يزيد الرقي و محمد بن نصر الدلّالان:- و هما شيخان مستوران قد أسنّا- إنّنا لنركض على حميرنا في حواشي بغداد و أوساطها منذ سبعين سنة لدلالة ما يباع من المنازل و العقارات و سائر العقود و المستغلات في الليل و النهار و الغدو و الآصال. و إنّنا لنمرّ في أيامنا بل في الزمان جميعا ببغداد و لا- عهد لنا بها و دور لا معرفة لنا بشيء منها و مسالك لا تحيط بها أو هامنا و لا سلكنها قط. و كثير من الناس يقولون إن جاني بغداد كالفرسخين، و قد غلطوا في ذلك غلطا بينا.

و أنشد لكاتب من أهل البندنجيين يذكر فضل بغداد و يذم مصر:

هل غاية من بعد مصر أجيئها للرزق من قذف المحلّ سحيق

لم يأل كم حطّت بمصر ركابه للرزق من ركن لديه وثيق

نادته من أقصى البلاد بذكرها و تعنّفته بعد بالتعويق

كم قد جشمت على المكاره دونها من كلّ مشتبه الفجاج عميق

و قطعت من عافي الصوى متخوّفا ما بين هيت إلى محارم فيق

فعریش مصر هناك فالفرما إلى تنيسها فديرة فديق
بحرا و بزا قد سلكتهما إلى فسطاطها و محل كل فريق
و رأيت أدنى خيرها من راغب أنأى لطالبه من العيوق
قلت منافعها فضج ولاتهاو شكا التجار بها كساد السوق
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢٤

ما إن يرى فيها العريق إذا رأى شيئا سوى الخيلاء و التبريق
قد فضلوا جهلا مقطّمهم على بيت بمكة للإله عتيق
بمصارع لم يبق في أحداثها منهم صدى بزّ و لا صدق
إن قال فاعلهم فغير موفّق أو قال قائلهم فغير صدوق
شيع الضلال و حزب كل منافق و مصارع للغى و التنفيق
أخلاق فرعون اللعينة فيهم و القول بالتشبيه و المخلوق
لولا اعتزال فيهم و ترفّض من عصبة لدعوت بالتغريق
يا طول شوقى و اتّصال صبايتى و دوام لوعة زفرتى و شهيقى
ذكر العراق فلم تزل أجفانه تهمنى عليه بمائها المدفوق
و نعيم دهر أغفلت أيامنا بالكرخ فى قصف و فى تفسيق
و ينهر عيسى أو بشاطى دجلة أو بالصراة إلى رحى بطريق
سقى لتلك مغانيا و معارف اعمرت بغير البخل و التضيق
ما كان أنهاء و أبعده عن أرض مصر و نيلها الممحق
لا يبعدن صريم عزمك بالمنى ما أنت بالتنفيذ بالمحقوق
فربا الرجوع إلى العراق و حلّها بمصر فريق بعد جمع فريق [٣٤٠]

و قال أحمد بن الطيب [٣٤١] تلميذ الكندى: مدينة السلام شريفه المكان، كثيرة الأهل، واسعة [٥٢ أ] الشكل، بعيدة القطر، جليئة
الولاية نبيهة السلطان، ينبوع الآداب و منبت الحكم. يأتيها برد الآفاق و خطباء البلاد. ما فعل فيها من خير فمشهور و ما علن فيها من شر
فمستور. منها الفقهاء و القضاة و الأمراء و الولاة.

عتاد الخلافة و دار أهل الدعوة. و إن لها لجنسا من السعادة و لأهلها نوعا من الرئاسة، و ذلك أنه قلما اجتمع اثنان متشاكلان و كان
أحدهما بغداديا، إلّا كان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢٧

المتقدم فى لطيف الفطنة و حسن الحيلة، لئن المعاملة جميل المعاشرة حلو اللفظ مليح الحركات ظريف الشمائل.
فأما ما ينبغى أن تفهمه من عيها و تقف عليه من مذموم أمرها فهو أن بعض ما عدت محاسنها يعود فيصير عيبا لها و قبيحا من أمرها.
و ذلك أن سعتها أفرطت حتى صارت مساحتها أربعة فراسخ. و الذى هذه مساحتها إذا كان قريبا معتدلا يحيط به حائط طوله ثمانية
فراسخ. يكون ذلك أربعة و عشرين ميلا. و إذا كان هذا هكذا و احتيج إلى حراسة هذه المدينة و احتاج سلطانها التحصن فيها، فأقل
ما يحتاج إليه من الحفظه و أصحاب المجانيق و العرادات فى كل ميل ألف رجل يكون جملتهم على حسب ذلك أربعة و عشرين

ألف رجل. فإذا لم يحفظ هذه المدينة أهلها متبرعين ذلك أو مضطرين، فأقل ما تحتاج إليه لأرزاق و حفظتها على اختلاف أحوالهم وقائد و عريف و تابع و ما يحتاج إليه لمؤن المدادين في المجانيق و العرادات و مؤن الموكلين بهم و القوام و مرمية أسلحتهم و ما يتصل بذلك من أثمان الآلات و مرمتها ما يكون لو ضرب بعضه في بعض على أحسن التقديرات عشرة دراهم كل يوم. و لكل رجل زهاء مائتي ألف درهم و أربعين ألف درهم في كل يوم. فإذا أقاموا على ذلك شهرا، احتاج هؤلاء الحفظه دون المقاتلة إلى سبعة ألف ألف درهم و مائتي ألف درهم. فإن كان المتحصن [٥٢ب] مختلا فقد أتى من مأمنه و دخل عليه في حصنه. و لذلك ما أنفق محمد بن عبد الله بن طاهر في سنة المستعين و الفتنة، زهاء مائة ألف ألف درهم على حفظ السور و المقاتلة. و لقد دخله خلل و هجم على المدينة من ناحية بغويربا حتى ناحية السور و نقص من الإحاطة شيء له قدر. فهذا أحد العيوب أيضا. فإن الخليفة الذي رسم هذه المدينة التي يحامى عليها من الأطراف الشاسعة و الثغور النائية. و إن القطب الذي عليه المدار و القبة التي ينفذ منها التدبير لمتوسطها بين أقصى المشرق و أبعد نهاية المغرب. و كذلك هي في توسط ما بين الشمال و الجنوب. و ذلك أن كثرة أهلها تدعو إلى شدة الحاجة، و إلى كثرة الميرة لها. و لذلك ما يحتاج أهلها إلى ميرة من أقصى ديار مصر. و بينها و بين ذلك مائة و عشرون فرسخا. و يحتاجون من البعد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢٨

موضع في ديار ربيعة و أشجع مكان من أعلى الموصل. و بينهم و بين أدنى تلك المواضع نحو المائة فرسخ. فلو اعترض معترض فقطع ميرة ديار ربيعة و الموصل عنهم ثم كان المتحصن أفضل الأئمة عدلا فضلا عن أمير أو رئيس لا اضطروا إلى إخراجه و نفيه عن جوارهم و لا سيما و هم لا يخافون لكثرة عددهم و جليل قدرهم و كثرة السلاح فيهم، و هم مستلثمون فيها. [و لهذا] السبب أيضا لا يمكن أن يتحصن بها ملك. ألا ترى إلى الملوك الذين دوخوا البلاد و ملكوا العباد، و بنوا المدن و حفروا الأنهار و عمروا الأرض و ساسوا الملك و قارعوا الملوك، لما اتخذ مدينة جعل السور يحيط بالساكين و بموضع مزدرعهم كما هو موجود بأرض بابل و بناحية سمرقند و بخارا.

و أنت [٥٣أ] إذا ما سألت عن مدن الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب، وجدت الأمر على ما وصفت لك، إلا المدن المحدثه التي بنتها العرب في الإسلام و هي الكوفة و البصرة و بغداد. و لم تؤت الملوك القدماء من قلة معرفة و لا من جهل بصواب التدبير و السياسة.

فأما واسط و سرمرى فعسكران، و ذلك أن واسط بناها الحجاج منزلا لنفسه و معسكرا لجند أهل الشام، ربأ بهم من مجاورة أهل العراق و معاملتهم. و أهل العراق حينئذ أهل الكوفة و البصرة. و لقد أحسن في اختيار الموضع لأنه جبلى سهلى برى بحرى عذب الماء طيب الهواء، يوجد فيه الثلج و الرطب، و القبيج و السمك. و إنما كانت واسط مدينة كسكر و جوجو تحضنه المياه. و واسط على حال أجمل من سرمرى و ذلك أن ابن هبيرة تحصن بحصن واسط و قد انتشرت المسودة فيما بين أقصى خراسان إلى مصر، و المنصور مقيم عليه في سادات أهل خراسان و ذوى البأس و النجدة من أهلها، فما وصل إليه إلا بعد إعطائه إياه الأمان و بذل جميع ما اشترط لنفسه.

فأما سرمرى فإن المعتصم تنحى إليها عن مدينة السلام لسببين أحدهما تبعيها لمواليه الأتراك عن أمناء الدعوة من أهل مدينة السلام. و الثانى أن ما دون عكبرا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٢٩

و آخر ديار ربيعة إنما هو منازل الشراه. فأراد أن ينزل في وسط ديارهم فيشد بهم و يدفع عاديتهم.

و سرمرى ضاحية لا سور يحصنها و لا خندق يمنعها و لا ميرة تقرب منها.

و إنما يشرب جماعة من فيها من النهر الأعظم. و ربما رأيتها إذا اشتد الحر و التهب الهجير و اجتذم القيظ و الراوية في بعض المواضع

في بعض الأوقات بدرهمين و أكثر. هذا في السلم و الأمن. فمن حق ما كان مثل هذه من المدن و الكور أن يكون سكانها شجعانا انجادا أبطالا يحمون أنفسهم و يدفعون عن [٥٣ ب] حوزتهم معاقلهم السيوف و تجارتهم الحروب. و إلا فإن أناخ عليها منيخ و اعتمد على من فيها بكلكله ما كان إلا بمنزلة من يحرض بريبة و ينازع بخروج نفسه، و ليس هكذا أهل بغداد. لأن لهم آبارا يستعذبون ماءها و يستغنون عن نهرهم الأعظم بها.

و لكن من جميل أمر بغداد أن السلطان آمن من أن يغلب عليها رئيس لبعض الآراء، كغلبة الطالبين كثيرا بالشيعة على أهل الكوفة، و ذلك أن ببغداد من مخالفي الشيعة من يقرون بالشيعة، و بها من مخالفي المعتزلة من يقرون بالمعتزلة. و بها من مخالفي الخوارج من يقرون بالخوارج. فكل فريق يقاوم ضده و يدفعه عن أن يرئسه.

فقد تركوا الرئاسة للسلطان و ربحوا تسليط الفناء و التفاني بالحرب. و لكنه ربما عرضت الآفات و هجمتهم، و ذلك أنه إذا اتصلت المكاره عليهم و دام فيهم جور الولاة و عوملوا من التعنت و طلب الرشى ما لا يحتمله إلا الدليل و ذو العدة القليل تهايجوا و فرعوا إلى التطوع فحدث منهم مثل الذي حدث عند خروجهم مع سهل بن سلامة [٣٤٢] في أرباض الحربية. فإنه اجتمع لما تطوع و دعا إلى إنكار المنكر، زهاء خمسمائة ألف إنسان، و كما هاجوا عند تأذيتهم بمحمد بن أوس و صعايكة القادمين مع سليمان بن عبد الله [٣٤٣]. فإن الصعايكة لما أسرفوا في الفسق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣٠

و الفجور، تهايجوا من جانبى مدينة السلام قاصدين منزل محمد بن أوس. فلقد كنت منصرفا في ذلك الوقت من جانب الغربى أريد الجانب الشرقى فوقفت موقفا أتبين فيه من يعدو من الجانب الغربى يريد منزل ابن أوس، و احترست من الإسراف، و ظننت أن من عبر إلى أن انصرف بالغنيمه و النهب أكثر من مائتى ألف إنسان. فهذا مما ينبغى أن تعتقده في هذه المدينة.

فأما القطع [٥٤ أ] الذى مدينة السلام منه، فأفضل مواضع الأرض جميعا فى الطيب و الغذاء. و ذلك أن أطيب حيز الدنيا بعد الأمن و العافية و العز و السلامة و الرئاسة و الشرف، صلاح الماء و الهواء. فأفضل أنهار هذا العالم و أعذبه ماء و أصحها هواء و أكثره خيرا، دجلة و الفرات. و ذلك أن الفرات يسيل إلى بغداد بجميع الشام و سواحل بحر الروم و مصر و ما وراء مصر إلى المغرب، و ما بين المغرب و نهاية العمران فى الشمال و ما يأتى به أيضا من قطع بحر الشام عرضا، حتى قرب من جزيرة نيطس و قسطنطينية. لأن الروم و الأندلس و الخزر و الصقالبة و البربر على هذا البحر فهو يقطع عرضا فيحمل الخزر من شماله إلى جنوبه، و يحمل الأندلس من جنوبه إلى شماله. و لذلك نعجب أن يؤتى بسبى الأندلس فى دجله، و الخزر فى الفرات.

و هذا البحر من أنطاكية إلى جزائر السعادة و منه خليج يخرج مما يلي الأندلس حتى يبلغ السوس الأقصى، و يصير من ناحية أنطاكية إلى ناحية قسطنطينية ثم يدور حتى الخزر. و على ساحل هذا البحر طرسوس و المصيصة و أطرابلس و صيدا و يافا و عسقلان و الإسكندرية. و عليه من ناحية قصر دمياط و الفرما. و فيه قبرس و صقلية. فكلما على هذا البحر أو وصل إليه أو قرب منه فصار فى جنوبه، و أريد به العراق مما يلي ديار مضر، فطريقه فى الفرات، و كلما كان فى شماله و عدل به إلى ناحية ديار ربيعة و بلاد الموصل و أريد به العراق فطريقه فى دجلة، و لدجلة أنهار تأتي فكلما قصد به بلاد الموصل من أرمينية و آذربيجان.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣١

و الفرات و دجلة جميعا يتصلان ببحر الحبشة الذى له ذنب مما يلي العراق من ناحية الأبله. و الأبله أشد مواضع البحر دخولا فى الشمال، و الأبله كأنها راوية لهذا الذنب و يمر الماء على شكل مثلث يتسع كلما بعد من الزاوية التى تلى الأبله حتى يهجم على معظم البحر. و لهذا الذنب ساحلان و هما الضفتان يخرجان من الزاوية [٥٤ ب] و يتسع بعدهما كلما طال امتدادهما، فأحد هذين الساحلين يقال له الأهوازي الفارسى، و هو الذى عليه دورق و ماهرويان و جناباد و سينيذ و سيراف و تيز و مكران و الديبل، و الساحل الآخر يعرف بالعربى و هو الذى عليه اليمامة و عمان و مهرة و الشحر. و هذا البحر متصل بالصين.

فدجلة و الفرات يتصلان بالبطنح و يتصلان منهنما بالأبلة و من الأبلة يركب العراقيون فى هذا البحر، فمن هذين النهرين خيرات أكثر الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب.

و قال ابن عباس: أوحى الله إلى دانيال الأكبر أن افجر لعداى نهرين و اجعل مغيضهما البحر، فقد أمرت الأرض أن تطيعك. فأخذ خشبة و جعل يجرها فى الأرض و الماء يتبعه، فكلما مرّ بأرض يتيم أو أرملة أو شيخ كبير ناشدوه الله فيحيد عنهم، فعواقيل دجلة و الفرات من ذلك.

و مبتدأ دجلة من أرمينية الرابعة ثم تمر إلى جانب قردى و هى قرية الثمانين التى بناها نوح عليه السلام، ثم تمر بين [باسورين] [٣٤٤] ثم تأخذ على بلد و الموصل و الحديثة و السن و تكريت و سمرى، تصب فى البطيحة حيث يغيض الفرات فيجتمعان و يمران بالبصرة ثم الأبلة ثم يصيران إلى البحر.

و مخرج دجلة من جبال آمد، و مخرج الفرات من بلد الروم، حتى يصب فى دجلة. و بين بغداد و واسط يتشعب شعبا كثيرة إلا أن عموده يمضى حتى يغيب بالكوفة و يصب مما يلي جنلاء فى البطيحة. و ليس عمود الذى يصب بالبطيحة يأتى بخير من بحر الحبشة الذى مرقاه الأبلة، و لكن بسعته التى تتعرج من عموده [٣٤٥] و يأخذ فى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣٢

نهر الرفيل، و يأتى إلى المحول و نهر عيسى و يصب فى دجلة بكرخ بغداد، فما ركب هذين البحرين أو جاورهما فهم أهل الماء العذب و الهواء العدى.

و أخبرنى بشىء عجيب تذكره العلماء على وجه الدهر، و ذلك أنهم يقولون إن أقام الغريب ببلد الموصل تبين فى [٥٥ أ] بدنه فضل قوة، و إذا أقام الغريب بالأهواز سنة تبين فى بدنه و عقله نقصا. و إن الغريب إذا أقام بالتبت سنة دام سروره و اتصل فرحه. و ما نعرف لجميع ما قلنا سببا إلا لصحة هواء الموصل و عذوبة مائها، و لرداءة نسيم الأهواز و تكدر جوّه. فأما علة التبت فغير معلومة.

و قال لى على بن الجهم إنه قد سافر أسفارا أبعد فيها، مشرقية و مغربية، و انه ألزم نفسه العناية يتعرف طيب الهواء و عذوبة الماء. فلم ير موضعا أجمع للتمام فى ذلك من أرباض مدينة السلام فى الجانب الغربى.

و قد ظننت أن على بن الجهم أفرط فى هذا القول بالعصية لحب الأوطان.

إذ كانت هذه الناحية منزله. و لقد كنت أفكر كثيرا فى نزول الملوك المدائن من أرض الفرات و دجلة، فوقفت على أنهم توسطوا مصب الفرات و دجلة.

هذا على أن الإسكندر لما سار فى الأرض و دانت له الأمم و بنى المدن العظام فى المشرق و المغرب، رجع إلى المدائن و بنى فيها مدينة و سورها، و هى إلى هذا الوقت موجودة الأثر، و أقام بها راغبا عن بقاع الأرض جميعا و عن بلاده و طنا حتى مات.

و قد كان [بنى] بخراسان العليا سمرقند و مدينة الصغد و بخراسان السفلى مرو و هراة. ثم بالمغرب الإسكندرية، و بنى بالهند سرنديب. و بناحية إصبهان جئى، و بنى مدنا أخر كثيرة حول الأرض فلم يختار منزلا إلا المدائن، و إنما سميت المدائن المدينة العتيقة

لأن زاب الملك الذى بعد موسى عليه السلام أنشأها بعد ثلاثين سنة من ملكه. و حفر الزوابى و كورها و جعل المدينة العظمى المدينة العتيقة.

يقول العجم: إن الضحاك الملك الذى كان له بزعمهم ثلاثة أفواه و ست

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣٣

أعين بنى مدينة بابل العظيمة. و كان ملكه ألف سنة إلا يوما واحدا و نصفا، و هو الذى أسره أفريدون الملك فصيره فى جبل دنباوند. و الموسم الذى أسر فيه تعنته [٥٥ ب] المجوس عيدا و هو المهرجان.

و قد بنى بهمن بن إسفنديار همينيا، و بنى شابور بن هرمزد ذو الأكتاف فيروز شابور و هى الأنبار. فأما لم سميت هذه الناحية من

البلاد إيران شهر و معناه بالعربية بلاد إيران، فهو أن أفريدون قاتل بيوراسف قسم الأقاليم السبعة بين ثلاثة أولاد كانوا له. فدفع إلى إيران هذا القطع فعرف به. و لجلالة قدره و بلده حسده أخواه فقتلاه.

فأما أنو شروان بن قباد- و كان من أجل ملوك فارس حزما و رأيا و عقلا- فإنه بنى المدائن و أقام بها هو و من كان بعده من ملوك ساسان إلى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فأما الملوك الأول، أعنى ملوك النبط و فرعون إبراهيم، فإنهم كانوا نزولا ببابل. و كذلك بخت نصر الذى تزعم السير أنه أحد من ملك الأرض جميعا.

انصرف بعد ما أحدث، يعنى إسرائيل ما أحدث إلى بابل. [٣٤٦]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ٣٣٣

كفاك أن الإقليم الرابع أجمع يعرف بإقليم بابل، و حدود هذا الإقليم على ما رواه بعض القدماء- لا على ما ذكره المنجمون- و أصحاب الاثر و النظر فى أمور الأقاليم بعروض البلدان و مقادير ساعاتها و ارتفاع أنصاف النهار فى كل بلد. فإن هؤلاء إذا حصلوا أمر بغداد قالوا: عرض وسط الإقليم الثالث، أى [ان] [٣٤٧] بعده من خط الاستواء ثلاثون درجة و اثنان و ثلاثون دقيقة. و عرض وسط الإقليم الرابع ست و ثلاثون درجة و تسع دقائق [٣٤٨].

فبغداد إذا عندهم كأنها بين وسطى الإقليمين إلبا بقدر بالاثنين و الثلاثين الدقيقة التى يزيد بها وسط الإقليم الثالث على الثلاثين الدرجة. و كذاك يقولون إن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣٤

ساعات وسط الإقليم الثالث أربع [٣٤٩] عشرة ساعة. و ساعات الإقليم الرابع أربع عشرة ساعة و خمس ساعة. فساعات بغداد عندهم كأنها وسط بين ساعات إلبا بقدر ما بين النصف الذى مع ساعات الإقليم الرابع و بين الخمس الساعة الذى مع [٥٦ أ] ساعات بغداد على ما يقوله المنجمون المحصلون. فأما ما يقوله أولئك الرهط فإنهم يقولون: إن بغداد من الإقليم الرابع و يقولون إن حدود هذا الإقليم مما يلى أرض الهند، الديبل، و مما يلى أرض الحجاز، الثعلبية، و مما يلى الشام، نصيين، و مما يلى خراسان، نهر بلخ، فقد دخل فيه ما دون النهر من خراسان و الجبال كلها، و العراق و دجلة كلها، لم يعرف إلبا ببابل. و أنت تعلم أن الناس إنما ينسبون الشيء إلى الأفضل المشهور. فلو أن بابل [لم تكن] كذلك ما نسبوا الإقليم إليها.

و ذكر أصحاب السير أن بابل إنما سميت بابل لأن الألسن اختلفت بها و تبلبت فيها. و أن الملوك و الناس اجتمعوا فيها ثم تفرقوا منها.

فأما زورثيوس [٣٥٠] الحكيم فإنه فى صدر كتبه الخمسة التى فى المواليد و ابتداء الأعمال هذا القول: إنى قد وطئت بلادا كثيرة حتى أتيت إلى البلاد العامرة ذات الأرباب الكثيرة و مصب الفرات و هى أرض بابل ذات الأبنية المنيفة و القصور المشيدة.

و مع هذا فإن هذا الإقليم وسط الأقاليم السبعة و المعتدلة. و ذلك الموضع الذى ينقسم الزمان أربعة أقسام فلا يخرج فيه من شتاء إلى صيف حتى يمر بنا فصل الربيع، و لا يخرج من صيف إلى شتاء حتى يمر بنا فصل الخريف. و كفى بهذا الإقليم فضيلة أن أكثر أموال المملكة تجبى منه لفضل عمارته و خيره من غير أن يحتاج له من النفقة إلبا إلى الجزء اليسير من ارتفاعه. و غيره من الأقاليم ربما احتاج إلى أن ينوبه غيره و يقوم به سواه فيكون عالما مع كرازه أهله و تباعده من الاعتدال

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣٥

و لا سيما السادس و السابع و الأول و الثانى. فأما الثالث و الخامس فلأنهما يقيدان الرابع المتوسط و يكتفانه و هما يشبهانه فى كثرة الخير و قلة المؤونة و حسن الاعتدال. و يقال إن الملك الأعظم و المدبر الأكبر ينبغى أن يكون منزله هذا الموضع أعنى الإقليم الرابع.

و من الإقليم الرابع اشتراك دجلة و الفرات. فإن بغداد إنما بعدت عن حقيقة قبة [٥٦ب] الأرض و وسط ما بين المشرق و المغرب و عشرين جزءا فقط. و هي بالحقيقة وسط ما بين خط الاستواء و نهاية العمارة في الشمال. و ذلك أن المنجمين يقدرّون نهاية العمارة في الشمال ستة و ستين جزءا عن خط الاستواء. و بعد بغداد عن خط الاستواء، النصف، و هو ثلاثة و ثلاثون جزءا. فالمدبر إذا توسط في هذا الموضع كان بعده من إفريقية و برقة و صنعاء اليمن و الشاش و فرغانة و باب الأبواب التي عملها أنوشروان حاجزا بين أرض الفرس و الخزر في البحر الخراسان شبيها بالمتقارب [٣٥١]. و لو ذهب مدبر برقة و إفريقية و مخاليف اليمن و من هو مقيم وراء النهر من خراسان لما انتظم التدبير. و كذلك لو دبرت ممالك بعد خراسان و ثغر أرمينية من الإسكندرية و الفرما لما صحّ و لا انتظم. و لقد كان أحد أسباب انتقاض أمر بني أمية نزولهم الشام. و ذلك أنهم اضطروا إلى أن يكاتب عمال خراسان صاحب العراق لقرب المسافة في اتصال الأخبار و إمضاء التدبير. فلما ولّوا نصر بن سيار الليثي خراسان أمر أن يكاتب يزيد بن عمر بن هبيرة. فخاف نصر على مكانه. فكان نصر إذا كتب من خراسان في أمر المسودة لم ينفذ خبره إلى مروان، لأنه كان يحب أن يقتل نصر. و نسي يزيد أن غلبه أبي مسلم على خراسان سبب الغلبة على الجبال، و أن ذلك إذا استحکم لم تكن له همّة إلا نزول العراق فلما انطوى عن مروان يزيد بن عمر، اجتاز نصر بن سيار أفسد وجه التدبير. و لو كان مروان بالعراق مقيما لم يحتج أن يكون يزيد بينه و بين خراسان متوسطا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣٦

و مروان بن محمد كان شيخ [بني] مروان و عضلتهم و شيخهم و ذا التجربة منهم. و كان ذاهنا فطنا و كان لذلك ينسب إلى الزندقة. و إنما سمي مروان الجعدي بالجعد بن درهم، رجل كان يرمى بالزندقة. و كان مؤدب مروان فيقولون إنه هو فتح له بابها و حمله عليها. و لم يزل مروان عاملا لخلفاء أهله من بني أمية على ثغر أرمينية دهرًا طويلا يفتح الفتوح و يقارع [٥٧أ] الأعداء. و يروى أن المهدي سأل المنصور فقال: كيف كان يا أمير المؤمنين أمر مروان؟ فقال المنصور: لله درّ مروان. ما كان أسوسه و أعفه و أشجعه. و لكن خانة أمناؤه و طووا الأخبار عنه. و لقد كان نصر بن سيار في ذلك الوقت فارس خراسان، فلم يزل ينصح و يكاتب ابن هبيرة و مروان لا يعلم بما هو فيه. فلما طال ذلك عليه قال شعرا فيه:

أرى تحت الرماد و ميض نارو أو شك أن يكون لها ضرام
فقلت من التعجب ليت شعري أيقاظ بني أمية أم نيام

فلم ينفعه ذلك شيئا. فمات ابن هبيرة نصر بن سيار حتى ذهب الفرع و الأصل. و كان أمر الله قدرا مقدورا.

و من الأسباب المؤكدة لصالح موضع بغداد أن المنصور كان أحزم ملك و خليفة ولي منذ عهد معاوية إلى هذا الوقت. و قد جال الأرض فبلغ طنجة و أقام بالبصرة و دخلها غير مرة. و كان نزوله فيها على رجل يقال له أزهر السمان. و قد كان أيضا ولي كورة من كور الأهواز أيام بني أمية. و كان في أصحاب عبد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لما خرج على بني مروان، و بلغ معه إلى إصبهان.

فكان يحج و يجاور بمكة و يدخل الكوفة فيقيم بها أيضا. و جال بلدان الجزيرة و ديار بني ربيعة و مضر و كان مع أبيه و عمومته بالشرية و كان مع هذا طلبا للآداب و العلوم محبا للسياسة بعيد الهمة. و كان جيد الرأي و التدبير. و تمثّل لما قتل أبا مسلم - و أراد بهذا البيت أنه لم يشاور أحدا -:

طوى كشحه عن أهل كلّ مشورة و بات يناجي نفسه ثم صمّا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣٧

و هو الذي يقول فيه ابن هرمة و ذكر أنه لا يشاور أحدا فيما يهمّ به:

إذا ما أراد الأمر ناجي ضميره فناجي ضميرا غير مختلف العقل

و لم يشرك الأدينين في جلّ أمره إذا انتقضت بالأضعفين قوى الجبل

[٥٧ ب] وهو الذى قال لعيسى بن موسى لَمَّا استرجع حين رأى أبا مسلم على طرف البساط قتيلا: يا عيسى! لا تسترجع و احمد ربك.

فإنك هجمت على نعمه و لم تهجم على مصيبه و تمثّل:

و ما العجز إلّا أن تشاور عاجزاو ما الحزم إلّا أن تهّم و تفعلا

فبهذا الحزم و هذه التجربة و بعد هذه الهمة و الأسفار الكثيرة و مشاهدة البلدان البعيدة، رأى أن يختار هذا الموضع مدينةً و منزلا مستقرا. هذا و خراسان تنهض و فى أكناف الشام جماعةً من بنى أمية يحاولون طلب الملك. و بالحرمين طاليون يرون أنهم أحق الناس بالملك. ثم لَمَّا عزم على بنائها و رآها أهلا، و كل بها جلةً قواده و رؤسائه. فقسمها أربعا و دفع كل ربع إلى قائد و وكله بينائه.

و لقد أمكن المنصور الإشراف على خراسان عند خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن إياه، حتى أخذه أسيرا. كما أمكنه الإشراف على مكة و البصرة عند خلع بنى عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام. حتى بلغ من ذلك مراده لتوسط الموضع. و لتوسطه أيضا أمكنه أن يوجه المهدي إلى الرى و طبرستان و جرجان و أن يوجه المهدي بالهادى إلى جرجان. و أن يوجه المهدي بالرشيد إلى صائقة الروم.

و أن يمضى الرشيد بنفسه يريد سمرقند. و أن يوجه المأمون لعبد الله بن طاهر إلى مصر، و يشرف على بابك بالجبال. و أن يفتح المعتصم طبرستان و عموريةً و يأخذ بابك من البر. و لولا توسط بغداد لكان الأمر أعسر و المطلب أبعد و الأخبار أبطأ. و الله يفعل ما يشاء.

و من غريب سعادة بغداد، أنه لم يمت فيها خليفة قط حتف أنفه. و ذلك أن المنصور بناها و توفى بيثر ميمون و دفن بمكة. و توفى المهدي بالروذراور من عمل الجبل. و توفى الهادي بعيسى آباد. و توفى الرشيد بطوس من أرض خراسان. و قتل

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣٨

الأمين و حمل رأسه إلى خراسان، فهو فى قهندز [٥٨ أ] سمرقند. و توفى المأمون بالبدندون و دفن بطرسوس. و توفى المعتصم بسرمرى. و قتل المتوكل بسرمرى.

و قد أقام بمدينة السلام ثلاثة من الخلفاء عمر كل واحد منهم نيفا و عشرين سنة، و هم المنصور و الرشيد و المأمون. و لم يمت بها منهم أحد.

و قد قيل إن نوبخت اختار لبنائها وقتا طالع القوس و صاحبه المشتري.

و ذكر بطليموس فى برج المدينة إليه طالع الوقت، أول البرج الذى فيه القمر فى الوقت. قال: و إن جهل ذلك من أمر المدينة، فمعرفة ذلك من طالع الملك الذى ابتناها. و الحق أن يكون طالع مدينة السلام و طالع منشئها واحد، و ذلك لسعادتهما و اتفاق جميل الوصف لهما و فيهما.

و أنشد لدعبل يمدح بغداد و يذم سرمرى:

بغداد دار الملوك كانت حتى دهاها الذى دهاها

ما غاب عنها سرور ملك أعاره بلدة سواها

ما سرّ مَرى بسرّ مَرى بل هى بؤس لمن رآها

عجل ربّى لها خرابا برغم أنف الذى بناها

شعر:

يا دار أقوت و خفّ عامرها أيام تصطادنا جآذرها

أيام نحن بجيرة خلطينام قبل العشاء سامرها
 إذ هي مثل العروس باطنهادلّ يصيد الهوى و ظاهرها
 جنه دنيا و دار مغبطة قلّ من النائبات و اترها
 كدره البحر ضمها صدف غالى بأعلى البلاد تاجرها
 درت خلوف ألبانها لساكنهاو قلّ معسرها و عاسرها
 و افترشت بالنعيم و انتفجت لهم بلذاتها خواصرها
 فالقوم فى روضة أنف أشرف غبّ القطار زاهرها
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٣٩

من غره العيش فى بلهنيه لو أنّ دنيا يدوم غابرها
 [٥٨ ب]

دار الملوك قرّت أسرتها فيها و قرّت بهم منابرها
 أهل القرى و الندى و أندية المجد إذا عددت مفاخرها
 أبناء دنيا فى عز مملكة عزها لهم أكابرها (؟!)

و قال يزجرد بن مهبنداد الكسروى: قد أكثر الناس فى مدينة السلام إكثارا لم يحصلوا منه دليلا، و لا أفادونا به محصولا، و لم يزيدوا
 على أن يقولوا بلد و لا تشبه البلدان، و ما أعجب الأمر فيه، و أبعد الشأو فى تحديد من به من ساكنيه.
 و أعظم شأنه فى الشئون، و أعسر كون مثله على الدهور و السنين. كما لا يزيدون [٣٥٢] على أن يقولوا: فيه مائتا ألف حمام بل
 الضعف أو كالضعف من ذلك.

و من المساجد كذا و من الطرز كذا. فإذا أخذوا أو أكثرهم بتحصيل العلم فى بدائع البلد و غرائب أنواعه حصلوا على خير قليل و
 حكم معلول.

و نستفتح القول باتباع أعدل الكلام و أبين الأعلام. و لا نقول كالذى قالوه فى عدة الحمامات و اعتقدوه فى كثرة الدور و المساجد و
 الطرازات، إشفاقا من الإسراف على السامعين. فإننا إذا وجدنا كثيرا من الخاصة و العامة مدعين بعدة الحمامات و إنها مائتا ألف حمام
 دون ما هو فوقها من الزيادات. ثم قال آخرون بل هى مائة ألف و ثلاثون ألف حمام. و اقتصر المقلل على مائة ألف و عشرين ألفا.
 و هذا قول الشاه بن ميكال و طاهر بن محمد بن عبد الله. و كانا قد وقفا على ذلك من جهات و قتلاه علما من أمور صححت لهما
 ذلك حتى علما و وقفا عليه و أتقناه.

و قد قال قوم بالزيادة على هذا و قال غيرهم بالنقص فرجعنا عند اختلافهم إلى حدّ رجونا أن يكون عدلا مفروضا و حكما مقبولا. و
 اقتصرنا من عدد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٠

الحمامات على ستين ألف حمام استظهارا. و جعلنا العلة فى ذلك أن نأخذ بأوسط ما ذكره من إعدادها. و ما وجدنا الخاصة أو
 أكثرهم يدعيه فى اعتقاده، و هو مائة و عشرون ألف [٥٩ أ] حمام. و به قال الشاه و طاهر فاقتصرنا على النصف من المائة و العشرين
 ألفا لئلا يقبح فى التقدير و تجفو عنه الأسماع.

ثم نظرنا بقدر ما تحتاج إليه كل حمام من القوام الذين لا قوام لكمال الحمام بما هو دونهم. فوجدنا كل حمام يحتاج إلى أربعة نفر لا
 بدّ لها منهم: صاحب الصندوق و القيم و الوقاد و كناس الوقود. و ربما أطاف بالحمام الواحد الضعف على هذه العدة. و لكننا ركبنا

سنن الاستظهار في هذا المعنى و في جميع ما تضمننا قصر القول به ليكون معينا على انتحاله، و أمانا من إبطاله. فإذا وجدنا عدة الحمامات على ما رتبنا ببغداد و هو ستون ألف حمام، فقد حصل عدد من ذكرناه من القوام و غيرهم ممن لا بد للحمام منهم، مائتا ألف و أربعون ألف قيم و غيره.

ثم وجدنا العيان وجدنا حكما ثانيا و هو أن نجعل على التقريب استظهارا لكل حمام حجامين، فيحصل لنا أيضا من عدة الحجامين مائة ألف و عشرون ألف حجام. فيكون عدة الحجامين و أصحاب الحمامات ثلاثمائة ألف و ستين ألف حمامي و حجام. ثم فرضنا أيضا بهذا التقريب و الممكن المقرون به لكل حمام مائتي منزل قياسا على ترتيب المنازل و الحمامات المعدودة بمدينة المنصور. فإننا وجدناه بحق كل حمام بها من المنازل نيفا على أربعمائة منزل. فاستظهرنا بإسقاط ما هو أكثر من النصف و فرضنا لكل حمام مائتي منزل فاجتمع من ذلك اثنا عشر ألف ألف منزل.

ثم وجدنا المنازل قد يجتمع في الواحد منها عشرون إنسانا و أكثر، و في غيره إنسانان أو ثلاثة و ما هو أقل من ذلك و أكثر. فاحتجنا إلى قسمة عدد يعتدل به العدد. فأسقطنا من العشرين نصفها و زدنا على الثلاثة ضعفها، ثم أمددنا البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤١

الاستظهار للحاشيتين معا. فنقصنا من العشرة سدسها و زدنا على الستة سدسها و جبرنا الحاشيتين ليحصل لنا أشرف نسب الأعداد و ما يليق شكله بالحيوان و قسمة العمران و هو الثمانية [٥٩ ب] من الأعداد فإنه نصف قطر المتقبلين بأمر الفروض. فاجتمع لنا في كل منزل ثمانية نفر رجالا و نساء صغارا و كبارا. فاجتمع لنا من عدد الجماعة ستة و تسعون ألف إنسان. و قد قال الناس في أحوال البصرة و تفخيم شأنها أقاويل مختلفة يشبه بعضها بعضا. ففريق زعم أنها أعظم في مقدارها و أوضع في أقدارها من مدينة السلام.

و قال آخرون: بل هي في قدرها سواء. و قالوا: بل هي دونها و أصغر حدًا من حدها. و لم نرد في اقتصاص أقاويلهم هذه في البصرة تمثيلا أو تجميلا بين بغداد و بلد في العالم جميعا من البلدان سواها، و لا شيئا بذلك أكثر من تفخيم أمر البصرة و انها من الأمهات العظام و من المدائن الجليئة من بلدان الإسلام.

ثم وجدنا حالا- من الزمان قد ألجأ أهل البصرة جميعا كما ألجأ أهل الأبله و سائر كور الأهواز و جميع العمران من كور دجلة و دستميسان و كسكر و آجام البريد و ما بين هذه المدائن العظام و بين واسط العراق من الأنهار المشحونة بالحيوان الناطق بزا و بحرا. ثم كان بواسطة من أهلها و سوادها و كور الصلح و كور المبارك و مأهولها. و في حيزها من القرى و البقاع المشحونة بالناس إلى مدائن النهروانات الثلاث، و ما هو لكور النهروانات و بإزائها من الضياع و سقى جوخا، إلى حدود بادريا و باكاسيا و حدود البندنجين و سوادات طريق خراسان إلى بطن المدائن. ثم من كان في الجانب الغربي كمدائن الزوابي و سقى نيل الفرات و فم النيل إلى سوادات الكوفة و باروسما و نهر الملك، و ما لا يس الصراة إلى حدود جنبلاء إلى كثير مما لم نذكره و نحصيه، و لا نعلمه فنستوفيه. فيما بين كل بلد و قراه، و كل قرية و نظائرها ممن لا يحصى عددهم و لا يعلم كنه مددهم إلا خالقهم، مستجيرين بمدينة السلام. فلم يلبثوا فيها و لا أغلوا منها سعرا. فإذا وجدنا هذا الحيوان الناطق [٦٠ أ] الذين هم الناس، قد شغلوا من مساكنهم و أوطانهم مكانا من الأرض عريضا، و ملأوا منها فناء فسيحا، قد ورد بهم المقدار و ساقتهم الأقدار

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٢

مستجيرين محلا- لا تضيق بهم دياره، و لا تمتلي منهم أقطاره، و لا تغلوا بكثرتهم أسعاره، و لا يتحاكم في أقواتهم تجاره، و لا يعجز عن ميرتهم ممتاره. و لا يحس أهله بالواردين منهم إذا أتوا، و لا الصادرين إذا مضوا.

أفتحسب أيها الإنسان أن بلدا واحدا لا تخيل علينا أقطاره، و لا يذهب عنا مقداره، و لا تشتبه علينا طريقه، و لا فضل في مسالكه، يسع أجراما فتحركه، و أجساما فتصرفه. لا مقدار لعددتها و لا سبيل إلى إحصائها، ثم لا يكون كثرة الناس فيه، و تحركهم في حواشيه إلا

قريبا مما كانوا و شبيها بما عرفوا. إن هذا لشأن عجيب و أمر ظريف.

و سنأخذ العيار من أخصر وجوه الكلام، ثم نجعل ذلك بين حالين لا يخرجان عن تحصيل الخاصة، كما لا يذهبان عن عقول العامة، يشتمل عليهما البرهان الموصول بحجة العيان.

و نصير إلى ذكر المسجد الجامع في الجانب الغربي بمدينة المنصور فنحصله ذرعا مكسرا ثم نقسم ذلك على المصلين فيه في آخر جمعة يجمع الناس من الشهر الشريف، أو أولها، بعد أن نعلم أن كل مصل سيشغل مركزا للصلاة لركوعه و سجوده و قيامه و قعوده و يكون خمسة أشبار في شبر لا- تصح الصلاة بما هو دون ذلك من المراكز. ثم نضيف إلى أرباب الصلاة ببغداد الذي سلف منا ذكرهم من أهل البصرة و الأبله و سائر الكور التي عددناها، و المدائن التي ذكرناها و ما هو بين ذلك و عن يمينه و شماله و من خلفه و قدامه. فنجعلهم ضعفا لمن ضمت بغداد من أهلها الراتبين فيها. و إن كان بالواجب في كثير من الأقاليم أن يكونوا أضعافا مضاعفة على ما ضمته من أهلها و مساكنها. و قد قلنا إن عدد من ببغداد من الناس رجالا و نساء، صغارا و كبارا ستة و تسعون ألف ألف إنسان. [٦٠ ب] إذا أضعفوا بمن أضيف إليهم مائة و اثنان و تسعون ألف ألف إنسان ثم سقط من هذه العدة بحق النساء و الصبيان و المريض و أهل الذمة. و قد ذكرنا قدر مركز المصلي و أعلمنا أنه خمسة أشبار يضبط بها ركوعه و سجوده و قيامه و قعوده في شبرين لا تطيب الصلاة في دونها. و قد حصل من ذرع المسجد الجامع الغربي دون رحابه و ما زيد فيه مائتا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٣

ذراع في مائتي ذراع، يكون مكسرا أربعين ألف ذراع، و جبرنا رحابه و هي دونه في الذرع فجعلناها في القسمة مثلها فكانت مائتي ذراع في مثلها. فصار جميع ذرع المسجد الغربي في رحابه و بنائه و أركانه و أساطينه. فأسقطنا حصتها من الذرع استظهارا ثمانين ألف ذراع مكسرة معها من أهل الصلاة بها على ما فرضنا من مركز الصلاة الواجبة من عدد الناس، اثنان و ثلاثون ألف إنسان. و هذا حكم القول في المسجد الشرقي منها و نحوه. فيكون إذا جمعنا ما يسع الجانبان و رحابهما من المصلين على ما ذكرنا أربعة و ستين ألف إنسان. و هو جزء واحد من ألف جزء ممن قدرنا أنه يحضر، و هو الثلث من جميع أهل مدينة السلام و من ذكرنا.

و هذا- يرحمك الله- عدة يستغرقها دون عدة الحجاجين و قوام الحجاجين بمدينة السلام كما قد سلف من القول بكثير جدا. فإن الذي قرب البعيد و بسط القريب و جعل الصغير كبيرا و الكبير صغيرا هو الذي استودع عقولنا الإقرار بقدرته على توسعه ما لا سبيل إلى اتساعه إلّا به، و لا حيلة في حطه و ارتفاعه إلّا عنه. و الله يريكم آياته فأى آيات الله تنكرون؟ أليس الواجب علينا الإقرار إذا بما لا يدفع الإقرار به من قدرة الله إلّا عنادا و اعتداء؟

و إذا اتسع القول بأن الله عزّ و جلّ يلطف لخلقه لطفا يبسط به البعيد و يطوى به القريب، أمكن من ذلك أن الله يبسط لأقرب خلقه إليه و أعز بقاعه عنده أو على ما شاء كما شاء. [٦١ أ].

و لا- أرى الواقفين باتساع قدرة الله يجهلون برأى العين قدر مساحة المسجد الحرام بمكة أو يحتجون عن إدراك من نفذ إليه من مشارق الأرض و مغاربها. فإنه يذكر كثير ممن لا يتهم في تمييزه و ذكره، كما ليس بظنين في دينه و ستره المجتمع، من عدد الحاج في المسجد الحرام ألف ألف و خمسمائة إنسان. و ذلك هو الحدّ في الغاية التي لا مزيد عندهم فيها. و ان الجد في الغاية لا انتفاض معها هو أن يكونوا ستمائة ألف إنسان. و قد وجدنا مساحة المسجد الحرام مع البيت طولا و عرضا ثلاثمائة ذراع في مائتي ذراع يكون ذرعا مكسرا بستين ألف ذراع. و جعلنا المصلي فيه أن يأخذ من مساحة المسجد استطارا و تقليلا ذراعا في ذراعين يكون

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٤

لركوعه و سجوده و قيامه و قعوده. فيكون قدر ما يحتاج إليه الغاية القصوى الذين قلنا انهم ألف ألف و خمسمائة ألف إنسان من الذرع لما فرضنا ثلاثة آلاف إنسان. و ذلك خمس العدد الذي يذكرون.

و هكذا لو عملنا حساب ستمائة ألف إنسان ما كان أيضا إلاً خارجا عن صورة القياس جميعا. أ فحسبت أيها الواثق بما غاب عنه من حكمه الله و المقرّ بالخفيّ عليه من قدرة الله، ان القياس أن يسع المسجد الحرام من هم أوسع من أضعافه أضعافا مضاعفة و هو برأى العين ما وسعوه قط. قد اطردت الآن وجوه الكلام بأن الله عزّ و جلّ بلطف لخلقه من لا يحتسبون و يصنع لهم من حيث لا يشعرون. و وصلنا من القول إن الله بقدرته يبسط للناس المسجد الجامع بمدينة السلام ليسع من لا يسعهم في رأى العين أضعاف ذرعا و مساحة. و إذا أمكن أن يقول إن الله عزّ و جلّ يبسط بالزيادة على قدر المساحة ذرعا واحدا، جاز أن يقول باعا. و إذا جاز أن يقول باعا واحدا جاز أن يقول [٦١ب] فرسخا واحدا. و إذا جاز ذلك القول بفراسخ كثيرة. إلاً أن الله عزّ و جلّ لم يعطنا القدرة على علم ذلك و معاينة مثله.

و إذا تتابعت الآيات و تناسبت العلامات و تمكنت الدلالات، رجونا بها زوال الشبهات و استقبال الحقائق الممكنات. و نقول إنه بالواجب، متى استجاز أرباب المدائن المشهورة التي ذكرناها، و البقاع العظام التي أشرنا إليها، و أحصيناها بمدينة السلام حتى يحلّوا بها و يستوطنوا فيها، أن يضعف عدد المساكن بها و تتضاعف المنازل في حواشيها و أوساطها للعالم الوارد و الداهم الوافد. و قد قلنا إن من الممكن القريب أن يكونوا في عددهم ضعفا لمن ببغداد من أهلها قياسا صحيحا و حكما لازما، كما قد قلنا بما رتبناه و نزلنا القول فيه و قرأناه، أن عدد المنازل ببغداد اثنا عشر ألف ألف منزل، وجدنا العيان قد أوجدنا أن منزلا منها لا يكاد يخلو من مصباح ينير فيه ليلا يتقد بدهن البزر. ثم لا يعسر علينا أن نقول: إن في هذه المنازل ما يوقد فيه أمان عراقيّ و أرتال من دهن البزر إلى ما هو دون ذلك القدر من الدهن. فإذا ضربنا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٥

قدر ما يحتاج إليه فيه كل منزل في كل ليلة من دهن البزر قليله بكثيره و كبيره بصغيره، فرضنا لكل منزل في كل ليلة من دهن البزر أوقيتين بأواق العراق. و قد حصل من عدد المنازل كما قدمنا اثنا عشر ألف ألف منزل سوى ما استظهرنا بإسقاطه من المستجيرين ببغداد عند خراب البصرة و سائر البقاع و المدائن العظام سنين متواليه و أعواما متتابعة. فحصل المصابيح القناديل حساب لكل منزل في كل ليلة أوقيتين من دهن البزر ألفا ألف رطل. ثم وجدنا عدد الحمامات - كما قدمنا - ستين ألف حمام، و حصه الحمام الواحد في كل ليلة من دهن البزر، ربع الرطل العراقي. فيكون بحق الحمامات أيضا في كل ليلة خمسة عشر ألف رطل أيضا [٦٢أ] و يكون جميع ذلك ألف ألف رطل و خمسة عشر ألف رطل. ثم أمددنا الاستظهار بمثله من الاستظهار فأسقطنا ما تحتاج إليه الحمامات، عملا على أن في المنازل ما لا مصباح فيه، و ما لا يكون مصابيح بدهن البزر، و هي خمسة عشر ألف رطل بزر. كما استظهرنا بإسقاط ما كان يحتاج إليه أرباب الكور المضافة إلى بغداد عند خراب البصرة. و اقتصرنا على ما وجدناه قونا مبلغا و هو ألف ألف رطل من الزيت في الليلة الواحدة. يكون ثمنها على سعر زماننا هذا و هو أعدل الأسعار ألف ألف درهم. و في الشهر الواحد ثلاثين ألف ألف درهم و في السنة الواحدة ثلاثمائة ألف ألف و ستين درهما. قيمتها عينا بسعر زماننا اثنان و عشرون ألف ألف و خمسمائة ألف دينار.

ثم نظرنا في باب الزيت و في قدر ما تحتاج إليه مساكن الخليفة للمصابيح و المطابخ و خبز الرقاق و سائر أنواع الخبز، و من هو دون الخليفة و خاصته و بطانته و ولده و سائر حشمه. ثم ما يحتاج إليه من ذلك أيضا و لاه العهود و من أطاف بهم من خواصهم، ثم الوزراء و سائر الأمراء، ثم القواد و وجوه أرباب السيف، ثم الكتاب و عمالهم، ثم التناء [٣٥٣] و أرباب النعم و سائر الوجوه. ثم وجوه التجار و أرباب الصناعات الكثيرة، ثم من هو أدنى من هذه الطبقات و أنقص من هذه الدرجات صغارا و كبارا، خواصا و عواما. و في الواحد من الجماعات ممن ذكرنا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٦

منازلهم و اقتصنا مراتبهم ممن يحصل في مستقره بمدينة السلام في كل يوم و ليلة من الزيت ما لا يحصى جرارا و لا يعدّ رقاقا. و قد جعلنا تقدير ما يحصيه من الزيت ليوم واحد من شهر رمضان، فضربنا قدر ما يحتاج من الزيت لمطابخ أمير المؤمنين و سائر ما يستعمل

فيه الزيت لمثله و من دونه من الطبقات الفاضلة إلى أن وصلنا إلى من هو في [٦٢ب] أصغر الطبقات و أيسر الدرجات من الناس ببغداد. فجعلنا لكل منزل منها في كل ليلة من ليالي شهر رمضان أوقيتين من الزيت ليصلح القسمه و يأتلف الكلام. فجعل من ذلك في الليلة الواحدة ألف رطل من الزيت. ثم قسمنا بحق كل حمام عشرة مساجد، ثم زدنا الاستظهار استظهارا. فأسقطنا النصف من عدد المساجد فحصل لنا لكل حمام خمسة مساجد. فاجتمع لنا من عدد المساجد ثلاثمائة ألف مسجد. و فرضنا لكل مسجد في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من دهن الزيت لمصايحه- إذا ضربنا كثير ذلك في قليله و صغيره في كبيره استظهارا- رطلا واحدا. أو في المساجد ما يستغرق أرتالا كثيرة فاجتمع من ذلك في الليلة الواحدة ثلاثمائة ألف رطل زيت.

ثم نظرنا في الإنفاق الممكن. فإنه ليس يعسر أن ينفق الناس في الأعياد العظام و الأيام السعيدة بمثل ما رتبنا عليه طبقات الناس في الحاجة إلى الزيت، أن تكون الحاجة إلى ذلك كالحاجة إلى استعمال الصابون. و أن نجعل لكل منزل واحد- و عدد المنازل اثنا عشر ألف منزل- في كل يوم من أيام شهر رمضان من الصابون رطلا. فإن أوحشك القول بذلك فأسقط من عدد الديار ما ترى به زوال الشبهه و امتناع الريبه و هو النصف من عدده ليتمكن لك التظاهر بالعيان و يزيد لك ذلك في قوة البرهان. فإن جمحت بك الظنون و حيل بينك و بين مناسبة اليقين، فلك بحق الترخيم من المنازل، الثلاثان ليكون الحاصل لحصتك في اليوم الواحد من ذلك الشهر، أربعة ألف رطل صابون. فيكون حقها من الزيت استظهارا، ألف ألف رطل. يكون جميع ما ذكرناه في اليوم الواحد و الليلة الواحدة من أيام شهر رمضان [٦٣أ] لمنازل الملوك و الأدنى فالأدنى من الطبقات.

و لمصايح المساجد ثلاثة ألف ألف رطل و ثلاثمائة ألف رطل زيت. و يكون ثمنها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٧

بسعر زماننا هذا ورقا، ثلاثمائة ألف ألف و ثلاثين ألف ألف درهم. تكون عينا ثلاثة ألف ألف و تسعمائة ألف و ستين ألف دينار. و في السنة الواحدة عينا سبعة و أربعين ألف ألف و خمسمائة ألف و عشرين ألف دينار.

و من العام المشترك و ما لا اشتباه في حاجة العامه و الخاصة إليه البقول المستعمله في كل يوم في كل منزل. فإنها و إن كانت ذوات ألوان عامه و أنواع خاصه. و كان منا من يتناع منها بالدنانير و الكثير من الدراهم، و منا من لا يصل إلى المبايعه منها بمثل ذلك. و منها من يغب الخاص منها خاصه. و منا من لا سبيل له إلى أعم العام منها. فإذا خصصنا من أيام السنة لاستعمال العام من البقول يوما واحدا و جعلناه أول يوم من شهر رمضان أو أول يوم من شوال. ثم جعلنا الناس بين حاشيتين هما الغايتان كالخليفة ارتفاعا، أو حارس الدرب اتضاعا، لم نخل منزلا واحدا من الحاجة إلى بقل بحبتين من الفضه في هذا اليوم الذي خصصناه دون سائر الأيام، إنزال الإقرار لأيام السنة جميعا بذلك- و عدد المنازل اثنا عشر ألف ألف منزل- فيكون قدر ما يرتفع من أحس أثمان البقول في يوم واحد دونما هذا دونه منها. فإننا أسقطناه لخصومه كاللفت و القنيط و السلق و السرمج [٣٥٤].

و الاسفناخ و البصل و أشباه ذلك، أربعة و عشرون ألف ألف حبه، و مبلغ الحبات خمسمائة ألف درهم. و في الشهر الواحد خمسة عشر ألف ألف درهم.

و إننا لمستدركون شبيها بذلك في باب الأعناب في أوانها و الأرتاب في أزمانها. و بقول إذا حصل لنا على الترتيب المتظاهر و التمثيل المتناسب تقريبا، و استظهارا من عدد الناس بمدينة السلام ستة و تسعون ألف ألف إنسان. ثم أضفنا إليهم مثلهم في وقت من الزمان من [٦٣ب] المستجيرين بهم من أهل البصره و الأبله و كور دجله و سوار الأهواز و النهروانات و الزوابي و سقى جوخا و كثير من أودية الفرات، اجتمع من ذلك قريبا مائة و اثنان و تسعون ألف ألف إنسان. ثم وصل بنا إلى ابان الأعناب في أوسط أوقاتها و أعدل أسعارها. و أقوات الناس من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٨

الأعناب بمقادير مختلفه جدا، تنقص و تزيد. إلما أننى أرى أن الكبير و الصغير و الغنى و الفقير متكافئون في أكل الأعناب حتى لا

يتعذر على أحد أن يروح في أوان كثرتها واعتدال أسعارها دون أكله رطلا من العنب العام. ثم ضربنا بعضا ببعض و جعلنا قدر ما يأكله كل إنسان منهم من العنب رطلا واحدا في يوم واحد، رجالا و نساء، صغارا و كبارا، فقراء و أغنياء. فكان مبلغ ذلك من أرطال العنب في يوم واحد مائة و اثنين [٣٥٥] و تسعين ألف ألف رطل. فكان مبلغ ما اجتمع من هذه الأرطال على أقرب الأسعار المعتدلة في الأعناب العامة حساب اثني عشر رطلا بدرهم، ستة عشر ألف ألف درهم. و في الشهر الواحد أربعمائة و ثمانين ألف ألف درهم. ثم استظهرنا بإسقاط الأطفال و الأمراض و من لا يأكل العنب بتة، فسقط لهم من عدد الأرطال ستة ألف ألف رطل. فحصل من بعد ذلك عدد الأرطال تسعون ألف ألف رطل عنب.

أ فحسبت أيها المعتصم بالعدل و المتفرد بصحة العقل، ان في البعض من ساعات اليوم الواحد و الليلة الواحدة ما يتسع لمن ترى من قاطفي الأعناب و معبثها و وزانها و هم الذين تراهم و ترى أن يضعوا من ذلك ما لا بقى به إلّا من هو في حكم القياس أضعافهم عددا. و لكن لله نعم ينعم بها، و رحمة يلطف مقدارها عن مقادير عقول المرئيين و تدبير المدبرين، هو الإقرار له بطوله فيها و قدر على ما بسط علينا منها.

و ستعترضك الشكوك فتستريب باليقين الباهر و البرهان المتظاهر. حتى إذا شئت أن لا تنظر بإحدى عينيك [٦٤ أ] و تسمع بالواحدة من أذنيك. علمت أنك إذا رأيت خليفة الله أمير المؤمنين و إمام المسلمين، قد حلّ بمحل من الأرض كحلولة بمدينة السلام. و من أطاف بأمر المؤمنين من ولاية العهود و الأمراء و سائر الولد و الوزراء و المتلاحقين بهذه المراتب من الوجوه و الرؤساء و أرباب السيوف و وجوه الكتاب و كتابهم و خواص من حولهم و بهم من أرباب النعم و النماء و أرباب الضياع البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٩

الموسرين منهم دون المقترين من أفنائهم. ثم وجوه التجار و ملوك الصيارف و البزازين و العطارين و أرباب الجواهر النفيسة و أهل الصناعات الشريفة و الأغنياء جميعا من الجماعة دون الفقراء. و الموسرين دون المقترين و غير المتجملين المستورين، و من لا يشبع يده بغير الميسور من الأمر و القصد من الشأن.

و قد قلنا إن ما يبغداد من المنازل اثنا عشر ألف ألف منزل. فاجعل الآن حاجزا بين منازل الملوك و الأغنياء و سائر الوجوه و الكبراء من المتسعين بالنعم المعتصمين بالسعة و من هو دونهم من الضعفاء و المتجملين أهل القناعة و المستورين لتحسن به ظنوننا و يتمكن عياره في أوهامنا و عقولنا. و هو أن نفرض لكل عشرة منازل من الطبقات الصغيرة منزلا واحدا من الطبقات العاليات. فيكون عدد منازل الملوك و الرؤساء و الوزراء و سائر المتقدمين من الأغنياء العشرين جماعة منازل الناس.

فإن أتيت دون الذي جرت عادتك في الأمر و أقمت عليه من حطيطة الأضعاف و انتحلت الاستظهار ملء و دينا و مكنت لنفسك بالظاهر يقينا، مددنا بذلك إليك يدا طالما ناولتك البعيد و سهلت لديك الصغير. و جعلنا عدة منازل الضعفاء و الخاملين و أهل التجمل و المقتصد أضعاف منازل الملوك و الأشراف، فيكون إذ ذاك عدد منازل المتقدمين من عدة منازل المتأخرين كنسبة شيء إلى مثله عشرين مرة فيحصل لنا عدد هو نصف العشر من الجميع [٦٤ ب]. و قد قلنا إن عدد المنازل ببغداد اثنا عشر ألف ألف منزل. يكون نصف عشرها ستمائة ألف منزل.

و قد يجوز أن يتفق في الأعياد العظام و الأفضل من الأيام في بلاد الإسلام يوم النحر أو يوم الفطر في أوان من الزمان لا تتوالد فيه الأغنام بالعراق بحيث يلبس مدينة السلام إلّا غريبا خاصا و عشيرا شادا كشهر خرداد ماه و شهر مرداد ماه [٣٥٦]. و قد امتنع علينا أن نقول إن مائدة واحدة من المقسومين على أرفع

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥٠

الدرجات و أعظم الطبقات من الملوك و الرؤساء و سائر الوجوه و الأغنياء خلو من جدى واحد في ذلك اليوم الواحد الذي قلنا إنه الأعياد الشريفة و الأيام السعيدة، ظنا قريبا و حكما مصيبا. فيكون إذا قدر ما يباع في أسواق بغداد من الجداء في الفطر و في النحر

ستمائة ألف جدى.

أفظنت أيها البَحَاث المتذكر والنَّظَار المتفكر، أن الله لا يطف لإيجاد ما شاء من خلقه على أجنحة الملائكة المقربين وعلى رؤوس الجن والشياطين. بل لا نظن أن وكلاء الوظائف وأميناء أمناء المطابخ رجع منصرفا من أحسن الأسواق وما لا يناسب منها باب الكرخ و باب الطاق فى وقت واحد من الزمان و ساعته، واحده من النهار، فاستحل أن يقول لعدم الجداء بالربيع ببغداد، و اننى طلبت جديا رضيعا فتعذر علىّ، و التمتت مخالفيف الدرّاج فى غير أوانها و صغار الفراريج فى دون أبانها و القبج و الشفانين و الصلاصل و الوراشين و السمان و الكراكى و الطيهوج و القمارى و العصافير و الدباسى و الغربان و العقبان أو الثعالب و الذئاب و الضباب و الدباب أو الفيل و السمور و الأرنب و الخنزير، و ما لا يحصى عدده و لا يحصل مدده من أنواع ما فى البر و الخراب و ما فى البحر من السلاحف و السرطانات و السقنقور و السور ما هى و الصير و المارماهى و الجرى و الزامور و كلب الماء و الجرجور. و قد تعرضنا من ذلك لما لا سبيل إلى إحصائه و لا حيلة لنا فى [٦٥أ] عدّه و استيفائه.

و متى تظن أو ظننت أن عليلا مات أو يموت بمدينة السلام بفقدان دواء معروف، أو بحسرة غذاء لطيف و كثيف، فقد ظننت محالا و أدرت فى خلدك باطلا.

و كذلك أيضا لا- يستطيع أحد أن يقول إن عليلا أو صحيحا تاق إلى الأرباط فى الثانى من الكوانين أو إلى الكمأة فى الأول من التشارين، و إلى الخلال فى أيلول، و إلى البسر فى القَرّ و الطلع فى الحر، و إلى النرجس فى حزيران و القثاء و الخيار فى آذار، فتعذر وجود ذلك عليه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥١

أو عساك ظننت أن وجود هذا هو شىء للخاص دون العام و الغنى دون الفقير و الكبير دون الصغير، و ان بلدا لا يمتنع فيه وجود غذاء فى كل زمان و كل دواء فى كل أبان، مجمّع لك الأنواع مع تفرّق الزمان، حتى يناسب بين المتضادات فى أزمانها. و يؤلف بين المتنافيات فى أبانها لبلد عزيز الشأن عند الله، عظيم النصيب من لطف الله.

زعم لنا جامع بن وهب و هو أحد وجوه المجهزين من الصيادلة ان قدر ما كان فقد بمدينة السلام من أنواع الصيدلة مما كان يأتى من نواحي البحر خاصة عند خراب البصرة و انقطاع سبلها ألف نوع و أربعمائه نوع و ثلاثة و سبعين نوعا معدودة محصلة مبينة مفصلة. قال: فقلنا ذلك مع أنواع العطر؟ فقال نعم مع بعض العطر.

فلما رأى تعجبنا من ذلك و استفظاعنا له التفت إلينا فقال: من يذكر منكم أنه ابتاع آسا رطبا فى مدة حياته؟ فقلنا جميعا بلسان واحد: ما نذكر ذلك. فقال:

فاعلموا أنه يباع فى دار البطيخ فى كل يوم من أيام الشتاء و الصيف من الآس الرطب بخمسة و عشرين ألف درهم. يكون قدر ذلك فى الشهر الواحد ورقا سبعمائة ألف و خمسين ألف درهم. و فى العام الواحد تسعة ألف ألف. فإذا كانت هذه الآية فى الآس بها وحده، فما ظنك بغيره من سائر الأجناس؟

ثم [٦٥ب] رجع بنا النظر بعد ذكر الدواء و الغذاء إلى شبيهه بما كنا فيه من ذكر الجداء و قلنا: إنا إذا كنا قد فرضنا لكل مائدة جديا، فوصلنا من عدد الجداء إلى ما ذكرنا و هو ستمائة ألف ألف جدى فى يوم واحد. فلنفرض الآن استظهارا لكل ذى مائدة جديا و أربع دجاجات و أربعة فراخ، فيكون عدد الدجاج و الفراخ المستعملة فى اليوم الواحد من أيام الأعياد العظام أربعة ألف ألف و ثمانمائة فرخ و دجاجة. يكون ثمن كل دجاجة استظهارا درهما واحدا و ثمن الفرخين درهما واحدا. فيكون ثمن الجميع من الدجاج و الفراخ فى اليوم الواحد أيضا، ثلاثمائة ألف ألف و ستمائة ألف درهم.

و قد وجدتني على كل حال حليف الاستظهار فيما ادعيت و مسامحا لك فى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥٢

اعتبار ما نحوت. فظن ان شئت مكذباً للعيان و طاعنا على فصول البرهان. إن الأمر الذي ذكرناه، و قمنا بحقه و فصّلناه. هو بخلاف ما أضيّلناه. فاعقد الآن من جمل ذلك على أنصافها و أثلاثها و أرباعها و أسداسها. أفضحت أنك اعتقدت من ستين ألف حمام على عشرة ألف حمام ليعقد من ستمائة ألف جدى على مائة ألف جدى. و من كذا على كذا ان الباقي بعد ذلك لا تراه عجباً عجيباً و شأناً غريباً.

فكيف و الأمر فى الأصول كما نقول بكل برهان و بكل دليل.

و سندهب فى نوع آخر من الكلام، فإنك و الحق لتشهدان. و إنك لترى فى ظاهر العيان، و على حكم الأيام و الزمان. إن و كيلا من و كلاء الوظائف لو اعترض جميع ما فى باب الطاق و سوق باب الكرخ و سائر الأسواق فى غذائه من الغدوات معترضاً بعشرين ألف درهم لا يتباع جميع ما فيها، لما ترك بها مذبوحة برياً و لا حيواناً بحرياً، كما لا يدع فيها تفاحاً و لا ريحاناً و لا أترجا و لا رماناً. و إذا شئت مع ذلك من القول أن تعلم الحق عليك و تتناول الصدق إليك فألطف الاشراف [٦٦ أ] على المطابخ للملك الأعظم و على ما استودعت من ذلك مجالسه و مواضع مواقده، فإنك تعينها مشحونة بما لا تصل إلى معانيه مثله إلّا فى الأسواق، و لا كصغير ما هنالك بباب الكرخ و الطاق. فإن أنت أمددت الحق حقاً و أضفت إلى الصدق صدقاً و جمعت بين ما تراه فى المساكن الملك الأعظم ببغداد و بين ما فى منازل البطانة و سائر الأهل و الولد و الحشم و ولاية العهود الوزراء و كبار الأمراء و سائر الوجوه و الرؤساء و كبار التجار و الأغنياء دون المقتصدى و الفقراء، وصلت من معانيه ما ترى ان مادبة (؟) إنما هى من باب الكرخ و الطاق و سائر الشوارع و الأسواق فى اليوم الواحد ما لا سبيل إلى معانيه مثله فى باب الطاق و لا فى شارع و زقاق. و أرى أن الظلم جميعاً مجموع فى ذلك، يدفعك من ذلك ما لا يندفع و فى منعك منه ما لا تمتنع.

و سأريك بعين عقلك مثلاً عجيباً. أنت تعبد الله بتكذيبه لولا امتحانه و أسرع مما هو أعجب مما تعجبت منه و ستدين الله بالجحود به لولا برهانه و بيانه. فإنما متى دعوناك إلى الإقرار بجملته تتباعد عن الإدراك و العقول و تنسب فى الظاهر إلى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥٣

التمويه و الأباطيل فيما استبشعته ثم استيقنته، هو الحكم فيما استبعدته.

و الدليل على ذلك، إذا وجدت بيوت الشطرنج أربعة و ستين بيتاً ثم جعلت فى أول بيت منها حبة من الحنطة و فى الثانى حبتين و أضعفت ذلك على نظام التضاعيف حتى تأتى على آخرها بيتاً، كنت مستدركا ظناً و ترجيحاً و حذراً و توهما فى ظاهر الحس و باطن النفس أن المجتمع لك من تضاعيف الحبة الواحدة من الحنطة فى أبيات الشطرنج [لا] يكون إلّا قفيزاً أو بعض القفيز الواحد. فإن ظننت الآن أن المجتمع لك من عدد الحب فى ظاهر الحس ظناً و ترجيحاً هو قفيز أو عشرة أفضرة فأظننه أكثر. و إن ظننته كراً أو كزين أو عشرة أكرار أو عشرين [٦٦ ب] كراً فأظننه أكثر. و إن ظننته مائة كراً أو خمسمائة كراً فأظننه أكثر. و إن ظننته ألف كراً فهو أكثر. و إن توهمتة عشرة ألف كراً فهو أكثر. و إن قلت إنه مائة ألف و مائتى ألف كراً، فهو أكثر. و إن قلت إنه مائتا ألف ألف كراً كان أكثر. و إن قلت إنه ثلاثمائة ألف ألف كراً كان أكثر و أكثر حتى تصل من أعداد الحنطة إلى عدد هو فى ظاهر الحكم أن صاحب هذا العلم لو عدم البرهان عليه لاستحق من كثير من الناس الرجم. أليس إذا دللنا على صحة ذلك و فصلناه و أشرنا إلى استدراك حقيقته و حصلناه، كان الحكم فيما دعونا إلى تصديقه و أشرنا إلى تحقيقه فى أمر بغداد، فاستصعب عليك عياره بأكثر مما ذكرنا كان حقاً؟

و الدليل على ذلك أن حبة من حنطة إذا جعلت فى بيت من بيوت الشطرنج ثم أضعفت ذلك إلى آخرها بيتاً. ان المجتمع من ذلك الحب الحنطة شىء يفى بقوت ستين ألف ألف إنسان لخمسين ألف سنة، إذا كان المبتاع منه فى كل يوم دائماً بخمسمائة ألف دينار بأعدل الأسعار و أقربها من الرخص. و هو حساب الكثر بثلاثين ديناراً. و يكون تقدير ما يقرون فى كل يوم من الحنطة من جملة ما يجتمع من الحب فوجدنا مبلغه ثمانى عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف و أربعين ألف ألف ألف ألف ألف و

سبعمائه و أربع و أربعين ألف ألف ألف ألف و ثلاثا و سبعين ألف ألف ألف و سبعمائه ألف ألف و تسع ألف ألف و خمسمائه و واحدة و خمسين ألفا و ستمائة و خمس عشرة حبة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥٤

ثم أردنا أن نعلم كيل هذا العدد من حب الحنطة بالكر المعدل، كيل مدينة السلام. فقلنا [٦٧ أ] إن تقدير وزن القفيز الواحد من الحنطة و هو مائة و عشرون رطلا. و وزن الرطل مائة و ثمانية و عشرون درهما و أربعة أسباع درهم و هو تسعون مثقالا. فعلمنا على أن وزن الدرهم الواحد من الحب الفحل الممتلي ثلاث و ستون حبة استظهارا. و وزن المثقال درهم و ثلاثة أسباع درهم. فيكون وزنه من الحب تسعين حبة. و الرطل تسعون مثقالا. فضربنا تسعين في تسعين فكان مبلغه ثمانى ألف و مائة حبة. و هو وزن الرطل الواحد. ثم ضربنا ذلك في عدد الأبطال التي هي وزن القفيز و هو مائة و عشرون رطلا. فكان مبلغ ذلك تسعمائة ألف و اثنين و سبعين ألفا و هو عدد مبلغ ما يكون في القفيز الواحد من الحنطة. فجبنا ذلك و جعلناه ألف ألف حبة استظهارا و تقريبا. ثم ضربنا ذلك في عدد قفيزات الكرّ و هو ستون قفيزا. فكان مبلغ ذلك ستين ألف ألف حبة. و هو مبلغ كيل الكر الواحد. ثم ضربنا ذلك في ألف. فكان مبلغه ستين ألف ألف ألف. و مبلغ كيله ألف كر. ثم ضربنا ذلك أيضا في ألف فكان مبلغه ستين [٣٥٧] ألف ألف ألف ألف. و مبلغ كيله ألف ألف ألف كر. ثم ضربنا ذلك في ثلاثمائة. فكان مبلغ ما قدّمنا ذكره.

و هو مبلغ ما ارتفع به العدد من جملة حساب تضاعيف الشطرنج بالأمر المشهور عند أرباب الحساب. فبلغ ذلك بالكر المعدل ثلاثمائة ألف ألف ألف كز، دون الذى هو سبعة ألف ألف ألف كز و ما زاد. ثم قيما الكر بأعدل بأعدل القيم ثلاثين ديناراً. فكان مبلغ ذلك تسعة ألف ألف ألف دينار [٣٥٨]. فمن هاهنا قلنا إن الله عزّ و جلّ لو خلق هذا المقدار من الحنطة دفعة، و جعل الدنيا باقية بأهلها خمسين ألف سنة، ثم بيعت [٦٧ ب] الحنطة بسعر الزمان الذى فرضناه فى كل يوم بخمسمائة دينار يباع دائما متتابعاً على اتصال الأيام، و الشهور و السنين. إن ذلك لم يكن يستغرق بيع جميع ما اجتمع من تضاعيف حبات الحنطة إلّا فى خمسين ألف سنة.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥٥

و الدليل على بيان ذلك أن السنة ثلاثمائة و ستون يوماً. فإذا ضربناها فى خمسين ألف سنة، كان مبلغها ثمانية عشر ألف ألف يوم و هو مبلغ أيام خمسين ألف سنة. ثم أردنا أن نضرب عدد هذه الأيام التى هي ثمانية عشر ألف ألف يوم فى الخمسمائة دينار التى ذكرنا البيع بها فى كل يوم. فبسطنا غزبها [٣٥٩] ليكون أظهر عند السامعين. فضربناها فى خمسة أصلا، فكان مبلغه تسعين [٣٦٠] ألف ألف. ثم ضربنا ذلك فى مائة. فكان مبلغه تسعة ألف ألف ألف. ثم ضربنا ذلك فى ألف فكان مبلغه تسعة ألف ألف ألف ألف ألف. فهو مبلغ ما ذكرنا من جملة ثمن ما اجتمع لنا من تضاعيف حبات الحنطة بالسعر المفروض و هو ثلاثمائة ألف ألف ألف كز، غير ما استبطنا من الزيادة و هو سبعة ألف ألف ألف كز و ما زاد.

فإن الذى بلغك الإقرار بأن الحبة الواحدة من الحنطة تبلغ بتضاعيفها فى أعداد بيوت الشطرنج حتى يكون مبلغها ثلاثمائة ألف ألف ألف كز و سبعة ألف ألف ألف و ما زاد، و إنها قوت لستين ألف ألف إنسان خمسين ألف سنة بعد الإنكار هو الذى يبلغك الإقرار بغرائب بغداد و بدائع مدينة السلام. و إنما تجشمتنا ذكر ذلك لتعلموا أن كثيرا من الأمور تستبعد فى الظنون و تستنكر فى الأوهام و العقول لو لا الاعتداد بأصولها و الاتكال على تفصيلها.

و قال أبو بكر بن عياش و ذكر بغداد: هي اليوم مصر العرب.

و كان بعضهم يقول: بغداد دار دنيا و آخرة.

و تقدير الجوالى ببغداد مائة ألف و ثلاثون ألف. و تقدير الادخار. [٦٨ أ] و دور الضرب فى كل سنة من الورق ألف ألف و خمسمائة ألف درهم.

قال: و من عجائب بغداد الدار و اللكا [٣٦١]. فالدارش يتخذ من جانب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥٦

و اللكا من جانب. فمتى عدل بأحدهما عن جانبه الذى يعمل فيه، لم يكن فيه شىء. و قد امتحن هذا غير مرة فما استوى إلّا فى الموضوع الذى رسم فيه. و ان فى هذا لعبرة و أعجوبة. فتبارك الله رب العالمين.

ما ذكر فى ذم بغداد و كراهة نزولها [٣٦٢]

و قد كره قوم من العلماء السكنى ببغداد و المقام بها و عابوها و ذكروا أنها دار فتنة لكثرة ما فيها من الفساد و من أنواع الفجور و شرب الخمر و الزنى و كثرة الربى.

و روى أبو عثمان النهدي قال: كنت مع جرير بن عبد الله على قنطرة قطربل فقال: ما يدعى هذا النهر؟ قلت: دجلة. قال: هذا؟ قلت: دجيل. قال: فهذا؟

قلت: الصراة. قال فهذا النخل؟ قلت: قطربل. فركب فرسه ثم أسرع حتى خرج عن القنطرة ثم

قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) يقول: تبنى مدينة بين دجلة و الدجيل و قطربل و الصراة تجبى إليها خزائن الأرض.

ينزلها الجبار، يخسف بها، فهى أسرع ذهابا فى الأرض من الوتد الحديد فى الأرض الرخوة.

و قال أبو العالمة: يكون خليفه يملك عشرين سنة إلّا شهرا ثم لا تسلم عن هلكه العرب. تبنى مدينة بين قرية الخر و دجلة و لها أربعة

أبواب مشيدة، و شرقى و غربى و عراقى و شامى. يظهر فيها الفسق يخسف بها. و لبنى حام عليكم نزوة و يحاربونكم حرب

الاستئصال. و لبنى قنطورا نزوة مثل ذلك. ثم لا تسأل عن هلكه العرب.

و كان بشر بن الحارث يقول: ما ابتنت بغداد إلّا على البلاء. مرة حرق.

و مرة غرق. و مرة فتن.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥٧

و قال الهذيل بن بلال عن عطاء.

قال خرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه [٦٨ ب] متوجها إلى الشام فنزل بقرية يقال لها قطربل ذات نخل و بساتين،

فسأل رجلا- من أهلها، فقال: ما اسم هذه القرية؟ قال: قطربل. فقال على عليه السلام لأصحابه: أرحلوا. و سار عنها فرعا حتى نزل

السيحيين و قال لأصحابه: ضعوا أسلحتكم و أمتعتكم فقد نجوتم من البلاد إن شاء الله. ثم أنشأ يحدثنا عنها فقال: يا لها قرية ما يجمع

الله فيها و على ما يقترفون. ثم حانت منه نظرة إلى قرية فيها تلّ عظيم فقال: و الذى نفسى فى يده لتكون تحت هذا التل وقعة صلحية

يتحدث عنها كل ناج من القتل. آية ذلك إذا شققت فيها الأنهار و بنيت القصور و سددت الدور و كثر الفجور، و لم يتناه أهلها عن

منكر. فهناك تحل بهم البلية لما ارتكبوا من الخطية.

و قال أبو صالح الباهلى: قال لى شيخ من أهل الكتاب فى أيام مروان بن محمد: هذا أوان ذهاب ملك بنى أمية. قلت: و ما آية ذلك؟

قال: تظهر رايات السود من خراسان فتطوى ملك بنى أمية طيا. فلم نلبث إلّا قليلا حتى ظهر أبو مسلم و كان من أمر واحده الدولة ما

كان. ثم لقيت ذلك الرجل فى وسط أيام أبى مسلم. فقلت: قد صح ما قلت، فأين تكون دار المملكة؟ قال: أرض يقال لها بغداد.

تجسّر بها الجسور و يكثر أهلها و تجتمع إليها الأموال.

و خطب أمير المؤمنين رضى الله عنه بالكوفة فقال فى خطبة: يا أهل الكوفة! أنتم اليوم بخير. فكيف بكم إذا حشرتم ذات نخل و كرم

يجتمع إليها كل برّ و فاجر يقال [لها] بغداد، باغية طاغية. يلى بناءها رجل من ولد بنى العباس رخص الشعر يقال له عبد الله تكون

خلافته زمانا [٣٦٣]. ثم ذكر فيها شيئا، قال: و يخرج رجل لو شئت لأنبأتكم باسمه و اسم أبيه. فإذا خرج ذلك الرجل فقل لبنى العباس

فليلحقوا بوادى القرى كما كانوا قديما.

و قال إسماعيل بن إبراهيم عن إبراهيم بن بشير قال: انصرفنا بعض الصوائف

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥٨

نريد البصرة. فلما صرنا [٦٩ أ] إلى موضع بغداد، - وليس هناك إلّا نخل و قرى و دير في موضع العتيقة، و آخر يقابله من موضع الدعالجة و الباقي صحراء- و هناك راهب في صومعة. فدنوت منه و حادثته ساعة ثم قلت له: يا راهب! ما أرى لك هاهنا زرعاً و لا ضرعاً. فضحك ثم قال: أخبرني أبي عن جدي- و كان عالماً بالكتب القديمة- ان ملك بنى أمية زائل عنهم برجل يخرج من خراسان مجهول النسب، معه خلق قد سؤدوا ثيابهم. فإذا أزالوا سلطان بنى أمية دفعوا الملك إلى رجل من بنى العباس فيملكه عدة سنين ثم يهلك، و يقوم آخر مكانه فيبنى هاهنا مدينة لا- يكون على الأرض مثلها في كثرة الأموال و الناس و الأسواق. فضحكت تعجباً منه. فقال: لا تضحك، فإن عمرت رأيت. فما متّ حتى رأيت ما قاله لي.

و قال العتبي [٣٦٤]: حدثني رجل من أهل البصرة قال: اجتزت في بعض شوارع بغداد يوماً في السحر و قد اشتبكت أصوات المؤذنين فأعجبني ذلك و حمدت الله عليه. فإذا هاتف يهتف بي و يقول: ما الذي يعجبك من مدينة فجر الليلة فيها سبعون ألفاً، و افتض من ذلك عشرة آلاف فرج حرام.

و قال إبراهيم بن عيينة: كنت مع قيس بن الربيع ببغداد، فلما انتهينا إلى باب البصرة و جزنا القنطرة قال: هذا المكان الذي يخسف به و هو ناحية دور الصحابة و ما إلى ذلك.

و كان الفضيل بن عياض إذا ذكرت عنده بغداد، قال: أما أسواقها فكافرة و أما أسواقها فلاعنة.

و قال بشر بن الحارث: جاء أبو جعفر إلى هذه البلدة فخطر عليها. و جاء بآبائنا فأسكنهم فيها. و كانوا لا يعلمون. ثم نشأ الأبناء فسألوا و فتشوا و دققوا النظر ثم أقاموا فيها مثلهم كمثل الذين قالوا: إننا وجدنا آباءنا على أمة. و إن أراد ربك أن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٥٩

يغرقهم فما يضيع. أما سمعت بقوله: فلما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين.

و قال بشر [٦٩ ب]: و الله للخروج منها على جهد أحب إليّ من المقام فيها على حسن حال.

و قال الفضيل بن عياض: لا تكونن ببغداد مؤذناً.

و قال بشر: و دعت عيسى بن يونس فقال لي: يا بشر! إلى أين تنتقل، إلى تلك القرية السوء؟

و قال بعضهم المتعبد ببغداد كالمتعبد في الحشر.

و أقام ابن المبارك ببغداد أياماً يسيرة، فكان يتصدق كل يوم بدينار.

و كتب بعضهم إلى العتّابي يستوطنه ببغداد فكتب إليه: أمّا بعد. فإنك في بلاد و جدهم بالدنيا وجد من لا يرجو معاداً. قد نصبت لهم الجبابة علم التكاثر فحلبهم الفتن و احكام معان [٣٦٥] القرآن فارتم تلك النحلة بالهجران و البس منها جنبه الحذر. فإن في جوارهم مشتبه نار الحرص و غضيض الشهوات. معاينتهم ذم القناعة. بصغير النعم قد أمّ عنهم الأمل، مكر الله و هل يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون؟

و قال أبو صالح شعيب بن حرب: قلت لسفيان الثوري: لى والدة ببغداد أ آتتها؟ قال: لا. قلت: فإن أتيتها فحضرت الصلاة أصلى فيها؟ قال: لا، إلّا الجمعة و لا يطاع فيها فإنها دار فتنه.

و قال رجل لسفيان: لى قرابة ببغداد و لا بأس به. قال: يقول لرجل يسكن ببغداد لا بأس به.

قال أبو الأحوص: سألت سفيان عن الجلب إلى بغداد. فقال: اجلب إليها كل شيء ما خلا الكراع و السلاح.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٦٠

و قال بعضهم: إنى لأمشى في بغداد، فكأنما أمشى في النار.

و كان ابن إدريس يقول: اخرج عليّ من ذكر حديثي ببغداد.

و قال ابن الربيع: قلت لإبراهيم بن صالح أيام صحبة ابن حنبل: ادع الله له.

قال: لا أفعل. قلت: لم؟ قال: هو يسكن بغداد.

و جاء الوليد البغدادي القاص إلى الفضيل بن عياض و وضع يده في يده و أقبل يسأله و الفضل قد أعجب به إلى أن قال له: أين المسكن؟ قال: بغداد.

فانتزع يده من يده ثم قال: يجيء أحدكم يسأل عن (٣٦٦) [٧٠] كأنه من عمال الله أو من الدعاء إليه. فإذا قيل له أين المسكن قال: في عش [٣٦٧] الظلمة.

قال: و كان بعض الصالحين، إذا ذكرت عنده بغداد تمثّل:

قل لمن أظهر التصوّف في الناس و أمسى يعدّ في الزّهاد

الزم الثغر و التواضع فيه ليس ببغداد منزل العباد

إنّ ببغداد للملوك محلّ و مناخ للقارئ الصياد

و سأل المعتصم أبا العيّن عن بغداد و كان سيء الرأي فيها فقال: هي يا أمير المؤمنين كما قال عمارة بن عقيل:

ما أنت يا ببغداد إلّا سلح إذا اعتراك مطر أو نفع

و إن جففت فتراب برح

[و كما قال آخر]:

هل الله من ببغداد يا صاح مخرجي فأصبح لا تبدو لعيني قصورها

و ميدانها المذرى علينا ترابه إذا شحجت أبغاله و حميرها

فهى أم الوحول، و مطرح البقول. عذرتها في طرفها، و قدرها في وسطها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٦١

يموت أهلها في الصيف حرقا، و في الشتاء غرقا. الميت فيها مطروح لا يجد من يحمله، و المسكين بها ما يصيب أحدا يصدّق عليه. و

الغريب فيها مسلور و الغرب بها أهل [٣٦٨] شيوخها [٣٦٩] يتصافعون و شبابها يتناهدون. و صبيانها يؤاجرون. و نساؤها يزنون و

يساحقون. البغاء منهم غير منكر، و القرون من رجالهم لا تستر. و هم مع هذا يتامى أمير المؤمنين. و قد قال فيهم الشاعر:

أذمّ ببغداد و المقام بهامن بعد خبرة و تجريب

ما عند أملاكها لمختبطخير و لا فرجة لمكروب

يحتاج باغى النوال عندهم إلى ثلاث من بعد تثريب

كنوز قارون أن تكون لهو عمر نوح و صبر أيوب

[٧٠ب]

قوم مواعيدهم مزخرفة بزخرف القول و الأكاذيب

خلّوا سبيل العلى لغيرهم و نافسوا في الفسوق و الحوب

و قال آخر:

أقمت ببغداد مذ أشهر و كنت ببغداد ذا غيره

فما إن قطعت بها شعرة و ما ان فتت بها بعرة (؟)

و ما ان ترفق لي حاجة كاني و طيت على نشره
 و عاندني الخير مذ جتتها معانده الضرة للضرة
 و إني بها عاشق درهماو من لي يا صاح بالزهره
 فعجبي بسيري إلى بلدتي كعجب الطفيلي بالسفرة
 و لو كنت ممن يجيد الغناء لأحرزت مذ جتتها بدره (؟)
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٦٢

فإن ردني الله من صيفها سليما إلى (٣٧٠) البصرة و عدت إليها فعرضي طلاق ثلاثا و جاريتي حرة (؟)
 و قال آخر:

لقد طال في بغداد ليلي و من بيت ببغداد يصبح ليله غير راقد
 بلاد إذا ولى النهار تقافرت براغيثها من بين مثنى و واحد
 ديازجة شهب البطون كأنها بغال بريد أرسلت في مذاود
 و قال آخر:

زعم الناس أن ليلك يا بغداد ليل يطيب فيه النسيم
 و لعمرى ما ذاك إلا لما خالفهم بالنهار منه السموم
 و قليل الرخاء يتبع الشدة عند العباد أمر عظيم
 و قال آخر:

ترحل فما بغداد دار إقامته و لا عند من يرجي ببغداد طائل
 محل أناس سمتهم في أديمهم و كلهم من حلية المجد عاطل
 و قال بعض الصالحين: ما أحب أن أسكن أحد المصريين على أن أتصدق كل يوم على مائتي مسكين. فقيل له أي مصريين هما؟ قال:
 مصر و بغداد.

و قال يعقوب بن إسحاق [٣٧١]: سمعت أبي يقول: سمعت يزيد بن هارون [٣٧٢]- و سأله رجل أيام الفتنه، فقال: إن أبوي يكرهان أن
 أخرج عن بغداد. فقال يزيد:

إن أحب أبواك أن يقيما بأرض الشرك أ تقيم معهما؟ قال: ثم رأيت [٧١] بعد هذا القول مقيما ببغداد.
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٦٣

و قال ابن الكلبي: سميت البردان التي فوق بغداد بأربعة فراسخ بردانا لأن ملوك الفرس كانوا إذا أتوا بالسبي فنقوا شيئا منه قالوا: برده.
 أي ذهبوا به إلى القرية البردان فسميت بذلك. قال: و كانت بردان الكوفة لوبرة بن رومانس أخى النعمان بن المنذر لأمه فمات و دفن
 فيها. و لذلك قال مكحول بن حاربه يرثيه:

فما الدنيا بباقيته لحي و ما حي على الدنيا بباقي

لقد تركوا على البردان قبراو هموا للتفرق بانطلاق

قال: و أنشدني الهيثم بن عيسى الكاتب لبعضهم:

كفى حزنا و الحمد لله أننى ببغداد قد أعيت على مذاهبي

أصاحب من لا أستلذ صحابه و آلف قوما لست فيهم براغب

و لم أثو في بغداد حبا لأهلهاو لا أن فيها مستفادا لطالب
سأرحل عنها قاليا لسراتهاو أتركهم ترك الملول المجانب
فإن ألجأتني النائبات إليهم فأير حمار في حر أمّ النوائب
و قال آخر:

اركب ببغداد و جّول بهاو اقصد لمن شئت من الناس
تجده من كان إذا جئته مستترا عنك يا فلاس
يبدى لك الفقر و يطوى الغنى منك و يدنيك من الياس
يخضع في المنطق من بخله و قلبه كالحجر القاسي
و أنشد لمطيع بن إياس:

حبّذا عيشنا الذي زال عنا حين نلنا المنى و لا حبّذا ذا
أين هذا من ذاك سقيا لهاذاك، و لسنا نقول سقيا لهذا
زاد هذا الزمان شرا و عزّاعندنا إذ أحلّنا بغدادا
بلدة تمطر التراب على الناس كما تمطر السماء الرذاذا
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٦٤

[٧١ب] فإذا ما أعاذ ربي بلادا من عذاب كبعض ما قد أعادا
خربت عاجلا كما خرّب الله بأعمال أهلها كلواذى
و قال محبوب بن أبي العسّط النهشلي:

لروضة من رياض أو طرف من القرنة جرد غير محروث
يفوح منه إذا مجّ الندى أرج يشفى الصداع و يشفى. كلّ ممغوث
أملا و أحلى لعيني إن مررت به من كرخ بغداد ذى الرمان و التوث
الليل نصفان: نصف للهموم فما أفضى الرقاد. و نصف للبراغيث
أبيت حين تساميني أوائلها أنزو و أخلط تسيحا بتغويث
سود مداليج في الظلماء مؤذية و ليس ملتمس منها بمشبوث
و قال بعض الكلابيين - و كان ببغداد فأذته البراغيث -:
أصبحت سالمته البراغيث بعد مامضت ليله منى و قلّ رقودها
فيما ليت شعري هل ازورنّ بلدة قليل بها أو باشها و عبيدها
و هل اسمعنّ الدهر أصوات ضمّر تطالع بالركبان صعرا خدودها
تراطن حولي كلّما ذرّ شارق ببغداد أنباط القرى و عبيدها
و هل أرينّ الدهر نارا بأرضها بنفسى و أهلى أرضها و وقودها

قال عياش بن باغان الرقي: مبتدأ دجلة من تحت حصن في جبل بآمد و عرضها عند منبعها أقل من عشرة أذرع، ثم تمر بجبال السلسلة.
و في جبال السلسلة عيون كثيرة يصب في دجلة ثم تخالطها أنهار عظيمة منها الخابور و الزرم و غيرهما من الأنهار. ثم تصب إلى
جزيرة ابن عمر التغلبي. و تخالطها أيضا أنهار كبار من نواحي [٧٢أ] أرمينية ثم تصير إلى بلد ثم إلى الموصل. فإذا أجازت الموصل

بسبعة فراسخ، صب إليها الزاب الكبير. و من تل فافان تحمل فيها السفن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٦٥

و الأطواف. فإذا بلغت السن، صب إليها الزاب الصغير. ثم تخالطها ببغداد أنهار من الفرات منها الصراة و نهر عيسى و غيرها حتى تصير إلى البطائح.

و روى عن كعب أنه قال: النيل نهر العسل في الجنة، و دجلة نهر اللبن و الفرات نهر الخمر، و سيحان نهر الماء و هي التي ذكرها الله في القرآن.

و قال أحمد بن محمد الحاسب [٣٧٣]: أمر المتوكل بتسهيل أبواب دجلة من الموصل إلى بغداد و قلع الحجارة التي في الطريق لها الأبواب. فقيل له: يا أمير المؤمنين! إن عمك المأمون قد كان أمر بمثل ما أمرت فقيل له ان الله جلّ و عز إنما جعل هذه الصخور و في هذه المواضع. و ان كان فيها بعض الضرر على المجتازين لما في ذلك من الصلاح لعباده و عمارة بلاده من جهة معاشهم. و ذلك انها ترد حمية الماء عن حافتى دجلة. و مقامها مقام الشكور. و يحتاج إليها أيضا لينضمّ الماء و لا يتفرق فيحمل على الأنهار. و لولا هذه الحجارة لفقر الماء دجلة حتى تخطّ و أضّر ذلك بالناس و بطلت العمارة. فأمسك عما كان همّ به.

قال: و بأسفل واسط تسكن جريه دجلة و تخف. و هناك تأخذ منها أنهار كسكر و نواحيها. فأما ما يأخذ منها و يسقى الجانب الشرقى، فالقناتان الشتوية و الصيفية و هما اللتان عملهما المتوكل لسمرى كانتا تدخلان المسجد الجامع و تتخللان شوارع سامرا. ثم النهر الذى قدره أيضا و عمل على أن يدخل الخير فلم يتم. و قد كان أنفق عليه سبعمائة ألف دينار. و كان السبب فى أنه لم يتم، ان المتوكل قتل قبل الفراغ منه. و قد حاول المنتصر أن يتمه، فلقصّر أيامه لم يستو ذلك.

ثم القاطول الكسروى يسقى [٧٢ب] النهروان و عليه شاذروان فوقه يسقى رستاق بين النهرين من طسوج بزرجسابور. ثم القاطول المعروف بأبى الجند، يأخذ من دجلة و يصب أسفل الشاذروان الذى أحدثه الرشيد عند عمله ذلك

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٦٦

الشاذروان عوضا لأهل النهروان بسبب ما سدّ عنهم الشاذروان.

ثم نهر السلام يأخذ من دجلة و يسقى كلواذى و نهر بين بزرج سابور و نهر بوق.

و فى الجانب الغربى، النهر المعروف بالإسحاقى فى مبتدأه من تكريت و هو يسقى العمارات. و القناة القديمة يسقى أيضا العمارات. و دجيل يسقى قطربل و مسكن.

[بنى الأكاسرة بين المدائن التى على عقبه همذان و قصر شيرين مقبرة آل ساسان. و عرقوف كانت مقبرة الكيانين و هم أمه من النبط كانوا ملوكا بالعراق قبل الفرس] [٣٧٤].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٦٧

القول فى سمرى

قال الشعبى: كان سام بن نوح له جمال و رواء و عقل و منظر، و كان يصيف بالقريه التى ابتناها نوح عند خروجه من السفينه ببازبدي و سماها ثمانين، و يشتم بأرض جوخا. و كان ممره من أرض جوخا إلى بازبدي على شاطئ دجلة من الجانب الشرقى. فيسمى ذلك المكان إلى الآن سام [راه، يعنى طريق سام].

و قال إبراهيم بن الجنيد [٣٧٥]: سمعتهم يذكرون أن سامرا بناها سام بن نوح و دعا أن لا يصيب أهلها سوء. فأراد السفاح أن يبنها فبنى مدينته بالأنبار بحذائها.

و أراد المنصور بعد ما أسس بغداد و سمع فى الرواية بركة هذه المدينة أن يبنها.

فابتدأ بالبناء في البردان ثم بدا له و بنى بغداد. و أراد الرشيد أيضا بناءها، فبنى بحذائها قصرا و سماه المبارك و هو بحذاء أثر بناء قديم كان للأكاسرة. ثم بناها المعتصم و نزلها سنة إحدى و عشرين و مائتين.

و روى ليث عن مجاهد قال: حيثما اجتمع المسلمون فهو مصر.

و لم يبن أحد من الخلفاء من الأبنية الجليلة ما بناه المتوكل. فمن ذلك القصر المعروف بالعروس، أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم. و المختار، خمسة ألف ألف درهم. و الوحيد، ألفى ألف درهم. و المسناة [٧٣] أ [عشرين ألف ألف درهم. و البرج ثلاثين ألف ألف درهم. و الجوسق الإبراهيمي، ألفى ألف درهم.

و الجعفرى المحدث عشرة ألف ألف درهم. و الغريب عشرة ألف ألف درهم.

و الشيدار عشرة ألف ألف درهم. و البرج عشرة ألف ألف درهم. و الصبح خمسة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٨

ألف ألف درهم. و المليح خمسة ألف ألف. و القصر في بستان الإيتاخية عشرة ألف ألف. و التل علوه و سفله خمسة ألف ألف. و الجوسق في ميدان الصخر خمسمائة ألف. و المسجد الجامع خمسة عشر ألف ألف درهم. و بركوان للمعتر عشرين ألف ألف درهم. و القلائد خمسين ألف دينار، و جعل فيها أبنية بمائة ألف دينار. و الفرد في دجلة ألف ألف درهم. و القصر بالمتوكلية و هو الذى يقال له الماحوزة خمسين ألف ألف درهم. و البهو خمسة و عشرين ألف ألف. و اللؤلؤ خمسة ألف ألف درهم. فذلك الجميع مائتا ألف ألف و أربعة و تسعون ألف ألف درهم.

و كان المعتصم و الواثق و المتوكل إذا بنى أحدهم بناء من قصر أو غيره، أمر الشعراء أن يعملوا فيه [شعرا] [٣٧٦]. فمن ذلك قول على بن الجهم في الجعفرى الذى بناه المتوكل

و ما زلت أسمع أن الملوك تبنى على قدر أقدارها

و أعلم أن عقول الرجال يقضى عليها بآثارها

فلما رأينا الإمام رأينا الخلافة في دارها

بدائع لم ترها فارس و لا الروم في طول أعمارها

و للروم ما شيد الأولون و للفرس آثار أحرارها

و كنا نحس لها نخوة فطامت نخوة جبارها

و أنشأت تحتج للمسلمين على ملحدتها و كفارها

صحون تسافر فيها العيون إذا ما تجلت لأبصارها

و قبة ملك كأن النجوم تفضى إليها بأسرارها

تخر الوفود لها سجدا سجد النصارى لكبارها

لها شرفات كأن الربيع كساها الرياض بأنوارها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٤٩

نظم النسانس نظم الحلى أمون النساء و أبكارها

فهن كمصطحبات برزن لفصح النصارى و أقطارها

فمن بين عاقصة شعرها و مرسله عقد زنارها

و أروقة شطرها للرخام و للتبر أكرم أشطارها

إذا رمقت تستبين العيومنها منابت أشفارها

[٧٣ ب]

و سطح على شاهق مشرف عليه النخيل بأثمارها

إذا الريح هبت لها أسمعتك عزيق القيان بأوتارها

أطاعتك دجلة فاستنجدت عليك بأغزر أنهارها

و فوارة ثارها في السماء فليس تقصّر عن ثارها

تردّ على المزن ما أنزلت إلى الأرض من صوب مدارها

لو أنّ سليمان أدّت له شياطينه بعض أخبارها

لأيقن أنّ بني هاشم يقدمها فضل أخطارها

فلا زالت الأرض معمورة بعمرك تأخير أعمارها

قال: و حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البيهقي [٣٧٧]، قال: أنشدني حماد بن إسحاق الموصلي [٣٧٨] لأبيه في الواثق و يصف سمرى و صيده بها و يذكر النجف و يزعم أنه كتبها عنه كل ذي نعمه و أدب ببغداد. أولهم ابن أبي داود. و فيها عدة ألحان صاغها المغنون:

يا راكب العيس لا تعجل بنا و قف نحى دارا لسعدى ثم تنصرف

و ابك المعاهد من سعدى و جارتها ففى البكاء شفاء الهائم الكلف

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧٠

لا تمنع العين من دمع تجود به فى دار سعدى و لكن خلّها تكف

أشكوا إلى الله يا سعدى جوى كبدحزى عليك متى ما تذكرى تجف

أهيم وجدا بسعدى و هى تصرمنى هذا لعمر ك شكل غير مؤتلف

أما أنالك أن تنهاك تجرّب عنها و ما كان من وعد و من خلف

دع عنك سعدى فسعدى عنك نازح و اكفف هواك و عدّ القول فى لطف

ما ان أرى الناس فى سهل و لا جبل أصفى هوا و لا أغدى من النجف

كأنّ تربته مسك يفوح به أو عنبر دافه العطار فى الصدف

حفت ببرّ و بحر من جوانبها فالبرّ فى طرف و البحر فى طرف

و بين ذاك بساتين يسيح بهانهر يجيش بجارى سيله القصف

و ما يزال نسيم من أيامنه يأتىك منه برّيا روضة أنف

تلقاك منه قبيل الصبح رائحة تشفى السقيم إذا أشفى على التلف

لو حلّه مدنف يرجو الشفاء به إذا شفاه من الأسقام و الدنف

[٧٤ أ]

يؤتى الخليفة منه كلّما طلعت شمس النهار بأنواع من التحف

الصيد منه قريب إن هممت به يأتىك مؤتلفا فى زى مختلف

من كلّ أقرن ممشوق قوائمه و كلّ مخرجه (؟) مشقوقة الظلف

و طير ماء و درّاج يساوره بأن يغلقه في جوّ مختطف (؟)
 فيا له منزلا طابت مساكنه بخير من حاز بيت العز و الشرف
 خليفه و اتق بالله همته تقوى الإله بحقّ الله معترف
 ساس البرية فانقادت لطاعته طوعا بلا خرق منه و لا عنف
 أقام فيهم قناه العدل فانصببت و سار فيهم بلا ميل و لا جنف
 و قال الحسين بن الضحاك في سرمرى من شعر طويل:
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧١

رحلنا غرايب زيافة بدجلة في موجه الملتطم
 سوانح أيقن أن لا قرار دون مباركة المعتصم
 فلما دفعن لقاطولها و دهم قراقيرها تصطدم
 سكنّ إلى خير مسكونة تقسمها راغب من أمم
 مباركة شاد بنيناها بخير المواطن خير الأمم
 كأنّ بها نشر كافوره لبرد تراها و طيب النسم
 كظهر الأديم إذا ما السحاب صاب متنها و انسجم
 مبرأه من و حول الشتاء إذا بجره و انتظم (؟)
 فما ان يزلّ بها راجل بغيث سماء و لا يرتطم
 يمرّ على رسله آمنانقي الشراك نقيّ القدم
 بجرعاء لا صيفها ساطع بنقع و لا آخذ بالكظم
 تخزّق في بزها بحرها فأجدف جوادنها بالسلم
 فللضبّ و النون في بطنها جوار و مرتب للنعم
 إذا ما الربيع بأنوائه كساها زخارف ممّا نجم
 و عمم أعلامها زهره و جلل قيعانها و الأكم
 غدوت على الوحش منظومة رواتع في نورها المنتظم
 و رحت عليها و أسرابها شوارع في غدرها تزدحم
 كأنّ شوادن غزلانها نجوم بأكنافها تبتسم
 فلا أين عن وطن خصّه عقيد السماح و أسّ الكرم
 و قال فيها أيضا [٧٤ ب]:

كلّ البلاد لسرّمرى شاهد أنّ المصيف بها كفصل سواها
 فيحاء طاب مقيلها و ميبتها و غدوّها و رواحها و ضحاها
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧٢

و إذا الرياح تنفست برباعها و جرت بطيب نسيمها و نشاها

فكأنما سبقت إليك بنفحة من جنة حباؤها و تراها

و قال أيضا:

على سمرى و المصيف تحية مجللة من مغرم بهواهما
ألا هل لمشتاق ببغداد رجعة تقرب من ظليهما و ذراهما
محلان لقي الله خير عباده عزيمة رشد فيهما فاصطفاهما
و قولاً لبغداد إذا ما تسنمت على أهل بغداد جعلت فداهما
أفى بعض يوم شف عيني بالقذى حرورك حتى رابنى ناظراهما
و قال أيضا:

أحد بما تسمعه يا حادى و قل بترتيلك فى الإنشاد
جادك يا بغداد من بلاد إلى تمارى من قرى السواد
فقبه السيب فبطن الوادى فالعرصة الطيبة المراد
حبيب كل رائح و غاديا ليت شعرى و الحنين زادى
هل لى إلى ظلك من معادله ما هجت على البعاد
لقلب حزان إليك صادبدل من ريفك بالبوادى
بقفرة موحشة الأطواد مجهولة مجدبة حماد
بعيدة الورد من الورد

و قال فيها أيضا [٧٥ أ]:

سمرى أسر من بغداد فاله عن ذكر ذكرها المعتاد
حبذا مسرح لها ليس يخلو أبدا من طريده و طراد
و رياض كأنما نشر الزهر عليها محبر الأبراد
و اذكر المشرف المطل من التل على الصادرين و الورد
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧٣

و إذا روج الرعاء فلاتنس دواعى فواقد الأولاد [٣٧٩]

و قال فيها أيضا:

سقى الله ما والى المصيف و ما انطوى على سمرى مستهلا مبكرا
فلم أر أياما تسر قصارها أسر من الأيام فيها و أقصرا
بلاد خلت من كل ريب فلا ترى بلادا توازيها غداء و منظرا
أصب بمشتاها و لين مصيفها و رقة فصلها إذا الأفق أسفرا
كأن حصاها بث فى عرصاتها فرائد مرجان و درًا مسطرا
تريك إذا الوسمى جاد متونها و عاد عليهن الولى فأمطرا

رياضا تحار العين في جنباتها إذا صَفَّر الأرض الربيع و حَمَّرا
 كأنَّ بها في كلِّ فَجِّ سلكته نمارق زرياب و وشيا محبِّرا
 تراعى بها عفر الطباء سوا كئا أو امن في أكتافها أن تنفِّرا
 سكن إلى جار حماهِنَّ رَأْفَةً فمَدَّ حمى من دونهنَّ و حَيِّرا
 كفاهنَّ روعات الطراد ذمامه فما تعرف الطراد إلَّا تذكرا
 يهادين بالحيرين من كل مذهب حدائق جنَّات و ماء مفجِّرا
 كأنَّ مرايع السجال خلالها نجوم تهادى منجدات و عوِّرا
 تراهنَّ من فرط المراح شوامخامن العجب ما يمشين إلَّا تبخترا
 فلا برحت دار الإمام بغبطة و لا زال شانيتها بأصلد أو عرا
 تخيِّرها دون البقاع موقِّق أصاب طريق الرشد فيما تخيِّرا
 [٧٥ب] و كان المتوكل قد انتقل من سرمرى إلى الجعفرى و انتقل معه عامه أهل سرمرى حتى كادت أن تخلو. فقال في ذلك أبو
 على البصير:

إِنَّ الحَقِيقَةَ غير ما توهم فاختر لنفسك أى أمر تعزم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧٤

أ تكون فى القوم الذين تأخروا عن حظهم أم فى الذين تقدّموا
 لا تقعدنّ تلوم نفسك حين لا يجدى عليك تأسف و تندم
 أضحت قفارا سرمرى ما بها إلَّا لمنقطع به متلوم
 تبكى بظاهر وحشة و كأنها إن لم تكن تبكى بعين تسجم
 كانت تظلم كل أرض مره عنها، فصارت بعد و هى تظلم
 رحل الإمام فأصبحت و كأنها عرصات مكة حين يمضى الموسم
 و كأنما تلك الشوارع بعض ما أخلت إباد من البلاد و جرهم
 كانت مرادا للعيون فأصبحت عظة و معتبرا لمن يتوسم
 و كأنَّ مسجدها المشيد بناؤه ربيع أحال و منزل متوهم
 و إذا مررت بسوقها لم تنء عن سنن الطريق و لم تجد من يزحم
 و ترى الذرارى و النساء كأنهم خلف أقام و غاب عنه القيم
 فارحل إلى الأرض التى يحتلها خير البرية أن ذلك أحزم
 و انزل مجاورة بأكرم منزل و تيمم الجهة التى يتيمم
 أرض تسالم صيفها و شتاؤها فالجسم بينهما يصحّ و يسلم
 و صفت مشاربها ورق أوارها و التّدُّ برد نسيمها المتنسّم
 سهلية جبلية لا تجتوى حرا و لا قرا و لا تستوخم
 [٧٦أ] و يقال إن المعتصم ملك ثمانى سنين و ثمانية أشهر و ثمانية أيام.

و كان ملكه فى سنة ثمان عشرة و مائتين. و كان له من الفتوح ثمانية. و بنى ثمانية قصور. و ولد له ثمانية ذكور و ثمانى إناث و خلف

فى بيت المال ثمانمائة ألف دينار و ثمانية ألف ألف درهم.

فمن القصور، الجوسق و القيد المملى و قصر الجص و قصر القصور و عمورية و قصر المطامير و القصر السمانى و القصر الخاقانى.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧٥

و الفتوح: الزط و المحمرة و بابك و عمورية و المازيار و جعفر الكردى و الحسن بن خيلويه و الحوف بمصر.

و كتب عبد الله بن المعتز إلى بعض إخوانه يذكر سرمرى بعد خرابها و يذم بغداد و أهلها: كتبت إليك من بلدة قد أنهض الدهر سكانها، و أقعد جدرانها.

فشاهد اليأس فيها ينطق، و جبل الرجاء فيها يقصر. فكأن عمرانها يطوى، و كأن خرابها ينشر. قد و كلت إلى الهجر نواحيها و حث باقيها إلى فانيها. و تمزقت بأهلها الديار، فما يجب فيها حق جوار. فالظاعن عنها ممحو الأثر، و المقيم بها على طرف سفر. نهاره إرجاف، و سروره أحلام. ليس له زاد فيرحل، و لا مرعى فيربع.

فحالها تصف للعيون الشكوى، و تسير إلى ذم الدنيا. بعد ما كانت بالمرأى جنه الأرض و قرار الملك، تفيض بالجنود أقطارها، عليهم أريه السيوف و غلائل الحديد. كأن رماحهم قرون الوعول، و دروعهم زبد السيول. على خيل تأكل الأرض بحوافرها، و تمد بالتقع ستائرنا. قد نشرت فى وجوها غرر كأنها صحائف البرق، و أمسكها تحجيل كأسورة اللجين. و قرطت عذرا كالشنوف. فى جيش تتلقف الأعداء أوائله و لم تنهض أواخره. قد صب عليه دمار الصبر، و هبت له ريح النصر. يصرفه ملك يملأ العين جمالا و القلوب جلالا- لا- تختلف مخيلته و لا تنقض [٧٦ ب] مريته. و لا- يخطئ بسهم الرأى غرض الصواب، و لا يقطع بمطايا اللهو سفر الشباب. قابضا بيد السياسة على أقطار ملك لا ينتشر حبله، و لا تتشظى عصاه، و لا تطفى جمرته فى سن شباب لم يجن مأثما، و شيب لم يراهق هرما. قد فرش مهاد عدله، و خفض جناح رحمته. راجما بالعواقب [الظنون] [٣٨٠].

لا- يطيش عن قلب فاضل الحزم بعد العزم. ساعيا على الحق يعمل به. عارفا بالله يقصد إليه. مقرًا للحلم و يبذله. قادرا على العقاب و يعدل فيه. إذ الناس فى دهر غافل قد اطمأنت بهم سيرة لينه الحواشى خشنة المرام، تطير بها أجنحة السرور، و يهب فيها نسيم الحبور، فالأطراق على مسرة و النظر إلى مبرة. قبل أن تحب مطايا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧٦

الغير، و تسفر وجوه الحذر. و ما زال الدهر مليئا بالنوائب، طارقا بالعجائب، يؤمن يومه و يغدر غده.

على أنها و إن جفيت، معشوقه السكنى، رحيه المثوى. كوكبها يقظان، و جوها عريان. و حصاها جوهر و نسيمها معطر. [و ترابها مسك أذفر، و يومها غداة و ليلها سحر] [٣٨١] و طعامها هنىء، و شرابها مرىء، و تاجرها مالك، و فقيرها فاتك، لا كبغداد كم الوسخة السماء، الومدة الهواء. جوها نار، و أرضها خبار. و ماؤها حميم و ترابها سرجين. و حيطانها نروز، و تشرينها تموز. فكم فى شمسها من محترق، و فى ظلها من عرق. ضيقه الديار، قاسية الجوار. ساطعة الدخان، قليلة الضيفان. أهلها ذئاب، و كلامهم سباب. و سائلهم محروم، و مالهم مكتوم. لا يجوز إنفاقه، و لا يحل خناقه. و حشوشهم مسائل، و طرقهم مزابل. و حيطانهم اخصاص، و بيوتهم أفاص. و لكل مكروه أجل، و للبقاع دول. و الدهر يسير بالمقيم، و يخرج البؤس بالنعيم. و بعد اللجاجة انتهاء و الهم إلى فرجة. و لكل سائلة قرار. و بالله أستعين و هو محمود على كل حال.

و فى خراب سرمرى يقول ابن المعتز:

غدت سرمرى فى العفاء كأنها قفا نيك من ذكرى حبيب و منزل

و أصبح أهلها شبيها بحالها لما نسجتهم من جنوب و شمال

إذا ما امرؤ منهم شكا سوء حاله يقولون لا تهلك أسى و تجمل

[٧٧ أ].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧٧

القول في السواد و صفته و أعلام حدوده و كوره و طساسبجه و سبب مساحة الأرض و تقدير خواجه و طوله و عرضه

إشارة

قال المدائني: السواد عشر كور، و هو من لدن القادسية إلى أول حدّ الجبل دون حلوان. و السواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل مادّا مع الماء إلى ساحل البحر إلى بلاد عبادان من شرقي دجلة. هذا طولها. فأما عرضه: فحد منقطع الجبل من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بأرض العذيب. فهذه حدود السواد و عليها وضع الخراج.

و قال الأصمعي: السواد سوادان. فسواد البصرة، الأهواز و دستميسان و فارس. و سواد الكوفة، كسكر إلى الزاب و حلوان إلى القادسية. و قال أبو معشر: إن الكلدانيين هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمان الأول.

و يقال: إن أول من سكنها و عمرها، نوح عليه السلام. و ذلك أنه نزلها بعقب الطوفان. فصار هو و من خرج معه من السفينة إليها لطلب الرفاء. فأقاموا بها و تناسلوا فيها و كثروا من بعد نوح و ملكوا عليهم ملوكا و ابتنوا بها المدائن و اتصلت مساكنهم بدجلة و الفرات إلى أن بلغوا من دجلة إلى أسفل كسكر، و من الفرات إلى ما وراء الكوفة. و موضعهم هو الذي يقال له السواد. و كانت ملوكهم تنزل بابل.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧٨

و كان الكلدانيون جنودهم. فلم تزل مملكتهم قائمة إلى أن قتل دار آخر ملوكهم.

ثم قتل منهم خلقا فذلوها و انقطع ملكهم.

و ذكر ابن الكلبي: ان مدينة بابل كانت اثني عشر فرسخا في مثل ذلك. و كان بابها مما يلي الكوفة. و كان الفرات يجري ببابل حتى صرفه بخت نصر إلى موضعه الآن مخافة أن يهدم عليه سور المدينة لأنه كان يجري معه.

قال: و مدينة بابل بناها بيوراسب و اشتق اسمها من اسم المشتري. لأن بابل باللسان البابلي الأول اسم للمشتري. و لما بناها جمع فيها كل من قدر عليه من العلماء و بنى لهم اثني عشر قصرا على عدد [٧٧ب] البروج و سماها بأسمائهم.

فلم تزل عامرة حتى خرج الإسكندر فأخربها.

و قال الله عزّ و جلّ و ما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت. فروى عن الأعمش قال: كان مجاهد لا يسمع بشيء من الأعاجيب إلّا مضى حتى ينظر إليه. و انه صار إلى حضرموت حتى نظر إلى بئر برهوت، و أتى بابل فلقيه رجل من رؤساء أهلها كان عارفا به.

فلما لقيه أكبره و قال له: أبا الحجاج ما تصنع هاهنا؟

قال حاجه لي إلى رأس الجالوت، أحب أن تدخلني إليه و تعرّفه من أنا. فأدخله إليه و عرفه محلّه و موضعه و قال: له حاجه إليك. قال و ما حاجتك؟ قال: تأمر بعض اليهود أن يريني هاروت و ماروت. فامتنع عليه طويلا ثم قال له: أخشى أن لا تتماسك. قال: أرجو أن

لا يكون إلّا ما تحب. فأرسل إلى رجل من اليهود فقال: اذهب بهذا فأدخله إلى هاروت و ماروت. فقال له اليهودي: كيف تجد قلبك؟ قال: ما شئت. فانطلق به إلى مكان غامض في الصحراء، و إذا صخرة عظيمة. فتكلم عليها كلاما ذكر أنه من التوراة، فأقبلت تهتز. ثم

رفعها و أزالها عن مكانها. و كانت لا يقلها مائة رجل. و إذا تحتها شبيه بالسرب. فقال له اليهودي:

تعلق بي و انظر أن لا- تذكر الله. فنزل معه مجاهد، فلم يزل يهوى به حتى صارا إلى فضاء عظيم. و إذا هما مثل الجبلين العظيمين، منكوسان على رؤوسهما و عليهما الحديد من أعناقهما إلى أقدامهما مصفدين. فلما رآهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر الله عزّ و

جلّ. فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا أن يقطعا ما عليهما من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٧٩

الحديد، و خر اليهودى و مجاهد على وجوههما وقتا طويلا ثم أفاقا. فقال اليهودى لمجاهد: أ لم أتقدم إليك أن لا تذكر الله؟ كدنا و الله أن نهلك و لا نقدر على الخروج. فتعلق به مجاهد، فلم يزل يصعد به حتى خرجا إلى الأرض.

و يقال إن عمر بن الخطاب سأل دهقان الفلوجة عن عجائب بلادهم فقال:

كان بها [عجائب] [٣٨٢] بجميع مدنها فى كل مدينة أعجوبة ليست فى [٧٨ أ] الأخرى. فكان فى المدينة التى ينزلها الملك بيت فيه صورة الأرض كلها برساتيقها و قراها و أنهارها. فمتى التوى بحمل الخراج أو غيره أهل بلد من جميع البلدان، خرق أنهارهم فغرقتهم و أتلفت زروعهم و جميع ما فى بلادهم حتى يرجعوا عمّا همّوا به. ثم يسدّ بإصبعه تلك الأنهار فتسد فى بلادهم.

و فى المدينة الثانية حوض عظيم. فإذا جمعهم الملك لحضور مائتته، حمل كل رجل ممن يحضر من منزله شرابا يختاره ثم صبه فى ذلك الحوض. فإذا جلسوا على الشرب شرب كل واحد شرابه الذى حمله من منزله.

و فى المدينة الثالثة طبل معلق على بابها فإذا غاب من أهلها إنسان و خفى أمره على أهله، و أحبوا أن يعلموا أ حى أم ميت، ضربوا ذلك الطبل. فإن سمعوا له صوتا، فإن الرجل حى. و إن لم يسمعوا صوتا فإن الرجل قد مات.

و فى المدينة الرابعة مرآة من حديد، فإذا غاب الرجل عن أهله فأحبوا أن يعرفوا خبره على صحته، أتوا تلك المرآة فنظروا فيها فيرونه على الحال التى هو فيها.

و فى المدينة الخامسة أوزة من نحاس على عمود من نحاس منصوب على باب المدينة فإذا دخلها جاسوس صوتت الأوزة بصوت يسمعه سائر أهل المدينة فيعلمون أن قد دخلها جاسوس.

و فى المدينة السادسة قاضيان جالسان على الماء. فإذا تقدم إليهما الخصمان و جلسا بين أيديهما غاص المبطل منهما فى الماء و ثبت المحق.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨٠

و فى المدينة السابعة شجرة من نحاس ضخمة كثيرة الغصون لا تظل ساقها.

فإذا جلس تحتها واحد أظلمت إلى ألف نفس، فإنها تظلمهم كلهم. فإذا زادوا على ألف صاروا كلهم فى الشمس.

و قال يزيد بن عمر الفارسي: كانت ملوك الفرس تعد السواد اثنى عشر استانا و تحسبه ستين طسوجا و تفسير الاستان إجارة و ترجمه الطسوج: ناحية. و كان الملك من ملوكهم إذا عنى بحيز من الأرض عبره و سماه باسمه.

و كانوا ينزلون [٧٨ ب] السواد لما جمع الله فى أرضه من مرافق الخيرات و ما يوجد فيها من غضارة العيش و خصب المحل و طيب المستقر، و لما ينصب إليها من مواد الأطراف و منافعها و سعة ميرها من أطعمتها و أدواتها و أمتعته و عطرها و لطيف صناعاتها. و كانوا يشبهون السواد بالقلب و سائر الدنيا بالبدن، و لذلك سموه: دل إيران شهر، أى قلب إيران شهر. و إيران شهر: الإقليم المتوسط لجميع الأقاليم. و إنما سموه بذلك لأن الآراء تتشعب عن أهله بصحة الفكر و الروية كما تتشعب من القلب بدقائق العلوم و لطائف الآداب الأحكام الكتابية.

فأما ما حولها من البلاد فأهلها يستعملون أطرافهم بالمباشرة و العلاج. و خصب بلاد إيران شهر بسهولة. لا عوائق فيها و لا شواهد تشينها و لا مفاوز موحشة و لا برارى منقطعة عن تواصل العمارة و الأنهار المطردة فى رساتيقها و بين قراها. مع قلة جبالها و آكامها و تكاثف عمارتها و كثرة أصناف غلاتها و ثمارها. و التفاف أشجارها و عذوبة مائها و صفو هوائها و طيب تربتها مع اعتدال طينتها و توسط مزاجها و كثرة أجناس الصيد فى ظلال شجرها و بين عشبها، و خلال زهرتها. من طائر [بجناح] و ماش على ظلف و سابح فى البحر. امنه مما ينال البلدان من غارات الأعداء و بوائق المخالفين. مع ما خصت به من الرافدين دجلة و الفرات. إذ هما مادان لا ينقطعان شتاء

و لا صيفا على بعد منابعهما و نزوح مبتدأهما. [فإنه] [٣٨٣] لا- ينتفع منهما بكثير عماره حتى يدخلاها فيسيح ماؤهما في جنباتها و ينبطح بين

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨١

رسايقها، فتأخذ صفوه و عدوبته و ترسل كدره و أجنه [إلى البحر] [٣٨٤]. هذا قليل من كثير وصفها و يسير من نعت جليلها. قالوا: و أول طول السواد على ما حدته ملوك فارس من قرية تعرف بالعلث على حدّ طسوج بزرجسابور من شرقي دجلة. و قرية في غربي دجلة مقابلتها تجرى على حد طسوج مسكن. بينهما عرض دجلة إلى آخر الكورة المعروفة [٧٩ أ] بيهمن أردشير. و هي فرات البصرة إلى جزيرة منها متصله بالبحر تعرف بميان رودان. و هو مائة فرسخ و خمسة و عشرون فرسخا، و عرضه من عقبه حلوان إلى أن ينتهي إلى العذيب. و ذلك ثمانون فرسخا يكون جملة ذلك مكسرا عشرة ألف فرسخ. و الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسله. يكون بالذراع الهاشمية تسعة آلاف ذراع و هو مائة و خمسون أشلا. يكون ذلك في مثله اثنين و عشرين ألفا و خمسمائة جريب. هذا لكل فرسخ. فإذا ضربت في عشرة آلاف، بلغت مائتي ألف ألف و عشرين ألف جريب. يسقط منها بالتخمين، آكامها و آجامها و سباخها و مجارى أنهارها و مواضع مدنها و قراها و مدى ما بين طرفها الثلاث. فيبقى مائة ألف ألف و خمسون ألف ألف جريب. يراح منها النصف و يعمر النصف على ما فيها من الكرم و النخل و الشجر و العمارة الدائمة المتصلة، فيقع التخمين بالتقريب على كل جريب، قيمة ما يلزمه للخراج درهمان و ذلك أقل من العشر على أن يضرب بعض ما يوجد فيها من أصناف الغلات ببعض سوى خراج أهل الذمة و سوى الصدقة. فإن ذلك لا يدخل في الخراج. فيبلغ ذلك مائة ألف ألف و خمسين ألف ألف درهم مثاقيل. و كانت غلات السواد تجرى على المقاسمة في أيام ملوك فارس إلى أن ملك قباد بن فيروز فإنه مسح و جعل على أهله الخراج. و كان السبب في ذلك أنه خرج ذات يوم متصيذا فانفرد من أصحابه في اتباع صيد طرده حتى و غل في شجر ملتف و غاب الصيد الذي تبعه عن بصره. فقصد إلى رابية يتشرف عليها، فإذا تحت الرابية قرية كبيرة. و نظر إلى بستان قريب منه فيه نخل و رمان و غير ذلك من أصناف

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨٢

الشجر، و إذا امرأة واقفة على تنور تخبز و معها صبي لها كلما غفلت عنه مضى إلى شجرة رمان مثمر ليتناول من رمانها و هي تمنعه من [٧٩ ب] ذلك و لا تتركه يأخذ شيئا منه. فلم تزل كذلك حتى فرغت من خبزها و جميع ما هي و الصبي فيه بمشهد من الملك. فلما لحقه أصحابه و وزراؤه قص [٣٨٥] عليهم ما رأى من المرأة و الصبي و وجه إليها من سألها عن السبب الذي لأجله منعت ولدها أن يتناول شيئا من الرمان. فقالت: إن للملك فيه حصه و لم يأتنا المستأدون [٣٨٦] بعد لقبضها و هي أمانة في أعناقنا لا يجوز أن نخونها و لا نتناول من جميع ما تحت أيدينا شيئا حتى يأخذ الملك حقه. فلما سمع قباد قولها أدركته الرقة عليها و على الرعية و قال لوزرائه:

إن الرعية في شدة شديده و سوء حال بما في أيديهم من غلاتهم لأنهم ممنوعون من الانتفاع بشيء من ذلك حتى يرد عليهم من يأخذ حقنا منهم. فهل عندكم حيلة نفرج بها عنهم ما هم فيه؟ فقال بعض وزرائه: نعم. يأمر الملك بالمساحة عليهم و يلزم كل جريب من كل صنف بقدر ما يخص الملك من الغلة ليؤدوا ذلك إليه، و يطلق أيديهم في غلاتهم. و يكون ذلك على قرب مخارج المير و بعدها من الممتارين. فأمر قباد بمساحة السواد و الزم الرعية الخراج بعد حطيطة النفقة و المؤونة على العمارة و النفقة على كرى الأنهار و سقاية الماء و إصلاح البريدات و ان جميع ذلك على بيت المال. فبلغ خراج السواد في تلك السنة مائة ألف ألف و خمسين ألف ألف درهم مثاقيل. فحسنت أحوال الناس و دعوا للملك بطول البقاء لما نالهم من العدل و الرفاهية.

و كان [٣٨٧] أول ما يعدد من السواد، كورة استان خسروشاد فيروز، و هي كورة حلوان، خمسة طساسيج، طسوج فيروز قباد. طسوج الجبل. طسوج تامرا.

طسوج أربل. طسوج خانقين الشرقي.

سقى دجلة و تامرا:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨٣

كوره استان شادهرمز، سبعة طساسيج: طسوج بزرجسابور. طسوج نهر بوق. طسوج [٨٠ أ] كلواذى و نهر بين. طسوج جازر. طسوج المدينة العتيقة.

طسوج راذان الأعلى و الأسفل.

كوره استان قباذ: ثمانية طساسيج: طسوج روستقباد. طسوج مهرود.

طسوج سلسل. طسوج جلولاى و جلتا [٣٨٨]. طسوج الذنين. طسوج البندنيجين.

طسوج براز الروز. طسوج الدسكرة و الرساتيق [٣٨٩].

كوره استان بازيجان [٣٩٠]: خمسة طساسيج: طسوج النهروان الأعلى. طسوج النهروان الأوسط. طسوج بادريا. طسوج باكسايا [٣٩١]. سقى دجلة و الفرات:

كوره استان شاذ شابور- و هى كسكر- أربعة طساسيج: طسوج الزندرد.

طسوج البريون [٣٩٢]. طسوج الاستان. طسوج الجواذر.

كوره استان شاذ بهمن- و هى كوره دجلة- أربعة طساسيج: طسوج بهمن أردشير. طسوج ميسان. طسوج دستميسان و هو الأبله. قال غيلان بن سلمة الثقفى:

ظلت تحيد من الدجاج و صوته و صريف باب بالأبله مغلق

و طسوج ابرقباد.

و خراج كور دجلة ثمانية ألف درهم و خمسمائة ألف درهم.

سقى الفرات و دجيل:

كوره استان الكاليا، أربعة طساسيج: طسوج فيروز شابور و هو الأنبار.

و طسوج مسكن. قال ابن قيس الرقيات:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨٤

إن الرزية يوم مسكن و المصيبة و الفجيعة.

و طسوج قطربل. و طسوج بادوريا.

كوره استان أردشير بابكان، خمسة طساسيج: طسوج بهر سير. طسوج الرومقان. طسوج كوثر [٣٩٣]. طسوج نهر درقيط. طسوج نهر جوبر.

كور استان رونق ماسيان [٣٩٤]- و هى الزواى- ثلاثة طساسيج: طسوج الزاب الأعلى. طسوج الزاب الأوسط. طسوج الزاب الأسفل [٣٩٥].

كوره بهقباد الأوسط، أربعة طساسيج: طسوج الحبة [٨٠ ب] و البداة.

طسوج سوراى و برسما. طسوج باروسما. طسوج الملك.

كوره استان بهقباد الأسفل، خمسة طساسيج: طسوج تستر. طسوج فرات بادقلى. طسوج السيلحين. طسوج رودستان. طسوج هرmez

جرد [٣٩٦].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨٥

تقدير السواد [٣٩٧]

الجانب الغربي، سقى دجلة و الفرات:

اسم الطسوج / عدد الرساتيق / عدد البيادر / كمية الحنطة / كمية الشعير / الورق الأنبار / ٥ / ٢٥٠ / ٢٣٠٠ / ١٤٠٠ / ٣٥٠٠٠٠ / قطر بل / ١٠ / ٢٢٠ / ٢٠٠٠ / ١٠٠٠ / ٣٠٠٠٠٠ / درهم مسكن / ٦ / ١٥٠ / ٣٠٠٠ / ١٠٠٠ / ١٥٠٠٠٠ / درهم بادوريا / ١٠ / ٤٢٠ / ٣٥٠٠ / ٢٠٠٠ / ١٠٠٠٠٠٠ / درهم بهر سير / ١٠ / ١٤٠ / ١٧٠٠ / ١٧٠٠ / ١٥٠٠٠٠٠ / درهم الرومقان / ١٠ / ٢٤٠ / ١٣٠٠ / ٣٠٥٠ / ٢٠٠٠ / درهم كوئي / ٩ / ٢١٠ / ٣٠٠٠ / ٢٠٠٠ / ١٥٠٠٠٠٠ / درهم نهر درقيط / ٨ / ١٢٥ / ٢٠٠٠ / ١٠٠٠ / ٢٠٠٠٠٠٠ / درهم نهر جوهر / ١٠ / ٢٢٦ / ٢٧٠٠ / ١٠٠٠٠٠ / ١٥٠٠٠٠٠ / درهم كورة الزوابي ٣ طساسيج / ١٢ / ٢٤٤ / ١٤٠٠ / ٧٢٠٠ / ١٠٠٠٠٠٠٠ / درهم بابل و خطرنية / ١٢ / ٣٧٠٠ / ٣٠٠٠ / ٥٠٠٠ / ٣٥٠٠٠٠٠ / درهم الفلوجة العليا / ١٥ / ٢٤٠ / ٥٠٠ / ٥٠٠ / ٧٠٠٠٠٠ / درهم الفلوجة السفلى / ٦ / ٩٢ / ٢٠٠٠ / ٣٠٠٠ / ١٨٠٠٠٠٠ / درهم طسوج النهرين / ٣ / ١٨١ / ٣٠٠ / ٤٠٠ / ٤٥٠٠٠٠ / درهم عين التمر / ٣ / ١٤ / ٣٠٠ / ٤٠٠ / ٤٥٠٠٠٠٠ / درهم الجبة و البداة / ٨ / ٧١ / ١٢٠٠ / ١٦٠٠ / ١٥٠٠٠٠٠ / درهم سورا و برسما / ١٠ / ٢٥٠ / ٧٠٠ / ١٤٠٠ / ١٠٠٠٠٠٠ / درهم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨٦

اسم الطسوج / عدد الرساتيق / عدد البيادر / كمية الحنطة / كمية الشعير / الورق باروسما و نهر الملك / ١٠ / ٦٦٤ / ١٥٠٠ / ٤٥٠٠ / ٢٥٠٠٠٠٠ / درهم السيبان و الموقوف:

ضياح جمعت من عدة طساسيج و صيرت ضيعة واحدة.

فهى أعظم قدرا من طسوجين و تقديرا العشرة منها. / ٥٠٠ / ٥٥٠٠ / ١٥٠٠٠٠٠ / درهم [٨١ ب] فرات بادقلى / ١٠ / ٢٧١ / ٢٠٠٠ / ١٥٠٠ / ٩٠٠٠٠٠٠ / درهم السيلحين و فيه الخورنق و طيزنا باذ / ٣٤ / ١٠٠٠ / ١٥٠٠ / ١٤٠٠٠٠٠ / درهم روزمستان و هرمز جرد / ٥٠٠ / ١٠٠٠٠٠٠ / درهم تستر / ٧ / ١٦٣ / ١٢٥٠ / ١٠٠٠ / ٣٠٠٠٠٠٠٠ / درهم ايغار يقطين من عدة طساسيج / ٢٠٤٨٤٠ / درهم سقى دجلة و الفرات:

كور كسكر و منها:

نهر الصلة و برقة و الريان و كان يرتفع من خراجها و سائر أبواب مالها سبعون ألف درهم / ٣٠٠٠ / ٣٠٠٠ / ٢٠٠٠٠٠٠ / درهم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨٧

الجانب الشرقى:

اسم الطسوج / عدد الرساتيق / عدد البيادر / كمية الحنطة / كمية الشعير / الورق بزرجسابور / ٩ / ٢٦٠ / ٢٥٠٠ / ٢٠٠٠ / ٣٠٠٠٠٠٠ / درهم الراذانيين / ١٦ / ٣٦٢ / ٤٨٠٠ / ١٠٠٠ / ١٠٠٠٠٠٠ / درهم طسوجا كلواذى و نهريين / ٣ / ٣٤ / ١٦٠٠ / ١٥٠٠ / ١٠٣٠ / درهم [٨٢ أ] طسوجا جازر و المدينة العتيقة / ٧ / ١١٨ / ١٠٠٠ / ١٥٠٠ / ١٧٠٠٠٠٠ / درهم طسوجا مهروود و سلسل / ٢٠٠٠ / ٢٥٠٠ / ٢٥٠٠٠٠٠ / درهم جلولاى و جلولاى / ٥ / ٦٦ / ١٠٠٠ / ١٠٠٠ / ١٠٠٠٠٠٠ / درهم الذنبيين / ٤ / ٢٣٠ / ٧٠٠ / ١٣٠٠ / ٤٠٠٠٠٠ / درهم الدسكرة و الرساتيق / ٧ / ٤٤ / ٢٠٠٠ / ٢٠٠٠ / ٧٠٠٠٠٠٠ / درهم براز الروز / ٧ / ٨٦ / ٣٠٠٠ / ٥٠٠٠ / ١٢٠٠٠٠٠ / درهم البنديجين

٥/٥٤/٦٠٠ كر / ٥٠٠ كر / ١٠٠٠٠٠٠ درهم النهروانات ٢١ / ٣٨٠ أ- النهروان الأعلى / ٢٧٠٠ كر / ١٨٠٠ كر / ٣٥٠٠٠٠٠ درهم ب- النهروان الأوسط / ١٠٠٠ كر / ٥٠٠ كر / ١٠٠٠٠٠٠ درهم ج- النهروان الأسفل ١٠٠٠ كر / ١١٠٠ كر / ١٥٠٠٠٠٠ درهم بادرايا و باكسايا / ٤٧٠٠ كر / ٥٠٠٠ كر / ٣٣٠٠٠٠٠ درهم

[٨٢ب] كور استان شاد فيروز. و هي حلوان و وظيفتها مع الجابارقة و غيرهم من الأكراد [من الورق] ألف ألف و ثمانمائة ألف

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨٨

درهم [٣٩٨].

و كانت هيت و عانات مضافة إلى طسوج الأنبار. فلما ملك أنوشروان بلغه أن طوائف من الأعراب يعبرون على ما قرب من السواد إلى البادية. فأمر بتجديد سور مدينته تعرف بالليس [٣٩٩] كان شابور ذو الأكتاف بناها و جعلها مسلحة لحفظ ما قرب من البادية. و أمر بحفر خندق من هيت يشق طف البادية إلى كاظمة مما يلي البصرة و ينفذ إلى البحر. و بنى عليه المناظر و الجواسق و نظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعا لأهل البادية عن السواد. فخرجت هيت و عانات بسبب ذلك السور عن طسوج شادفيروزان، لأن عانات كانت قري مضمومة إلى هيت.

و وجد في بعض كتب الفرس أن ملوك الأرض قسموا الأرض أربعة أجزاء فجزء منها مغارب الهند و أرض الترك إلى مشارق الروم. و جزء منها الروم و مغاربها و أرض القبط و البربر. و جزء منها أرض السودان و هو بين أرض البربر إلى الهند. و جزء منها من نهر بلخ إلى آذربيجان و ارمينية القادسية و إلى الفرات ثم برية العرب إلى عمان و إلى كرمان و أرض طبرستان و إلى كابل و طخارستان، و هي الأرض التي سميتها الفرس بلاد الخاضعين. و هذا الجزء هو صفوة الأرض و وسطها لا يلحقه عيب و لا يناله تقصير. و لذلك اعتدلت ألوان أهله و اقتدرت أجسامهم، فسلموا من شقرة الروم و الصقالبة، و سواد الحبشة و الزنج، و غلظ الترك، و دمامة الصين. و اجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار، و كل [٤٠٠] ما اعتدلوا في الحلية كذلك لطفوا في الفطنة و التمسك بمحاسن الأمور و شريف الأخلاق.

و لم تزل طساسيج [٨٣أ] السواد على العدة التي ذكرنا حتى قدم الحجاج بن يوسف واليا على العراق، و كان كاتبه القادم معه و المتولى لأمره، صالح بن عبد الرحمن. فقال له الحجاج: التمس كتابا ناصحا من الفرس عالما بكتابتهم يعمل الحساب. فوجد رجلا يقال له زاذانفروخ بن بيري فقلده أمر الديوان. فلم يكن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٨٩

صالح و أصحابه يهتدون إلى العمل. و كان زاذانفروخ و كتابه يعملون الحساب بالفارسية، فشكا صالح ذلك إلى الحجاج و عرّفه أنه في غير شيء مع زاذانفروخ.

فأمر الحجاج زاذانفروخ أن يتجشم له نقل الدواوين من اللسان الفارسي إلى اللسان العربي، ففعل ذلك و ميّز النواحي و كور الكور. فرسم طساسيج السواد. فكان ما رسم من ذلك أن جعل السواد عشر كور. كل كورة استان و طساسيجه ستون طسوجا. و قد ذكرنا ذلك في موضعه. فلما فعل هذا و نقله إلى العربية، تصرف صالح و أصحابه فيه و وقفوا عليه.

و كان بناحية كسكر مدينته عظيمة كثيرة الأهل، فخرج أهلها في الزمن الأول حذرا من الطاعون إلى بعض المواضع، فهلكوا كلهم و خربت و بقي فيها بيت أصنامهم، فبنته النصارى عمرا و سمته بنيس. و رسوم هذه المدينة و آثار سورها ثابت إلى اليوم و لم يدرس. و من ذلك خسرو شابور و ساباط بناهما شابور.

و من ذلك شهراباد و هي مدينة إبراهيم الخليل عليه السلام. و كانت مدينة عظيمة جليئة القدر راكبة البحر. فنضب البحر عنها و انحبس ماؤه، فبطلت.

و موضع مجراه و سمته معروف إلى اليوم.

قال: و كانت بالقرب منها أيضا مدينة كبيرة جليله تسمى شالها. فخربتها إباد لأنها كانت تغير عليها. و يقال إن إبادا و غيرهم من العرب غلبوا عليها و ملكوها في أيام سابور و خلعوا [٨٣ب] طاعته و نابذوه الحرب، و انتصروا بملك الروم و أطمعوه في مملكة فارس فأمدّهم بمراكب في البحر فيها مقاتله، و اتصل الخبر بسابور فرحل إليها و أقام عليها حتى فتحها فقتل فيها مائتي ألف رجل و أخرجها و جمع النساء و الذراري و المشايخ فأسكنهم مدينة بناها يقال لها الهفة و نهى الرعية عن مخالطتهم و مناكتهم. و تقدم أن لا تدخل العرب من البدو إلى الحضرم فدخل بغير جواز قتل.

قال: و كل من سخط عليه ملوك فارس نفته إلى هذه المدينة و سميتها بالنفي

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩٠

و اللعن. و سميتها النبط هفاطرنای. و آثار سورها بينه لم تدرس. و كان بقربها أيضا عدة مدن منها دورى الزندورد. و فيها الليس و منها دار سابور و الهكة و الهعة التي بناها سابور و جعلها لمن ينفي.

و يقال: إن حد كورة كسكر من الجانب الشرقى في آخر سقى النهروان إلى أن يصب في البحر. و ان المبارك و عبدسى و المذار. و تعيا و ميسان و دستميسان و آجام البريد من كسكر. و ان العرب فرقها حيث مصرت البصرة و كذلك إسكاف العليا و السفلى و نفر و سمر و بهندف و قرقوب. كل هذا منها.

و قال المدائني: أول من مسح الأرض و وضع الدواوين و حدّ حدود الخراج و الوظائف، قباد. فصير ديوان الخراج بحلوان و سماه ديوان العدل. فكان كل شيء يجبي في مملكة الفرس من السواد مائة ألف ألف درهم مثاقيل. و ذلك أن الملك كان يأخذ نصف الخراج و يترك النصف للناس فتصلح أحوالهم. إلى أن كانت أيام قباد فإنه جبي السواد مائة ألف ألف و خمسين ألف ألف مثاقيل.

و أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يمسح السواد و طوله من العلت في الجانب الشرقى و من حربى في الجانب الغربى مادا إلى عبادان [٤٠١]. و هو مائة و عشرون فرسخا، و عرضه [٨٤أ] من عقبه حلوان إلى العذيب، و هو ثمانون فرسخا. فكان ذلك بعد أن أخرج عنه الجبال و الأودية و الأنهار و مواضع المدن و القرى، ستة و ثلاثين ألف ألف جريب. فوضع على جريب الحنطة أربعة دراهم، و على جريب الشعير درهمن، و على جريب النخل ثمانية دراهم. و على جريب الكرم و الرطاب ستة دراهم. و ختم الجزية على ستمائة ألف إنسان، و جعلها طبقات: الطبقة العالية، ثمانية و أربعون درهما. و الوسطى أربعة عشرون درهما.

و السفلى اثنا عشر درهما. فجبي السواد مائة ألف ألف و ثمانية و عشرين ألف درهم.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩١

و جباه عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف و أربعة و عشرين ألف ألف درهم.

و جباه الحجاج بن يوسف على غشمه و ظلمه و عسفه و خرقة ثمانية عشر ألف ألف.

فقط: و أسلف الفلاحين للعمارة ألفى ألف. فحصل له ستة عشر ألف ألف. و منع أهل السواد لما شكوا إليه خراب بلدهم من ذبح البقر لتكثر العمارة، فقال الشاعر:

شكونا إليه خراب السواد فحرم جهلا لحوم البقر

و كان خراج العراق أيام زياد مائة ألف ألف و خمسة و عشرين ألف ألف درهم. و أيام عبيد الله بن زياد أكثر منه أيام زياد بعشرين

ألف ألف. و كان في أيام ابن هبيرة مائة ألف ألف سوى طعام الجند و أرزاق الفعلة الذين يكونون في العسكر.

و أحصى كسرى أبرويز خراج مملكته في سنة ثمانى عشرة من ملكه، أربعمائة ألف ألف و عشرون ألف ألف درهم. ثم زاد خراجه بعد ذلك.

و ذكر بعض كتاب الفرس: إن العراق كان يجبي في أيام أنوشروان [٤٠٢] ستمائة ألف ألف مثقال. و زعم أنه جبي في آخر أيام

أبرويز تسعمائة ألف ألف مثقال و ترك في أيدي الناس [٨٤ب] كلهم من جميع غلاتهم مائة ألف ألف. فهلك الناس حتى ان

الجارية النفيسة كانت تباع بدرهم.

و جبي بعض أمراء خراسان خراسان ثمانية و عشرين ألف ألف مثقال.

و جبي الجعيد بن عبد الرحمن أرض الهند خمسة و عشرين ألف ألف مثقال.

و كانت جباية البصرة خمسة و سبعين ألف ألف درهم.

و أرض الكوفة خمسة و عشرين ألف ألف درهم.

و كان يوسف بن عمر الثقفي يحمل من خراج العراق ما بين ستين ألف ألف و سبعين ألف ألف. و يحتسب بعتاء من قبله من جند

الشام بستة عشر ألف ألف

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩٢

و في نفقة البريد أربعة ألف ألف و في الطراز ألفي ألف. و في الطراز ألفي ألف.

و يبقى في بيت المال للأحداث و البواتق عشرة ألف ألف درهم.

و قال المدائني: كانت ميسان و دستميسان في ديوان حلوان من تعديل قباد تؤدي أربعة ألف ألف. و ابر قباد تسعة ألف ألف. و كان

يؤخذ من البر و الشعير و الأرز الخمس و لا يؤخذ من سائر الحبوب شيء. و كان يؤخذ من كل أربع و عشرين نخله درهم. و من كل

سبعة عشر فارسي درهم.

و قال بعض الجلساء سمعت المعتز يقول لأحمد بن إسرائيل: يا أحمد! كم خراج الروم؟ فقال: يا أمير المؤمنين! خرجنا مع جدك

المعتصم في غزاته. فلما توسطنا بلد الروم، صار إلينا بسيل الخرشني و كان على خراج الروم. فسأله محمد بن عبد الملك عن مبلغ

خراج بلدهم، فقال: خمسمائة قنطار و كذا و كذا قنطار. قال: فحسبنا ذلك، فإذا هو أقل من ثلاثة ألف ألف دينار. فقال المعتصم:

اكتب إلى ملك الروم اني سألت صاحبك عن خراج أرضك فذكر أنه كذا و كذا، و أخس ناحية في مملكتي خراجها أكثر من

خراج أرضك، فكيف تناذني و هذا ارتفاع بلدك؟ فضحك المعتز و قال: من يلومني على حب أحمد بن إسرائيل، ما سألته قط عن

شيء إلا جاءني بقصة.

و قال عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان: قال السواد ألف ألف ألف درهم [٨٥ أ] ما نقص مما في يد السلطان منه، فهو في يد الرعية. و

ما نقص من يد الرعية فهو في بيت مال السلطان.

و قال الهيثم بن عدى: لم يكن بفارس كورة أهلها أقوى من أهل كورتين:

كورة سهلية و كورة جبلية. أما السهلية فكسكر و أما الجبلية فأصبهان. و كان خراج كل واحدة منهما اثني عشر ألف ألف مثقال.

و لم يكن بالعراق كورة مثل جوخي. كان خراجها ثمانين ألف ألف درهم حتى صرفت دجلة عن جوخي فخربت و أصابهم بعد

ذلك طاعون شيرويه فأتي

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩٣

عليهم. و لم يزل السواد في ادبار منذ كان طاعون شيرويه. و لم تزل فارس في ادبار منذ كان ذلك الطاعون.

و كان المعروف بأبي الوزير الكاتب عمل تقديرا للدنيا و عرضه على يحيى بن خالد البرمكي في خلافة الهادي سنة سبعين و مائة.

قال: أثمان الغلات بالسواد ستة و ثمانين ألف ألف و سبعمائة ألف و ثمانين ألف درهم.

و من أبواب المال به أيضا أربعة ألف ألف و ثمانمائة ألف درهم و من الحلل البحرانية مائتا حلة. و من الطين الأسود الأنباري ما يفرق

في الدواوين مائتان و أربعون حملا.

كسكر، من الورق أحد عشر ألف ألف و ستمائة ألف درهم.

كور دجلة: من الورق عشرون ألف ألف و ثمانمائة ألف درهم.

حلوان أربعة ألف ألف وثمانمائة درهم.

الأهواز خمسة وعشرون ألف ألف درهم. و من صنوف السكر ثلاثمائة ألف رطل.

فارس: سبعة وعشرون ألف ألف درهم. و من ماء الورد ثلاثمائة ألف قارورة. و من ماء الزبيب و الميعة و غير ذلك من الأشربة عشرون و مائة ألف رطل.

و من السفرجل مائة ألف سفرجلة. و من الرمان مثل ذلك. و من الزبيب الفارسي بالكر الهاشمي سبعة أكرار. و من السكنجين، خمسة ألف رطل. و من الطين السيرافي خمسة ألف رطل.

كرمان: من الورق، أربعة ألف ألف و مائتا ألف درهم. و من الثياب البمية و الخيصة [٨٥ب] و تسعون ألف دينار [٤٠٣].

فلسطين: ثلاثمائة ألف و ستون ألف دينار.

و من جميع أجناد الشام: من الزيت خمسمائة ألف رطل. و من التفاح، مائتا البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩٤

ألف تفاحة. و من التين، عشرة ألف مئتا. و من الخروب، ثلاثون ألف رطل.

مصر سوى تيس و دمياط و الأشمونين فإن مال هذه الكورة مصروف إلى شري الخيل و النفقة على الطرز ثلاثة ألف ألف و تسعمائة ألف و أربعون ألف دينار.

و من أنواع الثياب الديقي و القصب و غير ذلك عشرون ألف ثوب.

الإسكندرية: ألف ألف و ثمانمائة ألف درهم.

برقة: ألف ألف درهم.

إفريقية: ثلاثة عشر ألف ألف درهم. و من البسط الكبار خمسمائة بساط و من الزيت مائة ألف مائة ألف رطل.

مكة و المدينة: ثلاثمائة ألف دينار و سبعون ألف دينار. و من التمر الصيحاني، ألف رطل. و من الصاح [٤٠٤] خمسين رطلا. السمن و العين ثمانمائة و سبعون ألف دينار. و من العنبر ثمانون رطلا. و من أصناف الحلل و غيرها من الثياب أربعة ألف ثوب. و من الورس خمسة ألف رطل. و من الزبيب خمسمائة قفيز.

اليمامة و البحرين و عمان و سيراف: من الورق ثلاثة ألف ألف درهم. و من الثياب الصحارية، خمسمائة ثوب و من التمر اليماني [٤٠٥] مائتا ألف رطل.

حوالي الكوفة و البصرة و مدينة السلام و ما بين الماصرين [٤٠٦]: من الورق، ألف ألف و ثلاثمائة ألف و سبعون ألف درهم. و لم يثبت في هذا التقدير قزوين لأنها تفرقت في الكور.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩٥

القول في الأهواز

قال المغيرة بن سليمان: أرض الأهواز نحاس تنبت الذهب، و أرض البصرة تنبت النحاس.

قال ابن المقفع: أول سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس و تستر. و لا يدري من بنى سور السوس و تستر و الأبله.

و قال ابن المنذر: السوس من بناء سام بن نوح. فأما تستر فبعض الناس [٨٦أ] يجعلها من الأهواز، و منهم من يجعلها من أرض البصرة.

و قال ابن عون مولى المسور: حضرت عمر بن الخطاب رضی الله عنه، و قد اختصم إليه أهل الكوفة و أهل البصرة في تستر [و كانوا] حضروا فتحها. فقال أهل الكوفة: من أرضنا. و قال أهل البصرة: بل من أرضنا. فجعلها عمر من أرض البصرة.

و الأهواز هي سوق الأهواز و رامهرمز و ايزج و عسكر مكرم و تستر و جنديسابور و السوس و سرق و نهر تيرى و مناذر [٤٠٧].

و خراج الأهواز ثلاثون ألف ألف درهم. و كانت الفرس تقسط على خوزستان- و هي الأهواز- خمسين ألف ألف درهم مثاقيل. و بنى سابور بالأهواز مدينتين، سمى أحدهما باسم الله تعالى، و الأخرى باسم نفسه و جمعهما باسم واحد و هي هرمزدارشير. و سمتها العرب سوق الأهواز.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩٦

و بنى جنديسابور و كانت غيضة. فمرّ بها و اكار الحرث [يحرث] أرضا بالقرب منها. فقال له سابور: إني أريد أن أبني في هذا الموضع مدينة. فقال الأكار و كان شيخا كبيرا و كان اسمه بيل يعجب من قول: إن جاء مني كاتباً جاء في هذا الموضع مدينة [٤٠٨]. فقال شابور: و الله ما يتولى بناءها و النفقة عليها غيرك. ثم أمر بحمل الشيخ، فحمل و أمر بحلق رأسه و لحيته كي لا يشتغل عن التعليم، و ضمّ إليه معلما و أخذه بتعليمه. و أمر بقطع الخشب من الغيضة، فقطع.

و مهر الشيخ في الكتابة و حذقها و عرف جميع أمورها في سنة. فلما بلغ من ذلك غاية ما يحتاج إليه أدخله المعلم إلى سابور و عرفه أمره و أنه قد بلغ النهاية في الكتابة. فضحك شابور و قال له: يا بيل! تعلمت الكتابة؟ قال: نعم. قال: اذهب.

فقد قلدتك نفقات المدينة. و أمره أن يقوم على الفعل. فبنى جنديسابور.

فلما فرغ منها، نظر إلى بعض جوانبها يكره عليه من السيل. فنقضه و بناه بالآجر و الكلس و بنى باقيها باللبن. فأهل الأهواز يسمون جنديسابور بيلباد. باسم الشيخ الذي تولى بناءها و النفقة عليها.

و في ملك سابور بن أردشير ظهر ماني [٨٦ب] صاحب الزنادقة. فدعا شابور إلى مذهبه فما زال يسوّفه و يماطله حتى استخرج ما عنده فوجده داعية للشيطان. فأمر به فسلخ جلده و حشى تبنا و علق على باب مدينة جنديسابور.

فالباب إلى الساعة يسمى باب الماني. و الزنادقة تحج إليه و تعظم ذلك الموضع.

و يقال إن معنى نيسابور و سابور خواست و جنديسابور، إن أصحاب نيسابور لما فقدوه لقول المنجمين له أنك تشقى سبع سنين، خرج هاربا يسبح في الأرض.

و خرج أصحابه يطلبونه فبلغوا نيسابور فطلبوه هناك فلم يجدوه فقالوا: ليست سابور أي ليس سابور. ثم وقع إلى سابور خواست فقالوا: سابور خواست. أي طلب سابور هناك. ثم وقعوا عليه بجنديسابور فقالوا: و ندذ سابور أي وجد الملك. و بنى أردشير مدينة سوق الأهواز

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩٧

قال الهيثم بن عدي: أردشير خوره حفر المسرقان و دجيل و أنهار خوزستان السبع و هي سرق و رامهرمز من سوق الأهواز و الشوش و جنديسابور و مناذر و نهر تيري.

و يقال: لا بناء بالحجارة و لا أبهى من شاذروان تستر، لأنه بالصخر و أعمدة الحديد و ملاط الرصاص.

و مخرج دجيل الأهواز من أرض إصبهان و يصب في بحر الشرقى.

و قالوا: من أقام بالأهواز حولا ثم تفقد عقله وجد النقصان فيه بينا. فأما قصبه الأهواز فنقلت كل من نزلها من بني هاشم و أشراف الناس إلى طبيعتها. و لا بدّ للهاشمي قبيح الوجه كان أم حسنا من أن يكون لوجهه و شمائله طبع به من جميع قريش و جميع العرب. فلقد كادت الأهواز أن تنقل ذلك و تبدله و لقد تحيفته [٤٠٩]. و أدخلت الضيم عليه و بينت أثرها عليه. فما ظنك بصنيعها في سائر الأجناس؟

و لفساد عقولهم و لؤم طبع بلادهم، لا تراهم مع تلك الأموال الكثيرة و الضياع النفيسة يحبون من البنين و البنات ما يحبه أوساط أهل الأمصار في الثروة و اليسار، و إن طال ذلك و المال منبّهة كما يعلم الناس.

و قد يكتسب الرجل: من غيرهم [٨٧أ] المويل اليسير فلا يرضى لولده [حتى يفرض] له المؤدبين و الحرص له على الأدب بالخطر

النفيس فيما يقدر عليه.

و الخوزى بخلاف ذلك كله. فإنه إذا ترعرع ولده و كبر و عقل شغلّه بالغربة و أبلاه بالأسفار و الكسب. فهو من بلد إلى بلد و من مدينة إلى أخرى. و ليست فى الأرض صناعةً مذكورةً و لا أدب شريف و لا مذهب محمود لهم فى شىء منه نصيب و ان خسو و قلّ و دقّ و جل. و لم يرفها و جنه حمراء لصبى و لا صبية و لا دما ظاهرا و لا قريبا [من ذلك] و هى قتالة للغرباء و على ان حمّاها خاصة ليست إلى الغريب بأسرع

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩٨

منها إلى القريب. و وبأوها و حمّاها فى وقت انكشاف الوباء و نزوع الحمى من جميع [البلدان]. و كل محموم فى الأرض فإن حمّاها لا تنزع عنه و لا تفارقه و فى بدنه منها بقية. فإذا نزع فقد وجد فى نفسه منها البراءة إلى أن تعود بما يجتمع فى بدنه من الأخلاط الرديئة. و ليست كذلك الأهواز، لأنها تعاود من نزعته عنه من غير حدث لأنهم ليس يؤتون من قبل التخم و للإكثار من الأكل و إنما يؤتون من عين البلدة. و كذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعى فى جبلها الطاعن [٤١٠] فى منازلها المطل عليها و الجرات فى بيوتها و مقابرها. و لو كان فى العالم شىء هو شر من الأفاعى و الجرات لما قصرت قصبه الأهواز عن توليده و تلقيحه. و من بليتها ان من ورائها سباحا و مناقع مياه غليظة و فيها أنهار تشققها مسائل كنفهم و مياه أمطارهم و متوضّاتهم. فإذا طلعت الشمس فطال مقامها و طالت مقابلتها لذلك الجبل قبل بالصخرية التى فيه تلك الجرات. فإذا امتلأت يبسا و حرّا و عادت جمرة واحدة، قذفت ما قبلت من ذلك عليهم و قد بخرت تلك السباح و الأنهار. فإذا التقى عليهم ما انجرّ من تلك السباح و ما قذفه ذلك الجبل، فسد الهواء، ففسد بفساده كل شىء يشتمل عليه ذلك الهواء.

و خبر إبراهيم بن العباس بن محمد [٤١١] عن مشيخه من أهل الأهواز عن القوابل انهنّ ربما قبلن الطفل المولود فيجدنه فى تلك الساعة محمومًا [٨٧ ب] يعرفون ذلك و يتحدثون به [٤١٢].

و لقد أخبرنى به زيد بن محمد و كان صدوقا و كان أقام بالأهواز حولا و حرى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٣٩٩

شدة حرّها و كثرة هوامها و حياتها و جراتها بأمر فضيع [٤١٣]. ثم قال: و كيف لا يكون كذلك و طعام أهلها الأرزّ و هم يخبزون فى كل يوم. فيقدّر أنه يسجر بها فى كل يوم خمسون ألف تنور. فما ظنك ببلد إذا اجتمع فيه حرّ الهواء و بخار هذه النيران؟ و حلف بالله عزّ و جلّ أنه عزم مرارا أن يغرق نفسه فى المسرقان لما كان يلقى من الكرب و شدة الحرّ و السموم.

و يقول أهل الأهواز إن جبلهم إنما هو من غناء الطوفان تحجر. و هو حجر ينبت و يزيد فى كل وقت.

قالوا: و لنا السكر و أنواع التمر. و هم أحذق الأمة فى إيجاد أنواع السكر.

و لهم الخبز السوسى و الديقاج التسترى. و كل طيب يحمل إلى الأهواز فإنه يستحيل و تذهب رائحته و يبطل حتى لا ينتفع منه بكثير شىء.

و الأهواز افتتحها أبو موسى الأشعرى فى ولاية عمر بن الخطاب رضى [الله] عنهما. و آخر مدينة افتتحت من الأهواز السوس. فلما افتتحها و أخذ المدينة و سبى الذرية و ظفر بالخزائن. فبينا هو يحصى ما فيها كان فى قلعتها نحو من ثلاثمائة خزائنه. فرأى خزائنه منها و عليها ستر عليه الدهن. فأمر خزّان القلعة أن يفتحوه.

فجعلوا يبكون و يحلفون أنه ليس فيه شىء من الذهب و الفضة. فجعل أبو موسى لا يزيده ذلك إلّا حرصا على فتحه، حتى همّ بكسر الباب. فلما رأى الخزّان ذلك قالوا له نحن نصدقك عما فيه. قال: قولوا. قالوا: فيه جسد دانيال. قال: و كيف علمتم ذلك؟ قالوا: أصابنا القحط سبع سنين متواليه حتى أشرفنا على الهلاك.

و كان هذا الجسد عندنا و قوم من النصارى يستسقون به إذا أجدبوا. فيسقون و يخصبون. فأتيانهم و طلبنا إليهم أن يعيرونا فأبوا علينا

فرهناهم خمسين أهل بيت منا على أن نستسقى به في عامنا ذلك و نرده. فدفعوه إلينا. فلما استسقيناه به سقيناه و أخصبنا فتعلقنا به و حبسناه عن أصحابه و رغبتنا فيه فهو عندنا نستسقى به في الجذب. فأمر أبو موسى بفتح الباب. فإذا في البيت سرير عليه رجل ميت واضح

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠٠

[٨٨ أ] مرفقه على ركبته اليمنى، فكتب إلى عمر يعلمه فتح المدينة و يقصّ عليه خبر دانيال عليه السلام، فسأل عمر رضى الله عنه من حضرته من المسلمين فأخبروه أنه نبى و أن بخت نصر لما غزا بيت المقدس و سبى أهله، كان دانيال ممن سبى، و نقل إلى أرض بابل فلم يزل بها حتى مات. فكتب عمر إلى أبى موسى يخبره بالذى انتهى إليه من أمره و أمره بأن يحنطه و يكفنه و يدفنه من غير أن يغسله.

و يكون دفنه إياه في جوف الليل حتى يكون الله تعالى هو الذى يبعثه كما يبعث خلقه. فلما انتهى إليه كتاب عمر إلى أبى موسى، عمد إلى نهر من أنهار السوس فأمر بسكره فسكرو، ثم حفر لدانيال في جوف النهر ثم عمد إليه فحنطه و كفنه و حمله و أربعه من المسلمين في جوف الليل فقبه في ذلك النهر ثم أجرى عليه الماء فلم يعلم أحد موضع قبره إلى يومنا هذا. و يقال إنه أخذ خاتما كان في إصبعه و كذلك يقال أيضا إنه وجد معه كتب فيها أخبار الملاحم و ما يكون من الفتن و انها صارت إلى كعب الأخبار.

و عسكر مكرم: نسبت إلى مكرم بن [معز الحارث] [٤١٤] أحد بنى جعونه بن الحارث بن نمير. و كان الحجاج بن يوسف وجهه لمحاربة خوزاد بن بارس حين عصى و لحق بالإنديج و تحصن في قلعة تعرف به. فلما طال عليه الحصار نزل مستخفيا ليلحق بعبد الملك بن مروان. فظفر به مكرم و معه درتان في قلنسوته.

فأخذه و بعث به إلى الحجاج. و كانت هناك قرية قديمة فبناها مكرم. و لم يزل يبني و يزيد حتى جعلها مدينة و سماها عسكر مكرم. و قال الثورى: الأهواز تسمى بالفارسية هوز مسير. و إنما كان اسمها الأخواز فغيرها الناس فقالوا الأهواز. و أنشد لأعرابي:

لا ترجعنى إلى الأخواز ثانية و قعقعان الذى فى جانب السوق

و نهر بط الذى أمسى يؤرقنى فيه البعوض بلسب غير تشفيق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠١

و نهر بط كان عنده مراح للبط فقالت العامة نهر بط، كما قالوا دار بطيخ.

و قالوا: بل كان يسمى نهر نبط. و ذلك انه كان لامرأة نبطية فخفف و قيل نهر بط [٤١٥].

و أهل الأهواز الأم الناس و أبخلهم. و هم أصبر خلق على الغربة و التنقل في البلدان. و حسبك أنك لا تدخل بلدا من سائر البلدان و لا إقليما من جميع الأقاليم إلا وجدت في تلك المدينة صنفا من الخوز لشحهم و حرصهم على جمع المال.

و ذكر الأصمعي قال: الخوز هم الفعل و هم الذين بنوا الصرح و اسمهم مشتق من الخنزير. ذهب إلى أن اسمه بالفارسية خو، فجعلته العرب خوز و إلى هذا ذهبوا.

و قال آخرون: معنى قولهم خوزى أى زيهم زى الخنزير.

و روى أبو خيرة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: ليس فى ولد آدم شر من الخوز و لم يكن منهم نبى قط و لا نجيب.

و قال عبد الله بن سلام: خلق الله البخل عشرة أجزاء، تسعة فى الخوز و جزء فى سائر الخلق.

و قال على رضى الله عنه فيما روى عنه: على مقدمة الدجال رجل خوزى يقال له مهران.

و قال عمر رضى الله عنه: إن عشت إلى قابل لأبيعن الخوز و لأجعلن أثمانهم فى بيت المال.

و فى خبر آخر: من كان جاره خوزيا و احتاج إلى ثمنه، فليبعه.

و كتب كسرى إلى بعض عماله: ان ابعث إلى بشر طعام مع شر الناس على

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠٢

شر الدواب. فبعث إليه برأس سمكة مالحه مع خوزى على حمار.

و قال أبو وائل: خرجنا مع ابن مسعود إلى قرية بالقادسية فجاءه رجل من الأنباط في حاجة. فالتفت عبد الله إلى أصحابه فقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: تاركوا الترك ما تركوكم و لا تجاوروا الأنباط في بلادهم، و إذا رأيتموهم قد أظهروا إسلامهم و قرأوا القرآن و تمكنوا في المرباع و احتبوا في المجالس و راجعوا الرجال في كلامهم، فالهرب الهرب. و لا تناكحوا الخوز فإن لهم أعراقا تدعوا إلى غير الوفاء

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠٣

القول في فارس

حدثنا أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل، حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا بشر بن محمد بن أبان عن داود بن المخير عن الصلت [٨٩ أ] بن دينار عن عبد الله بن أبي مليكة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أهل فارس عصبتنا. [٤١٦]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ٤٠٣

و يروى عن أنس بن مالك قال: إن الله خير بين خلقه، فخيرته من العرب قريش و خيرته من العجم فارس.

و يروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: أسعد الناس بالإسلام أهل فارس. و أشقى العرب به بهراء و تغلب.

و قال ابن لهيعة: فارس و الروم قريش العجم.

و قال في قوله عز و جل و اذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس. قال: الناس إذ ذاك فارس و الروم. و في قوله يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قال: فارس.

و لما هدم ابن الزبير البيت، قال اطلبوا من العرب من بينه. فلم يجدوا.

فقال استعينوا بأهل فارس فإنهم ولد إبراهيم. و لن يرفع البيت إلّا ولد إبراهيم.

و قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أبعد الناس من الإسلام الروم، و لو كان معلقا بالثريا لتناولته فارس. يعنى الإسلام.

[قال و ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) كسرى أنوشروان فقال: ويل أمه، ما أعمق سلمه لو كان أسلم.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠٤

و روى عن ابن عباس في قول الله عزّ و جلّ «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد» قال: أهل فارس.

و قال عليه السلام: لا تسبوا فارس فإنهم عصبتنا.

و قال (عليه السلام): إن لله جندا في أهل فارس إذا غضب على قوم انتقم بهم [٤١٧].

و قال الشعبي: أول من استنبت الأنهار العظام أنوشروان و مادة الملك و استصلح الرعية بعده مثله.

و كان أنوشروان إذا أفرض، يقدم الفارسي على رجلين من الديلم و على خمسة من الترك و على عشرة من الروم و على خمسة عشر من العرب و على الثلاثين من الهند. لأنهم كانوا أشجع ممن ذكرنا قلوبا و أعزهم نفرا و أعظمهم ملكا و أكثرهم عددا و أوسعهم بلدا و أخصبهم جنابا و أشدهم قلوبا و أرجحهم عقولا و أحسنهم تدبيرا و أصحابهم جوابا و أطلقهم ألسنا.

و قال أبو البخترى: بلغنا أن إسحاق بن إبراهيم ولد ابنا يقال له نفيس: فولد لنفيس، العيص، قبائل من فارس منهم أهل إصطخر و

شاور و أردشير. و الدليل على ذلك قول جرير:

منابر ملكك كلّها مضرية يصلى علينا من أعرناه منبرا

و أبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا[حمائل موت لابسين السنورا][٤١٨] إذا انتسبوا عدّوا الصهبذ منهم و كسرى، و عدّوا الهرمزان و قيصر و كان إدريس بن عمران يقول: أهل إصطخر أكرم الناس أحسابا، ملوك أبناء الأنبياء.

و قال أردشير [٨٩ب]: الأرض أربعة أجزاء. فجزء منها أرض الترك ما بين مغارب الهند إلى مشارق الروم. و جزء منها أرض المغرب، ما بين مغارب الروم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠٥

إلى القبط و البرابر. و جزء منها أرض كور السواد، ما بين البرابر إلى الهند. و الجزء الرابع هذه الأرض التي تنسب إلى فارس ما بين نهر بلخ إلى منقطع آذربيجان و أرمينية الفارسية إلى الفرات. ثم بريّة العرب إلى عمان و مكران و إلى كابل و طخارستان. فكان هذا الجزء صفوة الأرض. و هو من الأرضين بمنزلة الرأس و السرة و السنام و البطن. أما الرأس، فإن ملوك أقطار الأرض مذ كان ايرج بن أفريدون، كانت دائنة لملوكنا يسمونهم أملاك الأرض و يهدون لهم صفايا ما فى أرضهم.

و أما السرة، فإن أرضنا وضعت من الأرضين موضع السرة من الجسد فى البسطة و الكرم و فيما جمع لنا مما نرثهم به. فأعطينا فروسية الترك و فطنة الهند و صناعة الروم، و أعطينا فى كل شىء من ذلك الزيادة على ما أعطوا، و أصفينا ما حرموا بأدب الدين فى أدب الملك. و أعفينا إلى مسام سيماء مشترعة فى صورنا و ألواننا و شعورنا كما شوّهت سائر الأمم بصنوف الشهرة من لون السواد و شدة الجعودة و السبوطه و صغر العيون و قلّة اللحي. فأعطينا الأوساط من المحاسن و الشعور و الألوان و الصور و الأجسام.

و أما السنام، فإن أرضنا على صغرها عند بقية الأرضين هى أكثر منافع والين عيشا من جميع ما سواها.

و أمّا البطن، فإن الأرضين كلها تجلب إليها منافعها من علمها و رفقها و أطعمتها و أدويتها و أمتعتها و عطرها كما تجبى الأطمعة و الأشربة إلى البطن.

و قال الواقدي: شاور عمر بن الخطاب رضى الله عنه الهرمزان فى فارس و إصبهان و آذربيجان. فقال الهرمزان: إن إصبهان و آذربيجان الجناحان. فإن قطعت الجناحين، بقى الرأس. و إن قطعت الرأس وقع الجناحان، فابدأ بالرأس.

و كان أول من جمع فارس و ملكها، أردشير بن بابك بن ساسان، و هو أحد ملوك الطوائف و كان على إصطخر، و هو من أولاد [٩٠] الملوك المتقدمين قبل ملوك الطوائف. فرأى أنه وارث ملكهم فكتب إلى من يقربه من ملوك فارس و من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠٦

نأى عنه من ملوك الطوائف يخبرهم بالذى أجمع عليه من الطلب بالملك لما فيه من صلاح أمور الرعية و إقامة الدين و السنّة. فمنهم من أقرّ له بالطاعة، و منهم من لم يقّر له حتى قدم عليه، و منهم من عصاه فصار عاقبة أمره إلى القتل و الهلاك. حتى استوسق له ملكه.

و هو الذى افتتح الحضرم. و كان ملك السواد متحصنا فيه و كانت العرب تسميه الساطرون. و فيه يقول أبو داود:

و أرى الموت قد تدلّى من الحضرم على رب أهله الساطرون و قد أتينا بخبره فيما تقدم.

و هو أول من وضع السكك و حذف أذنان دواب البرد و بنى مدينه جور بفارس و كان موضعها صحراء. فمرّ بها أردشير فأمر ببنائها و سماها أردشير خزّة.

و سمّتها العرب جور. و هى مبنية على صورة دارابجرد. و نصب فيها بيت نار.

و بنى مدينه رام أردشير و بهمّن أردشير خزّة و هى فرات البصرة. و استاراباذ و هى كرخ ميسان و هى من كور دجلة. و مدينه سوق الأهواز. و كانت مدة ملكه أربع عشرة سنة و ستّة أشهر.

و قالوا: سمعوا فارس بفارس بن طهومرث و هو الذى تنسب الفرس إليه، لأنهم من ولده. و كان ملكا عادلا متحننا محتاطا على أهل

عصره. و كان له عشرة بنين منهم: جَمّ و شيراز و إصطخر و فسا و جنّابا و كسكر و كلواذى و قرقيسيا و عرقوف [و دارا مجرد]. فأقطع كل واحد منهم البلد الذى سُمى به و نسب إليه.

و إنما كانوا قبل ذلك يسكنون الخيام. و يقال إن ملكه كان ثلاثمائة سنة.

و من مدينه سوق الأهواز إلى مدينه أَرَجَان أول عمل فارس من هذا الوجه واحد و ثلاثون فرسخا. و أَرَجَان بناها قباد بن فيروز لأنه لمّا استرجع الملك من أخيه جاماسف غزا الروم فافتتح مدينتين من مدن الجزيرة مما كانت فى أيدي الروم تدعى واحدة آمد و الأخرى ميفارقين. و أمر فبنيت فيما بين حدّ فارس و الأهواز مدينه و سماها ابرقباد، و هى التى تسمى أَرَجَان. و أسكن فيها سبى [٩٠ ب] همدان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠٧

و كورها كوره و ضم إليها رساتيقها من كور رام هرمز و كوره سابور و كوره أردشير خره و كوره إصبهان. و بنى أيضا مدينه حلوان مما يلي الماهات. و بنى مدينه يقال لها قباد خره.

و كور أيضا كوره أخرى بأرض ميسان و سماها شاد قباد، و هى التى تسمى أستان العالى. و وضع لها أربعة طساسيج: طسوج فيروز شابور و هى الأنبار و كان منها هيت و عانات فأفردها يزيد بن معاوية [٤١٩] فى أيامه إلى الجزيرة. و طسوج بادوريا و طسوج قطربل و طسوج مسكن.

و كور أيضا كوره بهقباد الأعلى و وضع لها ستة طساسيج: طسوجى النهرين و طسوج عين التمر و الفلوجتين العليا و السفلى و طسوجى بابل و خطرنيه.

و كور أيضا بهقباد الأوسط و وضع لها أربعة طساسيج: طسوج سورا.

و طسوج باروسما و الجبه و البداه. و طسوج نهر الملك.

و كور أيضا بهقباد الأسفل و وضع لها خمسة طساسيج: فرات بادقلى و السيلحين. و طسوج الحيره و طسوج تستر و طسوج هرمز مجرد. و فرق كوره إصبهان على شقين: شق جى و شق التيمره.

و أمر فبنيت مدينه شهرزور و هى بأرض به. و فيما بين جرجان و إيران شهر مدينه أسماها شهر قباد.

و بأرجان قنطره كسرويه طويله أكثر من ثلاثمائة ذراع مبنيه بالحجاره على وادى أرجان.

قال: و أخبرنى محمد بن أحمد الأصبهانى قال: بأرجان كهف فى جبل ينبع منه ماء يشبه بالعرق من حجارته فيكون منه هذا المومياء الأبيض الجيد. و على هذا الكهف باب حديد و حفظة و يغلق و يختم بخاتم السلطان و قاضى البلد إلى يوم من السنه يفتح فيه. و يجتمع القاضى و شيوخ البلد حتى يفتح بحضرتهم و يدخل إليه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠٨

رجل عريان ثقه. فيجمع ما قد اجتمع من المومياء و يجعله فى قاروره، و يكون مقدار ذلك مائه مثقال أو دونها. ثم يخرج و يختم الباب بعد قفله إلى السنه الأخرى. و يوجه بما يجتمع منه إلى السلطان. و خاصيته لكل كسر أو صدع فى العظم. يسقى الإنسان الذى انكسر شىء من عظامه مثل العدسه فينحط أول ما يشربه [٩١ أ] إلى موضع الكسر فيجبره و يصلحه لوقته.

و من أَرَجَان إلى النوبندجان سنة [٤٢٠] فرسخا. و فيها شعب بوان الموصوف بالحسن و النزاهه و كثرة الشجر و تدفق المياه و هو موضع من أحسن ما يعرف. فيه شجر الجوز و الزيتون و جميع الفواكه النابتة فى الصخر. و روى عن المبرد أنه قال:

قرأت على شجرة فى شعب بوان هذه الأبيات:

إذا أشرف المكروب من رأس تلعه على شعب بوان أفاق من الكرب

و ألهاه بطن كالحريره مسه و مطرد يجرى من البارد العذب

و طيب ثمار في رياض أريضة على قرب أغصان جناها على قرب
فبالله يا ريح الجنوب تحملي إلى أرض بغداد سلام فتى صب
و إذا أسفل منه مكتوب:

ليت شعري عن الذين تركنا خلفنا بالعراق هل يذكرون
أم لعل المدى تطاول حتى قدم العهد بعدنا فنسونا
و ذكر بعض أهل الأدب أنه قرأ على شجرة دلب تظل عينا حسنة بشعب بوان هذه الأبيات:
متى تبغني في شعب بوان تلقني لدى العين مشدود الركاب إلى الدلب
و أعطى و إخواني الفتوة حقا بما شئت من جد و ما شئت من لعب
يدير علينا الكاس من لو رأيته بعينيك ما لمت المحب على الحب
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٠٩

و كتب أحمد بن الضحاك الفلكي [٤٢١] إلى صديق يصف شعب بوان: كتبت إليك من شعب بوان و له عندي يد بيضاء مذكورة، و
منه غراء مشهورة بما أولانيه من منظر أعدى على الأخران، و أقال من صروف الزمان. و سرح طرفي في جداول تطرد بماء معين
منسكب، أرق من دموع العشاق، حررتها لوعة الفراق. و أبرد من ثغور الأحباب، عند الالتئام. كأنها حين [٩١ ب] جرى آذيتها يترقرق،
و تدافع تيارها يتدفق. و ارتجح حبابها يتكسر في خلال زهر و رياض ترنو بحدق تولد قصب لجين في صفائح عقيان، و سموط در بين
زبرجد و مرجان. أثر على حكمه صانعه شهيد، و علم على لطف خالقه دليل. إلى ظل سجسج أحوى، و خضل ألمى. قد غنت عليه
أغصان فينائه و قصب غيدانه. تشورت لها القدود المهفهفه حجلا، و ثقيلتها الخصور المرفهه تشبها. يستقيدها النسيم فتنقاد، و يعدل
بها فتنعدل. فمن متورد يروق منظره، و مرتجح يتهدل مثمرة. مشتركة فيه حمرة نضج الثمار، بنفحة نسيم النوار. و قد أقمت به يوما
لخيالك منادما و لشوقك مسامرا. و شربت لك تذكارا. و إذا تفضل الله بإتمام السلامة إلى أن أوافي شيراز، كتبت إليك من خبري
بما تقف عليه إن شاء الله.

و من النوبندجان إلى شيراز نيف و عشرون فرسخا.

و هي [٤٢٢] من كورة أردشير خزّه و رساتيقها: جور و الخبر و الصيحكان و البرجان و الكهرجان و الخواروستان و كير و سينيز و
سيراف و الرويحان و كان فيروز و كازرون و کران و ابزر و توج.
و من سوق الأهواز إلى الدورق في الماء ثمانية عشر فرسخا، و على الظهر أربعة و عشرون فرسخا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١٠

كورة سابور و مدينتها النوبندجان و رساتيقها: الخشن و الكيمارج و كازرون و خزّه و بندر همان و دشت بارين و الهنديجان و
الدرخوند و تنبوك و الجواندان و الميدان و المذار و ماهان و الجنيد و الرامجان و الشاهجان و مور و دادين و خمايجان السفلى و
خمايجان العليا و تيرمردان و جنحان و السياه مص و انبوران.

كورة إصطخر و المدينة و رساتيقها: مدينة البيضاء و بهران و أسار و إيرج و مائين و خبر إصطخر و نيرز و أبرقويه و البرانجان و الميان
روذان و الكاسكان و الهزار.

و من شيراز إلى مدينة فسا ثلاثون فرسخا. و من مدينة فسا إلى مدينة دار بجرد ثمانية عشر فرسخا و رساتيقها: كرم و جهرم و نيريز و
الفتجان و الابدرد و الانديان و جويم و فرج و يارم و طسان.

كورة أرجان و رساتيقها: قاش و ريشهر و السلجان و البحار و فرزن [٤٢٣].

و من شيراز إلى مدينة [٩٢ أ] جور عشرون فرسخا و بين شيراز و سابور عشرون فرسخا. و بين شيراز و إصطخر اثنا عشر فرسخا.

زموم [٤٢٤] الأ- كراد بفارس و تفسير الزموم محال الأ- كراد. قال صاحب كتاب المسالك و الممالك و هو عبد الله بن محمد بن خرداذبه: هي أربعة زموم: زم الحسين بن جيلويه و يسمى البازنجان، و هو من شيراز على أربعة عشر فرسخا. و زم ازدم بن جوانانه من شيراز على ستة و عشرين فرسخا. و زم القاسم بن شهريار و يسمى الكوريان، من شيراز على خمسين فرسخا. و زم الحسين بن صالح يسمى السوران من شيراز على سبعة فراسخ.

و قال المدائني: كانت إصطخر تجبي ستة عشر ألف ألف درهم. و سابور

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١١

أربعة عشر ألف ألف درهم. و أردشير خرّه ثمانية عشر ألف ألف درهم. و دار ابجرد ثمانية عشر ألف ألف درهم. و كانت أَرَجَان بعضها إلى إصبهان و بعضها إلى إصطخر و بعضها إلى رام هرمز. فصيرت في الإسلام كورة واحدة. فصارت فارس خمس كور و هي إصطخر و شابور و أردشير خرّه و دارابجرد و فسا و أَرَجَان. و فارس مائة و خمسون في فرسخا في مثلها.

و افتتحت عنوة على يدي أبي موسى الأشعري و عثمان بن أبي العاص رضى الله عنهما.

و يقال إن نمرود إبراهيم عليه السلام من إصطخر. و يقال بل كان من قرية يقال لها أبرقوية.

و خراج فارس ثلاثة و ثلاثون ألف ألف درهم بالكفاية. و ذكر الفضل بن مروان [٤٢٥] أنه قبلها بخمسة و ثلاثين ألف ألف درهم بالكفاية على أنه لا- مؤونة على السلطان. و جباها الحجاج بن يوسف و الأهواز ثمانية عشر ألف ألف درهم. و كان عمرو بن الليث يجبي من خراجها إحدى و ثلاثين ألف ألف درهم، و من ضياعها تسعة عشر ألف ألف درهم، فجميعه خمسون ألف ألف درهم. و يحمل إلى السلطان في كل سنة خمسة عشر ألف ألف درهم. و جباها الناصر في سنة ثمان و سبعين و مائتين ستين ألف ألف درهم. و كانت الفرس قسطن على كور فارس أربعين ألف ألف مثاقيل.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١٢

و من العجائب بفارس شجرة تفاح بشيراز، نصف التفاحة حلو في نهاية الحلاوة و نصفها حامض في غاية الحموضة. و ليس بفارس كلها من هذا النوع إلا هذه الشجرة الواحدة.

و لهم سابور و فيها الأدهان الكثيرة و من [٩٢ ب] دخلها لم يزل يشم ريحا طيبة حتى يخرج منها، و ذلك لكثرة رياحيتها و أنوارها و بسايتها.

و لهم جور و بها يعمل الماورد الجورى و هو النهاية من الماورد.

و لهم الثياب السينيكية [٤٢٦] و الجنابية و النوزية و السابورية. و هم أحذق الناس باتخاذ المرايا و المجامع و غير ذلك من الآلات الحديد.

و قال الأصمعي: حشوش الدنيا ثلاثة: عمان و الأبله و سيراف.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١٣

القول في كرمان

قال ابن الكلبي: سميت كرمان بكرمان بن فلوج من بنى ليطي بن يافث بن نوح عليه السلام. و يقال إن بعض ملوك الفرس أخذ قوما فلاسفة [٤٢٧] فحبسهم و قال:

لا يدخل إليكم إلا الخبز وحده و خير وهم في إدام واحد. فاختاروا الأترج فقيل لهم: كيف اخترتم الأترج دون غيره؟ قالوا: لأن قشره الظاهر طيب فنشمه. و أما داخله ففاكهة. و أما حمّاضه فأدم، و أما حبّه فدهن. فأمر بهم فاسكنوا كرمان.

و كان ماؤها لا- يخرج إلّا على خمسين ذراعا. فهندسوه حتى أظهوره على وجه الأرض. ثم غرسوا بها الأشجار فالتفت كرمان كلها بالشجر. فعرف الملك ذلك فقال: اسكنوهم الجبال فاسكنوها، فعملوا الفؤارات و أظهروا الماء على رؤوس الجبال فقال الملك: اسكنوهم. فعملوا في السجن الكيمياء. و قالوا: هذا علم لا نخرجه إلى أحد. و عملوا منه ما علموا أنه يكفيهم مدة أعمارهم ثم أحرقوا كتبهم و انقطع علم الكيمياء.

و قال بعض علماء الفرس: كانت الأكاسرة تجبى السواد مائة ألف ألف و عشرين ألف ألف درهم سوى ثلاثين ألف ألف من الراضائع لموائد الملوك.

و كانوا يجبون فارس أربعين ألف ألف. و كانوا يجبون كرمان ستين ألف ألف لسعتها. و هي ثمانون و مائة فرسخ في مثلها. و كانت كلها عامرة. و بلغ من عمارتها أن القناة تجرى من مسيرة خمس ليال. و كانت كرمان ذات أشجار و عيون و أنهار. و من شيراز إلى مدينة السيرجان، مدينة كرمان، أربعة و ستون فرسخا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١٤

و كرمان خمسة و أربعون منبرا صغارا و كبارا. و من مدنها: القفص و البارز و المراح [٤٢٨] و البلوص [٩٣] و جيرفت- و هي من أعظم مدنها- و السيرجان و بها تنزل الولاية، و هزور كند و لافث و هي الرباط و قلعة بنى عبد الله. إلّا أن قصبتى البلد جيرفت و السيرجان.

قال: و بكرمان مدينة يقال لها دمندان، و هي مدينة كبيرة واسعة و بها أكثر معادن كرمان، بها معادن الحديد و النحاس و الذهب و الفضة و النوشادر و الصفر و معدنه بجبل يقال له دنباوند، مرتفع شاقق، ارتفاعه ثلاثة فراسخ. و هذا الجبل بالقرب من مدينة يقال لها خواش. على سبعة فراسخ من المدينة. و فى هذا الجبل كهف عظيم يسمع من داخله دوى و خرير مثل خرير الماء، و يرتفع منه بخار مثل الدخان، فليصق حواليه. فإذا كثف و كثر، خرج إليه أهل تلك الناحية، فيقلع فى كل شهر أو شهرين. و قد وكل السلطان به قوما، حتى إذا اجتمع سائره أخذ السلطان منه الخمس و أخذ أهل البلد باقيه فاقسموه بينهم على سهام قد تراضوا [بها] فهو النوشادر الذى يحمل إلى سائر الآفاق.

و بها مدينة يقال لها خييص، لم تمطر داخلها قط و تمطر خارجها. فربما أخرج الإنسان يده من السور فيصيبها المطر و لا تقطر داخلها قطرة.

و بها خشب لا- تحرقه الناس، يلقي فيها و يترك الوقت الطويل ثم يخرج منها و هو صحيح ما احترق. و النصارى يمّوهون الخشب و يزعمون أنه من الخشب الذى صلب عليه- بقولهم- المسيح عليه السلام. و كان مع بعض الرهبان صليب من هذا الخشب، فافتتن به خلقا من الناس، و ذلك أنه كان يلقيه فى النار ساعات من النهار ثم يخرج عنها و لم تعمل فيه شيئا. فلم يزل على ذلك حتى فطن له رجل من أهل هذه المدينة. فأتى بقطعة خشبة كانت معه ففعل بها كفعل الراهب فبطل ما كان يمخرق.

و قال المأمون: لو أخذ الطحلب فجفف فى الظل و طرح فى النار لم يحترق.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١٥

و طائر يعرف بالسمندل [٤٢٩] يدخل النار فيتمرغ فيها ثم يخرج منها كما دخل لم تحترق من ريشه و لا واحدة. و ذكر طمياث الحكيم فى كتاب الحيوان: إن بالمشرق طائرا يقال له بنجس فى مدينة يقال لها مدينة الشمس و ليس له أنثى و لا شكل يشبهه. و أهل تلك المدينة يعبدون الشمس و يسجدون [٩٣ ب] لها عند طلوعها.

و تسمى المدينة اغفطوس. و هذا الطائر يكون بها و يعرف فى غيرها. فإذا أراد الله بإذنه فيجمع بمنقاره شيئا كثيرا من عيدان الدار صينى. ثم لا يزال يضرب تلك العيدان بجناحيه مكبا على ذلك لا يفتر، حتى تشتعل نارا. فإذا علا لهبها قذف نفسه فيها حتى يحترق و تأكله النار فيصير رمادا. فإذا كان بعد أيام يعرفون عددها، تصوّر من ذلك الرماد دودة كبيرة فلا تزال تكبر حتى تصير مثل الفرخ ثم

ينبت الله له جناحين [٤٣٠] وريشا و تعود صورة ذلك الطائر لا يغادر منه شيئا. و أهل هذه المدينة يذكرون أن ذلك يكون في كل خمسمائة سنة.

و في بعض مدن خراسان هوة عظيمة في جبل فيها نار تتقد و لا تطفأ شتاء و لا صيفا. و في هذه الهوة جردان كبار بيض تخترق النار في دخولها و خروجها، فإذا كانت خارجة من الهوة و نظرت إلى إنسان بادرت فخاضت النار مخترقة للهوة إلى مواضعها لا تؤذيها النار و لا تحرقها.

و من كرمان إلى سجستان مائة و ثمانون فرسخا. و لها من المدن [٤٣١]: زالق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١٦

و كركويه و هيسوم و زرنج و بست و ناشروذ و القرنين و بها أثر مربوط فرس رستم المعروف بالشديد و نهرها المعروف بالهندمند. يقول أهل سجستان أنه ينصب إليه مياه ألف نهر فلا تظهر فيه زيادة. و ينشق منه ألف نهر و لا يرى فيه نقصان. و في شرط أهل سجستان على المسلمين أن لا يقتل من بلدهم قنفذ و لا يصاد. و ذلك أن كل بيت ليس فيه قنفذ هو كثير الأفاعى. و القنفاذ تأكل الأفاعى.

و لولا ذلك لأتت عليهم. و القنفاذ بسجستان مثل النمى بمصر. فلولاها لأتت الثعابين على أهل مصر.

و من مدنها الرخج و بلاد الداور، و هى مملكة رستم الشديد ملكه إياها كيكاس.

و بين مدينة سجستان إلى مدينة هراة ثمانون فرسخا.

و من شيراز إلى نيسابور مائة و عشرون فرسخا.

و من شيراز إلى داربجرد سبعة و أربعون فرسخا.

و من إصطخر إلى السيرجان، مدينة كرمان تسعة و خمسون فرسخا.

و من كرمان إلى حدّ عمل فارس ستة عشر فرسخا [٩٤].

و من جيرفت إلى بم عشرون فرسخا.

و من جيرفت إلى أول عمل مكران واحد و أربعون فرسخا.

و من أول عمل مكران إلى المنصورة و مولتان السند ثلاثمائة و ثمانية و خمسون فرسخا.

و من زرنج مدينة سجستان إلى المولتان مسيرة شهرين

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١٧

القول فى الجبل

و يسمى هذا الصقع بلاد البهلويين و هى همذان و ماسبندان و مهر جانقذق- و هى الصيمرة- و قم و ماه البصرة و ماه الكوفة و قرميسين و ما ينسب إلى الجبل.

و ليس منه: الرى و إصبهان و قومس و طبرستان و جرجان و سجستان و كرمان و مكران و قزوین و الديلم و الطيلسان و البير.

القول فى قرميسين:

قال أبو المنذر هشام بن السائب الكلبي: لَمَّا ظفر قتيبة بن مسلم بفيروز بن كسرى يزدجرد حيث افتتح خراسان أخذ ابنته شاه آفرید [٤٣٢] و معها سفت مختوم فوجه بها إلى الحجاج. فحملها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك. فولدت له يزيد الناقص. و فضّ الحجاج السفت فإذا فيه كتاب بالفارسية. فدعا زادانفروخ بن بيرى الكسكرى فقراه، فإذا فيه: بسم الله المصور، مَيَز قباذ بن فيروز إقليمه

و وزن المياه و التراب ليني لنفسه مدينة يتزلها فوجد أنزه بقاع إقليمه بعد أن بدأ بالعراق التي هي سره الأقاليم ثلاثة عشر موضعا: المدائن و السوس و جنديسابور و تستر و سابور و إصبهان و الرى و بلخ و سمرقند و باورد و بطن بنهاند- يعنى رودراور- و ماسبندان و مهر جانقذق و تل ما سير.

و وجد أبرد بقاع إقليمه سبعة مواضع: قاليقلا و أردبيل و همذان و قزوين و جوالق و خوارزم و مرو.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١٨

و وجد أوبا بقاع إقليمه ستة مواضع: البندنجين و بطن ماستون- و هو شابور خواست- و جرجان و الخوار و بردعة و زنجان.

و وجد أقحط بقاع إقليمه ثمانية مواضع: ميسان و بادرايا و دستميسان و الكلتانية و باكسايا و ما سبندان و الرى و إصبهان.

و وجد أبخل أهل إقليمه تسعة مواضع: خراسان و إصبهان و أردبيل و ماسبندان و بادرايا و باكسايا و إصطخر و شيراز و فسا.

و أخصب بقاع إقليمه عشرة مواضع أرمينية و آذربيجان و جور و مكران و كرمان و دستبي [٩٤ ب] و ماه الكوفة و ماه البصرة و أرجان و دورق.

و وجد أجمل بقاع إقليمه عشرة مواضع: الحيرة و المدائن و كلواذى و سابور و إصطخر و جنابا و الرى و إصبهان و قم و النشوى.

و وجد أعقل سبعة مواضع: عكبرا و قطربل و عقرقوف و الرى و إصبهان و ماسبندان و مهر جانقذق.

و أفطن أهل إقليمه ستة مواضع: إسكاف العليا و إسكاف السفلى و نقر و سمر و كسكر و عبدسى.

و وجد أحسد أهل إقليمه خمسة مواضع: جرجرايا و حلوان و سحاران [٤٣٣] و همذان و ما سبندان.

و وجد أعلم أهل إقليمه بالسلاح أربعة مواضع: همذان و حلوان و إصبهان و شهرزور.

و وجد أخف مياه إقليمه عشرة مواضع: دجلة و الفرات و جنديسابور و ماسبندان و بلخ و سمرقند و قزوين و ماسورا و هي عين بقرميسين و ماء ذات المطامير و ماء ملجان قرية الثلج بماسبندان.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤١٩

و وجد أمكر أهل إقليمه أحد عشر موضعا: خراسان و إصبهان و الرى و همذان و أرمينية و آذربيجان و ماسبندان و مهر جانقذق و تستر و المذار و أرتوى.

و وجود أسرى فواكه إقليمه سبعة مواضع: المدائن و سابور و أرجان و الرى و نهاوند و ماسبندان و حلوان الجبل.

و وجد أقل أهل إقليمه نظرا فى العواقب أهل ثمانية مواضع: البندنجين و ما سبندان و مهر جانقذق و أردشير خزّه و رامهرمز و أرمينية

و آذربيجان و طخورد [٤٣٤]، قرية من قرى قم خرج منهم فى وقت موافاة العرب أربعة ألف رجل مع كل رجل خادم و سائس و خباز

و طباخ إلى نهاوند ليقاتلوا العرب و يمنعوهم من المقام. فقتلوا كلهم بالاسفيذهان فلم يفلت منهم إلا رجل واحد.

و وجد أسفل أهل إقليمه أهل ستة مواضع: البندنجين و بادرايا و باكسايا و بهندف و قهقور- بطن بماسبندان- و جرود- بطن بنهاند-.

و لم يجد ما بين المدائن إلى نهر بلخ بقعة على الجادة أنزه و لا أعذب ماء و لا نسيم من قرميسين إلى عقبه همذان. فأنشأ قرميسين

[٩٥ أ] و بنى لنفسه بناء معمدا على ألف كرم. فقرميسين كلمة فارسية معناها كرمناشاهان.

و بنى الأكاسرة من المدائن إلى عقبه همذان و قصر شيرين مقبرة آل ساسان و بعرقوف مقبرة الكيانين.

ثم نقل قباز الأشراف من فارس و خراسان و كذلك أهل الجمال و الأدب و الفروسية فأسكنهم حافتى دجلة و أنزل أصحاب

الصناعات بطن جوخى و أنزل من كان من وجوه الناس الذين هم دون الأشراف، النهروانات.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢٠

و أنزل الحاكة و الحجامين بادرايا و باكسايا، و أنزل التجار الأهواز، و أنزل الأطباء سبرى [٤٣٥] قرية بماسبندان.

فلما ميز قبأذ إقليمه و عرف أهل بقاعه مسح البلاد و وقف على الحدود و عدد الفراسخ، اختار النزول بالمداثن ليقرب من الروم. و أخذ فى بنائها. و ابتداء بعمل قصر ليسكنه. فكان كلما رفع من حائطه شيئاً هبت ريح عظيم فتقلعه. فلما رأى ذلك وجه إلى بليناس المطلسم فأحضره من بلده و أمره أن يطلسم مواضع آفات إقليمه. و قال له: ابدأ بالمداثن. و جعل له على كل طلسم يعمله أربعة ألف درهم.

فاتخذ له فى موضع الإيوان مكان وسط القصر طلسماً كبيراً و جعل حوله أحد عشر طلسماً. فأما الكبير فللريح التى كانت تقتلع الحائط فسكنت و تمّ البناء. و طلسم للعقارب فقلّت بها. و آخر للحمى، و آخر للجرارات و آخر للسياح و آخر للبراغيث و آخر لاجتماع كلمة أهلها، و آخر ليطيع أهلها ملوكهم ما بقوا، و آخر لملوك الأقاليم أن يهابوا ملك العراق و لا يخالفوه و آخر لتعف نساؤهم عن الفجور و آخر لتزكو غلاتهم و ثمارهم. و جعل على يمين كل طلسم منها و شماله و قدامه و ورائه كنزاً بينه و بينه أربعون ذراعاً. ثم طلسمها و كنوزها أن تخفى عن الناس فخفيت.

و يقال إنه ما بنى بالأجر و الجص بنية أبهى و لا أجل و لا أحكم و لا أعلى سقفاً و لا أكثر ذراعاً من إيوان كسرى بالمداثن. و فيه يقول البحرى من شعر طويل:

و كأن الإيوان من عجب الصنعة جرب فى جنب أرعن جلس

[٩٥ب]

مشمخر تعلو له شرفات رفعت فى رؤوس رضوى و قدس

ليس يدرى أصنع إنس لجنّ سكنوه أم صنع جنّ لإنس

قال: و أنشدنى ابن الحاجب لنفسه يصف الإيوان:

إن خاننى زمن فمن هذا الذى لم تستبحه خيانة الأزمان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢١

أخنى على عاد و أهلك تبعاً وسطاً بقدرته على النعمان

و أزال ملك الفرس بعد ثبوته و هوى بكسراها أنوشروان

آثارهم تنبيك عن أخبارهم نطقاً و ليس مغنياً كعيان

هل أسمعت أذناك مثل حديثهم أو عاينت عيناك كالإيوان؟

قصر يكاد يردّ حسن بنائه عند التأمل أعين العميان

تعلو له شرف كأن شخوصها بيض الحمايم فى ذى الأغصان

حفت به كحفوف و قد أحدقوا بحريم بيت الله ذى الأركان

و كأنها فى وسط كل دجئة نار تشب لعابد الرهبان

أو فتية شربوا فأثر فيهم فعل الشراب مخيلة النشوان

و ضعوا الأكف على الحضور و رفّوا فوق الرؤوس أكلة المرجان

مصطفة كينات نعش فى ذرى عالى السموك موثق البنيان

الفت مجاورة السموك سموكه و ترفعت عن يذبل و أبان

فكأنما بين السماك و بينه شر فما ينيان ينتحيان

صور من الآساد فى جنباته ما ان لها اجم سوى الجدران

أسد على فرس الرجال قديمةً لو انها كانت من الحيوان
و معسكران لكل حزب منهما رجل أمام مواقف الفرسان
جيشان لو وقع التناجز منهما لم يبق من جمعيهما رجلا
لولا وقوع اليأس من حركاتهم لظننت أنهما سيقنتلان
لبسوا من الألوان أصفر فاقعاً فأتاه ناصعه بأحمر قان
و مورّد في خضرة فكانه زهر تكنف حافتى بستان
[٩٦ أ] ثم رجع بنا القول في قرميسين و ذكر عجائبها.

قال أبو المنذر: طلسمات إيران شهر غير ظاهرة، و عند كل طلسم منها علامة إما صخرة و إما تمثال. و جميع ذلك من كل طلسم على
أربعين ذراعاً.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢٢

قال: و لما انتهى بليناس إلى طرازستان و عمل يازاء القنطرة طلسماً للغرق فسلم أهلها منه. و آخر خلف القنطرة فاستتم بناؤها. و آخر
عن يمينها، فجرى الماء الذى عندها. و آخر عن يسارها فسلمت من السحر. و عمل بالبندنجين طلسماً للغرق فأمنوا. و آخر للقيارة-
عين القير- حتى نضبت. لولا ذلك ما أمكن أحد أن يشرب من الماء الذى هناك. و كذلك عمل آخر للنفاطة حتى انصرف شعب
النفط إلى جهة أخرى عن الماء.

و عمل عن يسار البندنجين طلسماً للزنابير و آخر للذبة فقلت و كانت أكثر الأرض ذبة [٤٣٦] و زنابير.

و عمل بقرية من قرى ماسبندان تسمى تومان، طلسماً لأجمة كانت هناك لا يسلكها أحد فى الشتاء إلا غرق فى طينها.

و عمل فى هذه القرية أيضاً طلسماً لحمية كانت هناك ماؤها شديد الحرّ، كانت تظهر فى الشتاء و ينقطع ماؤها فى الصيف. فلما
طلسمها جرى ماؤها شتاء و صيفا و لم ينقطع فى وقت من أوقات السنة.

و من عجائب قرميسين أن الهواء لم يكن يهب فيها فى الصيف ليلاً و لا نهاراً.

فشكا قباد إلى بليناس ذلك، فعمل لها طلسماً حتى هب الهواء بها على ما يهب فى غيرها.

و طلسم أيضاً قرية بالقرب منها يقال لها كركان. و كانت تقوم بها سوق فى كل عام فيتلف فيها خلق كثير بالعقارب. فقلت العقارب
فيها و خف عن أهلها ما كانوا يلقون منها. و يقال إنه لا يوجد منها عقرب. و إن وجد لم يضرب. و من أخذ من ترابها و طين بها حيطان
داره فى أى بلد كان، لم ير فى داره عقرباً. و من أخذ منه عند لسعة العقرب إياه و شربه، عوفى لوقته. و من أخذ منه شيئاً و أخذ
العقارب بيده لم يخشها.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢٣

و من عجائبها و هو أحد عجائب الدنيا، صورة شبديز [٤٣٧]. و هو فى قرية يقال لها جانان و مصوره فنطوس بن سنمار. و سنمار هو
الذى [٩٦ ب] بنى الخورتق بالكوفة. و كان سبب صورته فى هذه القرية أنه كان أزكى الدواب و أعظمها خلقاً و أظهرها خلقاً و
أصبرها على طول الركض. و كان ملك الهند أهدها إلى برويز الملك. فكان لا يبول و لا يروث ما دام عليه سرجه و لجامه و لا ينخر
و لا يزد.

و كانت استدارة حافره ستة أشبار.

[فاتق أن شبديز اشتكى و زادت شكواه، و عرف أبرويز ذلك و قال: لئن أخبرنى أحد بموته لأقتله. فلما مات شبديز خاف صاحب
خيله أن يسأله عنه فلا يجد بدا من أخباره بموته فيقتله. فجاأ إلى البهلند مغنيه- و لم يكن فيما تقدم من الأزمان و لا ما تأخر أحذق
منه بالضرب بالعود و الغناء-، قالوا: كان لأبرويز ثلاث خصائص لم تكن لأحد من قبله: فرسه شبديز و سريره شيرين و مغنيه بهلند.

وقال: اعلم أن شبديز قد نفق و مات. و قد عرفت ما أوعده به الملك من أخبره بموته، فاحتل لى حيلة و لك كذا و كذا. فوعده الحيلة.

فلما حضر بين يدى الملك غناه غناء ورى فيه عن القصة إلى أن فطن الملك و قال له: ويحك! مات شبديز؟ فقال: الملك يقوله. فقال له: زه. ما أحسن ما تخلصت و خلصت غيرك. و جزع عليه جزعا عظيما [٤٣٨]. فأمر قنطوس بن سنمار بتصويره. فلما فرغ منه أعلم برويز بذلك. فجاء حتى وقف عليه و نظر إليه و استعبر باكيا عند تأمله إياه و قال: لشد ما نعى هذا التمثال إلينا أنفسنا و ذكرنا ما نصير إليه من فساد حالنا. و لئن كان فى الظاهر أمر من أمور الدنيا يخلو من أمور الآخرة، إن فيه لدليلا على الإقرار بموت جسدنا و انهدام بدننا و طموس صورتنا و درس أثرنا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢٤

للبللى الذى لا بد منه. مع الإقرار باليأس من البقاء الذى لا سبيل إليه أن يبقى من جمال صورتنا و مثال بدننا إلا رسما يتجدد به من أمرنا من الباقيين بعدنا مع ما يدرس من آثارنا و ذكرنا.

فمن خطر بباله هذا فلينظر إلى ما أمرنا به من هذا التمثال. و ليستيقن بدروس رسمه و ذهاب بهجته و إلا فالهلاك غالب على أمره. و قد أحدث لنا وقوفنا على هذا التمثال ذكرا لما يصير إليه حالنا. و توهمنا وقوف الواقفين عليه بعدنا حتى كأننا بعضهم و مشاهدون لهم أو من حضر ذلك منهم من ذكر الحالتين اللتين اختلفتا بصاحبه من الحياة و صحة البدن و نفاذ الأمر و ما حار إلى ذلك محارّه. و من عجائب هذا التمثال أنه لم ير مثل صورته صورة و لم يقف عليه أحد منذ صور، من أهل الفكر اللطيف و النظر الدقيق إلا استراب بصورته و عجب منها و أطال الفكر فيها. حتى لقد سمعت كثيرا من هذا الصنف يحلفون أو يقاربون اليمين انها ليست من صنعة العباد و لا تصوير المخلوقين.

و سمعت رجلا من كبار المعتزلة و مناظريهم [٤٣٩] يحلف بالأيمان المغلظة أنه ليس من صنعة العباد، و ان لله عزّ و جلّ فيه خبيئة سوف يظهرها يوما ما.

و سمعت بعض الفقهاء العلماء يقول [٩٧ أ]: لو أن رجلا خرج من فرغانة القصى و آخر من السوس الأبعد، قاصدين إلى شبديز حتى ينظرا إليه ما عنفا على ذلك.

و أنت إذا فكرت فى أمر صورة شبديز هذه وجدتها كما ذكر هذا المعتزلى.

فإنه إن كان من صنعة الآدميين، فقد أعطى ما لم يعط أحد من العالمين. فأى شىء أعجب و أظرف أو أشد امتناعا من أنه سخرت له الحجارة كما يريد، ففى الموضوع الذى يحتاج إليه أن يكون أسود، أسود. و فى الموضوع الذى يحتاج إليه أن يكون أحمر، أحمر. و كذلك البياض و سائر الألوان. فتبارك الله أحسن الخالقين.

و قال لى أبو على محمد بن هارون بن زياد- و كان حكيما فيلسوفا- و قد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢٥

تجارينا ذكر شبديز فوصلنا إلى هذا الفصل: ما يكون أن تكون حجرة واحدة احتفر فيها هذه الألوان فى المواضيع التى احتيج إليها. و لكنه لما فرغ من الصورة صبغها بما احتاج إليه من الأصباغ. ثم دهنها بعد ذلك بدهن كان يقف عليه. يوهم أن ذلك الألوان خلقه فى الحجر غير معالجة بشىء من الأشياء.

قال: و أنشدنى أبو محمد العبدى الهمذانى لنفسه

من ناظر معتبر أبصرت مقلته صورة شبديز

تأمل الدنيا و آثارها فى ملك الدنيا أبرويز

يوقن أن الدهر لا يأتلى يلحق موجودا بمهزوز

أبعد كسرى اعتاض عن ملكه بخطّ رسم ثمّ مرموز
 يغبط ذو ملك على عيشة رنق يعانيتها بتوفيز
 خلّ عن الدنيا فلا طائل فيها لذى لب و تمييز
 نعمى و بؤسى أعقت هذه تيك، فذو العزّ كمغروز
 و أنشدنى الحسين بن أبى سرح لأبى عمران الكسرى:
 و هم نقرؤا شبديز فى الصخر عبره و راكبه برويز كالبدر طالع
 عليه بهاء الملك و الوفد عكف يخال به فجر من الأفق ساطع
 تلاحظه شيرين و اللحظ فاتن و تعطو بكفّ حسنتها الأشاجع
 يدوم على كزّ الجديدين شخصه و يلفى قويم الجسم و اللون ناصع
 و قال آخر:

شبديز منحوت صخر بعد بهجته للناظرين فلا جرى و لا خب
 [٩٧ب]

عليه برويز مثل البدر منتصبا للناظرين فلا يجدى و لا يهب
 و ربما فاض للعافين من يده سحائب و دقها المرجان و الذهب
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢٦

فلا تزال مدى الأيام صورته تحنّ شوقا إليها العجم و العرب
 و قال أبو الحسن العجلي فى صورة شبديز:
 أباح للطرف السهاد و السهرو و كلّ الجفن بماء منهمر
 طيف سرى و هنا لريا فظهريا حنّدا الطارق فى وجه السحر
 فى الليل يبدو و النهار يستتر تلك التى تترى بشمس و قمر
 و غرة زاهرة تغشى القمر حال بهاها الجمال فقطر
 شبّهتها حين تبدّت فى حفر شيرين فى حسن اعتدال و قدر
 كأنما تنفت سحرا مستمر تكاد تسبى ناظراها من نظر
 بطرّة مشرقة من الطررو حاجب خطّ بمسك فشطر
 و شاهد عقرب فى الخدّ النضرما أن به من ندب و لا أثر
 لولا الذى من أنف شيرين كسر شلت يدا أمره و المؤتمر
 لقد أتى بفعله إحدى الكبرى ما كان أقوى قلبه حين جسر
 ويل أمه لقد تعاطى فعقر فجاهه أمر الأمير فحبر
 و عمّر البهو و قد كان دثرو هى كهاتيك و لكن من حجر
 كسرى و شيرين و شيخ ذو كبر عليهم التيجان من فوق الوفر
 تسقيهم شيرين راحا بقدر فى البهو و البهو عليه محتجر
 يحثهم مدجج على ظهر منصلت حربته ذات شر

كأنما يطرد مهدوب الوبر أو الشبيها يعيران البقر
لا الزام إنسيا ولا الطرف أغر عاداته صيد الظباء و العفر
و الترس في يمناه لما يستتر شاكي السلاح كالكمي المنكدر
كأنما الدرع عليه قد سمرو عن يمين البهو نهر قد زخر
فيه صنوف الصيد من بحر و برو الفلك و النون فيه منشمر
و فارس عن الشمال مستدر تكاد أن تنبض يمناه الوفر
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢٧

[٩٨ أ]

و منهم فوق الحصان قد سكر تكفه شمسته من حرّ و قر (!)
و فوق عقد البهو عند المختبر خلقان مكتوبان في خلق البشر
و الشرفات فوق هامات الحزرو الملكان صعدا كما أمر
في الطاق بأن بالحديد و الدسرو في التماثيل على الماء بقر
ثلاثة من عاقر و معتقريحتهم منازع فيه طمر
و عقد طيقان و نهر محترفو صاحب النهر على الماء خطر
يدفعه من نهر إلى نهر فانظر فهذا و صف ما منه ظهر
فيه لمن عمّر و عظّ و عبريا أيها السيد ذو الوجه الأغرّ
شرفت كسرت و أنكرت ما ذكر (?) من شرف الملك القديم و الخطر
قال: و أنشدني أبو نصر، رجل من أهل قصر اللصوص يذكر شبديز و البناء الذي بقصر اللصوص:

يا طالبى غرر الأماكن حيتوا الديار ببرز ماهن
و سلوا السحاب تجودهاو تسخّ في تلك الأماكن
و تزور شبديز الملوك و تنثنى نحو المساكن
واها لشيرين التي قرعت فؤادك بالمحاسن
فمضى على غلوائه لا يستكين و لا يداهن
واها لمعصمها المليح و للسوالف و المغابن
في كفّها الورق الممسك و المطيب و المداهن
و زجاجة تدع الحكيم إذا انتشى في زى ماجن
انعظت حين رأيتهاو اهتاج منى كلّ ساكن
فسقى رباع الكسروية بالجمال و بالمدائن
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢٨

دان يسفّ ربابه و تناله أيدي الحواضن
و قال بعض الشعراء في شبديز و قد اجتاز بموضعه رجل من الملوك فاستحسن المكان و شرب هناك ثم أمر أن يخلق وجه شبديز و
شيرين بالزعران ففعل ذلك:

كاد شبديز أن يحمم لَمَا خَلَقَ الْوَجْهَ مِنْهُ بِالزَّعْفَرَانِ

[٩٨ ب]

و كَأَنَّ الْهَمَامَ كَسْرَى وَ شِيرِينَ مَعَ الشَّيْخِ مَوْبِذِ الْمَوْبِذَانِ
مِنْ خَلُوقٍ قَدْ ضَمَخُوهُ جَمِيعًا أَصْبَحُوا فِي مَطَارِقِ الْأَرْجَوَانِ
وَ أَنْشَدَ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ [٤٤٠]:

بُوسْتَانٍ طَاقٍ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِثْلَهُ وَ فِيهِ تَصَاوِيرٌ مِنَ الصَّخْرِ مُحْكَمٍ
وَ بَرُوزٍ فِيهِ وَ الْمَرَازِبِ حَوْلَهُ وَ شِيرِينَ تَسْقِيهِمْ وَ شَيْخٍ مَزْمُومٍ
وَ بَهْرَامٍ جُورٍ وَ الْمَقَاوِلِ مِثْلٍ وَ شَرُوبِينَ فِيهِمْ قَاعِدٌ مَتَعَمَّمٍ
وَ خَزْرِينَ قَدْ أُجْرِيَ وَ أَوْمَى بِسُرْعَةٍ إِلَى طِفْلَةٍ حَسَّانَةٍ لَا تَكَلِّمُ
وَ مَوْبِذِهِمْ فِي الطَّاقِ صَوْرٌ عِبْرَةٌ وَ هَرَبْذِهِمْ بِالْجَهْلِ وَ الْجُورِ يَحْكُمُ
وَ كَثٌّ يَحُوزُ الْمَاءَ فِي النَّهْرِ وَاقِفٌ لِيَقْسِمَ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَيْسَ يَظْلَمُ
وَ أُسْرَابٍ عَيْنٍ وَ الْكَلَابِ تَحُوشَهَا وَ طَرَفِ عَلَيْهِ الْمَرْزَبَانَ الْمَكْرَمَ
وَ صَوْرٍ فِيهِ كُلٌّ وَ حَشٌّ وَ طَائِرٌ مِنَ الطَّيْرِ وَ الْعَنْقَاءُ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ
وَ أَسَدٌ وَ صَيْرَانٌ وَ شَاةٌ وَ أَعْنَزُ وَ حَيْتَانٌ بَحْرٌ فِي السَّفِينِ تَعْوَمُ
وَ مَا دَبٌّ مِنْ ذَرٍّ وَ نَمْلٌ وَ عَقْرَبٌ وَ فِيلٌ وَ فَيْالٌ عَلَيْهِ يَدْمَدُ
وَ قَبِجٌ وَ دِرَاجٌ وَ ظَبْيٌ وَ أَرْنَبٌ وَ بَازٌ وَ صَقْرٌ قَدْ يَصِيدُ وَ قَشْعَمٌ
وَ مَكْتَبٌ صَبِيانٍ وَ تَأْدِيبٌ غَلْمَةٌ وَ شَيْخٌ عَدِيمٌ قِيلَ هَذَا مَعْلَمٌ
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٢٩

وَ صَوْرٌ فَطُوسٌ عَلَى الطَّاقِ نَفْسُهُ عَلَيْهِ جَنَاحًا طَائِرٌ لَا يَحْوَمُ

فَسَبْحَانَ رَبِّ سَخَّرَ الصَّخْرَ عَنُودَهُ فَصَوَّرَ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ مَقْوَمٌ

لَقَدْ أَبْدَعَ الرَّومِيُّ فِي الطَّاقِ بَدْعَةً أَقْرَبَ لَهُ بِالْحَدِثِ عَرَبٌ وَ أَعْجَمٌ

وَ بَقْرَمِيسِينَ الدَّكَانَ الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ مَلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ فَعْفُورٌ مَلِكُ الصِّينِ وَ خَاقَانٌ مَلِكُ التُّرْكِ وَ دَاهِرٌ مَلِكُ الْهِنْدِ وَ
قَيْصَرٌ مَلِكُ الرُّومِ عِنْدَ كَسْرَى أَبُو رِيزٍ. وَ هُوَ دَكَانٌ مِنْ حِجَارَةٍ مَرَبَعٌ مَائَةٌ ذِرَاعٍ فِي مِثْلِهَا مِنْ حِجَارَةٍ مَهْدَمَةٌ مَسْمُورَةٌ بِمَسَامِيرِ الْحَدِيدِ، وَ لَا
يَتَبَيَّنُ فِيهِ مَا بَيْنَ الْحَجَرَيْنِ فَلَا يَشْكُ مِنْ رَأْيِهِ أَنَّهُ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ.
وَ أَنْشَدَ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ فِيهِ:

بَيْنَ الْقَنَاظِرِ وَ الدَّكَانِ أُبْنِيَةٌ فَاقَتْ عَلَى كُلِّ آثَارٍ وَ بِنْيَانِ

دَكَانٍ صَخْرٍ عَلَى تَلٍّ بَنُوهُ فَمَا نَدْرَى لِحَجِّ بَنُوهُ أَمْ لِلْإِنْسَانِ

لَأَنَّهَا صَخْرَةٌ مَلْسًا مَلْمَلَةٌ عَجِيبَةُ الشَّأْنِ فِيهَا كُلُّ أَلْوَانِ

قَدْ هِنْدَسُوهُ فَأَوْفُوهُ عَلَى عَمْدٍ وَ هِنْدَمُوهُ فَمَا يَخْفَى عَلَى جَانِ

قَالُوا بِأَنَّ مَلُوكَ الْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ عِنْدَ أَبُو رِيزِ بْنِ سَاسَانَ

وَ بَقْصَرِ اللَّصُوصِ بِنَاءٍ عَجِيبٍ وَ أُسَاطِينِ مُحْكَمَةٍ.

وَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ [٤٤١]: رَأَيْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَ كَأَنِّي أَسْأَلُهُ أَنْ يَمْلَى عَلَيَّ خَبْرَ شَبْدِيزِ وَ

من صوره وكيف صور فقال:

اكتب، استأنسوا بملامس الصخور، و لم يستوقفوا عن صغائر الأمور. و صوروا الجوارى الأبقار، فى الصخور الكبار، كأن لم يسمعوا بجنة و لا نار

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣٠

فى أبنية البلدان و خواصها و عجائبها

قال بطليموس: إن اختلاف الأمم فى ألوانهم و أخلاقهم و أجسامهم و طبائعهم و جميع حالاتهم من ثلاثة وجوه:

واحداه: من بعد الأرض من خط الاستواء. و هو مثل البلاد و انحرافها عن الخط يمينه أو يسره.

الثانى: من قبل طبائع البروج المحاذية لسمت تلك البلاد و الغالبه على طبائعها.

و الثالث: بعد البلاد من مدار الشمس و قربها منه.

فأما الأرض العامرة فى ربع الأرض الشمالى، فما كان منها متيامنا و هو ما بين تغير الربيع إلى تغير الصيف، و هو الذى محاذيها من البروج ما بين الحمل إلى السرطان. فإذا توسطت الشمس وسط السماء كانت على سمت رؤوسهم فأحرقتهم. فلذلك صارت أجسادهم سودا و شعورهم قططا و جتتهم ذابل، و طبائعهم حارة و عامه أشكالهم متوحشه لشده حر أرضهم. و هم الحبشه و الزنج و النوبه و أنواع السودان. و ليس يكون ذلك فيهم وحدهم، و لكنه يكون فى الهواء المحيط بهم. و كذلك ييس دواب أرضهم و شجرهم فى جميع ذلك تحرقه أرضهم.

و أما ما كان متيامنا [٤٤٢] [٩٩ أ] من الأرض فلتباعد سمت رؤوسهم عن مدار الشمس و حرارتها و مدار البروج، كان مكانهم باردا تنالهم كثرة الرطوبة. و تكون

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣١

ألوانهم بيضا و شعورهم سبطه و أجسادهم عظاما و طبائعهم إلى البرد و شكلهم متوحش لشده برد أرضهم. و شتاؤهم شديد مفرط البرد، و شجرهم عظام و دوابهم على مثل هواء أرضهم. و هم الترك.

و أما ما كان من الذين سمت رؤوسهم تحت السرطان و من سمت رؤوسهم تحت الدينة [٤٤٣] فلأن الشمس لا تستوى على رؤوسهم، و لأنهم لم يميلوا إليها جدا، فلذلك هواؤهم حسن التمزيج و موضعهم معتدل، ليس فيه برد شديد و لا- حر شديد. و ألوانهم و أجسامهم وسط، و طبائعهم ممتزجة و مراتبهم فى جميع حالاتهم متقاربة.

و من كان من هؤلاء متيامنا فعاتمتهم أهل ذكاء و فطنة و دقة نظر و علم بالنجوم و غير ذلك من العلوم، لقرب سمت رؤوسهم من مدار الكواكب الجارية و البروج.

فمن أجل ذلك تنازعهم نفوسهم إلى طلب علم النجوم و الآداب. و من كان مشرقا فهم مذكؤون و أنفسهم شديدة و هم أهل تنافس فى الشرف و الزيادة. لأن المشرق فيه طبيعة الشمس.

و من يعزف منهم مغربا، فإنهم مؤثنون و أجسامهم لينه و عامه أعمالهم خفيه.

لأن المغرب للقمر أو لدوتيه من مهلك من المغرب. فلذلك جعل المغرب مؤثنا لينا.

و الشمال خلاف المشرق.

و فى هذه الأقسام قسم مختلفه فى الشبه و الطبائع و الأدب على نحو ما يحيط به من الهواء الحار و البارد و الممتزج و ذلك ينقص و يزيد فى كل كوكب و مكان على نحو ارتفاع الأرض و انخفاضها. و الدليل على ذلك، أن بعض الناس صاروا نواتيه و هم أصحاب السفن البحرية لقرب أرضهم من البحر. و صار آخرون أهل دعه و ذلك لخصب بلادهم و كثرة خيرهم. و كذلك موافقه الأقاليم

للبروج التي عليها في الطبايع. فإن طبايع كل إقليم على مثل طبايع البروج التي تتولاه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣٢

وقسمت [٩٩ ب] الأرض العامرة على أربعة أجزاء:

فأول الأجزاء: أورس، وهي بين الشمال والديبور و يوافقها من مثلثات البروج التي لها ما بين الشمال والديبور وهي مثلثة: الحمل والأسد والقوس و يدبرها المشتري والمريخ. وجميع ما في هذا الربع من الأمم: بريطانية وعليا وجرمانية و انوليه و صقلية و طونيا. و هم أعزاء غير خاضعين، يحسنون أخذ السلاح والعمل به، و هم أصحاب زى و لباس، يحبون مجامعة الذكران و يغارون عليهم و لا يرون ذلك شيئا و لا مأثما. و أنفسهم مذكرة و ليست لهم غيره على النساء، و يهون عليهم الجماع.

و الربع الثاني هو الذى من الجنوب و الصبا. و لهم المثلثات: الثور و العذراء و الجدى. و والى تدبيرهم: الزهرة و زحل مشرقين. و طبايع هذه الكواكب على نحو طبايع الذى يدبرهم. فإنهم يسجدون لها و يسمعون الزهرة أنيس، و الزحل يبسون، و فيه كهنة يخبرون عن الأشياء قبل أن تحدث. و يعظمون أمهاتهم و أخواتهم و جميع الإناث لتدبير الزهرة و زحل إياهم. و فيهم الورع، لأن الزهرة طبيعتها الورع. و بلادهم حارة و يحبون المجامعة و الرقى و الرقص و اللهو و المجون من أجل الزهرة أيضا. و لا يجامعون الذكران، و ينكحون أمهاتهم و يولدونهم و يرون أن ذلك تعظيم لهم. و أنفسهم عظيمة. و هم أشداء مقاتلون لتشريق زحل. و نصيب هذا الربع من وسط الأرض: أروميا و قلسوسينا و توريا و حلبايا. و هذه البلدان من الشمال و الديبور. و هو الحمل و الأسد و القوس. و والى تدبيرهم المشتري و المريخ و الشمس و عطارد. و لذلك صاروا أهل تدبير و صناعة و تجارة و عقل و سخاء.

و كتابه. و فيهم غش و خبث.

و أما الربع الثالث:

فمنها: أرمينية الأولى و الثانية و الثالثة و الرابعة. و البلدان التي بين الشمال و الصبا. و هو أحد (٤٤٤) التي يقال لها الجامع. و واليها من المثلثات التي بين

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣٣

الشمال و الصبا و هي الجوزاء و الميزان و الدلو [١٠٠ أ] و أصحاب تدبيرها زحل و المشتري مشرقين، فلذلك صار الذين في هذه الكور يسجدون للشمس و المشتري و هم يشبهون المجوس و عباداتهم و آدابهم حسنة. و لهم ملاحه و قبول. ماضين للحق، مقتصدين في مجامعة النساء. و يحبون البر و الصلوة. و عامة ذلك من تشريق زحل و المشتري.

فأما الربع الرابع الذى بين الحوت و الميزان و اليه من المثلثات: السرطان و العقرب و الحوت. و مدبرهم من الكواكب: المريخ و الزهرة مغربين. فأسماء الأمم التي في هذا الربع: قونية و ميدنية و إفريقية و مور طلينا و طنجه و مراميه.

فلذلك أهل هذه البلاد يملكون رجلا- و امرأة. فأما الرجل فيملك الرجال، و المرأة تملك النساء. و يحبون مجامعة الإناث و عامة نكاحهم زنى. و يحبون الزينة و المال، و يتزينون بزى النساء من أجل الزهرة. و هم أهل غش و سحر و جراه [فى إلقاء] أنفسهم فى المهلكة من أجل المريخ و ولايته إياهم.

و نصيب هذا الربع من وسط الأرض و سقى و تمريقى و البرط السفلى و اطرز المغرب و مارثها و الحبشة و الاسطون و هم ما بين الشمال و الصبا.

و لهم من المثلثات: التومين و الميزان و الدلو. و مدبرهم من الكواكب: زحل و المشتري و عطارد. و هذه الكور قريبة من مدار الكواكب الخمسة الجارية إذا كانت مغربة. و لذلك هم أهل تدين و تعظيم الآلهة. يعرفون حقها و يحبون النياحة. و لهم آداب كبيرة مختلفة و أديان متفرقة. و إذا ملكوا كانوا أذلاء جناء صابرين. و إذا ملكوا كانوا أهل طيب أنفس و عطية كثيرة. و خلقهم على نحو طبيعة أرضهم.

و عامة ذكرانهم ضعفاء مؤنثون يتركون الجماع من حيث ينبغي و يأتون النساء من حيث لا ينبغي لتقريب الزهرة. و ذكروا أن الأرض و الماء و سائر الطبائع كرية. و ان استدارة الأرض كلها و جبالها و بحارها أربعة و عشرون ألف ميل. و ان قطرها و عمقها و عرضها سبعة آلاف و ستة و ثلاثين. و انهم استدرکوا ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مدينتين هما على خط الاستواء مثل مدينة تدمر [١٠٠ ب] و الرقة، فوجدوا ارتفاع

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣٤

القطب في مدينة الرقة خمسة و ثلاثين جزءا و ثلثا. و ارتفاع القطب في مدينة التدمر، أربعة و ثلاثين، بينهما زيادة جزء و ثلث. ثم مسحوا ما بين الرقة و تدمر فوجدوه سبعة و عشرين ميلا. فعلموا أن لكل جزء و ثلث، جزء من أجزاء الفلك الأعظم. فالظاهر من الفلك سبعة و ستون [٤٤٥] ميلا. من الأرض، و الفلك ثلاثمائة و ستون جزءا على ما اتفق عليه علماء الروم و الهند و بابل. و إنما قسموه هكذا، لأنهم وجدوا الفلك قد اقتسمته البروج الاثنا عشر، و وجدوا الشمس تقطع كل برج منها في شهر و تقطع البروج في ثلاثمائة و ستين يوما. فهذه القسمة و المقاييس استدرکوا علم الساعات و الكسوفين. و بها استخرجوا الآلات و الاضطرابات و عليها وضعوا كتبهم.

و قالوا أيضا: الفلك مستدير. و استدلوا بذلك لأنه يدور على محورين و قطبين، اللذين هما القطب الشمالي. و الجنوبي فأما أهل البلدان التي مالت إلى ناحية الشمال، فإنهم يرون القطب الشمالي و بنات نعش و لا يرون القطب الجنوبي و لا الكواكب القريبة منه. و لذلك صار سهيل [٤٤٦] لا يرى بناحية خراسان و يرى في العراق أياما في السنة. فأما في البلدان الجنوبية فإنه يرى فيها السنة كلها. فمتى مال إلى الناحية الجنوب، غاب عنه القطب الشمالي و الكواكب التي تقاربه. و هذه الكواكب التي هي قريبة من القطب تدور حوله دورانا مستديرا مستويا يرى بالعيان مثل الشمس فإنها بالصيف تطلع من وسط المشرق ثم تصعد في الفلك صعودا مستويا، ثم تهبط على مثال ذلك الدور، ثم تغيب تحت الأرض. فتدور هناك مثلما تدور هاهنا حتى تطلع.

و زعموا أن البحر أيضا كروي مدور. و برهان ذلك أنك إذا لججت فيه غابت عنك الأرض و الجبال شيئا بعد شيء حتى خفى ذلك كله، و لا ترى شيئا من شوامخ الجبال. فإذا أقبلت نحو الساحل، ظهرت [١٠١ أ] لك قلال الجبال و أجسامها شيئا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣٥

بعد شيء. فإذا قربت من الساحل، ظهرت الأرض و الأشجار. و الأرض قسمان:

أحدهما مسكون و الآخر غير مسكون. و المسكون منه قسمان: أحدهما مفرط الحر و هو جهة اليمين لأن الشمس تقرب منه فيلتهب هواؤه. و الآخر جهة الشمال و هو مفرط البرد لبعده الشمس منه.

فكل مدينة موضوعة في جهة المشرق فهي أشد اعتدالا و أقل اسقاما. لأن الشمس تصفى تلك المياه التي تجري فيها. و المدن الموضوعة بإزاء المغرب، تكثر أمراض أهلها لأن مياههم كدرة متغيرة، و هواؤهم غليظ، لأنه يبقى تلك الرطوبات فيه فتغلظ مياههم.

و المدن الموضوعة على جهة الجنوب تكون مياهها حارة كدرة متغيرة مالحة لينه تسخن في الصيف و تبرد في الشتاء. و أبدان أهلها رطبة لينه لما يتحلب إليها عن الرطوبات من أرضهم. و تكثر نساؤهم الإسقاط بسبب الرطوبات و لا يقدر أن يكثر من الطعام و الشراب لضعف رؤوسهم. لأن كثرة ذلك تغم أدمغتهم و تغيرها. و قلما تعرض لهم الحميات الحارة.

و المدن الموضوعة في جهة الشمال على إزائه فإن مياهها فاسدة رطبة ثقيلة النضج. و أهلها أقوياء أشداء عراض الصدور دقاق السوق رؤوسهم صحيحة يابسة و أعمارهم طويلة لصحة أبدانهم و كثرة فضول الرءوس. و تكون أخلاقهم و حشيتهم.

و يقل حمل نساؤهم، لكنهن لا يسقطن لبرد الماء و يبسه و يلدن بشدة و صعوبة و تتسع لذلك صدورهن. و إنما رقت سوقهن لارتفاع

الحرارة عنها. و يكثرون الأكل و لا يكثرون الشراب.

قال: و سكان ناحية الجنوب سود جعاد دقاق الكعوب كحل العيون سود الشعور خفاف اللحوم. فيهم الحفظ و الذكاء و البرّ و الطرب و الحرص و السرقة.

و سكان ناحية الصبا أقرب شبها بأهل ناحية الجنوب و هم دونهم فيما و صفت. و سكان ناحية الدبور أقرب شبها بأهل ناحية الجنوب و هم دونهم.

و أهل المغرب مختلفون في هيئاتهم، فأما سكان سواحل البحر منهم فقريب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣٤

شبههم من سكان ناحية الجنوب. و سكان ناحية الصبا قريب شبههم بناحية الشمال.

و أهل [١٠١ ب] الهند ممتزجون لأن بلادهم من بلاد الشمال و الجنوب.

و لذلك حسنت أخلاقهم و أجسامهم و وجوههم و اعتدلت. و كذلك من كانت محلته بين الشمال و الجنوب و هم أعدل مزاجا و أحسن عقولا.

و أهل مصر أهل غفلة و قلة فطنة.

و البربر الفطنة فيهم فاشية، و ليس فيهم كبير و لا لهم مكر.

و الروم أهل صلف و تكلف.

و أهل الشام أهل غفلة و سلامة.

و أهل الحجاز أهل معازف و لهو و مداعبة و تأنيث.

و أهل العراق أهل فطنة و غدر.

و أهل الهند أهل غفلة و شجاعة و لين.

و أهل الصين أهل طلب و خفة و جبن و حذق بالصناعات.

و أهل اليمن أهل غفلة و خفة و لين.

و أهل خراسان أهل غفلة و بخل و حرص و شجاعة.

و قال بقراط في كتاب الأهوية و الأبدان: إن ما كان من الأمصار مقابل شرق الشمس. فرياحه سليمة و ماؤه عذب و أهله قلما يضرهم تغير الهواء. و كان يقول:

المياه التي تنبع من مواضع مشرقة و من تلاع و روابي، أفضل المياه و أصحها، و هي عذبة. و بلدها أصح البلاد، لا يحتاج إلى كثرة مزج الشراب، و لا سيما الشرقي الصيفي. لأنها تكون براقه طيبة الريح اضطرارا.

و قال فسطوس في كتاب الفلاحة: أصلح مواضع البنيان أن يكون على تلّ أو كبس [٤٤٧] و ثيق ليكون مطلا. و أحق ما جعلت إليه أبواب المنازل و أفنيتها و كواها،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣٧

المشرق و استقباله الصبا. فإن في ذلك صلاح الأبدان لسرعة طلوع الشمس و مرّها عليهم. و أن توسع البيوت و يرفع سمكها و تكون أبوابها إلى المشرق. لأن ريح الجنوب أشدّ حرا و أثقل و أسقم.

و أصح البلدان ما كانت على رؤوس الجبال و الأماكن التي تواجه مهبّ الصبا. و ما كان في قعور و أغوار و مواجهة لريح الجنوب أو الدبور، فهي مواضع رديئة مولدة للأمراض.

و الصواب أن تتخذ الدور بين الماء و المشرق و أن تكون شرقية، و البساتين غربية. و من قرب منزله من النهر كان أقل انية ممن [١٠٢]

[أ] بعد عنه. و قالوا:

لتكن دوركم شرقيةً و ضياعكم غربيةً. و قال ابن كلدة: جميع خصال الدار، أن تكون على طريق نافذ و ماؤها يخرج، و ليس عليها متشرف، و حدودها لها، و تكون بين الماء و السوق. و تصلح أفيتها لحظ الرجال و بلّ الطين و موقف الدواب. و إن كان لها بابان فذلك أمثل.

و كان إياس بن معاوية يقول: شرقي كل بلد خير و أفضل من غريبه.

و كان يقال: الجار ثم الدار، كما الرفيق قبل الطريق.

و قال يحيى بن خالد: دار الرجل دنياه. فينبغي أن يتنوّق في دهليزه فإنه وجه داره و منزل ضيفه و مجلس صديقه إلى أن يؤذن له. و مستراح خدمه و موضع مؤدب ولده و منتهى حدّ المستأذن.

و لما قدم موسى بن جعفر على المهدي، كلمه في ردّ فدك. فقال له: أنا ناظر في ذلك، و لكن أين حدودها؟ قال: أما الأول فعريش مصر. و الثاني: دومة الجندل. و الثالث: أحد، و الرابع: سيف البحر. فقال المهدي: هذه الدنيا كلها.

فقال موسى بن جعفر: هذا كان في أيدي اليهود، فأفاه الله على رسوله (صلى الله عليه و سلم) [٤٤٨].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣٨

و كان على رجل من ثقيف دين فطولب به. فقال له الحسن البصري: بع أرضك و اقض دينك و أربح نفسك. فقال: يا أبا سعيد! إنا أهل بيت لا نبيع التراب حتى نصل إلى التراب.

و قال عيسى بن بشر الكوفي: أردت شراء دار فسألت جعفر بن محمد رضى الله عنه [٤٤٩] عن ذلك، فقال: اشتراها. فإن الدار مكرمة.

و في بعض الخبر قال: من قدم بلدا فأخذ من ترابه و جعله في مائه و شربه، عوفى من وبائه.

و قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر: ما السرور؟ قال: امرأة حسناء و دار قوراء و فرس مرتبط بالفناء.

و قيل لرجل بنى دارا و أعظم النفقة عليها: ما أشدّ ما مرّ عليك في بناء هذه الدار؟ قال: أشد ذلك جمعا قائما، الفعلة. و أسهل الأمور النفقة.

و قال بعضهم: سعة الدار تزيد في عقل الرجل، كما أن ضيقها ينقص من عقله. و ذلك أن الرجل إذا كان ضيق المسكن فدخل إليه داخل قصف عقله عند حرمه مخافة أن تبدو منهن عورة أو يظهر منهن ما لا يحب ظهوره. فإذا كان واسع المسكن [١٠٢ ب] فجميع عقله معه.

و ذكر بهود بن القردمان أنه لما فرغ من بناء الدار التي بنيت لأنوشروان بالمدينة العتيقة أعلم بذلك فأمر المنجمين باختيار يوم لينتقل إليها فيه. ففعلوا ذلك. فلما دخلها و قد نصب سريره و سدلت ستوره و هيئ له تاجه. فلما استوى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٣٩

على السرير و رأى بهاءها و حسنها و جلاله فرشها و آلتها، استعبر عند ذلك باكيا لخطرة خطرت بباله من ذكر الموت و قال: إذا كان سرور الدنيا الذي يمنعه فناؤه و كثرة ما ينوبه من العاهات، فكيف بسرور الآخرة مع بقائه و خلوصه من كل مكروه؟ و إن في هذا لعبرة ينبغى أن لا- تسقط على ذى حجي فيرفض الكثير الفانى القليل الباقي [٤٥٠]. و ما أحسبنا إلّا و نجد أشرفنا من الدنيا فيما رفضنا من مخفوض مخاليلها و أشخصنا الأبصار إلى ما تطأطأ من أعلام غرورها. و نحن أحرى أن نوجه ذلك جهته، فيكون غفرانا لما بلغته الدنيا فينا من نهمتها.

ثم قال: أيها الناس! إن الذى بلغنا منه بأقصى قدرتنا لا يمتنع من الخراب و البلى بتوزيعنا إياه و فقده إيانا، و ان مداه قليل الغناء عند طول الأجل منا.

ثم نادى مناديه ان الملك يعزم على كل من حضر إلّا قام فأخبر بعيب ان عرفه فى بناء الملك فأحجم الناس جميعا عن ذلك. فقام رجل ذميم المنظر رث الهيئة فقال: إن الملك قد عزم علينا بما عزم علينا. فلو لا التأثم من عزمه لكان موضوعا عاما ما أمر به. فلذلك نستجيز أن نقول ما وافقنا و خالفه. و من عيوب بنائه، أنه بنى فى غيطة من الأرض لا تقع عليه العيون حتى تقرب منه. و أولى المواضع ببناء المدن و الدور، المشرف من الأرض لتعلو على ما حولها، و تنظر [ها] الوفود من بعد. و منها: ان منزل نسائه أعلى منازلها. و ذلك دليل فى الطيرة على أن أمر النساء سيعلو على أمور الرجال. و منها: ان حق صحن الدار أن يعمر بالخدم و الحاشية و كثرة من يدخل و يخرج. و هذا الصحن يفضل عن حاشية الملك و خواصه و يتسع عنهم. و أخرى لم أشأ ذكرها. فإن يكن الملك قد عرفها [١٠٣ أ] و إلّا فليعنى من ذكرها. فقال له أنوشروان: كأنك تقول إنى لم أنفق فيما عملت من هذا درهما من بيوت أموالنا، و إنما عملت ذلك مما أفاءت علينا أطراف الأستة و نحور الخيل من أموال أهل حربنا و أعداء أهل ملتنا المكتنفين لحوزتنا. قال: لئن قال الملك ذلك فما أفاد رسما إلّا ياتلاف رأس من رؤوس أساورته و لا عوض

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤٠

منهم بما خطر بهم فيه و عرضهم له. فهذا الذى عندى من عيوب هذا البناء.

فقام رجل آخر فقال: قد سمعت مقالة هذا فى عيب ما عاب فى بناء الملك.

و أنا أقول مثل قوله عن فضل طاعته منه، و رضا منه عنه. فقد بلغ غاية الاسخاط للذى رضاه خلاف رضاها. و إن كان الملك أباه بجهاله بما فيه، فليس بأصغر الخطأين و لا أقلهما فيما ألزمه من وزره. بل لو كان ذلك على معرفة فيما لا يشك فيه من التقصير عن شكره لكان الملك هو الجانى على نفسه. و أشد من هذا و أفحش، ان الملك عسى أن يقول: إنى إنما أردت بما شيدت من هذا البناء إعزاز الدين و تفخيم أمره. فلينظر، فإن كان شىء من أمر الدنيا موافقا لأمر الدين، فقد صدق فى ظنه. و كذلك العائب له. و إلّا فالعيب فى ذلك لازم له دون غيره.

و قام آخر فقال: قد سمعت أيها الملك ما قالوا و سبقانى به. و أشد منه و أعيب أن كان خاصية الملك و أحباؤه لم يجهلوا هذا و أغضوا عليه فلم يؤد أحد منهم إليه شيئا من حقه فى تبيينه له أو جهلوه و لم يعرفوه. فكل أحد أغنى له و أفصح منهم له و أحق بالموضع الذى وضعهم به. ثم أطرق الناس. فقال الملك خافضا صوته: قد علمنا أن أم الفواحش لم تكن تسوغنا ما هجينا به من مجلسنا هذا حتى يكدره علينا من طمع فى ذلك من وانها [٤٥١] فقد لزمته الخبرة و الخطأ. ثم سأل عن نفر المتكلمين فإذا هم قوم متظلمون: اثنان من أهل تستر و الآخر من أهل أردشير خرة. فأمر بإنصافهم.

و أنشد أبى لمحمد بن القاسم بن يحيى المرتجى فى بناء دار [١٠٣ ب]

أتمها الله من دار و أكملها بالأمان من الآفات ظللها

لله ما هى أبهاها و أنبلها لله ما هى أحلاها و أشكلها

هذا تلؤلؤها قبل التمام فلو تمت حمت كل ذى طرف تأملها

الله جللها نورا و جمّلها بالحسين فتى الإفضال فضلها

سبحان خالقه سبحان خالقها سبحان من منه بالتشريف سربلها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤١

لم يبق فى الدور بل فى الأرض من حسن إلّا و أصبح مجموعا بها و لها

فالحسن خارجها و الحسن داخلها و الحسن يضحك أعلاها و أسفلها

لو كملت صورة من حسنها بشر الكملت و هى تمثال ممثلا

كانها غادة أهدت لمالكها عشقا فوشحها حليا و كَلَّها
 حبا أعاليتها من عسجد بدعاصيغت و بالدّر و المرجان فضّلها
 ما يبصر المرء فيها بدعة بعدت إلّا رأى حسرة أن لا يقتلها
 كأنها درة بيضاء أبرزها لا تعرف العين أخراها و أولها
 كأنها روضة زهراء ناضرة جاد الحيا زهرها ليلا فأخضلها
 كأنها جنّة الفردوس أنزلها إليه ذو العرش إكراما لينزلها
 لم يقض في مصر أن تبدو محاسنها إلّا ليؤمنها من أن يزلزلها
 في بقعة حرّة كالمسك تربتها فلم يكن لسوى حرّ ليجعلها
 لقد حبا داره منه و خولها فتى يرى الأرض نورا أن يخولها
 لم بينها و يوسّع باب مدخلها إلّا يقصدها الراجى و يدخلها
 فلن يساويه حر بعد يعدله حتى تساويها دار فتعدلها [٤٥٢]

[١٠٤ أ] و قد (٤٥٣) قوم البناء و ذموه و رووا في ذلك أخبارا كثيرة أنا ذاكِر بعضها إن شاء الله:
 رووا أن النبي (صلى الله عليه و سلم) قال: ما أنفق الرجل من نفقة، إلّا كان خلفها على الله عزّ و جلّ ضامنا لذلك، إلّا ما كان في بنيان
 أو معصية.

و قال عليه السلام: إذا أراد الله بعبد هونا، أنفق ماله في البنيان.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤٢

و قال عبد الله بن زحر: من كسب مالا حراما، بعث الله عليه منتصرات من الأرض.

و قال مروان لأبي هريرة: اكتب لنا شيئا نذكرك به. فقال: تبون ما لا تسكنون، و تأملون ما لا تدركون، و تجمعون ما لا تأكلون. قال:
 اكتب لنا غير هذا. قال: ما عندي غيره.

و قال الله عزّ و جلّ في ذم البناء «أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَ تَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ».

و دخل النبي (صلى الله عليه و سلم) المسجد فإذا هو بعبد الله بن رواحة و أبي الدرداء بمساحته. فقال: ما هذا؟ قال: أردنا أن نمسحه
 ثم نسأل في الأنصار فنبيه مثل المسجد الذي بالشام. فقال عليه السلام: خشبيات و ثمام و ظلّه كظلّه موسى، و الأمر أعجل من ذلك.

و قال إسحاق بن سويد: كانت المساجد بالقصب مدة، ثم صارت بالرهص حيناً، ثم صارت باللبن زمنا، ثم صارت بالآجر. فكان
 أصحاب القصب خير من أصحاب الرهص [٤٥٤]، و أصحاب الرهص خير أصحاب اللبن، و أصحاب اللبن خير من أصحاب الآجر.

و قيل للمسيح: لو اتخذت بيتا جديدا. قال: يكفيننا خلقان من كان قبلنا.

و قال حذيفة لسلمان: ألا تبني لك بيتا؟ فكأنه كره ذلك. فقال حذيفة:

رويدا حتى أخبرك أننى أبني لك بيتا إذا اضطجعت فكان رأسك من هذا الجانب و رجلك من الجانب الآخر، و إذا قمت أصاب
 رأسك سقفه. قال: كأنك كنت في نفسى.

و لما بنى معاوية الخضراء قال لأبي [٤٥٥] ذر: كيف ترى هذا البناء؟ قال: إن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤٣

كنت بنيته من مال الله، فإنك من الخائنين. و إن كنت بنيته من مالك فإنك من المسرفين.

و كان الثورى يقول: ما أنفقت درهما قط في بناء.

و بلغ عمر أن رجلا من عماله يقال [١٠٤ ب] له هارون جصص بيته. فكتب إليه: إلى هارون بن أم هارون و بيته المخصص.
و بنى ابن مسعود [بيتا] فقال له عمارة: بنيت شديدا و تأمل بعيدا و تموت قريبا.
و بنى رجل بناء عاليا فقال له بعض الزهاد: نزلت حيث رحل الناس و أنشد:
أبعد عاد ترجون الخلود و هل يبقى على الدهر بيت أسه المدر
إلى الفراق و إن طالت سلامتهم يصير كل بنى ام و إن كثروا
و بنى رجل دارا فقال للحسن البصرى: كيف ترى هذا البناء؟ قال: أما أهل الأرض فغزوك، و أما أهل السماء فمقتوك.
و قال الحسن لرجل بنى بناينا عاليا: عمدت إلى رزق الله فجعلته فى رأس قصر جبار.

و قال المدائنى: لما بنى عبيد الله بن زياد البيضاء بالبصرة أمر و كلاءه أن لا يمنعوا أحدا دخولها و أن يحفظوا كلاما إن تكلم به إنسان. فدخلها أعرابي - و كان فيها تصاوير - فتأملها ثم قال: لا- ينتفع بها صاحبها، و لا يلبث فيها إلا قليلا. فأتى به ابن زياد و أخبر بمقالته. فقال له: لم قلت هذا؟ قال: لأنى رأيت أسدا كالحا و كلبا نابحا و كبشا ناطحا. فكان الأمر على ما قال. لم يسكنها إلا يسيرا حتى أخرجه أهل البصرة إلى الشام و لم يعد إليها.

و فى خبر آخر: أنه لما بنى البيضاء أمر أصحابه أن يسمعوا ما يقول الناس.
فجاؤوه برجل فقيل له: إنه قرأ- و هو ينظر إليها:- «أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤٤

وَ تَخْتَدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ». فقال: ما دعاك إلى هذا؟ قال: آية من كتاب عرضت لى. فقال: و الله لأعملن بك بالآية الثالثة: «وَ إِذَا بَطَشْتُمْ، بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ».

ثم أمر فبنى عليه ركن من أركان القصر.

و أنشد لبعضهم.

يا أيها البانى بناء يفنى هل أنت محتال فبانى حصنا؟
من حدت الدهر يكن محبباًم للخراب يا ضعيف بينى؟
إن كنت لا تبقى فلم تعنى يكفيك بيت أن يكون كئا
[١٠٥ أ]

أما ترى الدهر الذى قد أخنى على بنى آدم كيف أفنى؟

السلف الماضين قرنا قرنا فلم يذر منهم أبا و لا ابنا

و قال بعض الشعراء و قد نظر إلى قصور آل طاهر بالشاذياخ و قد خربت [٤٥٦]:

و كان الشاذياخ قصور ملك فزال الملك عن ذاك المناخ

و كانت دورهم للهو و قفافصارت للنوائح و الصراخ

فعين الشرق باكية عليكم و عين الغرب تسعد بانتضاح

كذاك يكون من صحب التراخى فذاك الدهر يعقبه التراخى

و قال (٤٥٧) فى ذلك:

فإن يمس وحشا بابه فلربما تراحم أفواجا لديه الركائب

يحيون بساما كأن جبينه هلال بدا و أنجاب عنه السحائب

و ما غائب من غاب يرجى إيا به و لكن من قد ضممه القبر غائب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤٥

و قال آخر فى ذلك [٤٥٨]:

فتلك قصور الشاذياخ بلاقع خراب يباب و الميان مزارع
و أضحت خلاء شادمهر و أصبحت معطلة فى الأرض تلك المصانع
و غنى مغنى الدهر فى آل طاهر بما هو رأى العين فى الناس رائع
عفا الملك من أولاد طاهر مثلما عفا جشم من أهله فمتالع
و أيامهم كانت لديهم و ودائعهم فدهر فرد الودائع
و قال آخر فى البرامكة:

أوحش النوبهار من بعد جعفر و لقد كان بالبرامك يعمر
قل ليحى أين الكهانة و السحرو أين النجوم عن قتل جعفر
أنسيت المقدار أم زاغت الشمس عن الوقت حين قمت تقدر
كيف لم تسحر السيوف فلا تعمل فى جعفر كما كنت تسحر؟
إن يحيى بن خالد و بنه أصبحوا فكرة لمن يتفكر
و قال آخر منهم:

مررت على ربع ليحى بن خالد و باطنه يشكو الخراب و ظاهره
فكادت مغانيه تقول من البلى لسائلها عن أهلها مات عامرة
و قال آخر

مررت على دار لظمياء باللوى و دار لليلى إنهن قفار
فقلت لها يا دار غيرك البلى و عصران ليل مرة و نهار
فقلت نعم أفنى القرون التى مضت و أنت ستفنى و الشباب معار
لئن طلن أيام بحزوى لقد أتت على ليال بالعقيق قصار
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤٦

[١٠٥ ب] و مر بعض الكتاب بالدسكرة فرأى ما فيها من البنيان و المصانع و القصور و خان الآجر و حبس كسرى و المدينة
فقال [٤٥٩]:

يا من يأم إلى بغداد مجتهد أرح مطيئك بين الحبس و الحان
بين القناطر و الدساكر و القرى فمحل كسراها أنوشروان
تنيك آثار الملوك بأنهم كانوا ذوى بأس ذوى سلطان
و لقد عجبت و فى الزمان عجائب ما عاينت عيناى فى الإيوان
إيوان كسرى شاهق شرفاته على الذرى مستوثق الحيطان
ما أن به إلا الصدى و حمائم مخضرة تدعو على الأغصان
بعد النواعم و الأوانس بدلت هاما و عقباننا مع الغربان
و تبدلت بعد الأيس فما ترى إلا العزيز بها من الجنان

و قال يحيى بن معاذ: اصرف طرفك فى القصور المشيدة و الحصون الممردة الأركان، الشاهقة الجدران، و انظر إلى الأبواب المترفة

العجيبه البيان. كيف قد نظمت بكيد المحتالين و إنفاق المشرقين و مهارة الشابين [٤٦٠]. عريضة القواعد، محكمة الوسائد، منيفة الذرى، صعبة المرتقى. للطير فى جوانبها و كور، و للقطر فى معالمها ندوب. قد أنافت على الأبنية (٤٦١) [٤٦١] و تطولت على الهضاب بارتفاعها. و أحكمها عاملوها و جردوا فكرهم فيها و بذنوا ذخائرهم فيها و أزاحوا علل مشيديها، و بلغوا أقصى الأمل منها. و جعلوها عدة للدهر و حصنا للزمن. فلا ينالهم فيها عناء. و لا ظفر محاول. فيها العيون الجارية و القباب العالیه و الحجر السامية. و الخرد النواعم و الأبار الفواتن يجرن فى عرصاتها الذبول، يسطع منهن ذكى المسك و يعبق العنبر. ترى باطن حيطانها كالو [٤٦٢] ذابله تبرق بماء البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤٧

الطراة. قد مثل فيها التصاوير من الطير و السباع و البهائم و البسنا [٤٦٣] المرسلات الشعور الفاتنات الثغور. إذا تأملها الناظر توهمها تنطق بألسنة الابتهاج. فكانت لهم مساكن مدة من الدهر، يكلفون بعمارتها، و يفنون فى فنون نعمتها، و يرتعون فى صحون عرصتها. حتى إذا قصدتهم العزم بانتزاع [٤٦٤] ما فى أيديهم من عوارف النعم، و صبحتهم المثل بخواطف التكبر. فأسلمتهم إلى مدة الفناء و نزعهم من البقاء. فعادت القصور خلاء لا- أنيس فيها و لا ديار بها. قد أخذ الخراب فى أطرافها. و استحالت إلى تحير القصد محارتها. و تنكرت له الأيام مترجمة عما تؤول إليه عواقب أمرها. فللرياح فيها هتيف، و للجن بها عزييف. تصفقاها هوج الأعاصير، و تبت فى أغراضها أسهم الدمار. يوقد رمتها عين البلى. و تناولتها يد الفناء. يحار الطرف فى حجراتها، و تعجب الأفكار من عرضاتها. لا أنيس فيها و لا- أحد يخبر عنها، و لا- عالم ينيك عن أهلها، و لا يحدثك عن سكانها. يرتاع قلبك إذا دخلتها، و تخفق جوانحك متى تأملتها و يسترهن اعتبارك [١٠٦ أ] نقوش طيقانها و أصباغ حيطانها بعد ما كانت قره عين الناظرين، عادت عبرة للمتأملين. و كذلك فعل الله عز و جلّ بالعباد و آثاره فى البلاد.

قال: و كان السبب فى بناء قصر شيرين- و هو أحد عجائب الدنيا- أن أبرويز أمر أن يبنى له باغ [٤٦٥] فرسخين فى فرسخين. و أن يحصل فيه من كل صيد حتى يتناسل جميعه. و وكل بذلك ألف رجل، و أجرى على كل رجل من كل يوم خمسة أرغفة [من الخبز] [٤٦٦] و رطلين لحما و دورق خمر. فأقاموا فى عمله و ما أمر أن يجعل فيه من الصيد سبع سنين حتى فرغوا من جميع ذلك. فلما تم و استحکم صاروا إلى الفلهبد المغنى و سألوه أن يخبر الملك بفراغهم مما أمرهم به. فقال:

افعل. ثم عمل صوتا و غناه به بين يدي الملك، و سماه باغ نخجيران أى باغ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤٨

الصيد. فطرب الملك عليه و أمر للصناع بمال فجعلوه للفلهبد. فلما سكر أبرويز قال لشيرين: سلبنى حاجة. قالت: حاجتى أن تصير فى هذا الباغ نهريين من حجارة تجرى فيهما الخمر [٤٦٧]، و تبنى لى بينهما قصرًا لم بين فى مملكتك مثله. فأجابها إلى ذلك. و كان السكر قد عمل فيه، فأنسى ما سأله و لم تجسر على أن تذكره.

فقلت للفلهبد: ذكره حاجتى و إليك على أن أهب لك ضيعتى بأصبهان. فأجابها إلى ذلك و عمل صوتا أذكره فيه ما وعد شيرين و غناه إياه. فقال: أذكرتنى ما كنت قد أنسيته. و أمر ببناء النهريين و القصر. فبنى ذلك. و وفى شيرين للفلهبد بضمائها.

فنقل عياله إلى هناك. فلذلك صار من ينتمى إليه بأصبهان.

قال بعض أهل الأدب: قرأت على قصر خراب فى المفاوز هذه الأبيات

يا باني القصر كم أنفقت من مال على بنائك و البنا بالى (؟)

أطمعت نفسك فى سكناه مجتهدا فصار منك و ممن يقتنى خالى

و عاد بعدك قصرًا لا أنيس به لم يبق منه سوى رسم و أطلال

هذا دليل على توحيد خالقنا أرضا (؟) [٤٦٨] و ينقل من حال إلى حال

[١٠٦ ب] قال: و قرئ على حائط شيرين [٤٦٩].

يا ذا الذى غزه الدنيا و بهجتهاو حسن زهرة أنوار البساتين
و الدور تخربها طورا و تعمرها باللبن و الجصّ و الآجرّ و الطين
و المال تكتزه حرصا و تمنعه عن الحقوق التى فيها لمسكين
أما رأيت صروف الدهر ما صنعت بالقصر قصر أبرويز و شيرين
أما نظرت إلى إحكام صنعته كأنه قطعة من طور سينين
قد صار قفرا خلاء ما به أحد إلا النعام مع الوحشية العين
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٤٩

من بعد ما كان أبرويز أشحنها بالدارعين و كتاب الدواوين
و كل ليث شجاع باسل بطل كمثل خريتها أو مثل شروين
و كل رعبوبه بيضاء بهكنة تحكى بنغمتها صوت الوراشرين
و بالعجائب من ألوان زهرتها من بين ورد و خيرى و نسرين
لم يبق من رسمها إلا تلؤلؤها أو ربع دار عفت من طور عبيدين
سبحان من خلق الدنيا و دبرها و أنشأ الخلق من ماء و من طين
و مّ معاوية بوادى القرى فتلا هذه الآية أ تُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ ثم قال: نزلت هذه الآية فى أهل هذه البلدة و
هى بلاد عاد، فأين العيون؟

فجاءنا رجل و قال: صدق الله فى قوله. أ تحب أن أستخرج العيون؟ قال نعم.

فاستخرج ثمانين عينا. و عرف معاوية ذلك فقال: الله أصدق من معاوية.

و قال محمد بن عيينة المهلبى: البئر التى بالماوية هى بئر عاد، لا- يقل ماؤها و لو وردها سائر أهل الأرض. و إياها عنى أبو النجم
العجلى بقوله:

من نحت عاد فى الزمان الأولى

و ذكر الكلبى قال: بينا قوم من كلب يعرفون بنى عمد الله بن كنانة على ما لهم و قد نحروا جزورا و معهم زهير بن جناب الكلبى، إذ
أقبل رجل من بقايا عاد يقال له عبيد بن مسهر و كان أعظم الناس جسما حتى وقف عليهم فهاهم لَمَّا نظروا إليه. فقالوا: دونك الركاء
فشرب جميعه. ثم وقع نائما. فأقام فى نومه سبعة أيام، و هرب القوم فرعا و قد ثبت زهير، فلما استيقظ قال: أين قومك؟ قلت: هربوا من
رهبتك. فقال: أما لينفعنك ذلك. قم اركب معى. فركب معه فدلّه على مياه كانت لعاد مندفة، و لم يكن أحد يعرفها غيره. منها
الدمقانة [٤٧٠] و أثرى و نكب و رج و الحالة و غير ذلك. ثم قال عبيد لزهير: أخبرنى عن ريحك. قال: زفرف تسقط

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥٠

الورق. قال فأخبرنى عن مطركم. قال: يزيل العود و يقلب الحجر. قال: بحسب ريحك يكون مطركم.

قال: و العرب تزعم أن بنى زهير بن جناب أقوم العرب مياها. و هى التى أوقف إياهم عليها عبيد بن مسهر العادى.

و لبنى غاضرة مياه تعرف بلينة يقال إنها ثلاثمائة عين. و يزعم أهل السير أن سليمان بن داود عليهما السلام، خرج من بيت المقدس
يريد الشام فلما صار إلى هذا الموضع الذى يقال له لينة- و هى أرض خشنة- عطش الناس، و لحق أهل العسكر أمر عظيم من ذلك.
و وجه سليمان [١٠٧ أ] عليه السلام جماعة يطلبون الماء، و نزل فى ذلك الموضع لعطش الناس. قال: فينا هو كذلك إذ نظر إلى

شيطان يضحك و يستغرب فى الضحك، فغاط سليمان و أمر بقتله. فقال: لم تقتلنى يا نبى الله؟ قال: لضحكك و الناس مشرفون على الموت. فقال: إنما أضحكك لعطشهم و هم على لجة بحر. قال سليمان: و كيف ذلك؟ قال: مرهم أن يحفروا. فإن الماء على ذراع. فأمرهم بذلك، فحفروا و أنبطوا الماء. و كان رجل قد حفر حفيرة لنفسه. فلما طال على ذلك الدهر، يدفن عامتها و بقى نمرها ما ذكرنا. و فيها يقول مضرس الأسدى.

لمن الديار غشيتها بالإثم فصفاء لينه كالحمام اللبد و يقال: إنه لم يمت قوم عطشا إلا على ماء. و مات قوم من العطش الشجى فى أيام الحجاج- و الشجى منزل من منازل طريق مكة من ناحية البصرة- فاتصل خبرهم بالحجاج فقال: إنى أظنهم دعوا الله حين بلغ بهم الجهد، فاحفروا فى مكانهم الذى كانوا فيه، فلعل الله أن يسقى الناس. فقال رجل من جلسائه: قد قال الشاعر:

ترأت له بين اللوى و عنيزة و بين الشجى مما أحال على الوادى

ما ترأت له إلا على ماء. فأمر الحجاج عبيد السلمى أن يحفر بالشجى بئرا. فحفر فأنبط ماء لا ينزح.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥١

و كانت الفلاسفة تقول: أفضل مستنبت المياه ما كان محاطا بشعاب الأودية.

و أمثل منازل السفر ما اتخذ على مجامع الطرق. و أمثل الغيث ما أمرع.

و قال بعض العرب: إن الله عزّ و جلّ أخفى ماء يارم و البديعة و نعمان و عنلان لعباده المؤمنين. و هذه المياه كلها.

و قال المنصور يوما لجلسائه- و قد تذاكروا البرّ و البحر:- عدوا أربعة عشر مرحلة من أى موضع شئتم، فإنكم لا تبلغون آخر العدد حتى تصلوا إلى البحر، إن شئتم شرقا و إن شئتم غربا.

و قال السدى: الجبل الذى تطلع الشمس من ورائه، ارتفاعه فى السماء ثمانون [٤٧١] فرسخا.

و قال [١٠٧ ب] المروزى [٤٧٢]: قرأت على المأمون جواب أرسطاطاليس أستاذ الإسكندر إلى الإسكندر فيما أعلمه من فتحه البلدان و جمعه الأموال التى يتعذر عليه حملها، و عجبه من بيت ذهب ظهر له بالهند. فأجابه: إنى رأيتك تعجب من عمل عملته أيدى الآدميين، و تترك التعجب من هذا السقف الرفيع الذى هو فوقك و تزين من زينته بالكواكب و نصبه على الحكمة البالغه. فأما البلدان التى افتتحتها، فليكن ملكك إياها بالتودد إلى أهلها. و لا تملكها عليهم بالقهر و البغضاء. فإن طاعة المودة أحمد بدءا و عاقبة من طاعة القهر و الاستكراه. و أما الأموال، فليكن حملك إياها فى جلد ثور. ففهم عنه الإسكندر ما رمز به إليه فى هذه اللقطة و دفن فى كل بلد شيئا من الأموال، و أثبت مواضع الكنوز فى جلد ثور مدبوغ و حمله إلى الروم.

فهو إلى اليوم باق فى خزانة الملك. فربما أمر بإخراجه و انتساخ مواضع منه، و أنفذ قوما من أصحابه و كتبها لهم فاستخرجوها. و أكثر ذلك فى الجبال و المواضع التى يخفى أمرها.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥٢

و اجتاز رجل من بنى تميم برجل منهم و هو يغرس فسيلا. و كان الغارس شيئا. فقال له: كم أتى عليك من السنين أيها الشيخ؟ قال: قد جاوزت السبعين [٤٧٣]. قال: فمهلك يعمل ما أرى؟ فأنشأ الشيخ يقول

اغرس فسيلا و نم عنه فسوف ترى يوما فسيلك إن عمّرت عيدانا

فالعرق يسرى إذا ما نام صاحبه و ليس يسرى إذا ما كان يقظانا

نغرس يا أبا تميم ما ترى. فإن عشنا أكلنا من تمره. و إن متنا خلفناه الأولاد. قال: إنك لبعيد الأمل. قال: اى و الله. إنى لبعيد الأمل،

خائف لقرب الأجل. و لست ممن يفرط في عمران دار لا- يدرى لعله سيطول مقامه فيها. و منها يتزود إلى الدار التي لا يدرى متى يصير إليها. و لو أن من كان قبلنا أخذوا بمثل رأيك ما خلف الوالد لولده شيئاً و لا ورث ميتاً حياً.

قال التميمي: فانصرفت عنه و غبرت برهه من الدهر ثم مررت بذلك المكان.

فرأيت نخلا- عاليا مثمرا و آخر دونه. و إذا فتیان و أحداث، فقعدت إليهم و قلت [١٠٨ أ]: من غرس هذا النخل؟ قالوا: ذلك الشيخ. فأتيته فسلمت عليه ثم قلت:

أ تعرفني؟ فتأملني ثم قال: أحسبك صاحبنا المعنف لنا على غرس ما ترى. قلت:

أنا و الله هو و أنشدته بيته. فعانقني و أقبل يحدثني و قال: إن الله فاعل ما يشاء. فلا يكونن خوفك ماحقا لرجائك و لا بأسك غالبا لطمعك. و إذا الفتیان بنوه و بنو بنيه.

فأقمت في ضيافته أياما و انصرفت.

و قال بعضهم: قرأت على باب قصر خراب [٤٧٤]:

كم قد توارث هذا القصر من ملك فمات و الوارث الباقي على أثر

قال: و قرأت على باب مدينه خراب:

كم من مدائن بالآفاق خالية أمست خرابا و ذاق الموت بانيتها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥٣

و قال بعضهم: مررت في ربض أبي يزيد الشروي و قد خرب. و إذا على باب [٤٧٥] قصره مكتوب:

أفنى جميعهم و خرب دورهم ملك تفرد بالبقاء عزيز

و قرئ على باب قصر:

نزل الموت منزلا سلب القوم و ارتحل

و قال صالح المري: دخلت قصرا بالبصرة و قد باد أهله فرأيت في بعض مجالسه مكتوبا فتلك مساكينهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا. و إذا في الجانب الآخر و لقد تركناها آية فهل من مدكر. و في الجانب الآخر و كم أهلكنا من قزيه بطرت معيشتها فتلك مساكينهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا و في الرابع فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

و قرئ على حائط بيعة بالحيرة: بنيت هذه البيعة و الملك عمرو بن المنذر بن الشقيقه، على يدي عمرو بن حيان. فالإله يغفر له خطيئته و يقبل نقلته إلى دار الحق. و أسفل من ذلك مكتوب:

رأينا () [٤٧٦] بالإنسان جمًا

و لا تنجى من الدهر الحدود

و لا تنجى من الآجال أرض تحل بها و لا قصر مشيد

و حدثنا بعض إخواننا أنه قرأ على باب قصر أشناس بسر مري:

هدى منازل أقوام عهدتهم في ظل عيش خصيب ماله خطر

دارت عليهم صروف الدهر فانتقلوا إلى القبور فلا عين و لا أثر

و قرئ على حائط قصر عادى: [١٠٨ ب]

يموت الذى يبنى و يبقى بناؤه لست ترى بالله فى ذاك عبره

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥٤

فيا غافلا عن حينه أين من بنى مدائن أضحت بعده اليوم مقفرة
 رمت بهم الأيام في عرصه البلى كأن لم يكونوا زينة الأرض مرة
 و ما زال هذا الموت يغشى ديارهم يكرّ عليهم كره بعد كره
 فأجلاهم عنها سريعا فأصبحت مساكنهم في الأرض لحدا و حفرة
 و قرئ على باب قصر:

ما حال من قد عمل القصورا و بات فيها آنا مسرورا
 ثم غدا في رسمه مقبوراً يقيم فيه أبدا مأسورا
 حتى يرى من قبره محشورا إما قرير العين أو مثورا
 و على آخر:

يا من يشيد للخراب بناءه شيد بناءك في الثرى و تحصن
 و ذكر رجل من الصوفية أنه قرأ على باب قصر في بعض السواحل مكتوبا:
 كم كان يعمر هذا القصر من ملك سهل المحيا كريم الخيم و النسب
 دارت عليه المنايا في تقلبها فصار مأواه بعد العز في التراب

قال: و دخلت قصرا فرأيت قصرا حسنا كثير المجالس. فبينما أنا أدوره إذ دخلت مجلسا ما رأيت أحسن منه و فيه قبر عليه مكتوب:
 و لما بنيت القصر أملت نفعه و أتى فيه باقيا آخر الدهر
 فلما استوى و التام بوأت كارها من القصر في بيت هناك و في قبر
 كذلك كان الدهر يفعل قبلنا و لكن تجاهلنا و حدنا عن الأمر
 قال: و رأيت في مجلس آخر مكتوبا:

جار الزمان علينا بعد غبطتنا فلم يغادر لنا في القصر إنسانا
 و صار مأوى لو حش الأرض تسكنه أفناه ريب زمان ثم أفنانا
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥٥

و لو لم يفدك هذا الكتاب من الأخبار العجيبة و الأشعار الظريفة و الأمور الغريبة، لكان فيما يفيدك من أخبار البلدان و عجائب
 الكور و الأمصار بلاغا و مقنعا. فكيف و قد أفادك [١٠٩ أ] علم الماضين و أخبار الأولين. و ذلك علم المعنيين. و وقفك على
 الطريقين و أرشدك إلى الأمرين جميعا: حكمة بالغه و موعظة موجزة. تعرفت منه أخبار الماضين، و أبنية من قد سلف من الأولين.
 و في هذا الخبر الذي أثبتته هاهنا عبرة لمن اعتبر و فكرة لمن تفكر، و دليل على وحدانية الله تعالى، و مخبر عن آياته و قدرته. فصف
 ذهنك و فرغ قلبك و أقبل عليه بسمعك و تفكر فيه، و فيما تضمنته من الأعجوبة. فإن فيه عبرة لأولى الألباب.

قال عبد الرحمن بن محمد بن نصر: سمعت أحمد بن الحسن يذكر عن علي بن عاصم عن أبيه قال: كان الخضر عليه السلام يأتي شبا
 زاهدا من بنى إسرائيل فيحدثه كما يأتي الرجل أخاه و صديقه. و كان الشاب خيرا فاضلا. فبلغ ذلك ملك بنى إسرائيل، فأرسل إلى
 الشام فدعاه و قال: بلغني أن الخضر يأتيك فيحدثك كما يحدث الرجل أخاه. قال الفتى: نعم. قال: فإذا جاء فائتني به.

قال: كيف آتيك به أيها الملك؟ قال: و الله لتأتيني به أو لأقتلنك. قال: أجهد. ثم انصرف الفتى.

فلما كان بعد أيام، أتاه الخضر عليه السلام فقال له: إن ملك بنى إسرائيل قال لي كذا و كذا. قال الخضر: انطلق بنا إليه. فانطلقا حتى
 دخلا عليه. فوقف الخضر فقال له الملك: أنت الخضر؟ قال: نعم. فأعظمه و بجله ثم قال له:

حدثني بأعجب ما رأيت في الدنيا. فقال: أعجب ما رأيت، أني مررت بمدينتك هذه، و هي مدينة لم أر على وجه الأرض مثلها حسنا و جمالا و كثرة أهل و أسواق و عماره، فدنوت من بعض البوابين فقلت: متى بنيت هذه المدينة و من الذي بناها؟ فقال لي: ما يذكر أحد من الناس متى بنيت و لا من بناها. فتركته و مضيت.

و عبرت عنها خمسمائة عام. ثم اجتزت بها فإذا هي تلول و خرابات و لم أر أحدا أسأله عنها. فعلوت بعض تلك التلول، فإذا أنا براع يرعى غنما فتزلت إليه و سألته عن المدينة و متى خربت. فقال: ما نعلم أنه كانت هاهنا مدينة قط، و لا نعرف غير البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥٦

هذه التلول و الخرابات، و لا يدري أي شيء أمرها. فتركته و مضيت. و عبرت خمسمائة عام، ثم مررت بها [١٠٩ ب] فإذا موضعها بحر و قد زالت تلك التلول و الخرابات فصارت كلها فيه. و إذا بجماعة يغوصون فيخرجون اللؤلؤ من قراره.

فدنوت من بعضهم و قلت: مذكم صار هذا البحر هاهنا؟ فضحك ثم قال: سبحان الله. ما زال هذا البحر و هذا المكان منذ كانت الدنيا. فمضيت و غبت خمسمائة عام ثم اجتزت بالموضع فإذا ذاك البحر قد غاض ماؤه و في مكانه غيضة ملتفة بالقصب و البردي و بين ذلك القصب و البردي منافع ماء فيها سمك كثير و صيادون يصيدون ذلك السمك في زواريق صغار. فقلت لبعضهم: أ كان هاهنا بحر؟ قال: لا. ما كان هاهنا إلا هذه الآجام و هذه المياه لا غير ذلك. فانصرفت. و عبرت خمسمائة عام ثم اجتزت بالمكان فإذا رمال متصلة بينها حمى. و إذا [هي] أكثر بلاد الله ظباء. فالتمست أن أرى إنسانا، فلم أر إلا رجلا يصيد تلك الظباء بجباله له.

فدنوت منه و سألته عن تلك الآجام، فقال: و الله ما نعرف و لا آباؤنا و أجدادنا هذا البلد إلا على ما تراه، و ما كانت فيه أجمه و لا شجر و مستنقع قط. فانصرفت متعجبا. و عبرت خمسمائة عام ثم اجتزت به فإذا هو جبل و عر و فيه كهوف يخرج منه الدخان. فلم أر أحدا أسأله عنها إلى أن رأيت رجلا- متعسفا فقصدته و سألته عن تلك الرمال فقال: ما نعرف الموضع إلا على ما ترى. فتركته و مضيت. و غبت خمسمائة عام ثم عدت فإذا مدينتك هذه في تلك المواضع. و إذا هي أحسن ما يراه الناس من قصورها و دورها و حدائقها و أسواقها. فدنوت من بعض البوابين و سألته عنها و مذكم بنيت فقال: يا هذا! ما نعرف هذه المدينة إلا كما تراها، و لا حدّثنا أحد من أولينا أنه يعرف ما فيها. فهذا أعجب شيء رأيته فيما أطوفه من البلدان و اخترقه من المفاوز و القفار.

فوثب الملك عن سريره فسجد للخضر. فقال له: ارفع رأسك و اسجد للذي خلقتني و خلقتك. فقال: أريد أن أصحبك و أخلي ما أنا فيه من الملك. فقال: لا تقدر على ذلك. لأنى اليوم هاهنا و غدا بيت المقدس و بعد غد بمكة. و لكن إن أردت العبادة فاصحب هذا الفتى و كن معه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥٧

قال: فترك [١١٠ أ] الملك مملكته و خرج هو و الشاب يسيحان في الأرض.

و أنشد لبعضهم [في] الزمان:

و لربّ حصن قد تخرم أهله ريب الزمان فبابه مسدود
عدت المنون عليهم من فوقهم و القوم فيه آمنون هجود
فتفرقت أجيادهم و جنودهم عنهم فكلمهم هناك شديد
لم يدفعوا عنهم و إنّ سلاحهم متيسر بفنائهم موجود
من نسج داود النبيّ أعدّها للحرب يوم أعدّها داود
لو أنهم سئلوا القتال لقاتلوا و لنيل منهم فيهم المجهود
فابتزهم ريب المنون نفوسهم قسرا و إنّ حماتهم لشهود
حلّوا بطون الأرض بعد ظهورها و مضى بهم سفر هناك بعيد

صارت نساؤهم حلائل غيرهم خلفت عليهم سفلة و عبيد
فأسمع و أبصر أين عاد أصبحت أخلت منازلها و أين ثمود
أين الذين بنوا فأصبح ما بنوا فيه الأفور أو شيد [٤٧٧]

و قال خالد بن عمير بن الخباب السلمى: كنا مع مسلمة بن عبد الملك فى غزوة قسطنطينية فخرج إلينا فى بعض الأيام رجل من الروم
يدعو إلى المبارزة فخرجت إليه فلم أر فارسا كان مثله. تجاولنا عامة يومنا فلم يظفر واحد منا بصاحبه. ثم تداعينا إلى المصارعة،
فصارعت منه أشد الناس. فصرعنى و جلس على صدرى ليدبحنى - و كان رسن دابته مشدودا فى عاتقه - و انه ليعالجنى للذبح إذ
حاصت دابته حيصه جرّته عنى و وقع من على صدرى و بادرت إليه و جلست على صدره فنفتت به عن القتل، و أخذته أسيرا و جئت
به إلى مسلمة فسأله فلم يجبه بحرف و كان أجسم الرجال و أعظمهم. فأراد أن يبعث إلى هشام و هو يومئذ [١١٠ ب] بحرّان. فقلت:
دلنى الوفاة به. قال: إنك لأحق الناس بذلك. فبعث

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥٨

به معى، فأقبلت أكلمه و هو لا - يكلمنى حتى انتهينا إلى موضع من ديار مضر يعرف بالجريش و تل محرى فقال لى: ما يقال لهذا
المكان؟ قلت: الجريش و تل محرى.

فقال:

ثوى بين الجريش و تل محرى فوارس من نماره غير ميل

فلا جزعون إن ضراء نابت و لا فرحون بالخير القليل

فإذا هو أفصح الناس. ثم سكت فكلمناه و هو لا يجيبنا. فلما صرنا إلى الرها قال: دعونى أصلى فى بيعتها. قلنا دونك فصلى. فلما صرنا
إلى حران قال:

أما إنها أول مدينة بنيت بعد بابل. ثم قال: دعونى أستحم فى حمامها و أطفى.

فتركناه. فخرج إلينا كأنه برطيل فضة بياضا و عظما. فأدخلته إلى هشام و أخبرته جميع قصته. فقال له من أنت؟ قال: رجل من إباد ثم
أحد بنى حذافة. فقال له:

أراك غريبا، لك جمال و فصاحة فأسلم تحقن دمك. قال: إن لى ببلاد الروم أولادا. فقال: و نفك أولادك و نحسن عطاءك. قال:
ما كنت لأرجع عن دينى.

فأقبل به و أدبر فأبى. فقال دونك فاضرب عنقه. فضربت عنقه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٥٩

القول فى همدان

إشارة

قال أبو المنذر هشام بن السائب الكلبي: سميت همدان بهمدان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام. و همدان و إصبهان أخوان،
بنى أحدهما إصبهان و الآخر همدان. فسميت كل مدينة منهما باسم بانيها. و سميت نهاوند لأنهم وجدوها كما هى. و يقال إنها من
بناء نوح عليه السلام. و إنما هى نوح أوند. أى أنها من بناء نوح و هى أعتق مدينة بالجيل.

قال: وقرأ عليّ بعض النصارى كتابا بالسريانية فيه أخبار الملوك و البلدان، فترجمه لى و ذكر أن الذى بنى همذان ملك يقال له كرميس بن حليمون. و ذكر بعض الفرس أن اسم همذان مقلوب. إنما هو ناذمه و معناه المحبوبة.

و روى عن شعبة قال: الجبال عسكر و همذان معمعتها و هى أعذبها ماء و أطيبها هواء.

و قال ربيعة بن [١١١] عثمان: كان فتح همذان فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه. و كان الذى فتحها المغيرة بن شعبة فى سنة أربع و عشرين من الهجرة.

و فى خبر آخر قال: وجه المغيرة بن شعبة [٤٧٨]- و هو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عزل عمار بن ياسر عنها- جرير بن عبد الله البجلي إلى همذان فى سنة ثلاث و عشرين، فقاتله أهلها و أصيبت عينه بسهم فذهبت. فقال احتسبها عند الله الذى زين بها وجهى و تور لى ما شاء ثم سلبنيها فى سبيله.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦٠

و جرى أمر همذان على مثل صلح نهاوند و ذلك فى آخر سنة ثلاث و عشرين.

و قال بعض علماء الفرس: كانت همذان أكبر مدينة بالجبل و كانت أربعة فراسخ فى مثلها. و كان طولها من الجبل إلى قرية يقال لها زينوباد. و كان صنف الفاخرايين بها و صنف الصيارفة بسجباد [٤٧٩].

و كان القصر الخراب الذى بسجباد تكون فيه الخزائن و الأموال. و كان صنف البزازين بقرية يقال لها بريسقان [٤٨٠]. فيقال إن بخت نصر لما غلب على الأرض و أخرب بيت المقدس، بعث إليها قائدا يقال له صقلاب فى خمسمائة ألف رجل. فأناخ عليها و أقام يحارب أهلها مدة و هو لا يقدر عليها. فلما أعيته الحيلة فيها و عزم على الانصراف استشار أصحابه. فقالوا له: الرأى أن تكتب إلى بخت نصر تعلمه أمرك و تستأذنه فى الانصراف. فكتب إليه: أما بعد، فإنى وردت على مدينة حصينة كثيرة الأهل منيعه واسعة الأنهار ملتفة الأشجار كثيرة المقاتلة. و قد رمت فتحها فلم أقدر عليها. و قد ضجر أصحابى المقام و ضاقت عليهم الميرة و العلوقة. فإن أذن لى الملك بالانصراف، انصرف.

فلما ورد الكتاب على بخت نصر كتب إليه: أما بعد، فقد فهمت كتابك و قد رأيت أن تصوّر لى المدينة بجبالها و عيونها و طرقها و قراها و منبع مياهها و تنفذ إلى ذلك حتى يأتىك أمرى.

ففعل صقلاب ما أمر به. و صور له المدينة و أنفذ الصورة إليه و هو ببابل.

فلما وقف عليها جمع الحكماء و قال: أجيلوا الرأى فى هذه الصورة و انظروا من أين تفتح هذه المدينة. فأجمعوا على أن تسدّ عيونها [١١١ ب] حولا ثم يفتح السد و يرسل على المدينة فإنها تغرق. فكتب بخت نصر إلى صقلاب بذلك و أمره بما قاله الحكماء. ففعل ذلك. فلما كان عند الحول فتح الماء و أرسله على المدينة فهدم سورها و غرق أكثرها و دخلها صقلاب، فقتل المقاتلة و سبى الذرية و أقام بها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦١

فوقع فى أصحابه الطاعون فمات عامتهم حتى لم يبق منهم إلا القليل. و دفنوا فى أحواض من خزف فقبورهم معروفة إلى وقتنا هذا فى المحال و السكك.

و لم تزل همذان خرابا حتى كانت حرب دارا بن دارا و الإسكندر. فإن دارا استشار أصحابه فى أمره لما أظله الإسكندر، فأشاروا عليه بمحاربه بعد أن يحرز حرمه و أمواله و خزائنه بمكان يمنع لا يوصل إليه و يتجرد هو للقتال. فقال: انظروا موضعا حريزا حصينا لذلك. فقالوا له: إن من وراء الماهين جبالا لا ترام، و هى شبيهة بالسد. و هناك رسم مدينة عتيقة قد خربت و باد و هلك أهلها و حولها جبال شامخة يقال لها همذان: فالرأى للملك أن يبعث إليها من يأمره ببنائها و إحكامها و أن يجعل فى وسطها حصنا يكون للحرم و الخزائن و العيال و الأموال، و تبنى حول الحصن دور لعيال القواد و الخاصة و المرازبة. ثم يوكل بالمدينة اثنا عشر ألف رجل من

خاصة الملك و ثقافته يحمونها و يقاتلون عنها متى رامها أحد. فأمر ببناء همدان و بنى فى وسطها قصرًا عظيمًا مشرفًا له ثلاثة أوجه و سماه ساروق و جعل فيه ألف مخبأ لخزائنه و أمواله و أغلق عليه ثمانية أبواب حديد، كل باب فى ارتفاع اثني عشر ذراعًا. ثم أمر بأهله و ولده و خزائنه فحوّلوا إليها و أسكنوها. و جعل فى وسط القصر قصرًا آخر صيّر فيه خواص حرمه و أحرز أمواله فى تلك المخابىء. و كّل بالمدينة اثني عشر ألف رجل و جعلهم حرسًا عليها.

و ذكر بعض مشايخ همدان أنها أعتق مدينةً بالجبل و استدلوها على ذلك من بقاء قديم باق إلى اليوم. و هو طاق عظيم شاهق لا يدري من بناه و للعامه فيه أخبار عامية يذكرون [١١٢ أ] أنهم وجدوا فى هذا الطاق حجرا مكتوب عليه: من إصطخر غدونا و فى هذا الطاق قلنا و بالشام ميبتنا. و يزعمون أن بعض أصحاب سليمان بن داود كتبه. و ان سليمان بن داود عليه السلام اجتاز بهذا المكان فرأى غرابا ساقطًا عليه- و يقال إن الغراب يعيش ألف سنة- فقال له سليمان: خبرنى خبر هذا الطاق و من بناه. فقال: أنا هاهنا منذ ستمائة سنة، و أقام أبى قبلى هاهنا ألف سنة و جدى قبل ذلك بألف سنة، و هو على حالته كذا وجدناه ما تغير منه البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦٢
شئ [٤٨١].

و أخبر بعض أصحاب الأخبار أنهم وجدوا فى بعض المخابىء التى فى القصر المعروف بساروق، رقعة فيها كتابه بالفارسيه فترجمت فكانت: وظف الملك على أهل مرو لبناء هذه المدينة من الطين كذا و كذا ألف وقر.
قال: و إذا تفقدت طين المدينة و نظرت إلى أبنيتها القديمة رأيت الطين مختلفًا ما بين أبيض و أحمر و أسود و غير ذلك. و زعموا أن الملوكة كانت توظف على رعاياها حمل الطين فى وقت و الماء فى وقت و الآجر و الحجارة فى وقت إلى ما بينونه من المدن ليعرفوا بذلك سمعهم و طاعتهم.

و عن بعض أهل همدان قال: قدمت على جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه فقال لى: من أين أنت؟ قلت: من الجبل. قال: من أى مدينة؟ قلت: من مدينة همدان. قال: أتعرف جبلها الذى يقال له راوند؟ قلت: جعلنى الله فداك إنما يقال له أروند. قال: نعم. أما إن فيه عين من عيون الجنة.

قال: فأهل البلد يرون أنها الحمية التى على قلعة الجبل. و ذلك أن ماءها يخرج فى وقت من أوقات السنة معلوم، و منبعه من شق فى صخرة. و هو ماء عذب شديد البرد يشرب منه الواحد فى اليوم و الليلة مائة رطل و أكثر و لا يرتوى لكثرة ما يشرب منه، بل ينفعه. فإذا تجاوزت أيامه المعدودة التى يخرج فيها، ذهب إلى وقته من العام المقبل لا يزيد يوما و لا ينقص يوما فى خروجه و انقطاعه.
و قال محمد بن بشار يذكر أروند فى شعر طويل [١١٢ ب]: [٤٨٢]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ٤٦٢

و لقد أقول تيامنى و تشاءمى و تواصلى ديما على همدان

بلد نبات الزعفران ترابه و شرابه عسل بماء قنان

سقى لأوجه من سقى لذكرهم ماء الجوى بزجاجة الأحزان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦٣

كاد الفؤاد يطير ممّا شفّه شوقًا بأجنحة من الخفقان

فكسا الربيع بلاد أهلك روضة تفتّر عن نفل و عن حوذان

حتى تعاق من خزاماك الذرى بالجلهتين شقائق النعمان

و إذا تبيّجت الثلوج تبيّجت عن كوثر شيم و عن حيوان
متسلسلين على مذانب تلعة تنغو الجداء بها مع الحملان
و قال أيضا

ترينت الدنيا و طابت جناها و ناح على أغصانها و رشانها
و أمرعت القيعان و اخضرّ نبتها و قام على الوزن السواء زمانها
و جاءت جنود من قرى الهند لم تكن لتأتى إلّا حين يأتى أوانها [٤٨٣] مسورة دعيح العيون كأنمالغات بنات الهند يحكى لسانها
لعمر ك ما فى الأرض شىء نلّذه من العيش إلّا فوقه همذانها
إذا استقبال الصيف الربيع و أعشبت شماریخ من أروند شمّ قناتها
و هاج عليهم بالعراق و أرضه هواجر يشوى أهلها لهبانها
سقتك ذرى أروند من سيح ذائب من الثلج أنهارا عذابا رعانها
ترى الماء مستنا على ظهر صخرة ينابيع يزهى حسنها و استنانها
كأنّ بها شوبا من الجنّة التى يفيض على سكانها حيوانها
فيا ساقى كاسى اصبحانى مدامة على روضة يشفى المحبّ جناها
مكللة بالنور تحكى مضاحكاشقائتها فى غاية الحسن بأنها
كأنّ عروس الحى بثتّ خلالها قلائد ياقوت زهاها اقترانها
تهاويل من حمر و صفر كأنّها ثانيا العذارى ضاحكا أقحوانها
و قال أيضا [١١٣]:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦٤

سقى لظلك يا أروند من جبل و إن رميناك بالهجران و الممل
هل يعلم الناس ما كلّفنتى حججاً من حبّ مائك إذ يشفى من العلل
لا زلت تكسى على الأنوار أردية من ناضر أنق أو ناعم خضل
حتى تزور العذارى كلّ شارقة أفياء سفحك يستصين ذا الغزل
و أنت فى حلل و الجوّ فى حلل و البيض فى حلل و الروض فى حلل
و قالوا: أطيّب البلدان ما طاب هواؤه و عذب ماؤه و كثر كلاه. و الماء مزاج الروح و صفى النفس و قوام الأبدان الناطق و غير الناطق
بمجانسته لها و معادلته إياها.

و من فضيلته أن كل شراب و إن رقّ و صفا و عذب و حلا فليس بعوض عنه و لا مغن عنه، بل يطيب بمزاجه و يعذب بمخالطته حتى
يجرى فى العروق بلطافته، و ينساب فى المفاصل برقته. مع خاصيته فى رىّ الظمّ و إطفائه ضرام نار الحشا. و لولاه ما عرف فضل
البستان على الجنان، و لكان و غيره سيّان. و لقد جعلته العرب مثلاً فقال القطامى:

فهنّ يبنذن من قول يصبين به مواقع الماء من ذى الغلّة الصادى
و قال آخر:

أمانى من سعدى عذاب كأنّما سقتك بها سعدى على ظمّاً بردا

و ذكر أبو جعفر محبرة النديم [٤٨٤] أنه حمل للموفق عند خروجه إلى الجبل من ماء دجلة ألف خماسية [٤٨٥]. فلما وافى همذان،

وصف له ماؤها فشرب منه و استطابه و ترك ماء دجلة، و جعله شرابه.

و طلب [٤٨٦] الشعبي على مائدة قتيبة بن مسلم- و قد قيل غيره- ماء، فلم يدر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦٥

اللبن يريد أم العسل أم الماء. فقيل له: أى الأشرطة تريد؟ فقال: أعزها مفقودا و أهونها موجودا. فقال قتيبة: اسقوه ماء.

و كان أبو العتاهية عند بعض الملوك فشرب منهم رجل ماء و قال:

برد الماء و طابا

فقال أبو العتاهية:

حبذا الماء شرابا

و قال الله عز و جل مفخما لأمر الماء أنهار [١١٣ ب] مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ. ألا ترى أنه لم يذكره بغير السلامة من التغيير، إذ كان [الماء]

متى كان خالصا لم يحتج أن يشرب بشيء. غريب فى خلقته من الصفاء و العذوبة و البرد و الطيب و الحسن.

قال عدى بن زيد:

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

و فى قول الله عز و جل ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ قال: عن الماء البارد فى الصيف و عن الحار فى الشتاء.

و قالوا فى النظر إلى الماء الدائم و الجارى ما قالوا.

و جاء فى الأثر: من كان به مرض فليأخذ درهما حلالا و ليشره عسلا ثم ليشربه بماء السماء، فإنه يبرأ بإذن الله.

و الريف هو الماء عند العرب.

و ما ظنك بشراب إذا ملح و خبث [٤٨٧] أثمر العنبر و ولد الدر، و إذا صفا و طاب أحيا الأنفس. و قال الله عز و جل قِيلَ لَهَا ادْخُلِي

الصَّرْحَ. فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا. لأن الزجاج أكثر ما يخرج به أن يقال كأنه الماء الجارى.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦٦

و قال الله تعالى وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ.

و يقال إنه ليس شيء إلا و فيه ماء أو قد أصابه ماء أو قد خلق من ماء.

و النطفة تسمى ماء و الماء يسمى نطفة.

و قال الله عز و جل وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ. و قال ابن عباس: السماء موج.

و قال الله تعالى وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ. وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ أَخْبَيْنَا بِهِ

بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ.

و حين اجتهدوا فى تسمية امرأة بالجمال و الحسن و الصفاء و البياض قالوا:

ابنة ماء السماء. و قالوا: المنذر بن ماء السماء. و يقولون: لونه له طلاوة و ماء.

و فلان ليس فى وجهه ماء. و ردنى فلان و وجهى بمائه. قال الشاعر:

ماء الحياء يجول فى وجناته

و وصف الراجز جملا كريما فقال:

أراك في ماء المهاري منقح

و قالت أم فروة في صفة الماء:

و ما ماء مزن أى ماء تقوله تحدر من غز طوال الذوائب
بمنعرج أو بطن واد تحدبت عليه رياح الصيف من كل جانب
[١١٤ أ]

نفى نسيم الرياح القذى عن متونه فما أن به عيب تراه لعائب [٤٨٨]

و الأبيضان: الماء و اللبن. و الأسودان التمر و الماء. و سواد العراق، ماؤه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦٧

الكثير. و الماء إذا كان له عمق اشتد سواده في العين. و قال العكلى في صفة ماء:

عاوده من ذكر سلمى عوده و الليل داج مطلق اسوده
فبت ليلي ساهرا ما أرقده مرتفعا أو قائما ما أقعه
حتى إذا الليل تولّى كبدته و انكب للغور انكبابا فرقه
و حتّه حاد كمشى يطرده أغزّ أجلى مغرب مجرّده
أصبح بالقلب جوى ما يبرده ماء غمام في الرصاف مقلده
زلّ به عن رأس نيق صدده عن ظهر صفوان منزل مجسده
[حتى إذا السيل تناهى مدده و شكّد الماء الذى يشكّده]
بين نعامى و دبور تلهده كلّ نسيم من صبا تستورده
كأنما يشهده أو يفقده فهو شفاء الصاد مما يعمده
و قال جرير:

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة تجد الحوائم لا يجدن مقيلا
بالعذب في وسط الفلاة مقلبه قصر الأباطح لا يزال ظليلا

قالوا: و في الماء، أن أطيّب شراب عمل و ركّب مثل الجلاب و السكنجيين و البنفسج و غير ذلك مما يشرب من الانبجات و
الأفشرجات [٤٨٩] فإن تمام لذته و غاية طعمه أن يجرع شاربته بعد شربه إياه جرعا من الماء يغسل بها فمه و يطيب بها نفسه. فهو في
هذا الموضع كالخلّة و الحمض جميعا، و هو تسويغ الطعام في المرىء. و هو الموصل الغذاء في الأعضاء. فالماء يشرب صرفا و
مزوجا و الأشربة لا تشرب صرفا و لا ينتفع بها إلّا بممازجته. و هو بعد طهور الأبدان و غسل الأدران. و قالوا: هو كالماء الذى يطهر
كل شيء و لا ينجسه شيء. و لذلك

قال النبي (صلى الله عليه و سلم): الماء لا ينجسه [١١٤ ب] شيء إلّا ما ظهر في طعمه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦٨

و ريحه [٤٩٠].

ومنهُ يكون الثلج و الثلج يجمع الحسن في العين و الكرم في البياض و الصفاء و حسن الوقع من النفس. و من فضل الجبل [٤٩١] على العراق أنك لو قلت لمريض قد نقه من علته ببغداد في أيام حزيران و تموز و بناحية الكوفة و البصرة: ما تشتهي؟ لقال: أشتهي شربة ماء بارد أو قطعة ثلج أو جليد. و قد أقسموا بالماء. قال الشاعر:

غضبي فلا و الله يا أهلها لا أشرب البارد أو ترضى

و سمي الله عزّ و جلّ أصل الماء غيثا بعد أن قال «و كَانَ عَزُّهُ عَلَى الْمَاءِ».

و قال و أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبَاتًا وَ جَنَّاتٍ أَلْفَافًا.

و من الماء زمزم و هو شفاء للأدواء. و منه ما يكون دواء من الأدوية الغليظة كالحمّات [٤٩٢].

و بهمذان حمّات كثيرة نافعة من الأدوية الغليظة مثل النقرس و الجرب و الرياح المستصعبة و غير ذلك فينفعها منفعه تامه. منها ماء حمّة أروند و لويضان و حمّة سارقين [٤٩٣]. و حمّة دار نبهان و ماء آست و عبد الله آباد و ماء بدين و ماء سامين [٤٩٤] و غير ذلك. و قالوا: أحسن الأشياء: صفو هواء و عذوبة ماء و خضرة كلاء.

و قالوا: أفضل المياه ماء السماء إذا أخذ في ثوب نظيف. ثم ما وقع على جبل فاجتمع على صخره. ثم ماء الغدران العظام. ثم الماء المستقع في الصحارى إذا لم يكن فيه عشب. ثم ماء القناة ثم ماء الحوض الكثير العمق. ثم ماء العيون

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٦٩

و ما ينحدر من الجبال و الماء الجارى النقى جيد من كل شيء. و هو جيد للحمى و الزكى و جيد للمزاج و البلغم.

و قالوا: لولا أن ماء همذان متفرق و هى أنهار كثيرة، فى أقطارها، لكان إذا اجتمع ماؤها مثل دجلة و الفرات.

و قال تبادوس [٤٩٥]: الماء حياة كل شيء و هلاك كل شيء و غضارة كل شيء و كاسف بال كل شيء. فأما قوله حياة كل شيء، فبه يحيا الإنسان الذى لم يخلق الله أشرف صنعه منه، و النبات و الشجر و كل مأكول من الثمر و غيره. و هو غضارة هذه الأشياء و نضرتها. و أما كسوف بال كل شيء، فإذا أخذ منه الماء تغيرت نضرتة و ذاك كسوف باله. و أما هلاك كل شيء. فإن الغرق منه و كثرة شربه تورث الأدواء كما أن الاقتصاد فيه يذهب كل داء.

و ماء السماء إذا أخذ فى شيء انتقى و صفّى [١١٥] أ و شرب منه صاحب السل و اليرقان نفعهما. و إذا أخذ منه فى جلم قبل أن يقع إلى الأرض و شربه من أراد الذكاء زاد فى حفظه و ذكائه.

و إن أخذ ماء السماء و خلط مع العسل و المصطكى و شرب نفع من البهق.

و ماء البرد إذا أخذ و ألقى على قصب فارسى مخرق و استيك به نفع من الحفر و القلح و أذهب بذلك و صلب الأسنان.

و ماء الثلج إذا أخذ مع عرق إنسان ثم سقى به من الكراز سكن فيه. و إذا أخذ مع لبن الإبل و سقى من به خفقان الفؤاد سكنه. و إن خلط به زبد البحر ثم طلى به على الجرب، ذهب به. و إن أخذ مع رماد الزيتون فطلى بهما البهق الأسود نفعه.

و إن أخذ ماء البئر أول ما ينبع ثم شربه من سقى السم، كان نافعا له، و إن أخذ أيضا ثم فّت فيه خبز من حنطة حديثه و جعل فيه قند و أكله من به وجع الفؤاد نفعه. و أول ما يظهر من العين عند حفرها فهو نافع من الجنوب و الوسواس.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧٠

و إن ظهرت عين فى سبخة فطرح فيها الاسفيل [٤٩٦] المشوى و أصل الكبد كان دواء للمجدومين. و العيون الكبريتية تنفع من الجرب.

و ماء البحر إذا أخذ مع السنبل المدقوق و [٤٩٧] و ذلك به اللسان قطع البخر و طيب رائحة الفم.

و أنشد لأبى صالح الحدّاء من شعر طويل كتب به إلى ابنه- و كان غائبا- يذكر له طيب هواء همذان و حسنها و نزهتها و عذوبة مائها و يشوّقه إليها:

فارحل إلينا رحلة تنجلي منّا غيابات لمحزون

فقد هدت سورة أيا مانا وانسلخت أيام تشرين
و جاءنا الشهر الذي صفت فيه عفاريت الشياطين
و طاب للسايرين وجه السرى فى طرق الرى و قزوين
و الدهر فى تقويم ساعاته كدرهم أبيض موزون
هذا و بنت الكرم قد أكملت عدتها فى القار و الطين
عذراء ياقوتها أبرزت تخطب من خدر الدهاقين
قوم تراهم فترى أنهم تجار عطر فى الدكاكين
و الطير قد حنت إلى عشها بكل ألوان الترابين
قد أقبلت واردة أرضنا يقدمها سرب الشفانين
من بعد أن أفحمها عجمه غنت بلحن غير ملحون
[١١٥ ب]

ترنمت فى الجو قمرها تترى بترجيع الرواشين
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧١

و الورق من ذكر فواخيتها تسعدها خضر الوراشرين
تبكى على فرقة ألافها شجوا بدمع غير مهتون
و قد بدا أروند بيدي لنا من سفحه كل التحاسين
تزينت غرة إقباله بوشيه أحسن تزيين
و انحسرت منه رؤوس الربى عن ناصر أخضر مشحون
و القبيج من حافاته أوردت فراخها خوف الشواهين
و للظبا سرب إذا أقبلت من فجه كالخرد العين
و الشاء تشغوا بين حملانها قد أمنت كيد السراحين
و الماء يجرى من متون الصفا على الخزامى و الرياحين
نسيمها عند هبوب الصبا أطيّب من نفحة نسرين
و الله يسقى الرى غيثا به من كان من سگان رامين
إن لهم من فرط شكرى بما صانوك أجرا غير ممنون
أجر الألى صانوا إمام الهدى أعنى علينا يوم صفين
فهاكها مكنونه صغتها حليا لعرض لك مكنون
أبكار أفاظ و ما بكر ما يهدى من الأفاظ كالعون
تمت ثمانين و تأريخها فى سنة الإحدى و تسعين
و قال آخر:

تذكرت أروندا و طيب نسيمه فقلت بقلب للفراق سليم
سقى الله أروندا و من فى جواره و من حلّه من طاعن و مقيم

و أيماننا إذ نحن في الدار جيرة و إذ دهرنا بالوصل غير ذميم [٤٩٨]

و قال آخر:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧٢

سقى لأروند ما أهني المصيف به ظل ظليل و ماء ينقع الكبدا
و تربة كسحيق المسك نكهتها و جيرة كبحور تقذف الزبدا
و قال آخر:

قالوا ترى النيل في مصر فتألفه إذا ترامى على آذيه الزبد
فقلت أحسن من نيل بمصر كم ماء العيون على الرضواض يطرد
في جانبيه رياض الزهر زينها نسيم نوارها و الطائر الغرد
ترى الخزامى يناغي الأقحوان بها عند الغدو كما ناغي أبا ولد
و أنشد لو هب الهمداني:

ألقي الربيع على أروندنا خلعا خضرا و خلعته البيضاء قد خلعا
[١١٦ أ]

كساه ثوبا من النوار تنسجه أيدي الربى روضها خفضا و مرتفعا [٤٩٩] ملاءة نسجتها ديمة فلها بدائع جمه قد فاقت البدعا

لها رقائق حسن ليس يفهمها ما ذا جواهرها إلا الذي صنعا
صفر و خضر و حمر ليس يشبه ذاهذا و لا ذاك هذا عند ما طلعا
للماء فيه خريبر رجع نغمته في الروض ترجيع نشوان إذا سجعا
ترى حدائقها كالبيض لامعة بين الأفاحي فضاء في الرياض معا
إذا بكت مزنة من فوقها ضحكت شقائق أخرجت من سمطها خلعا
طور منيف عليه شملة نسجت خضراء فارتفعت فيه كما ارتفعا
إذا الشمال عليه جزر أذيله حسبته سوق عطر بينها وضعها
فانظر إلى بطن أروند البهي ترى بابا إليه من الفردوس قد شرعا
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧٣

و اسمع إذا قرقرت قمرية طربا و هاج ورشانه في سفحه و دعا

و الثاغيات بها تدعو هو العها فكل ثاغية قد أرقدت هلعا

من لم يكن في ذرى أروند معتكفا فذاك عن صحبة اللذات قد خدعا

و يقال إن أكثر الجبال ماؤها من أسفلها إلا أروند فإن ماءه في أعلاه و منابعه في ذروته.

و أنشد لبعضهم في أروند:

أودي الشتاء و هاج كل مغردو بدت معالم للربيع الأغيد

عكفت على أروند كل سحابة سوداء مظلمة كلون الإثم

تبكى مدامعها و يضحك ثغرها عن شرق كالكوكب المتوقد
 هملت بما حملت فألبست الربى من نسجها حلا و إن لم تعقد
 من كل أخضر كالحرير و فاقع غض و أحمر ساطع و مورّد
 شملت عصابة نوره هام الثرى فتعممت منها هضاب الفدافد
 صارت عيوننا للزبى لما بكت فيها السحاب بأعين لم تجمد
 و كأنها قمر و قد طلعت لهاشمس الضحى من جوهر متبدّد
 حسنت فحسنت الثرى بدائع حسرت مساوى للشتاء الأنكد
 شربت من الوسمى أول صوبه و من الزلال البارد المتطرّد
 و كأنما لبس البقاع معصفرانها و وشح صدره بمورّد
 نفت الصبا عنه القذى بنسيمها فكأنه لمعان متن مهند

[١١٦ ب] و كانوا يقولون: شتاء بغداد، و ربيع همذان و مصيف أصفهان و خريف الرى [٥٠٠].

و قالت الحكماء: أحسن الأرض مخلوقه، الرى و لها السن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧٤

و السريان [٥٠١]. و أحسنها مصنوعة، نيسابور و لها حسن الآبار. و مرو و لها الذريق و الماجان، و دمشق و لها الغوطه و الواديان. و نصيبين و لها هرماس. و الصيمرة و لها ما يهوى الحصنان. و البصرة و لها النهران. و فارس و لها شعب بوان. و شهر زور و لها المستشرف. و باقرحى و لها من هاهنا بستان و من هاهنا بستان. و المدائن و لها دجلة. و السوس و تستر و هما بين أربعة أنهار: دجيل و المسرقان و ماهينان و نرويان. و بلخ و نهاوند و أصفهان.

و قال أبو الوفاء الهمذاني فى إقبال همذان و متنزهاتها فى شعر طويل:

ريان من ماء الكروم كأننى غصن أمالته الصبا فتأودا
 أرمى بعينى الرياض و أجتنى من حليهن لآلئا و زبرجدا
 ما بين أعلى معوجين و دونها متصوبا طورا و طورا مصعدا
 و إذا علوت إلى بقاع سنينس و أبحث عينيك المراد الأبعدا
 عاينت أحسن منظر حلّ الندى و شماله من نسجه أن ينفدا
 زهراء قد زهت الرياض بنوره لَمَا غدا على [٥٠٢] الربى متسرّدا حمراء ناصعة صفراء فاقعه و مزعفرا فى لونه و مورّدا
 يفتّر مبتسما كأنّ و مبيضه شرر أطارته الصبا فتوقدا
 و إذا الغزاة حلّ عقد خمارها أهدت له منها ندى متجدّدا
 نور تنير له الرياض و تغتدى تبدو له أسرارهنّ إذا بدا
 و ترى الجنان قد اكتسبن نضارة و جلين درّا فى الغصون منضّدا
 و قال أيضا [١١٧ أ]:

يا لىالى ترمىنى بأسهمها و مالها تره عندى و لا تار
 إذا اصطفت خليلا أو أختا ثقة لا تنثنى منه أو تنأى به الدار

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧٥

يا أيها المغتدى نحو الجبال له فيما هناك لبانات و أوطار
 اقرء السلام على أروند من جبل يهيجنى نحوه شوق و تذكار
 و اخصص أماكن فيه كنت أعهداهفين منى علامات و آثار
 و اربع بمرتج كئنا نلوذ به قد أينعت فيه باللذات أشجار
 بسفح مرجانة المحسود ساكنهاروض أريض و ماء ثم موار
 و شعب قزود فيه كل مونقة وفيه للهو أشجار و أنهار
 فسفح ترمن فالدكان مجتمع فحيه كلما حلته أمطار
 مستشرف فيه للأبصار متسع يروقتنا زهر فيه و أنوار
 و فيه للقلب و الأسماع ما طلبامن السرور إذا غزردن أطيوار
 يجيب ألحانها منا إذا هزجت و غزردت طربا عود و مزمار
 تلك البلاد التي تحيا النفوس بهالا ما تلهب في حافاته النار
 أرض ينعم أهلها إذا نعموا بأن تكثهم في الأرض آبار

مجاراة عبد القاهر و الحسين بن أبي سرح في مدح همذان و العراق و ذمهما

و كان عبد القاهر بن حمزة الواسطي و الحسين بن أبي سرح كثيرا ما يلتقيان في تجاريان الآداب و يتذاكران العلوم. و كان عبد القاهر لا يزال يذم الجبل و هواءه و أهله و شتاءه، لأنه رجل من أهل العراق. و كان ابن أبي سرح مخالفا له، كثير الذم للعراق و الطعن على أهله. فالتقيا يوما عند محمد بن إسحاق الفقيه [٥٠٣]. و كان يوما شاتيا صادق البرد كثير الثلج. و كان البرد قد بلغ إلى عبد القاهر. فلما دخل و سلم قال: لعن الله الجبل و لعن ساكنيه و خص الله همذان من اللعن [١١٧ ب] بأوفره و أكثره. فما أكدر هواءها و أشد بردها و أذاها و أكثر مؤونتها و أقل خيرها. قد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧٦

سلط الله عليها الزمهرير الذي يعذب به أهل جهنم، مع ما يحتاج الإنسان منها إليه من الدثار و المؤمن المجحفه. فوجهكم يا أهل همذان متشققة، و أنوفكم سائلة، و أطرافكم خضرة، و ثيابكم مسخه و روائحكم قدرة، و لحاكم دخانية [٥٠٤]، و سبلكم منقطعة، و الفقر عليكم ظاهر و المستور في بلدكم مهتوك. لأن شتاءكم يهدم الحيطان و يبرز الحصان و يفسد الطرق و يشعث الآطام. فطرقكم و حلة تتهافت فيها الدواب، و تقذر فيها الثياب و تتحطم الإبل و تنخسف فيها الآبار و تغيض المياه، و تكف السطوح و تهيج الرياح العواصف، و تكون فيها الزلازل و الخسوف و الرعود و البروق و الثلوج و الدمق. فتنقطع عند ذلك السبل و يكثر الموت و تضيق المعاش. فالناس في جبلكم هذا سائر أيام الشتاء يتوقعون العذاب و يخافون السخطة و العقاب، ثم يسمونه العدو المحاصر و الكلب الكلب. و لذلك كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى بعض عماله: إنه قد أظلكم الشتاء و هو العدو المحاصر، فاستعدوا له الفراء و استنعلوا الحذاء. و قد قال الشاعر:

إذا جاء الشتاء فأدفتوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء

فالشتاء يهدم الحيطان، فكيف الأبدان، لا سيما شتاءكم الملعون؟

ثم فيكم أخلاق الفرس و جفاء العلوج و بخل أهل أصفهان و وقاحة أهل الرى و فدامة أهل نهاوند و غلظ طبع أهل همذان. على أن بلدكم هذا أشد البلدان بردا و أكثرها ثلجا و أضيقتها طرقا و أوعرها مسلكا و أقرها أهلا.

و كان يقال: إن أبرد البلدان ثلاثة: برزعة و قاليقلا و خوارزم. و هذا قول من لم يدخل بلدكم و لم يشاهد شتاءكم. و قد حدثني أبو جعفر محمد بن إسحاق المكتب قال: لما قدم عبد الله بن المبارك همذان، أوقدت بين يديه، فكان إذا سخن باطن كفّه أصاب ظاهرها البرد. و إذا سخن ظاهرها أصاب باطنها البرد، فقال:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧٧

أقول لها و نحن على صلاء أما للنار عندك حرّ نار
لئن خيّرت في البلدان يومافما همذان عندي بالخيار
ثم التفت إلى ابن أبي سرح و قال: يا أبا عبد الله! و هذا والدك يقول:
النار في همذان يبرد حرّها و البرد في همذان داء مسقم
و الفقر يكتم في بلاد غيرها و الفقر في همذان ما لا يكتم
قد قال كسرى حين أبصر تلّكم همذان، فانصرفوا فتلك جهنّم
و الدليل على هذا أن الأكاسرة كانت لا تدخل همذان، لأن بناءهم متصل من المدائن إلى أزميدخت من أسدآباد و لم يجوزوا عقبه
أسدآباد.

و بلغنا أن كسرى أبرويز همّ بدخول همذان. فلما بلغ موضعا يقال له دوزخ دره و معناه بالعربية باب جهنم أو كهف جهنم، قال لبعض وزرائه: ما يسمى هذا المكان؟ فعرفه. فقال: انصرفوا. لا حاجة لنا في دخول مدينة فيها ذكر جهنم.

و قال شاعركم و هو وهب بن شاذان الهمذاني:

أما آن من همذان الرحيل من البلدة الحزنّة الجامدة
فما في البلاد و لا أهلها من الخير من خصلة واحدة
يشيب الشباب و لم يهرموا بها من ضبابتها الراكدة
سألتهم أين أقصى الشتاء و مستقبل السنة الواردة
فقالوا إلى الجمره المنتهى فقد سقطت جمره جامدة
و قال أيضا:

يوم من الزمهير مقرر عليه جبّ الضباب مزور

كأنما حشو جوه إبرو أرضه وجهها قوارير

و شمسه حرّه مخدّرة تسلبت حين حمّ مقدور

تخال بالوجه من ضبابتها إذ أخذت جلده زناير

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧٨

يرى البصير الحديد نظرائه منها لأجفانه سمادير

و سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا فقال: من أين أنت؟ فقال: من همذان. قال: أما إنها مدينة همّ و أذى، تجمد قلوب أهلها
كما يجمد ماؤها. و قال شاعركم أيضا محمد بن بشار يذم بلدكم و يذكر شدة برده و غلظ طبع أهله و ما يحتاجون إليه من المؤمن
المجحفه الغليظة [١١٨ أ]:

أتتك امارات الشتا و دلائله و افاك من برد الخريف أوائله

فأصبحت محزوناً ودمعى كأنه جمان على الخدين ينثر هامله
 أمامى صيف رعانيه [٥٠٥]
 و تيه رحيب جوزه و مجاهله
 إذا البرد رداه رداء كأنه ملاء عليه قد تتوق غاسله
 و هبت له ريح الصبا ثم أعقت جنوباً و هبت بعد ذاك شمائله
 وجدت فؤادى طائراً من حذاره و قلبى كشيما ما تكفّ بلابله
 و قال آخر:

أتانا الزمان ببرد الشتاء و سال به سيله مكفهراً
 و هبت سيول شمال الرياح فكزّ الفقير لها و اقشعراً
 يقرب من رأسه منكبيه و يغدو إلى ناره مشمراً
 و أحجرت الكلب هوج الرياح و صرّ بأذنيه للبرد صراً
 و فارقت الوحش أوطانها إلى كلّ غور يقيهن [٥٠٦] شراً و كزّ الولاة على من يكون فلم يجد المرء منهم مفراً
 و شخّ البخيل على ماله و زوى له حاجبيه و هراً
 و قيل لأعرابى دخل همدان ثم انصرف إلى البادية: كيف رأيت همدان؟
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٧٩

فقال: أما نهارها فرقاص و أما ليلهم فحمّال. يعنى أنهم بالنهار يرقصون لتدفأ أرجلهم، و بالليل حمّالون لكثرة دثارهم.
 و وقع أعرابى إلى همدان فى الربيع فاستطاب الزمان و أنس بالأشجار و الأنهار. فلما جاء الشتاء، ورد عليه ما لم يعهده من البرد و
 الأذى فقال:

بهمدان شقيت أمورى عند انقضاء الصيف و الحرور
 جاءت بشرّ شرّ من عقور و رمت الآفاق بالهريز
 و الثلج مقرون بزهرير لولا شعار العاقر النزور
 أمّ الكبير و أبو الصغير لم يدف إنسان من التخصير
 و لقد سمعت شيخاً من علمائكم و ذوى المعرفة منكم أنه يقول: يريح أهل همدان إذا كان يوم فى الشتاء صافياً له شمس حارة، مائة
 ألف درهم، لأنهم لا يحتاجون فيه إلى الوقود. و قيمته فى همدان و رساتيقها فى كل يوم مائة ألف درهم.
 و قيل لابنة الخسن: أيما أشدّ الشتاء أم الصيف؟ فقالت: من يجعل الأذى كالزمانة.
 و قيل لأعرابى: ما غاية البرد عندكم؟ فقال: إذا كانت السماء نقيه و الأرض نديه و الريح شامية فلا تسأل عن أهل البرية.
 و قد جاء فى الخبر أن همدان تخرب لقلّة الحطب.

و دخل أعرابى همدان. فلما رأى هواءها و سمع كلام أهلها، ذكر بلاده و قال:
 و كيف أجيب داعيكم و دونى جبال الثلج مشرفة الرعان
 بلاد شكلها من غير شكل و ألسنها مخالفة لسانى
 و أسماء النساء بها زنان و أقرب بالزنان من الزوانى
 و دخل بعض الأعراب الجبل فى الشتاء فجعل أنفه
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨٠

يرعم [٥٠٧]. فرقع يده و وجأه فقال: لا و الذي جلّ و علا، ما رأيت عضوا أنتن منك. إذا جمد كل شيء فأنت تذوب، و إذا ذاب كل شيء فأنت تجمد. أبيت إلّا خلافا. و قال شاعر كم و هو أحمد بن بشار [٥٠٨].

لقد أتى همدان البرد فانطلق [٥٠٩]

و ارحل على شعب شمل غير متفق

بئس اعتياض الفتى أرض الجبال له من العراق و باب الرزق لم يضق
أما الملوكة فقد أودت سراهم و الغابرون بها فى شيمه السوق
و لا مقام على عيش ترنقه أيدى الخطوب و شرّ العيش ذو الرنق
قد كنت أذكر شيئا من محاسنها أيام لى فن كاس من الورق
فاليوم لا بدّ من نعتى مساوئها كما يغصّ بها الثاوى على شرق
لا خير فيها و لا فى أن تقيم بهاو لا تقلبت بين التبر و الورق
أرض يعذب أهلها ثمانية من الشهر كما عدّبت بالرهق
تبلى حياتك ما تمنى بنافعة إلّا كما انتفع المجروض بالرمق
فإن رضيت بثلث العمر فارض به على شرائط من يقنع بها يبق
إذا زوى البقل هاجت فى بلادهم من جريباتهم نشأه العرق
تبشّر الناس بالبلوى و تنذرهم ما لا يداوى بلبس الدرع و الدرقي
تلّفهم فى عجاج لا تقوم لهاقوائم الفيل قبل المأقط الشبق
لا يملك المرء فيها كور عمته حتى تطيرها من فرط مخترق
فإن تكلم لاقتة بمسكنه ملء الخياشيم و الأفواه و الحدق
فعتها ذهب ألوانهم جزعاو استقبلوا الجمع و استولوا على العلق
حتى تفاجئهم شهباء معضلة تستوعب الناس فى سربالها اليق
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨١

خطب بها غير هين من خطوبهم كالخنق ما منه من ملجا لمختنق
أما الغنى فمحصور يكابدها طول الشتاء مع اليربوع فى نفق
يقول أطبق و أسبل يا غلام و أرخ الستر و اعجل بردّ الباب و اندفق
و أوقدوا بتناير تذكّرهم نار الجحيم بها من يصل يحترق
و المحلقون بها سبحان ربّهم ما ذا يقاسون طول الليل من أرق
تسدّ أبوابهم بالثلج فهو لهم دون الرتاج رتاج غير منطبق
و الأرض تصيح و الدنيا لها طبق تحار فيه عيون الناس فى الطرق
حتى إذا استحكمت بردا غدا طبق من الضباب فقد أوفى على طبق
ينهلّ منها عليهم دائبا ديما بالزمهرير عذابا صبّ من أفق
صبغ الثياب إذا حلّ الشتاء بها صبغ المآتم للحسانه الفنق

و الذئب ليس إذا أمسى بمحتشم من أن يخالط أهل الدار و النسق
 فويل من كان في حيطانه قصر و لم يخص رتاج الباب بالغلق
 يدعو الثبور على صبيانه فرقا بعد العشاء و يدعو من الفرق
 و صاحب النسك ما تهذا فرائضه و المستغيث بشرب الخمر في غرق
 أما الصلاة فودعها سوى طلل أقوى و أفقر من سلمى بذى العمق
 تمسى و تصبح و الشيطان في قرن مستمسكا من حبال الدين بالرمق
 و الماء كالثلج و الأنهار جامدة و الأرض أضراسها تلقاك بالدبق
 حتى كأن قرون العفر ناتئة تحت المواطى و الأقدام في الطرق
 و الناس بيض اللحي تهمل أنوفهم فوق الشوارب كالمصدوم ذى البلق
 تسعين يوما و عشرا أكلمت مائة يدعوون ليله ممت ليله السدق
 كأنهم عسكر هاج الحريق بهم فهم يموجون و الضوضاء في فرق
 كأنهم حين أفضوا في ثيابهم خلف الغرابيل أواهاها من الخرق
 فما ترى بعدها يلقون من عذب من الوحول التي طمت على اللثق
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨٢

و المشى شهرين بالميزان قد زهقت نفوسهم فرقا من خشية الزلق
 فكل غاد بها أو رائح عجل يمشى على أهلها غضبان ذا حق
 قوم غذاؤهم الألبان مذ خلقوا فما لهم غيرها من مطعم أرنق
 لا يعقب الطيب في أصداغ نسوتهم و لا جلودهم تبتل من عرق
 فهم غلاظ جفأ في طباعهم إلا تعلله منسوب إلى الحمق
 أفيت عمرى بها حولين من قدرلم أقو منها على دفع و لم أطلق

فلما بلغ عبد القاهر هذا المكان، التفت إليه ابن أبي سرح فقال: لقد أكثرت في المقال و أسرفت في الذم و أطلت القلت و طوّلت
 الخطبة. و لولا ما أجزت إليه من سوء المقال و كثرة الهذيان لكنا عن مجاوبتك بمعزل و عن محاورتك في شغل.
 فمهما كان فينا- يا أبا على أكرمك الله- و فى هوائنا و أرضنا و بلدنا و صقعنا.

فليس فينا جفأ النبط و عجر فيه أهل [١١٩ أ] السواد، و أخلاق الخوز، و غدر أهل الكوفة، و دقة نظر أهل البصرة، و بخل أهل
 الأهواز، و سوء معاشره أهل بغداد و شدة حيلهم، و جفأ أهل الجزيرة، و غباوة أهل الشام.
 و أهل الجبل قد سلموا من شدة حرّ البصرة، و من كثرة ذباب بغداد، و من بقّ البطائح، و براغيث الكوفة، و تغير هواء مصر، و من
 جرارات الأهواز و سمائمها، و من عقارب نصيبين، و ثعابين مصر، و من أفاعى سجستان.
 و هل الخصب و الخير و النعمة و الدعة و الأكل و الشرب إلا فى الشتاء الذى تغيب فيه الهوام و تنحجر الحشرات و يموت الذباب و
 يهلك البعوض و يبرد الماء و يصفو الجو و يطيب فيه العناق، و يظهر فيه الفرش و الكسوة و النعمة و الملوكية و السرو [٥١٠] و
 الخرمية.

و إذا ميزت الأقاليم صقعا صقعا و بلدا بلدا و كورة كورة و طسوجا طسوجا، علمت أنه لا يخلو بلد من البلدان و لا إقليم من الأقاليم
 فى شرق الأرض و غربها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨٣

و برها و بحرها و سهلها و جبلها من حرّ و برد أربعة أشهر. و لذلك قال أبو دلف:

إني امرؤ كسروى الفعال أصيف الجبال و أشتو العراقا

و ألبس للحرب أثوابها و أعتق الدار عين اعتناقا

فاختار بفضل رأيه و جودة تمييزه أن يصيف الجبال ليسلم من سمائم العراق و ذبابه و هوامه و حشرات و سخونة مائه و هوائه. و اختار أن يشتو بالعراق ليسلم من زمهرير الجبال و كثرة أنديتها و حولها و ثلوجها. و قد قال أيضا في غير هذا المعنى. بل في ضده لسبب دعاه إلى ذلك:

ألم تر حين حال الزمان أصيف العراق و أشتو الجبالا

سموم المصيف و برد الشتاء حنانيك حالا أزالتك حالا

فصبرا على حدث النائبات فإن الخطوب تذلل الرجالا [٥١١]

و السبب الذي لأجله قال هذه الأبيات أنه لما قال القافية التي كتبناها قبلها اتصلت بعبد الله بن طاهر- و كان سيء الرأي بأبي دلف- فقال:

ألم تر أنا جلبنا العناق إلى أرض بابل قبا عتاقا

[١١٩ ب]

فما زلن يعسفن بالدار عين طورا حزونا و طورا رفاقا

إلى أن وردن بأدوائها قلوب رجال أرادوا النفاقا

و أنت أبا دلف ناعم تصيف الجبال و تشتو العراقا

فلما وقف أبو دلف على هذه الأبيات آلى على نفسه أن لا يصيف إلّا ببغداد و لا يشتو إلّا بالجبل.

فإذا صحّ لك ما قلنا و تبين ما حكينا، ثم ميزت و تفكرت و نظرت و أنصفت.

علمت أن البرد أصلح من الحرّ. لأنك إذا أضفت البرد و هو الجبال إلى ما يقاسيه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨٤

أهل عمان و أهل البصرة و سيراف و بغداد من أذى السمائم من الهواء الكدر الغليظ و الماء السخن الزعاق و كثرة الذباب و الجعلان و الخنافس و الحيات و العقارب و الجرّارات و النمل و البعوض و البق و الجرجس و غير ذلك مما يطول ذكره، علمت أن العيش عيشنا و النعمة نعمتنا.

و ملوك الجبل لا يعدون العيش عيشا و النعمة نعمة إلّا في أيام الشتاء. لأنهم يفرشون من الفراش أسراه و يلبسون من الثياب أحسنها و أدفأها. و يلبسون الثعالب البيض و السود و الحمر و الفنك و السمور و القاقم و الحواصل و الوشق و الدلق و الفراء اليمانية. و يفرشون الخزرقم و الأرمنى المحفور و الميسانى و القطوع و الديقاج و المرعز و السوسنجر.

و لهم المضارب و الأبنية و الستارات و السرادقات و القباب التركية و أثواب عدن و ثياب نيسابور و مرو و أصفهان، و النعمة عندنا في الشتاء أظهر و الخير أكثر.

و لولا الشتاء و ثلجه و برده و ريحه و مطره لما نبت لنا في الصيف زرع و لا ذرّ زرع و لا أخضر شجر و لا اجتنى ثمر. و لذلك قال الشاعر:

لولا الشتاء و لولا قبح منظره لما بدا من ربيع منظر حسن

وفي الشتاء يستلذ الملوك شرب المدام لطول الليل وقلّة الهوام. و الشراب صديق النفس و حياة الأبدان و السبب إلى الزيادة في الأعمار و صحة الأجسام، و باعث الحرارة الغريزية و مرطب الأعضاء اليابسة و طارد الهم و الفكر، و الزائد في ارتفاع الهمّة. و له اتخذت القصور [١٢٠ أ] المشيدة و المجالس المنجدة و النمازق الممهدة، هذا في الشتاء.

فإذا جاء الربيع، فلنا الأفياء الحسنه و الرياض الخضراء و الجنان المتصلة و المياه المطردة و الأرواح الطيبة و المواضع النزهة. ثم لنا من الأنوار و الزهر في الرياض و الغدران ما لا يكون في بلادكم و لا يعرف عندهم. حتى لقد جهد ملوككم و كتابكم و ذوو النعمة منكم أن يغرسوه في بساتينهم و جناتهم، فلم يستو ذاك لهم و لا أفلح عندهم. من ذلك: الزعفران

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨٥

و الزردلال و الجاولال و الكيستج و السحالة و الكركيس و النسرت و الندير و السوسن آزاد و غير ذلك من الأنوار الجبلية التي لا تكون إلا في بلادنا.

و مما هو لنا دونكم و ينبت في بلادنا لا بلادكم، الرياس و هو من أنفع ما يؤكل. و يقال إنه يقوم مقام السكنجيين. و لنا أنواع من الفواكه ليست لكم. و إذا حمل إليكم شيء منها فتفخرون به و تتهادونه، منها: الكمثرى النهاوندى و الصينى و التفاح الشيرى.

و لنا أيضا أشياء تتخذ من الألبان ليست لكم. بل هي مستطرف عندهم. منها اللور و شيران و أنواع الشوارير و الكشك المعمول باللبن.

و إذا دخل الكاتب أو العامل همذان ثم انصرف عنها إلى بلدة و سئل عما فيها قال: إذا كان خبزك من حنطة أزناو مع خبر المهروان و لحم الشرايين، فلا تسأل عن شيء آخر.

و حسبك فضيلة بشيء. ينادى على الخبز بالحرمين: مكه و المدينة. في أيام الموسم و الناس مجتمعون من كل فج عميق: المهروانى، المهروانى.

و لقد دخل بها المعتضد، فوصف له ما يتخذ بها من الألبان فأكل منه و استطابه. فلما انصرف إلى العراق، أمر أن يحمل إليه منه. فكان يوجه به مع الفرانقيين [٥١٢] و أصحاب البرد.

و لما ميز قباد إقليم بلده، وجد أنزه بقاعه ثلاثة عشر موضعا: المدائن و السوس و جنديسابور و تستر و سابور و إصبهان و الرى و بلخ و سمرقند و باورد و ماسبندان و مهرجانقذق و تل ماشير و بطنا بنهاوند تسمى رودزاور. و هي ثلاثة فراسخ فيها ثلاثة و تسعون قرية متصلة مع جنان ملتفة و أنهار مطردة. نباتها الزعفران و أشجارها جميع الفواكه: العنب و الرمان و الجوز و اللوز و التفاح و الكمثرى و غير ذلك.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨٦

و لقد قال بعض الدمشقيين ممن قد جال الآفاق و دار البلدان: دخلت غوطه دمشق و أبله البصرة و اسكندرية مصر و صنعاء اليمن. و رأيت خورنق الكوفة و البرية المسماة خد العذراء و حافتى دجلة و الفرات و بغداد و باب الطاق و باب [١٢٠ ب] الكرخ مع سائر الأسواق.

و شاهدت شبديز قرميسين و زرنوذ إصبهان و جنديسابور الأهواز.

و دخلت شابور فارس، و نظرت إلى شعب بوان و ماجان مرو و سريان الرى و مستشرف باكرخى. و شاهدت سمرقند و الصغد و بلخ. فما رأيت بلدا أطيب و لا أعذب ماء و لا أكثر خيرا من إقبال همذان. و ما ظنك ببلد حشيشه الرياحان و الزعفران و شرابه العسل و السمnan و ثمره العنب و الرمان. قال الشاعر:

بلد نبات الزعفران ترابهو شرابه عسل بماء قنان

قال: فلما بلغ ابن أبي سرح هذا المكان قال له صاحب المنزل: يا أبا عبد الله! و أفرطت و قلت في الجبل عال و عليه. و هذا وقت ضيق و قد حضرت الصلاة.

و الصواب قطع هذه المفاخرة و ترك هذه المناظرة.

فقال: قد قطعت ذلك، و إن عاد عدنا. ثم قام و هو يقول:

إن عادت العقرب عدنا لها و كانت النعل لها حاضرة

و قال بعض الشعراء [٥١٣]:

و بالقوس لَمَّا حَلَّت الشمس أظلمت و أطبق أروند على همذان

و هبَّت رياح الزمهير فأحرقت بها كلَّ ذى جنس من الحيوان

فما أن ترى شيئاً بها غير جامد مع النفط و النفاط و القطران

ترى الناس بين السوق و الدور جمّداً عداهم من الترداد و الجولان

فطرقهم و الدور مطموسة بهم يزيدهم طمسا و ليس بفان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨٧

ترى الطير في جَوِّ السماء معلّقان البرد ممنوعا من الطيران

و تجمد بين الحائطين كلابهم و كانت تبارى الخيل يوم رهان

و ليس يقى من بردها جلد ثعلب بخوارزم مدبوغ بغير توانى

و لا جلد سمور و لا الفنك الذى يوقى به المقرور حرّ عمان

و ليس يقيهم منه لفح جهنّم و ما لهم بالزمهير يدان

أما مهريا من ذا العذار فقد وهت عظامى و لا تشعر به القدمان

إلى الكرج الحسناء دار أميرنا فوسعها حمدا بكلّ لسان

مباركة حقت بخصب و نعمة بماء عيون عذبة و جنان

فأهل التقى و البرّ و الفضل أهلها و ليس لهم فى المشرقين مدان

ذكر حب الأوطان

و لولا اختلاف شهوات الناس لما اختاروا من الأسماء إلّا أحسنها و من البلدان إلّا أغناها و من الأمصار إلّا أوسطها.

و لو كانوا كذلك لتناحروا على البلدان الغدّية و لتقاتلوا على الأمصار المتوسطة، و لما و سعتهم بلاد و لا تمّ بينهم صلح.

إلّا أن رضاهم بأوطانهم، و اغتباطهم بمساقط رؤوسهم مانع لهم. و القناعة ببلدانهم و إن كانت الطبيعة مجبولة عليه. و كيف لا يكونون

كذلك و أنت لو حوّلت ساكنى الآجام إلى الفيافى، و ساكنى السهل إلى الجبال، و ساكنى الجبال إلى السهل و البحار، و ساكنى

أهل العمدة إلى المدر، لأذاب قلوبهم و أحنى عليهم فرط النزاع. بل لو نقلت أهل القفار إلى العمران و حوّلت من فى جزائر البحار إلى

المدن، لم تجدهم راضين بذلك و لا قانعين. بل كنت تجدهم يحنون إلى أوطانهم و يتذكرون بلدانهم.

و قد قيل فى الأمثال: عمّر الله البلدان بحب الأوطان الرجال.

و قال عبد الله بن الزبير: ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨٨

وقال معاوية في قوم من أهل اليمن رجعوا إلى بلادهم بعد أن أنزلهم من الشام منزلاً خصباً و فرض لهم في شرف العطاء: هؤلاء (٥١٤) أوطانهم بقطيعة أنفسهم.

وقد قال الله تعالى «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ». فقرن الضنّ منهم بالأوطان إلى الضنّ [١٢٠ ب] منهم بالأنفس.

و زوجت أعرابية في الحضر و أسكنت قصراً. فحنت إلى البدو و قالت:

لبس عباءة و تقرّ عيني أحبّ إليّ من لبس الشفوف

و بيت تخفق الأرواح فيه أحبّ إليّ من قصر منيف

و بكر تتبع الأضغان نضوا أحبّ إليّ من بغل رؤوف

و كلب ينيح الأضياف ليلاً أحبّ إليّ من ديك عيوف

و بناحية الجنوب جزيرة يقال لها تاران، ينزلها قوم يقال لهم بنو خدان [٥١٥]، معاشهم صيد السمك و ليس لهم ماء عذب و لا زرع و لا شجر. و بيوتهم من السفن المنكسرة و عظام السمك. يستطعمون الخبز و يستعذبون الماء ممن يجتاز بهم في الدهر الطويل. و ربما أقاموا السنين الكثيرة لا يمرّ بهم إنسان. فإذا قيل لهم: أى شىء مقامكم فى هذا البلد؟ قالوا: اليطن، اليطن، يريدون الوطن.

و كذلك قالوا: من لطف النفس أن تكون إلى مولدها مشتاقة و إلى مسقط رأسها تواقّة.

و قال بعض الحكماء: حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك. إذ كان غذاؤك منهما و غذاؤهما منه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٨٩

و قالوا: أرض الرجل ظنّره و داره مهده. و أحبّ البلدان بالتوق إليه بلد منحك حليبه رضاعه.

و قال آخر: إذا كان السبع يحنّ إلى أوطانه. فالإنسان أولى بالحنين إلى مكانه.

و قال بقراط: فطرة الإنسان معجونه بحب الوطن.

و كان أيضاً يقول: يغذى كل عليل بأطعمه أرضه. فإن النفس تتطلع إلى غذائها.

و قال الشاعر:

تحنّ قلوصى من غداة إلى نجدو لم ينسها أوطانها قدم العهد

و قد هجت نصبا من تذكّر ما مضى و أغذيتنى لو كان هذا الهوى يغذى

و ذكّرتنى قوماً أحنّ إليهم و أشتاقهم فى القرب منهم و فى البعد

أولئك قوم لو لجأت إليهم لكنت مكان السيف من وسط اليد

و دخل بعض الأعراب الحضر فاشتاق إلى البدو و قال:

لعمري لنور الأقحوان بحائل و نور الخزامى فى الأء و عرفج [١٢١ ب]

أحبّ إلينا يا حميد بن مالك من الورد و الخيرى و دهن البنفسج

و أكل يرايبع و صبّ و أرنب أحبّ إلينا من سمانى و تدرج

و نص القلاص الصهب تدمى أنوفها يجبن بنا ما بين قو فمنعج

أحبّ إلينا من سفين بدجله و درب متى ما يظلم الليل يرتج

و قدم خالد بن فريص الهجيمى الأهواز، فلما رأى حرّها و أذاها لحق إلى بلده و قال:

نظرت و قد حال القرى دون منظرى و قد عمّت أجبالها بالعياطل

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩٠

ألمحة برق أم شبا النار شَبَّها مقالون لم يستصحبوا بالقبائل
و ما نفحة من خالص المسك عَليت بأطيب من أرواح تلك المنازل
إذا ما خزامها جرى في فروعها بمذعورة (؟) أو بله بالأصائل
و قال آخر:

خليلى قوما و اشرفا القصر فانظرا بأعيننا هل تؤنسان لنا نجدا؟
و إني لأخشى إن علوناه علوه و نشرف بأن نزداد و يحكما وجدا
و قال آخر:

ألا أيها الركب المحثون هل لكم بأهل العقيق و المنازل من علم؟
فقالوا: نعم، تلك الطلول كعهداتها تلوح. و ما يغنى سؤالك عن علم
فقلت: بلى، إن الفؤاد يهيجه تذكر أوطان الأحبة و الحرم

و شكوا قوم من أهل خضرة [٥١٦]- و هى على ثلاث مراحل من المدينة. و كان اسمها عقرة فسامها النبي خضرة- إلى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه، و باء أرضهم فقالوا: لو تركتموها. فقالوا: معاشنا و معاش آباءنا و وطننا. فسأل عمر رضى الله عنه الحارث بن كلدة.
فقال الحارث: البلاد الوبيية ذات الأدغال و البعوض عش الأوباء. و لكن ليخرج أهلها منها إلى ما يقاربهم من الأرض [١٢٢] أ العذية
إلى تريع النجم و ليأكلوا البصل و الكراث و يباكروا السمن العربى فيشربوه و ليشموا الطيب و لا يمشون حفاة. و لا ينامون بالنهار.
فإني أرجو أن يسلموا. قال: فأمرهم عمر بذلك و أنشد:

أقول و فوق البحر تحتى سفينة تميل على الأعطاف كل مميل
ألا أيها الركب الذين دليلهم سهيل اليماني دون كل دليل
ألموا بأهل الأبرقين فسلموا و ذاك لأهل الأبرقين قليل
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩١

بأهلى أهل الأبرقين و جيرة ساهجرهم لا عن قلى فأطيل
ألا هل إلى سرح ألفت ظلاله و تكليم أهل الأبرقين سبيل؟

و قال الفضل بن إسحاق [٥١٧]: لقيت أعرابيا فقلت: ممن الرجل؟ فقال: من بنى أسد. قال: فمن أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية. قلت:
فأين مسكنك؟

قال: مساقط الحمى، حمى ضرية بأرض [لعمركم الله] ما نريد بها بدلا، و لا عنها حولا. قد نفحتها العدوات و حفتها الفلوات. فلا يملوح
ترابها و لا يمعرجنابها.

ليس لها أذى و لا قذى [و لا عك و لا موم] و لا حمى. فنحن فيها بأرفه عيش و أوسع. قلت: و ما طعامكم؟ قال: بخ بخ. عيشنا و الله
عيش تعلل جاذبه (؟) و طعامنا أطيب طعام و أهنا و امرأة: الفت و الهييد و الفطس و الصلب و العنكف [و الظهر] و العلهز و الذآنين
[و الطرائث] و العراجين و الحسله و الضباب. و ربما أكلنا القد و اشتوتنا الجلد. فما نرى أن أحدا أخصب منا. فالحمد لله على ما بسط
من الرزق و رزق من حسن الدعء. أو ما سمعت بقول قائلنا و قد كان عالما بلذائذ العيش و طيبه:

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقه و خمس تميرات صغار كوانز

فنحن ملوك الناس شرقا و مغربا و نحن أسود الناس عند الهزاهز

و كم متمنّ عيشة لا ينالهاو لو ناله أضحى به جدّ فائر

[١٢٢ ب] الفث: نبات أسود. و العنكث: نبت. و الذآنين. و الحسل: ولد الضب.

و قال بعضهم: من امارات العاقل ألفه لإخوانه و حنينه إلى أوطانه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩٢

و قال أعرابي و قد سئل عن بلده: كيف لا أشتاق إلى رملئ كنت رضيع غمامها و ربيب طعامها.

و قالوا: السرور لزوم الأوطان و تألف الجيران و منادمة الإخوان.

و أنشدني صديق لي:

كفى حزنا أتى ببغداد نازل و قلبي بأكناف الحجاز رهين

إذا عنّ ركب للحجاز استفرّني إلى من بأكناف الحجاز حنين

و تالله ما فارقتهم قاليا لهم و لكنّ ما يقضى فسوف يكون

و قال آخر:

بأكناف الحجاز هوى دفين يؤرّقني و قد هدت العيون

أحنّ إلى الحجاز و ساكنيه حنين الإلف فارقه القرين

و أبكى حين يهدأ كلّ خلق بكاء بين زفرته أنين

و ما جاران مؤتلفان إلاستفرق بين جمعهما المنون

و أنشد لأبي هلال الأسدي:

أشأقتك الشمائل و الجنوب و من علو الرياح لها هبوب

أتتك بنفحة من شيح نجدتضوّع و العرار بها مشوب

و من بستان إبراهيم غنّت حمائم تحتها فن رطيب

فقلت لها و قيت سهام رام و رقط الريش [٥١٨] مطعمها القلوب كما هيجت ذا طرب حزينا [٥١٩]

إلى أوطانه فبكي الغريب

و قالوا: إذا أردت أن تعلم و فاء الرجل و دوام عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه و تشوقه إلى إخوانه و بكائه على ما مضى من زمانه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩٣

و قالوا: أكرم الخيل أجزعها من السوط، و أكيس الصبيان أشدهم بغضا لكتّاب، و أكرم الصبايا أشدها و لها إلى أولادها. و أكرم

الإبل أشدها حنينا إلى [١٢٣ أ] أعطانها، و أكرم المهارة أشدها ملازمة لأمهاتها. و خير الناس أحب الناس للناس. و أفضل المماليك،

الصغار لأنهم أسرع طاعة و أسرع قبولا.

و روى عن حليف بن جعفر الربعي [٥٢٠] قال: أردت الخروج إلى أخوالي بخراسان. فقلت: و الله لا- خرجت حتى أجدد لي على

سيدي [عهدا] [٥٢١]. فدخل.

فو الله ما كان بين دخوله و خروجه إلا لمحّة لامح، فدخلت و سلمت فردّ السلام و رحب. فبأبي هو و أمي. ما رأيت أحدا أنس إلى

أولياؤه و محبيه و شيعته منه.

فضاحكني سرورا منه بي. ثم قال: ما جاء بك يا حليف؟ قلت: بأبي أنت و أمي، إني أردت الخروج إلى خراسان لزيارة أخوالي. و

إني جئت مستشيرا فأشر عليّ، و أوجز و أطل. فأنت أولى مني بنفسي، لعلّي أتعظ بموعظتك و وصيتك، أن تداركني عند آناء الليل و

النهار فتجنيني من الموبقات و تردّ عن المعضلات. فقال عليه السلام: أما إنك لتجاوز النهر الأغر و البلدة الملعونة، شرارها شرار

الخلق، و خيارها كالتمر المعلق فوق عراجين النخل أمّا الناظر لا يناله من بعد. هيهات لا يدركه إلّا بفراق التراقي. فإذا جاوزتها فلا تأسفنّ عليها. هذه بغداد. يوشك أن يبعث الله فيها غلاما منا أهل البيت [٥٢٢] و لن يؤمن من أهلها إلّا القليل. أما إنك ستجاوزها إلى بلد تقطع دونه آكاما و أودية حتى تبلغ مدينة يقال لها حلوان، شرارها كالذر و خيارها كالدر. يدفع الله من شرارها بخيارها.

أما إنك ستجاوز منها عقبه كزودا تشرف على مدينة يقال لها همذان، شرارها شرار الخلق و خيارها كالشمس بين الغيم، إذا غابت لم يعرف مكانها و إذا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩٤

طلعت اهتدى إليها لحسنها. أولياء الله في شواحق جبالها.

هل رأيت يا حليف طالب خير إلّا ناله؟ و هل رأيت مجانبا للشر إلّا أقصى عنه؟ كل حزب بما لديهم فرحون. كل نفس بما كسبت رهينة. أ لم تر يا حليف أعمى يمشى على ظهر طريق مستقيم؟ أ لم تر أعجم ينطق بالحق؟ قال حليف: بلى. قال: تلك يكشفها النور. يهدى الله لنوره من يشاء [١٢٣ ب] و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون.

أما إنك ستجاوز منها جبالا و أودية حتى تشرف على مدينة يقال لها الرى.

إذا ذكرت القرى فنسيها الله و لا ذكرها. فإن بها مصارع الأخيار. و الله لأهلها- إلّا بعضهم- أشدّ حنقا علينا من كفره بنى إسرائيل على موسى عليه السلام. يقتل فيها رجالنا و يستحلّ بها شتمنا. أ فلهم فينا ثأر فيقيدونا بثأرهم؟ أم لهم قبلنا حق فيطالبونا بحقهم. منعوا حق الله من مال الله قسرا و منعونا خمس الله فلم ننازعهم.

أ فحكم الجاهلية يبغون؟ الله بيننا و بينهم عند إقامة الميزان الذى لا يخس فيه حق المحقين عند جحود المبطلين. فو الله لا تزال تلك العصابة على هذا حتى يبعث الله عليهم نقما منا أهل البيت يقوم. لا خلاق لهم. تقتل فيها رجالهم و تفتنى أموالهم و تسبى ذراريهم و يتواتر الشرّ عليهم. سمعت جدى صلى الله عليه بأثره عن النبى (صلى الله عليه و سلم) أنه قال: هيهات هيهات معاشر الأئمة! لتأمرنّ بالمعروف و تنهون عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم. فعندها يدعو خياركم فلا يستجاب لهم.

[هاتوا برهانا] [٥٢٣] و يحكم كبرهانا. فإن لم تأتوا ببرهان فقولوا صدقت. فإن الله لا يستحيى من الحق. و إن الله عزّ و جلّ لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلّا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضرا و لا يظلم ربك أحدا.

و يحك يا حليف فهذه الرى فلا تسكنها، و دار البلاء فلا تلجها. و إذا قاربتها فحد عنها فإنها مصرع البلاء.

أما إنك ستجاوز منها أودية حتى تشرف على مدينة مدت إليها أعناقها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩٥

الشياطين من الجن و الإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. أولئك أهل نيسابور. أنساك الله و لا ذكرك الاعترار. و إن أعلام بيض [٥٢٤]. سميت بها قلوب الفجار كما يذوب الملح فى الماء. فعند ذلك فليسكنها الأبرار من أوليائنا. صحبتك الله يا حليف حيثما توجهت.

و قال ابن عياش: كانت الفرس تقسّط على آذربيجان و طبرستان و دباوند و قرميسين و مهرجانقذق [١٢٤ أ] و قومس و حلوان و الرى و همذان. و لم تكن إصبهان تدخل فى هذا التقسيط ثلاثين ألف درهم.

و قبيل عبيد الله بن سليمان فى سنة أربع و ثمانين [و مائتين من الثنّائين] بمائة و سبعين ألف دينار بالكفاية على أن لا مؤونة على السلطان. و هى أربعة و عشرون رستاقا منها: همذان. فراوار. و قهباه و أنارمرج و شنسار و شراه العليا و شراه الميانج و الاسفيدحان و

قجر و أنانجر و أرغير و المفازة و الأجم و الأعلم و أزنارد و سمين روذ و سرد روذ، و مهروان و اسفندباد و كوزر دره ساوة. و كان منها نسا و سلقانرود و خرقان. ثم نقلت إلى قروين و هي سبعمائة و ستين قرية. و عملها من باب الكرج إلى سيسر طولاً. و عرضها من عقبة أسدآباد إلى ساوة [٥٢٥].

و حدث زياد بن عبد الرحمن البلخي عن أشياخ من أهل سيسر، أنها سميت بهذا الاسم لأنها في انخفاض من الأرض بين رؤوس آكام ثلاثين. فقيل ثلاثون رأساً. و كانت سيسر تدعى صدخانية لكثرة عيونها و منابعها. و لم تزل و ما والاها مراعى لمواشى الأكراد و غيرهم حتى أنفذ المهدي إليها مولئ له يعرف بسليمان بن قيراط - و أبوه صاحب الصحراء التي تسمى صحراء قيراط ببغداد - و معه شريك له اسمه سلام و يعرف بالطيفوري - و كان طيفور مولى المنصور فوهبه للمهدي - ثم إن الصعاليك و الدغار انتشروا بالجبل و جعلوا هذه الناحية لهم ملجأً. فكانوا يقطعون و يأوون إليها، فلا يطلبون لأنها من حدّ همدان إلى الدينور و آذربيجان. فكتب البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩٦

سليمان بن قيراط و شريكه إلى المهدي يعرفانه ما قد اجتمع في أيديهم من الأغنام و المواشى و الدواب التي في المروج و الحيطان. فوجه إليهما جيشاً و أمرهما ببناء حصن يأويان إليه مع الأغنام و المواشى و الدواب. فبنا مدينة سيسر و حصنها و أسكنها الناس. ثم ضمّ السلطان إليه رستاقا من الدينور يقال له ما ينمرج و رستاقا آخر يقال له الجوزمة من آذربيجان من كورة برزة [١٢٤ ب] و ولاها عاملاً مفرداً. فلم يزل على ذلك إلى أيام الرشيد. فإن الصعاليك كثروا بهذه الناحية و زاد أمرهم. و كان حصن سيسر قد تشعث. فعرف الرشيد ذلك. فأمر ببناءها و تحصينها و رتب فيها ألف رجل [من أصحاب خاقان الحارثي السغدي - و فيها اليوم قوم من أولادهم] [٥٢٦]. فلما كان في آخر أيام الرشيد تغلب مرة بن أبي مرة العجلي عليها، فحاول عثمان الأودي مغالبتها فلم يقدر عليه [و على ما كان في يده من آذربيجان] [٥٢٧]. و لم يزل مرة بن أبي مرة يؤدي الخراج عن سيسر في أيام الأمين على مقاطعة معلومة إلى أن وقعت الفتنة فمنع ما قوطع عليه. فلما استقر الأمر للمأمون أخذت من مرة و أخرجت عن يده و جعلت في ضياع الخلافة. و من العجائب التي بهمدان:

أسد من حجر على باب المدينة يقال إنه طلسم للبرد من عمل بليناس صاحب الطلسمات حين وجهه قباد الأكبر لما أراد أن يطلسم آفات البلاد. و يقال إن الفارس كان يغرق بفرسه في الثلج بهمدان لكثرة ثلوجها و بردها. [فعمل بها الأسد و هي صورة أسد عظيم من حجارة بحذاء أروند جبلها المطل عليها] [٥٢٨] قلّ ثلجها و صلح أمرها. و عمل أيضا على يمين الأسد طلسماً للحيات فقلت. و آخر للعقارب فنقصت و آخر للغرق فأمنوه. و آخر للبراغيث فهي قليلة جدا بهمدان.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩٧

و لما عمل بليناس هذه الطلسمات بهمدان استهان به أهلها و لم يلتفتوا إليه فاتخذ على جبلهم الذي يقال له أروند طلسماً مشرفاً على المدينة للجفاء و الغلظ فهم أجدى الناس و أغلظهم طبعاً. و عمل آخر للغدر، فهم أغدر الناس. و لذلك حوّلت الملوكة الخزائن عنها خوفاً من غدر أهلها.

و اتخذ طلسماً آخر للحروب و العساكر لتكثر بها فليست تخلو من عسكر أو حرب.

قال: و أنشدني محمد بن أحمد المعروف بابن الحاجب لنفسه في الأسد الذي على باب همدان:

ألا أيها الليث الطويل مقامه على نوب الأيام و الحدائ
أقمت فما تنوى البراح بحيلة كأنك بواب على همدان
أطالب ذحل أنت من عند أهلها أين لي بحق واقع ببيان
أراك على الأيام تزداد جدّة كأنك منها آخذ بأمان

[١٢٥ أ]

أقبلك كان الدهر أم كنت قبله فنعلم، أم ربيتما بلبان؟
 و هل أنتما ضدان كل تفردت به نسبة أم أنتما أخوان؟
 بقيت فما تفنى و أفنيت عالما سطا بهم موت بكل مكان
 فلو كنت ذا نطق جلست محدثا فحدثنا عن أهل كل زمان
 و لو كنت ذا روح تطالب ما كلالأفنيث أكلا سائر الحيوان
 أجنب شرموت أم أنت منظرو إبليس حتى يبعث الثقلان؟
 فلا هرما تخشى و لا الموت تتقى بمضرب سيف أو شبة سنان
 و عما قليل سوف تلحق من مضى و جسمك أبقى من حرا و أبان
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩٨

و أنشدنى أبو محمد عبد الله بن محمد بن زنجويه يذكر فيها الأسد و كل صورة مشهورة فى الأرض [٥٢٩]:
 أرقق للبرق اللومع اللائح و حمام فوق الغصون نوائح
 أم شاقك الطيف الملم بينه فظلمت ترعى كل نجم لائح
 أم قد ذهلت بليث غاب رائع مذ كان عن همذان ليس بنازح
 موف على صم الصخور كأنه يبغى الوثوب على الغزال السانح
 فى الصيف تحرقه السموم و بعدها برد الشتاء بزهرير لافح
 و إذا الرياح عصفن من أروندا نخلت الهيرير بمثل ترس الرامح
 و إذا الرعود تتابعت بسحابة لقي الزماهر بالمجن الكالاح
 و إذا الربيع تتابعت أنواؤه و تنفست أنواره بروائح
 ألفيته متبسمًا لنسيمها و محيا أروند فعل مصافح
 لو كان يفهم عنك خبر بالذى أفنى الدهور و كل أمر فادح
 و لقال إن المرء ينقذه التقى و نجاته قصد الطريق الواضح
 تمضى الدهور و ما يروم فريسه فعل الطمر الكسروى القارح
 شبديز إذ هو واقف فى طاقه يعلوه برويز بحسن واضح
 ما إن تراه عليه فى غلوائه يوم الهياج و لا الطمر بسابح
 برويز عن شبديز ليس ببارح و الليث عن همذان ليس ببارح
 و كذا بتدمر صورتان تعانقافى الحسن أشبهتا بنتى ضارح
 لا يسأمان من القيام و طال ماصبرا على صرف الزمان الكادح
 و بأرض عاد فارس يسقيهم بالعين عذبا كالفرات السائح
 فإذا انقضى الشهر الحرام و طفحت تلك الحياض تجف عين الرامح
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٤٩٩

و بأرض وادى الرمل بين مهامه يلقاك قبل الحتف نصح الناصح

طرف هنالك باسط يمينه أن ليس بعدى مسلك للسائح
و بفارس سابور صوّر عبرة فكأنه يصغى لمدح المادح
خذها إليك و قل مقاله عادل ليس الضنين بعلمه كمسامح
قد كنت قلت قصيدة سوغتها من رابها بتجالد و تكافح
سيئته فجعلتها حائيه فيها عجائب من صحيح فاتح
فاذا أبيت جعلتها ضاديه من جوهرية ما تجنّ جوانحي]] [٥٣٠]

و قد كان المكتفى همّ بنقل الأسد من باب همذان إلى بغداد، و ذلك أنه نظر إليه فاستحسنه و كتب إلى عامل البلد [حمد بن محمد] يأمره بذلك. فأجمع وجوه أهل الناحية و قالوا: هذا طلسم لبلدنا من آفات كثيرة و لا يجوز قلعه فيهلك البلد. فكتب العامل بذلك إلى الوزير و قد كان كتب إليه أن قدر النفقة عليه فإننا نوجه لحمله الفيلة تحمله على عجل. فلما ورد كتابه على السلطان بانتفاض أهل البلد من ذاك و في الكتاب أيضا أنه لا يستوى حمله، للجبال و العقاب التي في الطريق لا سيما في الحدود. فأجاب أنه أن أضرب عن حمله.

و العامة تزعم أن الأسد مما عملته الجن لسليمان بن داود عليهما السلام.

و على جبل نهاوند طلسمان و هما صورة ثور و سمكة من ثلج لا يذوبان شتاء و لا صيفا و هما ظاهران مشهوران يراهما الناس. و يقال إنهما للماء حتى لا يقل بنهاوند ما في ذلك الجبل. فأما ذلك الجبل فينقسم نصفين: نصف يأخذ إلى نهاوند و نصف يأخذ في الغرب حتى يسقى رستاقا يعرف برستاق الأشر.

و بنهاوند قصب تتخذ منه ذريرة و هي هذا الحنوط، فما دام بنهاوند و شيء من رساتيقها فهو و الخشب بمنزلة واحدة لا رائحة له. فإذا حمل منها و جاوز العقبة [١٢٥ ب] التي يقال لها عقبه الركاب، فاحت رائحته و زالت الخشبية عنه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠٠

و قد ذكر مثل هذا عن التفاح الشامي و أنه يحمل من الشام و ليست له رائحة.

و لا يزال كذلك يتخذ في الفرات فإذا انحدر فاحت رائحته و ذكت. و هي شيء صحيح لا يتمارى فيه اثنان من أمر الذريرة و أمر التفاح.

و بنهاوند موضع يقال له وازواز البلاغة [في رستاق الاسفیدهان] [٥٣١] فيه حجر فيه ثقب يكون فتحه أكثر من شبر يفور منه الماء في كل يوم مرة أو مرتين. فيخرج و له صوت عظيم و خرير هائل فيسقى أرضين كثيرة، ثم يتراجع حتى يدخل ذلك الثقب و ينقطع. و ذكر ابن الكلبي أن هذا الحجر مطلمس بسبب الماء لا يخرج إلّا وقت الحاجة ثم يغور حين يستغنى عنه.

و يقال إن الأكار يجيء إليه وقت الحاجة و معه المرّ فيقف بإزاء الثقب ثم ينقره بالمرّ دفعة أو دفعتين فيفور الماء بدوى شديد. فإذا سقى ما يريد و بلغ منه حاجته، تراجع إلى الثقب و غار فمه إلى وقت الحاجة إليه.

قال: و هذا مشهور بالناحية ينظر إليه كل من أحب ذلك و أراد.

و بنهاوند أيضا أعجوبة مشهورة. و هي صخرة عظيمة في جبلهم يقال لها كلان. فمن غاب له غائب أو أبق له أبق أو كان له عليل أو سرق منه شيء جاء إلى الصخرة و نام عندها. فإنه يرى أيّ هذه الأمور أراد على الصورة التي هو عليها من الخير و غيره.

و يوجد على حافتي نهرها طين أسود للختم، و هو أجود ما يكون من الطين و أشده سوادا و تعلقا. يزعم أهل الناحية أن السراطين تخرجه من جوف النهر و تلقيه على حافته و يقولون إنهم لو حفروا في قرار النهر و جوانبه مائة ذراع و أكثر ما وجدوا منه شيئا إلّا ما تخرجه السراطين.

و حدثني رجل من أهل الأدب قال: رأيت بنهاوند فتى من الكتّاب و هو شبيه بالساهى فقلت له: ما حالك؟ فقال:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠١

يا طول ليلي بنهاوند مفكرا في البث و الوجد
فمرة آخذ في منية لا تجلب الخير و لا تجدى
و مرة أشد و بصوت إذا غييته صدع لى كبدي
قد جال هذا الدهر في جولة فصرت منها ببر و جرد
[١٢٦ أ]

كأننى في خانها مصحف مستوحش في كف مرتد
الحمد لله على كل ما قدر من قبلى و من بعدى

و في رستاق من رساتيق نهاوند قرية يقال لها كنخواست على تل لها صورة فرش من الحشيش الأخضر يراه الناس في الشتاء و الصيف
ناصر الخضرة لا يتغير يقال انها طلسم للكلا فهى أكثر بلاد الله حشيشا.

و بهمدان صخرة عظيمة فى موضع يقال له تبنان [٥٣٢] من دار نهبان. و هذه الصخرة فى سفح جبل و قد نقر فيها طاقان مرتفعان
يكونان على قامتين و بسطة من الأرض يقال [له] نبشت خزاين. قد نقر فى كل واحد من هذين الطاقين مثل الألواح فى كل واحد منها
عشرون سطرا منقورة مكتوبة بكتابة تعرف بالكشتج.

فيقال إن الإسكندر اجتاز بهمدان و نظر إلى هذه الصخرة و حسنها و ارتفاعها و ملاستها فى سفح هذا الجبل، فأمر بنقر الطاقين فيها و
كتب ما هو مكتوب.

و قد ذكر جماعة من علماء الناحية أنهم لا يعلمون من عمل الطاقين و كتب الكتابة لأنها قديمة. و ان الإسكندر اجتاز بالموضع و نظر
إلى الصخرة و ما عليها من الكتابة فاستحسن ذلك. و أمر بقراءة ما على اللوح فقرأت و كانت: الصدق ميزان الله الذى يدور عليه
العدل. و الكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور. و هما يتعالجان [٥٣٣] و يتعاقبان و يتعاوران فى العباد و البلاد. فإذا رجح
الصدق بالكذب رجح

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠٢

العدل بالجور. و إذا حال الكذب بالصدق، مال الجور بالعدل. فأطبقت الأرض ذنوبا. فقولوا الصدق و لو بمقياس شعرة، فإنه نور من
نور الله. و اجتنبوا الكذب و لو بمقياس شعرة فإنه عدة من عدد الشيطان. و اصدقوا من صدقكم يولد الصدق صدقا. و لا تكذبوا من
كذبكم فيولد الكذب كذبا. فإن لهما من طبائعهما و جنسهما لقاحا و لهن حلبا. فحلب الصدق و لقاحه لمن تمسك به النجاة. و حلب
الكذب و لقاحه لمن تمسك به الهلكة. و ثمرة ذاك داء. و ثمرة هذا دواء.

فكونوا أيها الحكماء صديقين تمتلى أفواهكم نورا، و لا تكونوا كذابين فتغلب على ألسنتكم اللعنة. فإنى افتتحت بالله كلاما كنت به
صادقا فمشيت على الماء و افتتحت [١٢٦ ب] بالشيطان كلاما كنت به كاذبا فهويت فى الظلمة.

فجعلت توبتى من تلك الكذبة عظتى فى هذه الصخرة ليتعظ بى متعظ و يأخذ عن تجربتى آخذ. فخذوا هذه الحكمة الناطقة عن هذه
الصخرة الصامتة.

[و وقفت أنا و عبد الله بن محمد بن زنجويه بن مهران و هو من بنك دهاقنة همذان و أصحاب ساروق و حصنها، فقرأت عليه خبر
الإسكندر فأنشدنى لنفسه:

قدك عن القهوة و الحورلست مع الشيب بمعذور

تقدمه الموت مشيب فهل أنت عن اللّهُ بمزجور
 كم لك يا عاقل من عبرة لو نفع الحذر لمحذور
 كتابه في سفح أروندنافي صخرة من عهد سابور
 الصدق ميزان الجواد الذي باليسر يأتي بعد معسور
 و المين مكيال اللّعين الذي أخرجنا من معدن الحور
 يا أيها الناطق صدقا لقدملي به فوك من النور
 و أيها الشاهد زورا لقدهويت في هوة دردور
 إنني افتتحت القول بالله كي أمشي على ساحل ممخور
 فظلت فوق الماء و البحر لي و الموج في طاعة مأمور
 و قلت بالشیطان قولاً به ظلمت في ظلمة ديجور
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠٣

كفاك أني تائب واعظفي الحجر الصلد عن الزور
 خذ هذه الحكمة عن صخرة تبقى إلى النفخة في الصور [٥٣٤]

و قال بعض الحكماء: وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجساما و أعظم من أجسامهم أحلاما. و أشدّ قوة و أشدّ بقوتهم امتحانا. و أطول أعمارا و أطول بأعمارهم للأموار اختبارا.
 فكان صاحب الدين منهم أبلغ في أمر الدين علما و عملا من صاحب الدين منا. و كان صاحب الدنيا كذلك. و وجدناهم لم يرضوا بما قلدوا به من الفضل حتى أشركونا معهم بأنفسهم فيما ابتغوا من علم الآخرة و الأولى. فكتبوا به الكتب الباقية و كتبوا بها التجارب و الفطن و بلغ اهتمامهم بذلك أن الرجل منهم كان يفتح له باب من العلم و كلمة من الصواب و هو بالبلد غير المأهول فيكتبه في صخرة من جبل و على باب قصر خراب، ضنا منه بذلك و كراهية أن يسقط ذلك الباب و تشذ تلك الكلمة على من يأتي بعدهم.
 فكتبوا الكتب الباقية من العلم و كان صنعهم في ذلك صنع الوالد المشفق على الولد البار. و كانوا يعمدون إلى المواضع المشهورة و الأماكن المعروفة التي هي أجدر أن تبقى على وجه الدهر و تبعد من الرءوس فيجعلون منها الشيء من الحكم و الباب من العلم كما كتبوا على قبة غمدان و على عمود مأرب و على ركن المشقر و على سوارى الاسكندرية و على إيوان الحضرة و على الأبلق الفرد و على الهرمين و على باب الرها و على باب القيروان و على باب سمرقند و على صخرة همذان.
 المملحة بفراهان:

قالوا: و من عجائب همذان الملاحه التي برستاق يقال لها فراهان. و هي بحيرة تكون أربعة فراسخ في مثلها. فإذا كانت أيام الخريف و استغنى أهل تلك

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠٤

الرساتيق عن المياه للزراعة، صوّبت سائر المياه إلى هذه البحيرة، فلا تزال تصب إليها سائر الخريف و الشتاء، فإذا كان وقت الربيع و احتاج الناس إلى الماء، قطع عنها فصار [١٢٧ أ] ماؤها كله ملحا. فيأخذه الناس و يحمله الأكراد الجابارقة و غيرهم إلى البلدان فيباع.
 و زعم ابن الكلبي أن بليناس طلسم هذه البحيرة أن يكون ملحا ما لم يحظر عليها و يمنع الناس. فمتى حظر عليها و منع الناس منها، نشفت الماء أولا و لم يكن فيها شيء من الملح.

و في هذا الرستاق قرية يقال لها الفردجان و كان فيها بيت نار عتيق. و هي أحد النيران التي غلت فيها المجوس مثل آذرخره، و نار جم الشيد و هي الأولى و نار ماجشنسف و هي نار كيخسرو. لأن المجوس غلت في هذه النيران غلوا لا تضبطه العقول فقالوا: كان مع زردشت ملك يشهد له عند كشتاسف أنه رسول ثم عاد ناراً.

و أما نار جم الشيد فهي نار آذرخره، كانت بخوارزم فنقلها أنوشروان إلى الكاريان [في ناحية فارس] [٥٣٥]. فلما ملكت العرب تخوفت المجوس أن تطفأ فصيروها جزأين: جزء بالكاريان و جزء حمل إلى فسا. لأنهم قالوا إن طفئت واحدة بقيت الأخرى. و أما آذرشنسف، نار كيخسرو. فإنها كانت بيرزة من آذربيجان، فنظر أنوشروان في ذلك و فكر فنقلها إلى الشيز لأنها كانت عظيمة عندهم.

و في زمزمة المجوس [٥٣٦]: إن نار آذر جشنسف يوكل بها ملك بالبركة،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠٥

و بالبركة ملك بجبل يقال له سبلان ملك. و إن هؤلاء الأملاك الثلاثة مأمورون بتأييد أصحاب الجيوش.

فقال أنوشروان: لا يمكنني أن أنقل نار آذرشنسف و البركة إلى سبلان فأجمعهن ثلاثتهن. فإذا فاتني هذا فإني أنقل آذرشنسف إلى هذه البركة ليتعاون الملكان.

و أما نار زردشت فهي بناحية نيسابور و لم تحوّل، و هي أحد الأصول من نيرانهم.

و مما غلت فيه المجوس أيضاً، نار آذرشنسف و هي النار التي بالفراهان.

قال المتوكلي: فحدثني بعض المجوس ممن رآها أن مزدق [٥٣٧] لَمَّا غلب على قباد قال: ينبغي أن تبطل النيران كلها إلا الثلاث الأوائل و تنقل هذه إليهن. ففعل. فذكر أن نار آذرشنسف خرجت حتى صارت إلى ماجشنسف بآذربيجان فاختلطت معها فكانوا إذا أضرموها ظهرت نار آذر جشنسف حمراء و ظهرت ماجشنسف بيضاء إذا دسوها بالشحم. فلما قتل مزدق ردّ الناس النيران [١٢٧ ب] إلى أماكنها فافتقدوها بآذربيجان. فلم يزالوا يقتفون أثرها حتى وقفوا على أنها رجعت إلى الفردجان. فلم تزل في هذا البيت في هذه القرية إلى سنة اثنين و ثمانين و مائتين فإنه صار إليها أبزون [٥٣٨] التركي - و كان يتولى قم - فنصب على سور القرية المجانيق و العرادات حتى افتتحها و أخرج سورها و هدم البيت و أطفأ النار و حمل الكانون إلى قم فبطلت النار منذ يومئذ.

و زردشت [٥٣٩] شدّد عليهم بالوعيد لَمَّا رأى من برد بلادهم. و لذلك أمرهم بعبادة النيران، لأن أهل الكلام يزعمون أن زردشت جاء من بلخ فادعى الوحي و أنه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠٦

نزل عليه الوحي على جبل يقال له سبلان، و انه حين رأى سكان تلك الناحية الباردة لا يعرفون إلا الأذى بالبرد و لا يضربون المثل إلا به و لا يتوعدون إلا به حتى يقول الرجل لعبد إذا أذنب ذنبا عظيما: لئن عدت إلى مثل هذا لأنزعن ثيابك و لأقيمك في الريح و لأطرحك في الثلج.

فلما رأى أن موضع البرد عندهم هذا الموقع، جعل الوعيد بتضاعيفه. و يظن أن ذلك أزر لهم.

و قال عبد الله بن زياد [٥٤٠]: كان سبب عبادة النار عند المجوس أنه لَمَّا ولد المسيح عليه السلام، رأى الملك الذي كان في وقته للفرس - و قد قيل إنه كان أردشير - كان يرقى نعشا ثم أحرق نجمه. فهاله ذلك و جزع منه، و سأل عن القصة فبلغه خبر المسيح، فأهدى إليه هدية فيها صبر و غسل مع ثلاثة رجال من أهل فارس. فانطلقوا إلى الشام حتى لقوه و دفعوا إليه الهدية، فقبلها. ثم إن المسيح أهدى إلى ملك الفرس ثلاثة أقراص من خبز شعير قربانا مع الرسل و أوصاهم بوصية. فخرجوا من الشام يريدون بلد فارس. فبينما هم في الطريق إذ قال واحد منهم: لو أكل كل واحد منا قرصا من هذه الأقراص فكان يفوز بالفضل الذي فيها، فإن هذا الرجل - يعني المسيح - لم يكن يوجه إلى الملك هذه الأقراص إلا لفضل عظيم فيها. فتتابع اثنان على ذلك و أكلا قرصيهما. و أبي الثالث

أن يفعل. فقالا- له: إننا نخاف على أنفسنا من الملك أن وقف على فعلنا. فما [١٢٨ أ] أن تأكل قرصك و إما أن نقتلك. قال فإني آكله. و أوهمهم ذلك ثم دفته. و انطلقوا حتى صاروا إلى صاحبهم فقال لهم: ما الذى قال لكم؟ فعرفوه ما أوصاهم به. قال: فأى شىء و وجه معكم؟ قالوا: لم يوجه معنا شيئاً. فقال: كذبتهم. ما كان ليردكم بغير شىء. أصدقوني، ما الذى صنعتهم بما أعطاكم؟ فصدقوه عن الأمر، و عرفه الذى لم يأكل القرص ما فعل به و وصف له المكان الذى دفته فيه. فقال: انطلق بنا حتى تقفنا على الموضع الذى دفتته فيه. فانطلق و الملك معه. فلما صارا إلى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠٧

الموضع أوقفه عليه. فأمر أن يحفر المكان و يستخرج القرص، ففعلوا ذلك.

فهاجت فى وجوههم نار عظيمة منعتهم من استخراجها. فحاولوا ذلك غير مرة و هى تمنعهم. فقال أردشير: بهذه النار أرسلكم. فمن يومئذ عظمت فارس النار و عبدتها.

و رأينا جماعة من علماء المجوس يدفعون هذا و لا يعترفون به و يزعمون أن تعظيم النار قبل مولد المسيح بالدهر الطويل.

و قال الجاحظ [٥٤١]: من المواضع التى عظمت النار لها، أن الله عز و جل جعلها لبنى إسرائيل فى موضع امتحان إخلاصهم و تعرف صدق نياتهم. فكانوا يتقربون بالقربان، فمن كان منهم مخلصاً، نزلت نار من قبل السماء حتى تحيط بقربانه فتأكله. و من لم تأكل النار قربانه، قضوا على صاحبه أنه مذموم القلب فاسد النية.

فهذا باب مما عظم الله به شأن النار فى صدور الناس. و منه قول الله عز و جل و هل أتاك حديث موسى: إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً على آيتكم منها بقبس أو أجد على النار هدى. فلما أتاه نودى يا موسى، إنى أنا ربك فأخضع نفسك إنك بالوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى.

و قال فى موضع آخر الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون.

و النار من أكبر الماعون [٥٤٢] [و أعظم المرافق] و لو لم يكن فيها إلما أن الله جل و عز جعلها الزاجرة على المعاصى لكان ذلك مما يزيد فى قدرها و فى نباهة ذكرها و قال أفرأيتم النار التى تورون؟ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون نحن

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠٨

[١٢٨ ب] جعلناها تذكرة و متاعاً للمؤمنين. وقف عند هذا القول. فإن كنت مؤمناً فتذكر ما فيها من النعمة أولاً ثم النعمة آخراً، ثم قوم بمقادير النعم و تصاريفها.

و قد علمنا أن الله عز و جل قد عذب الأمم بالغرق و الرياح و الحاصب و الصواعق و الخسف و غير ذلك، و لم يبعث عليهم ناراً، كما بعث عليهم ماء و ريحاً و أحجاراً. و جعل النار من عقاب الآخرة. و نهى أن يحرق بها شىء من الحيوان و الهوام [و قال: لا تعدبوا بعذاب الله]. فقد عظمتها كما ترى.

و قال عز و جل يُوسِئِلُ عَلَيْكُمْ سُحُوطٌ مِّنْ نَّارٍ وَ نَحَّاسٌ فَلَا تَنْتَصِرُونَ، فَبِأَىِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذَّبُونَ. فجعل الشواظ و النحاس و هما النار و الدخان من الآية. فلذلك قال على نسق الآية فَبِأَىِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذَّبُونَ.

و نار أخرى و هى نار إبراهيم عليه السلام التى ألقى فيها فجعلها الله عز و جل عليه برداً و سلاماً.

و نار أخرى و هى النار التى كانوا [يستمتطرون بها] فى الجاهلية فإنهم كانوا إذا تابعت عليهم الأزمات و احتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا و جمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا فى أذناها السلع و العشر المشدود فى أذناها البقر [و أشعلوا فيها النيران] و ضجوا بالبكاء و الدعاء و التضرع. فكانوا يرون ذلك من أسباب السقيا لهم. و لذلك قال الشاعر [٥٤٣]:

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم يستمتطرون لدى الأزمات بالعشر

أ جاعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله و المطر

و نار أخرى كانوا يوقدونها عند التحالف و التعاقد، فيذكرون منافعها و يدعون الله بالحرمان و المنع من منافعها على الذى ينقض العهد و يخيس العقد. و ربما دنوا من النار حتى تكاد تحرقهم. و يهولون بذلك على من يخافون غدره. و قال الكميت: البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٠٩

كما شب نار الحالفين المهول [٥٤٤]

و نار أخرى يوقدونها خلف المسافر الذى لا يرون أن يعود من سفره.

و نار أخرى و هى نار الحرّتين، و هى نار خالد بن سنان أحد بنى مخزوم من بنى قطيعة بن عيس - و كان يقال نبي - و لم يكن فى بنى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام نبي قبله. و هو الذى [١٢٩ أ] أطفأ نار الحرّة و كانت ببلاد بنى عيس حرّة تسطع بالنهار دخانا و تتقد بالليل نارا، و ربما ندرت منها العنق [٥٤٥] فأنت على كل شىء تناله.

و كان أهل تلك الأرض منها فى بلاء عظيم حتى بعث الله خالد بن سنان فساقها بعصاه حتى أدخلها بثرا كانت بالحرّة، ثم اقتحم معها البئر حتى غيبتها ثم خرج. و قد ذكرنا أخباره فى كتاب العجائب.

و المتكلمون يدفعون أمر خالد و يقولون كان أعرابيا و برىا من أهل شرح و ناظره، و لم يبعث الله نبيا قط من العرب الذين ينزلون البادية و يسكنون بيوت الوبر. و إنما يبعثهم من القرى و ساكنى المدر. قال خلود عينيى العبدى:

و أى نبي كان فى غير قومه و هل كان حكم الله إلا مع النخل

و أهل الكتاب يزعمون أن الله أوصاهم بالنار و قال (لا تطفئوا النار من بيوتى). فلذلك لا تجد الكنائس و جميع بيوت العبادة تخلو من نار موقدة فى سرج و قناديل ليلا- و نهارا. و أما المجوس فإنهم لم يرضوا بمصاييح أهل الكتاب حتى اتخذوا للنيران البيوت و السدنة و وقفوا عليها الغلات الكثيرة. و هم يقدمون النار فى التعظيم على الماء و يقدمون الماء فى التعظيم على الأرض و لا يكادون يذكرون الهواء.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١٠

و ما زالت السدنة تحتال للناس من جهة النيران بأنواع الحيل كاحتيال رهبان كنيسة القيامة بيت المقدس بقولهم إنهم فى بعض الأعياد يطفئون سائر القناديل التى فى البيعة، و إن نارا تنزل من السماء حتى تلهب قنديلا قد جعلوه لذلك، و إن النار التى تلهبه تكون مضيئة ليست لها حرارة، فكلما ألهب منها قنديل آخر أخذت فى الاحمرار و الحرارة حتى تعود إلى الطبع.

و كما قالت المجوس فى آذر جوى و شق حين بنوا الكانون على قنارة و نفاطة.

و نيران آخر منها: نار البرق و نار الحباب و هى اليراعة. و اليراعة دودة خضراء تكون فى آخر الربيع تطير بالليل كأنها شرارة نار، فإن أخذها أخذ و جعلها فى يده و نظر إليها [كانت] [٥٤٦] كأنها نار. و أهل القرى يجعلونها على جباههم يلعبون بذلك. و هى بالنهار دودة خضراء.

و يقال إن بطلا أراد السلطان معاقبته، فأقامه فى ماء بعض النهار [١٢٩ ب] و كانت ليلة باردة كثيرة الثلج. فنظر إلى مصباح فى القرية فوضع عينيه عليه، و لم يزل فى الحياة حتى خمد المصباح. فلما خمد المصباح مات الرجل من وقته، و كانت حياته بنظره إلى النار.

و ذكر الله عزّ و جلّ فضل النار فى عدة مواضع من كتابه، من ذلك قوله الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون. فجعلها أعظم من الماعون معونة و أخفها مؤونة. و الماعون الأكبر الماء و النار ثم الكلا و الملح.

و الوجه الآخر من الامتنان بالنار قوله يُوسل عليكما شواظ من نارٍ و نحاسٍ ... الآية. و ليس يريد أن إحراق العباد بالنار من و الآية و نعمائه، و لكن أراد بالوعيد الصادق، إذ كان فى غاية الزجر فهو من النعم السابعة و الآلاء العظام.

و كذلك القول فى خلق جهنم إنه نعمه عظيمة و منة جلية، إذ كان زاجرا عن نفسه ناهيا، و إلى الجنة داعيا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١١

ثم بالنار يعيش أصل الأرض من وجوه، فمن ذلك صنيع الشمس في البرد و الماء و الأرض. ولأنها صلاح جميع الحيوان عند حاجتها إلى دفع عادية البرد، ثم سراجهم الذى يستصبحون و بضياته يميزون الأمور.

و فى الأرض عيون قار و عيون زئبق و عيون نפט و كبريت، و معادن ذهب و فضة و رصاص و نحاس و حديد. فلو لا ما فى بطن الأرض من أجزاء النار، ما ذاب فى قعرها جامد و لما انسبك فى معادنها شىء من الجواهر، و لما كان لقواها جامع و لخبثها مفترق [٥٤٧].

ثم رجع بنا القول إلى ذكر البلدان.

قالوا: و فى بعض رساتيق همذان عيون ماء تنبع، فإذا جرى من مكانه و زال عن موضعه تحجر و صار صخرًا تبنى به الأبنية. و قيل أيضا إن الشب اليماني إنما هو ماء يقطر من كهوف فى جبال باليمن، فإذا وقع إلى الأرض استحجر و صار شبا و حمل إلى سائر البلدان. و كذلك النوشاذر و معدنه كهف بكرمان. و زعموا أنه بخار يتكاثف فى ذلك الكهف، فإذا اجتمع خرج إليه السلطان و أهل البلد فجمعوه و أخذ السلطان حصه منه و سلم الباقي إلى أهل البلد فتوزعوه على رسوم قد تراضوا بها.

ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها

و قال بعض العلماء: لولا أن الله عز و جل بلطفه خص كل بلد من البلدان و أعطى كل إقليم من الأقاليم شيئا قد منعه غيره، [١٣٠ أ] لبطلت التجارات

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١٢

و ذهبت الصناعات و لما تغرب أحد و لا سافر إنسان و لتركوا التهادى فيما بينهم و لذهب الشرى و البيع و الأخذ و الإعطاء. إلا أن الله جل و تقدس أعطى كل صقع نوعا من الخيرات لم يعطه الصقع الآخر ليسافر هذا إلى بلد هذا، فيحمل متاع أرضه. و هذا إلى مدينة هذا فيحمل عجائب مدينته.

و قيل فى قول الله عز و جل وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا أَنه أراد بها جعله فى بلد دون بلد، مثل الكاغذ بسمرقند و القرطاس بمصر.

و لذلك خص بلاد الهند بأنواع الطيب و الجواهر و اليواقيت و أشباه اليواقيت و غير ذلك من الأحجار المثلثة. و لهم أصناف الطيب كالعود و العنبر و الكافور و القرنفل و الخولنجان و الدارصيني و غير ذلك من أنواع الطيب. و لهم الصندل و التوتياء و الهليلج و أنواع كثيرة لو ذكرناها لطال بها الخطب و لخرج الكتاب من الغرض الذى قصدناه. و لهم القثاء و الخيزران و البقم و الصندل الأحمر و الأبيض، و لهم الساج و الفلفل. و فى بلادهم الطواويس و الفيلة و الكركدن.

و قد خص الله أهل الصين بإحكام الصناعات و أعطاهم منها ما لم يعط أحدا، فلهم الحرير الصينى و الغضائر الصينى و السروج الصينى و غير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل. و لهم أيضا مسك إلا أنه ليس بجيد. و قالوا إنما يتغير فى البحر لطول المسافة.

ثم الروم و ما قد خصهم الله به من العلوم و الآداب و ما قد أعطوا من الهندسة و الفلسفة و الحدق بالأبنية و المصانع و اتخاذ الحصون و عقد القناطر و الجسور و عمل الكيمياء و الكساء الرومى و الفرفير و البيزون. و فى بلادهم الميعة و المصطكى.

ثم النوبة و ما قد خصوا به من جودة الرمى و ما قد انفرد به بلادهم من العجائب. و لهم الخيل العجيبة و النجب التى تسبق الخيل. و لهم الكلاب التى تقاتل الأسود.

و كذلك البجة و فى بلادهم معدن الزبرجد و معدن الذهب، و زيهم زى العرب كأنهم من رجال اليمن.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١٣

ولأهل المغرب البغال البربرية [١٣٠ ب] و الجوارى الأندلسيات و النمر الزنجية.

ثم ما قد خصّ به أهل مصر، من النيل و عجائب ما فيه من طرائف السمك و التماسيح، و لهم السمك الرعاد إذا وقع فى شبكة الصياد ارتعدت يده و لم يملك من أمره شيئاً حتى يخلى هذا النوع من شبكته.

و لهم السقنقور و خاصيته فى الجماع لا تدفع. و لهم الثياب الديقية و الشطوية، و الأردية التى تكاد سلوكها تختفى عن نظر إليها. و يقال إن نسايجها أوسخ الناس و أقدرهم، و هم يأكلون الأطعمة الكريهة الروائح من السموك المملحة و اللحم الغثة و لا يغسلون أيديهم و تنتن روائحهم. و إذا قطعوا الثوب بعد ما قد ناله من وسخهم و درن أبدانهم ما لا يوصف، وجد فى نهايه الحسن و طيب الرائحة.

و كذلك أيضا نسايج الديباج بتستر و حاكه الخز بالسوس على ما وصفنا من القذر و التن و الرائحة الكريهة و الوسخ، و تخرج الثياب من أيديهم و هم ينسجون هذه الثياب التى تخفى دقة من الحسن و الرائحة بغير أثر و لا تغير. و هذه خاصيته يشكّل أمرها على سائر من تفقدها و أراد الوقوف على العلة فيها.

و لهم أيضا ضروب آخر من الثياب، منها المسير، و هم أحذق الناس بعمل ثياب الصوف و الأكسية.

و لهم البغال المصرية و الحمر المرسية و الثياب التنيسية و الاسكندرية.

ولأهل اليمن الحلل اليمانية و الثياب السعيدية و البرد العذبية. و العدنية. و فى بلادهم الورد و الكندر. و لهم النجائب المهرية و السيوف اليمانية. و فى بلادهم القردة و النسناس و غير ذلك من أنواع العجائب.

ثم العراق وسط الأرض و خزانه السلطان و دار المملكة.

و ما قد أعطى أهل الكوفة من عمل الوشى و الخز و غير ذلك من أنواع الثياب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١٤

و الأمتعة و التمور، فإن فيها من أنواع التمور و القسوب ما قد عدم مثله بالبصرة و الأهواز و بغداد و الحجاز.

فمن تمورهم الهيرون و النرسيان و القسب العنبرى و الآزاد و غير ذلك.

ثم قل فى عجائب بغداد التى قد اجتمع فيها ما هو مفترق فى جميع أقاليم الأرض من أنواع [١٣١ أ] التجارات و الصناعات. فلهم الذى لا يشركهم فيه أحد:

الثياب المروية و الملح و القيراطى و غير ذلك. و لهم أنواع الزجاج المحكم من الأقداح و الأقحاف المخروطة و المجرودة التى تختار على البلور لرقتها و صفاء جوهرها. و لهم الدارشى و اللكاء [٥٤٨] و فيها أعجوبة لا يوقف عليهما و لا يدرى ما العلة فيها. و ذلك أن اللكاء إن عمل فى الجانب الذى يعمل فيه الدارشى لم يستو بنفسه و لا يكون منه شىء. و كذلك الدارشى أيضا إن عمل فى الجانب الذى يعمل فيه اللكاء انفسد. و قد عمل ذلك غير مرة فكان كما قلنا فى الفساد.

و مثل هذه أشياء كثيرة منها القراطيس التى تعمل بمصر فإنها لا تستوى إلا بمصر دون غيرها من سائر البلدان. و قد نقل صناعتها المعتصم من مصر إلى سمرى، فما استوى لهم منها إلا شىء ردىء و لا يحزر المكاتبه فيه.

و كذلك أيضا البطيخ الناعورى، فإنه لا يكون جيدا إلا فى ضيعه من ضياع الموصل تعرف بالناعور. و قد حرص المعتضد على أن يستوى ببغداد و حمل مع بذره ترابا من تربته و ماء من العين التى تسقيه فلم يفلح. فسأل عن العلة فى ذلك، فقيل: التربة. قال: قد حملنا منها. قيل: فالماء. قال: قد أمرنا بحمله فى السفن المقيرة فحمل و لم ينجب. قيل: فهو الموضع. قال: هذا لا حيلة لنا فيه.

ثم ما قد خصت به كور دجلة و السواد و ميسان و دستميسان من عمل الستور و البسط.

و قد خصت البصرة من بين البلدان بكثرة النخيل و أنواع الأرتاب و التمور.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١٥

و ذكر بعضهم [٥٤٩] أن جماعة من أهل المعرفة بالنخل أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة و دون نخل اليمامة و البحرين و عمان و فارس و كرمان و الكوفة و سوادها و خيبر و ذواتها و الأهواز و أعمالها، فإذا هي ثلاثمائة و ثمانون ضربا من مغلّ معروف و خارجي موصوف و بديع غريب و مثنى شهير.

ثم الأهواز و ما قد خصوا به و أعطوا من أنواع السكر و كثرة التمور.

و ما بالسوس من جنديسابور من أنواع ثياب الخز و الديباج و غير ذلك من أصناف الإبريسم [١٣١ ب] و القز.

ثم الجبل و عجائبه و ما قد أعطى أهله من أصناف الفواكه الشتوية و العجائب البديعة. هذا إلى طيب بلدانه و كثرة مياهه و اطراد أنهاره و نضارة أشجاره، و ما يتخذ فيه من الألبان و الشواير التي يستعز بها ملوك العراق و يستظفونها و يستهدونها. و لأهل همذان خاصة حذق باتخاذ المرايا و الملاعق و المجامر و الطبول و غير ذلك من الحديد المذهب الذي قد فاقوا و فاتوا باتخاذ سائر أهل الأرض.

و لأهل الري المسير و المتير و الحرير. و لهم أشياء يتخذونها من الخشب يفوقون بها سائر الناس، و منها الأمشاط و الخفاف و الممالح و المغارف. و لهم الأكسية البيض الطرازية.

ثم بغداد الثانية، أعنى إصبهان و ما قد أعطى أهلها من طيب الهواء و عذوبة الماء و كثرة الصناعات و أنواع الخير. و لهم الثياب المروية و العتائية و المفحمة و الحلل الإبريسمية المنسوجة و غير المنسوجة. و الثياب السعيدية [٥٥٠].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١٦

ثم فارس و كورها و بلدانها و رساتيقها و ما قد خصوا به من اتخاذ الآلات الظرفية من الحديد، حتى قال بعض الحكماء و قد نظر إلى أشياء ظرفية عند بعض الملوك من آلات فارس الحديدية: لقد ألان الله لهؤلاء القوم الحديد و سخّره لهم حتى لقد عملوا ما أرادوا. و هم أحذق الناس بعمل المجامع و الأقفال و المرايا و تطبيع السيف و عمل الدروع و الجواشن.

و لهم الثياب الجنابية [٥٥١] و السينزية و غير ذلك.

و لأهل سجستان عمل المشارب السجزية و آلات الشبه و الصّفر و لهم الجعاب.

و لأهل طبرستان و الديلم و قزوین و زنجان من عمل الأكسية الرويانية و الآملية و اتخاذ الشستانك [٥٥٢] و المناديل و غير ذلك من أنواع ثياب القطن و الصوف ما ليس لأحد.

و لأهل فارس أيضا الماورد الجورى و الطين السيرافى و الأدهان السابورية و الثياب الكازرونية.

و لأهل نيسابور الثياب الملحمة و الطاهريّة، و لهم الفالح و النواخح [٥٥٣] و أشياء عجيبة من الثياب ليس لأحد إلّا لهم.

و لأهل مرو الملحم و الثياب المروية.

و لأهل مرو الملحم و الثياب المروية.

و بهراة فواكه ليس فى البلدان [١٣٢ أ] شىء مثلها. و لهم الزبيب الكشمهاني ثلاثة ألوان: أحمر و أصفر و أخضر.

و بها بطيخ يقدد و يحمل إلى بغداد. و قد كان من يحمل من بطيخها إلى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١٧

الخلفاء لشدة حلاوته. فكان يحمل فى قدور نحاس.

و لهم الأشتر غاز و الرياس و الهليون.

و بخراسان الغوشنة و الكليكان و الرخبين و الملبن. و بها معدن الفيروزج و اللازورد. و لهم البنجهير، معدن الفضة. و لهم الحزم القوجية و الخيل البخارية.

و لهم الركب المروية و لهم الاشكر و الخلنج و لهم الختو.

و بالتبت، المسك التبتى و الدرق التبتية. و زعموا أن كل من دخلها لم يزل ضاحكا مسرورا.

و باليمن العقيق و البجاذى و الجزع و غير ذلك.

و بأرمينية: الفرش الأرمنى و البسط و الستور. فسبحان من أعطى كل بلد نوعا من الخيرات و جنسا من الصناعات و لولا ذلك ما جمعت الملوكة من الصفائح اليمانية و القضب الهندية، و الرماح البلوصية، و الأسنّة الخزرية، و الأعمدة الهروية، و اللجم الحاربنديّة، و الشعور الصبليّة [٥٥٤]، و الشهارى الأبرازبنديّة، و البغال الأرمينية، و الحمير المريسية، و الثياب السعيدية، و الكيش الشاشية، و الأوتار التركية، و الجعاب السجزية، و الدرق المغربية، و ادبحت [٥٥٥] الأندلسية، و الدرر العمانية، و اليواقيت السرنديبية، و الكتان المصرية، و الملح الخراسانية، و الوشى الكوفية.

و اعلم أن ببلاد المغرب و مصر و ببلاد الجبل و خراسان عجائب لا تكون غيرها. مثل: منارة الاسكندرية، و عمود عين الشمس، و الهرمين، و جسر أزنه، و قنطرة سنجة، و كنيسة الرها، و الأبلق الفرد، و المشقر، و غمدان، و برهوت، و بلهوت، و مدينة الحضرة، و أبنية تدمر، و عجائب فامية، و الفرس الذى فى أقصى المغرب، و ما يذكر عن مدينة الصفر، و يحدث عن قبة الرصاص، و إيوان المدائن، و تخت شديز، و أسد همذان، و السمكة و الثور بنهاوند، و أبنية إصطخر، و عجائب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١٨

رومية، و التمساح، و الرّعاد، و السقنقور، و ذات الحوافر و غير ذلك من العجائب التى لا تحصى [١٣٢ ب] فتبارك الله أحسن الخالقين.

منارة ذات الحوافر

و كان سنب بناء (ذات الحوافر) بهمذان و هى منارة عالية فى رستاق يقال له و نجر بقرية يقال لها أسفجين.

و كان السبب فى بنائها، أن شابور بن أردشير قال له منجموه إن ملك هذا سيزول و إنك ستشقى أعواما كثيرة حتى تبلغ إلى حد الفقر و المسكنة، ثم يعود إليك الملك. قال: و ما علامة رجوعه؟ قالوا: إذا أكلت من خبز الذهب على مائدة حديد، فذاك علامة رجوع ملكك. فاختر أن يكون ذلك فى شبيبتك أو فى كبرك.

قال فاختر أن يكون فى شبيبتك. و حدوا له فى ذلك حدا، فلما بلغ الحد اعتزل ملكه ترفعه أرض و تخفضه أخرى إلى أن صار إلى هذه القرية، فتنكر و أجر نفسه من عظيم القرية. و كان معه جراب فيه تاجه و ثيابه، فأودعه الرجل الذى أجره نفسه.

فكان يحرق له نهارا و يسقى زرعه ليلا. فإذا فرغ من سقى الزرع طرد الوحش عن الزرع حتى يصبح. فبقى على ذلك سنة. فرأى الرجل منه حذقا و نشاطا و أمانة فى كل ما يأمره به. فرغب فيه الرجل و استرجحه فزوجه بعض بناته. فلما حوّلها إليه كان شابور يعتزلها و لا يقربها. فلما أتى لذلك شهر، شكت إلى أبيها فاختلعها منه.

[و بقى شابور يعمل عنده. فلما كان بعد حول آخر سأله أن يتزوج ابنته الوسطى و وصف له جمالها و كمالها و عقلها فتزوجها. فلما حوّلها إليه كان شابور أيضا معتزلا لها و لا يقربها. فلما تم لها شهر سأله أبوها عن حالها مع زوجها فاختلعها منه] [٥٥٦].

فلما كان حول آخر و هو الثالث، سأله أن يتزوج ابنته الصغيرة. و وصف له جمالها و عقلها و كمالها. فتزوجها، فلما حوّلت إليه، كان شابور معتزلا لها لا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥١٩

يقربها. فلما تم لها شهر، سأله أبوها عن حالها مع زوجها فأخبرته بأنها معه فى أنعم عيش و أسره.

قال: و لما رأى شابور صبرها عليه و حسن خدمتها له، دنا منها فعلمت منه و ولدت له ابنا.

فلما أتى على شابور أربع سنين، أحب الله أن يردّ ملكه عليه. فاتفق أن كان فى القرية عرس اجتمع فيه رجالهم و نساؤهم. و كانت

امرأة شابور تحمل طعامه إليه في كل يوم. ففي ذلك اليوم اشتغلت عنه إلى بعد العصر لم تحمل إليه شيئاً ولا أصلحت له شيئاً. فلما كان بعد العصر ذكرته فبادرت إلى منزلها وطلبت شيئاً تحمله إليه فلم تجد إلّا رغيفاً واحداً من جاورس [٥٥٧]، فحملته إليه وأدنته منه وهو يسقى الزرع وبينها وبينه ساقية ماء. فلما وصلت إليه لم تقدر على عبور الساقية.

فمدّ إليها سابور [١٣٣ أ] المرّ [٥٥٨] الذي كان يعمل به، فجعلت الرغيف عليه. فلما وضعه بين يديه وكسره وجده شديد الصفرة وراه على الحديد فذكر قول المنجمين - وكانوا قد حدّوا له الوقت - فتأمله فإذا هو قد انقضى. فقال للمرأة: اعلمي أيتها المرأة أنني سابور، وقصّ عليها قصته ثم اغتسل في النهر وأخرج شعره من الرباط الذي كان قد ربطه عليه وقال لامرأته: قد تمّ أمرى وزال شقائى. وصار إلى منزله وأمرها أن تخرج إليه الجراب الذي فيه تاجه و ثيابه، فأخرجته إليه فلبس التاج و ثياب الملك. فلما رآه أبو الجارية كفّر له و سجد بين يديه و حيّاه بتحية الملك.

قال: و كان سابور قد عهد إلى وزرائه و عرّفهم ما قد امتحن به من الشقاء و ذهاب الملك و أنّ مدة ذلك كذا و كذا سنة، و بين لهم الموضوع الذى يوافونه إليه عند انقضاء شقائه و زوال البلاء عنه و أعلمهم الساعة التى يقصدونه فيها. فأخذ مقررته كانت معه و دفعها إلى أبى الجارية و قال له: علّق هذه على باب القرية و اصعد السور و انظر ما ترى. ففعل ذلك و صبر ساعة ثم نزل فقال: أرى أيها الملك

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢٠

خيلاً كثيرة يتبع بعضها بعضاً. فلم يكن أسرع من أن وافت الخيل شمايط [٥٥٩].

فكان الفارس إذا رأى مقررته سابور، نزل عن دابته و سجد له، حتى اجتمع خلق من أصحابه و وزرائه، فجلس لهم و دخلوا إليه و حيّوه بتحية الملك. فلما كان بعد أيام جلس يحدث وزراءه فقال له بعضهم: سعدت أيها الملك و عمرت عمراً طويلاً، أخبرنا ما الذى أفدته فى طول هذه المدة؟ قال: ما استفدت إلّا بقرة واحدة. ثم أحضرها إليهم و قال: ها هي. فمن أراد إكرامى فليكرمها. فأقبل الوزراء و الأساورة يلقون عليها ما عليهم من الثياب و الحلّى و ما معهم من الدراهم و الدنانير حتى اجتمع من ذلك ما لا يحصى كثرة. ثم قال لأبى الجارية: دونك جميع هذا المال فخذة لابتك.

و قال له وزير آخر: أيها الملك المظفر، فما أشدّ شىء مرّ عليك و أصعبه؟

قال: طرد الوحش بالليل عن الزرع، فإنها كانت تعينى و تسهرنى و تبلغ منى [١٣٣ ب] فمن أراد سرورى فليصطد لى منها ما قدر عليه لأبنى من حوافرها بنىة يبقى ذكرها على سائر الدهر و مرّ الليالى و الأيام.

فتفرق القوم فى صيدها. فصادوا منها ما لا يبلغه العدد. فكان يأمر بقلع حوافرها أولاً- أولاً حتى اجتمع من ذلك مثل التل العظيم. فأحضر البنائين و أمرهم أن يبنوا من ذلك منارة عظيمة يكون ارتفاعها خمسين [٥٦٠] ذراعاً فى استدارة ثلاثين ذراعاً، و أن يجعلوها مصمّته بالكلس و الحجارة، ثم تركب الحوافر حولها نظماً من أسفلها إلى أعلاها مسمرة بالمسامير الحديد. ففعل ذلك فصارت كأنها منارة من حوافر.

فلما فرغ صانعها من بنائها جلس شابور يتأملها فاستحسنها و استظرفها و قال للذى بناها- و هو عليها ما نزل عنها بعد:- هل كنت تقدر على بناء أحسن منها؟

قال: نعم. قال: فهل بنيت مثلها لأحد؟ قال: لا. قال: فإن أمرك بعض الملوك

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢١

بناء أحسن منها، هل فى استطاعتك ذلك؟ قال: نعم. قال: و الله لأتركنك لا تبني لأحد مثلها و لا دونها و لا أحسن منها. ثم تركه عليها و انصرف هو و أصحابه سائرين.

و كانت هذه البنىة قد بناها فى فلاة ليس بقربها أحد، و إنما عمرت القرية التى فيها بعد ذلك. فقال: أيها الملك، قد كنت أرجو

منك الجباء و الكرامة. فإن كنت لا بدّ قاتلى فلى حاجه ما على الملك فيها مشقه. قال: و ما هي؟ قال: يأمر الملك أن أعطى خشبا لأعمل لنفسى مكانا أكون فيه حتى يأتينى الموت لثلا- تمزقنى العقبان و النسور و سائر طيور الجو و جوارحه. قال: أعطوه ما سأل. فأعطى خشبا- و كانت معه آلة النجارة- فعمل لنفسه أجنحة من خشب جعلها مثل الريش و ضمّ بعضها إلى بعض. فلما كان فى بعض الليالى- و كانت ليله ذات ريح- شدّها على نفسه [و بسطها حتى] [٥٦١] دخل الريح فيها فحملته حتى ألقته إلى الأرض صحيحا لم يصبه شيء. و هرب فلم يقدر عليه. و اتصل خبره بسابور فقال: قاتله الله! ما كان أحكمه و أصنع كفيه.

قال: فالمنارة قائمه فى هذه القرية إلى يومنا هذا مشهورة المكان. و لشعراء همذان و غيرهم [١٣٤ أ] فيها أشعار لم نكتب شيئا منها لركاكتها و قلّة الجيد فيها. [٥٦٢]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ٥٢١

فى ذلك يقول بعضهم [٥٦٣]:

رأيت بناء الناس فى كل بلدة فلم أر بنيانا كذات الحوافر
بناء عجيبا لم ير الناس مثله ولا سمعوه فى الدهور الغواير

ناووس الطيبة و قصر بهرام جور

و على فراسخ يسيرة من همذان ناووس الطيبة و قصر بهرام جور بقرية يقال لها جوهرسته. و القصر كله حجر واحد منقور بيوته و مجالسه و خزائنه و غرفه و شرفه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢٢

و سائر حيطانه. فإن كان مبني من حجارة مهندمة قد لوحك بينها حتى صارت كأنها حجر واحد، لا يتبين منها مجمع حجرين و لا ملتقى صخرتين. فهذا عجب و أمر حسن جدا. و إن كان حجرا واحدا. فكيف نقرت بيوته و خزائنه و ممراته و دهاليزه و شرفات سوره. و هذا أعجب و أعظم من أن يكون من حجارة شتى لأنه عظيم جدا كبير المجالس و الخزائن و الغرف.

و فى مواضع منه كتابة بالفارسية يقرأها من كان يعرف الخط الفارسي. و هى أخبار ملوكهم و شىء من سيرهم و تدبيرهم. و فى كل ركن من أركانه صورة جارية عليها كتابة.

و على مقدار نصف فرسخ من هذا القصر، ناووس الطيبة، و هو على تل مشرف و حوله عيون كثيرة و أنهار غزيرة.

و كان السبب فى أمره أن بهرام جور خرج متصيذا و معه جارية كانت من أحظى جواريه عنده و أقربهن من قلبه [٥٦٤]. فلما فرغ من صيده نزل على هذا التل فتعدى و قعد يشرب مع الجارية. فلما أخذ فيه الشراب قال لها: تشهى على شينا أبلغك إياه. فنظرت إلى سرب ظباء. فقالت الجارية: ان تجعل بعض ذكورة هذه الظباء مثل الإناث، و تجعل بعض إناثه مثل الذكورة، و ترمى ظبيئ من ظبائه فتصل ظلّفها مع أذنها. فورد على بهرام أمر بقى فيه متحيرا ثم قال: إن لم أفعل ذلك عيّرنى الملوك و غيرهم من سائر الناس و قالوا امرأه تشّهاها شيئا ثم لم يقدر عليه.

ثم أخذ الجلاّح و رمى الطيبة ببندقه فأصاب أذنها، فرفعت ظلّفها لتحكك أذنها فانترع سهمها فخاط به أذنها مع ظلّفها. ثم ركب فرسه إلى السرب فأقبل يرمى [١٣٤ ب] الذكور ذوات القرون بنسّاب له ذو شاخين فيقتلع القرون بذلك، و يرمى الإناث متعمدا رؤوسها فتنتب سهمه فيها فتصير كأنها قرون. فلما بلغ من ذلك ما أرادت الجارية انصرف فذبح الجارية و دفنها مع الطيبة و بنى عليهما ناووسا من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢٣

حجارة و كتب عليه الخبر [وقال: إنما قتلت الجارية لأنها قصدت تعجيزي و كادت تفضحني][٥٦٥]. و هذا الناووس إلى وقتنا هذا معروف مشهور يسمى بناووس الطيبة.

أنشدني بعضهم فيه [٥٦٦]:

عجبت لبهرام و من ذات ظبية تجوب و تغدو بين قفر السباسب
و بهرام مع حوراء عين كأنها أيا الشمس أصبت بين عشب المغارب
فقال له الحوراء دونك فأرمها و صكك بسهم من سهام الشصائب
مجامع أذنيها و أسفل ظلفها فلا عذر إن خالفت يا ابن الأشاهب
فأرسل سهما صكك منها الذي بغت و قام إليها مغضبا بالقواضب
و قال آخر في طويله له:

و لا أرى ملكا تجبو الملوك له بالسند و الهند و المعمور بالصين
و لا أرى أردشير الفارسي و لا كسرى شهنشاه إذ يلهو بشيرين
إذ قالت القينة الورهاء إذ نظرت إلى غزال تناغى ررب العين
ما دون جمعك ظلقيها بنافذة سكا إلى قرنه بهرام يرضيني
فدعر الملك و ارتجت فرائضه من قول صناجة قالت بتهجين
فراصد الطيبي حتى حكك سامعه منه بظلف على قرن و أذنين
فسكك ظلقيه بالمدري و سامعه بذي غرار طيرير التصل مسنون

[وقال عبد الرحمن بن الأزهري][٥٦٧]: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يدعو و يقول: اللهم لا تدركني أبناء الهمذانيات و الاضطخريات، و عدد قري من قري فارس الذين معهم قلوب العجم و ألسنة العرب.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢٤

و ذكر بعض أهل العلم أن همذان هذه التي ذكرها عمر رضي الله عنه هي قرية من قري إصطخر و ليست همذان الجبل.
و في الخبر، أن همذان لا تخرب إلّا بسنابك الخيل.

و يروى عن جعفر بن محمد رضي الله عنه أنه قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء و الأرض إلّا أربعة أماكن: دمشق و ال... رة [٥٦٨] و همذان و بلخ.

و روى عن كعب أنه قال: نجد في الكتب أن الأرض كلها تخرب قبل الشام بأربعين سنة. فمكة تخربها الحبشة، و المدينة، الجوع. و البصرة، الغرق.

و الكوفة، الترك. و الجبال، الصواعق. و خراسان بأنواع العذاب.

فمدينة بلخ [٥٦٩] تصيبها رجفة و رعدة ثم يغلب عليها الماء فيهلك أهلها.

و أما مدينة الخلم [٥٧٠] فتصيبها رجفة تجعل عاليها سافلها.

و أما الترمذ فإن أهلها يفنيهم الطاعون.

و أما الصغانيان و باشجرد [٥٧١] فيفنون بقتل من عدو يغلب عليهم.

و أما سمرقند فتغلب عليها بنو قنطوراء [٥٧٢] بن كركر فيقتلون أهلها قتلا ذريعا.

و كذلك الشاش و فرغانة و أسبيجاب و خوارزم. فتصير جميع هذه المدن خرابا يبابا كلها كأنها جوف حمار.

و أما بخارا فهي أرض الجبارة يصيب أهلها نحو ما أصاب خوارزم ثم يموتون جوعا و عطشا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢٥
و أما مرو فيغلب على أهلها الرمل.
و أما الهراء فتمطر حيات يكون بها فناء أهلها.
و أما نيسابور فيصيب أهلها رعد [١٣٥ أ] و برق و ظلم فيهلك أكثرهم.
و أما الرى فيغلب عليها الديلم [و الطبرية].
و أما آذربيجان و أرمينية فيهلكون بالجوش و الصواعق و الحروب، و يلقون من الشدائد ما لا يلقاه غيرهم.
و أما حلوان فتهلك بهلاك بغداد من رياح عواصف و أمطار عظيمة.
و أما الكوفة فيهلكها السفينان.
و أما مصر فيهلكها رجل يقال له ناجية من بنى جهينة. فويل لأهلها و أهل دمشق و أهل إفريقية و أهل الرملة منه، و يحاول دخول بيت المقدس فيمنعه الله منه.
و أما سجستان فرياح تعصف عليهم أياما ثم تجيئهم ظلمة عظيمة تتبعها هوة عالية تتصدع لها جبالها و قلوبهم فيختلف عامتهم بذلك.
و أما كرمان و إصبهان و فارس فيتلفهم الجراد و جور السلطان.
و خراب السند من قبل الهند.
و خراب التبت من قبل الصين. [و خراب خراسان من قبل التبت] [٥٧٣].
و خراب الشام من ملحمة كبيرة تحل بها. و عند خرابها تفتح القسطنطينية على يد رجل من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و سلم).
و خراب الأندلس من قبل الزنج [٥٧٤].
و قد قيل إن خراب مصر من انقطاع النيل.
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢٦
و خراب همذان من الديلم [٥٧٥]، يدخلونها فيخربونها فلا همذان بعدها.
و الله أعلم.
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢٧

القول في نهاوند

قال أبو المنذر هشام بن السائب الكلبى: سميت نهاوند لأنهم وجدوها كما هي. و يقال إنها من بناء نوح عليه السلام، و إنما اسمها نوح أوند، فخففت، و قيل نهاوند. و هي أعتق مدينة في الجبل.
قال: كانت وقعة نهاوند سنة إحدى و عشرين. و يقال إن حذيفة حاصر نهاوند فكان يقاتل أهلها. فقاتلهم يوما قتالا شديدا. فاتبع سماك بن عبيد العيسى رجلا منهم ليقتله فلما رقه ألقى سلاحه و استسلم، فأخذه أسيرا. فأقبل يتكلم بالفارسية، فأحضرها ترجمانا فقال: يقول: اذهبوا بي إلى أميركم حتى أصالحه على المدينة و أؤدى إليه [١٣٥ ب] الجزية و أعطيك أنت ما شئت فقد مننت على إذ لم تقتلنى. فقال له ما اسمك؟ قال: دينار.
فانطلقوا به إلى حذيفة فصالحه على الخراج و الجزية من أهل نهاوند على أموالهم و أنفسهم و ذراريهم و سميت نهاوند يومئذ ماه دينار [٥٧٦].

و قال المبارك بن سعيد عن أبيه قال: نهاوند فتوح أهل الكوفة، و الدينور من فتوح أهل البصرة. فلما كثر الناس بالكوفة احتاجوا إلى

أن يزدادوا من النواحي التي قد صولح على خراجها، فصيرت لهم الدينور، و عوّض أهل البصرة نهاوند لأنها قرية من إصبهان، فصار فضل ما بين خراج الدينور و نهاوند لأهل الكوفة، فسميت نهاوند ماه البصرة و الدينور ماه الكوفة [و ذلك في أيام معاوية بن أبي سفيان] [٥٧٧].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢٨

و على جبل نهاوند طلسمان [٥٧٨] و هما صورة سمكة و ثور من ثلج، لا- يذوبان في شتاء و لا- صيف. يقال إنهما للماء لثلا يقلّ بنهاوند. فمأؤهما نصفان: إليها، و النصف الآخر إلى دينور و اليشتر [٥٧٩].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٢٩

القول في إصبهان

و أما إصبهان فقال ابن الكلبي: سميت أصفهان بأصفهان بن الفلوج بن سام بن نوح. و حدّث ابن عيينة قال: سمعت ابن شبرمة يقول له: يوم و ليلة بالحيرة خير من دواء سنة. فحدثت بهذا الحديث محمد بن موسى بن الوزير، قال: نوم ليلة بأصبهان خير من دواء سنتين.

و يروى عن سعيد بن المسيب أنه قال: لو لم أكن من قریش لأحببت أن أكون من فارس ثم من إصبهان [٥٨٠]. [و قال الكلبي: و كان جد أبي دلف، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلي يعالج العطر و يجلب الغنم. فقدم الجبل في عدة من أهله فنزلوا قرية من قرى همذان، فأثروا و اتخذوا الضياع. و وثب إدريس بن معقل على رجل من التجار كان عليه مال فخنقه و أخذ ماله. فحمل إلى الكوفة و حبس بها في ولاية يوسف بن عمر الثقفي العراق، في زمن هشام بن عبد الملك. ثم إن عيسى بن إدريس نزل الكرج، و غلب عليها و بنى حصنها، و قويت حال أبي دلف و عظم شأنه عند السلطان، فكبر الحصن و زاد فيه و سماها الكرج. فقيل كرج أبي دلف.

فالكرج اليوم مصر من الأمصار. و كانت من قبل من رستاق إصبهان. فهي اليوم مفردة برأسها تسمى الإيغارين] [٥٨١].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣٠

و لما ارتحلت اليهود من بيت المقدس هاربيين من بخت نصر، حملوا معهم من تراب بيت المقدس و مائه فكانوا لا ينزلون منزلا و لا يدخلون مدينة إلّا وزنوا ماءها و ترابها. فما زالوا حتى دخلوا أرض إصبهان، فنزلوا و وزنوا الماء و الطين الذي في ذلك المكان فكان مثل الذي معهم من تراب بيت المقدس و مائه. فعندها اطمأنوا و أخذوا في الأبنية و العمارات و توالدوا و تناسلوا و سمي المكان بعد ذلك.

باليهودية و فيه يعرف إلى هذا الوقت.

فأما مدينة إصبهان فاسمها جيّ و بناها الإسكندر على مجرّ حية [١٣٦ أ].

فالبناء قائم إلى يومنا هذا معوج.

و يقال إنه كان بنى سورها مرارا كثيرة، مربعا و مدورا فكان إذا فرغ منه تساقط و غيره من أبنية البلد. فألى على نفسه أن لا يبرح أو يبنيها. فرأى في بعض الأيام حية قد جاءت فدارت حول السور مسرعة ثم انصرفت. فأمر أن يرسم السور على مجرّها. ففعل ذلك فثبت البناء و لم يقع.

و إصبهان من فتوح أبي موسى الأشعري في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

و قال الشعبي: لما انهزم يزدجرد من المدائن صار إلى نهاوند. فلما انهزم منها انتخب من عسكره ألف أسوار و ألف خباز و ألف طباخ و ألف صاحب حلواء [٥٨٢] ثم مضى حتى نزل مرو. فلما قتل بها صارت الأساورة إلى بلخ، فأهلها أشجع أهل خراسان. و صار

الطباخون إلى هراء. فأهلها أحذق الناس بألوان الطبخ. و أقام الخبازون بمرور فأهلها أجود الناس خبزا، و لهم ضروب منه لا توجد في غير بلدهم. و صار صاحب الحلوى إلى إصبهان، فهم أحذق الناس باتخاذ الحلوى.

و قال الهيثم بن عدى: لم يكن بفارس أقوى من أهل كورتين: واحدة سهلية و أخرى جبلية. أميا السهلية فكسكر، و أما الجبلية فأصبهان. و كان خراج كل كورة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣١

اثني عشر ألف ألف مثقال. و كانت مساحة إصبهان ثمانين فرسخا في مثلها. و هي ستة عشر رستاقا في كل رستاق ثلاثمائة و ستون قرية قديمة سوى المحدثه. و هي جى و ماربين، و النجان، و البراءان، و برخوار، و رويدشت، و أردستان، و كروان، و برزاريد، و فريدين، و قهستان، و قامدار، و جرم كاسان و التيمرة الكبرى و التيمرة الصغرى، و مكاهن الداخلة.

قال: و خراج إصبهان و قم بستة عشر ألف ألف درهم بالكفاية على أنه لا مؤونة على السلطان. و كان [١٣٦ ب] كيكاس الملك ملك عليها جودرز في زمن الفرس.

قم

و يقال: إن الذى بنى مدينة قم، قمسار بن لهراسف.

و روى أبو موسى الأشعري قال: سألت على بن أبى طالب رضى الله عنه عن أسلم المدن و خير المواضع عند نزول الفتنة و إظهار السيف. فقال: أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل. فإذا اضطربت خراسان و وقعت الحرب بين جرجان و طبرستان فأسلم المواضع يومئذ قصبه قم، تلك التى يخرج منها أنصار خير الناس أبا و أما جدًا و جددة و عما و عمه، تلك التى تسمى الزهراء، بها قدم جبريل يوم نزل إلى قوم لوط. و هو الموضع الذى ينبع منه الماء الذى من شرب منه أمن من الداء العضال.

و من ذلك الماء عجن المسيح الطير الذى يعمل منه كهيته الطير. و منه يغتسل المهدي [٥٨٣]. و خرج كبش إبراهيم عليه السلام، و عصا موسى و خاتم سليمان عليهم السلام.

هى أعظم المدن شأنًا و أكبرها سلطانا، فيها الأمن و الخصب و العز و السطوة و الظفر و صحة الأهل و طيب الهواء.

و بقم من الرساتيق و الطساسيج: طسوج لنجروذ، و طسوج روذبار، و طسوج

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣٢

ابرهشيجان، و طسوج سجاران، و طسوج سراج، و طسوج و راكروذ.

رستايق الجبل، رستايق ساوه. رستايق جري [و سياه، و سوميلادجرد] و غير ما ذكرنا من الطساسيج و الرساتيق. [و أخبرني محمد بن أبى مريم قال:] مبلغ خراج قم و مما فى ذلك من الاحتسابات و ما على آل عجل و من فى ناحيتهم و على أهل الأطراف من الورق: ثلاثة آلاف ألف و مائتا ألف و عشرون ألف و ثلاثون درهما.

[و ما على الضياع المنقولة إلى هذه الكورة: مائتا ألف و عشرون ألفا و ثلاثمائة و ثلاثون درهما]. فجميع ذلك ثلاثة آلاف ألف و أربعمائة ألف و ثلاثة و أربعون ألفا و ثلاثمائة و ثلاثون درهما. [قيمتها على صرف سبعة عشر دينارا: مائتا ألف و ألفان و خمسمائة و تسعة و أربعون دينارا] [٥٨٤].

و لما أمر قباد بلبناس بأن يطلسم آفات بلاده، مضى إلى قم فاتخذ آبارا بإزاء ملاحظتها إلى جانب شجرة الملاحه طلسم ليدوم جريان عين الملاحه و لا ينقطع ما لم يحظر عليه. فإن حظر أو منع الناس جفّ و لم يجر.

و هذه العين يجرى ماؤها، كلما بعد عنها جمد و صار ملحا، فجاء يأخذها أهل تلك البلاد.

و عمل فيها طلسم آخر ليخفى معدن ذهب و فضة كانا هناك، لأن الفلاحين كانوا يشتغلون. بهما عن أعمالهم.

و عمل طلسمًا آخر للحيات و العقارب، و كان أهلها يلقون من ذلك أذى شديداً، فانحازت إلى جبل بالقرب منها فما يقدر أحد إلى هذا الوقت يجتاز فيه من كثرة الحيات و العقارب.

ثم مضى إلى فراهان و فيها سبخة تبتلع البعير بحمله و الفرس براكبه. فاتخذ حولها طلسمين فاستراح المجتازون فيها من الغرق. البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣٣

و لما ملك طهمورث بنى بأرض إصبهان فى رستاق مارين و رويدشت.

و فى ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام أقحط الناس و لم يمتروا سبع سنين.

فاتصل بفيروز أن رجلا- مات فى قرية [جوانق] من بعض الرساتيق، فخشى أن يكون مات جوعاً. فأنفذ نقيبته إلى دار ذلك الرجل ففتشها و وجد فيها ثلاثة جرابي كبار مملوءة حنطة فأخبر الملك بذلك، فأعطاه أربعة آلاف درهم و قال: الحمد لله الذى قطع المطر عن أهل مملكتي سبع سنين و لم يمت إنسان منهم جوعاً.

[و كانت جوانق ماهية، و كانت لقوم لهم أخطار، فسألوا فيروز أن يصير جوانق إلى إصبهان ففعل ذلك] [٥٨٥]. ثم مطر الناس ماة فروردين و روز آبان فصبوا الماء بعضهم على بعض فصارت سنة إلى اليوم فى الصب بعضهم على بعض فى ماة و همذان و إصبهان و الدينور و هذه الناحية.

و واد بها [يسمى] زرن روذ يخرج من قرية يقال لها بناكان يمر بقرية يقال لها در ثم إلى قرية يقال لها دنبه. و تصب إلى هذه القرية مياه كثيرة، فيكثر الماء هناك و يعظم أمره و يسقى الرساتيق و القرى ثم يغور فى رمل [فى آخرها] و يخرج بكرمان على ستين فرسخا من الموضع الذى يغور فيه فيسقى أرض كرمان ثم يصب فى البحر الشرقى. و كانت معرفتهم بهذا الماء الذى يغور فى الرمل و هو الذى يخرج بكرمان. فاستدلوا بذلك على ما ذكرنا.

و لبعضهم فى عدوبة ماء إصبهان:

لست آسى من إصبهان على شىء سوى مائها الرقيق الزلال

و نسيم الصبا و مخترق الريح و جو صاف على كل حال

و لها الزعفران و العسل الماذى و الصافنات تحت الجلال

و قال آخر [١٣٧ ب]:

لست آسى بأصبهان لشىء أنا أبكى عليه عند رحيلي

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣٤

غير ماء يكون بالمسجد الجامع صاف مروق مبدول

و قال بعضهم: رأيت فى غرفة ببعض الخانات التى فى طريق إصبهان مكتوبا:

قبح السالكون فى طلب الرزق على ايدج إلى أصبهان

ليت من زارها فعاد إليها قد رماه الإله بالخذلان

و يقال إن بليناس لما أراد دخول إصبهان ليطلسم آفات مدينتها، اجتاز ببعض رساتيقها و قد أضرب الماء بزروع أهله، فشكوا ذلك إليه، فاتخذ لهم طلسمًا فى جوف بئر إذا احتاجوا إلى الماء فاضت بماء غزير. فإذا استغنوا منه، تراجع إلى البئر و غار فيها حتى يحتاجوا إليه فيخرج.

ثم اتخذ بأصبهان طلسمًا للهوام فقلّت.

و اتخذ بروذدشت طلسمًا لينضب مأوهم فى الصيف و يفيض عليهم فى الشتاء فيضربهم و يؤذيهم. و ذلك أنهم أغضبوه.

و عمل طلسمين أحدهما تحت باب من أبواب المدينة، و الآخر إلى جانب شجرة بينها و بين المدينة فرسخ. فإذا فتح ذلك الباب وقع الوباء في أهل المدينة، و إذا قطع غصن من أغصان تلك الشجرة ارتفع الوباء.

و عمل طلسمًا للفقور و فساد النساء، فليس الزنى ببلد من البلدان أظهر منه بها. و إنما دعاه إلى ذلك أن أهلها أفسدوا غلامه. ثم لم يقنع بذلك حتى عمل على طرقهم و هى سبع طرق، سبع طلسمات للخوف، فطرقهم مخوفه أبدا.

و يقال: لم يبن بالحصّ و الآخر بناء أبهى من إيوان كسرى الذى بالمدائن، و لا بالحجارة أحسن من قصر شيرين. و بازرمدخت أيضا بناء عجيب. و لا بنى باللبن و الطين أبهى و لا أحسن و لا أعجب من بناء بأصبهان فى رستاق من رساتيقها يقال له نيمور.

و بأصبهان قرية يقال لها انباجن، عند أهلها خرزة [خضراء آسمانجونية]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣٥

يزعمون أنها طلسم للبرد. فإذا كان أيام الربيع و خافوا على [١٣٨ أ] زروعهم و ثمارهم البرد، أخرجوا تلك الخرزة و نصبوها على قناة فى موضع معروف عندهم فيسمع من جوفها دوى كدوى الريح. فيقال إن البرد ليجىء فى صحاريهم و فى الغامر من أراضيهم، و لا يصيب الغامر من أرضهم و زروعهم شىء. و زعموا أن الخرزة آسمانجونية تضرب إلى خضرة [٥٨٦].

و قال زياد بن رباح: دخل رجل على الحسن البصرى فقال له: من أين أنت؟

قال: من أهل إصبهان. قال: الهرب ثم الهرب من بين يهودى و مجوسى و آكل ربي.

و أنشد لمنصور بن باذان:

فما أنا من مدينة أهل جى و لا من قرية القوم اليهود

و ما أنا عن رجالهم براض و لا لنسائهم بالمستزید

و يقال: لو فتش نسب رجل فيها من التجار و التئاء لم يكن بدّ من أن تجد فى أصله و نسبه حائكا أو يهوديا [٥٨٧].

و ذكر بعض من قد جال فى البلدان و شاهد المدن أنه لم ير مدينة أكثر من زان و لا زانية من أهل إصبهان.

[و أنشد أبو محمد العبدى لنفسه [٥٨٨]:

لمن طلل تعاجم عن جوابى لقد فصحت دموعك بانسكاب

قف العبرات إنّ دما و دمعايصوب بربعهم فمن الصواب

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣٦

ألم يحزنك من و لعان دهرتعتته بأطلال الرّباب

ليالى من أحبّ إذ الليالى بقربهم كأيام الشباب

فأبدلنى التوى من حسن ليلى لىالى مثل أيام الكلاب

على بلد أصبهان و ساكنيهالعائن و الدمار على الكلاب

و لا صبّ الصّبا يوما إليها ليسحب ذيل غادية السحاب

أحاول دهرها بالسيف طوروا طوراً بالبلاغة و الحساب

فلا فى ذاك يفلح قدح نجح و لا فى ذين يغنم باكتساب

و كيف ينال مثلى التّجح فيها و قد شحنت بأولاد القحاب]

و فى بعض الخبر أن الدجال يخرج من إصبهان. و فى الحديث أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة أهبط بالهند على جبل

سرنديب، و أهبطت حواء بجدة و إبليس [اللعين] بميسان و الحية بأصبهان.

و زعم بعض أصحاب الأخبار أنه لم ير في مدن الجبل مدينة أعذب ماء ولا أقل هواما ولا أطيب هواء ولا أصح تربة من إصبهان. و ذكروا أن الحنطة و سائر الحبوب ربما أقامت في البيوت و الأهرام سنة و أكثر فلا تتغير و لا تفسد، و كذلك أيضا جميع الفواكه و المأكولات و لا تغير فيها القدور المطبوخة و لو أقامت أياما كثيرة.

فأما الميت فإنه يبقى في قبره المدة الطويلة و السنين الكثيرة لا يبلى، لصحة التربة و طيب الندره. و لهم الثياب العتابي و السعيدى و الوشى و أنواع الثياب القطنية و الملحوم و غير ذلك. و الملح الأصبھاني موصوف في جميع بلدان الدنيا و كذلك الأشنان. و الله أعلم بالصواب [١٣٨ ب].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣٧

القول في الري و الدنباوند

قال ابن الكلبي: سميت الري بروى من بنى بيلان بن إصبهان بن فلوج بن سام. قال: و كان في موضع المدينة بستان. فخرجت بنت روى يوما إليه فإذا هي بدراجة تأكل تينا فقالت: بورأنجير. يعنى أن الدراجة تأكل تينا. فاسم المدينة في القديم بورأنجير. و يغيرونه أهل الري فيقولون بهزويد.

و قال لوط بن يحيى [٥٨٩]: كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمار بن ياسر- و هو عامله على الكوفة- بعد شهرين من فتح نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الري و دستبى في ثمانية آلاف، ففعل. و سار عروة لذلك. فجمعت له الدليم، و أمدهم أهل الري، و قاتلوه فأظهره الله عليهم فقتلهم و اجتاحتهم.

و قال جعفر بن محمد الرازى [٥٩٠]: لما قدم المهدي الري في خلافة المنصور، بنى مدينة الري التي بها الناس اليوم و جعل حولها خندقا و بنى فيها مسجدا جامعاً.

و جرى ذلك على يد عامر بن الخصيب، و كتب اسمه على حائطها. و تم عليه سنة ثمان و خمسين و مائة و جعل لها فصيلا يطيف به فارقين آخر و سماها المحمدية.

فأهل الري يدعون المدينة الداخلة: المدينة. و يسمون الفصيل: المدينة الخارجة.

و الحصن المعروف بالزبدي في داخل المدينة المعروفة بالمحمدية. و قد كان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣٨

المهدي أمر بمرمته و نزله أيام مقامه بالري، و هو مطلق على المسجد الجامع و دار الإمارة.

و يقال إن الذي تولى مرتمته و إصلاحه ميسرة التغلبي- و كان من وجوه قواد المهدي- ثم جعل بعد ذلك سجنًا ثم خرب. فعمره رافع بن هرثمة في سنة ثمان و سبعين و مائتين ثم خربه أهل الري بعد خروج رافع عنها.

قال [٥٩١]: و بالري أهل بيت يعرفون بآل الحريش لهم رفضة و أبنية حسنة. و كان نزولهم الري بعد بناء المدينة المحدثه.

قال: و كانت الري تدعى في الجاهلية أزارى. فيقال إنه خسف بها، و هى على اثني [١٣٩ أ] عشر فرسخا من موضع الري اليوم على طريق الخوار بين المحمدية و هاشمية الري. و فيها أبنية قائمة إلى اليوم تدل على أنها كانت مدينة عظيمة.

و هناك أيضا خراب في رستاق من رساتيق الري يقال له البهزان بينه و بين الري ستة فراسخ، يقال إن الري هناك كانت. و حدثني من رأى أثر الحوانيت و الأسواق بها.

و لا يزال الحرّاثون و من عرفها يجدون قطع الذهب و ربما وجدوا اللؤلؤ و اليواقيت و غير ذلك من هذا النوع.

و الري العتيقة المعروفة قد خربت أيضا. و كان المهدي في حياة المنصور حيث وجهه إلى خراسان، نزل في موضع منها يقال له السيروان و بنى فيها أبنية حسنة بعضها قائم إلى هذا الوقت.

و في قلعة الفرخان بالرى يقول الغطمش الضبى و كان ديوانه هناك فكان لا يعدم فى كل يوم أن يصاح بالنفير:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٣٩

على الجوسق الملعون بالرى لا بنى على رأسه داعى المتيه يلمع [٥٩٢] و بالرى مات محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفه [و عنه أخذوا الفقه] [٥٩٣].

و دخلها سعيد بن جبير فلقبه الضحاك و كتب عنه التفسير.

و كان عمرو بن معديكرب الزبيدى غزا الرى فلما انصرف توفى فدفن فوق روزه و قوسنه بموضع يسمى كرمانشاه.

و بها مات الحجاج بن أرتاة النخعى سنه ثمان و أربعين و مائه. و كان شخص إليها مع المهدي.

و بها توفى الكسائى المقرئ و اسمه على بن حمزة، و كان شخص إليها مع الرشيد و هو يريد خراسان.

و بها مات محمد و أحمد ابنا خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى. و كان موت أحمد بها فى ولاية موسى بن بغا سنه سبع و خمسين و مائتين، و موت أخيه محمد فى أيام المعتضد و المكتفى مقيم بالرى فى سنه إحدى و ثمانين و مائتين. و كان محمد بن خالد فى الوقت الذى اتخذ المعتصم الأتراك، و أخذ الجند و القواد أن يلبس السيوف بمعاليق و يترك الحمائل إلى الايزون من الرى، و لا يطاء بساط خليفه و لا يخدم السلطان و الأتراك دوله. و احتجب عن الناس. و يقال إنه لبس برقعاً فأغمضت الخلفاء له عن ذلك لجلالته و عظيم خطره.

فلم يزل [١٣٩ ب] على ذلك مستترا إلى أيام الموفق. فلما قلب أحمد بن عبد العزيز حرب رافع و صار المكتفى إلى الرى، لقيه محمد بن خالد و أقام مديده ثم مات.

و لم تزل وظيفه الرى اثنى عشر ألف درهم حتى اجتاز بها المأمون منصرفه عن خراسان يريد مدينه السلام فلقبه أهلها و شكوا إليه أمرهم و غلظ

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤٠

وظيفتهم، فأسقط منها ألفى ألف درهم و سجل بذلك لأهلها.

و قال بعض العلماء: مكتوب فى التوراة: الرى باب من أبواب الأرض و إليها متجر الخلق.

قال أبو جعفر الجمال: قلت ليحيى بن حديش: سمعت ملك بن مغول يقول: نعم دار الدنيا و الآخرة الرى. قال: نعم.

و قال الأصمعى: الرى عروس الدنيا و إليها متجر الناس و هو أحد بلدان الأرض.

و قال أحمد بن إسحاق [٥٩٤]: الرى طيبه الهواء عجيبة البناء، بلد التجار و مأوى الفجار، و هى عروس الأرض و سكة الدنيا و واسطة خراسان و جرجان و العراق و طبرستان. و لذلك قال بعض العلماء: أحسن الأرض المخلوقة الرى و لها السرّ و السربان، و أحسنها مصنوعة جرجان و إليها تقع تجارات أرمينية و آذربيجان و الخزر و بلاد برجان، لأن تجار البحر يسافرون من الشرق إلى الغرب و من الغرب إلى الشرق فيحملون الديباج و الخزّ [الفائق] [٥٩٥] من فرنجة إلى الفرما، ثم يركبون إلى القلزم فيحملون ذلك الديباج إلى الصين، و يحملون [الدار صيني و الماميران].

و متاع الصين كله حتى يصيرون إلى القلزم ثم يتحولون إلى الفرما. و هم [التجار] اليهود الذين يقال لهم الراذانية، يتكلمون بالفارسية و الرومية و العربية و الإفريقية.

و يخرجون من الفرما يبيعون المسك و العود و جميع ما معهم من ملك فرنجة. و ربما حملوا أمتعتهم إلى قسطنطينية، و ربما حملوا الرقيق الأندلسى من إفرنجة إلى أنطاكية، ثم يصيرون إلى بغداد ثم إلى الأبله.

و أما تجار الصقالبة فإنهم يحملون جلود الخزّ و الثعالب من أقصى صقلية فيجوز [ون] إلى البحر الرومى فيعشرهم صاحب الروم، ثم يجوزون إلى خليج

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤١

الخزر فيعشرهم صاحب الخزر، ثم يصيرون إلى بحر خراسان في هذا البحر الذي يقال له بحر الصقالبة، فرما [١٤٠ أ] خرجوا بجرجان فباعوا جميع ما عندهم ليحمل جميع ذلك إلى الري.

ثم أعجب من هذا، ان جميع ما بلغ إلى طبرستان من ناحية الديلم و الجبل و البربر و الطيلسان من الرقيق و سائر الأمتعة فإنما هو إلى الري لجلالته و كبرها و كثرة تجاراتها.

و كان عبيد الله بن زياد قد جعل لعمر بن سعد بن أبي وقاص ولاية الري أن يخرج على الجيش الذي وجهه لقتال الحسين رضي الله عنه. فأقبل يميل بين الخروج و ولاية الري أو القعود:

أترك ملك الري و الري رغبتى أم ارجع مذموما بقتل حسين

و فى قتله النار التى ليس دونها حجاب، و ملك الري قره عين

[و قال ابن كربويه الرازى [٥٩٦]، و كان أحد أصحاب الحسين بن أحمد العلوى بقزوين:

يا منية هيجت شوقى و أحزاني لا تبعديني فبعد الدار أضناني

إنى أعيدك بالأجفان يا سكنى أن تتركيني أخا شجو و أشجان

إذا بعدت يكاد الشوق يقتلنى حتى إذا طاف طيف منك أحياني

يا جفوة من حبيب أفرحت كبدى هلاً رثيت لنائى الدار حيران

دامى الجفون نحيل الجسم محترق صبّ أسيف قريح القلب حزان

أمسى بقزوين مسلوبا عزيزته مقسما بين أشجان و أحزان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤٢

أقول يوم تلاقينا و قد سجت حمامتان على غصنين من بان

الآن أعلم أن الغصن لى غصص و إنما البان بين عاجل دان

و قمت تخفضنى أرض و ترفعى أخرى و هدّ مسير الليل أركانى

ما لى أنادى فى أبى أن يجيب فتى لو كان بالرّى لبانى و فدانى

يا نفس لا تجزعى من ذاك و اشتلمى ثوب العزاء فإن الغائب الجانى

أنا الذى غزه بيتان قالهما مضلل ما له فى جهله ثان

لا يمنعنك خفض العيش فى بلد نزوع نفس إلى أهل و أوطان

تلقى بكلّ بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل و جيرانا بجيران

حتى تركت لذيد العيش فى بلدى فناء دارى عن أهلى و إخوانى

و شاقنى نحو قزوين منى بطلت نفت رقادى و أذرت دمع أجفانى

فيا لها حسرة إذ عزّ مطلبها لم تبق منى على روح و جثمان

أنا التذير لكم يا قوم فاستمعوا منى مقالة نصح غير خوآن

للموت بالرّى خير للمقيم بهامن الحياة بقزوين و زنجان

أنى لها كجنان فى شوارعها يطفحن فى كلّ بستان و ميدان

أو كالمدينة شطّاهها و شارعها من المصلّى إلى صحراء أزدان

و هات كالسريان اليوم مرتبعا من باب حرب إلى ساحات عفان
 أنهارها أربع محفوفة زهرت حار فيهن عينا كل إنسان
 و شارع السريمناه و يسرته محفان بأنهار و أغصان
 و قصر إسحاق من فولاد منحدر اعلى الشراك إلى درب الفليسان
 و كم بروذة من مستشرف حسن إلى المضيق بها من باب باطان
 و كم بناهك من دار كلفت بها و طيبة ترتعى فى سفح غدران
 و شادن غنج كالبدر صورته يمس فى حلال تلهو بفتان
 يا رى صلى عليك الله من بلدو لا أغبك دار (؟) القطر هتان
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤٣

حى الديار بها و الساكنين بهامن النساء و من شيب و شبان
 إلبقايا بغاة الأرض قد جحدوا دين المهيم من كفر و عدوان
 كم حل عرصه نصراباد قاطبة من ابن زانية محض و كشخان
 و كم بسكه ساسان إذا ذكروا من ابن فاجرة نص و قرنان
 هم الألى منعونى قرب دارهم و باعدونى عن أهلى و خلانى
 و شردونى عن صحبى و عن ولدى حتى لجأت إلى أجدال قصران]
 و خراج الرى عشرة ألف درهم بالكفاية. و من الرى إلى قزوین ذات اليسار سبعة و عشرون فرسخا. و من قزوین إلى أبهر اثنا
 عشر فرسخا. و من أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخا.
 و روى عن الصادق رضى الله عنه أنه قال: الرى و قزوین و ساوة ملعونات مشؤومات.
 و قال إسحاق. بن سليمان [٥٩٧]: ما رأيت بلدا أرفع للخسيس من الرى.
 و فى أخبار أهل البيت قالوا: إن الرى كانت منابت الشؤم و ستعود منابت الشؤم.
 و فى خبر آخر: الرى ملعونة و تربتها تربة ديلمىة و هى على بحر عجاج تأبى أن تقول الحق.
 و روى محمد بن الريان [٥٩٨] عن إسماعيل الرازى قال: قال لى الحسن بن
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤٤

على بن فضال: تعرف الدولاب؟ قلت: نعم، أعرفه. قال تعرف شجرة تسمى آزاد؟ قلت: لا. قال: فروى عن أبى عبد الله جعفر بن
 محمد رضى الله عنه أنه قال: إذا اتصلت حيطان المدينة بحيطان الدولاب فعندها توقعوا بلاء القوم، ثم تلا قول الله عز و جل «وَإِنْ
 مِنْ قَوْمٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا». قال: الرى.
 و عن أبى عبد الله جعفر بن محمد رضى الله عنه: ويل للرى من جناحيها.
 قيل و أى شىء جناحها [٥٩٩]؟ [١٤٠ ب] قال: طبرستان أحد جناحيها.

و عن محمد الرازى [٦٠٠] عن أبيه عن جده أبى إسماعيل، و كان نساجا، فاتخذ ثوبا و جوده و قصره و حج فأتى أبا عبد الله [٦٠١] و
 وضعه بين يديه، فأخذه و نظر إليه و نشره و قال: هذا محكم العمل. فقال أبو إسماعيل أنا نسجته يا سيدى بيدى.
 فقال له أبو عبد الله: فأنت نساغ؟ قال: نعم. [فقال]: مرحبا بنساجنا، من أين أنت؟ قال: من أهل الرى. قال: أتعرف التل الأحمر؟ قال:
 لا. قال: هو ناء عن المدينة عند الباب الحديد لا يسلك إلا عند ارتفاع النهار. أما إن ذلك الموضع سيعمر. ثم قال: أتعرف كناسة

الدواب؟ قلت: نعم. قال: فتعرف جبل الطين الأسود؟ قال: لا. قال: الجبل الذي يقال له جبل ليلا. قلت: نعم أعرفه. قال: فتعرف باب المدينة الحديدى و سورها؟ قلت: نعم. قال: عنده مصارع القوم، يقتل من صحابه [بنى] [٦٠٢] العباس و شيعتهم ثمانون ألفا منهم ثمانون [ممن] يصلح للخلافة. فقلت له: جعلت فداك، ألك حاجة؟ قال: حاجتى أن تدع هذا العمل. قلت: فأى شىء أعمل؟ [قال]: كن صيقلا فقلت له: على كبر السن كيف أعمل؟

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤٥

قال: سهل الله عليك تعلمه و نور قلبك و يسره عليك.

قال: فقدمت الرى فتعلمته فى شهر. فكان يروى عنه الحديث: عن أبى إسماعيل الصيقل عن أبى عبد الله.

و كان الرشيد يقول: الدنيا أربعة [٦٠٣] منازل، قد نزلت منها ثلاثة. أحدها دمشق و الآخر الرقة و الثالث الرى و الرابع سمرقند و أرجو أن أنزله. و لم أر فى هذه البلاد الثلاثة التى نزلتها موضعا هو أحسن من السربان لأنه شارع يشتق مدينة الرى فى وسطه نهر، فهو حسن. عن جانبه جميعا أشجار ملتفة متصلة و فيما بينها أسواق.

و خطب أمير المؤمنين على رضى الله عنه يوما فقال فى خطبته:

احمدوا الله الذى أحصاكم عددا و وظف لكم مددا فى قرارة الدنيا، فإنكم مفارقوها و منقطعون عنها و محاسبون بما عملتم فيها. لا تخدعنكم بقاى [٦٠٤] لذاتها فإنها ثقيل مطلبها، رنق شربها. غرور حائل و شبح [١٤١] أ مائل و سنان قاتل، تعز مستدبرها و تصرع مستفيدها بغرور شهوتها و موتق لذتها و حبل مدتها، حتى إذا أنس ناقدها و قر شاردتها، قنصته بأحبلها، فتفلقته إلى ضنك المضجع و وحشة المرجع و مجاورة الأموات و مفارقة الأوقات. فهم لا يرجعون و لا يؤذن لهم فيعتدرون. قد ارتهنت الرقاب بسالف الاكتساب، و أحصيت الآثار، و قد خاب من حمل ظلما. فيا لها أمثالا كافية و مواعظ شافية لو صادفت أذنا واعية و قلوبا زاكية و ألبابا حازمة و آراء عازمة.

ثم قال: كيف بهم إذا خرج المشرقى، و تحرك المغربى، و حارب السجزي، و تحرك الهجرى، و ثار الحسينى، و غضب الحسنى، و قام العلوى، و بويح الأموى، و خرج الأرمنى، و ماج الديلم، و ضج الطبرى، و قدم الهاشمى، و وافى المصرى،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤٦

و ظفر الخراسانى، و كفر الكلبى، و بويح الزنجى، و نقض التركى، و غلب الرومى، و خرج القحطانى.

عندها يخرج الروم فى ألف ألف و يزيدون. و يهرب الهاشمى من الزوراء و ينزلها الخراسانى. فالويل لهم من المظفر العلوى، و الويل لأهل البصرة و الأبله و الأهواز و واسط من المظفر العلوى أيضا. يقتل بالبصرة مائة ألف و يزيدون، و بواسط مثل ذلك، و هو السفاح. و ويل للرافقة و قرقيسيا من كلب و قيس. و الويل كل الويل للزوراء من السفينانى، يقتل فى كل يوم واحد مائة ألف أو يزيدون، و اليوم الثانى مثل ذلك، و اليوم الثالث مثل ذلك فى صعيد واحد، لا ينظر الله إليهم و لا يكلمهم و لهم عذاب أليم.

و الويل لأهل الكوفة من السفينانى، و الويل لأهل يثرب من الأبقع، سيقربطون النساء و يقتل النفس الزكية.

و الويل لأهل مكة من الأصبه و من صاحب مصر يقتلهم بغير عدد حتى يجرى الدماء فى وادى العرفات.

و الويل لأهل فسطاط مصر من فرعون الثانى و هو السفينانى، كيف يقتل النساء و لا يرحم الصبيان و الإمام.

و البلية العظمى بصخر الرى، يقتل فى ذلك الموضع ستون ألفا إلى الباب.

و الويل لأهل قزوین من الديلم، يقتل الرجال و تسبى النساء و الذرارى.

و الويل لهمذان من جانب طبرستان، و الويل للرى من صاحب الديلم و الويل لهم من صاحب إصبهان.

فى كلام طويل.

و بعث الحجاج إلى وفد كانوا قدموا عليه من الديلم فعرض عليهم الإسلام أو الجزية فأبوا أن يفعلوا شيئا من ذلك. فأمر أن يصور لهم

بلدهم سهله و جبله و عقابه و غياضه فصورت له. فدعا من قبله من الديلم فقال إن بلادكم قد صورت لي

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤٧

و رأيت فيها مطعماً فاعترفوا بما دعوتكم إليه قبل أن أغزيكم الجنود فأحرب البلاد و أقتل المقاتلة و أسبى الذرية. قالوا: أرنا هذه الصورة التي أطمعتك في بلادنا فأحضرها حتى نظروا إليها. فقالوا: قد صدقتك من صورها غير أنه لم يصور لك الرجال الذين يمنعون هذه العقاب و الثنايا، و ستعلم ذلك لو تكلفته.

فأغزاهم الجنود و عليهم ابنه محمد بن الحجاج فلم يصنع شيئاً غير أنه بنى مسجداً لأهل قزوين و نصب فيه منبراً [و هو مسجد التوث الذي على باب دار قوم يعرفون بالجنيدية. و حكى أن عمال خالد بن عبد الله القسري لعنوا على بن أبي طالب على المنبر فقام حبيش بن عبد الله و هو من موالى الجنيد أو بنى عمه فاخترط سيفه و ارتفع به إلى العامل فقتله و قال: لا- نحتملك على لعن على بن أبي طالب.

فانقطع بعد ذلك اللعن عنه رضوان الله عليه [٦٠٥].

و قال محمد بن زياد المدحجي: رأيت في مسجد قزوين لوحاً مكتوباً مما أمر به محمد بن الحجاج الثقفي. و أنشد جعفر بن عمر بن عبد العزيز:

هل تعرف الأبطال من مريم بين سواس فلوى يرثم

فذات أكناف فقيعاً فجزع فدفروا ف الأحرم (؟)

مالى و للرى و أكنافها قوم بين الترك و الديلم

أرض بها الأعجم ذو منطق و المرء ذو المنطق كالأعجم

و لما ميز قباز إقليمه، وجد أنزه بقاعه بعد أن بدأ بالعراق التي هي سرّة الدنيا و الأقاليم، ثلاثة عشر موضعاً: المدائن، و السوس، و جنديسابور، و تستر، و سابور، و بلخ، و سمرقند، و باورد، و بطن بنهاوند تسمى روزراور، و ما سبندان، و مهر جانقذق، و تل ما سير، و إصبهان و الرى. و أسرى فواكه إقليمه سبعة مواضع:

المدائن، و سابور، و أرجان، و نهاوند، و ماسبندان [١٤٢ أ] و حلوان، و الرى. و أوباً بقاع إقليمه ستة مواضع: البندنجين، و سابور خواست، و بردعنه، و زنجان، و جرجان، و الخوار- بطن الرى-.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤٨

و الرى سبعة عشر رستاقا منها: [الخوار] و دنباوند، و ويمه، و شلمبه [هذه التي فيها المنابر] [٦٠٦].

و فى كتاب الطلسمات: إن قباز و جّه بليناس الرومى إلى الرى فاتخذ بها طلسماً للغرق فأمنوه، و ذلك أنها على بحر عجاج. و استطابها بليناس فعزم [٦٠٧] على المقام بها فأذاه أهلها فاتخذ بها طلسماً للنزول فليس يجتاز بها أحد من خراسان إلّا نزلها. و عمل طلسماً آخر للغلاء فهي أبداً غالية السعر.

ثم كتب بليناس إلى قباز يخبره بما قد عمل من الطلسمات فى بلاده و يستأذنه فى المصير إلى خراسان. فكتب إليه قباز: إن قباز الأكبر قد طلسم ما وراء الرى إلى بلخ و جرجان و سجستان [مائتين و خمسين طلسماً] [٦٠٨] و ليس هناك شىء فأقبل إلينا. [و قال الشاعر:

الرى أعلى بلدة أسعاراً درهما تبقى و لا ديناراً

تدع الغريب محيراً فى سوقها قد تاه ينظر هائماً خوّاراً

فى كلّ يوم ينبغى لغدائه أن كان يملك للغداء قنطاراً

و بها أناس شرّ ناس باعة لا يحفظون من الغريب جواراً

سيسوا بكل قبيحة فتراهم أدهى و أخبث من تحلى العارا
لا يصدقون و صدق قول فيهم عار و كل يبغض الأبرارا
إن جئت تسألهم لتسقى شربة قالوا إليك تجنب الأشرارا
فلقد لبسنا العار حتى ما لنا إلا الفضائح ملبسا و إزارا][٦٠٩]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٤٩

و فى أخبار فريدون على رواية الفرس: لما أقبل بالبيوراسف من المغرب نحو المشرق ليسجنه [بدنباوند] مرّ بكورة إصبهان- و قد طوى أفريدون أياما لم يذق طعاما- فطلب قوما يمسكونه عليه ريثما يتغدى. فجمع الملك عالما من الناس فلم يقدرُوا على إمساكه، فأدار سلسله على جبل من جبال إصبهان و أوثقه بأساطين و سلكك من حديد قوية. و توثق منه حتى ظن أنه قد أحكم ما أراد. حتى إذا جلس على غذائه، اجتذب البيوراسف سلسله مع تلك الأساطين و السلكك و احتمل الجبل يجره بسحره ثم طار به فى الهواء، فتبعه أفريدون فما لحقه إلا بالمدينة المعروفة بيزورند و هى الرى. فلما لحقه قمعه بمقمعه من حديد كانت فى يده فسقط مغشيا عليه ورسا ذلك الجبل المنقول من إصبهان بمدينة الرى. فهو الآن جبلها المطل عليها. فلعن أفريدون ذلك الجبل و دعا الله أن لا ينبت عليه شيئا فى شتاء و لا صيف و أن لا يثبت عليه ثلج و لا تسرح عليه سارحة تؤمه و لا أهلية و لا يأتى إليه حيوان. فأجاب الله دعاءه. فهو كذلك [١٤٢ ب] إلى يوم التناد.

ثم قاده من الرى نحو محبسه على طريق الخوار، فوافاه و هو يقوده إصبهد جرجان- و كان رجلا ذا أيد و بطش- فسار معه أياما. و عرضت لأفريدون حاجة فلم يثق بأحد يمسه عليه فقال الأصبهد: أيها الملك، أنا أمسكه عليك. فقال: أخاف أن لا تقوى فتعطب على يده. فقال: أرجو أن يعيننى الله عليه بقدرته. و ناوله أفريدون سلسله و ساربه، فلم يلتوى عليه، و مرّ يحجل فى قيوده. فلما غاب أفريدون (٦١٠) فلما أطلا المجاذبة دخلت رجلاه إلى ركبته فى الأرض، فخذ فى ذلك المكان أهدودا عظيما جرى فيه بعد ذلك الماء فصار نهرا عظيما، و هو اليوم يعرف بوادى خوار، يعرفه أهل تلك الناحية و يسمونه بهندرد. و طعنه أفريدون و قمعه بمقمعه واحدة من يد الأصبهد و بارك عليه و زاد فى مرتبته و سماه بهند جرجان و خراسان اصبههد. البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥٠

ثم حمله إلى كورة دنباوند فسجنه هناك فى جبل يسمى جبل الحدادين فى قرية اسمها قرية الحدادين أيضا. و وكل به أرمائل و مثل بين يديه فى القلة صورة أفريدون و طلسم عليه طلسم و بنى حوله حوانيت رتب فيها قوما حدادين يضربون مطارقهم نواب على سنداناتهم ليلا- و نهارا شتاء و صيفا لا يفتر عن ذلك و جعله فى كهف عظيم فى جوف القلة و أثقله بالحديد و جعل على باب الكهف عدة أبواب حديد و أسقط عن سكان هذه القرية الخراج و العشر و جميع النواب، فليست عليهم مؤونة إلا ضرب هذه المطارق على سندانات خالية، و يتكلمون على ضربهم بكلام موزون و يهمسون به عند ضربها لئلا يقطع البيوراسف سلسله و أغلاله فيقال إنه يلحس أغلاله دائما ليلا و نهارا فتدق عن لحسه، فإذا ضرب [٦١١] هؤلاء بالمطارق عادت إلى حالها فى الغلظ و الوثاقه. و يقال إن الطلسم الذى يمنعه من قطع السلسل بعد لحسه إياها فهو معمول فى ضرب هؤلاء الحدادين بمطارقهم.

و مضى أفريدون- بعد أن حبسه فى الكهف و استوثق منه- منصرفا إلى دار مملكته [١٤٣ أ] و وكل أرمائل بحفظ البيوراسف و طعامه. فكان يذبح له فى كل يوم رجلين فيغذى بأدمغتهما حتىه اللتين على كتفيه أعواما.

ثم إن أرمائل تحوب من ذبح الناس فتلطف فى استنقاذهم و احتساب الأجر فى إطلاقهم من القتل، فمضى إلى قرية من قرى دنباوند تسمى مندان فبنى على جبلها أبنية جلية و قصورا عظيمة و جعل فيها بساتين و عيونا تجرى فى صحون تلك الدور و البساتين، و بنى

في بعض تلك القصور بيتا بخشب الساج والابنوس و صور فيه جميع الصور، فلم يكن لأحد في ناحية المشرق، بناء أشرف منه ارتفاعا و حسنا و دقة نقوش و كثرة عمل و تراويق و تصاوير و تماثيل.

فما زال ذلك البنيان قائما حتى استنزل المهدي بن المصمغان من القلعة المعروفة بالهيرين - و كان قد أعطاه الأمان - فلما جاء به إلى الري أمر بضرب عنقه.

فلما استخلف الرشيد و صار إلى الري أخبر بمكان ذلك البنيان فصار إليه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥١

حتى وقف عليه و أمر بنقضه و حمله إلى مدينة السلام.

و كان أرمائيل نازلا في قصوره و أبنيته التي بناها فإذا جاءوه بالأسارى من الآفاق ليدبجهم و يأخذ أدمغتهم فيغذى الحيتين، أعتق في كل يوم أسيرا و ذبح مكانه كبشا و خلط دماغه بدماع المقتول و غذا به الحيتين أعواما كثيرة. ثم بدا له في الذبح فكان إذا جاءوه بالأسارى أعتقهم و أسكنهم الجبل الغربي من قرية ميندان [٦١٢] فبقى على ذلك من حاله ثلاثين عاما يعتق في كل عام سبعمائة و ثلاثين إنسانا - و قرية ميندان على جبلين بينهما واد فيه ماء عذب غزير لا ينقطع شتاء و لا صيفا، و على حافتي الوادى عيون تنصب إليه و شجر مثمر - فكان كلما أعتق أسيرا أعطاه دارا و أسكنه الجبل الغربي و أمره أن يزرع لنفسه ما يريد و يبنى ما يشاء. فكانوا يفعلون ذلك. و قبض الله لأرمائيل مطلسم المم به فقال: أنا اطلسم الطعام الذي يتغذى به هذا الملعون فيكون يتغلغل في جوفه و يرتفع [١٤٣] إلى صدره و يجري في لهواته فيشبع منه و لا يحتاج إلى غيره أبدا و يجازيك الملك على ذلك.

ما الذي تجازيني عليه؟ قال: سل ما أحببت. قال: إذا أتتك رئاسة الناحية أشركتني فيها معك و في نعمتك و عقدت بيننا قرابة لا تنقطع. فضمن أرمائيل له ذلك و طلسم مأكول الملعون و مشروبه في جوفه، فهو يتغلغل في صدره إلى بلوغ مدة [أيامه] [٦١٣]. فلما كان بعد ثلاثين حولا من مملكة أفريزون أنفذ إلى أرمائيل رسولا يأتيه بخبر البيوراسف. فلما وافاه أنزله. أرمائيل معه في قصره. فسأله الرسول عما صنع فأخبره خبر المعتقين من الذبح و إنزاله إياهم الجبل الغربي. و لما أمسى أمر المعتقين أن يوقد كل واحد منهم على باب الموضع الذي هو فيه نارا ففعلوا. فقال الرسول: ما هذا؟ قال: هؤلاء المعتقون من الذبح. فقال الرسول بالفارسية: وس

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥٢

مانا كى ته آزاد كردى؟ أى: كم من أهل بيت قد أعتقتهم؟ و تناهى الخبر إلى أفريدون فسرّ به سرورا شديدا و مضى نحو جبل دنباوند فوقف عليه فلما تقرر عند فعل أرمائيل شرفه و رفع درجته و سماه المصمغان و أقطعه مدينة دنباوند برساتيقها و قراها و عقد له تاجا و أقعده على سرير ذهب. فهم آل المصمغان المعروفون إلى يومنا هذا تلك الناحية.

و كان أفريدون سجن البيوراسف في النصف من ماه مهر و روز مهر، فلما أصبح جعله عيد المهرجان.

و يقال إن طول أفريدون تسعة أرماع - و الرمح بياحه ثلاثة أبوع - و عرض عجزه ثلاثة أرماع، و عرض صدره أربعة أرماع، و وسطه رمحان [٦١٤].

و قال محمد بن إبراهيم بن نافع: كنت مقيما بطبرستان في خدمة موسى بن حفص الطبرى [٦١٥] أيام خلافة المأمون إذ ورد علينا قائد من قواد المأمون في مائة و خمسين فارسا و معه كتاب المأمون إلى موسى بن حفص يأمره بالشخص معه إلى موضع البيوراسف [بقريه الحدادة في سنة ٢١٧] حتى يقف عليه و يتفحص عن خبره و يكتب إليه بصحة الأمر [١٤٤] أ فيه.

قال: فوافينا قرية الحدادين، فلما قربنا من الجبل الذي هو فيه، إذا نحن بدويبة في عظيم البغال. فلما رأنا صعدت في الجبل. قال: و إذا طيور بيض كبار أكبر من النعام في خلق الفصلان. و إذا قلة الجبل مغشاة بالثلج، و إذا دود و عظام مثل الجدوع تنحط من ذلك الثلج، فإذا انفصلت الدودة عن الثلج و انحدرت إلى القرار و انسابت على الحجارة انفقات فسال من جوفها مثل الساقية. فإذا كان ذلك

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥٣

نهضت تلك الطيور إلى جلود هذا الدود فأكلتها.

فلم تزل العسكر في القرية أياما يرومون الوصول إلى موضع البيوراسف ولا يهتدون لموضع الجبل في الصعود. فينا هم كذلك إذ أتاهم شيخ قد نيف على مائة سنة فسألهم عما قدموا له، فعرفوه الخبر، وإذا على الجبل حوانيت كثيرة فيها قوم من الحدادين حول تلك القلة عليهم نواب يضربون مطارقهم على سنداناتهم ساعة بعد ساعة و يتكلمون عليها بكلام يهجون به موزون عند ضربهم، لا يفترون ليلا- ولا نهارا. فسألوا الشيخ عن الخبر، فقال لهم: هذه الحوانيت و ضرب هؤلاء على السندانات، طلسم على البيوراسف لئلا ينحل عن وثاقه، و إنه لدائب بلحس سلاسله و أغلاله، فإذا ضربت هذه المطارق عادت أغلاله و سلاسله إلى ما كانت عليه من الغلظ. فإن أحببتم الوقوف على صحة هذا الحيوان المحبوس في هذه القلة حتى لا يتخالجكم فيه ريب أريتمكم برهان ذلك. فقال له القائد: ما جئت لغير هذا الذي وصفت. فأحضر الشيخ سلما مخروزا محكما من الصرم و سكا من سكاك الحديد و جمع شباب القرية حتى صعد منهم من صعد على تلك السلم من قرار القلة إلى مقدار مائة ذراع في الجبل ثم أراهم في الجانب الشرقي من القلة عند مطلع الشمس جوبه عظيمه و عليها أسكفه باب حديد عليه مسامير من حديد مذهبه مكتوب عليها [١٤٤ ب] بالفارسية ما أنفق على كل مسمار و فوق الأسكفه كتابه تخبر أن على القلة سبعة أبواب من حديد، على كل باب أربعة أقفال قد كتب على بعض المسامير: لهذا الحيوان أمد يجرى إلى غايته و نهاية لا- يعدوها، فلا- يعرض خلق لفتح شيء منها فيهجم من هذا الملعون على ما لا يقوم له أهل الأرض و لا حيلة لأحد عما يريد.

فقال القائد [٤١٦]: و يحكم حيوان منذ آلاف من السنين يبقى بغير قوت؟ فقال الشيخ: طعامه القديم الذي تغدى به مطلمس في جوفه، فهو يتغلغل في صدره و يرتفع إلى لهواته حتى تمتلأ منه، و قد منع من إخراجها. فذلك غذاؤه. فانصرفوا
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥٤

و لم يجدوا شيئا و كتب بخبره إلى المأمون فكتب أن لا تعرض له.

و عن رجل من كلب قال: كان الضحاك أشد الناس غيره، فركب يوما إلى الصيد فجاء أفريدون في خيله فدخل داره و احتوى عليه و على نسائه. و بلغ ذلك الضحاك فوافى منزله. فلما نظر إلى أفريدون في داره مع نسائه أدركته الغيرة فغشى عليه و سقط عن دابته. و وثب أفريدون فأوثقه ثم تتبع عماله فأخذهم و غلب على ملكه و ذلك ما مه و روز مه، فقصيره يوم المهرجان. فقالت الأعاجم مهران لقتل من كان يذبح في كل يوم و اتخذوه عيدا. و أخذ المصمغان و قال: إنك كنت شرّ عماله و كنت صاحب الذبح، فأذبحك كما كنت تذبح الناس. فقال: إن لى بلاء.

قال: و ما هو؟ قال: كان يأمرني بذبح اثنين في كل يوم فكننت أذبح واحدا و أعتق الآخر. قال: و كيف نعلم صحة ما ذكرت؟ قال: اركب معي حتى أريك إياهم.

فركب معه و سار حتى أشرف على جبال الديلم و الشور فنظر إلى عالم قد توالدوا و تناسلوا. فقال: هؤلاء كلهم عتقائي. فقال أفريدون: و س ما ناكي ته آزاد كردى؟

كم من أهل بيت أعتقتهم؟ اذهب فقد ملكتك عليهم. فأعطاه مملكة دنباوند. فلم يزل الضحاك [١٤٥ أ] عنده موثقا ستة أشهر ثم قتله يوم النيروز فقالت الأعاجم:

امروز نوروزى اى استقبلنا الدهر بيوم جديد. فاتخذوه عيدا.

و عن القاسم بن سلمان [٤١٧]: قال: أبجد و هوز و حطى كلمن و سعفص و قرشت ثخذ ضطغ، كانوا ملوكا جابرة ففكر قرشت يوما فقال: فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، فجعله الله اژدها، فله سبعة رؤوس [٤١٨]. فهو الذي بدنباوند محبوس.

و زعم بعض أهل العلم: إن المحبوس بجبل دنباوند صخر الجنى الذى أخذ خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لما ردّ الله عزّ و جلّ على سليمان ملكه، حبس صخرها في جبل دنباوند.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥٥

و لأبى تمام من شعر طويل يمدح به الافشين و يقول إنه مثل أفريزون و أن بابك الخرمى مثل الضحاك:

ما نال ما قد نال فرعون و لاهامان فى الدنيا و لا قارون

بل كان كالضحاك فى سطواته بالعالمين و أنت أفريزون

و قال على بن ربن كاتب المازيار: و جئنا جماعة من أهل طبرستان [٦١٩] إلى جبل دناوند- و هو جبل عظيم شاهق فى الهواء يرى من رأس مائة فرسخ و على رأسه أبدا مثل السحاب المتراكم لا ينحسر عنه فى الصيف و لا فى الشتاء، و يخرج من أسفله نهر مائة أصفر كبريتى تزعم جهال الفرس أنه بول البيوراسف- فذكروا أنهم صعدوا إلى رأسه خمسة أيام و خمس ليال فوجدوا نفس قلته تكاد تكون مائة جريب مساحة [٦٢٠]. على أن الناظر ينظر إليها من أسفل الجبل مثل رأس القبة المخروطة. قالوا: وجدنا عليها رملا تغيب فيه الأقدام، و انهم لم يروا عليها دابة و لا أثرا لشيء. و ان سائر ما يطير فى الجو لا يبلغها، و ان البرد فيها شديد و الريح عظيمة الهبوب و العصف، و انهم عدوا فى قتلها سبعين كورة [٦٢١] [يخرج] [٦٢٢] منها الدخان الكبريتى، و انه كان معهم رجل من أهل تلك الناحية فعرفهم أن ذلك الدخان تنفس البيوراسف، و رأوا حول كل ثقب من تلك الكوى كبريتا أصفر [١٤٥ ب] كأنه الذهب و حملوا معهم شيئا منه حتى نظرنا إليه. و زعموا أنهم رأوا الجبال حوله مثل التلال، و أنهم رأوا البحر مثل النهر الصغير، و بين البحر و هذا الجبل نحو عشرين فرسخا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥٦

القول فى قزوين و أبهر و زنجان

قال بكر بن الهيثم: كان حصن قزوين يسمى بالفارسية كشوين [و معناه الحدّ المحفوظ] [٦٢٣]. قال و بينه و بين الديلم جبل كانت ملوك فارس تجعل فيه رابطة من الأساوره يدفعون الديلم إذا لم تكن بينهم هدنة، و يحفظون بلدهم من اللصوص. [و يقال: إنهم نزلوا قرية يقال لها سسين فقالوا: جش اين. ثم دخلوا قرية يقال لها فاسقين فقالوا: بس اين. ثم دخلوا قرية سروين، فأندر صاحب الجيش قال: سروين] [٦٢٤].

قال: و كانت دستبى مقسومة بين الرى و همذان. فقسم منها يدعى دستبى الرازى و هو مقدار تسعين قرية، منها ما قد حازه السلطان [أعزه الله] [٦٢٥] فى هذا الوقت و استخلصه لنفسه. و منها ما هو فى الرى، قوم تغلبوا عليه.

قال و كان سبب [حيزه] [٦٢٦] دخول اذكوتكين بن ساتكين التركى قزوين و تغلبه عليها فى سنة ست و ستين و مائتين، و أسره محمد بن الفضل بن محمد بن سنان العجلي رئيس قزوين و كبيرها، أنه تقلد البلد، فلما صار إليه أظهر العدل و النصفه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥٧

أياما ثم أزالها عن ذلك و قبض على جماعة من وجوه البلدان و أخذ ضياعهم و أموالهم.

و قسم منها يدعى الهمذانى. و كان عامل همذان فى وقت افتتاح الخراج ينفذ خليفته إلى قرية من قرى دستبى يقال لها اسفنقان [٦٢٧] فيجيبى خراجها و يحمله إلى همذان. فما زال الأمر كذلك حتى كورت قزوين و زنجان.

[و كان العدل بقزوين من جهة طاهر بن الحسين، و الجور بهمذان من قبل موالى المعتصم بالله أمير المؤمنين، فتظلم رجل يقال له محمد بن ميسرة من رجل آخر من أهل قزوين يدعى أحمد بن النصر بن سعيد، فوجه وفده إلى نيسابور يسأل الكتاب فى نقل رستاق نسا و سلقانرود إلى قزوين. فكتب صاحب خراسان بذلك فنقلت إلى قزوين] [٦٢٨].

قال: و لما زال ملك العجم و فتحت البلدان، ولى المغيرة بن شعبة الكوفة و ولى جرير بن عبد الله همذان و ولى البراء بن عازب قزوين، و أمر أن يغزو الديلم.

و كان مغزاهم قبل ذلك من دستبي. فسار البراء بن عازب و معه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبهر، فأقام على حصنها- و هو حصن منيع بناه شابور ذو الأكتاف.

[١٤٦ أ]- و شابور أيضا بنى مدينة قزوين، و يقال إنه بنى حصن أبهر على عيون سدّها بجلود البقر و الصوف و اتخذ عليها دكة ثم بنى الحصن عليها-.

قال: و لما نزل عليه البراء، قاتله أهل الحصن أياما ثم طلبوا الأمان فأمنهم على مثل ما آمن حذيفة بن اليمان أهل نهاوند. ثم سار إلى قزوين فأناح عليها، فطلبوا الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر من الشرائط فقبلوا جميع ذلك إلّا الجزية فإنهم نفروا منها. فقال: لا بدّ منها.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥٨

فلما رأوا ذلك أسلموا [٦٢٩] و أقاموا بمكانهم فصارت أرضهم عشريّة.

فرتب البراء فيهم خمسمائة رجل من المسلمين منهم: طلحة بن خويلد الأسدي و ميسرة العائذي و جماعة من بنى تغلب [على دستبي و قزوين، فتناسلوا هناك فأولادهم و أولاد أولادهم إلى اليوم فيها، قد توارثوا الضياع- و كانت قبالة من السلطان في أيديهم الخمسين السنة و الأقل و الأكثر- إذ كانت] [٦٣٠] أرضين و ضياعا لا حق فيها لأحد. فعمروها و أجروا أنهارها و حفروا آبارها فسّموا تّناءها. و كان نزولهم على ما نزل عليه أساوره البصرة على أن يكونوا مع من شاءوا. و صار جماعة منهم إلى الكوفة و حالفوا زهرة بن حوية، فسّموا حمراء الديلم، و أقام أكثرهم بمكانهم فهم هناك إلى وقتنا هذا.

قال: و أنشدني رجل من أهل قزوين لجدّ أبيه- و كان ممن قدم مع البراء بن عازب لقتال الديلم:-

قد تعلم الديلم من تحارب لّمّا أتى في جيشه ابن عازب

بأنّ ظن المشركين خائب فكم قطعنا في دجي الغياهب

من جبل وعر و من سباب ثم غزى البراء الديلم حتى أدوا الجزية. و غزا الجيل و البير و الطيلسان و فتح زنجان عنوة. و ولي الوليد بن عقبه بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية الكوفة [لعثمان بن عفان، فغزا الديلم مما يلي قزوين، و غزا آذربيجان و جيلان و موقان و البير و طيلسان] [٦٣١] ثم انصرف.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٥٩

و ولي سعيد بن العاص بن أمية بعد الوليد، فغزا الديلم و مصر و قزوين فصارت مغزى أهل الكوفة.

و كان موسى الهادي لما صار إلى الري أتى قزوين و أمر ببناء مدينة إزاءها فهي تعرف بمدينة موسى. و ابتاع أرضا تدعى رستم آباد فجعلها وقفا على مصالح المدينة. و كان عمرو الرومي يتولاها، ثم تولاها من بعده محمد بن عمرو. و كان مبارك التركي بنى حصنا بها و سماه المباركية و به قوم من مواليه.

و حدث محمد بن هارون الأصهباني [٦٣٢] قال: اجتاز الرشيد بهمدان و هو يريد [١٤٦ ب] خراسان، فاعترضه أهل قزوين و أخبروه بمكانهم من بلد العدو و عنائهم في مجاهدتهم و سألوه النظر لهم و تخفيف ما يلزمهم من عشر غلاتهم في القصبه، فسار إلى قزوين و دخلها و بنى مسجد جامعها و اسمه إلى اليوم مكتوب على بابه في لوح حجر. و ابتاع بها حوانيت و مستغلات و أوقفها على مصالح المدينة و عمارة قبتها و سورها فهي تنفق عليها و يبنى منها ما استمرّ بغلتها إلى هذا الوقت.

قال: و سعد في بعض الأيام القبة التي على باب المدينة و هي عالية جدا، فأشرف على الأسواق، و وقع النفير في ذلك الوقت، فنظر إلى أهلها و قد أغلقوا حوانيتهم و أخذوا سيوفهم و تراسهم و جميع أسلحتهم و خرجوا على راياتهم و ساروا نحو العدو. فاستحسن ذلك منهم و أشفق عليهم و قال: هؤلاء قوم مجاهدون يجب أن ننظر لهم. فاستشار خواصه في ذلك، فكل واحد منهم أشار بما عنده

فقال هو:

أصلح ما يعمل بهؤلاء أن يحط عنهم الخراج و تجعل لهم وظيفة القصبه. فجعلها عشرة آلاف درهم فى كل سنة مقاطعة.

و كان القاسم بن الرشيد [٦٣٣] ولى جرجان و طبرستان و قزوین، فألجأ إليه أهل

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦٠

زنجان ضياعهم تعززا به و دفعا لمكروه الصعاليك و ظلم العمال عنهم و كتبوا له عليها الأشرية [٦٣٤] و صاروا له فلاحين.

و كان القاقزان عشريا لأن أهله أسلموا عليه و أحيوه بعد الإسلام، فألجأوه أيضا إلى القاسم على أن جعلوا له عشرا ثانيا سوى عشر بيت المال فصار فى الضياع أيضا.

و لم تزل دستبى على قسميها: بعضها إلى الرى و بعضها إلى همدان إلى أن سعى رجل من ساكنى قزوین من بنى تميم يقال له حنظله بن خالد و يكنى أبا مالك، فى أمرها، حتى صيرت كلها إلى قزوین. فسمعه رجل من أهل قزوین و هو يقول: كورتها و أنا أبو مالك. فقال له بل أتلفتها و أنت أبو هالك [٦٣٥].

و قد روت الحشوية فى فضائلها أخبارا كثيرة لا يصحها الثقات و الحفاظ [و أنا أوردها هنا] [٦٣٦] لتكون فائدة فى الكتاب.

قال أبو مجالد الصنعانى: قزوین و عسقلان العروسان [١٤٧ أ] شهداؤهما تزف إلى الله يوم القيامة.

و روى عن أبى هريرة [و ابن عباس] [٦٣٧] قال: كنا عند رسول الله (صلى الله عليه و سلم) يوما فرجع بصره إلى السماء كأنه يتوقع شيئا ثم بكى حتى جرت دموعه على خده و جعلت تقطر من أطراف لحيته و هو يقول: رحم الله إخوانى بقزوین - ثلاث مرات - قلنا: يا رسول الله، من إخوانك بقزوین الذين رقت لذكركم و ترخمت عليهم، و ما قزوین هذه؟ قال: هى مدينة من أرض الديلم و ستفتح عليكم و يكون بها رباط.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦١

فمن أدرك ذلك فليأخذ نصيبه من فضل رباطها، فإنه يستشهد فيها قوم يعدلون شهداء بدر [٦٣٨].

قال الحسن فى قوله عزّ و جلّ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ قال: الديلم.

و قال عمار بن عبد الله [٦٣٩]: سألت أبا عبد الله رضى الله عنه عن قتال الديلم فقال: و من أحق بالقتال منهم؟ هم الذين قال الله تعالى [فيهم] [٦٤٠] قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ.

و عن مجاهد فى قول الله تعالى فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ قال:

الروم و الديلم.

و بعث الحجاج إلى وفد الديلم فكانوا قد جاءوه فأرادهم على أن يسلموا فأبوا. فطالبهم بالجزية فامتنعوا فأمر أن يصور له بلدهم، سهله و جبله و عقابه و غياضه و أنهاره و طرقه و بنائه، فصور له ذلك. فقال لهم: إن بلادكم قد صورت لى بطرقها و عقابها و أنهارها و جبالها و سهولها، و قد رأيت فيها مطمعا، فأقروا لى بما دعوتكم إليه و إلّا أغزيتكم الجنود فأخربت بلادكم و قتلت رجالكم و سبيت الذرارى و النساء. فقالوا: أرنا الصورة التى أطمعتك فىنا و فى بلدنا. فدعا بالصورة، فلما نظروا إليها قالوا: قد صدقتك الذى صورها لك غير أنه لم يصور الرجال الذين يمنعون هذه العقاب و الجبال و الطرق. و ستعلم حقيقة ذلك لو قصدت البلد. فلم يلتفت إلى قولهم و أنفذ إليهم عسكريا عليه ابنه محمد بن الحجاج، فلم يصنع شيئا و انصرف إلى قزوین فبنى بها مسجدا و نصب فيها منبرا.

قال محمد بن زياد المذحجى: رأيت فى مسجد قزوین لوحا فيه مكتوب:

مما [١٤٧ ب] أمر به محمد بن الحجاج.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦٢

و هذا المسجد الذى بناه محمد بن الحجاج هو المسجد الذى على باب دار بنى الجنيد، و كان يسمى مسجد التوث [٦٤١]. فلم يزل

قائما إلى أن بنى للرشيد مسجدها الجامع.

و حكى قوم من مشايخ أهل قزوين أنهم لحقوا عمال خالد بن عبد الله القسرى و هم ينالون من أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه على منبر قزوين، و أن رجلا من عبد القيس [حبيش بن عبد الله و هو من موالى الجنيد أو بنى عمه] [٦٤٢] يسمع ذلك يوما، فاخترب سيفه و رقى إلى الذى على المنبر و قد نال منه، فقتله و قال: [لا نحتملك على لعن على بن أبى طالب] [٦٤٣] فانقطع من ذلك [إلى] اليوم.

و روى عن النبى (صلى الله عليه و سلم) أنه قال: ستفتح عليكم الآفاق و تفتح عليكم مدينة لها قزوين، من رابط فيها أربعين ليلة كان له فى الجنة عمود من ذهب أحمر له سبعون ألف مصراع من ذهب، فى كل باب منها زوجة من الحور العين [٦٤٤]. و لما أراد على بن أبى طالب رضى الله عنه المسير إلى صفين قال: من أحب منكم أن يخرج معنا فى وجهنا هذا و إلا فليأت قزوين فإنها باب من أبواب الجنة.

قال فخرج الربيع بن خثيم إليها فى أربعة آلاف. فلم يزل مقيما بها حتى انقضى أمر صفين. و يروى أن النبى (صلى الله عليه و سلم) قال: و الذى نفسى بيده ليقاتلن قوم بقزوين لو أقسموا على الله لأبرأ أقسامهم. و يروى أن النبى (صلى الله عليه و سلم) قال: مثل قزوين فى الأرض مثل جنة عدن فى الجنان.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦٣

و روى أن سعيد بن جبير قدم قزوين و هو متوار من الحجاج فبات بها ليلة ثم خرج منها و قال: ليجتهد عباد المسجد أن يدركوا مثل ليلتى هذه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦٤

القول فى طبرستان

قال: البير و الطيلسان و الطالقان و خراسان- إلّا أهل خوارزم- من ولد اشق بن إبراهيم عليه السلام. و الكوفان و الخزر و الشور و الاقليس من الديلم و هم بنو كماشج بن يافث بن نوح عليه السلام. و سميت جبالهم على أسمائهم إلّا الإيلام- جنس من الديلم- فإنهم من ولد باييل بن ضبة بن أد، و موقان و جبالها و هم أهل طبرستان من ولد كماشج بن يافث بن نوح عليه السلام [١٤٨ أ] قال: و حدثنى أبو حامد أحمد بن جعفر المستملى [٦٤٥] [قال] حدثنى عبد الله بن عمرو بن بشير البلخى [قال] حدثنى أبى. قال: اجتمع فى حبوس كسرى خلق كثير لم ير أن يقتلهم، فشاور فيهم فقبل: غرّبهم. فقال: انظروا موضعا أحبسهم فيه. فطلبوا و نقبوا البلاد فوقعوا على جبل طبرستان، فأخبروه بذلك، فوجه بهم إلى ذلك الجبل و خلاهم فيه و أخذ عليهم الباب- و هو يومئذ جبل لا ساكن فيه- ثم تركهم حولا.

فلما كان بعد الحول، وجه إليهم من يقف على خيرهم. فأشرف عليهم رسوله و كلمهم فإذا هم أحياء فسألهم: ما الذى تريدون؟- و كان الجبل أشبا كثير الشجر- فقالوا: طبرها، طبرها. أى نريد فأسا نقطع بها الشجر و نتخذ بيوتا. فأخبر كسرى بذلك، فأمر أن يبعث إليهم ما طلبوا. ثم أمهلهم حولا آخر ثم أرسل إليهم فسألهم عن حالهم- فوجدهم قد اتخذوا بيوتا- فقالوا: زنان، زنان. أى نريد نساء. فأخبر بذلك. فأتى بمن فى حبوسه من النساء فبعث بهن إليهم، فتتاسلوا. فعزّب الناس هذه الكلمة فقالوا: طبرستان. و إنما هى طبرزنان أى الفؤوس و النساء.

و مدينة طبرستان آمل [و بها منزلا للولاية]- و هى أكبر مدنها- ثم ممطير،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦٥

و بينها و بين آمل ستة فراسخ. ثم ترنجة [٦٤٦] و هي من ممطير على ستة فراسخ. ثم سارية، ثم طميس - و هي من سارية على ستة عشر فرسخا - هذا آخر حدّ طبرستان من ناحية خراسان و جرجان.

و من ناحية الديلم على خمسة فراسخ مدينة يقال لها ناتل فإذا جرت ناتل فخالوس و هي ثغر الجبل. هذه مدن السهل. فأما مدن الجبل منها فمدينة يقال لها الكلار و هي أيضا ثغر الجبل. ثم تليها مدينة صغيرة يقال لها سعيد آباد فيها منبر. ثم الرويان و هي أكبر مدن الجبل. ثم في الجبل من ناحية حدود خراسان مدينة يقال لها تمار و شرز و دهستان. فإذا جرت الأزر وقعت في جبال و نداد هرمز. فإذا جرت هذه الجبال، وقعت في جبال شروين و هي مملكة ابن قارن. ثم الديلم ثم جيلان. فلم تزل طبرستان في يد ولد العباس يجبون خراجها و يولون أعمالها إلى أن كانت سنة ثمان و أربعين و مائتين، فخرجت من أيديهم و دخلها [١٤٨ ب] العلوية في هذه السنة.

و قال البلاذري [٦٤٧]: كور طبرستان ثمان كور: سارية و بها منزل العامل. و إنما صارت منزل العامل في أيام الطاهرية، و قبل ذلك كان منزل العامل بآمل. و جعلها أيضا الحسن بن زيد و محمد بن زيد العلوي دار مقامهما. و من رساتيق آمل: آرم خاست الأعلى و آرم خاست الأسفل، و الميروان و الاصبهذ و نامية و طميس. و بين سارية و شلنبه على طريق الجبال، ثلاثون فرسخا، و عامتها من جرجان و بعضها من خراسان. و بين سارية و نامية و الميروان عشرة فراسخ.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦٦

و بين سارية و البحر ثلاثة فراسخ.

و بين آمل و سارية ثمانية عشر فرسخا.

و بين آمل و الري اثنا عشر فرسخا.

و بين آمل و شالوس و هي إلى ناحية جيلان، عشرون فرسخا.

و بين الجبال و الرويان اثنا عشر فرسخا.

و من مدن الرويان: شالوس، و الأرز، و الشرز، و ونداشورج، ثم جيلان.

و طول طبرستان من جرجان إلى الرويان ستة و ثلاثون فرسخا، و عرضها عشرون فرسخا، في يدي السكن من ذلك سنة و نام ستة و ثلاثون فرسخا في عرض ستة عشر فرسخا و العرض من الجبل إلى البحر.

و أول من دفعت إليه السفوح، شروين [بن سهراب] [٦٤٨] و كانت قبل ذلك في أيدي الجند الذين كانوا ينزلون المسالح و غيرهم من المسلمين فأخرجها من أيدي المسلمين و أنزلت فيها قواد الجرويه و أبناؤهم. فلم تزل في أيديهم إلى أن قدم الحرشي فطردهم عنها، و أراد مسحها و خرج فمسكر في مصلى آمل و وجه المساح، فخرجوا عليهم و قتلوا القائد الموجه معه ثم كتب [٦٤٩] إلى الرشيد في ذلك فقام الرشيد بنفسه إلى الري و دعا بندا هرمز و شيروين. فخرج بندا هرمز عن السفوح و سلمها و ضياعه التي في السهل و صار إلى الرشيد في الأمان، فصيره اصبهذ خراسان، و وجه عبد الله بن مالك الخزاعي فحازها و ردّها إلى القواد و أصحاب المسالح. فلما ولي المأمون أخذها منهم [١٤٩ أ] و ردّها إلى أصحابه.

و المسالح فيما بين أول طبرستان إلى حدّ الديلم، إحدى و ثلاثون مسلحة ما بين المائتين إلى ألفي رجل.

و أول مدن طبرستان مما يلي جرجان، طميش و هي على حدّ جرجان و عليها

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦٧

درب عظيم ليس يقدر أحد من أهل طبرستان أن يخرج منها إلى جرجان إلّا في ذلك الدرب لأنه حائط ممدود من الجبل إلى جوف البحر من آجر و حص. و كان كسرى أنوشروان بناه ليحول بين الترك و بين الغارة على طبرستان.

و في طميس خلق كثير من الناس و مسجد جماعة و منبر و قائد مرتب في ألفى رجل.

و بعدها في السهل مدينة المهران و فيها أيضا منبر و مسجد و قائد في ألف رجل.

و بعدها قصبه سارية، و فيها منبر و مسجد. و خارج المدينة ألف جريب أرض لبلاد هرمزد على باب مدينة سارية مما كان ابتاعه من الصوافى في أيام بيعت.

فكان الذى تولّى بيعها مهاجر بن يزيد و إلى طبرستان.

و بعدها مدينة آمل و فيها قائد في ألفى رجل و فيها يعمل الفرش الطبرى، و فيها خلق كثير من الناس و بها منبر و مسجد.

و بعدها ممطير فيها منبر و مسجد. و بين ممطير و آمل رساتيق و قرى و عمارة كثيرة.

و زعم أن الرويان ليست من طبرستان و إنما هي كورة مفردة برأسها، و بلاد واسعة تحيط بها جبال عظيمة و ممالك كثيرة و أنهار مطردة و بساتين متسقة و عمارات متصلة. و كانت فيما مضى من مملكة الديلم فافتتحها عمر بن العلاء صاحب الجوسق [٦٥٠] بالرى و بنى فيها مدينة و جعل لها منبرا.

و فيما بين جبال الرويان و الديلم رساتيق و قرى. يخرج من القرية ما بين أربعمائه إلى ألف رجل، و يخرج من جميعها أكثر من خمسين ألف مقاتل. و خراجها على ما وُظف عليها الرشيد أربعمائه ألف و خمسون ألف درهم.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦٨

و في بلاد الرويان مدينة يقال لها كجو [٦٥١] بها مستقر الوالى.

و جبال الرويان متصلة بجبال الرى و ضياعها، و يدخل إليها مما يلي الرى.

و بين مدينة الرى و شالوس ثمانية فراسخ.

و على حدّ من حدود الديلم مدينة يقال [١٤٩ ب] لها شالوس أيضا في نحر العدو. و فيها منبر و مسجد، و بإزائها مقابل كجو مدينة يقال لها الكبيرة و فيها أيضا منبر.

و من مدينة شالوس إلى مدينة محدثة في بلاد الديلم يقال لها الطالقان فيها مسجد و منبر، أربعة عشر فرسخا.

و سفوح هذا الجبل متصلة بالبحر، فيها المستأمنه الذين استأمنوا إلى عمرو بن العلاء، و فيها قوم لهم ديانة قد بنوا المساجد و تزوج إليهم أهل شالوس و هم يغزون مع ولاة طبرستان الديلم و يدلون على عوراتهم.

و بنيت هذه المدينة في أيام المأمون و أنفق عليها ألف ألف درهم، و وكل بحفظها عباد بن أترب، فضمّ إليه طائفه من العرب و هم إلى اليوم بها قبائل، منهم آل عباد و أهل موسى و الشعبانية. و وراء هؤلاء قوم من الديلم لم يعطوا طاعة قط، و قراهم و جبالهم متصلة بجبال أرمينية و لباب الأبواب.

ثم القرية التى تجتمع فيها الولاة و منها يغزون الديلم يقال لها مزن و كان مستقر بنداسفجان أخى بنداد هرمزد بها.

و كان المازيار بن قارن لما فرغ من قتل عمومته و أكابر ولد بنداسفجان و قوادهم، لم يمكنه قتل ولد شروين بن سهراب لكثرة مالهم و رجالهم، و لأن مستقرهم من جبال طبرستان مما يلي بلاد قومس. و كان بين جبال شروين و جبال

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٦٩

بنداد هرمزد و بنداسفجان، دروب و مضايق ممتعة، و فى تلك الدروب تسلك القوافل للتجارات إلى طبرستان.

فأظهر المازيار لولد شروين من البرّ و الإكرام و الحيل بما أنسوا به و اطمأنوا إليه. و كان إذا قدم عليه القادم منهم برّه و وصله و حملة و كساه.

ثم إنه أظهر غزو الديلم و ذكر أنه يقيم على بلدهم حتى يفتحه. و بنى المساجد فى مدنه و عمل بفرير منبرا و مكث على ذلك سنة أو نحوها ثم كتب إلى عامل خراسان يسأله أن يبعث إليه بألفى بعير لحمل السلاح و لغيره لغزو الديلم، فلم يشك أنه مجمع على

ذلك. و كتب إلى ولد شروين يسألهم أن يخرجوا معه.

و أمر بإخراج منبر إلى آرم و أمر الناس أن يجتمعوا فاجتمعوا و حضر ولد شروين، فخطبهم الفقيه. فلما فرغ [١٥٠ أ] [من الخطبة أمره بالانصراف إلى سارية، و أمر من حضر من ولد شروين و غيرهم أن يحضروا منزله فحضروا مستبشرين، فلما صاروا إلى منزله و حضر طعامه، أمر بأخذ سلاحهم و قتلهم جميعا. و ترك الخروج إلى الديلم، ثم وجه في هذا الوقت بالسرى قائدا في عشرين ألف رجل و دفع إليهم المرور و المعاول و أمر القائد أن يسير حتى ينتهي إلى الديلم و قال: أما أن تخرجوا إلى طاعتي أو تدفعون إليّ رهائنكم و إلّا قتلتم و قلعت منازلكم.

فأعطوه الطاعة و دفعوا إليه الرهائن، ثم أمر أولئك المستأمنه أن يخرج منهم عشرة آلاف رجل فيخربوا مدينة الرئاسة ففعلوا ذلك. و هؤلاء المستأمنه في رستاق عظيم يقال له مزن. و إلى هذا الموضع كان انتهى عمرو بن العلاء. و منه كانت تغزو ولاة طبرستان الديلم. و هم يتصلون بالديلم و قزوین و الباب الأبواب و بلاد بابك. و هؤلاء المستأمنه ان رأوا للمسلمين قوة كانوا معهم، و إن رأوا للعدو قوة كانوا معهم. و بعد هذا الموضع جبل يتصل بقزوین و بلاد بابك يكون نحو من عشرين البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧٠

فرسحا إلى حيث انتهى الولاة و عرفاء الديلم. و ما وراء ذلك لم يوصل إليه فيخبر عنه.

و كانت طبرستان في الحصانة و المنعة على ما هي عليه، و كانت ملوك فارس توليها رجلا و يسمونه الأصبهذ، فلم يزلوا على ذلك حتى جاء الإسلام و افتتحت الممالك المتصلة بطبرستان، فكان صاحب طبرستان يصلح على الشيء اليسير، فيقبل منه لصعوبة المسلك إليها و خشونتها حتى ولى عثمان بن عفان سعيد بن العاص بن أمية الكوفة سنة ٢٩، فكتب مرزبان طوس إليه و إلى عبد الله بن عامر بن كرز و هو على البصرة يدعوها إلى خراسان على أن يملك عليها أيهما غلب و ظفر، فسبق ابن عامر و خرج سعيد فغزا طبرستان و معه في غزاته الحسن و الحسين أبناء عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ففتح سعيد من طبرستان طميش و نامية و صالح ملك جرجان على مائتي ألف درهم بغلته وافية فكان يؤذيها إلى غزاة المسلمين، و افتتح أيضا من طبرستان الزويان و دناوند، و أعطاه أهل الجبال مالا، ثم ولى معاوية فولّى طبرستان مصقلة بن هبيرة بن شبل، فتوغّل بمن معه في بلاد طبرستان، فلما جاوز المضائق أخذها العدو عليهم و دهدهوا الصخور على رؤوسهم فهلكوا أجمعين و هلك مصقلة فضرب الناس به المثل، فقالوا: حتى يرجع مصقلة من طبرستان.

ثم إن عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان ولى محمد بن الأشعث الكندي طبرستان فصالحهم و عقد لهم عقدا، ثم أمهلوه حتى دخل و أخذ عليه المضيق و قتل ابنه أبو بكر و فضخوه ثم نجا، فكان المسلمون يغزون ذلك الثغر و هم حذرون من التوغّل في أرض العدو. ثم ولى يزيد بن المهلب خراسان و سار يريد طبرستان، فاستجاش اصبهذ الديلم و قاتله يزيد، ثم إنه صالحه على أربعة آلاف درهم و سبع مائة ألف درهم مثاقيل في كلّ سنة و أربع مائة و قر زعفران، و ان يخرجوا أربع مائة رجل على رأس كلّ رجل ترس و جام فضة و نمرقة حرير و فتح يزيد الزويان و دناوند على مال و ثياب و آنية.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧١

و لم يزل أهل [٦٥٢] طبرستان يؤدون هذا الصلح مرة و يتمتعون أخرى و يحاربون و يسالمون. فلما كان أيام مروان بن محمد، غدروا و نقضوا و منعوا ما كانوا يحملونه. فلما صارت الخلافة إلى بنى العباس [استخلف أبو العباس أمير المؤمنين، فوجه إليهم عامله فصالحوه ثم إنهم غدروا أيضا و نقضوا و قتلوا المسلمين في خلافة المنصور] فوجه إليهم خازم بن خزيمه التميمي و روح بن حاتم و معهما مرزوق أبو الخصيب. فسألهما مرزوق حين ضاق عليهم الأمر و صعّب أن يضرباه و يحلقا رأسه و لحيته ليوقع الحيلة على الاصبهذ. ففعلا ذلك و هرب بمواطاة منهما إلى الاصبهذ فقال له: إن هذين الرجلين استغشاني. فإنهما لما أشرت عليهما أن لا

يقصد بالبلدك و عرفتهما صعوبه و خشونة طرقه و عقابه ففعلا بي ما ترى. فإن قبلت انقطاعى إليك و أنزلتنى المنزلته التى استحقتها منك دللتك على عورات العرب و كنت يدا معك عليهم، و إن لم تقبل نصحى و اتهمتنى انصرفت عنك إلى غيرك من الملوك. فقبله الاصبهيد و أحسن إليه و استخصه و أظهر الثقة به و المشاوره له. فكان يريه أنه له ناصح و مشفق عليه. فلما اطلع على أموره و عوراته كتب إلى خازم و روح بما احتاجا إلى معرفته و احتال لباب القلعه حتى فتحه و أدخل المسلمين إليها فملكوها.

و كان عمرو بن العلاء جزارا من أهل الرى فجمع جمعا و قاتل الديلم فأبلى بلاء حسنا فأوفده [جهور بن مرار العجلي] إلى المنصور فقوده [و جيشه] و جعل له منزله. و ترائقت به الأمور حتى ولى طبرستان و استشهد فى خلافة المهدي.

و افتتح محمد بن موسى بن حفص بن عمرو بن العلاء و مازيار بن قارن جبال شروين من طبرستان، و هى من أمنع الجبال و أصعبها و أكثرها شجرا و غياضا. و كان فتحهما إياها فى أيام المأمون. فقلد المأمون عند ذلك مازيار، طبرستان و الرويان و دنباوند و سماه محمدا و جعل له مرتبه الاصفهيد. فلم يزل واليا عليها حتى توفى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧٢

المأمون و استخلف المعتصم، فأقره عليها و لم يعزله عنها. فأقام على الطاعة مده ثم غدر و خالف و ذلك [١٥٠ ب] بعد ست سنين [و أشهر] من خلافة المعتصم.

فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر- و هو عامله على خراسان و الرى و قومس و جرجان- يأمره بمحاربه. فوجه إليه عبد الله، الحسن بن الحسين [عمه] فى جماعه من رجال خراسان. و وجه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب فى خلق من جند الحضرة، فلما قصدته العساكر، خرج إلى الحسن بن الحسين بغير عهد و لا عقد، فأخذه و حمله إلى سرمرى فى سنه خمس و عشرين و مائتين فضرب بالسياط بين يدي المعتصم حتى مات و صلب فى سنه خمس و عشرين و مائتين مع بابك على العقبه التى بحضرة مجلس الشرطة. و افتتحت طبرستان و تقلدها عبد الله بن طاهر، و طاهر بن عبد الله بعده [٦٥٣].

و كان صاحبها قبل ذلك فى أيام المنصور و بعدها، إذا أحس من عامل خراسان بضعف لم يعطه الطاعة و لم يعطه الصلح الذى فورك عليه. فلما قتل المنصور أبا مسلم و فعل تلك الأفعال، هابه اصبهيد خراسان و كتب إليه بالطاعة و وجه رسوله بالهدايا فقبل المنصور ذلك منه و برّ رسوله و أطفه و أقام بالحضرة يكاتب صاحبه بما يحتاج إلى علمه.

و كان الاصبهيد يوجه بالهدايا و الألفاف فى النيروز و المهرجان. و طالت أيام المنصور على الاصبهيد فكتب إلى رسوله بالانصراف إليه و أمسك أن يبعث بما كان به من الهدايا. فلما خالف عبد الرحمن بن عبد الجبار على المنصور وجه إليه أبا عون القائد و معه أبو الخصيب. فلما ظفرا بعبد الجبار و أسراه، كتب المنصور إلى أبى الخصيب بولايته قومس و جرجان و طبرستان و يكون دخوله من طريق جرجان.

و كتب إلى أبى عون أن يسير إلى طبرستان و يكون دخوله من طريق قومس.

و كان الاصبهيد فى مدينه يقال لها الاصبهيدان بينها و بين البحر أقل من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧٣

ميلين، فبلغه خبر [دخول] الجيش، فهرب إلى الجبل، إلى موضع يقال له الطاق.

و هذا الموضع كان فى القديم [١٥١ أ] خزانه لملوك الفرس. و كان أول من اتخذه خزانه، منوجهر، و هو نقب فى موضع من جبل صعب السلوك لا- يجوزه إلّا الراجل بجهد. و هذا النقب شبيه بالباب الصغير. فإذا دخله الإنسان مشى فيه نحو من ميل فى ظلمه شديده. ثم يخرج إلى موضع واسع شبيه بالمدينه قد أحاطت بها الجبال من كل جانب، و هى جبال لا يمكن أحد الصعود إلى ألقها ارتفاعا، و لو استوى له ذلك ما قدر على النزول.

و فى هذه [٦٥٤] الرحبه الواسعه مغائر و كهوف لا يلحق أمد بعضها، و فى وسطها عين غزيره الماء تنبع من صخره و يغور ماؤها فى

صخرة أخرى، بينهما نحو عشرة أذرع، ولا يعرف أحد لما بعد هذا موضعا.

و كان فى أيام ملوك الفرس، يحفظ هذا النقب رجلا ن معهما سلم من جبل يدلونه من الموضع إذا أراد أحدهما النزول فى الدهر الطويل. و عندهما جميع ما يحتاجان إليه لسنين كثيرة.

فلم يزل الأمر فى هذه النقب و فى هذه الخزائنة على ما ذكرنا إلى أن ملك العرب، فحاولوا الصعود إليها فتعذر ذلك، و لم يقدرُوا عليه إلى أن ولى المازيار طبرستان، فقصدها هذا المكان و أقام عليه دهرا حتى استوى صعود رجل من أصحابه إليه. فلما صار إليه دلى حبالا- و أصعد قوما فيهم المازيار حتى وقف على ما فى تلك الكهوف و المغائر من الأموال و السلاح و الكنوز، فوكل بجميع ذلك قتيما من ثقاته و انصرف. فكان الموضع فى يده إلى أن أسر و نزل الموكلون به أو ماتوا، و انقطع السبيل إليه إلى هذه الغاية.

و ذكر سليمان بن عبد الله أن إلى جانب هذا الطاق شبيها بالداكان، و انه إن صار إليه إنسان فلطخه بعدرة أو بشيء من سائر الأقدار، ارتفعت فى الوقت سحابة عظيمة فمطرت عليه حتى تغسله و تنظفه و تزيل ذلك القدر عنه. و ان ذلك شهر فى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧٤

البلد يعرفه أهله و لا يتماهى فيه اثنان من أهل تلك الناحية فى صحته، و انه لا يبقى عليه شيء من الأقدار صيفا و لا شتاء [١٥١ ب]. قال: و لما هرب الاصبهذ إلى الطاق و جه أبو الخصيب فى أثره قوادا و جندا، فلما أخبر بهم هرب إلى الديلم و عاش بعد هروبه سنة ثم مات.

و أقام أبو الخصيب فى البلد و وضع على أهله الخراج و الجزية و جعل مقامه بسارية و بنى بها مسجدا جامعاً و جعل فيه منبرا، و كذلك بآمل أيضا.

و كانت ولايته سنتين [٦٥٥] و ستة أشهر.

ثم ولى أبو العباس الطوسى.

ثم أبو خزيمه، سنتين.

ثم روح بن حاتم، سنتين و ستة أشهر.

ثم خالد بن برمك، خمس سنين [و عمل بها العجائب و ظفر بخزائن ملوك فارس فى الطاق و بنت المصمغان] [٦٥٦].

ثم عمرو بن العلاء، أربع سنين.

ثم سعيد بن دعلج، سنتين.

ثم عمرو بن العلاء ثانية، سنتين.

ثم تميم بن سنان، ثلاث سنين.

ثم يزيد بن سويد، سنة و أربعة أشهر.

ثم سعيد الحرشى، ستة أشهر.

ثم مقاتل بن صالح، سنة.

ثم سلم بن نافع، ستة أشهر.

ثم جرير بن سنان، أربع سنين و أربعة أشهر.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧٥

ثم سليمان بن داود، أربعة أشهر.

ثم هانى بن هانى، سنتين.

ثم حميد بن قحطبه، سنة و ستة أشهر.

ثم مقاتل بن صالح أيضا ثانية، ستة أشهر.
 ثم إبراهيم بن عثمان ستة أشهر.
 ثم سعيد بن سلم، ستة أشهر.
 ثم الجنيد بن دعلج، ستة أشهر.
 ثم حماد بن عبد العزيز ستة أشهر.
 ثم المثنى بن الحجاج بن عبد الملك بن القعقاع، ستة أشهر.
 ثم يحيى بن معاذ، تسعة أشهر ثم موسى بن يحيى، تسعة أشهر.
 ثم عبد الله بن حازم، سنة و ستة أشهر.
 ثم سعيد الجوهري، سنة.
 ثم مهرويه، سنتين.
 ثم عبد الله بن الحرمي، ثلاث أربع سنين.
 ثم عبد الله بن مالك، أربع سنين.
 ثم موسى بن جعفر، سنتين.
 ثم عبد الله بن سعيد، سنتين.
 ثم عبد الله بن أبي سعد، سنة.
 ثم محمد بن أخيه، سنة.
 ثم موسى بن حفص، أربع سنين.
 ثم محمد بن موسى، سنتين.
 ثم طاهر بن الحسين.
 البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧٦
 ثم عبد الله بن طاهر.
 ثم طاهر بن عبد الله [١٥٢ أ].

ثم محمد بن طاهر. و كان خليفته عليها سليمان بن عبد الله بن طاهر. فخرج عليه الحسن بن زيد العلوي الحسنى فى سنة تسع و أربعين و مائتين. فأخرجه عنها و غلب عليها إلى أن مات و قام مكانه أخوه محمد بن زيد [٦٥٧].
 و ذكر أبو يزيد بن أبى عتاب [٦٥٨] قال: رأيت فيما يرى النائم سنة ثمان و أربعين و مائتين و أنا بمدينة الرى، و قد بتنا على فكر من الاختلاف بين القائلين بالسيف و بين أصحاب الامامة. فقال القائل منا:
 قد قال أمير المؤمنين رضى الله عنه: الخير بالسيف و الخير مع السيف.
 فأجابه مجيب: و الدين بالسيف، و قد أمر الله عزّ و جلّ نبيه (صلى الله عليه و سلم) أن يقيم الدين بالسيف. ثم تفرّقنا. فلما كان الليل و أخذت مضجعى من النوم، رأيت فى منامى كأنّ قائلًا يقول:
 هذا ابن زيد أتاكم ثائرا حرديقيم بالسيف دينا واهى العمدة
 يثور بالشرق فى شعبان منتضيا سيف النبى صفى الواحد الصمد
 فيفتح السهل و الأجدال مقتحما من الكلار إلى جرجان فالجلد
 و أملا ثم شالوسا و غيرهما إلى الجزائر من رويان فالبلد

[و يصرف الخيل عنها بعد ثلثة من السنين إلى الزوراء بالعمد]

[فيهدم السور منها ثم ينهبها ويقصد الثغر من قزوين بالحد]

و يملك القطر من حرشاء ساكنه ما لاح في الجوّ نجم آخر الأبد

قال: فورد محمد بن رستم الكارى و محمد بن شهر يار الرويانى [٦٥٩]، [من آل معدان] الرى فى سنه خمسين و مائتين - و كانا يريان السيف - فتطلبا رجلا من

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧٧

العلوية يجعلانه شيخا مقيما بطبرستان ليدفعا جور سليمان بن عبد الله. فما زالا يطلبان و يلتمسان حتى وقع اختيارهما على الحسن بن زيد الحسنى رضى الله عنه فبايعاه فى شهر رمضان من هذه السنه، و خرجا يوم الاثنين لسبع بقين من شهر رمضان سنه خمسين و مائتين نحو طبرستان. فخطب الحسن بن زيد يوم الفطر بالكلا و الرويان ثم أخرج بعد مديده يسيرة سليمان بن عبد الله [١٥٢ ب] عن البلد لسوء سيرته.

و اضطرب أمر آل طاهر بخراسان. و اعتل الحسن بن زيد، فلما حضرته الوفاة، جعل الأمر من بعده لأخيه محمد بن زيد، فلم يزل عليها حتى دخلت سنه أربع و ثمانين، و كان المعتضد كتب إلى عمرو بن الليث الصفار يأمره بالمصير إلى خراسان و أن يطلب رافع بن هرثمه الذى بلغه من معه إلى محمد بن زيد و إنه على أن يبيض [٦٦٠]. فصار إلى خراسان و لقي رافع بن هرثمه فأوقع به و هزمه و أخذه قريبا من خوارزم فقتله و حمل رأسه إلى مدينة السلام و صفت خراسان للصفار.

فلما كان فى سنه خمس و ثمانين و مائتين، كتب المعتضد إلى الصفار يأمره بطلب إسماعيل بن أحمد و يقول فى كتابه أن قد وليتك [ما] إليه من العمل. و كتب إلى إسماعيل بمثل ذلك. فسار كل منهما إلى صاحبه و التقوا بناحية نسا و أبيورد فقتل بينهما خلق كثير و انصرف كل منهما إلى بلده. حتى إذا دخلت سنه سبع و ثمانين و مائتين سار إسماعيل بن أحمد نحو الصفار و عبر النهر يريد - و الصفار فى زهاء مائة ألف رجل مقيم بمدينة بلخ - فنزل إسماعيل على باب المدينة و حاصره فيها. فلما أجهده الحصار و ضاقت عليه و على أصحابه الميرة و العلوقة، خرج إليه، فلما التقيا انهزمت خيل الصفار، و أخذ الصفار أسيرا مع جماعة من وجوه قواده فحمل إلى مدينة سمرقند و حبس هناك [ثم بعث إلى بغداد]. [٦٦١]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ٥٧٧

اتصل الخبر بمحمد بن زيد و هو بطبرستان، فطمع فى جرجان و سار نحوها و نزل عليها. فردّ إليه إسماعيل رجلا من قواده يعرف بمحمد بن هارون فواقعه على

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧٨

باب مدينة جرجان فهزمه و قتل خلقا من أصحابه، و وجد محمد بن زيد قتيلا و أسر ابنه زيد، [و ذلك يوم الجمعة لخمس خلون من شوال سنه ٢٨٧] [٦٦٢]، و لم يردّ أصحابه من الهزيمة شىء حتى وافوا طبرستان فلما اجتمعوا بها تشاوروا و اتفق رأيهم على أن يجعلوا الأمر للمهدى بن زيد بن محمد - و هو يومئذ صبى لم يبلغ [١٥٣ أ] و عملوا أن يفعلوا ذلك يوم الجمعة و نادوا فى الناس أن يجتمعوا للبيعة.

و كان فى القواد رجل [٦٦٣] يعرف بالزاد قد طابقتهم على ما أجمعوا عليه. فلما قربوا من باب المسجد، نشر الزراد أعلاما سودا و وضع فى أصحاب محمد بن زيد السيف فقتل منهم خلقا و خطب للمعتضد بالله على منابر طبرستان و ذلك فى ذى القعدة سنه سبع و ثمانين و مائتين.

فكان بين أول ولايتهم إلى أن خرجت عنهم سبع و عشرون [٦٦٤] سنه.

قالوا: و من عجائب طبرستان دويبة سوداء براقه تظهر في أيام العنب فقط و تكون في عناقيده قدرها دون الخنصر طولاً و فوق الخيط الدقيق جسماً، فيها خطوط بيض يسميها الناس ذات ألف قائمة، و لها قوائم دقاق قصار نابتة على بطنها في صفوف فإذا تحركت فكأنها أمواج [تضطرب] و تذكر النساء ان من شربت منها شيئاً منعها عن الحبل.

و بطبرستان أيضاً دابة في عظم الثعلب لها شعر كشعر الدلق و جناحان لاصقان بها كأجنحة الخفاش و لها أنياب و طعامها الثمر تطير من شجرة إلى شجرة كما يطير الطائر.

قال: و أخبرني سليمان بن يحيى أنه رأى ثعلباً حمل من خراسان إلى المتوكل، له جناحان يطير بهما.

قال علي بن ربن [٦٦٥] كاتب المازيار كان بطبرستان طائر يسمونه كنكر يظهر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٧٩

أيام الربيع، فإذا ظهر تبعه جنس من العصافير موشاة الريش، فيخدمه كل يوم. واحد منها نهاره أجمع، يجيئه بالغذاء و يزقه به. فإذا كان في آخر النهار و ثب على ذلك العصفور [٦٦٦] فأكله. حتى إذا أصبح و صاح، جاءه آخر من تلك العصافير فكان معه على ما ذكرنا، فإذا أمسى أكله. فلا يزال على هذا مدة أيام الربيع. فإذا زال الربيع، فقد هو و سائر أشكاله، و كذلك أيضاً ذلك الجنس من العصافير فلا يرى شيء من الجميع إلى قابل في ذلك الوقت. و هو طائر في قدر الفاخنة و ذنبه مثل ذنب البيغاء و في منسره تعقيف.

و قد يفعل هذا اليوم أيضاً في الجمال فإنهن يتعلقن بغصن من أغصان الشجر ثم يصوتن [١٥٣ ب] صوتاً تعرفه العصافير- و في طبع العصافير معاداة البوم- فإذا سمعن ذلك الصوت اجتمعن و لا يزلن يرفرفن على البوم، فكلما أمكنه شيء منهن و ثب فأخذ و هن لا يبرحن من الترفرف عليه حتى يأخذ منهن ما يريد. فإذا اكتفى طار.

قال: و وجه المنصور خالد بن برمك إلى طبرستان لمحاربة الاصبهذ و المصمغان. و كانت الأكاسرة أيام هربهم من العراق إلى مرو و قتل يزدجرد، أودعوا جبل طبرستان نفيس أموالهم لصعوبته و شدة مسلكه و صيروا ذلك في القلاع. فلما وافى خالد بن برمك الجبل و ملك قلاعه، وجد فيها من الجواهر و التيجان و المناطق و السيوف المكللة بالدر و الياقوت و الزمرد ما لا قيمة له، و ظفر من ذلك أهل البلد شيء كثير، فعظم ذلك و كبر خالد في نفوسهم، لأنه فتح هذا الفتح الجليل ما كانوا يصورونه على تراسهم و يصورون المجانيق التي كان يرميهم بها.

فأما الاصبهذ لما دام الحصار عليه شرب السم و سقاه جميع حرمه فمات و ماتوا.

و أما المصمغان فخرج و معه نساؤه و سائر حرمه إلى خالد و جلس و أجلسهم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨٠

حواله على التراب. فزق له خالد و أجلسه على البساط و بعث به و سائر حرمه و بناته إلى المنصور. و كان له عدة بنات- و أمه بنت الاصبهذ- فصارت واحدة منهن إلى إسماعيل بن علي و أخرى إلى المهدي و أخرى إلى العباس بن محمد، فولدت له إبراهيم بن العباس. و كانت شكلة أم إبراهيم بن المهدي [فصارت إلى عبد الصمد بن علي] [٦٦٧] ثم صارت إلى المهدي فولدت له إبراهيم.

و كان يسار بين يدي خالد و هو بطبرستان بعدة ألوية و هو الذي بنى المنصورة و اتخذ بها سوقاً و مسجداً جامعاً.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨١

القول في آذربيجان

قال ابن المقفع [٦٦٨]: آذربيجان آذرباذ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح، و يقال آذرباذ بن بيوراسف، و افتتحها المغيرة بن شعبه في سنة ٢٢ عنوة، و وضع عليها الخراج.

و أخبرني واقد أن العرب لَمَّا نزلت آذربيجان نزلت إليها عشائرها من المصريين و الشاميين، و غلب كل قوم على ما أمكنهم، فصار

أهلها مزارعين لهم، فكانت ورثان منظره، فبناها مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم، وأحيا أرضها وحصّنها فصارت ضيعه، ثم قبضت عن بنى أمية، فصارت لأمم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور، وكان الورثاني من مواليتها، وكانت برزند قرية فعسكر بها الأفشين أيام محاربتة بابك فحصّنها وبنائها، وكانت المراغة تدعى أفرازهرد، وكانت موضع متمرغ لدواب مروان بن محمّد والى أرمينية ودواب أصحابه، فكانوا يسمونها قرية المراغة، ثم حذف الناس قرية فقالوا المراغة، وكان أهلها ألجئوها إلى مروان فقبضت مع ضياع بنى أمية، وصارت لبعض بنات الرشيد، فلما عاث الوجناء الأزدي وصدقه بن علي مولى الأزدي وفسدوا، ولي خزيمه بن خازم أرمينية وآذربيجان في خلافة الرشيد، فبنى سورها وحصّنها ومصيرها وأنزلها جندا كثيفا، فلما ظهر بابك بأرمينية لجأ الناس إليها فنزلوها وحصّنها بها، وأما مرند فكانت قرية صغيرة فحصّنها أبو البعيث، ثم حصّنها البعيث، ثم من بعده محمّد ابنه، وبنى بها قصرا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨٢

وأما أرمية فمدينه قديمه يزعم المجوس أن زردشت صاحبهم منها، وكان صدقه بن علي مولى الأزدي غلب عليها وبنى بها قصورا، وأما تبريز فنزلها الرّواد الأزدي ثم الوجناء بن الرّواد، وبنى بها وحصّنها بسور فنزلها الناس معه، وأما الميانج وجيلبايا فمنازل الهمدانيين، وأما كورة برزة فلأوديين، وأما نريز فكانت قرية لها قصر قديم متشعث، فنزلها مر بن عمرو الموصلّي الطائي، فبنى بها وسكنها وولده، فصاروا يتولّونه دون عامل آذربيجان، وأما سراه ففيتها جماعة من كنده من ولد من كان مع الأشعث بن قيس.

وروى مكحول الشامي قال: أسرع الأرض خرابا أرمينية، قيل: وما يخربها؟

قال: سنايك الخيل كاني أنظر إلى خلاخيل نساء قيس تضطرب فدار فيها الخيل.

وحّد آذربيجان من حدّ بردعه إلى حدّ زنجان، ومن مدنها: بركري، و سلماس، وموقان، وخوي، وورثان، والبيلقان، والمراغة، و نريز، و تبريز، و يتصل الحدّ الثاني من الجانب الشرقي ببلاد الديلم، والطرم، و جيلان، و من مدنها: برزة، و سابرخاست، و الخونج، و الميانج، و مرند، و خوي و كولسره، و برزند، و كانت خرابا فمدنها الأفشين و نزلها، و الطريق من برزند إلى ورثان و هي آخر عمل آذربيجان اثنا عشر فرسخا، و منها: جنزة، و جابروان، و أرمية مدينه زردشت، و الشيز و بها بيت نار آذر جشنس، و هو عظيم القدر عند المجوس، و رستاق السيلق، و رستاق سندبايا، و البّد، و رستاق ما ينهرج، و رساتيق أرم، و خراج آذربيجان ألفا ألف درهم، و ورثان آخر عمل آذربيجان من ذلك الوجه

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨٣

القول في أرمينية

قال أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي: سميت أرمينية بأرميني بن لنطي و هو ابن يونان بن يافث.

وحّد أرمينية من بردعه إلى الباب والأبواب، و إلى حدّ الروم من ذلك الوجه، و إلى جبل القبق و ملك السريير و ملك اللّكز.

و من آخر عمل آذربيجان و هو ورثان إلى أول عمل أرمينية ثمان سكك، و من بردعه إلى تفليس عشر سكك، و أرمينية الأولى هي السيجان، و آرّان، و تفليس.

و افتتحها حبيب بن مسلمة و منها بردعه و بناها قباذ الأكبر، و بنى الباب و الأبواب و بناها قصورا، و إنما سميت أبوابا لأنها بنيت على طرق في الجبل، و هي ثلاثمائة و ستون قصرا إلى باب اللان مائة قصر، و عشرة قصور في أيدي المسلمين إلى أرض طبرستان، و باقى القصور في أرض فيلان. و صاحب السريير إلى باب اللان [٦٦٩].

و من أرمينية الأولى: البيلقان و قبله و شروان، و أرمينية الثانية: جرزان و صغدليل و باب فيروز قباذ و اللّكز، و أرمينية الثالثة: البسفرجان

و ديبيل و سراج طير و بغروند و النشوى، و أرمينية الرابعة: و فيها قبر صفوان بن المعطل السلمي صاحب رسول الله (صلى الله عليه و سلم) بينها و بين حصن زياد، عليه شجرة لا يعرف ما هي، حملها يشبه اللوز و طعمه أطيب من الشهد، شمشاط، و خلاط، و قاليقلا، و أرجيش،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨٤

و باجنيس، و كانت كور أزان و السيجان في مملكة الخزر.

و في قصة موسى: أ رأيت إذ أوينا إلى الصخرة قال: الصخرة صخرة شروان و البحر بحر جيلان و القرية باجروان.

و بنى قباد مدينة البيلقان أيضا، و مدينة بردعة، و مدينة قبله، و بنى سدّ اللبن، و بنى على سدّ اللبن ثلاثمائة و ستين مدينة، خربت بعد بناء الباب و الأبواب ثم ملك بعده ابنه كسرى أنوشروان فبنى مدينة الشابران، و مدينة مسقط، و مدينة كركرة، ثم بنى مدينة الباب و الأبواب، و إنما سميت أبوابا لأنها بنيت على طرق في الجبل، و بنى بأرض أزان أبواب شكى، و أبواب الدودائية، و هم أمية يزعمون أنهم من بنى دودان بن أسد بن خزيمه، و بنى الدرزوقية و هي اثنا عشر بابا، كل باب منها فيه قصر من حجارة، و بنى بأرض جرزان مدينة يقال لها سغدبيل، و أنزلها قوما من السغد و أبناء فارس، و جعلها مسلحة، و بنى باب اللان، و باب سمسخي، و بنى قلعة الجرديمان، و قلعة شمشلدى، و بنى بلنجر و سمندر و خزان، و شكى، و فتح جميع البلاد ما كان في أيدي الروم، و عمر مدينة ديبيل و حصنها، و بنى مدينة النشوى و هي مدينة كورة البسفرجان، و بنى حصن و يص و قلاعا بأرض السيسجان منها قلعة الكلاب و شاهبوش و أسنها من سياسيجيته ذوى البأس و النجدة، و بنى الحائط بينه و بين الخزر بالصخر و الرصاص و عرضه ثلاثمائة ذراع، حتى ألحقه برعوس الجبال، ثم قاده في البحر و جعل عليه أبواب حديد، فكان يحرسه مائة رجل بعد أن كان يحتاج إلى خمسين ألف رجل.

و في أخبار الفرس أن أنوشروان لما فرغ من سدّ ثغر بلنجر، و قدّ الفند في البحر و أحكمه، سرّ بذلك سرورا شديدا، فأمر أن ينصب له على الفند سرير من ذهب، ثم رقى إليه فحمد الله و أثنى عليه و قال: يا ربّ الأرباب ألهمتنى سدّ هذا الثغر و قمع العدو، فلك الحمد فأحسن مثويتي، و ردّ غرّبتى إلى وطنى، ثم ركع و سجد، ثم استوى و استلقى على فراشه، و أغفى إغفاء، فطلع طالع من البحر سدّ الأفق لطوله، و ارتفعت معه غمامة سترت الضوء، و أهوى نحو الفند فبادر الأساورة إلى قسيهم، و انتبه الملك فرعا فقال: ما شأنكم؟ فقيل له فقال: أمسكوا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨٥

عن سلاحكم فلم يكن الله جلّ و عزّ ليلهمنى الشخوص عن وطنى اثني عشر حولا حتى أسدّ ثغرا يكون مرفقا لعباده و راحة لأهل إقليمه، ثم يسلط على بهيمه من بهائم البحر، فتنحى الأساورة و أقبل الطالع نحو الفند حتى علاه ثم قال: أيها الملك أنا ساكن من سكّان هذا البحر، و قد رأيت هذا الثغر مسدودا سبع مّرات، و خرابا سبع مّرات، و أوحى الله جلّ و عزّ إلينا معاشر سكّان البحر أن ملكا عصره عصرك و صورته صورتك يبعثه الله لسدّ هذا الثغر، فيسده إلى الأبد، و أنت ذلك الملك، فأحسن الله مثوبتك، و على البرّ معونتك، و أطال مدّتك، و سكّن يوم الفزع الأكبر روعتك، ثم غاص في البحر. و كذلك بنى مدينة شروان، فأما بلنجر داخل أرض الخزر فبناها بلنجر بن يافث.

و لما فرغ أنوشروان من الفند الذى فى البحر سأل عن ذلك البحر فقيل: أيها الملك هذا البحر يسمّى بكردييل، و هو ثلاثمائة فرسخ فى مثله، و بيننا و بين بيضاء الخزر مسيرة أربعة أشهر على هذا الساحل، و من بيضاء الخزر إلى السدّ الذى سدّه إسفنديار بالحديد مسيرة شهرين، قال أنوشروان: لا بدّ من الوقوف عليه، قالوا:

فليس إليه طريق يسلك، و فيه موضع يقال له دهان شير، و فيه دردور [٦٧٠] لا يطمع فيه، و لا فى سلوكه، و لا تنجو سفينة منه، فقال: لا بدّ من ركوبه و الإشراف على هذا الدردور و النظر إلى هذا السدّ، فقالوا: أيها الملك اتق الله فى نفسك و من معك، فأبى و قال: إن

الذى نجانى من الخارج علينا من البحر لقادر أن ينحيننا من دردوره، فهيت له سفن و ركب معه عدة من الزهاد و العباد، و لججوا فى البحر أياما، حتى إذا وافوا موضع الدردور بقوا متحيرين لا يرون علما يجعلوه منارا لهم، و لا جبلا يقيموه إماره لمنصرفهم، فرجعوا على الملك باللوم، فقال أنوشروان: أخلصوا لله تياتكم و اضرعوا إليه و ابتهلوا إلى الله عزّ و جلّ، و نذر أنوشروان لئن نجّاه الله ليصدّقنّ خراج سبع سنين فى أهل الفاقه من مملكته، فبينما هم كذلك إذ رفعت لهم جزيرة تعلوه الأمواج و فوق الجزيرة تمثال أسد فى عظم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨٦

جبل، يدخل الماء فى مؤخره، و ينحطّ من فيه إلى ذلك الدردور، فبينما هم كذلك إذ بعث الله جلّ و عزّ بقرش - سمكه أعظم من التين - ينساب على الماء، فظفرت فى فم الأسد و سكن الدردور و نفذت السفن حتى وصل إلى ما أراد، و انصرف إلى جرجان و قضى نذره.

و ذكر أحمد بن واضح الأصبهاني أنه أطال المقام ببلاد أرمينية، و أنه كتب لعدة من ملوكها و عمالها، و أنه لم ير بلدا أكثر خيرا، و لا أعظم حيوانا منها، و ذكر أن عدة ممالكها مائة و ثلاث عشرة مملكة، منها: مملكة صاحب السرير بين اللان و باب الأبواب، و ليس إليها إلا مسلكان: مسلك إلى بلاد الخزر، و مسلك إلى بلاد أرمينية، و هى ثمانية عشر ألف قرية، و أزان أول مملكة بأرمينية فيها أربعة آلاف قرية، و أكثرها قرى صاحب السرير.

[و باب الأبواب أفواه شعاب فى جبل القيق، فيها حصون كثيرة منها: باب صول، و باب اللان، و باب الشبران، و باب لازقه، و باب بارقه، و باب سمسجن، و باب صاحب السرير، و باب فيلان شاه، و باب طارونان، و باب طبرسران شاه، و باب إيران شاه.

و كان السبب فى بناء باب الأبواب على ما حدّث به أبو العباس الطوسى [٦٧١] قال: هاجت الخزر مرة فى أيام المنصور فقال لنا: أ تدرّون كيف بناء أنوشروان الحائط الذى يقال له الباب؟ قلنا: لا. قال: كانت الخزر تغير فى سلطان فارس حتى تبلغ همذان و الموصل. فلما ملك أنوشروان بعث إلى ملكهم فخطب إليه ابنته على أن يزوجه إياها و يعطيه هو أيضا ابنته و يتودعا ثم يتفرغا لأعدائهما. فلما أجابه إلى ذلك، عمد أنوشروان إلى جارية من جواريه نفيسة فوجه بها إلى ملك الخزر على أنها ابنته و حمل معها ما يحمل مع بنات الملوك. و أهدى خاقان إلى أنوشروان ابنته. فلما وصلت إليه كتب إلى ملك الخزر: لو التقينا فأوجبنا المودة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨٧

بيننا. فأجابه إلى ذلك و واعدته إلى موضع سمّاه.

ثم التقيا فأقاما أياما. ثم إن أنوشروان أمر قائدا من قواده أن يختار ثلاثمائة رجل من أشداء أصحابه، فإذا هدأت العيون أغار فى عسكر الخزر. فحرق و عقر و رجع إلى العسكر فى خفاء ففعل.

فلما أصبح بعث إليه خاقان: ما هذا؟ بيت عسكرى البارحة؟

فبعث إليه أنوشروان: لم تؤت من قبلنا فابحث و انظر. ففعل، فلم يقف على شيء. ثم أمهله أياما و عاد لمثلها حتى فعل ثلاث مرات، و فى كلها يعتذر و يسأله البحث فيبحث فلا يقف على شيء. فلما أثقل ذلك على خاقان، دعا قائدا من قواده و أمره بمثل ما أمر به أنوشروان. فلما فعل، أرسل إليه أنوشروان: ما هذا؟ استبيح عسكرى الليلة و فعل بى و صنع. فأرسل إليه خاقان: ما أسرع ما ضجرت! قد فعل هذا بعسكرى ثلاث مرات، و إنما فعل بك أنت مرة واحدة.

فبعث إليه أنوشروان: هذا عمل قوم يريدون أن يفسدوا فيما بيننا، و عندى رأى لو قبلته رأيت ما تحب. قال: و ما هو؟ قال: تدعى أن أبنى حائط بينى و بينك و أجعل عليه بابا فلا يدخل بلدك إلا من تحب و لا يدخل بلدى إلا من أحب. فأجابه إلى ذلك و انصرف خاقان إلى مملكته.

و أقام أنوشروان بينى الحائط بالصخر و الرصاص و جعل عرضه ثلاثمائة ذراع و علوه حتى ألحقه برءوس الجبال ثم قاده فى البحر.

فيقال إنه نفخ الزقاق و بنى عليها فأقبلت تنزل و البناء يصعد حتى استقرت الزقاق على الأرض، ثم رفع البناء حتى استوى مع الذي على الأرض في عرضه و ارتفاعه. و جعل عليه بابا من حديد و وكل به مائة رجل يحرسونه بعد أن كان يحتاج إلى مائة ألف رجل. ثم نصب سريره على الفند الذي صنعه على البحر و سجد سرورا بما هياه الله على يده ثم استلقى على ظهره و قال: الآن حين استرحت. و وصف بعضهم هذا السد الذي بناه أنوشروان فقال: إنه جعل طرفا منه في البحر فأحكمه إلى حيث لا يتهيا سلوكه. و هو مبني بالحجارة المنقورة المربعة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨٨

المهندمة لا يقل أصغرها خمسون رجلا و قد أحكمت بالمسامير و الرصاص. و جعل في هذه السبعة فراسخ، سبعة مسالك على كل مسلك مدينة. و رتب فيها قوم من المقاتلة من الفرس يقال لهم الانشاستكين.

و كان على أرمينية وظائف رجال لحراسة ذلك السور، مقدار ما يسير عليه عشرون رجلا بخيلهم لا يتراحمون.

و ذكر أن بمدينة الباب على باب الجهاد فوق الحائط أسطواناتين من حجر على كل اسطوانة تمثال أسد من حجارة بيض، و أسفل منهما حجرين على كل حجر تمثال لبوتين، و بقرب الباب صورة رجل من حجر و بين رجليه صورة ثعلب في فمه عنقود عنب، و إلى جانب المدينة صهريج معقود له درجة تنزل إلى الصهريج منها إذا قل ماؤه، و على جنبى الدرجة أيضا صورتا أسد من حجارة يقولون إنهما طلسمان للسور.

و أما حديثها أيام الفتوح فإن سلمان بن ربيعة الباهلي غزاها في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه و تجاوز الحصنين و بلنجر و لقيه خاقان ملك الخزر في جيشه خلف نهر بلنجر فاستشهد سلمان بن ربيعة و أصحابه- و كانوا أربعة آلاف- فقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي يذكر سلمان بن ربيعة و قتيبة بن مسلم الباهليين يفتخر بهما:

و إن لنا قبرين: قبر بلنجر و قبر بصين استان يا لك من قبر

فهذا الذى بالصين عمّت فتوحه و هذا الذى يسقى به سبل القطر [٦٧٢]

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٨٩

و قالقلا- امرأة بنت مدينة قالقلا- فنسبت إليها، و معنى ذلك إحسان قالى، و أما بحيرة الطريخ فلم تزل مباحة حتى ولى محمد بن مروان بن الحكم الجزيرة و أرمينية فحوى صيدها، ثم صارت لمروان بن محمد فقبضت عنه.

و فتح حبيب بن مسلمة لعثمان بن عفان من أرمينية مدنا كثيرة، و ولى عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلي من قبل معاوية، ثم وليها ابنه عبد العزيز، فبنى مدينة ديبيل إلى مدينة بردعة و مدنا كثيرة، ففتح حبيب بن مسلمة لعثمان بن عفان من أرمينية: جراح، و كسفر، و كسال، و خان، و سمسخى، و الجرذمان، و كسفى بيس، و شوشيت، و بازلت صلحا، على أن يؤدوا أتاوة عن رؤوسهم و أراضيهم، و صالح الصنارية، و أهل قلرجيت و الدودائية على أتاوة.

و كانت شمكور مدينة قديمة فوجه إليها سلمان بن ربيعة من فتحها، فلم تزل مسكونة حتى أخرجها الساورديّة [٦٧٣]، قوم تجمّعوا أيام انصراف يزيد بن أسيد [٦٧٤] عن أرمينية، فغلظ أمرهم و كثرت نوابهم، ثم إن بغا مولى المعتصم بالله عمرها و حصّنها و نقل إليها التجار و سمّاها المتوكّلية [٦٧٥]. و فتح سلمان بن ربيعة مدينة البيلقان صلحا، و وجه خيله ففتحت سيسر، و المسقوان، و أوذ، و المصرين، و المهرجيان، و هى رساتيق عامرة و فتح غيرها من أزان، و دعا أكراد البلاسجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقر بعضهم بالجزية و أدى بعضهم الصدقة، ثم سار سلمان إلى مجمع الكرّ و الرّسّ خلف برديج، فغير الكرّ ففتح قبله و صالحه شكّن و القميران، و خيزان، و ملك شروان، و سائر ملوك الجبال، و أهل مسقط و الشابران، و مدينة الباب، ثم أغلقت هذه بعده، و لقيه خاقان فى خيوله خلف نهر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩٠

بلنجر، فقتل (رحمه الله) في أربعة آلاف من المسلمين، و كان سلمان أول من استقصى بالكوفة أقام أربعين يوماً لا يأتيه خصم، و قد روى عن عمر بن الخطاب.

قالوا: و لما فتح حبيب ما فتح من أرض أرمينية كتب بذلك إلى عثمان، فوافاه كتاب نعى سلمان فهمم بأن يوليّه، ثم رأى أن يجعله غازيا لثغور الشام و الجزيرة، فولّى ثغر أرمينية حذيفة بن اليمان العبسيّ ثم عزله، و سار حبيب راجعا إلى الشام، فكان يغزو الروم و نزل حمص فنقله معاوية إلى دمشق فتوفى بها.

و ولى أرمينية المغيرة بن شعبة ثم عزله، و ولى القاسم بن ربيعة الثقفيّ، و ولى الأشعث بن قيس لعلّى بن أبي طالب أرمينية و آذربيجان، ثم وليها غير واحد إلى أن وليها مروان بن محمد، ففتح بلاد الخزر و أمعن فيهم.

ثم جاءت الدولة العباسية فولى أبو جعفر الجزيرة و أرمينية في خلافة أخيه أبي العباس، ثم استخلف و لى يزيد بن أسيد السلمى، و فتح باب اللان و رتب فيه رابطة من أهل الديوان، و دوخ الصّاريّة حتى أدوا الخراج، ثم إن أهل أرمينية استعصوا في ولاية الحسن بن قحطبة الطائيّ بعد عزل يزيد بن أسيد، فبعث المنصور بالأمداد و عليهم عامر بن إسماعيل، فأوقع الحسن بموشايل و كان رئيسهم، و فرّق جمعه و استتب له الأمر و هو الذى نسب إليه نهر الحسن باليلقان، و باغ الحسن ببردعة و الضياع المعروفة بالحسّية، ثم ولى بعد الحسن عثمان بن عمار، ثم روح بن حاتم المهلبى، ثم خزيمه بن خازم، ثم يزيد بن يزيد الشيبانيّ، ثم عبيد الله بن المهديّ، ثم الفضل بن يحيى، ثم سعيد بن سلم، ثم محمد بن يزيد بن مزيد، و كان خزيمه أشدهم ولاية، و هو الذى سنّ المساحة بديبل و نشوى، و لم يكن قبل ذلك. ثم وليهم خالد بن يزيد بن مزيد في ولاية المأمون، ثم ولى المعتصم بالله الحسن بن عليّ الباذغيسيّ المعروف بالمأمونىّ الذى واصل بطارقة أرمينية و لان لهم حتى خرجوا عليه، ثم لم يزل يتولّى أرمينية عمّال كانوا يرضون اليسير من أهلها، حتى ولى المتوكل فبعث إليها يوسف بن محمد بن يوسف المروزيّ لستين من خلافته [٦٧٦].

و قالوا: أعظم حيوان أرمينية الشاء، و الثيران، و الكلاب، و براذيتها صغار،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩١

و كذلك جمالها صغار. تكاد صدورها تصيب الأرض تشبه إبل الترك.

و جبل القبق فيه اثنان و سبعون لسانا، كلّ إنسان لا يعرف لغة صاحبه إلّا بترجمان، و طوله خمس مائة فرسخ، و هو متّصل ببلاد الروم إلى حدّ الخزر و اللان، و يتّصل ببلاد الصقالبة، و فيه أيضا جنس من الصقالبة و الباكون أرمن.

و قالوا: إن هذا الجبل جبل العرج الذى بين المدينة و مكّة، يمضى إلى الشام و يتّصل ببلدان من حمص: و سنير من دمشق، ثم يمضى فيتّصل بجبال أنطاكية و المصّيصه، و يسمّى هناك اللكام، ثم يتّصل بجبال ملطية و شمشاط و قاليقلا إلى بحر الخزر، و فيه الباب و الأبواب و يسمّى هناك القبق.

[أخبرنى أبو الهيجا اليمامى و كان أحد برد الآفاق و كان صدوقا فيما يحكى:

إن بقاليقلا- يبعه للنصارى و فيها بيت لهم كبير تكون فيه مصاحفهم و صلبانهم] [٦٧٧]، فإذا كان ليلة الشعانين يخرج من موضع من البيت تراب أبيض إلى الصباح، فإذا كان الصباح انضمّ موضعه إلى قابل من ذلك الوقت، فياخذ الرهبان فيدفعونه إلى الناس و خاصيّة يته للسموم و العقارب و الحيات يداف منه وزن دائق بماء و يشربه الملدوغ و المسلوع فيسكن على المكان. و فيه أعجوبة أخرى و ذلك أنه إن بيع هذا التراب و أخذ عليه شيء من عرض الدنيا لم ينتفع صاحبه و لم يبرئه من وجعه.

و من عجائب أرمينية: بحيرة خلّاط فإنها عشرة أشهر لا يرى فيها ضفدع و لا سرطان و لا سمكة، ثم يظهر السمك بعد ذلك شهرين و سمكه كلّه مستراث [٦٧٨].

و قال أبو المنذر: اتّخذ الطلسمات كوش بن حام بن نوح، و الضحّاك ذو الحيتين، و ذو القرنين، و يوسف بن يعقوب، و موسى بن

عمران، و حلوان العمليقي، و بليناس الرومي و قانبوس.

و حدّ آذربيجان إلى الرّس و الكّر بأرمينية، و مخرج الرّس من قاليقلا، و يمرّ بأرّان فيصّب فيه نهر أزان، ثم يمرّ بورثان، و يمرّ بالمجمع فيجتمع هو و الكّر

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩٢

و بينهما مدينة البيلقان، و يمرّان جميعا فيصبتان في بحر جرجان. و الرّس واد عجيب، و فيه أنواع من السمك، و فيه يكون الشورماهي و لا- يكون إلما في هذا الوادي، و يحيى في كلّ سنة في وقت معلوم، كمثل أصناف حيتان البحر و قواطع السمك، فإنها تجيء في أوقات معلومة كالاستور، و الجراف، و البرستوج، فإن هذه الأنواع تأتي البصرة من أقاصى البحار تستعذب الماء في ذلك الإبان، ألا إن البرستوج يقبل إليهم من الزنج يستعذب الماء من دجلة البصرة، يعرف ذلك جميع البحريّة، و هم يزعمون أن الذى بين البصرة و عمان أبعد ما بين البصرة و الزنج، و إنما غلط الناس فرعموا أن الصين أبعد لأن بحر الزنج حفيرة واحدة عميقة واسعة، و أمواجه عظام، و لذلك البحر ريح تهبّ قويّة، و من عمان إلى جهة الزنج شهران، فلما كان البحر عميقا و الريح قويّة و الأمواج عظيمة و الخيرات ببلاد الزنج قليلة، و كان الشراع لا تحطّ و كان سيرهم مع الوتر، و لم يكن مع القوس و لا يعرفون الكنب و المكّا، صارت الأيام التى تسير فيها قسمة الزنج أقرب، فالبرستوج يقطع أمواج البحر، و يسبح من الزنج إلى البصرة، ثم يعود ما فضل عن صيد الناس إلى بلاده، فتبارك الله أحسن الخالقين، و إنما عرف الشورماهي في هذا النهر من بين السمك لطيبه و لذّته و كثرة دسمه و رطوبة لحمه.

قالوا: و لنا المّن الكثير و هو الترنجيين، و لنا القرمز الذى ليس يشركنا فيه أحد، و هى دودة حمراء تظهر أيام الربيع، فتلتقط ثم تطبخ و يصبغ بها الصوف، و الأشقّ دابة تكون بأرمينية شبه السّور، لينة المفاصل و برّ الجلد، و يبلغ الثور جملة و أنيابها جيّدة للمحبّة، تؤخذ أنيابها و مخالبيها فتجففّ و تسقيه من تحبّ فإنه يحيك حيا شديدا. و لنا الفوّة الكثيرة، و بها معدن الزبيق و القلقند و القلقطار و الأسرب، و لهم الثيران الأرمينية، و الشاة بلوط، و الخلنج الكثير، و يتخذون منه عجائب، و تقطع هذه من غيضة ملتفة بناحية بردعة، كثيرة الشجر و النبات تتصل بالخزر و تمرّ إلى ناحية خوارزم تسمى غيضة الرحمن.

و تقرير أرمينية ألفا ألف و ثلاثة و ثلاثون ألفا و تسع مائة و خمسة و ثمانون درهما.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩٣

و خارج الباب ملك سور و اللّكر، و ملك اللان، و ملك فيلان، و ملك المسقط، و صاحب السّيرير، و مدينة سمندر، و من جرجان إلى خليج الخزر إذا كانت الرياح طيبة ثمانية أيام، و الخزر كلّهم يهود و إنّما هودت من قريب [٦٧٩]، و من بلاد الخزر إلى موضع السدّ شهران قال الله جلّ و عزّ في سورة الكهف:

و يَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلاً فَاتَّبِعْ سَبِيلًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ- إلى قوله:- إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ قال: كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أراضيمهم فلا يدعون شيئا أخضر إلّا أكلوه و لا شيئا يابسا إلّا احتملوه. فقال: ما مكّنى فيه ربّي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم و بينهم ردما، قالوا: ما الذى تريد؟ قال: زبر الحديد- يعنى قطع الحديد- ثم أمر بالحديد فضرب منه لبنا عظاما، و أذاب النحاس، ثم جعل ملاط اللبن النحاس و بنى به الفجّ و سواه مع قلّتى الجبل، فلما فرغ منه أمر بالنحاس فأذيب و أفرغ عليه من فوقه فصار شبيها بالمصمت، فلما فرغ منه جاز تلك الأرض فقطعها في أربعة أشهر منصرفا.

و فى الخبر: أنه لما انتهى إلى موضع السدّ اجتمع إليه خلق كثير، فقالوا له:

يا أيّها الملك المظفرّ إن خلف هذا الجبل أمما لا يحصيهام إلّا الله جلّ و عزّ، و قد أخربوا علينا بلادنا و زروعنا. قال: و ما صفتهم؟ قالوا: هم قوم قصار صلح عراض الوجوه. قال: و كم صنف هم؟ قالوا: هم أمم كثيرة لا يحصيهام إلّا الله. قال: و ما أساميهم؟ قالوا: أما من قرب مّنا فهم ستّ قبائل: يأجوج، و مأجوج، و تاويل، و تاريس، و منسك، و كمارى، و كلّ قبيلة من هؤلاء مثل جميع أهل

الأرض، فأما من كان في البعد منا فإننا لا نعرف قبائلهم، و ليس لهم إلينا منفذ إلا من هذا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩٤

الوجه. و هذا الفج، فهل نجعل لك خرجا على أن تسدّه عليهم و تكفينا أمرهم.

قال: فما طعامهم؟ قالوا: يقذف البحر إليهم في كل عام سمكتين مسيرة عشرة أيام كل سمكة منهما. قال: فبنى هذا السدّ و في الخبر قال: السدّ طريقة حمراء من نحاس، و طريقه سوداء من حديد، و يأجوج و مأجوج أربع و عشرون قبيلة، فكانت قبيلة منهم في الغزو و هم الترك، فردم ذو القرنين السدّ على ثلاث و عشرين قبيلة.

قال مقاتل بن سليمان: و إنما سموا الترك لأنهم تركوا خلف الردم، قالوا:

و إذا نزل عيسى (صلى الله عليه و سلم) و قتل الدجال الملعون ظهر يأجوج و مأجوج فيقوم عيسى في المسلمين خطيبا، فيحمد الله و يثنى عليه و يقول: اللهم انصر القليل في طاعتك على الكثير في معصيتك، فينصر الله المؤمنين عليهم، و في خبر عن وهب بن متبه قال: هم قوم طول، أحدهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب في مواضع الأظفار في أيدينا، و لهم أضراس و أنياب كالسباع، و لهم آذان عظام يفترشون الإحدى و يلتحفون بالأخرى، و ليس منهم ذكر و لا أنثى إلا و قد عرف أجله، و ذلك أنه لا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، و كذلك الرجال منهم، و هم يرزقون التّنين في الربيع و يستمطرونه لحينه، كما يستمطر الغيث لحينه، و هم يتداعون تداعي الحمام، و يعوون عواء الذئب، و يتسافدون حيث ما التقوا كتسافد البهائم، و لما عين ذو القرنين ذلك منهم انصرف إلى ما بين الصّدفين، فقاس ما بينهما و هو منقطع أرض الترك ممّا يلي المشرق، فوجد بعد ما بينهما فرسخا و هو ثلاثة أميال، فحفر له أساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه ميلا، و جعل حشوه زبر الحديد أمثال الصخور، و طينه النحاس يذاب فيصبّ عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علّاه و شرّفه بزبر الحديد و النحاس المذاب، و جعل خلاله عرقا من نحاس أصفر، فكأنه برد محبّر من صفرة النحاس و حرته و سواد الحديد، فلما فرغ منه و أحكمه انصرف راجعا. و قال ابن عباس:

الأرض ستة أجزاء: فأجوج و مأجوج منها خمسة أجزاء، و سائر الخلق في جزء واحد. و قال المعلّى بن هلال الكوفي: كنت بالمصيصة فسمعتهم يتحدثون أن البحر ربما مكث أياما و ليالي لا يصفق أمواجه، و يسمع له دوى شديد، فيقولون:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩٥

ما هذا إلا لشيء قد آذى دوابّ البحر فهي تضحّج إلى الله تعالى، قال: فتقبل سحابة حتى تغيب في البحر، ثم تقبل أخرى و أخرى حتى عدّ سبع سحائب، ثم ترتفع إلى جانب آخر تنهزم تتبعها التي تليها، و الريح تصفّقها ثم يرتفعن جميعا في السماء، و قد أخرج شيئا يرون أنه التّنين حتى يغيب عنا و نحن نراه و رأسه في السحاب و ذنبه يضطرب، فيطرحه إلى يأجوج و مأجوج فيسكن البحر لذلك. و قال المنصوري: إن السحاب الموكل بالتّنين يخطفه حيث ما وجده كما يخطف حجر المغناطيس الحديد، حتى صار لا يطلع رأسه خوفا من السحاب، و لا- يخرج رأسه إلا في الفرد إذا صحت السماء، و ربما احتمله السحاب فانفلت منه و وقع في البحر، فتجىء السحابة بهدّة و رعد و برق فتدخل في البحر فتستخرجه ثانية، فربما مرّ في طريقه بالشجرة العادية فيقتلعها و الصخرة العظيمة فيرفعها، و كان في بعض زمان حكيم يقال له بقراطيس فشا الموت في قرى هناك ففحص عنه بقراطيس هذا فإذا بتّنين قد أخرجه السحاب و انفلت منه. فوقع و نتن، فأبلغ ذلك إلى أهل القرى فذهب بقراطيس فجمع الدراهم و جبي أهل القرى، و اشترى بها ملحاً فألقاه عليه حتى سكن ذلك النتن، و أسلم الله أهل البلاد، قال بقراطيس:

فذهبت إليه لأنظر ما هو فوجدت طوله فرسخين و عرضه أذرع كثيرة، و جسمه مستدير و لونه مثل لون النمر، مفلس كفلوس السمك، و له جناحان عظيمان كأجنحة السمك بالقرب من رأسه الذي يتشعب منه الرؤوس، و هذا الرأس على خلقه رأس الإنسان مثل التلّ العظيم، و له أذنان طويلتان عريضتان كأذان الفيل، و يتشعب من ذلك الرأس ستة أعناق، طول العنق عشرة أذرع، على كلّ عنق رأس شبيه برأس الحية.

و حدث سلام الترجمان [٦٨٠] أن الواثق بالله لما رأى في منامه كأن السد الذي

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩٦

بناه ذو القرنين بيننا و بين يأجوج و مأجوج قد انفتح، فطلب رجلا يخرج به إلى الموضع فيستخبر خبره.

فقال أشناس [٦٨١]: ما هاهنا أحد يصلح إلا سلام الترجمان - و كان يتكلم بثلاثين لسانا - قال: فدعا بي الواثق و قال: أريد أن تخرج إلى السد حتى تعينه و تجينى بخبره. و ضم إلى خمسين رجلا شباب أقوياء و وصلنى بخمسة آلاف دينار، و أعطانى ديتى عشرة آلاف درهم. و أمر فأعطى كل رجل من الخمسين ألف درهم و رزق سنه، و أمر أن يهيا للرجال اللبايد و تغشى بالأديم و استعمل لهم الكستبانات [٦٨٢] بالفراء و الركب الخشب و أعطانى مائتى بغل لحمل الزاد و الماء.

فشخصنا من سر من رأى بكتاب من الواثق بالله إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية و هو بتفليس فى انفاذنا. و كتب لنا إسحاق إلى صاحب السرير.

و كتب لنا صاحب السرير إلى ملك اللان إلى فيلان شاه. و كتب لنا فيلان شاه إلى طرخان ملك الخزر.

فأقمنا عند ملك الخزر يوما و ليلة حتى وجه معنا خمسة أدلاء فسرنا من عنده ستة و عشرين يوما، فانتبهنا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة. و كنا قد تزودنا قبل دخولها خلا نشمه من الرائحة المنكرة. فسرنا فيها عشرة أيام ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها عشرة أيام، ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها عشرين يوما.

فسألنا عن حال تلك المدن فخبرونا أنها المدن التي كان يأجوج و مأجوج يتطرقونها فخربوها.

ثم صرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذى فى شعبة منه السد و فى تلك

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩٧

الحصون قوم يتكلمون بالعربية و الفارسية، مسلمون يقرءون القرآن لهم كتابات و مساجد فسألونا من أين أقبلنا، فأخبرناهم إننا رسل أمير المؤمنين. فأقبلوا يتعجبون و يقولون أمير المؤمنين! فنقول نعم. فقالوا: شيخ هو أم شاب؟ فقلنا شاب. فعجبوا أيضا فقالوا: أين يكون؟ فقلنا بالعراق فى مدينة يقال لها سر من رأى. فقالوا: ما سمعنا بهذا قط.

و بين كل حصن من تلك الحصون إلى الحصن الآخر فرسخ إلى فرسخين أقل و أكثر.

ثم صرنا إلى مدينة يقال لها إيكه، تربيعها عشرة فراسخ و لها أبواب حديد يرسل الأبواب من فوقها و فيها مزارع و أرحاء داخل المدينة و هى التى كان ينزلها ذو القرنين بعسكره. بينها و بين السد مسيرة ثلاثة أيام و بينها و بين السد حصون و قرى حتى تصير إلى السد فى اليوم الثالث. و هو جبل مستدير ذكروا أن يأجوج و مأجوج فيه و هما صنغان، ذكروا أن يأجوج أطول من مأجوج. و يكون طول أحدهم ما بين ذراع إلى ذراع و نصف و أقل و أكثر.

ثم صرنا إلى جبل عال عليه حصن. و السد الذى بناه ذو القرنين هو فج بين جبلين عرضه مائتا ذراع و هو الطريق الذى يخرجون منه فيتفرقون فى الأرض.

فحفر أساسه ثلاثين ذراعا إلى أسفل و بناه بالحديد و النحاس حتى ساقه إلى وجه الأرض ثم رفع عضادتين مما يلي الجبل من جنبتي الفج، عرض كل عضادة خمس و عشرون ذراعا و نصفا فى ذراع و نصف فى سمك أربع أصابع، و دروند حديد طرفاه على العضادتين طوله مائة و عشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة بمقدار عشر أذرع فى عرض خمس أذرع و فوق الدروند بناء بذلك اللبن الحديد فى النحاس إلى رأس الجبل، و ارتفاعه مد البصر يكون البناء فوق الدروند نحو من ستين ذراعا، و فوق ذلك. شرف حديد فى طرف كل شرفة قرنتان تشنى كل واحدة منهما على الأخرى، طول كل شرفة خمس أذرع فى عرض أربع أذرع، و عليه سبع و ثلاثون شرفة. و إذا باب حديد بمصراعين معلقين عرض كل مصراع خمسون ذراعا فى ارتفاع خمس و سبعين ذراعا فى ثخن خمس أذرع و قائمتاهما فى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩٨

دوّارة على قدر الدروند، لا يدخل من الباب ولا من الجبل ريح كأنه خلق خلقة.

وعلى الباب قفل طوله سبع أذرع في غلظ باع في الاستدارة. والقفل لا يحتضنه رجلان. وارتفاع القفل من الأرض خمس وعشرون ذراعاً و فوق القفل بقدر خمس أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وقفيزاه كل واحد منهما ذراعان، وعلى الغلق مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنا عشرة دندانكة [٦٨٣]، كل دندانكة في صفه دستج الهواوين، واستدارة المفتاح أربعة أشبار معلق في سلسلة ملحومة بالباب طولها ثمانى أذرع في استدارة أربعة أشبار. والحلقة التى فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق. وعتبة الباب عرضها عشر أذرع فى بسط مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين، والظاهر منها خمس أذرع، وهذه الذراع كلها بالذراع السوداء.

ومع الباب حصنان يكون كل واحد منهما مائتى ذراع فى مائتى ذراع وعلى باب هذين الحصنين شجرتان وبين الحصنين عين عذبة، وفى أحد الحصنين آلة البناء التى بنى بها السد من القدور الحديد والمغارف الحديد، على كل ديكدان [٦٨٤] أربع قدور مثل قدور الصابون. وهناك بقية من اللبن الحديد قد الترق بعضه ببعض من الصدا.

ورئيس تلك الحصون يركب فى كل يوم اثنين وخميس. وهم يتوارثون ذلك الباب كما يتوارث الخلفاء الخلافة. يجرى راجبا ومع ثلاثه رجال على عنق كل رجل مرزبة، ومع الباب درجه، فيصعد على أعلى الدرجة فيضرب القفل ضربه فى أول النهار فيسمع لهم جلبة مثل كور الزناير ثم يخدمون، فإذا كان عند الظهر ضربه أخرى ويصغى بأذنه إلى الباب فتكون جلبتهم فى الثانية أشد من الأولى ثم يخدمون. فإذا كان وقت العصر ضربه أخرى فيضجون مثل ذلك ثم يقعد إلى مغيب الشمس ثم ينصرف.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٥٩٩

الغرض فى قرع القفل أن يسمع من وراء الباب فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا فى الباب حدثا.

وبالقرب من هذا الموضع حصن كبير يكون عشرة فراسخ فى عشرة فراسخ، تكسیره مائة فرسخ.

قال سلام: فقلت لمن كان بالحضره من أهل الحصون: هل عاب من هذا الباب شىء قط؟ قالوا: ما فيه إلا هذا الشق، والشق كان بالعرض مثل الخيط دقيق. فقلت: تخشون عليه شيئا؟ فقالوا: لا، إن هذا الباب ثخنه خمسة [٦٨٥] أذرع بذراع الإسكندر يكون ذراعا نصفاً بالأسود، كل ذراع واحدة من ذراع الإسكندر.

قال: فدنوت وأخرجت من خفى سكيناً فحككت موضع الشق فأخرج منه مقدار نصف درهم وأشدّه فى منديل لأريه الواثق بالله.

وعلى فرد مصراع الباب الأيمن فى أعلاه مكتوب بالحديد باللسان الأول «فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا».

ونظر إلى البناية وأكثره مخطط ساف أصفر من نحاس وساف أسود من حديد، وفى الجبل محفور الموضع الذى صب فيه الأبواب وموضع القدور التى كان يخلط فيها النحاس والموضع الذى كان يغلى فيه الرصاص والنحاس وقدور شبيهة بالصفير لكل قدر ثلاث عرى فيها السلاسل والكلايب التى كان يمدّ بها النحاس إلى فوق السور.

وسألنا من هناك؟ هل رأيتم من يأجوج ومأجوج أحدا؟ فذكروا أنهم رأوا مرة عددا فوق الجبل فهبت ريح سوداء فألقتهم إلى جانبهم، وكان مقدار الرجل فى رأى العين شبرا ونصفا.

والجبل من الخارج ليس له متن ولا سفح ولا عليه نبات ولا حشيش ولا شجرة ولا غير ذلك وهو جبل مسلتح قائم أملس أبيض.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠٠

فلما انصرفنا أخذ الأدلاء بنا ناحية خراسان، وكان الملك يسمى اللب، ثم خرجنا من ذلك الموضع وصرنا إلى موضع يقال له طبانوين وهو صاحب الخراج فأقمنا عندهم أياما وصرنا من ذلك الموضع حتى وردنا سمرقند فى ثمانية أشهر، ووردنا إلى اسبيشاب وعبرنا نهر بلخ ثم صرنا إلى أشروسنة وإلى بخارا وإلى ترمذ ثم وصلنا نيسابور ومات من الرجال الذين كانوا معنا ومن مرض منهم

في الذهاب اثنان و عشرون رجلا- من مات منهم دفن في ثيابه و من مرض خلفناه مريضا في بعض القرى. و مات في المرجع أربعة عشر رجلا.

فوردنا نيسابور و نحن أربعة عشر رجلا- و كان أصحاب الحصون زودونا ما كفانا- ثم صرنا إلى عبد الله بن طاهر فوصلني بثمانية آلاف درهم و وصل كل رجل معي بخمس مائة درهم. و أجرى للفارس خمسة دراهم و للراجل ثلاثة دراهم في كل يوم إلى الري. و لم يسلم من البغال التي كانت معنا إلا ثلاثة و عشرون بغلا.

و وردنا سرّ من رأى فدخلت على الواثق فأخبرته بالقصة و أريته الحديد الذي كنت حككته من الباب. فحمد الله و أمر بصدقة يتصدق بها و أعطى الرجال كل رجل ألف دينار. و كان وصولنا إلى السدّ في ستة عشر شهرا و رجعنا في اثني عشر شهرا و أيام [٦٨٦].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠١

القول في خراسان

قال دغفل: خرج خراسان و هبط ابن عالج بن سام بن نوح لما تبلبت الألسن، فنزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه- يريد أن هبط نزل في البلد المعروف ببلد الهياطلة و هو وراء النهر، و نزل خراسان في قلعة المعروفة بخراسان دون النهر-

و روى عن شريك [١٥٤] بن عبد الله قال: خراسان كنانة الله، إذا غضب على قوم رماهم من كنانته.

و في حديث آخر قال: ما خرجت من خراسان رايه في جاهلية و لا إسلام فردت حتى تبلغ منتهاها.

و حدثني أبو عبد الله الحسين بن أستاذويه [قال] حدثني أبو إسحاق بن إبراهيم بن الحسين. قال: قال أبو عبد الله محمد بن مرزوق الهاشمي. حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال: حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لم يتزوج إبراهيم على سارة حتى ماتت، فتزوج بعدها امرأة من العرب العاربة يقال لها قنطورا بنت مقطير. فولدت له مدين و مداين. و هو مدين و نيشان و شوح. فأمر إبراهيم أن يضم إليه من [ولد إسماعيل و إسحاق و مدين و نيسان، و يخرج عنه مدين و أشق و سرج. فقالوا له: يا أبانا، كيف تستجيز أن تترك عندك إسماعيل و إسحاق و مدين و نيسان في الأمن و الدعة و تخرجنا نحن عنك إلى الغربة] [٦٨٧] و الوحشة و الوحدة؟ فقال بذلك أمرت.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠٢

ثم إن إبراهيم عليه السلام رحمهم فعلمهم اسما من أسماء الله تعالى، فكانوا يستنصرون به على الأعداء و يستسقون في الجدوب. و نزلوا موضع خراسان فتناسلوا هناك و كثروا.

و سمعت بهم الخزر- و هم من بنى يافث بن نوح- و وقفوا على ما معهم من أسماء الله تعالى، فقالوا: ينبغي لمن علمكم هذا أن يكون خير أهل الأرض أو يكون ملك الأرض و رغبوا في مصاهرتهم، فزوجهم و علموهم الأسماء.

و قال الشعبي: كآني بهذا العلم و قد تحول إلى خراسان.

و قال: قرأت في كتاب حرب جوذرز و پيران، أن پيران كتب إلى جوذرز في رسالة طويلة: من پيران بن وسحان [٦٨٨] خليفة أفراسياب ملك الترك من نسل طوس، إلى جوذرز بن جشواذان [٦٨٩] من أهل بيت الكيان حافظ ثغور الأوثان. إنني بعون الله أكفئك على

سنة الوقار و رسائل السلم أيها الحكيم المتوج من السماء عقل الحكماء. قد مرّ ما كتبت إليك أن أباك [٦٩٠] كيخسرو و الطلب يؤثر سياوش. فإن أفراسياب قسم الأرض و فصل الحدود كما فصلت قديما أيام منوچهر و سير الترك عن قرى أريان و نزل غرجستان

العظيمة الكثيرة العدد، و الطالقان الحصينة الكثيرة الجبل و المراعى مجمع [١٥٤ ب] عساكر الثغور قديما، و هراء الجمه الأموال و جشسدان دارأت [٦٩١]؟ العامرة الكلية، و آمل وسط النهر، و الترمذ الممرعة المذكورة بالغناء و الأموال، و بخارا التي وضع أفريدون

بها بيت النار و أنزلها الأسد المذكور، و بلخ العظيمة المنيرة الأنيفة المشهورة بالأعز المؤيدين [٦٩٢]، ذات الجبال العالية

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠٣

و السهول العامرة التي تقول الكيانية إنها من بلد أريان في ناحية المشرق إلى السغد. و في ناحية الحرى من برية خوارزم إلى مصب بهرود في البحر من مساكن قبائل الترك و أرمينية المحصنة العظيمة سرّة أريان لا ينحسر ثلجها عن جبالها و لا ماؤها عن أنهارها، و لا تخلو أرضها من الثمار الكثيرة الكريمة و الزروع العقيمة، و آذربيجان العامرة الزاهرة ذات العيون الكثيرة في شواحق جبالها و مستوى أرضها.

في كلام له طويل.

و يروى أن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال: تفتح أمتي أرضا يقال لها خراسان عند نهرها الملعون، أوله رخاء و آخره بلاء. و قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة [٦٩٣]: أهل خراسان أهل الدعوة و أنصار الدولة، و لم يزالوا في أكثر ملك العجم لقاحا. لا يؤدون اتاوة و لا- خراجا. و كانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ ثم نزلوا بابل ثم نزل أردشير بن بابك فارس فصارت دار ملكهم، و صارت بخراسان ملوك الهياطلة. و هم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس، و كان غزاهم فكادوه بمكيده في طريقه حتى سلكت معطشه مهلكة، ثم خرجوا إليه فأسروه. فسألهم أن يمّنوا عليه و على من أسر معه من أصحابه و أعطاهم موثقا من الله و عهدا مؤكدا أن لا يغزوهم أبدا و لا يجوز حدودهم، و نصب حجرا بينه و بينهم صيره الحد الذي حلف عليه، و أشهد على ذلك الله تعالى و من حضره من أهله و خاصيته و أساورته. فمّنوا عليه و أطلقوه و من أراد ممن أسر معه.

فلما عاد إلى مملكته، دخلته الأنفة و الحمية مما أصابه و عاد لغزوهم ناكثا الأيمان غادرا بدمته، و جعل الحجر الذي [١٥٥ أ] كان نصبه و جعله الحد الذي حلف أنه لا يجوز محمولا أمامه في مسيره يتأول فيه انه لا يتقدمه و لا يجوز. فلما صار إلى بلدهم ناشدوه الله و أذكروه به، فأبى إلّا لجاجا و نكث فواقعوه و قتلوه و حماته و كماته و استباحوا عسكره فلم يفلت منهم إلّا الشريد.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠٤

و هم قتلوا كسرى بن قباد بن هرمزد.

فهذه حال خراسان قبل الإسلام. ثم أتى الله بالإسلام فكانوا فيه أحسن الأمم رغبة و أشدهم إليه مسارعة منّا من الله عليهم و تفضلا و إحسانا منه عليهم. فأسلموا طوعا و دخلوا فيه أفواجا و صالحوا عن بلادهم صلحا. فخفّ خراجهم و قلت نوائبهم، و لم يجر عليهم سباء و لم يسقط فيما بينهم و بين المسلمين دم.

و لما رأى الله عزّ و جلّ سيرة بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز و ظلمهم العباد و إخراجهم البلاد و استئثارهم بالفىء، و عكوفهم على المعازف و الملاهى و اللذات، و إعراضهم عما أوجب الله عليهم فيما قلدهم، ابتعث جلودا من أهل خراسان جمعهم من أقطارها كما يجمع قزع الخريف و ألبسه الهيبة و نزع من قلوبهم الرحمة، فساروا نحوهم كقطع الليل المظلم قد اتخذوا لبس السواد و أطالوا الشعور و شدوا المآزر دون النساء حتى انتزعوا ملك بنى أمية من أكبر ملوكهم سنا، و أشدهم حنكة، و أحزمهم رأيا، و أكثرهم عداة و عديدا، و أعقلهم كاتبا و وزيرا، و سلموه إلى بنى العباس.

و قد كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قال لدعاته حين أراد توجيههم إلى الأمصار [٦٩٤]: أما الكوفة و سوادها، هناك شيعة علي و ولده. و أما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ. [تقول كن عبد الله المقتول و لا تكن عبد الله القاتل] [٦٩٥]. و أما الجزيرة فحرورية مارقة و أعراب كأعلاج و مسلمون فى أخلاق النصارى. و أما أهل الشام فليس يعرفون إلّا آل أبى سفيان و طاعة بنى مروان و عداوة راسخة و جهل متراكم.

و أما مكة و المدينة فقد غلب عليهما أبو بكر و عمر رضى الله عنهما. و لكن عليكم بأهل خراسان، فإن هناك العدد الكثير و الجلد

الظاهر و هناك [١٥٥ ب] صدور سليمة و قلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء و لم تتوزعها النحل و لم يقدم عليها فساد

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠٥

و هم جند لهم أبدان و أجسام و مناكب و كواهل و هامات و لحي و شوارب و أصوات هائلة و لغات فخمه تخرج من أجواف منكورة. و بعد، فإني أتفاءل إلى المشرق إلى مطلع سراج الأرض و مصباح الخلق.

فلما بلغ الله إرادته من بنى أمية و بنى العباس، أقام أهل خراسان مع خلفائهم على أسكن ريح و أحسن دعه و أشد طاعة و أكثر تعظيما لسلطان و أحمد سيرة في رعيته، تترين عندهم بالحسن و يستتر منهم بالقبح، إلى أن كان من قضاء الله و رأى خلفاؤنا الاستبدال بهم و تصيير التدبير لغيرهم. و لا نذكر ما جرى بعد ذلك و الله المستعان.

و قال قحطبة بن شبيب لأهل خراسان: قال محمد بن علي بن عبد الله: يأبى الله أن يكون شيعتنا إلّا أهل خراسان. لا ننصر إلّا بهم و لا ينصرون إلّا بنا. انه يخرج من خراسان سبعون ألف سيف مشهور، قلوبهم كزبر الحديد و أسماؤهم الكنى و أنسابهم القرى، يطيلون شعورهم كالغيلان، جعابهم قصرت كعابهم.

يطوون ملك بنى أمية طيا و يزفون الملك إلينا زفا. و أنشد لعصابة الجرجاني:

الدار داران: إيوان و غمدان و الملك ملكان: ساسان و قحطان

و الناس فارس و الإقليم بابل و الإسلام مكة و الدنيا خراسان

و الجانبان العتيدان اللذا خشيامنها بخارا و بلخ الشا و أزان

قد ميز الناس أفواجا و رتبهم فمر زبان و بطريق و دهقان

و لخراسان طيب الهواء، و عذوبة الماء، و صحة التربة، و عذوبة الثمرة و احكام الصنعة و تمام الخلقة و طول القامة و حسن الوجوه، و فراهة المركب من البراذين و الإبل و الشهاري و الحمير، و جودة السلاح و الدروع و الثياب.

و هم أهل التجارب و أصبرهم على البؤس و أقلهم تنعما و خفضا. [فأهل خراسان جنّة للمسلمين دون الترك] [٦٩٦] و هم يتخنون فيهم القتل و الأسر و بهم يدفع

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠٦

إليه [٦٩٧] [١٥٦ أ] عن المسلمين و معرفتهم و كيدهم.

و قد جاء في الحديث: تاركوا الترك ما تاركوكم.

و جاء عن النبي (صلى الله عليه و سلم) فيها ما لا أعلم أنه جاء مثله في شيء من البلاد إلّا في الحرمين في الأرض المقدسة.

و قال: الترك أشدّ العدو بأسا و أغلظهم أكبادا.

و روى عن بريدة أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم): يا بريدة، إنه ستبعث من بعدى بعوث. فإذا بعثت فكن في بعث المشرق، ثم كن في بعث خراسان. ثم كن في أرض يقال لها مرو. فإذا أتيتها فانزل مدينتها. فإنه بناها ذو القرنين و صلى فيها عزيز.

أنهارها تجرى عليها بالبركة، على كل نقب [٦٩٨] منها ملك شاهر سيفه يدفع عن أهلها سوء إلى يوم القيامة.

فقدمها بريدة و مات بها.

و قد جهد الطاعن على أهل خراسان أن يدعى عليهم البخل و دقة النظر و يشنع بمثل قول ثمامة [٦٩٩]: إن الديك في كل بلد يلفظ ما يأكله في فمه للدجاجة بعد ما قد حصل، إلّا ديكة مرو فإنها تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب.

و هذا كذب بين ظاهر للعيان لا يقدم على مثله إلّا الوقاع البهات الذي لا يتوقى الفسوح و العار. و ما ديكة مرو إلّا كالديكة في جميع الأرض. و لأهل خراسان أجواد مبذرون لا يجارون و لا يبلغ شأوهم، منهم: البرامكة لا نعلم أن أحدا قرب من السلطان قربهم فأعطى

عطاءهم و صنع صنعهم و اعتقد بيوت الأموال

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠٧

و خزائن الخلفاء مثل اعتقادهم. و من المشهور عنهم أنه لم يكن لخالد بن برمك صنيعة و لا متحرم إلا بنى له دارا على قدر كفايته ثم وقف على أولاده ما يعينهم أبدا. و لم يكن لأحد منهم إلا من جارية و هبها له. و من أهل خراسان القحاطبة و على بن هشام و عبد الله بن طاهر، و خبر عنه بعض قواده أنه فرّق في مقام واحد ألف ألف دينار. و هذا يكثر أن يملك فضلا عن أن يوهب.

و أخبار البرامكة و هؤلاء الذين ذكرنا بعدهم فأكثر من أن تلحق أو تعدّ أو توصف [٧٠٠].

و ممن سخت حاله و سمحت نفسه مما ملك، عبد الله بن المبارك [١٥٦ ب] كان يفرق ماله على إخوانه و يؤثرهم بذخائره و يكسوهم الثياب المرتفعة و يحملهم على الدواب الفرهة و يلبس هو ثوبا بعشرة دراهم، و يعطى صاحب الحمّام دينارا و للحمامى دينارا.

فأما الأمة التي سبق أولها و عفا آخرها فأهل فارس. كانوا في سالف الدهر أعظم الأمم ملكا، و أكثرهم أموالا، و أشدهم شوكة. و كانت الملوك في جميع الأطراف و الأقاليم تعترف لهم بذلك، و تعظم ملكهم رتغتم منه أن يهاديهم.

و كانت العرب تدعوهم الأحرار و بنى الأحرار، لأنهم كانوا يسيّون و لا يسيّون و يستخدمون و لا يستخدمون. ثم أتى الله بالإسلام فكانوا كئارا خدمت و كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، فتبدد جمعهم و مجت [٧٠١] قلوبهم، و مزقوا كل ممزق، فلم يبق في الإسلام منهم نبيه يذكر و لا شريف يشهر إلا أن يكون عبد الله بن المقفع و الفضل بن سهل.

و أهل خراسان دخلوا في الإسلام رغبة و طوعا، ثم هم أحسن الناس تقيّة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠٨

و أشدهم بالدين تمسكا، فمنهم المحدثون و النبل المشهورون و العلماء المتقدمون و العباد المجتهدون.

فإن قال قائل: كيف تدفع فارس عن حسن التقيّة مع

قول النبي (صلى الله عليه و سلم): لو كان الإيمان معلقا [٧٠٢] بالثريا لنالته رجال من فارس؟

قلنا له: في هذا القول دليل على رغبة الموصوفين في الدين و مسارعتهم إليه و تمسكهم بسنن النبي (صلى الله عليه و سلم) فيه.

و إنما هو كقولك: لو كنت في أقاصى البلاد لزررتك، فزيد: لتجشّمت الوصول إليك رغبة في لقائك. و خبر رسول الله (صلى الله عليه و سلم) من الأمر يكون فيما بعد إنما هو عن الله عزّ و جلّ. و لا خلف لقول الله و لا تبديل. فإذا نحن تطلبنا مصداق هذا القول في أهل فارس لم نجد أولها و لا آخرها، إلا أن أول أمرهم في الإسلام على ما قد علمت من شدة العداوة للمسلمين و محاربتهم إياهم حتى قهروا و هزموا و طلبوا و مزقوا، و لم تجد لهم [١٥٧ أ] بعد ذلك رجالا برعوا في العلم و عرفوا بالحفظ للأثر و التفقه في الدين و الاجتهاد في العبادة إلا أن تجد من ذلك الشيء اليسير و النبل المغمور.

فإن قال قائل: كان رسول الله (صلى الله عليه و سلم)، جعله في أهل فارس فكيف جعلته في أهل خراسان؟ قلنا: إن فارس و خراسان كانتا عند العرب شيئا واحدا إلا أنهما يتحدّان و يتصلان، لأن لسان أهل خراسان و فارس بالفارسية، فهم يسمون جميعا الفرس. و كذلك المتكلمون بالعربية عند من لا يفصح من الأعاجم، عرب جميعا.

قال الشاعر يذكر بلاد فارس:

في بلدة لم تصل عكل بها طنباو لا خباء، و لا عكّ و همدان

و لا لجرم و لا الاتلاد من يمن لكنها لبني الأحرار أوطان

أرض بينى بها كسرى مساكنه فما بها من بني اللخناء إنسان

و روى أبو الجلد عمر بن جيلان قال: الدنيا كلها أربعة و عشرون ألف

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٠٩

فرسخ. فملك السودان، اثنا عشر ألف فرسخ. و ملك الروم، ثمانية آلاف فرسخ. و ملك فارس، ألفا فرسخ. و أرض العرب ألفا فرسخ [٧٠٣]. فذكر [فارس] و لم يذكر خراسان، و هي أوسع منها، لأنه جعل المشرق كله من فارس و كذلك الروم. و لم يذكر ما يحاذيها من بلاد العجم جعله كله للروم. و في الحديث أن رجلا قال لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه: غلبتنا هذه الحمراء - يعنى العجم - فقال على رضى الله عنه: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و سلم) يقول ليضربنكم بالسيوف على دين الله إذا غيرتم و بدلتكم كما ضربتموهم عليه. [١٥٧ ب].

فإذا نحن طلبنا مصداق ذلك في العجم وجدناه في أهل خراسان، لأنهم هم الذين ضاربوا بالسيوف العرب و أهل الشام غضبا لدين الله و إنكارا لسيرة بنى أمية حتى ابتزواهم الملك و نقلوه عن الشام إلى العراق. [و روى زيد بن أبي زياد عن إبراهيم بن علقمة] [٧٠٤] عن عبد الله بن مسعود أن النبي (صلى الله عليه و سلم) قال: إن أهل بيتي يلقون من بعدى بلاء و تطريدا، حتى يأتى قوم من قبل المشرق و معهم رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألو فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملؤها جورا. فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم و لو حبوا على الثلج.

و قرأت في الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال: بحق أقول لكم، ليأتين قوم من المشرق فينكبون بنى إبراهيم و إسحاق و يعقوب صلوات الله عليهم في ملكوت السماء، و يخرج بنو المسكونة إلى الظلمة البرانية حيث يكون البكاء و صرير الأسنان [٧٠٥].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١٠

و مما يزيد ما قلناه في فارس و ضوحا ان النبي (صلى الله عليه و سلم) كان بعث خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى و كتب إليه كتابا بدأ فيه بنفسه. فلما قرأه كسرى غضب و مزقه و بعث إليه بتراب. فقال النبي (صلى الله عليه و سلم): مزق كتابي. أما انه سيمزق دينه و أمته و ملكه، و بعث إلى ترابا. أما إنكم ستملكون أرضه. فكيف يكون البقية الحسنه لمن أعلمنا رسول الله (صلى الله عليه و سلم) أنهم سيمزقون؟ لا جرم إنهم قد خملوا و درسوا مدارس إلى يومنا هذا.

[و هم] [٧٠٦] أبعخ الناس بطاعة سلطان، و أصبرهم على الظلم و أثقلهم خراجا و أذلهم نفوسا. و ذكر جماعة من مشايخهم أنهم لم يعرفوا عدلا قط، و إن سيرتهم [٧٠٧] عمر بن عبد العزيز شملت البلاد كلها غير بلدهم، فإن عامله الذى أنفذه إليهم هلك فى سيره نحوهم. و يزعم قوم من أهل السواد أنهم من أبناء أشرف فارس. و ربما قال بعضهم إنهم قوافل خراسان. و إنما كانوا فإن الله قد [١٥٨ أ] أسبغ عليهم بالعرب النعمة و ظاهر لهم الكرامة و أثقب لهم العز و أبدلهم بها (٧٠٨) حالا- لا ينكرها غير [٧٠٩] منقوص أو حاسد كفور. لأن السواد فتحته العرب عنوة، و الإمام مخير فى العنوة بين القتل و الرق و الفدية و المن، فاختاروا خير الأمور لهم و حقنوا دماءهم و متوا عليهم و أفروا الأموال فى أيديهم.

ثم جاؤوا السلطان من بنى العباس و أولياءه من أهل خراسان، فاستخلصهم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١١

لأموره و جعلهم موضع سره و اتخذ منهم الكتاب و الوزراء و الأصحاب و الندماء فصاروا به أسعد من يبذل فى التمهيد المهجة و المال.

و هؤلاء الذين ذكرناهم، هم المشهورون من الناس. فأما من خفى أمره و دخل فى جملة الناس فلا حاجة بنا أن نقص عليه و لا نذكر

أوله و آخره، فنجعله خصما و هو مسلم، و يفتح له بالمثل أولئك الطاعنون على العرب. و قد قال الأول:

كفاني نقصا أن أجزّ عداوة بقول أرى في غيره متوسعا

و ذكر علي بن محمد المدائني [٧١٠] أن أول فتوح خراسان الطبسين و هما بابا خراسان. فتحهما عبد الله بن بديل بن ورقاء في ولاية عثمان بن عفان. و إياهما عنى مالك بن الرب:

لعمري لئن غالت خراسان هامتي لقد كنت عن بابي خراسان نائيا

دعاني الهوى من أهل ودّي و لحمتي بذى الطبسين فالتفت ورائيا

[و من الرى إلى دامغان ثمانون فرسخا. و من دامغان إلى نيسابور مثل ذلك] [٧١١]. فكان من الرى إلى نيسابور مائة و ستون فرسخا. و نيسابور قهندز و هى أحد كور خراسان الجليله، و لها من المدن: زام، و باخرز، و جوين، و بيهق، [و لها اثنا عشر رستاقا، فى كل رستاق مائة و ستون قرية] [٧١٢].

و من نيسابور إلى سرخس أربعون [٧١٣] فرسخا. و من سرخس إلى مرو مدينة خراسان ثلاثون [٧١٤] فرسخا و تسمى مرو الشاهجان. قال:

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١٢

و أذرت مرو من أى السراياو أبقت عبرة للغابرينا

و سميت مرو الشاهجان لأنها كانت للملك. و معنى هذه الكلمة أنها روح الملك [١٥٨ ب] لأن الشاه، الملك. و الجان، الروح. فقيل مزح الروح.

و سميت مرو الروذ لأنه لم يكن بها بناء. فبعث إليها كسرى ناسا من أهل السواد عليهم رجل يقال له بهراميه، فبنوها و سكنوها. و لما غلب أردشير على ملك النبط فرأى جمالهم و عقولهم قال: ما أخوفنى إن حدث بى حدث أن يعود الملك إلى هؤلاء. ففرض لهم فرضا و بعث منهم بعوثا و أغزاهم خراسان و فرقهم فى البلاد، إلّا من ليست عليه منهم مؤونة [٧١٥] من أهل الذلة. فأهل مرو من النبط.

و عن قتادة فى قول الله تعالى لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا. قال: أم القرى بالحجاز، مكة. و بخراسان، مرو.

و لما ملك طهمورث بنى قهندز مرو و بنى مدينة بابل و مدينة ابرايين - و هى بأرض قوم موسى - و بنى مدينة بالهند فى رأس جبل يقال له أوق.

و أمرت خماني بنت أردشير بن إسفنديار لما ملكت ببناء الحائط الذى حول مرو.

و يقال إن طهمورث لما بنى قهندز مرو، بناه ألف رجل و أقام لهم سوقا فيها الطعام و الشراب. فكان إذا أمسى الرجل أعطى درهما فاشترى طعامه و جميع ما يحتاج إليه، فتعود الألف درهم إليه. فلم يخرج فى البناء إلّا الألف درهم.

و كان بمرو بيت كبير يقال له كى مرزبان. فإذا ارتفع عن الأرض مقدار قامه، كان محمولا إلى السقف على أربعة صور. و فى جوانبه رجالان و امرأتان. و كانت فيه صورة عجيبة لا يدرى ما هى. فجاء قوم فادعوا أنه لهم و أن أباهم بناه، فنقضوه و أبلغوا بما فيه من

الخشب و ما كان فى صورته من الذهب. و كان بيتا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١٣

عجيب الصنعة، فأصابت مرو و قراها فى السنة التى هدم فيها جوائح عظام. فزعم أهل مرو أنه كان طلسمًا للعمران، و أنه لما [زال] [٧١٦] نال البلاد ما نالهم.

و وفد على بعض الخلفاء رجل من أهل خراسان له عقل و معرفة، فقال:

أخبرني من أصدق أهل خراسان؟ قال: أهل بخارا. قال: فمن أوسعهم بذلاً للخبز [و الملح] [٧١٧]؟ قال: أهل الجوزجان. قال: فمن أحسنهم [١٥٩] أ؟ ضيافة؟ قال:

أهل سمرقند. قال: فمن أدقهم نظراً؟ قال: أهل مرو. قال: فمن أسوأهم طاعةً و أذهبهم بنفسه؟ قال: أهل خوارزم. قال: فمن أحسنهم فطنةً و أبعدهم غوراً؟ قال:

أهل مرو الروذ. قال: فمن أصحهم [٧١٨] عقولاً؟ قال: أهل طوس ان رضى أهل نسا.

قال: فمن أكثرهم جدلاً و شغباً؟ قال: أهل سرخس. قال: فمن أضعفهم رأياً و تدبيراً؟ قال: أهل نيسابور. قال: فمن أقلهم غيره؟ قال: أهل هراء. قال: فمن أجهلهم بالخالق؟ قال: أهل بوشنج و بادغيس. قال: فمن أرماهم؟ قال: أهل خوارزم. قال: فمن أبخلهم؟ قال: أهل مرو. و أنشد:

مياسير مرو من وجود لضيفكم بكرش فقد أمسى نظيراً لحاتم
و من رشّ باب الدار منهم بغرفة فقد كملت فيه خصال المكارم
يسمون بطن الشاة طاووس عرسهم و عند طيخ اللحم ضرب الجماجم
فلا قدس الرحمن أرضا و بلدة طاووسهم فيها بطون البهائم
و كان المأمون يقول: استوى الشريف و الوضيع من أهل مرو فى ثلاثة أشياء:
البطيخ البارنك و الماء البارد بغير الثلج [يعنى ماء اليخ] [٧١٩] و القطن اللين.
و بمرو، الرزيق و الماجان: نهران كبيران حسان منهما سقى أكثر ضياعهم و رساتيقهم. و أنشد لعلى بن الجهم:
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١٤

جاوز النهرين و النهروانا جلولا يؤمّ أم حلوانا؟

ما أظن النوى يسوّغه القرب و لم تمخض المطىّ البطانا

نشطت عقلها هبوب الريح خرقاء تخبط البلدان

أوردتنا حلوان ظهرا و قرميسين ليلا و صبّحت همذانا

انظرتنا إذا مررنا بمرو و وردنا الرزيق و الماجانا

أن نحى ديار جهم و إدريس و نسأل الإخوانا

[١٥٩] ب) قال و حدثني أحمد بن جعفر. حدثني أبو حفص عمر بن مدرك [٧٢٠]، قال كنت عند أبى إسحاق الطالقانى يوما بمرو على الرزيق فى المسجد الجامع فقال أبو إسحاق: كنا يوما عند ابن المبارك، فانهار القهندز فتناثرت منه جماجم، فتصدعت جمجمة و تناثرت أسنانها، فوزنا سنين منها، فكان فى كل واحدة منهما منوان بأربعة أرتال. فأتى ابن المبارك بهما، فأقبل يوزنهما بيده ساعة ثم قال:

أتيت بسنين قد رماين الحصن لما أثاروا الدفينا

على وزن منوين إحداهما ينوء به الكف شيئا رزينا

ثلاثون أخرى على قدرها تباركت يا أحسن الخالقينا

فما ذا يقوم لأفواهاها ما كان يملأ تلك البطونا

إذا ما تذكرت أجسامهم تصاغرت النفس حتى تهونا

و كل على ذاك لاقى الردى و بادوا جميعا فهم خامدونا

وقال إبراهيم بن الشَّاس الطالقاني: قدمت على عبد الله المبارك من سمرقند إلى مرو، فأخذ بيدي فأخرجني فأطاف بي حول سور مدينة مرو. ثم قال لي: يا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١٥

إبراهيم. أتعرف من بني هذه المدينة؟ قلت: لا أدري يا أبا عبد الرحمن. قال:

فمدينة مثل هذه لا يعرف بانيتها، و سفيان بن سعيد الثوري مات وليس له كفن واسمه حتى إلى يوم القيامة.

قال معاذ الترمذي: أربعة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ماتوا بمرو وحواليها: بريدة الأسلمي و بريدة بن الخصيب و حكم الغفاري و قثم بن العباس بن عبد المطلب.

وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع [٧٢١].

فالربع الأول: إيران شهر، و هي نيسابور، و قهستان، و الطبسين و هراة، و بوشنج، و باذغيس، و طوس - و اسمها طبران -.

و الربع الثاني: مرو الشاهجان، و سرخس، و نسا، و باورد، و مرو الروذ، و الطالقان [١٦٠ أ] و خوارزم [وزم] [٧٢٢] و آمل - و هما على نهر بلخ - و بخارا.

و الربع الثالث: و هو غربي النهر و بينه و بين النهر ثمانية فراسخ -:

الفارياب، و الجوزجان، و طخارستان العليا، [و هي الطالقان، و الختل و هي و خش، و القواديان] [٧٢٣] و خست و أندرابة، و الباميان، و بغلان، و والج و هي مدينة مزاحم بن بسطام، و رستاق بنك، و بذخشان و هي مدخل الناس إلى التبت - و من أندرابة مدخل الناس إلى كابل - و الترمذ و هي في شرق بلخ، و الصغانيان، و زم، و طخارستان السفلى، و خلم و سمنجان.

و الربع الرابع: ما وراء النهر بخارا، و الشاش، و الطارابند، و السغد و هو كس و نسف، و الروسيان، و اشروسنة، و سنام قلعة المقنع، و فرغانة، و سمرقند،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١٦

[و الشم، و أباركت، و بناكت، و الترك] [٧٢٤].

و لسمرقند أربعة أبواب: باب كبير. و باب الصين و باب أسروشنة و باب الحديد. و بين سمرقند و أسروشنة نيف و عشرون [٧٢٥] فرسخا. و خجندة متيامنة عن أسروشنة إلى الجبل و الباميان إلى ناحية كابل.

و من مرو طريقان: أحدهما إلى الشاش، و الآخر إلى بلخ و طخارستان. فمن مرو إلى مدينة بلخ مائة و ستة و عشرون فرسخا، و هي اثنان و عشرون منزلا قال الأحوص:

تجبي له بلخ و دجلة كلها و له الفرات و ما سقى و النيل

و يقال إن لهراسف بني مدينة بلخ و عمرها و خرب مدينة بيت المقدس و شرد من كان بها من اليهود.

وقال الضحاك: أسرع الأرض خرابا من المشرق، بلخ.

و يقال إن الإسكندر بنى بلخ و قيل إنه مات [فيها] و قد قاتل ملوكا كثيرة و قهرهم و غلبهم غلبات مشهورة و هزم جنودا ذات قوة و وطى بلدانا كثيرة و كانت مدة عمره اثنان و ثلاثين سنة و سبعة أشهر لم يسترح في شيء منها.

و يقال إنه ملك الأرض كلها و دانت [له] [٧٢٦] سائر ملوكها. و بنى ثلاث [٧٢٧] عشرة مدينة و سمى كلها الاسكندرية. و بعضها قائم إلى اليوم. و قد غيرت بعض [١٦٠ ب] أسمائها.

منها الاسكندرية التي بناها على اسم فرسه فقليوس و تفسيره. رأس الثور.

و منها الاسكندرية التي في باورنقوس. و منها الاسكندرية التي تدعى المحصنة.

و منها الاسكندرية التي بناها في الهند. و منها الاسكندرية التي في جاليقوس.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١٧

ومنها الاسكندرية التي في بلاد السقوياسيس. ومنها الاسكندرية التي على شاطئ النهر الأعظم. ومنها الاسكندرية التي بأرض بابل. و
منها الاسكندرية التي في بلاد السغد و هي سمرقند. ومنها الاسكندرية التي تدعى مرغيلوس و هي مرو. و منها الاسكندرية التي في
مجارى الأنهار بالهند. و منها الاسكندرية العظمى التي في بلاد مصر. و منها الاسكندرية التي سميت كوش و هي بلخ.
فهذه مدائنه التي بناها، و مات بيابل مسموما.

و ببلخ، النوبهار، و هو من بناء البرامكة. قال عمر بن الأزرق الكرمانى:

كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف. و كان دينهم عبادة الأوثان. فوصفت لهم مكة و حال الكعبة بها
و ما كانت قريش و من والاها من العرب تدين به. فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام. و نصبوا حوله الأصنام و زينوه
بالديباج و الحرير و علقوا عليه الجواهر النفيسة.

و تفسير النوبهار: الجديد. و كانت سنتهم إذا بنوا بناء حسنا أو عقدوا طاقا شريفا أن يكللوه بالريحان، يتوحن بذلك أول ريحان يطلع
فى ذلك الوقت. فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما ظهر من الريحان- و كان البهار- فسمى نوبهار.

و كانت العجم تعظمه و تحج إليه و تهدى له و تلبسه أنواع الثياب و تنصب على قبته الأعلام. و كانوا يسمون قبته الأستن. و كانت مائة
ذراع فى مثلها، و ارتفاعها فوق المائة ذراع بأروقة مستديرة حولها. و كان حول البيت ثلاثمائة و ستون مقصورة يسكنها خدامه [١٦١
أ] و قوامه و سدنته. و كان على كل أهل مقصورة من تلك المقاصر، خدمة يوم ثم لا يعودون إلى الخدمة حولا.

و يقال إن الريح كانت ربما حملت الحرير من العلم الذى فوق القبة فتلقيا بالترمد، و بينهما اثنا عشر فرسخا.

و كانوا يسمون السدان الأكبر برمكا لأنهم شهبوا البيت بمكة و قالوا: سادنه برمكة. فكان كل من ولى منهم السدانة يسمى برمكا.

و كانت ملوك الهند و الصين و كابل شاه و غيرهم من الملوك تدين بذلك الدين

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١٨

و تحج إلى هذا البيت. و كانت سنتهم إذا هم وافوه أن يسجدوا للصنم الأكبر و يقبلوا برمك.

و كانوا قد جعلوا للبرمك ما حول النوبهار من الأرضين سبعة فراسخ فى مثلها. و سائر أهل ذلك الرستاق عبيد له يحكم فيهم بما
يريد.

و كانوا قد صيروا للبيت وقوفا كثيرة و ضياعا عظيمة سوى ما يحمل إليه من الهدايا التي تتجاوز كل حد. و سائر أموال ذلك مصروفة
إلى البرمك الذى يكون عليه.

فلم يزل برمك بعد برمك إلى أن افتتحت خراسان أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه. و قد صارت السدانة إلى برمك أبى خالد بن

برمك، فسار إلى عثمان بن عفان مع دهاقين كانوا ضمنوا مالا فى البلد. ثم إنه رغب فى الإسلام فأسلم و سمي عبد الله و رجع إلى

ولده و أهله و بلده فأنكروا عليه إسلامه و جعلوا بعض ولده مكانه برمكا. فكتب إليه نيزك طرخان- و هو أحد الملوك يعظم ما أتاه

من الإسلام و يدعوه إلى الرجوع فى دين آباءه. فأجابه برمك: إني إنما دخلت فى هذا الدين اختيارا له و علما بفضل من غير رهبة و

لا- خوف، و لم أكن لأرجع إلى دين بادية العوار مهتك الأستار. فغضب نيزك و زحف إلى برمك فى جمع كثيف. فكتب إليه

برمك: قد عرفت حبي للسلامة و انى ان استجرت الملوك عليك أنجدونى، فاصرف عنى أعتيه خيلك و إلّا حملتنى على لقائك.

فانصرف عنه. ثم استغزّه و بيته [١٦١ ب] فقتله و عشرة بنين له، فلم يبق له خلف سوى برمك أبى خالد، فإن أمه هربت به و كان

صغيرا إلى بلاد القشмир فنشأ هناك و تعلم النجوم و الطب و أنواعا من الحكمة- و هو على دين آباءه-. ثم إن أهل بلده أصابهم

طاعون و وباء فنشاءوا بمفارقة دينهم و دخولهم فى الإسلام، فكتبوا إلى برمك فقدم عليهم و أجلسوه فى مكان أبيه، و تولى أمر

النوبهار فسمى برمكا.

فتزوج برمك بنت ملك الصغانيان فولدت له الحسن و به كان يكنى، و خالد،

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦١٩

و عمرا، و أم خالد، و سليمان بن برمك من امرأة غيرها من أهل بخارا [٧٢٨]. و أهدى صاحب بخارا إلى برمك جارية فولدت له كال بن برمك و أم القاسم. و للبرامكة أخبار كثيرة يطول أمرها، و إنما ذكرنا هذا الخبر بسبب بناء النوبهار.

و بلخ جيحون و هو نهرهم العظيم، و بينه و بين بلخ اثنا عشر فرسخا. و الترمذ على النهر. و بخارا و جبالها و عيونها و أنهارها التي من الجانب الأقصى في الشمال.

و المدن التي عن يمين النهر و الأنهار الصغار التي في هذه الجبال الشرقية التي من ناحية القبلة و من ناحية الدبور تصب إلى هذا النهر أعنى نهر بلخ. و هو يجيء من ناحية المشرق من موضع يقال له ريوساران و هو جبل متصل بناحية السند و الهند و كابل. و منه عين تجرى من موضع يقال له عندميس و استرز من هذا الجبل.

و يجتمع بمر و يجيء إلى مرغاب ثم يمر إلى آمويه، و يشق خوارزم فيصير إلى البحر الخراساني و هو بحر الخزر، ثم يدخل الصين. و نصارى خراسان تميل إلى الثنوية و الشمنية، إلّا ان نسطور لما دخلها مالوا إلى مذهبه.

و أصل هذا النهر من المشرق عليه معادن البلور و غيره من الأحجار النفيسة و عليه أيضا معدن ذهب جيد.

و من بلخ إلى شط جيحون اثنا عشر [٧٢٩] فرسخا. فذات اليمين على الشط كورة خلع و نهر الضرغام. و ذات اليسار، مرو و خوارزم و اسمها بيل. فهي جانبان على نهر بلخ يشقها جيحون [١٦٢ أ] و أمل و زم و جبال الطالقان و بلنجر و الجوزجان و أقاصى قرى بلخ [٧٣٠]:

سقى مزن السحاب إذا استهلّت مصارع فتية بالجوزجان

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢٠

و يعبر نهر بلخ هذا إلى الترمذ- و هو معها- و يضرب سورها و مدينتها على حجر طريق الصغانيان.

و من الترمذ إلى الراشت، ثمانون فرسخا. و الراشت أقصى خراسان من ذلك الوجه. و هي بين جبلين. و كان منها مدخل الترك إلى بلاد الإسلام للغارة عليهم.

فعلق الفضل بن يحيى بن خالد هناك بابا.

و من بلخ إلى طخارستان العليا ثمانية و عشرون فرسخا. و هناك قرية يقال لها قارض. و بالقرب منها قرى بسطام بن سورة بن عامر بن مساور [٧٣١].

و لما ان أقر ابن عامر قيس بن الهيثم على خراسان، سار قيس إلى مدينة بلخ و قدّم بين يديه عطاء بن السائب فدخلها و خزّب النوبهار. و يقال إن أول من دخل هراء من المسلمين رجل يقال له عطاء، دخل من الباب المعروف بالحسك. فسمى الرجل عطاء الحسك.

و حدثني أبو يوسف يعقوب بن إسحاق [٧٣٢]. قال: حدثني إبراهيم بن الجنيد عن إبراهيم بن رويم الخوارزمي قال: فيما بين خراسان و أرض الهند نمل أمثال الكلاب السلوقية. و كلبهم عظيم، لا يطاقون، و يحفرون من أماكنهم الذهب و يخرجونه، فأرضهم كلها ذهب و هي شديدة الحرّ، فهم يخافون في أحجرتهم الهاجرة. فيجىء الناس إلى أخذ ذلك الذهب و يعتمدون وقت شدة الحر و دخولهم إلى أماكنهم، فيأخذون ما يقدرون عليه و يبادرون الخروج قبل سكون الحرّ و خروجهم. فإن خرجوا و لحقوا أحدا منهم، أتوا عليه، فيكون معهم اللحم اشفاقا كبارا، فإذا كادوا أن يلحقوهم، طرحوا بعد ذلك اللحم في وجوههم فاشتغلوا به و بادروا هم بالخروج، فإذا بلغوا إلى موضع هو الحدّ لم يخرجوا منه شيئا واحدا في طلسم [٧٣٣].

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢١

فأما الطريق [٧٣٤] من مرو إلى الشاش و الترك. فمن مرو إلى كشمهين ثم إلى الديوان [١٦٢ ب] ثم إلى المنصف ثم إلى الاحساء و

إلى بئر عثمان ثم إلى آمل:
فمن مرو إلى آمل ستة و ثلاثون فرسخا.
و من آمل إلى شط نهر بلخ فرسخ و يعبر إلى فربر فرسخ.
و من آمل إلى بخارا سبعة عشر فرسخا. و لبخارا قهندز و لها من المدن:
كرمينية و طواويس و فربر و وردانه و بيكند مدينة التجارة.
و من بخارا إلى كول عشرة فراسخ و مما يلي الجنوب من هذا الموضع جبال الصين.
و من بخارا إلى سمرقند سبعة و ثلاثون فرسخا.
و لسمرقند قهندز. و لها من المدن: الدبوسية و أربنجن و كشان و كس و نسف و خجندة و هي مدينة طيبة كثيرة الخير حسنة. أنشدني
رجل من أهلها:
و لم أر بلدة بإزاء شرق و لا غرب بأتره من خجندة
هي الغراء تعجب من رآها و هي بالفارسية دل بيرده
و يقال إن سمرقند من بناء الإسكندر. و استدارة حائطها اثنا عشر فرسخا.
و فيها بساتين و مزارع و أرحاء. و لها اثنا عشر بابا. من الباب إلى الباب فرسخ.
و على أعلى السور أزاج و أبرجة للحرب. و الأبواب الاثنا عشر من حديد [٧٣٥]. و بين كل بابين منزل للبواب.
فإذا جرت المزارع، صرت إلى الرض و فيه أبنية و أسواق. و في روضها من المزارع عشرة آلاف جريب. و يدخل المدينة و مساحتها
خمسة عشر ألف جريب.
و لهذه المدينة [أعنى] [٧٣٦] الداخلة أربعة أبواب، و مساحتها ألفان و خمسمائة
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢٢
جريب. و فيها مسجد جامع، و فيها القهندز و فيه مسكن السلطان. و في هذه المدينة الداخلة نهر يجري. فأما داخل سور المدينة الكبير
ففيه أودية و أنهار و عيون و جبال. و على القهندز باب حديد من داخله باب آخر حديد.
و في أخبار ملوك اليمن قالوا: لما مات ناشر ينعم الملك، قام بالملك من بعده شمر بن افريقيس بن أبرهه. فجمع جنوده و سار في
خمسمائة ألف رجل حتى ورد العراق. فأعطاه كشتاشف بن بخت نصر الطاعة و علم أن لا طاقة له به لكثرة جنوده و شدة صولته. فسار
من العراق قاصدا لبلد الصين. فلما صار إلى بلد الصغد اجتمع أهل تلك البلاد [١٦٣ أ] و تحصنوا منه بمدينة سمرقند فأناخ عليها و
أحاط بمن فيها من كل وجه و حاربهم حتى استزلهم بغير أمان فقتل منهم مقتلة عظيمة، و أمر بالمدينة فهدمت، فسميت من يومئذ
شمر كند أي شمر هدمها.
فعربتها العرب و قالوا سمرقند. و قال في مسيره هذا:
أنا شمر أبو كرب اليمانا جلبت الخيل من يمن و شام
لآتي أعبدا مرقوا علينا بأرض الصين من أهل السوام
فأحكم في بلادهم بحكم و ثيق لا يجاوز بالأثم
فإن أهلك و لم أرجع إليكم فقد هلك الملوک من آل سام
بنو مهليل انتجعوا فساحوا و خطوا البيت بالبلد الحرام
هو البيت العتيق فعظموه و إن كانت وجوهكم دوام
سيملك بعدنا أبنا ملوك يدينون العباد بغير ذام

و يملك بعدهم ملك كريم نبي لا يرخص في الحرام

محمد اسمه يا ليت يومى تأخر بعد مخرجه بعام

ثم سار حتى قارب الصين فمات هو و أصحابه عطشا فلم يبق منهم مخبر.

و كان ملكه سبع سنين. فلم تزل سمرقند خرابا إلى أن ملك تبع الأقرن بن أبي مالك بن ناشر ينعم. فلم تكن له همة إلا الطلب بثأر جده شمر الذى هلك بأرض الصين. فتجهز و استعد و سار فى مائة ألف رجل من أبطال قومه. فجاء العراق

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢٣

فخرج إليه بهمن بن إسفنديار و أعطاه الطاعة و حمل إليه الخراج ثم أقام له الترك فى جميع مملكته. و كان طريقه على الأهواز حتى دخل فى أرض خراسان فأنتهى إلى النهر الأعظم فعبره بالسفن حتى وافى مدينة بخارا فطواها حتى أتى سمرقند و هى خراب فأمر ببنائها و أقام عليها حتى فرغ منها و ردها إلى أفضل مما كانت عليه من العمارة. ثم سار منها إلى فرغانة و ركب من هناك المفاوز فسار فيها شهرا حتى أتى بلادا واسعة كثيرة المياه و الكلا فابتنى هناك مدينة عظيمة و أسكن فيها ثلاثين من أصحابه ممن لم يستطع السير معه إلى الصين و سماها التبت. فأهلها إلى اليوم لهم زى العرب و لباسهم و لهم فروسية و بأس شديد، قد قهروا جميع من حولهم من أجناس الأتراك.

و سار من هناك حتى ورد الصين [١٦٣ ب] فخرج إليه ملكها فحاربه فهزمه الأقرن و قتل خلقا من جنوده و أخرب مدينته و شن فى أرضه الغارة، و طلب الملك حتى ظفر [به] [٧٣٧] فقتله و غنم من أرضه غنائم لم يغنم مثلها أحد ممن كان قبله من الملوك. فيقال إن تلك [٧٣٨] المدينة التى سكنها هذا الملك خراب إلى اليوم. و فى ذلك يقول تبع بن الأقرن:

أنا تبع ذو المجد من آل حمير ملكنا عباد الله فى الزمن الخالى

فدانت لنا شرق البلاد و غربها و أبنا عليها خير أوب و أنفال

ملكناهم قسرا و سارت خيولنا إلى الهند بالفرسان حالا على حال

و مغرب شمس الله قد وطئت لنا قبائل خيل غير نكس و أعزال

و سوف تليها بعدنا خير أمة ذوو نجدة من خير دين و إفضال

يدينون دين الحق لا يسلمونه سجود ركوع فى غدو و آصال

كرام ذوو فضل و علم و رأفة فمن بين زهاد كرام و أبدال

يقر جميع العالمين بفضلهم و ليسوا عن الحرب العوان بأنكال

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢٤

ضراغمة بيض كأن وجوههم إذا ما بدوا ليلا قناديل ذئال

ثم انصرف بعده إلى أرضه و قد أدرك تأره.

و لما حضر سعيد بن عثمان بن عفان مدينة سمرقند، حلف أن لا يبرح و لا يزول حتى يدخل المدينة و يرمى القهندز بحجر صلحا أو فدية أو عنوة. فصالحهم على سبعمائة ألف درهم و أن يدخل المدينة من باب و يخرج من الآخر، و أن يمر على القهندز و أن يعطوه رهنا من أولاد عظمائهم. فدخل المدينة و رمى القهندز بحجر فثبت فيه فتطيروا لذلك و قالوا: ثبت فيها ملك العرب.

و صالح قتيبة بن مسلم أهل سمرقند على أن ما فى بيوت النيران و حلية الأصنام. فأخرجت إليه الأصنام فسلب حليتها و أمر بتحريقها فقال سدنتها: إن فيها أصناما من أحرقها هلك. فقال قتيبة: أنا أحرقها [١٦٤ أ] بيدي، و أخذ شعله من نار فأضرمها فيها، فاضطرت و احترقت، فوجد بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب خمسين ألف مثقال.

و سمرقند من بلاد الصغد، و من ورائها كرمانية و دبوس [٧٣٩] و أشروسنة و الشاش و نخشب و بناكت و استوركث، ابوازكت، سام، سرک، بنکت، تکت، رفکت، وسیچ، برنمذ [٧٤٠]. هذه كلها من مدن الشاش.

و قالوا: ليس في الأرض مدينة أنزه و لا أطيب و لا أحسن مستشرفا من سمرقند. و قد شبهها الحصين بن المنذر الرقاشي فقال: كأنها السماء للخضرة، و قصورها الكواكب للإشراق، و نهرها المجرة للاعتراض، و سورها الشمس للأطباق.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢٥

و سأل المأمون رجلا عن سمرقند فقال: يا أمير المؤمنين، كأن مدينتها دارة القمر، و كأن نهرها المجرة، و كأن ضياعها حولها النجوم. و قال الشعبي: شهدت فتح سمرقند مع قتيبة بن مسلم، فنظر على بعض أبوابها لوحا في الحائط فيه خطوط [٧٤١] كأنها عربية و ليست عربية. - و كان اللوح من حجر - فتأمله طويلا ثم قال: و الله إنى لأظنها بعض فعالات حمير. ابغوني رجلا من الجند قريب العهد باليمن و كلام حمير: فبعث إلى عبد الله الحزامي فقال له:

أ تعرف هذا الخط؟ قال: نعم - أصلح الله الأمير - هذا بخط حمير الذي يقال له المسند. قال: اقرأه. فإذا هو: باسمك اللهم. هذا كتاب ملك العرب و العجم شمر يرعش الملك الآثم. من بلغ هذا المكان فهو مثلي، و من جازه فهو فوقى، و من قصر عنه فهو دونى.

فأبى قتيبة أن لا- يرجع حتى يظا بلاد الصين. و بلغ ذلك ملكها فخاف فبعث إليه ياكليل مفصل بالياقوت و بجراب من تراب بلده و قال: أبسط هذا التراب و امش عليه، فإذا فعلت فقد برت يمينك. و ضمن له خراجا في كل سنة، فقبل له ذلك منه و أقام.

و قال الأصمعي: مكتوب على باب سمرقند بالحميرية: بين هذه المدينة و بين صنعاء ألف فرسخ. و بين بغداد و إفريقية ألف فرسخ. و بين سجستان [١٦٤ ب] و بين البحر مائتا فرسخ.

و من [٧٤٢] سمرقند إلى زامين سبعة عشر فرسخا.

و زامين مفرق طريقين إلى الشاش و الترك و فرغانة. فمن زامين إلى الشاش خمسة و عشرون فرسخا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢٦

و من الشاش إلى الفنجهير معدن الفضة سبعة فراسخ و إلى باب الحديد ميلان [٧٤٣].

و من الشاش إلى بارجاخ [٧٤٤] أربعون فرسخا. و بارجاخ تل حوله ألف عين تجيء من المشرق إلى المغرب و تسمى بركوب آب أى الماء المقلوب صيده تدارج [٧٤٥] سود.

و من الشاش إلى أسبيجاب اثنان و عشرون [٧٤٦] فرسخا.

و من أسبيجاب إلى موضع ملك كيماك مسيرة ثمانين يوما يحمل فيها الطعام.

و من طراز إلى نوشجان السفلى ثلاثة فراسخ.

و منها إلى كرباس فرسخان [٧٤٧] و هى خرمية يشتبو بها الخرلخية و بقربها منشأ الخلجية.

ثم إلى كول شوب أربعة فراسخ.

ثم إلى حل شوب أربعة فراسخ.

ثم إلى كولان، قرية غناء ذات مياه و أشجار أربعة فراسخ.

ثم إلى بركى، قرية كبيرة أربعة فراسخ.

ثم إلى أسبره أربعة فراسخ.

ثم إلى نوركت، قرية عظيمة ثمانية فراسخ.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢٧

ثم إلى حرجوا [٧٤٨] أربعة فراسخ.

ثم إلى كتوال ثلاثة فراسخ.

ثم إلى نوشجان الأعلى خمسة عشر يوماً للقوافل على المرعى، و هو حدّ الصين، فأما لبريد الترك فمسيرة ثلاثة أيام. والطريق من زامين إلى فرغانة، و منها إلى ساباط فرسخان. و إلى سروشنه سبعة فراسخ. منها فرسخان في سهل و خمسة في استقبال ماء جار من ناحية المدينة. فمن سمرقند إلى سروشنه ستة و عشرين فرسخا.

و من ساباط إلى غلوك ستة فراسخ. ثم إلى خجندة أربعة فراسخ. ثم إلى صامغان خمسة فراسخ. ثم إلى خاجستان أربعة فراسخ. ثم إلى يرمقان سبعة فراسخ. ثم إلى مدينة باب ثلاثة فراسخ. ثم إلى فرغانة أربعة فراسخ. فمن سمرقند إلى فرغانة ثلاثة و خمسون فرسخا. و كان أنوشروان بناها و نقل إليها من كل أهل بيت واحدا و سماها (أزهر خانه) أي من كل بيت واحد. و خجندة من [١٦٥] إلى فرغانة.

ثم إلى فنا عشرة فراسخ. و إلى مدينة أوش عشرة فراسخ. و إلى مدينة خورتكين سبعة فراسخ. و إلى العقبة مسيرة يوم و إلى اطباس مسيرة يوم. و اطباس هذه مدينة على عقبه مرتفعة. ثم إلى نوشجان الأعلى إلى مدينة خاقان التغزغز مسيرة ثلاثة أشهر في قرى كبار و خصب. و أهلها أتراك فيهم مجوس يعبدون النار و فيهم زنادقة. و الملك في مدينة عظيمة لها اثنا عشر بابا حديدا. و أهلها زنادقة. و من يسارها كيماك و أمامها الصين على ثلاثمائة فرسخ.

و لملك التغزغز خيمة [من ذهب] [٧٤٩] على أعلى قصره تسع مائة إنسان ترى من خمسة فراسخ.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢٨

فأما ملك كيماك ففي خيام يتبع الكلا. و بين طراز و موضعه مسيرة أحد و ثمانين يوماً في مفاوز [٧٥٠] و جبال و أودية فيها الأفاعى و غيرها من الحيوانات القتالة.

و الطراز آخر الإسلام من هذا الوجه.

و روى عن عبد الله بن عمر قال: رأيت النبي (صلى الله عليه و سلم) يشير بيده إلى المشرق و يقول: إن الفتنة ها هنا حيث تطلع قرن الشيطان.

و روى عن عكرمة أنه قال: و قد خرج من خراسان: الحمد لله الذى أخرجنا منها، لتطوى خراسان طي الأديم حتى يقوم الحمار الذى كان فيها بخمسة دراهم بل بخمسين أو بخمسمائة.

و يروى عن النبي (صلى الله عليه و سلم) أنه قال: إن الدجال يخرج من المشرق من أرض يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة.

خراج خراسان [٧٥١]:

الذى وظف على عبد الله بن طاهر من خراج خراسان و للأعمال المضمومة إليها لستى إحدى و اثنتى عشرة و مائتين: الرى، عشرة آلاف ألف درهم.

قومس: ألفا ألف و مائة ألف و ستة و تسعون ألف درهم.

جرجان: عشرة آلاف ألف و مائة ألف و ستة و سبعون ألفا و ثمانمائة درهم.

كرمان: مائة و ثمانون فرسخا فى مائة و خمسين فرسخا. كانت تجبى للأكاسرة [١٦٥] أ ستين ألف ألف درهم.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٢٩

سجستان بعد المنكسر من خراج قرى موزق و الرخج و بلاد الداور و زابلستان- و هى من ثغور طخارستان- و هو تسعمائة ألف و سبعة و أربعون ألف درهم. ستة آلاف ألف و سبعمائة ألف و ستة و سبعون ألف درهم.

الطبيين: مائة ألف و ثلاثة عشر ألفا و ثمانمائة و ثمانون درهما.

- قهستان: سبعمائة ألف و سبعة و ثمانون ألفا و ثمانمائة و ثمانون درهما.
- نيسابور: ألفا ألف و ثمانمائة و ستون درهما.
- نسا: ثمانمائة ألف و ثلاثة و سبعون ألفا و أربعمائة درهم.
- أبيورد: سبعمائة ألف درهم.
- سرخس: ثلاثمائة ألف و سبعة آلاف و أربعمائة و أربعون درهما.
- مرو الروذ و رستاق بها يقال لها طنح، أربعمائة ألف و عشرون ألف و أربعمائة درهم.
- الطالقان [٧٥٢]: أحد و عشرون ألفا و أربعمائة درهم.
- غرجستان: مائة ألف درهم، و من الغنم ألفا شاء.
- باذغيس: أربعمائة ألف و أربعون ألف درهم.
- هراة و أسفزار و اسفندسج [٧٥٣]: ألف ألف و مائة ألف و تسعة و خمسون ألف درهم.
- كور طخارستان:
- زم: مائة ألف و ستة آلاف درهم.
- الفارياب: خمسة و خمسون ألف درهم.
- البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣٠
- الجوزجان: مائة ألف و أربعة و خمسون ألف درهم.
- الختلان:
- خلم: اثنا عشر ألف درهم.
- بلخ و شعب خرء و جبالها: مائة ألف و ثلاثمائة و تسعون ألفا و ثلاثمائة درهم.
- فيروغس [٧٥٤]: أربعة آلاف درهم.
- ترمد: ألفا درهم.
- الروب و سمنجان: اثنا عشر ألف و ستمائة درهم.
- الباميان: خمسة آلاف درهم.
- برخان و جوهرين و المنخان [٧٥٥]: مائة ألف و ستة آلاف و خمسمائة درهم.
- الترمد: سبعة و أربعون ألفا و مائة درهم.
- القيقان [٧٥٦]: ثلاثة آلاف و خمسمائة درهم.
- شنقان [٧٥٧]: أربعة آلاف درهم.
- و خان [٧٥٨]: عشرون ألف درهم.
- البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣١
- الميدجان [٧٥٩]: ألفا درهم.
- أخرون: اثنان و ثلاثون ألف درهم.
- الكست: عشرة آلاف [١٦٦ أ] ألف درهم.
- الصغانيان: ثمانية و أربعون ألفا و خمسمائة درهم.
- باسارا: سبعة آلاف و ثلاثمائة درهم.

الواشجرد: ألف درهم.

العندمين و الوخشان [٧٦٠]: اثنا عشر ألف رأس و ثلاث عشرة دابة.

كابل: ألفا ألف و خمسمائة درهم. و من الوصائف ألفا رأس قيمتها ستمائة ألف درهم.

و كابل من ثغور طخارستان و لها من المدن: و أذان و خواش و خشك و حبره [٧٦١]. و بكابل عود و نارجيل و زعفران و هليلج لأنها متاخمة الهند.

نسف: تسعون ألف درهم.

كس: مائة ألف و اثنا عشر ألفا و خمسمائة درهم.

البتم: خمسة آلاف درهم.

الباكين [٧٦٢]: ستة آلاف و مائتا درهم.

رستاق جاوان: سبعة آلاف درهم.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣٢

رستاق الديوار [٧٦٣]: ألفان و مائتان و عشرون درهما.

افنه: ثمانية و أربعون ألف درهم.

خوارزم: أربعمائة ألف و تسعة و ثمانون ألف درهم.

آمل: مائتا ألف و ثلاثة و تسعون ألفا و أربعمائة درهم.

وراء النهر:

بخارا: ألف ألف و مائة ألف و تسعة و ثمانون ألفا و مائتا درهم غطريفية.

السغد و سائر كور نوح بن أسد: ثلاثمائة ألف و ستة و عشرون ألفا و أربعمائة درهم. منها على فرغانة، مائتا ألف و ثمانون ألفا محمدية. و على مدائن الترك ستة و أربعون ألفا و أربعمائة درهم خوارزمية. و من الكرابيس الغلاظ الكندجية ألف و سبعة و ثمانون ثوبا. و من المرور و صفائح الحديد ألف و ثلاثمائة قطعة نصفين.

فالج جميع ألف ألف و اثنان و سبعون ألف درهم محمدية. منها على الصغد و المعدن بالبتم و معدن الملح بكس ألف ألف و تسعة و ثلاثون درهما محمدية.

و كس و نسف و البتم من كور السغد.

أسروشنه: خمسون ألف ألف درهم. و ثمانمائة و أربعون درهم محمدية.

الشاش و معدن الفضة: ستمائة ألف و سبعة آلاف مسيية.

خجندة: مائة ألف درهم مسيية.

فجميع خراج خراسان [١٦٦ ب] و ما ضم إلى عبد الله بن طاهر من الكور و الأعمال: أربعمائة و أربعون ألف ألف و ثمانمائة ألف و ستة و أربعون ألف درهم.

و من الدواب ثلاثة عشر ألف ألف دابة. و من الغنم ألفا شاء. و من السبي ألفا رأس و اثنا عشر رأسا قيمتها ستمائة ألف درهم. و من المرور و صفائح الحديد ثلاثمائة قطعة نصفين.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣٣

القول في الترك

إشارة

روى عن حذيفة أنه قال: تغلب الترك على الكوفة، و تغلب الخزر على الجزيرة، و تغلب الروم على الشام.

و روى عن النبي (صلى الله عليه و سلم) أنه قال: لتخرجن الترك أهل العراق من بلادهم.

قال: و كتب عمر رضى الله عنه إلى عماله: إذا أصبتم أحدا من الأتراك فاضربوا عنقه، فإن لهم خرجة بعد المائتين. فإذا خرجوا كانوا أشد كلبا على ما فى أيديكم مما فى أيديهم.

و يروى عن النبي (صلى الله عليه و سلم) قال: الترك أول من يسلب أمتى ما خولوا.

و يروى عن عبد الله بن عباس أنه قال: و الله لتكونن الخلافة فى ولدى حتى تغلب على عزهم الحمر الوجوه الذين وجوههم كأنها المجان المطرقة.

و يروى عن أبى هريرة أنه قال: لا تقوم الساعة حتى يجيء قوم عراض الوجوه صغار العيون فطس الأنوف حتى يربطوا خيولهم بشاطئ دجلة.

و يروى أن معاوية قال: لا تبعثوا الرابضين اتركوهما ما تركوكم: الترك و الحبشة.

و فى حديث مرفوع قال: قال النبي (صلى الله عليه و سلم): اتركوا الترك ما تركوكم.

و قالوا: لا تضع الشاة بالترك أقل من أربعة، و ربما وضعت خمسة أو ستة كما تصنع الكلبة. فأما اثنين و ثلاثة فإنما يكون فى الفرد و هى كبار جدا و لها أليا عظام تجرها على الأرض.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣٤

قال: و بلدان الأتراك [٧٦٤]: التغرغز و بلادهم أوسع بلدان الأتراك، حدّهم الصين و التبت و الخرلخ و الكيماك و الغز و

الجدل [٧٦٥] و البجناك و التركش و أركش و خشفاج [٧٦٦] و خرخيز، و بها [١٦٧] مسك. و هى من هذا الجانب [من] النهر.

فأما مدينة فاراب فإن فيها مسلحة [٧٦٧] للمسلمين. و الأخرى أتراك الخرلخية. [٧٦٨]

البلدان، ابن الفقيه ؛ ص ٦٣٤

جميع مدائن الترك ست عشر مدينة.

و قال بعض العلماء بالترك: أجناس الترك:

الخرلخ: و هم ما يكون إلى ناحية سمرقند. و هم عتاق الترك.

و البذكشية: و هم أصحاب اللحي العظام.

و الغز و التغرغز.

و الكيماك: و هم الملوك، و هم أوغل فى بلادهم و أعزهم عند جميع الترك.

و البشناكية و الشرية.

و التغرغز عرب الترك، و هم أصحاب عمد يحلون و يرحلون.

و البذكشية: أصحاب بناء و قرى.

قال: بعث هشام بن عبد الملك رجلا إلى ملك الترك يدعوه إلى الإسلام.

قال: فدخلت إليه و هو يتخذ سرجا. فقال للترجمان: من هذا؟ قال: رسول ملك العرب. قال: غلامى؟ قال: نعم. فأمر بى إلى بيت كثير

اللحم قليل الخبز. فلما كان ذات يوم ركب فى عشرة أنفس مع كل واحد منهم لواء و أمر أن أحمل فحملت

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣٥

على دابة. فصعد تلاً و حول التل غيضة. فلما طلعت الشمس أمر واحداً من أولئك العشرة أن ينشر لواءه و يلح [٧٦٩] به. ففعل. فوافى عشرة آلاف مدجج. فقال للترجمان: قل لهذا الرسول يعلم صاحبه أن ليس في هؤلاء حجام و لا إسكاف و لا خياط. فإذا أسلموا من أين يأكلون؟

و آخر خراسان من ناحية الشاش، نوشجان الأعلى. فمن نوشجان إلى مدينة خاقان ملك التغزغز مسيرة ثلاثة أشهر في قرى كبار و خصب و أسواق. و أهلها أتراك و فيهم مجوس يعبدون النار. و فيهم زنادقة على مذهب ماني. و الملك في مدينة عظيمة كثيرة الأهل و الأسواق و لها ثلاثة [١٦٧ ب] عشر بابا حديدا. و عن يسارها كيماك و أمامها الصين على ثلاثمائة فرسخ.

فأما ملك كيماك و أصحابه فبادية يتبعون مساقط القطر و يحلون و يرتحلون في طلب الكلاء.

و قال على بن ربن كاتب المازيار: أحسن مدينة بنيت على وجه الأرض، أن ملكا من ملوك الترك أتى سبخة و مستنقع ماء عادي أجاجي في طرف من أطراف سلطانه، فصرف الماء عنه ثم حفر أساسا عرضه أربعون ذراعا. ثم أمر فرفع من قرار الحفر سوران بالآجر و الكلس، عرض كل سور عشرة أذرع و بينهما فضاء عرضه عشرون ذراعا.

فلما انتهى بالسورين إلى وجه الأرض، طمّ الفضاء الذي بينهما بالرمل، و أقبل بينهما فكلما ارتفعا جعل الرمل في وسطهما حتى جعلهما خمسين ذراعا. ثم بنى في المدينة له و لرعيته من المنازل و القصور و حفر حولها خندقا ثم جرف إليها الماء. فلم تلبث أن عادت بعد سنة أجمه عظيمة من أعظم الآجام، و أودعها أهله و نفيس أمواله فصارت أمانع مدينة بنيت على قلال الجبال أو في قرار الأرض.

و إن ملكا من ملوك الترك رامها- و الترك أغلب الأمم و أشد احتيالا على نقب المدن و الحصون من المواضع البعيدة- فسار إليها و نزل على فراسخ منها، و أمر البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣٦

نقّابيه أن ينقبوا فنقبوا حتى بلغوها. فلما صاروا إلى الأجمة التي حولها خرج عليهم الماء في النقب. فما زالوا يحتالون فيه و هو مرة يغلبهم و مرة يغلبونه حتى استوى لهم قطعه و ظنوا أنهم قد ظفروا بالمدينة. و لما أفصوا إلى السور و أخذوا في نقبه. فلما نقبوه خرج عليهم الرمل المنهال. فكانوا لا يخرجون منه شيئا إلّا سال من جوانبه أضعافه. فلما رأوا ذلك علموا أن لا حيلة بهم فانصرفوا خائبين. قالوا: و النعجة تضع في بلاد الترك عدة من السخول في البطن الواحدة.

ربما وضعت سبعة و ستة و خمسة. فأما أربعة و ثلاثة [١٦٨ أ]، فجميع مواشيه على هذا.

و الترك إذا أرادت أن تحلف رجلا أتت بصنم من نحاس فتنصبه ثم تحضر قصعة فتصير فيها ماء و يوضع بين يدي الصنم، ثم يجعل في القصعة قطعة ذهب و كف دخن و يؤتى بسرراويل امرأة فيوضع تحت القصعة. ثم يقولون: استحلّف ان نقضت هذا العهد أو غدرت أو خنت فيصيرك الله امرأة تلبس سراويلها، و سلط عليك من يقطعك قطعاً مثل هذا الدخن، و اصفر لونك مثل اصفرار الذهب. ثم يشرب بعد اليمين ذلك الماء. فعلى ما يفعله إنسان منهم يحنث إلّا مات و أصابته بلية.

و في بلادهم السمور و الفنك الجيد. و هم أرمى الأمم كلّها بالنشاب.

و إذا ولد للرجل منهم ولد، ربّاه و رعاه و عاله و قام بأمره حتى يحتلم. فإذا بلغ الحلم دفع إليه قوسا و سهاماً و أخرجه عن منزله و قال له: احتل لنفسك. ثم يصير ولده عنده مثل الغريب الذي لا يعرفه. هذه سنّتهم في أولادهم.

و منهم قوم [بيعون] [٧٧٠] بنينهم و بناتهم.

و تزويجهم ان جواريههم مكشفات الشعور، فإذا أراد الرجل أن يتزوج نظر إلى التي يريد و ألقى على رأسها مقنعة. فإذا فعل ذلك فقد صارت امرأته لا يمنعه عنها والد و لا يدفعها أخ.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣٧

و في بلادهم الختو الجيد، و هو جهة دابة تصاد في بلدهم.

و ذكر تميم بن بحر المطوعي أن بلادهم شديد البرد. و إنما يسلك فيه ستة أشهر في السنة، و انه سلك إلى بلاد خاقان التغزغزى على بريد أنفذه خاقان إليه، و انه كان يسير في اليوم و الليلة ثلاث سلك بأشد سير و أحته. فسار عشرين يوما في برارى فيها عيون و كلاً و ليس فيها قرية و لا مدينة غير أصحاب السكك و هم نزول في خيام. و انه كان البريد حمل معه زادا لعشرين يوما و ذلك أنه عرف أمر تلك المدينة و ان مسافتها عشرون يوما في برارى فيها عيون و كلاً. ثم سار بعد ذلك [١٦٨ ب] عشرين يوما في قرى متصلة و عمارات كثيرة، أهلها كلهم أو أكثرهم أتراك. منهم عبدة النيران على مذهب المجوس، و منهم زنادقة.

و إنه بعد هذه الأيام وصل إلى مدينة الملك و ذكر أنها مدينة عظيمة خصيبة حولها رساتيق عامرة و قرى متصلة و لها اثنا عشر بابا من حديد مفرطة العظم.

قال: و هى كثيرة الأهل و الزحام و الأسواق و التجارات، و الغالب على أهلها مذهب الزنادقة. و ذكر أنه حرز ما بعدها إلى بلاد الصين فميزه ثلاثمائة فرسخ.

قال: و أظنه أكثر من ذلك.

قال: و عن يمينه مدينة ملك التغزغز، بلاد الترك لا يخالطهم غيرهم. و عن يسارها بلاد كيماك و أمامها بلاد الصين.

و ذكر أنه نظر قبل وصوله إلى المدينة بخمسة فراسخ إلى خيمة للملك من ذهب على سطح قطره تسع مائة رجل .. و ذكر أن خاقان ملك التغزغز كان مخاتنا لملك الصين، و ان ملك الصين يحمل إليه في كل سنة خمسمائة ألف فرند [٧٧١].

و ذكر أن بين النوشجان الأعلى و بين الشاش على طراز، أربعين مرحلة للقوافل، فمن سارها على دابة و كان منفردا قطعها في شهر.

قال: و نوشجان الأعلى بها أربع مدن كبار و أربع صغار. و انه حزر المقاتلة

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣٨

في مدينة واحدة على شط بحيرة هناك فميزهم نحو عشرين ألف فارس بالسلاح التام. و ليس في جميع أجناس الترك أشد منهم، و انهم إذا اجتمعوا مع الخرلخية لحرب، كان منهم مائة رجل و من الخرلخية ألف رجل، و على هذا يخرجون في جميع حروبهم.

و ذكر أن هذه البحيرة شبيهة بالحوض المربع، و أن حولها جبالا شامخة فيها من جميع أصناف الشجر.

قال: و هناك رسم مدينة قديمة لم أجد في الأتراك من يعرف خبرها و لا من بناها و لا من كان أهلها و لا متى خربت، و انه نظر فيها إلى نهر يشقها لا يلحق غوره هناك. و رأيت فيه أنواعا من الحيوانات البحرية ما رأيت مثله. و كذلك رأيت به طيوراً لم أر في شيء من البلدان مثله.

قال: و أهل النوشجان و غيرهم بها يقدمون منهم من المدن و القرى يطوفون بها في سنة مرة واحدة في أيام الربيع و يجعلون ذلك عيداً [٧٧٢].

قال: و يدخلها الماء من ناحية التبت من مائة و خمسين نهراً كباراً و صغاراً.

و كذلك من ناحية التغزغز و الكيماك. و ذكر أنه وجد ملك التغزغز حين [ذهب] [٧٧٣] إليه معسكراً بالقرب من مدينته و انه حزر جيشه الذى حول سرادقه دون غيرهم فكانوا نحو من اثني عشر ألف رجل. قال: و بعد هؤلاء سبعة عشر قائداً مع كل قائد ثلاثة آلاف.

قال: و بين القائد و القائد مصالح من خيام. و القواد و من معهم من المصالح بأجمعهم محيطون بالعسكر، و لهم في إحاطتهم فرجة يكون مقدارها أربعة أبواب إلى ناحية العسكر. و جميع دواب الملك و دواب الجند ترعى فيما بين سرادق الملك و مواضع القواد لا تتخلص منها دابة إلى خارج العسكر.

و سألناه عن طريق كيماك من طراز فذكر أن الطريق مسيرة طراز إلى قريتين في موضع يقال له كواكب عامرتين اهليينيتين و مسافتهم من طراز سبعة فراسخ.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٣٩

و من هذا الموضع ملك كيماك مسيرة ثمانين يوما للفارس المجدد يحمل معه زاده.

و ان جميع ذلك صحارى و برارى و مفاوز واسعة كثيرة الكلا و العيون. و فيه مراعى الكيماكية. و ذكر انه سلك وحده هذه الطريق و وجد ملك كيماك مع عسكره فى خيام و بقره قرى و عمارات و انه ينتقل من موضع إلى موضع يتبع الكلا. و ان دوابهم كثيرة دقيقة الحوافر. و حزر من فى عسكره فوجدهم نحو عشرين ألف فارس.

و ذكر أبو الفضل الواشجرى أن ملك التغزغز غزا ملك الصين مرتين فى أيام الرشيد. و قيل ذلك فى أيام المهدي [١٦٩ ب] و كانت غزوته ما بين سروشنه إلى سمرقند. و ان عامل سمرقند حاربه فى عدة وقائع و كانت لهم حروب شديدة. ثم إن صاحب سمرقند رزق النصر عليه فهزمه و قتل خلقا من أصحابه. و يقال إنه كان فى ستمائة ألف بين فارس و راجل من أهل الصين. فغنم المسلمون غنيمه عظيمة و أسروا خلقا، فأولادهم الذين بسمرقند يعملون الكاغذ الجيد و أنواع السلاح و الآلات التى لا تعمل بمدن خراسان إلا بسمرقند.

و من عجائب بلد الترك حصى عندهم يستمطرون [به] [٧٧٤] ما شاءوا من مطر و ثلج و برد و غير ذلك. و أمر هذا الحصى عندهم مشهور مستفيض لا ينكره أحد من الأتراك. و هو عند ملك التغزغز خاصه ليس يوجد عند أحد من ملوكهم غيره.

و حدثنى أبو عبد الله الحسين بن استاذويه. حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن. حدثنا هشام بن لهراسب السائب الكلبي عن أبي مليح عن ابن عباس قال:

لم يتزوج إبراهيم عليه السلام على ساره حتى ماتت فتزوج امرأة من العرب العاربة يقال لها قنطورا بنت مقطور فولدت له مدين و مداين و هو مدين و نيسان و اشتق و سرج. فأمر إبراهيم عليه السلام أن يضم إليه من ولد إسماعيل و إسحاق و مدين و نيسان و يخرج عنه مدين و اشتق و سرج. فقالوا له: يا أبانا كيف تستجيز أن تترك عندك إسماعيل و إسحاق و مدين و نيسان فى الأمن و الدعء و تخرجنا نحن عنك إلى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤٠

الغربة و الوحشة و الوحدة؟ فقال: بذلك أمرت و لكنى سأعلمكم اسما من أسماء الله تعالى لتستنصروا به على أعدائكم و تستنزلوا [٧٧٥] به الغيث إذا أجذبتم. فعلمهم إياه و خرجوا سائرين حتى نزلوا موضع خراسان فتناسلوا هناك و قهروا بذلك الاسم جميع من ناوهم. فاتصل خبرهم بالخزر- و هم من ولد يافث بن نوح- فصاروا إليهم و حالفوهم و تزوجوا إليهم و أقام بعضهم عندهم و انصرف الباقون إلى بلدهم [١٧٠ أ].

و حدث أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى المروزى [٧٧٦] فقال: لم نزل نسمع فى الثغور الخراسانية التى من وراء النهر و غيرها من الكور الموازية لبلاد الترك الكفرة الغزية و التغزغزية و الخرخية و فيهم المملكة و لهم فى أنفسهم شأن عظيم و نكاية فى الأعداء شديدة، ان من الترك من يستمطر فى أسفاره و غيرها فيمطر و يحدث ما يشاء من مطر و برد و ثلج و نحو ذلك. فكنا بين منكر و مصدق حتى رأيت داود بن منصور بن أبى على الباذغيسى- و كان رجلا صالحا قد تولى خراسان فحمد أمره- و قد خلا بابن ملك الترك الغزية و كان يقال له بالقيق بن حيويه فقال له: يبلغنا عن الترك أنهم يجلبون المطر و البرد و الثلج متى شاءوا فما عندك فى ذلك؟ فقال: الترك أذلّ و أحقر عند الله من أن يستطيعوا هذا الأمر.

و الذى بلغك فهو حق و لكن له خبر أحدثك به. كان بعض أجدادى راغم أباه- و كان الملك فى ذلك العصر- و شدّ عنه و اتخذ لنفسه أصحابا من مواليه و غلمانه و غيرهم ممن يحب الصعلكة و مضى سائرا فى شرق البلاد يغير على الناس و يصيد ما يظهر له و لأصحابه. فانتهى به المسير إلى بلد ذكر أهله أنه لا منفذ لأحد وراء جبل لهم. فقال لهم: و كيف ذلك؟ قالوا: لأن الشمس تطلع من وراء هذا الجبل و هى قريبة من الأرض جدا فلا تقع على شىء إلا أحرقتة. قال: أليس هناك ساكن و لا وحش؟ قالوا: بلى. قال:

فكيف يتهيأ لهم المقام على ما ذكرتم؟ قالوا: أما الناس فلهم أسراب تحت الأرض و غيران في الجبال، فإذا طلعت الشمس بادروا

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤١

إليها فاستكنوا فيها حتى ترتفع الشمس عنهم. و أما الوحش فإنها تلتقط حصى هناك قد ألهمت معرفته، فتأخذ كل وحشية حصاءً من ذلك الحصى بفيها و ترفع رأسها إلى السماء فتظلها عند ذاك غمامة تحجب بينها و بين الشمس.

قال: فقصد جدى تلك الناحية فوجد الأمر على ما بلغه. قال: فلما بدأت الشمس في الطلوع بادرت الوحوش إلى ذلك الحصى فجعلته في أفواها [١٧٠ ب] و رفعت رؤوسها إلى السماء فأظلتها الغمام. قال: فحمل هو و أصحابه عليها يكدونها، فلما أدركها اللغوب ألقى ذلك الحصى من أفواها، فأمر أصحابه بلقطه ليعرفه. ففعلوا و جاءوا به فعرفه و تتبعه هو و أصحابه في تلك البرية فأخذوه و شالوه حيال الشمس فأظلمهم الغمام و نجوا من وقع الشمس و حرها.

ثم جمعوا منه ما قدروا عليه و حملوه إلى بلادهم. فهم إذا سافروا و أرادوا المطر [حركوا منه شيئاً يسيراً فينشأ الغيم فيوافي المطر][٧٧٧] و ان هم أرادوا الثلج و البرد زادوا فيه فيوافي الثلج و البرد.

و يقال إنهم إذا أومأوا إلى جهة من الجهات، مطرت تلك الجهة و أبردت.

فهذه قصتهم و ليس هذه من حيلتهم و لا قدرتهم و لكنها من قدرة الله تعالى.

قال أبو العباس: ثم وردت مدينة الشاش و اجتمع إلى قوم من أهلها لهم افهام و معرفة و علم بأحوال الترك فسألتهم فقالوا عندنا من جملة الأمر ما عندك.

فأما التفسير الذي ذكره باليقين فهو أعرف به إذ كان يخرج الحديث عن آباءه.

فقال: و لقيت هناك شيخاً من الكتاب القدماء يقال له حبيب بن عيسى و كان قد اجتمع اخبار وقائع نوح بن أسد و حروبه مع الترك، و فهم أمور ذلك الصقع، فأخرج إلى نسخة كتاب من عبد الله بن طاهر إلى نوح بن أسد، و في آخره [٧٧٨] نسخة كتاب المأمون إليه يأمره بالمسألة و البحث عما يتكلم به الترك في الاستمطار. قال

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤٢

حبيب: فجمع نوح مشايخ البلد و مسلمى الترك فسألهم عن الأمر فلم يختلفوا في أنه حق إلا أنهم لم يعرفوا العلة فيه.

قال أبو العباس: فسمعت إسماعيل بن أحمد أمير خراسان يقول: غزوت الترك في بعض السنين في نحو عشرين ألف رجل من المسلمين فخرج إلى منهم نحو ستين ألفاً في السلاح الشاك فواقعهم أياماً. فإني يوماً في قتالهم إذ اجتمع إلى خلق من غلمان الأتراك و غيرهم من الأتراك المستأمنه فقالوا لي: إن لنا في عسكر الكفرة قرابات و إخوان قد أئذرونا و خوفونا بموافاة [١٧١ أ] فلان- قال: و كان هذا الذي ذكروا عندهم كالكاهن و كانوا يزعمون أنه ينشئ سحاب البرد و الثلج و غير ذلك فيقصد بها من يريد إهلاكهم- و قالوا: قد عزم أن يمطر عسكرنا برداً عظيماً لا- تصيب البردة إنساناً إلا ما قتله. فانتهرتهم و قلت لهم: ما خرج الكفر من قلوبكم بعد، و هل يستطيع هذا أحد من البشر؟ قالوا: قد أئذرناك و أنت أعلم و الموعد غداة [غد][٧٧٩] عند ارتفاع النهار.

قال: فلما كان من الغد و ارتفع النهار نشأت سحابة عظيمة هائلة من رأس جبل كنت مستنداً بعسكري إليه. ثم لم تزل تنتشر و يزيد أمرها حتى أظلت عسكري كله. فهالني سوادها و مما رأيت منها و ما سمعت فيها من الأصوات الهائلة، و علمت أنها فتنة فنزلت عن دابتي و صليت ركعتين و أهل العسكر يموج بعضهم في بعض لا يشكون في البلاء. فدعوت الله عزّ و جلّ و عقرت وجهي في التراب و قلت: اللهم أغثنا إن عبادك يضعفون عن محتكك، و أنا أعلم أن القدرة لك و انه لا يملك الضر و النفع إلا أنت، إن هذه السحابة إن مطرت علينا كانت فتنة للمسلمين و سطوة للمشركين. فاصرف عنا شرها بحولك و قوتك يا ذا الحول و القوة.

قال: فأكثر [الدعاء][٧٨٠] و وجهي في التراب رغبة و رهبة إلى الله و علما أنه لا يأتي الخير إلا من عنده و لا يصرف السوء غيره.

فبينما أنا كذلك إذ تبادر إلى

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤٣

الغلمان وغيرهم من الجند يبشرون بالسلامة و أخذوا بعضدى ينهضونى من سجدي و يقولون: انظر، انظر أيها الأمير. فرفعت رأسى و إذا السحابة قد زالت عن عسكري و قصدت عسكر الترك تمطر عليهم بردا عظاما. و إذا هم يموجون و قد نفرت دوابهم و تقلعت خيمهم و ما تقع بردة على واحد منهم إلا أوهنته أو قتلته.

فقال أصحابى: نحمل عليهم. فقلت: لا، لأن عذاب الله أدهى و أمر، فلم يفلت منهم إلا القليل و تركوا عسكرهم بجميع ما فيه و هربوا. فلما كان من الغد جئنا [١٧١ ب] إلى عسكرهم فوجدنا فيه من الغنائم ما لا يوصف. فحملنا جميع ذلك و حمدنا الله على السلامة و علمنا أنه هو الذى سهّل لنا ذلك و ملكنا إياه و الحمد لله رب العالمين.

ذكر بعض مدن الأتراک و عجائبها

قال سعيد بن الحسن السمرقندى: منهم بادية يحلون و يرتحلون و ينتجعون الغيث و يتبعون الكلاً كما تفعل البوادي فى بلد الإسلام. و هم لا يدينون لملك و لا يعطون طاعة لأحد. يغير بعضهم على بعض فيسبون الحرم و الذرارى و ربما فارق القوم منهم الحى الذى كانوا فيه و صاروا إلى حى آخر و معهم من حرم أهل ذلك الحى الذين قد صاروا إليه و أولادهم قد استعبدوهم فلا يطالبونهم بهم، و هم ينظرون إليهم عبيدا لهم سنّة فيهم و شىء قد اصطلحوا عليه.

و لهم مدن كثيرة فى بعضها تجار و أموال و فى جميعها أسواق. فمنها مدينة التغرغز و هى أكبر مدائنهم و أحصنها و لها سور عظيم مبنى بالصخر و له خندق دائر به، فيه ماء غزير، و أهلها لهم شدة و إقدام فى الحرب و أكثر سلاحهم السيوف.

و من مدنهم أيضا مدينة يقال لها حيوس [٧٨١] تقرب من الشاش و هى كبيرة أيضا و أهلها بغير دين و هم شرار خلق الله يغير بعضهم على بعض و يقتل أقدرهم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤٤

ضعيفهم و لا يأمن الأخ أخاه و لا الوالد أبناءه. يأكلون جميع الحيوانات. الزنى فيهم ظاهر، يدخل الواحد منهم إلى منزل الآخر فيفترش حرمة و هو ينظر إليه لا يمتعض من ذلك و لا ينكره. و ليست لهم شجاعة و فيهم جمال و أكثر رجالهم مؤثنون و يشربون الدم. و فى وسط مدينتهم بحيرة غزيرة الماء إذا مات الواحد منهم ألقى فيها.

و من مدنهم أيضا مدينة يقال لها دى [٧٨٢]، لا يقول أهلها بالحرب بل يؤدون الاتاوة إلى كل من غلبت يده عليهم و ينكحون كل ما لحقوه من امرأة أو غلام أو حيوان [١٧٢ أ].

و من مدنهم مدينة يقال لها سور [٧٨٣] يقاتل أهلها أهل الشاش و أهل سمرقند، و لهم بأس شديد و نكاية عظيمة و لهم أوصاف يعرفون بها فى الحرب و لا- تكاد تخطئ. و فى رجالهم جمال و فى نسائهم قبح. و هم ينكرون الزنى و يقتلون من يفعله من الذكر و الأنثى. و لهم نبيذ يتخذونه من عقاقير يعرفونها، يسكر الرطل الواحد بالبغدادى منه سكرًا مفرطًا.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤٥

و من مدنهم مدينة يقال لها جريسم [٧٨٤] أكثر غارة أهلها على المدينة التى يقال لها سور، و إذا أسروا من أهلها إنسانا قطعوه و طبخوه و أكلوه و هم همج لا يكاد بعضهم يفقه قولاً و لا يعرف شيئا. و إذا خلا القوى منهم بالضعيف نكحه و لهم أيضا بأس شديد.

و من مدنهم أيضا مدينة يقال لها اغرس [٧٨٥] أهلها قد خالفوا جميع الأتراک باعتدال الطبع و سلامة الناحية. يأكلون لحم أكثر الحيوان بعد الذبح و يعبدون أوثاناً لهم. و فيهم علماء بمذهبهم، و لا يرون الزنى و يجتنبون الفواحش، و لهم بيت عبادة مفرط الطول و العرض و الارتفاع يزعمون أنه نزل من السماء على هيئته التى هو عليها. و يقولون: إنما نعبد الأوثان لتقربنا إلى الله و تشفع لنا عنده

لأنها بغير ذنوب. و لهم ملك منهم.

و من مدنهم مدينة يقال لها كرشيم [٧٨٦] يأكل أهلها كلما دب على وجه الأرض بغير تذكىة و لهم إقدام و صولة. و هم عراة كالبهائم يلقي الرجل المرأة فى الطريق فيجامعها و الناس ينظرون إليه. و هم أصحاب بيات و أكثر قتالهم بالنشاب المسموم و لا يعطون طاعة لأحد.

و من مدنهم مدينة يقال لها دكس [٧٨٧]، لأهلها بأس شديد و صبر على القتل.

و بعضهم شديد الحب لبعض و غيهم يعود على فقيرهم. و لهم يسار ظاهر من المواشى و الخيل و غير ذلك. و منهم تجار يخرجون إلى بلد الإسلام. و لهم وفاء
البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤٦

بالعهد إذا عاهدوا منهم دون جاره أو من يعرفه من غير بلده، إلا أن الزنى عندهم غير مستنكر. و مدينتهم كثيرة [١٧٣] أ الخير غزيرة المياه و البساتين و لهم ضروب من الفاكهة عجيبة لا تعرف فى بلد الإسلام.

و منهم مدينة يقال لها كيساه [٧٨٨] تقرب من بلد الخزر فأهلها يعزون على الخزر، و هم من شر خلق الله، إذا دخل الغريب مدينتهم نكحوه. و إذا وجدوا رجلا- مع غلام جعلوا الغلام له أبدا. و فى بلدهم ضرب من الحيوان يأكل الناس يكون فى قدر الكلب إلا أنه شديد الضراوة على الناس قل من يفلت منه إذا نظر إليه سريع الخطو يسبق الخيل المضمرة. و لهم نبيذ أبيض طيب الرائحة و الطعم.

يأكلون الميتة و الدم مثل السباع. قليلة رحمتهم، لثام الظفر قباح الوجوه قصار الأجسام.

و من مدنهم مدينة يقال لها داني [٧٨٩] رجالها طوال و نساؤها قصار و مدينتهم

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤٧

بين الخزر و الروم فهم يقاتلون هؤلاء و هؤلاء. و لهم قوة على الخزر و لا قوة على الروم. يأكلون جميع الحيوان و يلحسون جراحاتهم و يقاتلون بالسيوف و لا- صبر لهم على النشاب. يتزوج الرجل منهم بمائة امرأة و ربما ذبح الواحد منهم امرأته و ولده بحضرة أبى المرأة و أمها و إختها و أكلها هو و هم. و لهم جبل فيه ضرب من الحيات لا- يبلى سليمها. و لهم عقارب مفرطة العظم كثيرة فى منازلهم ليست تنال ربما أكلوها. و عندهم خفاش يكون الواحد منهم مثل الحمامة الكبيرة و أعظم.

و من مدنهم مدينة يقال لها سكوب [٧٩٠] و أهلها يتكلمون بالسريانية و لهم شجاعة و إقدام و نساؤهم يقاتلن معهم قتالا شديدا. و الزنى فى نساءهم طبع مركب، تنظر الواحدة منهن إلى الرجل الذى تشتتبه فتقبض عليه و لا يملك شيئا من نفسه و تمضى به إلى جبل بالقرب من المدينة فيه غيران و كهوف فتجعله فى بعض تلك الغيران و لا يسهل له الخروج. و تجيؤه بجميع ما يحتاج إليه. و لا يجوز لزوج- إن كان لها- أو أخ أو ولد منعها من ذلك. و كذا الرجل لا يمكنه الخلاص من يدها إن كانت [١٧٤] امرأة أو ولدا و غير ذلك من الأهل. فمتى يابى عليها قتلته. و كذلك [إن] منعها منه مانع، استنجدت من النساء اللواتى على مذهبا فقاتلن معها حتى يبلغن لها ما تريد لأنهن على مذهب واحد فبعضهن بعضا. فإذا ضجرت منه أو ملته أو هويت سواه صرفته إلى منزله ثم لم يقدرها غيرها على أن يقطعها لأنها تمنع من ذلك كان معها أو لم يكن.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤٨

و لهذه المدينة حمة عجيبة النفع تخرج من كهف فى جبل شاهق لا- يصل إنسان إلى الكهف الذى هى فيه، و إنما تجرى فيه إلى عشرة أبيات مبنية بالصخر:

سبعة للرجال، و ثلاثة للنساء. ماؤها فى الشتاء شديد الحر و ينقص حره فى الصيف. و فى هذا الجبل ثعالب سود و حمر و بلق قل ما يصطاد شىء منها لتغلغلها بين الشجر و قلته نزولها إلى السهل. و هى أصبر الحيوان على الثلج و كذلك جميع ما فى هذا الجبل لأن الثلج يقع فيه أكثر السنة.

و لهم مدن كثيرة و لم نذكرها و مدن ما وصل إليها إنسان من المسلمين و لا غيرهم يجيئوننا بصحة خبرها لأنها واغله في المشرق لا يبلغها أحد و لا يقصدها تاجر و لا غيره.

ألقاب ملوك خراسان و المشرق و الترك و النواحي الملتصقة بهم [٧٩١]:

ملك نيسابور: كيان.

ملك مرو: ماهويه.

ملك سرخس: راذويه.

ملك أبيورد: بهمنه.

ملك نسا: إيران.

ملك غرجستان: براز بنده.

ملك مرو الروذ: كيلان.

ملك زابلستان: فيروز.

ملك كابل: كابل شاه.

ملك الترمذ: ترمذ شاه.

البلدان، ابن الفقيه، ص: ٦٤٩

ملك الباميان: شيرباميان.

ملك السغد: أحشيد.

ملك فرغانة: أيضا أحشيد.

ملك رويشان: رويشان شاه.

ملك الجوزجان: كوزكان خداه [٧٩٢].

ملك خوارزم: خوارزم شاه.

ملك الحبش: حبش كيلان [٧٩٣].

ملك بخارا: بخارا خداه.

ملك أسروشنه: أفشين.

ملك سمرقند: طرخون.

ملك سجستان و بلاد الداور: زنبيل [١٧٤ ب].

ملك هراة و بوشنج و باذغيس: برازان.

ملك كش و الرخج: نيرون.

ملك ما وراء النهر: شار شاه.

أما ملوك الترك: هيلوب خاقان. جبغون. خاقان شابه. خاقان سنجر.

مايوس خاقان. فيروز خاقان.

و من ملوكهم الصغار: طرخان و نيزك و جورتكين و يمرون و سهران و غورك.

تم الكتاب بحمد الله تعالى إلى هاهنا. تأليف أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه من كتاب أخبار البلدان. و

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على نبيه محمد خاتم النبيين و رسول رب العالمين. [٧٩٤]

- [١] (١) معجم البلدان ١: ١١.
- [٢] (١) مختصر كتاب البلدان: المقدمة ص ٢. وانظر: المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني ص ٩.
- [٣] (١) معجم الأدباء ٤: ٢٠٠، و يوجد بعض هذه الترجمة في التدوين ١: ٣١.
- [٤] (١) تاريخ الإسلام ١٥: ٥٣.
- [٥] (٢) تذكرة الحفاظ ٢: ٦٠٨. وانظر عنه تاريخ الإسلام ٢١: ١٠٦ و العبر ١: ٤٠٣ و قال عنه: كان ثقة جوالا صالحا.
- [٦] (٣) تاريخ الإسلام ٢٢: ٢٥٥ و قد ورد البصرة عدة مرات (تذكرة الحفاظ ٢: ٦٤٣) و سير أعلام النبلاء ١٣: ٤٥.
- [٧] (٤) أنساب السمعاني ٤: ١٩٠.
- [٨] (٥) تاريخ الإسلام ١٧: ١٤١ و ميزان الاعتدال ١: ٣١٥ و تهذيب التهذيب ٢: ٣١٤. و هو نفسه الذي ورد في تهذيب الأحكام ٦: ٣٨٤ و في فروع الكافي ٥: ٢٦١ يروي عن الحسن بن إبراهيم. و كان السيد الخوئي (معجم رجال الحديث ٢: ١٢٠) قد رجح أن يكون (الحسن بن السري) و علل ذلك بقوله (لعدم وجود الحسين بن أبي السري في كتب رجال الحديث) (١: ٢٠٣). و انظر شواهد التنزيل ٢: ٢٩٣ حيث ورد بهذا الاسم: الحسين بن أبي السري.
- [٩] (٦) تاريخ بغداد ٤: ٣١٨.
- [١٠] (١) تاريخ الذهبى ٢٧: ٣٥٤. و قال في سير أعلام النبلاء ١٧: ٧٦ أنه ولد عام ٣١٨ هـ. و في تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٢٧ أنه عمّر تسعين سنة. و في التعبر ٢: ١٩٣ عاش تسعين سنة و توفي عام ٣٩٨ هـ.
- و في تاريخ التراث العربي المجلد الأول، الجزء الأول ص ٤٥١ أنه يوجد له كتاب في الحديث بالمكتبة الظاهرية. و نرجح أن الصحيح في ولادته هو عام ٣٠٨ لأنه عاش تسعين عاما كما قال مترجموه.
- [١١] (٢) تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٢٧ و سير أعلام النبلاء ١٧: ٧٦ و تاريخ الذهبى ٢٧: ٣٥٤.
- [١٢] (٣) تاريخ الإسلام ٢٧: ٢٦٥.
- [١٣] (٤) معجم البلدان ١: ٧٨٧.
- [١٤] (٥) تاريخ بغداد ٤: ٣٩٢.
- [١٥] (١) الثقات لابن حبان ٢: ٣٣٣.
- [١٦] (٢) انظر مثلا مادة (رومية) حيث قال «فهو من كتاب محمد بن أحمد الهمداني المعروف بابن الفقيه» و كذلك المواد: زمزم. صنعاء. عانة. قصر شيرين. المحمدية. و في فهرست و ستفلد لمعجم البلدان (ص ٦٤٠) تنبيه إلى ذلك حيث قال إن الصحيح هو أحمد بن محمد.
- [١٧] (٣) تاريخ قم ص ٢٣
- [١٨] (٤) التدوين ١: ٣١.
- [١٩] (١) اكتفاء القنوع ص ٤٩ و ٥١.
- [٢٠] (٢) فتوح البلدان ٢٩٦.
- [٢١] (١) الحيوان ٤: ١٤٣.
- [٢٢] (٢) ص ١٠ من مقدمة الدكتور نقولا زيادة لكتاب (من رحلات العرب).

[٢٣] (٣) تركستان ٧٥. و دائرة المعارف الإسلامية ٧: ١٨ مادة (جغرافيا).

[٢٤] (٤) ابن النديم ١٦٧.

[٢٥] (١) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١: ٢٢١.

[٢٦] (٢) ابن النديم ١٢٦.

[٢٧] (١) نفس المصدر ١٤٢.

[٢٨] (١) نشوار المحاضرة ٧: ١٢٨.

[٢٩] (٢) فرج المهموم ١٧٦.

[٣٠] (١) قصة الحضارة ٧: ١٨٨. و ورد في ٧: ١٨٨ منه:

«انعقد إجماع المؤرخين على أن أربعة كتب فقط هي من تأليفه و هي: (الحكم) و (الأدلة) و (تنظيم التغذية و العوائد في الأمراض الحادة) و رسالته (في جروح الرأس) أما ما عدا هذه الأربعة من المؤلفات المعزوة إلى أبقراط فمن وضع مؤلفين مختلفين عاشوا في أوقات مختلفة بين القرنين الخامس و الثاني قبل الميلاد.

[٣١] (٢) تاريخ طب در إيران ٢٤٨.

[٣٢] (٣) قال القفطي في أخبار العلماء ١٢٨: «ربن الطبري الطبيب اليهودي المنجم: هذا رجل من أهل طبرستان كان حكيما عالما بالهندسة و أنواع الرياضه و حلّ كتباً حكيمة من لغة إلى أخرى».

[٣٣] (١) انظر: فردوس الحكمة، الصفحات ٥٠١-٥٠٣.

[٣٤] (٢) تاريخ اليعقوبي ١: ١٠٥-١١٣.

[٣٥] (٣) هداية المتعلمين ١٥٠.

[٣٦] (٤) تاريخ التراث العربي المجلد الرابع: ٤٧٦.

[٣٧] (١) نفس المصدر ص ١١٢ و ١١٩. و يقول ابن النديم ٣٧٢: «و كتابه فيما عمله بمدينة و بممالك الملوك من الطلسمات، معروف مشهور».

[٣٨] (٢) فردوس الحكمة ٥٤٩ و فيه «فذكروا أنهم صعده في يومين و ليلتين و بعض اليوم الثالث».

و يتفق هذا الزمن عن صعود الجبل مع ما ذكره البيروني في الصيدنة (٥١٩) نقلا عن ابن ربن.

و في تاريخ طبرستان (٨٣) ان المدء هي يومان و قال إنه قد نقل ذلك عن (فردوس الحكمة).

إلا أن ابن الفقيه قال إنهم صعدهوا إلى رأسه في خمسة أيام و خمس ليال.

[٣٩] (١) معجم البلدان ٣: ٥٨ (مادة: سدّ أجوج و مأجوج).

[٤٠] (٢) تاريخ غرر السير ٤٤٠.

[٤١] (٣) أحسن التقاسيم ٢٧٧ (طبعة بيروت).

[٤٢] (٤) مجمل التواريخ و القصص ٤٩٠.

[٤٣] (٥) تركستان ٧٥.

[٤٤] (١) تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء ٩-١٠.

[٤٥] (٢) لغت فرس ص ٤٦ و قال الباحث الإيراني ذبيح الله صفا إن هذه القصة هي من الملاحم البهلوية التي نجد لها أثرا في الآداب الإسلامية، انظر ص ٤٥ من كتابه حماسه سرايي در إيران.

[٤٦] (١) كتاب الفتن. الورقة ٨٣ ب.

[٤٧] (٢) دلائل الإمامة ٢٣٥ و يزيد بن أبي زياد (١٤٧-١٣٦ هـ) له ترجمة في تهذيب التهذيب ١١:

٢٨٧ ذكر فيها شيوخته و من روى عنه. و انظر تاريخ الإسلام ٨: ٥٦٥.

[٤٨] (٣) الكامل في ضعفاء المحدثين ٧: ٢٧٥.

[٤٩] (١) تاريخ بيهق ١٥١-١٥٤.

[٥٠] (١) تاريخ الإسلام ٢: ٦١.

[٥١] (٢) تذكرة الحفاظ ٢: ٥٨٦.

[٥٢] (٣) سير أعلام النبلاء ١٢: ٦٣٢.

[٥٣] (٤) تاريخ بغداد ٦: ١٢٠.

[٥٤] (٥) ميزان الاعتدال ١: ٣٢٤.

[٥٥] (٦) تاريخ بغداد ٤: ٦٣ و ٣: ٤١٤ و ١١: ٤١. و في شواهد التنزيل رواية لأبي حامد المستملى هذا عن إبراهيم بن الجنيد أى الختلى الذى ذكرناه آنفا.

[٥٦] (١) تاريخ بغداد ١١: ٢١١ و فى الأصل: مات سنة سبعين من غير لفظه مائتين. و فى الجرح و التعديل ٦: ١٣٦ «إنه كان يحدث فى الدور» و هو ما يؤكد صفة (القاص) له.

[٥٧] (٢) انظر عنه تاريخ الإسلام ١٥: ٥١ و قد ذكر محققه بهامشه الكثير من مصادر ترجمته.

[٥٨] (٣) تهذيب التهذيب ٥: ٣٣٤-٣٣٨. و له ترجمة وافية فى تاريخ الإسلام ١٢: ٢٢٠-٢٤٨.

و تذكرة الحفاظ ١: ٢٧٥. و فى تاريخ بغداد ١٠: ١٥٢-١٦٩.

[٥٩] (١) تاريخ الإسلام ١٨: ٣٤.

[٦٠] (٢) رجال النجاشى ٦٥.

[٦١] (٣) الجامع فى الرجال ٦٠٤.

[٦٢] (٤) معجم البلدان ٣: ٦٢٠ و أنساب السمعانى ٤: ٤٠٣ و رجح آقا بزرك أنه من أوائل المئة الرابعة بدلالة أن جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى سنة ٣٦٩ هـ يروى عنه. (الذريعة ٢: ٦٤).

[٦٣] (١) تاريخ الأدب الجغرافى العربى ١: ١٣١. و انظر أيضا دائرة المعارف بزرك إسلامى مادة (ابن فقيه) ٤: ٤١١.

[٦٤] (٢) الأنساب ٤: ٨٨.

[٦٥] (١) تاريخ طبرستان ٢٢٢.

[٦٦] (٢) تاريخ الطبرى ٩: ٣٥٥ و ٤٠٠ و ٤٠٤.

[٦٧] (٣) روى عنه الطبرى ٤: ٥٣٢ خبرا واحدا رواه المروزي بدوره عن الحسن بن الحسين العربى (فى ميزان الاعتدال ١: ٤٨٣، العربى الكوفى. قال أبو حاتم: لم يكن بصدوق عندهم. كان من رؤساء الشيعة. و قال ابن عدى: لا يشبه حديثه حديث الثقات...).

[٦٨] (٤) هو الذى روى عنه ابن الفقيه أخبار بلاد الترك.

[٦٩] (٥) له ترجمة فى تاريخ الإسلام ١٣: ٣٧١. و ورد فى كتاب القند (الورقة ٦٤ أ) أنه كان عارضا بجرجان. و منصب العارض منصب خطير يشمل إدارة ديوان العرض، عرض الجيش و كتابة أسمائهم و تعيين رواتبهم و تحديد مراتبهم و يمكن مقارنتها بما نسميه اليوم وزارة الدفاع.

انظر: (اصطلاحات ديوانى دوره غزنوى و سلجوقى ص ١١٦-١٢٠).

[٧٠] (١) تاريخ الإسلام ٢٢: ٢١٧-٢٢٢. كان الرافعى قد روى ما يدل على أنه كان حيا عام ٢٩٨ هـ- قال فى التدوين ٣: ٤٩٢: «رأيت

- بخط أبي الحسن القطان: حدثنا أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى المروزي بقروين إملاء سنة ثمان و تسعين و مائتين ...»
- [٧١] (٢) انظر الخبر كاملا في تاريخ الإسلام ٢٢: ٢١٨-٢٢١. و في سير أعلام النبلاء ١٣: ٥٧٢ «إنها لا تأكل و لا تشرب و لا تروث» و في آثار البلاد (٥٦٧) قال إنها ماتت عام ٢٦٨ هـ.
- [٧٢] (٣) تاريخ جرجان ٣٢٦.
- [٧٣] (٤) نحتمل أن يكون ابن عيسى هذا هو نفسه أبو النجم حبيب بن عيسى صاحب الإضافات على كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي (الصفحات ٧٤، ٧٥، ١١١، ١٤٨).
- [٧٤] (٥) اعتمدنا في هذا على المؤرخ العتبي الذي قال: «استولى على الملك في الثلاثاء منتصف شهر ربيع الأول سنة ٢٨٧ و حكم مدة ثمانى سنوات و توفى في ١٤ صفر سنة ٢٩٥ في بخارا».
- ترجمة تاريخ يميني ص ٢٠٠.
- [٧٥] (١) تاريخ بغداد ١١: ١٧٠-١٧١
- [٧٦] (٢) الصيدنة ٦٣٨. و الجماهر ٢١٩ تفصيل آخر عن النخب أيضا و حدد مكانه بأنه في مفازة وراء وادى الخرلخ أسود شرب قليل الحمرة».
- [٧٧] (٣) الآثار الباقية ٢٤٦.
- [٧٨] (٤) الجماهر ٢١٩.
- [٧٩] (١) ديوان لغات الترك ٢: ٢٨٥ و ٣: ١١٩.
- [٨٠] (٢) نزهت نامه علائى ٢٨٤.
- [٨١] (٣) نوادر التبادر ١٦٣.
- [٨٢] (٤) عجائب المخلوقات ١٤٧.
- [٨٣] (١) تاريخ قم ١٣٠، ١٠٤، ١٠٥.
- [٨٤] (٢) بلدان الخلافة الشرقية ٤٦٣.
- [٨٥] (٣) عبد الحى حبيبي: تاريخ أفغانستان ١٦. و كان قد قال قبل ذلك إن كلمة بهار أو و هارة تعنى بالسنسكريتية المعبد أيضا.
- [٨٦] (٤) فضائل بلخ ٤٦.
- [٨٧] (١) الأبنية عن حقايق الأدوية ١١٧. و الخنازير هو مرض Scrofula أو King 'sevil و هو الغداب أو الخنازيرى، داء الملك: سل الغدد اللفافية و بخاصة فى العنق (المورد للبلعكى. قاموس إنكليزى-عربى).
- [٨٨] (٢) من ترجمته فى تاريخ بغداد ٤: ١٨٧-١٨٩ و أضاف أن له كتابا فى تاريخ مرو. و انظر (تهذيب الكمال للمزى ١: ٣٢٣-٣٢٤).
- [٨٩] (٣) جغرافيا دار الإسلام البشرية ج ٢ ق ٢ ص ٨٨. و كما فى حدود العالم ص ٨٦ فهم «يغسون ياسو» و قال أندريه ميكيل يجب أن نفهم أن يغسون هم: يوغره (يورهر).
- [٩٠] (١) دائرة معارف البستاني ٥: ٤٢١ (بسكوف).
- [٩١] (٢) جغرافيا دار الإسلام البشرية ج ٢ ق ٢ ص ٣٧.
- [٩٢] (١) جغرافيا دار الإسلام البشرية ج ٢ ق ٢ ص ٨٠.
- [٩٣] (٢) نفس المصدر ص ٣٧.
- [٩٤] (٣) رسالة ابن فضلان ١٣٥، ١٣٨.

[٩٥] (٤) نفس المصدر ١٢٦. وقد قرأها فرهن هكذا أي (و يسو) كذلك قرأها محقق رسالة ابن فضلان إلى العربية الدكتور سامي الدهان. وقد قال في الهامش إن الناسخ كتبها في المخطوطة (ويسوا) بألف بعد الواو كما يفعل دائما بعض النساخ بواو الجمع. انتهى كلامه.

أما ناسخ مخطوطة التفهيم (ص ١٤٥) فقد كتبها: انسوا. و كتبها محقق الكتاب و مترجمه إلى الإنكليزية الأستاذ رمزي رايت: Ansu. بعد كل هذا، لنا أن نفترض أن صواب الكلمة هو (ويسوا) أو (ايسوا).

[٩٦] (١). ٩١. P. FINLAND CREATION AND CONSTRUCTION و يقول موريس لو مبارد الأستاذ في المدرسة العملية للدراسات العليا و في دار المعلمين العليا بباريس إنه في الفترة الواقعة بين القرنين الثامن و الحادي عشر الميلاديين كان ينتشر خلف بلاد السلافيين (الصقالبة)، باتجاه نهر البلطيق (هو بحر ورنك عند الجغرافيين العرب)، الأقوام الفينية التي يدمجها الجغرافيون العرب مع الصقالبة. انظر ص ٢٦٠ من كتابه الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي. [٩٧] (٢) نخبة الدهر ٣٤٤.

[٩٨] (١) الفهرست ١٧١. و لابن الفقيه كتاب آخر ذكره هو في كتابه البلدان فقال بعد أن انتهى من أخبار خالد بن سنان: «و قد ذكرنا أخباره في كتاب العجائب» (١٢٩ ب).

[٩٩] (٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١: ٢٢٢. و لقد كان الجيهاني في الوجود آنذاك و يبدو أن كراتشكو فسكى قد التبس عليه الأمر فخلط بينه و بين جيهاني آخر. فالمعروف أن الجيهاني و هو أبو عبد الله محمد بن أحمد قد تولى الوزارة لنصر بن أحمد الساماني منذ عام ٣٠١ هـ. أما الأستاذ بروكلمان (٤: ٢٤٤) فقد ذهب إلى أنه «أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني وزير نصر بن أحمد بن نصر الساماني (٢٦١-٢٧٩ هـ) و أن الكتاب كتب في بخارى بين سنتي ٢٧٩ و ٢٩٥ هـ». [١٠٠] (٣) معجم الأدباء ٤: ٢٠٠.

[١٠١] (٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ٢: ٩ تعليق للأستاذ خدابخش.

[١٠٢] (٥) محاضرة في المهرجان الألفي لابن سينا. (كتاب المهرجان ص ٢٥٦). و قال إن مؤلف الكتاب هو أبو عبد الله أحمد بن محمد الجيهاني وزير الأمير السديد منصور بن نوح ثم وزير الأمير الرضى نوح بن منصور. انتهى كلامه. و الحقيقة هي أن مؤلف المسالك هو أبو عبد الله محمد بن أحمد وزير نصر بن أحمد. و أن الذي ذكره الدكتور جواد هو حفيد الوزير المذكور آنفا. و كان المحقق الإيراني قزويني المتوفى عام ١٩٤٩ كتب بحثا ذكر فيه مجموعة من آل الجيهاني و منهم الوزراء و قال إن الأول منهم و هو أبو عبد الله محمد بن أحمد هو صاحب المسالك (ياد داشتهاى قزوينى ٢: ٣٩٤-٤٠١) و قد فصل شيئا من حياته و علمه و إرساله المبعوثين إلى البلدان، المؤرخ گرديزي في تاريخه ص ٣٣٠. و انظر أيضا تركستان لبارتولد ٧٤، ٢٠٤. و نقرأ أيضا لدى المسعودي: «أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد صاحب خراسان. ألف كتابا في صفة العالم و أخباره و ما فيه من العجائب و المدن و الأمصار و البحار و الأنهار و الأمم و مساكنهم و غير ذلك من الأخبار العجيبة و القصص الظريفة». التنبيه و الإشراف ٦٥.

أخيرا لا- تثير على من يخطئ في من يكون الجيهاني صاحب المسالك. فابن النديم قد التبس عليه الأمر (انظر ص ١٥٣ و ٤٠١). و تابعه على ذلك ياقوت في معجم الأدباء (انظر ٤: ١٩٠) اعتمادا على ابن النديم.

[١٠٣] (١) تركستان ٧٤-٧٥.

[١٠٤] (١) أحسن التقاسيم (طبعة دي خويه) ص ٥ هامش. و هو منقول عن أحد مسودات الكتاب. و قد قال في ص ٤ منه: «و أما الجاحظ و ابن خرداذبه فإن كتابيهما مختصران جدا لا يحصل منهما كثير فائدة».

[١٠٥] (٢) مختصر كتاب البلدان ٢.

[١٠٦] (١) مقدمة منو جهر ستوده للكتاب ١٨ و ٢١.

[١٠٧] (١) انظر ص ٣٠٠ من فهرست فرديناوند و ستنفلد محقق أفضل طبعة للكتاب ظهرت حتى الآن.

حيث ذكر ٩٨ موضعا و أضفنا خمسة مواضع سها عنها قلمه.

[١٠٨] (١) انظر نماذج أخرى باسم محمد بن أحمد و فى نفس المادة يحذو فيها القزوينى حذو ياقوت فيما يلى: صنعاء (ياقوت ٣:

٤٢١) و القزوينى (٥٠) سوى أن القزوينى اختصر المادة قليلا. زمزم (ياقوت ٢: ٩٤٢) و القزوينى (١٢٠). قصر شيرين (ياقوت ٤: ١١٣)

و القزوينى (٤٤١).

و يقتضى الإنصاف أن نقول إنه كان يحدث أن يكون الاسم صحيحا لدى ياقوت لكنه مكتوب بصورة مغلوطه لدى القزوينى. ففى

مادة جبل شبام نجد ياقوتا يقول (٣: ٢٤٨)، قال أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني بينما نجد القزوينى (١١٦) يقول فى نفس

المادة: قال محمد بن أحمد بن إسحاق الهمذاني. و قد كرر هذا الغلط فى مادة طرسوس لدى القزوينى (٢١٩) بينما كان ياقوت قد

نقل نفس المادة عن ابن الفقيه مع ذكر اسمه الصحيح و هو أحمد بن محمد (٣: ٥٢٦).

[١٠٩] (١) سفر نامه أبو دلف در إيران. المقدمة ص ٢٠ و ٣٤-٣٥ و قد ذكر أمثلة أخرى من خصائص المخطوطه مثل خلطه فى

الضمائر و الصفات فى التذكير و التأنيث أو تمييز الأعداد. أو التاء الطويلة بدلا من القصيرة و غير ذلك.

كما تبه إلى كتابته الأسماء التى فيها حرف الدال، بحرف الذال، فهو يكتب بغداد بالذال فيقول بغداد. و يرى مينورسكى أن تلك

كانت طريقة سائدة فى الكتابة العربية و الفارسية. و قد أهملت الكتابة بالذال فى بداية القرن السابع الهجرى.

و بدورنا فقد كتبنا كلمة (بغداد) التى وردت فى كافة أرجاء الكتاب و خاصة الفصل الخاص بمدينة السلام بغداد- بصورة عامة-

كتبناها بالذال.

[١١٠] (١) عزا ياقوت ١: ١٦ هذا القول عن مساحة الأرض إلى عمر بن جيلان.

[١١١] (٢) الخوارزمى (بعد ٢٣٢ هـ-) انظر عنه فهرست ابن النديم ٣٣٣ و الأعلام: ٧: ١١٦.

[١١٢] (٣) فى تاريخ مختصر الدول ١٤٠: رياضى له اليد الطولى فى علم الفلك و الأحكام النجومية و تصانيفه مشهورة عند أهل هذا

العلم فى الموالي و الأدوار. و انظر: التنبيه و الاشراف ٣٩.

[١١٣] (١) ما نسميه اليوم: أوربا.

[١١٤] (١) يبدو أن سبط ابن الجوزى قد نقل ما يتعلق بهذا البحر عن النسخة الكاملة من الكتاب فقال فى مرآة الزمان، السفر الأول

٩٨ تحت عنوان (البحر الشرقى).

(ذكر أحمد بن محمد بن إسحاق فى كتاب البلدان و قال: ليس فى العالم أكبر من هذا البحر- يعنى غير البحر المحيط- قال: فإنه

يأخذ من المغرب و ينتهى إلى الصين، فيمر على النوبة و الحبشة ثم على القلزم ثم إلى وادى القرى و جدة و زبيد و عدن و الشحر و

حضر موت و عمان و الديبل و فارس إلى المشرق و جميع بلاد السند و الهند عليه. سيفهم شتاؤنا و شتاؤنا سيفهم، فكانوا و كان

شباط عندهم مثل حزيران و تموز و آب عندنا. و عللوا ذلك بقرب الشمس من الأقاليم و بعدها. و قال: و ذكر من لا خبرة له به أن

عمق الماء فيه فى مواضع باع أو أكثر).

[١١٥] (١) قال ياقوت فى معجم البلدان انه من دمياط و لقبه بالبيروتى (١: ٦٠٦).

[١١٦] (٢) فى أساس البلاغة قاموس البحر: قعره الأقصى.

[١١٧] (١) نقل القزوينى نسا شيها بهذا فى آثار البلاد ص ٣٠ نوره بنصه:

« بهذه الجزيرة- الزابج- قوم على صورة البشر، إلا أن أخلاقهم بالسباع أشبه، يتكلم بكلام لا يفهم، و يطفر من شجرة إلى شجرة، و بها

صنف من السنابير لها أجنحة كأجنحة الخفافيش من الأذن إلى الذنب. و بها و عول كالبقر الجبلية، ألوانها حمر منقطه بياض، و

أذنانها كأذنان الظباء و لحومها حامضة. و بها دابة الزباد و هي شبيهة بالهر يجلب منها الزباد، و بها فارة المسك. و بها جبل النصبان، و هو جبل فيه حيات عظام تبلع البقر و الجاموس و منها ما يبلغ الفيل. و بها قرده بيض كأمثال الجواميس و الكباش، و بها صنف آخر بيض الصدر سود الظهر».

[١١٨] (١) أخبار الصين و الهند لسليمان التاجر ٢٢ (خطفوا- و هذه لفظة يستعملها أهل البحر، يعنى يقلعون).

[١١٩] (٢) لدى سليمان ٢٣ (لنجالوس).

[١٢٠] (٣) سليمان ٢٤ (كندرنج).

[١٢١] (١) سليمان ٢٤ (صنف فولاو).

[١٢٢] (٢) إلى هنا يتوقف عن النقل من سليمان التاجر ثم يبدأ فى نقل المقطع المتعلق ب (صنجي) من مصدر نقل عنه المسعودى فى المروج ١: ١٧٥.

[١٢٣] (٣) ما بين العضادتين نقلناه عن المسعودى ليكمل معنى النص كما عدلنا كلمة (شبيها) الموجودة فى الأصل لتصبح (شبيهن) و تتسق مع المعنى العام. علما بأن بقية الكلام موجود فى المسعودى لغاية: تلقاه الجوانكرك بمنقاره فابتلعه. و ما جاء بعدها و هو ما يتعلق بالجبل القريب من زايج فهو منقول عن سليمان التاجر ٢٥.

[١٢٤] (١) نقل هذا النص القزوينى عن ابن الفقيه، فى آثار البلاد ص ٨١.

[١٢٥] (١) البد، هو الصنم. و هو بالفارسية: بت.

[١٢٦] (٢) عن القزوينى ص ٤٦، ٥٥.

[١٢٧] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، جلد ١، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.

[١٢٨] (١) عن القزوينى ص ١٠٥.

[١٢٩] (١) كل ما مرّ أعلاه نقله ابن الفقيه عن سليمان التاجر.

[١٣٠] (١) عن القزوينى فى آثار البلاد ص ١٢٢ و كان يتحدث عن صنم عظيم بالهند فنقل هذا النص عن ابن الفقيه.

[١٣١] (١) هو ابن الزبعرى السهمى (أخبار مكة ١: ١١١).

[١٣٢] (١) ما بين عضادتين زيادة من ياقوت (زمزم) و لا ندرى هل يقف فى نقله عن ابن الفقيه عند هذا الحدّ أم أن ما بعده لابن

الفقيه أيضا. فهو لم يذكر أين انتهى نقله. و فى آثار البلاد ص ١٢٠ نقل عن ابن الفقيه ان ذرع زمزم أربعون ذراعا.

[١٣٣] (١) عن هذا الصنم انظر: أخبار مكة ١: ٢٢٥.

[١٣٤] (١) حدود الحرم و المسافة بين بغداد و الحرم لدى ابن خرداذبه ١٣٢.

[١٣٥] (١) روى ياقوت (الطائف) هذا الخبر عن المدائنى.

[١٣٦] (١) عن معجم البلدان ٢: ١١١-١١٢ (الجماء). و قد صرح بنقلها عن ابن الفقيه.

[١٣٧] (١) ذكر ابن النديم ١٢٣ ان للزبير بن بكار كتابا باسم (كتاب العقيق و أخباره).

[١٣٨] (٢) ما بين العضادتين مواد نص ياقوت على أن ابن الفقيه قد ذكرها فى كتابه- و ياقوت ينقل عن أصل كتاب البلدان- فأثرنا

وضعها فى موضعها و هى فى معجم البلدان حسب تسلسل ورودها هنا (٢: ٣٨٥ و ٣: ٤٥٧، ٦٨٢ و ٧٧٩. و فى المشترك وضعها و

المفترق صقعا (١٠٩ و ١٥٨) حيث ذكر مادتي (باب الجينة) و (خفية).

[١٣٩] (١) ما بين العضادتين من معجم البلدان ٣: ٦٠٨، ٨١٤، ٨٧٨.

[١٤٠] (١) ما بين العضادتين من معجم البلدان ٢: ٩٦٨ و ٣: ١٠٤.

[١٤١] (١) عن معجم البلدان ١: ٢٩.

- [١٤٢] (٢) عن معجم البلدان ٢: ٤٥٠ ولا نعلم إن كانت بقية الكلام المذكور في المعجم بعد هذا تابع لكلام ابن الفقيه، أم منقول عن أحد كتب الأصمعي بصورة مباشرة.
- [١٤٣] (٣) عن معجم البلدان ٣: ٦٣٢، ٧٣٨، ٧٦٦.
- [١٤٤] (١) عن معجم البلدان ٣: ٩٦.
- [١٤٥] (١) عن معجم البلدان ٣: ٤٢٢ والقزويني ص ٥٠. ولا نعلم إن كان الكلام الذي يليه في المعجم تابع لكلام ابن الفقيه أم لا و يبدأ بقوله: وقال أبو محمد اليزيدي (و هو يحيى بن المبارك المتوفى عام ١٨٠ هـ).
- [١٤٦] (١) حافظ معروف من حفاظ الحديث توفي عام ٢٠٦ هـ. انظر ترجمته في العبر ١: ٢٧٤ و جامع الرواة للأردبيلي ٢: ٣٥٤. و تذكره الحفاظ ١: ٣١٧.
- [١٤٧] (١) في أخبار الزمان ٣٨ النسناس و هو كمثل نصف الإنسان بيد واحدة و رجل واحدة و يثب و ثبا و يعدو عدوا شديدا و كان ببلاد اليمن و ربما كان ببلاد العجم و العرب تصيده و تأكله).
- انظر عنه معجم الحيوان للمعلوف ص ١٦ عن الأساطير المتعلقة بحيوانات شبيهة به.
- [١٤٨] (١) غاصب البحر إشارة إلى الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا- كما في سورة الكهف الآية ٧٨.
- و قال دى خويه في هامش تحقيقه لمختصر البلدان ان حمى الدبر هو عاصم بن ثابت بن أبي الأكلح. و معروف أن غسل الملائكة هو حظلة بن أبي عامر. و من اهتز العرش لموته هو سعيد بن معاذ و في خبر انه خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين). و مكلم الذئب هو أهبان بن عياذ.
- [١٤٩] (١) ما بين عضادتين نقلناه عن آثار البلاد الذي نص على أنه قد نقله عن ابن الفقيه. انظر ص ٦٣ و ٦٨.
- [١٥٠] (١) عن منصور بن عمار انظر فهرست ابن النديم ص ٢٣٦.
- [١٥١] (١) لعلها (الجزرة) قال ابن منظور: الجزر من السلاح و الجمع الجزرة و الجزر و الجزر: العمود من الحديد، معروف، عربي. و قال في برهان قاطع (كرز) عمود حديد، و تقال للهاوة المصنوعة من الخشب.
- [١٥٢] (١) وقعت الأحداث أعلاه كما يلي:
- الظفر بهارون الشاري كان عام ٢٨٣ هـ.
- جىء برأس رافع فنصب ببغداد عام ٢٨٤ هـ.
- تمت السيطرة على طبرستان و خطب للمعتضد على منابرها في ٢٨٧ هـ.
- ألقي القبض على ابن الشيخ في ٢٨٧ هـ.
- هرب و سيف و إلقاء القبض عليه و قتله في ٢٨٨ هـ.
- جىء بعمر بن الليث أسيرا إلى بغداد عام ٢٨٨ هـ. و كان المعتضد و هو على فراش الموت يومئ بيديه إلى أحد خدمه بقتل عمرو إلا أن ذلك الخادم لم يفعل، ثم مات المعتضد ٢٨٩ ثم قتل عمرو في نفس العام عند أول دخول المكتفى إلى بغداد. انظر الطبرى ١٠: ٤٣-٨٨ عن الأحداث أعلاه. و كذلك ابن الأثير ٧: ٥١٦.
- [١٥٣] (١) لعل الأصل هو: ان لا يطلبوا لعيوبى.
- [١٥٤] (١) كذا في الأصل، و لعلها: الخبز.
- [١٥٥] (٢) من (و أرض مصر محدودة...) إلى (و عشرة أميال) في ابن خردادبه ص ٨٠، ٨٣.
- [١٥٦] (١) لم نهتد إلى معناها.
- [١٥٧] (١) في معجم البلدان ٤: ٧٦٦ (و يقال إنه أيضا بنهر السند إلا أنه ليس في عظم المصرى، فإذا عضّ...).

[١٥٨] (١) جمع باقول، و هو الكوب (أساس البلاغة، بقل).

[١٥٩] (١) الصواب: و بمصر، الهرمان.

[١٦٠] (١) لعلها: فكاذ.

[١٦١] (١) سيتحدث المؤلف فيما بعد عن ثلاث عشرة مدينة باسم الاسكندرية.

[١٦٢] (١) فى الأصل أربعة.

[١٦٣] (١) عن آثار البلاد ص ١٤٩.

[١٦٤] (١) عن آثار البلاد ص ١٨. و لا ندرى هل يتوقف القزوينى فى النقل عن ابن الفقيه إلى هذا الحد، أم أن الكلام الذى يلى

هذا المنقول تابع لابن الفقيه أيضا؟ لا نملك دليلاً يقيناً فى ذلك. و كان القزوينى قد حدد موقع بلاد التبر بقوله (هى بلاد السودان فى جنوب المغرب). و قد نقل ياقوت ١: ٨٣٢ عن ابن الفقيه معلومة (بلاد التبر) هذه أيضا.

[١٦٥] (١) من هنا و ما بعده يوجد بعضه لدى ابن خرداذبه ٨٧-٩٠.

[١٦٦] (١) نرجح أنه صالح بن على بن يعقوب بن المنصور أحد أفراد الأسرة العباسية. و قد توفى عام ٢٦٢ هـ - (ابن الأثير ٧: ٣٠٥).

[١٦٧] (١) من قوله (اعراض البربر: هواره ...) أعلاه، إلى هنا (المرجان) موجود فى ابن خرداذبه ٩٠-٩٢ إلا أنه مختصر هنا.

[١٦٨] (٢) عن معجم البلدان ١: ٥٤٣ (بربر).

[١٦٩] (١) معجم البلدان (بالحميرية) و قد أكملنا بعض الفجوات فى خبر هذه المدينة اعتمادا عليه إذ ان ياقوت الحموى كان يعتمد

على النسخة الكاملة من كتاب ابن الفقيه. انظر ٤: ٤٥٥-٤٥٧.

[١٧٠] (١) لدى ياقوت (ولدى).

[١٧١] (١) عن ياقوت: ١: ٧٨٧.

[١٧٢] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، اجلد، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.

[١٧٣] (١) فى العهد القديم (الملوك الأول ١١: ٣) (و كان له سبعمائة زوجة و ثلاثمائة سريّة).

[١٧٤] (١) فى التكوين ٢٨: ٢ فدان آرام و تقع فيما بين النهرين.

[١٧٥] (١) فى الأصل: أربع.

[١٧٦] (٢) فى الأصل أربعة.

[١٧٧] (٣) فى الأصل: خمسة.

[١٧٨] (١) طور زيتا: نرجح انه جبل الزيتون الواقع إلى الجنوب الشرقى من أورشليم و يلتقى بوادى جهنم (وادى ابن هنوم) جنوب

أورشليم. و عليه فإن القادم من الشرق سيشرف على المسجد الأقصى إذا جاءه من جهة جبل الزيتون (يلغ ارتفاعه ٢٦٨٢ قدما فوق سطح البحر). عن هذه المواقع انظر: مفصل العرب و اليهود ص ٧٢٤ و هامش كتب التاريخ من العهد القديم (ط دار المشرق) ص

٨١٤ تعليقا على ما ورد فى سفر الأخبار الثانى ٢٨: ٣.

[١٧٩] (١) هو الملك الفارسى كورش الذى استولى على بابل عام ٥٣٩ ق.م. ثم سمح عام ٥٣٨ ق.م.

لليهود الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل بالعودة إلى أورشليم و إعادة بناء الهيكل الذى هدمه نبوخذ نصر.

[١٨٠] (١) عن معجم البلدان ٢: ١١٠.

[١٨١] (١) فى الأصل: أربعة.

[١٨٢] (١) هو الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بن مروان حكم من (٨٦-٩٦ هـ).

[١٨٣] (١) إن كان المقصود ب(و المسالك و الممالك) كتاب ابن خرداذبه فهذا النص غير موجود فيه. اللهم ألا أن تكون هناك

نسخة أوسع من هذا الكتاب نقل عنها ابن الفقيه.

[١٨٤] (١) القص هو الجص (أساس البلاغة).

[١٨٥] (١) هو أوس بن ثعلبة التيمي كما في معجم البلدان مادة (تدمر).

[١٨٦] (١) في معجم البلدان ٣: ٧٦١ قال ابن الفقيه: كان تجديد زربي و عمارتها على يد أبي سليمان التركي الخادم في حدود سنة ١٩٠ و كان قد ولى الثغور من قبل الرشيد).

[١٨٧] (١) كلام الجاحظ هذا في الحيوان ٣: ١٤٣.

[١٨٨] (٢) من قوله (و كور الأردن) إلى هنا لدى ابن خرداذبه ص ٧٨.

[١٨٩] (١) من قوله (قالوا: و من أقام ...) إلى هنا في حيوان الجاحظ ٤: ١٣٥، ١٣٩.

[١٩٠] (١) في حيوان الجاحظ ٦: ٩٩.

زر وادي القصر نعم القصر و الوادي لا بد من زورة عن غير ميعاد

ترى به السفن كالظلمان واقفه و الضب و النون و الملاح و الحادي [١٩١] (٢) هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة. (الأغاني ٢٠: ٧٥-١١٨) و تاريخ التراث العربي مج ٢ ج ٤ ص ٢٠٢. و بقية هذا الشعر في حيوان الجاحظ ٦: ٩٩.

[١٩٢] (١) الصواب: سونايا و هي قرية ببغداد بقيت في موضعها بعد إنشاء بغداد و صارت تعرف بالعتيقة و إليها ينسب العنب الأسود الذي يبكر على سائر العنب مجناه (ياقوت ٣: ١٩٧، ١٩٣).

[١٩٣] (١) الاصطلاحات أعلاه هي: ايارجات: قال في برهان قاطع ١: ١٩٢ اياره على زنة شرارة:

مركب من مجموعة أودية مليئة يركب منها دواء مسهل. معربها: ايارجة.

أما الشليثا و الترياق و التياذريطوس. فقد ورد في كتاب هداية المتعلمين ٢٥٦ علاج للسكنة البلغمية التي تنسد فيها التجاويف الدماغية بواسطة البلغم اللزج (ص ٢٥٥) و هو (الشليثا و الترياق و المشروديطوس).

و لم نعثر على خبر للشليثا، أما الترياق فهو دواء نافع من لدغ الهوام و السموم و هو البادزهر:

ما يمنع ميكانيكيا امتصاص السم من المعدة و الأمعاء (المصطلحات العلمية و الفنية ص ٩٠) قال في برهان قاطع ٤٩٣ (يقال له بالعربي: حجر التيس).

مشروديطوس من المعاجين الطبية يستخدم لعلاج الصرع (تاريخ طب در إيران ٥٠٤).

و لم نهتد لمعنى (الهبطاركان).

[١٩٤] (١) من قوله (و ولي عمر بن الخطاب، عتبة بن فرقد ...) إلى هنا في فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٢٧-٣٢٨.

[١٩٥] (٢) العاركة: الحائض.

[١٩٦] (١) الحضرة: مدينة عراقية على بعد ١١٠ كم من الموصل و ٣ كم من وادي الثرثار أطلق عليها الرومان اسم (هترا). و ما تزال جوانب من معابدها الكبيرة قائمة حتى يومنا هذا. و واقعة فتحها على يد الملك الفارسي سابور الأول بعد محاصرتها من ١٢ نيسان ٢٤٠ حتى أول نيسان ٢٤١ م فاستسلمت المدينة بعد ذلك، مذكورة في التواريخ العربية و الفارسية مع ما فيها من الأساطير.

و كان السبب في هجوم سابور الأول عليها هو تحالفها مع الرومان عام ٢٣٥ م. (معجم الحضارات السامية مادة: الحضرة).

يلحق الأستاذ هنري عبودي (مادة: الضيزن) على اسم هذا الملك بقوله: (إن اسم الضيزن لم يرد في كتابات الحضرة و ليس هنالك أي دليل على أنه شخصية تاريخية. و المعروف أن التتوخيين العرب أسسوا مدينة الحيرة، و قد أغار عليهم سابور فذهب أغلبهم إلى الحضرة و كان على رأسهم الضيزن بن معاوية التتوخي. و قد يكون حارب إلى جانب ملك المدينة مما سبب الالتباس الواقع). (معجم

(الحضارات ٥٦٠).

[١٩٧] (١) من قوله (و من الموصل أيضا ...) حتى هنا فى ابن خرداذبه ص ٩٤. مع اختلاف فى كتابة بعض الأسماء أحيانا.

[١٩٨] (١) من (فأما كور ديار ربيعة) ... إلى هنا فى ابن خرداذبه ص ٩٥.

[١٩٩] (١) هو عبد الله بن أوفى الشكرى ممن كان فى جيش الإمام على و خرج عليه بعد موقعة صفين (الطبرى ٥: ٦٣، ٦٥) وقصة وفوده على معاوية ذكرها الطبرى (٥: ٢١٢). إلا أنه لم يذكر هذا الحديث.

[٢٠٠] (١) عماره بن حمزة تنسب إليه دار عماره بالجانب الغربى من بغداد و هو مولى المنصور (معجم البلدان ٢: ٥٢٢) توفى عام ١٦٠هـ.

[٢٠١] (١) قرأها دى خويه (الخرق) و نرى أنها (الخرق) من الحريق. خاصة و ان فيه خاصية تجفيف القروح الرطبة إذا وضع عليها من خارج (المعتمد ص ٤٠٨).

[٢٠٢] (١) هو عيسى بن يزيد بن دأب الكنانى اللثى. قال ابن النديم ص ١٠٣ (و الأغلب على آل دأب الأخبار).

[٢٠٣] (١) هذا الخبر لدى ابن خرداذبه ص ١١٧.

[٢٠٤] (١) المعلومات عن خراج الروم أعلاه موجودة لدى ابن خرداذبه ص ١١١. كما أن بعض المعلومات التى سبقت عن بلاد الروم موجودة لدى ابن خرداذبه.

[٢٠٥] (١) السودانية و السودانه: طائر من الطير الذى يأكل العنب و الجراد (لسان العرب، سود).

[٢٠٦] (١) سماه ابن الفقيه قبل قليل بالعطاردى، و هو محمد بن عمير بن عطارد، أبو عمير التميمى: كان سيد أهل الكوفة و أجود مضر و صاحب ربع تميم. كما كان أحد أمراء الإمام على (ع) بصفين.

وقيل فيه:

علمت معدّ و القبائل كلّها أنّ الجواد محمد بن عطارد انظر: تاريخ الذهبى ٦: ١٩٤ و الإصابة ٣: ٥١٦. و فهرست تاريخ الطبرى ١٠: ٤٠٤.

[٢٠٧] (١) الحريش بن هلال أبو قدامه السعدى الشاعر.

[٢٠٨] (٢) مالك بن الحارث الأشتر النخعى.

[٢٠٩] (٣) أبو بكر الهذلى البصرى الأخبارى و اسمه سلمى. أحد الضعفاء توفى عام ١٦٨ هـ (العبر ١:

١٩٤) و كان ينادم السفاح (مروج ٣: ٢٦٥).

أما ابن عياش فهو المعروف بالمتوفى من رجال البلاط العباسى (السفاح و المنصور). انظر عنه مروج الذهب ٣: ٢٨٧ توفى بعد عام ١٥٨ هـ إذ انه حضر وفاة المنصور.

[٢١٠] (١) هى قبيلة همدان العربية اليمنية.

[٢١١] (٢) الجدلى هذا هو عبدة بن عبد و الواقعة المذكورة فى الطبرى ٦: ٧٥-٧٦.

[٢١٢] (١) فى الأصل: أربع.

[٢١٣] (١) فى الأصل: الهرمين.

[٢١٤] (٢) الأبيات عشرة فى الطبرى ٢: ٦٦-٦٧ مع اختلاف ببعض الألفاظ.

[٢١٥] (١) الواقعة و الأبيات فى الطبرى ٢: ٦٧-٦٨ مع اختلاف ببعض ألفاظ الأبيات.

[٢١٦] (١) أبو تراب هو الإمام على بن أبى طالب. و عن الضحاك انظر الطبرى ٥: ١٣٥ و الغارات للثقفى ٢: ٤٢١. أما شريح فقد كان قاضيا للإمام على ثم أصبح قاضيا أيضا سنين طويلة فى الحكومه الأموية.

[٢١٧] (٢) الكوفى الحمانى (معجم البلدان ٢: ٤٩٣) مادة (الخورنق).

[٢١٨] (١) قال ياقوت ٣: ٣٣٩ إنها محلة بالبصرة و أعطى نفس هذه الأوصاف. و قال إن معنى الكلمة و هى فارسية: أربع جهات.

[٢١٩] (١) زرارة: محلة بالكوفة انظر تفصيلات إضافية عنها فى معجم البلدان ٢: ٩٢١.

[٢٢٠] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، جلد ١، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.

[٢٢١] (١) كذا.

[٢٢٢] (٢) جملة تشبه أن تكون كذلك. و لعل الصواب: مرسلا.

[٢٢٣] (٣) كلمة مطموسة.

[٢٢٤] (٤) كلمة مطموسة.

[٢٢٥] (١) كلمة مطموسة.

[٢٢٦] (٢) كلمة مطموسة.

[٢٢٧] (١) رأس الفرقة المنصورية و هى من فرق الشيعة الغالية.

انظر المقالات و الفرق ٤٦-٤٨ و الحيوان للجاحظ ٢: ٢٦٨ و ٦: ٣٩١ و كذلك ٦: ٣٨٩ (الخانقون)، و الملل و النحل ١: ١٥٨.

[٢٢٨] (٢) رأس الفرقة المغيرية من الشيعة الغالية. انظر الملل و النحل ١: ١٥٧ و المقالات و الفرق ٧٤ و الحيوان للجاحظ ٦: ٣٩٠ و

مواضع أخرى من الكتاب. و رجال الكشى ٢٢٣ و مواضع أخرى منه.

[٢٢٩] (١) فراغ فى الأصل.

[٢٣٠] (٢) بيت من قصيدة أخرى على نفس الوزن و قافية مختلفة.

[٢٣١] (١) فى الغارات للثقفى ١: ٦٨ مع اختلاف يسير فى بعض ألفاظها.

[٢٣٢] (١) خبر هذه الخطبة فى مقتل الحسين للخوارزمى ٢: ٤٠ عن بشير بن حذيم الأسدى. و فى فتوح ابن أعثم، المجلد الثالث ١٣٩

عن خزيمه الأسدى.

[٢٣٣] (١) من هنا إلى آخر الفصل هذا و هو المتعلق بالكوفة موجود بنصه فى فتوح البلاذرى ص ٢٩٦-٢٩٧. و (عين الرحمة)

الواردة هنا هى (عين الرحبة) لدى البلاذرى. و (عيون تدعى الغرق) فى البلاذرى (تدعى العرق).

[٢٣٤] (١) لأبى عبيدة كتابان فى البصرة (فهرست ابن النديم ٥٩).

[٢٣٥] (٢) زيادة من لسان العرب (بصر).

[٢٣٦] (١) ديدبان: فارسية معناها الراصد أو المراقب الذى يوضع فى المساح لرصد ما يحدث و إخبار المركز العسكرى بذلك. و

قد جمعها المؤلف جمع تكسير.

[٢٣٧] (٢) العنز: جمع عنزة و هى أطول من العصا و أقصر من الرمح و فى رأسها زج (ياقوت: البصرة).

[٢٣٨] (٣) زيادة من ياقوت.

[٢٣٩] (١) فى الأصل (سبعة دساكر ... فى الخريبة اثنان و فى الأزد اثنان)

[٢٤٠] (١) القضة: حصى صغار مكسرة (أساس).

[٢٤١] (٢) فى الأصل: أربع.

[٢٤٢] (١) هو يونس بن حبيب (ابن النديم ٤٧).

[٢٤٣] (١) فى الأصل: طولها فرسخين و عرضها فرسخين.

[٢٤٤] (١) فى الأصل: طولها فرسخين و عرضها فرسخين.

- [٢٤٥] (١) إلى هنا ينتهى المقطع الذى نقلناه عن المختصر و هو غير موجود فى النسخة الأصل.
- [٢٤٦] (٢) حدث فى المخطوط قطع، ثم بدأ مرة أخرى بهذين البيتين.
- [٢٤٧] (١) فى الأصل: لا تأتيها.
- [٢٤٨] (٢) كذا فى الأصل.
- [٢٤٩] (١) نهج البلاغة ٥٦.
- [٢٥٠] (٢) نهج البلاغة ٥٥.
- [٢٥١] (١) فى الأصل: السباية.
- [٢٥٢] (٢) فى الأصل درهمين.
- [٢٥٣] (١) عن مفاخرة البصرة و الكوفة و البصريين و الكوفيين انظر أيضا مروج الذهب ٣: ٣٣٠ - ٣٣١.
- [٢٥٤] (١) هو أحمد بن هشام أحد أفراد حاشية المأمون، و كان على شرطه طاهر بن الحسين. (الطبرى ٨: ٣٩١ و ابن الأثير ٦: ٢٤٢).
- [٢٥٥] (٢) أحمد بن يوسف: كاتب المأمون (ابن النديم ١٣٥ و اعلام الزركلى ١: ٢٧٢).
- [٢٥٦] (١) شقيق أحمد بن هشام واحد رجالات دولة المأمون و قادة الجيش، ولى له قم و الجبل و أصفهان و آذربيجان، ثم غضب عليه المأمون و صادر أمواله و سلاحه و قتله بعد ذلك عام ٢١٧ هـ بعد ما بلغه عن ظلمه و أخذه الأموال.... (ابن الأثير ٦: ٢٥٧، ٣٩٩، ٤٢٠، ٤٢١).
- [٢٥٧] (٢) فى الأصل: و أبو بكره و نفيح. و التصحيح من (عبد الله بن سبأ ١: ٢٣٢) حيث فضل هذه الواقعة تفصيلا.
- [٢٥٨] (١) فى (الجمال) للشيخ المفيد ص ٢١٦ لا تجهزوا على جريح.
- [٢٥٩] (١) انظر عنه الحيوان للجاحظ ٤: ١٨١، ٦: ٢٦١.
- [٢٦٠] (١) قوّضوا: اجمعوا.
- [٢٦١] (١) فى الأصل: تعالى.
- [٢٦٢] (١) الخطبة كاملة فى: الغارات ٢: ٤٧٦، ٤٨٣.
- [٢٦٣] (٢) سقط هنا شيء من الكلام، لعله (الناس).
- [٢٦٤] (٣) فى الأصل: مدينة.
- [٢٦٥] (٤) انظر: نهج البلاغة ٥٥ و الجمال للمفيد ٢١٧ مع اختلافات يسيرة.
- [٢٦٦] (١) المعروف أنه ابن بقطر - أخو الإمام الحسين من الرضاة - (الطبرى ٥: ٣٩٨، ٤٦٩).
- [٢٦٧] (٢) المنجنون: الدولاب التى يسقى عليها (لسان العرب).
- [٢٦٨] (١) عمرو بن الحارث بن يعقوب المتوفى عام ١٤٨ هـ (ابن الأثير ٥: ٥٨٩) فيكون هذا الكلام جزءا من المفاخرة التى وقعت عند أبى العباس السفاح.
- [٢٦٩] (٢) فى الأصل: السونانى. و الصواب ما أثبتناه. و هو نسبة إلى سونايا من قرى بغداد.
- [٢٧٠] (٣) أحد وزراء المأمون مات عام ٢١٧ هـ (مروج ٣: ٤١٧) ترجمته فى ابن خلكان ٣: ٤٧٥.
- [٢٧١] (١) الكوفى (ابن النديم ١٧٧ و ٧٣).
- [٢٧٢] (٢) زيادة يقتضيها السياق.
- [٢٧٣] (٣) لدى ابن النديم ١٠٨ (النجاد بن أوس العدوى) أو (النجار بن أوس العدوانى).
- [٢٧٤] (١) فى الأصل: لم يلى.

- [٢٧٥] (١) أمير المؤمنين، أي المأمون.
- [٢٧٦] (٢) يوجد نقص في العبارة.
- [٢٧٧] (١) كذا في الأصل. ويبدو أن الاسم هو (الغضبان بن القبعثرى الشيباني) وهو واحد ممن سجن بعد إخفاق ثورة ابن الأشعث ثلاث سنوات ثم أطلق سراحه (مروج: ٣: ١٤٧-١٥١).
- [٢٧٨] (١) تكلمة من ياقوت (واسط).
- [٢٧٩] (١) من (و نقل الحجاج) إلى هنا في البلاذري ص ٢٨٩.
- [٢٨٠] (١) لمم و لممة: مس من الجن (أساس).
- [٢٨١] (٢) أشهر السحرة في الفولكلور العربي. كان معاصرا للحجاج الثقفي زعموا (أنه صديق إبليس و ختنه و أنهم كانوا لا يشكون أن إبليس جدّه من قبل أمهاته) (الحيوان للجاحظ ١: ١٩٠ و مواضع أخرى منه) و ابن النديم ٣٧١.
- [٢٨٢] (١) يحضره الجن و الشياطين (لسان العرب).
- [٢٨٣] (٢) أي يرفعونها عن الأرض.
- [٢٨٤] (٣) من قوله (و قال محمد بن خالد) إلى هنا في البلاذري ٢٩٠.
- [٢٨٥] (١) من محدّثي البصرة توفي عام ١٩٤ هـ (العبر ١: ٢٤٥).
- [٢٨٦] (١) أوردنا الأبيات كما هي و لم نهتد لتصحيح المصحف منها.
- [٢٨٧] (٢) انظر عن الرستمى: الطبرى ٨: ٣٧٥، ٣٩٢، ٤٣٢، ٤٣٣.
- [٢٨٨] (١) اشتهر الحجاج بالجن و كان يعيّر بذلك و أشهر المواقع التي فرّ فيها، هروبه أمام غزاه (امرأة شيب الخارجي) (موسوعة الكنايات العامية البغدادية ٢: ٢٩٥). و عن حياته انظر التخليص المفيد الذي كتبه الشالجي في (موسوعة الكنايات) ٢: ٣٣٢-٣٤٣.
- [٢٨٩] (١) يقول معجم الحضارات السامية عن النبط أو الأنباط أنهم (شعب عربي سكن الشمال الغربي من جزيرة العرب و كان على اتصال بعالم البحر المتوسط. عرفت الدولة النبطية ذروة حضارتها في المرحلة الهلنسية و كانت أهم قواعدها سلع (البطراء) المنيعه، عاصمه الآدوميين القديمة، مما جعل النبطيين يحتكرون تجارة القوافل التي كانت تنقل المرّ و التوابل من الجزيرة العربية و الحمر من البحر الميت في إيله (ايلات الحالية) ص ٨٣٧ ثم ذكر قائمة بملوكهم امتد حكمهم بين ١٦٩ ق.م. حتى ١٠٦ للميلاد.
- [٢٩٠] (١) في الأصل يزيدوه.
- [٢٩١] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، جلد، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.
- [٢٩٢] (١) بياض في الأصل.
- [٢٩٣] (١) ورد اسم بغداد في المخطوطة- و بالذات في هذا الفصل- بالذال (بغداد) و تكرر ذلك كثيرا. و قد آثرنا أن نكتب الاسم بالذال. انظر مقدمة الكتاب.
- [٢٩٤] (١) من قوله (و كانت قديمة فمصرها) إلى قوله الآتي (فابتنوا الحوانيت و ألزمهم الغلة) تشبه مادته- و أحيانا ألفاظه- ما هو موجود في فتوح البلدان ٢٩٣. و لا ذكر لإبراهيم بن الجنيد لدى البلاذري.
- [٢٩٥] (١) إغارة المثنى هذه على بغداد نقلها الطبرى (٣: ٤٧٣) عن سيف بن عمر التميمي.
- [٢٩٦] (٢) روى الطبرى ٧: ٦١٤ هذه الرواية بدون سند كما فعل ابن الفقيه.
- [٢٩٧] (٣) الرواية في الطبرى ٧: ٦١٥ و قد ولي سليمان هذا للمنصور و المهدي ولايات (ابن الفقيه ٣٨ ب) و هو من القادة العسكريين (مروج: ٣: ٢٩٧ و الطبرى ٨: ٩٢).
- [٢٩٨] (٤) هو عبد الله بن عياش المنتوف الهمداني المرهبي الراوى. و الرواية من هنا إلى قوله (ابنوا على بركة الله) في الطبرى ٧:

٦١٥.

[٢٩٩] (١) لدى الطبري ٧: ٦١٦ الرواية عن بشر بن ميمون الشروي و سليمان بن مجالد

[٣٠٠] (١) لدى الطبري ٧: ٦١٨.

[٣٠١] (٢) الطبري ٧: ٦١٩.

[٣٠٢] (٣) الطبري ٧: ٦١٩.

[٣٠٣] (١) كلمة مطموسة.

[٣٠٤] (٢) لعلها: الشباك.

[٣٠٥] (٣) الطبري ٧: ٦٥٢.

[٣٠٦] (٤) الطبري ٧: ٦٥٠ (و ذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه قال ...)

[٣٠٧] (١) لدى الطبري ٧: ٦٥٢-٦٥٣ و فيه جواس بن المسيب اليماني. بدلا من خراش.

[٣٠٨] (١) لدى الطبري ٨: ٥٢ إن ذلك تم عام ١٥٧ هـ.

[٣٠٩] (١) الطبري ٧: ٦٥٥ و المبلغ هناك هو ٤٠٠٠٨٣٨ درهما.

[٣١٠] (٢) تكملة من معجم البلدان (بغداد).

[٣١١] (٣) قال ابن العبري ص ٢١٦ (و كان نوبخت المنجم الفارسي يصحب المنصور، و كان فاضلا حاذقا خبيرا باقتران الكواكب و حوادثها).

[٣١٢] (١) في معجم البلدان (بغداد) إن الشاعر هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخنفي. و جئنا بهذا البيت من ياقوت ليكمل به محلّ الشاهد (عدم موت خليفة فيها).

[٣١٣] (٢) زيادة يقتضيها السياق. و عن أبواب بغداد انظر الطبري ٧: ٦٥١.

[٣١٤] (١) الطبري ٧: ٦١٩.

[٣١٥] (٢) لا يوجد هذا الكلام لدى الطبري.

[٣١٦] (٣) الطبري ٧: ٦١٩ و فيه قرية الخطابية و ليس اخطانية.

[٣١٧] (٤) من هنا إلى قوله (الوردانية) لدى الطبري ٧: ٦٢٠.

[٣١٨] (٥) لدى الطبري ٧: ٦٢٠ شرفانية ... مما يلي قنطرة أبي الجون.

[٣١٩] (١) من هنا إلى (من بادرويا) لدى الطبري ٧: ٦٢٠ و فيه (قرية يقال لها بناوري من رستاق الفروسيج) و في ياقوت و تاريخ الخطيب ١: ٨٨ (الفروسيج) أيضا.

[٣٢٠] (٢) الطبري ٧: ٦٢٠.

[٣٢١] (١) تكملة من تاريخ الخطيب ١: ٨٤.

[٣٢٢] (١) في الأصل: اقطاع.

[٣٢٣] (١) ياقوت (طاقات الراوندي) و ليس الروندي و قال إنه أحد شيعة المنصور:

[٣٢٤] (١) الصحيح: سعيد الحرشي أحد قادة المهدي العسكريين (ابن الأثير ٦: ٥١-٥٢) و في تاريخ الخطيب ١: ٩٣ الخرسى.

[٣٢٥] (١) نرجح انها البغل.

[٣٢٦] (٢) يعني سوق الثلاثاء.

[٣٢٧] (١) وردان بن سنان.

- [٣٢٨] (١) نقل الخطيب (١: ١١٧) هذا النص عن كتاب ابن أبي طاهر المسمى (بغداد).
- [٣٢٩] (٢) فى الأصل: مائتان و خمسون حبلا و عرضه سبعون.
- [٣٣٠] (١) ردع فلان فهو مردوع: إذا وجع جسده كله، و به رداع (أساس).
- [٣٣١] (٢) أى نودى فيهم ليوم القيامة.
- [٣٣٢] (١) تكلمة من ياقوت (بغداد).
- [٣٣٣] (٢) زيادة يقتضيها السياق.
- [٣٣٤] (١) تكلمة من الخطيب ١: ٧٧.
- [٣٣٥] (٢) لم نهتد لمعناها.
- [٣٣٦] (١) الباغبان: البستاني فى اللغة الفارسية.
- [٣٣٧] (١) كلمة مطموسة.
- [٣٣٨] (٢) فى الأصل: ما هو لانا.
- [٣٣٩] (١) اى انها تخرجت فى العزف و الغناء على شارية أو زنبق ...
- [٣٤٠] (١) ورد البيت مضطربا.
- [٣٤١] (٢) هو السرخسى و من مؤلفاته كتاب فضائل بغداد و أخبارها (ابن النديم ٣٢١).
- [٣٤٢] (١) فى تاريخ الطبرى ٨: ٥٥١ حوادث ٢٠١ هـ- (و فى هذه السنة تجردت المطوعة للنكير على الفساق ببغداد، و رئيسهم خالد الدريوش و سهل بن سلامة الأنصارى أبو حاتم من أهل خراسان) راجع بقية الخبر هناك و فى المنتظم ١٠: ٩٢-٩٣.
- [٣٤٣] (٢) هما محمد بن أوس البلخى و سليمان بن عبد الله بن طاهر. انظر أخبارهما لدى الطبرى حوادث ٢٥٠ هـ- و ما بعدها (٩: ٢٧١ و ما يليها).
- [٣٤٤] (١) زيادة من ياقوت (دجلة).
- [٣٤٥] (٢) كلمة مطموسة.
- [٣٤٦] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، ١، جلد، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.
- [٣٤٧] (١) زيادة يقتضيها السياق.
- [٣٤٨] (٢) فى الأصل: ستة و ثلاثون ... و تسعة دقائق.
- [٣٤٩] (١) فى الأصل: أربعة عشر.
- [٣٥٠] (٢) عن ذورثيوس انظر فهرست ابن النديم ٣٢٨.
- [٣٥١] (١) العبارة غامضة.
- [٣٥٢] (١) فى الأصل: كما لا يزيدوا.
- [٣٥٣] (١) التناء: كبار الشخصيات و ذوو النفوذ و الثروة.
- [٣٥٤] (١) فى المعتمد ٢٢٤: السرمق و يقال له سرمج و هو القطف. و فى لسان العرب: القطف: نبات رخص عريض الورق يطبخ، يقال له بالفارسية سرنك.
- [٣٥٥] (١) فى الأصل مائة و اثنان.
- [٣٥٦] (١) شهران من أشهر السنة الفارسية. (و ماه) تعنى (الشهر) فى الفارسية.
- [٣٥٧] (١) كلمة ستين فى الأصل (ستون)، و كذا الكلمات (ستين) أعلاه حيث جعلت مرفوعة.

- [٣٥٨] (٢) في الأصل: ديناراً.
- [٣٥٩] (١) كذا في الأصل.
- [٣٦٠] (٢) في الأصل: تسعون.
- [٣٦١] (٣) في لسان العرب (الدارش: جلد أسود) و في مادة (لكك) (اللكاء: الجلود المصبوغة بالكك، و هو صيغ أحمر. قال الراعي النميري يصف رقم هوادج الأعراب: بأحمر من لكّ العراق و أصفرا)
- [٣٦٢] (١) عقد الخطيب البغدادي في تاريخه (١: ٢٧-٢٣) فصلا بعنوان: ذكر أحاديث رويت في الثلب لبغداد و الطعن على أهلها و بيان فسادها ... و منها ما هو موجود لدى ابن الفقيه.
- [٣٦٣] (١) في الأصل: يقال له عبد الله يكون خلافته رخص الشعر زمانا.
- [٣٦٤] (١) أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو ... توفي عام ٢٢٨ هـ - انظر ترجمته في فهرست ابن النديم (١٣٥).
- [٣٦٥] (١) كذا في الأصل.
- [٣٦٦] (١) كلمة مطموسه.
- [٣٦٧] (٢) في الأصل: في عشر.
- [٣٦٨] (١) الجملة غامضة.
- [٣٦٩] (٢) في الأصل: شيوخنا.
- [٣٧٠] (١) كلمة مطموسه.
- [٣٧١] (٢) هو ابن السكيت المقتول عام ٢٤٤ هـ.
- [٣٧٢] (٣) يزيد بن هارون ابن خالد الواسطي المتوفى عام ٢٠٦ هـ - انظر ترجمته في العبر ١: ٢٧٥.
- [٣٧٣] (١) أحمد بن محمد الحاسب القرصاني (انظر عنه ابن خلكان ٣: ١١٢، ١١٤) حيث ذكر أن عمله هذا قد تم عام ٢٤٧ هـ.
- [٣٧٤] (١) معجم البلدان ١: ٨٦٨ (تل عقرقوف).
- [٣٧٥] (١) من أفراد بلاط المتوكل. انظر تاريخ الطبري ٨: ١٦٢.
- [٣٧٦] (١) تكلمه من ياقوت.
- [٣٧٧] (١) له ترجمة في تاريخ بيهق ١٥١-١٥٤.
- [٣٧٨] (٢) ترجم له ابن النديم ١٥٩.
- [٣٧٩] (١) في ياقوت (رواعي فراقده) و لا معنى لها.
- [٣٨٠] (١) تكلمه من ياقوت (سامراء).
- [٣٨١] (١) تكلمه من ياقوت (سامراء).
- [٣٨٢] (١) زيادة يقتضيها السياق.
- [٣٨٣] (١) تكلمه من ياقوت (السواد).
- [٣٨٤] (١) تكلمه من ياقوت (السواد).
- [٣٨٥] (١) في الأصل: قبض.
- [٣٨٦] (٢) في ياقوت (السواد) المأذون.
- [٣٨٧] (٣) يبدأ من هنا التطابق مع ما لدى ابن خرداذبه ص ٦.

- [٣٨٨] (١) في الأصل: جلولاء و جلولاء.
- [٣٨٩] (٢) ابن خرداذبه ٦: الرستاقين.
- [٣٩٠] (٣) ابن خرداذبه ٦: بازيجان خسرو.
- [٣٩١] (٤) هنا أربعة طساسيج بينما هي لدى ابن خرداذبه إضافة إلى ما ذكر أعلاه: طسوج النهروان الأسفل. طسوج إسكاف بنى جنيد و نحوها. طسوج بادرايا. طسوج باكسايا.
- [٣٩٢] (٥) كذا في الأصل و هي لدى ابن خرداذبه: الثرثور.
- [٣٩٣] (١) ابن خرداذبه ٨: كوئي.
- [٣٩٤] (٢) ابن خرداذبه ٨: كورة استان به ذيو ماسفان.
- [٣٩٥] (٣) يوجد لدى ابن خرداذبه هنا: كورة استان بهقباذ الأعلى و هي ستة طساسيج: طسوج بابل، طسوج خطرنيه، طسوج الفلوجه العليا، طسوج الفلوجه السفلى، طسوج النهرين، طسوج عين التمر.
- [٣٩٦] (٤) توجد بعض الاختلافات مع ما هو موجود لدى ابن خرداذبه.
- [٣٩٧] (١) توجد قائمة تقدير السواد هذه بكاملها لدى ابن خرداذبه ٨-١٤ و قد رسمناها بهيئة جداول تسهيلات للمطالعة و هي في الأصل ليست كذلك.
- نشير إلى وجود بعض الاختلافات في أرقام كميات المحاصل بين ابن الفقيه و ابن خرداذبه لعل سببها سهو النسخ. إضافة إلى اختلافات في طساسيج الجانب الشرقي.
- [٣٩٨] (١) إلى هنا ينتهي التطابق بين ابن الفقيه و ابن خرداذبه و ما بين عضادتين هو من ابن خرداذبه.
- [٣٩٩] (٢) ياقوت ١: ٥٩٥ (مادة عانة): ألس.
- [٤٠٠] (٣) يبدو أن صوابها: و كما.
- [٤٠١] (١) في الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء ص ٢٠٤ (أوله في شرقي دجلة: العث- و عن غريبها حربي- ثم يمتد إلى آخر أعمال البصرة من جزيرة عبادان).
- [٤٠٢] (١) المعلومات المتعلقة بجباية السواد أعلاه موجودة لدى ابن خرداذبه ١٤-١٥ باستثناء المعلومات المتعلقة بجبايته على عهد زياد و ابن عبيد الله و ابن هبيرة.
- [٤٠٣] (١) إما أن يكون هنا قطع في الحديث أو أن الواو زائدة.
- [٤٠٤] (١) كذا في الأصل بدون تنقيط. أما الصيحاني فهو ضرب من تمر المدينة أسود صلب الممضغة (لسان العرب، صبح).
- [٤٠٥] (٢) لعلها: اليمامي.
- [٤٠٦] (٣) لعلها: ما بين المصرين.
- [٤٠٧] (١) ابن خرداذبه ٤٢ (و سرق- و هي دورق- و نهر تيرى و مناذر الكبرى و مناذر الصغرى).
- [٤٠٨] (١) كذا وردت العبارة في الأصل.
- [٤٠٩] (١) في الأصل: لحقيقة و لا معنى لها. و في الحيوان تخيفته (بالحاء) و الصواب ما أثبتناه. و في أساس البلاغة (تحيفت الشيء: أخذت من حافته و تنقصته. و تحيفتهم السنة).
- [٤١٠] (١) في الأصل: الطاعى و لا معنى له. و الطاعن أى الداخل (لسان العرب) إذ أراد القول إن منازل الأهواز داخله في جبلها. و من الممكن أن تكون الطاعن و هو نفس المعنى. و قد مر بنا أننا ان بيت الإمام على كان طاعنا في مسجد رسول الله (صلى الله عليه و سلم).

- [٤١١] (٢) هو الصولي (ابن النديم ١٣٦ و ابن خلكان ١: ٤٤) وقد نقل معلومة الحمى التي في الأطفال، ابن قتيبة في عيون الأخبار ١: ٢٢٠.
- [٤١٢] (٣) إلى هنا يتوقف ابن الفقيه عن النقل من حيوان الجاحظ ٤: ١٤٠-١٤٣ الذي بدأ من قوله (فأما قصبه الأهواز فنقلت ...) .
- [٤١٣] (١) في الأصل: قطع.
- [٤١٤] (١) بياض في الأصل و أكملناه من ياقوت (عسكر مكرم) وقصه حصار خوزاد هذا موجودة في فتوح البلدان ٣٧٦ و فيه (مكرم بن الفزر).
- [٤١٥] (١) هذا المقطع في فتوح البلدان ٣٧٦ و فيه أن النهر لامرأة تسمى البطئة فنسب إليها.
- أما الشعر الذي أورده قبل هذا المقطع فهو في البلاذري أيضا مع بيت ثالث ٣٧٦. و ما سيأتي من قول الأصمعي في الخوز فهو في الحيوان ٤: ٦٨.
- [٤١٦] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، ١ جلد، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.
- [٤١٧] (١) ما بين العضادتين موجود في مختصر البلدان فقط.
- [٤١٨] (٢) بياض في الأصل أكملناه من ابن الأثير ١: ١٦٤.
- [٤١٩] (١) لدى ياقوت (فيروز سابور): معاوية بن أبي سفيان.
- [٤٢٠] (١) في الأصل: و عشرين.
- [٤٢١] (١) طبقا للسمعاني في الأنساب ٤: ٣٩٩ فإن الجد الأكبر لعائلة الفلكي من همذان و اسمه أبو بكر أحمد بن الحسن بن القاسم الحاسب الفلكي الهمداني و كان جامعا لسائر العلوم و خاصة علم الحساب.
- [٤٢٢] (٢) و هي: مدينة شيراز. و النص من هنا موجود لدى ابن خرداذبه من ص ٤٤ حتى ٤٧ و هو هنا ينتهي عند (زم الحسن بن صالح يسمى السوران من شيراز على سبعة فراسخ).
- [٤٢٣] (١) كذا في الأصل ولدى ابن خرداذبه ٤٧: و الملجان و فرزك.
- [٤٢٤] (٢) في الأصل: رم و رموم. و في المختصر زم و زموم و هو الصواب و في ياقوت بالراء أيضا و كذلك في فارس نامه (١٦٨، ١٣٧). و في مفاتيح العلوم ١٢٣ (زموم الأكراد: محالهم، واحدها زم).
- [٤٢٥] (١) قال ابن خرداذبه ٤٨ (و خبرني الفضل بن مروان أنه قبلها ...) و الفضل هو وزير المعتصم، و قد بلغ حدًا في وزارته (ان صار صاحب الخلافة و صارت الدواوين كلها تحت يديه، و كثر الأموال) ثم إن المعتصم غضب عليه و حبسه و صادره (الطبري ٩: ١٨-٢١). ثم ولي ديوان الخراج على عهد المتوكل و عزل عنه عام ٢٣٣ هـ (الطبري ٩: ١٦٢) و يبدو أنه أعيد إلى هذا المنصب في عهد المستعين، إذ انه عزل عنه عام ٢٤٩ (الطبري ٩: ٢٦٤). توفي عام ٢٥٠ هـ (ابن الأثير ٧: ١٣٥).
- [٤٢٦] (١) في الأصل: السيزية. و الصواب ما أثبتناه. و سينيذ من كور بلاد فارس (أحسن التقاسيم ٣٢٦ ط بيروت) قال ابن البلخي ١٤٩ إنها مدينة على ساحل البحر فيها قلعة، تقع بين مهروبان و جنابا. تنسج فيها الثياب الكتان يقال للرقيق منها السينيذ.
- [٤٢٧] (١) في الأصل: فلاسة!
- [٤٢٨] (١) ابن خرداذبه ٤٩: المراج.
- [٤٢٩] (١) حيوان من الضفدعيات المذبذبة زعم القدماء أنه يدخل النار و لا يحترق. و يرى الأب الكرملي أن العرب كانوا يطلقون لفظه السمندل و أخواتها على هذا الحيوان المسمى Salamandre و على الطائر المعروف بالفنقس Phoenix لأنه كان يدخل النار حسب زعمهم و لا يحترق. و على الحجر المعروف بحجر الفيتل Asbestos، لأنه لا يحترق. انظر معجم الحيوان ٢١٣-٢١٤. و في طبائع الحيوان (الورقة ١٣١ أ). (السمندل و يقال له سالامندرا: هو حيوان يتولد في معدن النوشادر، شبيه بالفأر الكبير. و خاصيته

أنه يدخل في النار العظيمة و يلعب و يبقى فيها إلى أن يحتر مثل الجمره ثم يخرج إلى أن يعود إليه لونه).
[٤٣٠] (٢) في الأصل جناحان.

[٤٣١] (٣) مدن سجستان لدى ابن خرداذبه ٥٠ وفيه: روشث بدلا من بست، و باسورد بدلا من ناشروذ.

[٤٣٢] (١) في مختصر البلدان شاهفروند و كذلك في تاريخ قم ٩١ الذي نقل هذه الواقعة عن ابن الفقيه.
إلا ان أصل مخطوط البلدان نص على ما هو أعلاه.

[٤٣٣] (١) كذا في الأصل. و في مختصر البلدان: سحاران. و لعلها سيسجان و هي من كور أرمينية الأولى (ابن خرداذبه ١٢٢).

[٤٣٤] (١) في تاريخ قم ٨٣ ورد ذكر واقعة الأربعة آلاف هؤلاء من غير إشارة إلى المصدر الذي استقى المؤلف منه.

[٤٣٥] (١) في مختصر البلدان: السيروان.

[٤٣٦] (١) في المنجد (الذباب: جمعه أذبة و ذبان و ذب). و يطلق الذباب عند العرب على الزنابير و النحل و البعوض).

[٤٣٧] (١) شبديز هو فرس الملك الفارسي كسرى أبرويز. و هو منحوت في جبل قرب الطريق الواصل بين سندرج و كرمانشاه بإيران.
و فيه نحت كسرى أبرويز و هو يمتطي جواده المسمى شبديز.

إضافة إلى منحوتات أخرى تشكل أهمية كبيرة في معرفة تاريخ الساسانيين.

[٤٣٨] (٢) ما بين العضادتين نقلناه عن ياقوت (شبداز) الذي قال إنه نقل هذه المادة عن ابن الفقيه. و هو غير موجود لا في مختصر
البلدان و لا في النسخة الأصل، و أوردناه لأن المعنى لا يتم إلا به.

[٤٣٩] (١) في الأصل: و نظاربهم.

[٤٤٠] (١) انفرد المختصر بذكر هذه القطعة.

[٤٤١] (١) هو والد مؤلف هذا الكتاب.

[٤٤٢] (١) يبدو أنها (متياسرا).

[٤٤٣] (١) كذا في الأصل.

[٤٤٤] (١) كلمة مطموسة.

[٤٤٥] (١) في الأصل: و ستين.

[٤٤٦] (٢) في الأصل: سهيلا.

[٤٤٧] (١) الكبس: الغار في أصل الجبل (المنجد).

[٤٤٨] (١) توجد رواية أخرى لهذا الخبر في بحار الأنوار ٤٨: ١٤٤ و فيه ان هذه المسألة جرت بين هارون الرشيد و موسى بن جعفر-
الإمام السابع للشيعة الاثني عشرية- و أما الحدود فهي: الأول: عدن. و الثاني: سمرقند. و الثالث: إفريقية. و الرابع سيف البحر مما يلي
الجزر (لعلها الخزر) و أرمينية.

ثم ذكر بعد ذلك الرواية التي ذكرها ابن الفقيه.

[٤٤٩] (١) هو الإمام جعفر الصادق (ع). أما عيسى بن بشير فقد روى عنه على بن حسان الواسطي القصير المعروف بالمنمس الذي
روى عن الإمام الصادق أيضا. انظر: جامع الرواة ١: ٥٦٦ و ٦٤٩.

[٤٥٠] (١) الصواب فيما يبدو هو: فيرفض الكثير الباقي للقليل الفاني.

[٤٥١] (١) كذا في الأصل.

[٤٥٢] (١) في المخطوطة: فلن تساويه حتى تعدله. و في المختصر: فلن يساويه حر ليعدله. و كلاهما مضطرب. فاقترحنا كتابته على
الشكل أعلاه.

- [٤٥٣] (٢) كلمة مطموسة.
- [٤٥٤] (١) الرهص: الطين الذي يجعل بعضه على بعض فيبنى به (المعجم الوسيط).
- [٤٥٥] (٢) في المخطوطة: لأبي هريرة. و في المختصر: لأبي ذر. و الأمر مناسب لأبي ذر لما عرف عنه من شدة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر (انظر مثلا ابن الأثير ٣: ١١٣-١١٥).
- [٤٥٦] (١) في المختصر (قال محمد بن حبيب الضبي في دور آل طاهر).
- [٤٥٧] (٢) كلمة مطموسة.
- [٤٥٨] (١) في المختصر، جاءت هذه القصيدة بعد الخائئة التي قال إنها لمحمد بن حبيب الضبي، ثم قال عن هذه أنها له أيضا.
- [٤٥٩] (١) انفرد المختصر بذكره هذه القصيدة.
- [٤٦٠] (٢) كذا في الأصل.
- [٤٦١] (٣) كلمة مطموسة.
- [٤٦٢] (٤) كذا في الأصل.
- [٤٦٣] (١) كذا في الأصل.
- [٤٦٤] (٢) في الأصل: انتزاع.
- [٤٦٥] (٣) باغ: هو البستان في الفارسية.
- [٤٦٦] (٤) تكلمة من ياقوت (قصر شيرين).
- [٤٦٧] (١) في المختصر: الخمر و اللبن.
- [٤٦٨] (٢) كذا في الأصل.
- [٤٦٩] (٣) انفرد المختصر بهذه القصيدة.
- [٤٧٠] (١) في ياقوت الدمعانة.
- [٤٧١] (١) في الأصل: ثمانين.
- [٤٧٢] (٢) يوجد اثنان باسم (أبي يحيى المروزي) أحدهما طبيب مشهور بمدينة السلام و الآخر طبيب و عالم بالهندسة (ابن النديم ٣٢٢).
- [٤٧٣] (١) في المختصر: الستين.
- [٤٧٤] (٢) المختصر: على قصر بالعقيق.
- [٤٧٥] (١) المختصر: على باب مسجد.
- [٤٧٦] (٢) كلمة مطموسة.
- [٤٧٧] (١) عجز البيت مضطرب.
- [٤٧٨] (١) من هنا إلى قوله (في آخر سنة ثلاث و عشرين) في فتوح البلدان ٣٠٦.
- [٤٧٩] (١) في ياقوت: سنجا باد، و فيه أيضا سبجا باد.
- [٤٨٠] (٢) في ياقوت: برشيقان ٤: ٩٨١.
- [٤٨١] (١) الواقعة موجودة في المختصر بصورة مختصرة.
- [٤٨٢] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، ١ جلد، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.
- [٤٨٣] (١) هي الطيور المهاجرة.

- [٤٨٤] (١) محبرة النديم واسمه محمد بن يحيى بن أبي عباد، ويكنى أبا جعفر، واسم أبي عباد جابر بن يزيد بن الصباح العسكري من ندماء المعتضد العباسي... (ابن النديم ٤٦).
- [٤٨٥] (٢) في المختصر: خميسية.
- [٤٨٦] (٣) يبدأ من هنا نقل المؤلف بصورة مختصرة قليلا لمادة موجودة في حيوان الجاحظ ٥: ١٣٧-١٤٨. وبيت القطامي المذكور آنفا هو أيضا من الحيوان. وما بين عضادتين في هذه المادة هو تصويبات أو إضافات من كتاب الجاحظ وضعناها في حالة الضرورة فقط.
- [٤٨٧] (١) في الأصل: خشب.
- [٤٨٨] (١) في الحيوان بعده بيت رابع وبغيره لا يكمل المعنى.
- بأطيب ممن يقصر الطرف دونه تقي الله واستحياء بعض العواقب [٤٨٩] (١) الانبجاة: المربيات التي تصنع بالعسل بحيث يمكن القول ان كلمة المربيات ترادف الانبجاة (فرهنگ معين) ويبدو أن الأفرجات من هذا الصنف أيضا.
- [٤٩٠] (١) في الحيوان ٥: ١٤٦ ورد:
- أ\أ و قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في بئر رومة\ E الماء لا ينجسه شيء\ E.
- فقط.
- [٤٩١] (٢) فضل الجبل غير موجودة في الحيوان ويبدو أنها من إضافات ابن الفقيه.
- [٤٩٢] (٣) إلى هنا يتوقف عن الاقتباس من الجاحظ.
- [٤٩٣] (٤) في المختصر: دارفين.
- [٤٩٤] (٥) في المختصر: سامير.
- [٤٩٥] (١) لعله ثيودورس. وهو من العلماء اليونانيين له مؤلفات في الجغرافيا والهندسة (ابن النديم ٣٢٨).
- [٤٩٦] (١) نرجح أن الكلمة هي اسقيل وهو من النباتات الطيبة ويقال له بصل العنصل وبصل الفار و ذرة الحبش ويقال له اسقيل و اسقال. انظر عن خواصه و منافعه (المعتمد ٣٤١) و (الأبنة عن حقائق الأدوية ٣٨ و ٥٢).
- [٤٩٧] (٢) كلمة غير مقروءة.
- [٤٩٨] (١) في المختصر، عجز البيت هو: نطوف بربع للوصال قديم.
- [٤٩٩] (١) عجز البيت في المختصر هو: حدائق نضع من فاقع لمعا.
- [٥٠٠] (١) في المختصر: خريف همدان و ربيع الرى.
- [٥٠١] (١) في المقدسى: سر و بهزان.
- [٥٠٢] (٢) الوزن مضطرب و يمكن أن يستقيم إذا وضعت (فوق) مكان (على).
- [٥٠٣] (١) هو والد مؤلف الكتاب.
- [٥٠٤] (١) تأتي بعد هذا في آثار البلاد ٤٨٤: و ألوانهم باذنجانية.
- [٥٠٥] (١) كذا في الأصل.
- [٥٠٦] (٢) في الأصل: فلفهن.
- [٥٠٧] (١) يرعم: يسيل المخاط منه (اللسان).
- [٥٠٨] (٢) لدى ياقوت و آثار البلاد جاء مرة أحمد و أخرى محمد.
- [٥٠٩] (٣) في الأصل: لقد آن من همدان السير فانطلق. و ما ذكرناه هو من آثار البلاد ص ٤٨٥ أوقف.

- [٥١٠] (١) في المختصر: المروءة.
- [٥١١] (١) في المختصر، العجز هو: تأبى الحوادث إلا انتقالا.
- [٥١٢] (١) ما نسميهم اليوم بسعاة البريد.
- [٥١٣] (١) انفرد المختصر بهذه القطعة.
- [٥١٤] (١) كلمة مطموسة.
- [٥١٥] (٢) ياقوت: بنو جدان.
- [٥١٦] (١) في ياقوت حضوة (انظر هذه المادة).
- [٥١٧] (١) في ياقوت (ضرية): (و حدث أبو الفتح بن جنى في كتاب النوادر الممتعة: أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن القاسم المالكي قراءة عليه قال: أنبأنا أبو بكر بن دريد، أنبأنا أبو عثمان المازني و أبو حاتم السجستاني قالوا: حدثنا الأصمعي عن المفضل بن إسحاق أو قال بعض المشيخة، قال: لقيت أعرابيا ...).
- [٥١٨] (١) في الأصل و رقط الركن، و في ياقوت (النير).
- [٥١٩] (٢) في ياقوت: طرب و وجد.
- [٥٢٠] (١) لم نعثر له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.
- [٥٢١] (٢) زيادة يقتضيها السياق.
- [٥٢٢] (٣) في الأصل: أهل البلد.
- [٥٢٣] (١) زيادة يقتضيها السياق.
- [٥٢٤] (١) كذا في الأصل.
- [٥٢٥] (٢) تقارن أسماء هذه القرى مع ما في معجم البلدان (همذان).
- [٥٢٦] (١) زيادة من المختصر.
- [٥٢٧] (٢) زيادة من المختصر.
- [٥٢٨] (٣) زيادة من المختصر
- [٥٢٩] (١) انفرد المختصر بذكر هذه القصيدة و شاعرها.
- [٥٣٠] (١) من المختصر.
- [٥٣١] (١) من المختصر.
- [٥٣٢] (١) المختصر: تباير.
- [٥٣٣] (٢) المختصر: يتعانقان.
- [٥٣٤] (١) ما بين عضادتين من المختصر.
- [٥٣٥] (١) تكمله من تاريخ قم ٨٨.
- [٥٣٦] (٢) في تاريخ قم ٨٩ الذي نقل خبر هذه النيران عن ابن الفقيه: في كتاب المجوس. و في غرر الأمثال ٨٨ أ) الزمزمة: ترثم المجوسى عند الأكل و هو تلاوة كتاب زند و أستاذ على وجه لا يفهمه غيره).
- قلت: الصواب: زند و أستا.
- [٥٣٧] (١) المقصود مزدك. أما المتوكلى راوى هذا الخبر فقد قال ياقوت (سورستان): (ذكر زردشت بن آذر خور و يعرف بمحمد المتوكلى ...) ثم نقل عنه مادة جغرافية تتعلق بسورستان العراق و لغتها السريانية.

[٥٣٨] (٢) في المختصر: برون. وفي تاريخ قم ٨٩: بيرون.

[٥٣٩] (٣) من هنا و إلى قوله (إن ذلك أجز لهم) في الحيوان للجاحظ ٥: ٦٧.

[٥٤٠] (١) هو عبد الله بن زياد المدني (الحيوان ٤: ١٨، ١٩). ولهذه الواقعة ذكر مختصر في مروج الذهب ٢: ٢٤٦.

[٥٤١] (١) من هنا يبدأ ابن الفقيه بالاعتباس - باختصار أحيانا - من الحيوان للجاحظ (٥: ٦٧ و ما بعدها و ٤: ٤٦١ و ما بعدها). و ما وضعناه بين عضادتين هو من الجاحظ لإكمال المعنى فقط، و لإفحديث الجاحظ عن النار طويل جدا.

[٥٤٢] (٢) الماعون: ما ينتفع به.

[٥٤٣] (١) في الحيوان ٤: ٤٦٨ قال إنه للورل الطائي.

[٥٤٤] (١) في الحيوان ٤: ٤٧١.

كهولة ما أوقد المحلفون للحالفين و ما هؤلوا [٥٤٥] (٢) العنق: لسان اللهب الصادر عن النار.

[٥٤٦] (١) زيادة يقتضيها السياق.

[٥٤٧] (١) في الحيوان ٥: ١٠٢ (لمتقاربها جامع و لمختلفها مفرق) و إلى هنا يتوقف ابن الفقيه عن الاقتباس من الجاحظ.

[٥٤٨] (١) ذكرنا الدارشي و اللكاء فيما مضى.

[٥٤٩] (١) في المختصر ٢٥٣: (و ذكر الجاحظ أنهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة و دون مصر و اليمامة و البحرين

.... و الأهواز و ما بها أيام المعتصم و إذا ثلاثمائة و ستون ضربا ...).

و هذه المعلومة ليست في كتاب الحيوان الذي دأب ابن الفقيه على الاقتباس منه، و ربما كانت من مؤلف آخر للجاحظ.

[٥٥٠] (٢) (و الثياب السعيدية) انفرد المختصر بذكرها.

[٥٥١] (١) في المختصر: الجبائية.

[٥٥٢] (٢) من كلمة شستجه المعرّبة عن الفارسية و تعنى المنديل، انظر: دستور الاخوان ٢: ٩١٦.

[٥٥٣] (٣) كذا وردت هاتان الكلمتان في الأصل. و هما في المختصر (التاخرج و الراجح).

[٥٥٤] (١) كذا في الأصل.

[٥٥٥] (٢) كذا في الأصل.

[٥٥٦] (١) ما بين عضادتين تكمله من ياقوت.

[٥٥٧] (١) معرّب گاورس، و هو الدخن بالعربية. (الصيدنة ١٦٩).

[٥٥٨] (٢) المرّ: المسحاة.

[٥٥٩] (١) أى أفواجا.

[٥٦٠] (٢) في الأصل: خمسون. و في المختصر ٢٥٠ ان ارتفاع المنارة ٣٠ ذراعا و عرضها ٢٠ ذراعا.

[٥٦١] (١) تكمله من ياقوت (منارة الحوافر).

[٥٦٢] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، اجلد، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.

[٥٦٣] (٢) هذان البيتان وردا في المختصر فقط.

[٥٦٤] (١) في تاريخ غرر السير ٥٤٢ ان اسمها آزادوار الصناجة و ان بهرام جور قد رمى بها إلى الأرض و أوطأها ناقه فاندقت و قيل

إنها ماتت، و لم يذبحها كما قال ابن الفقيه.

[٥٦٥] (١) تكمله من آثار البلاد ٤٦٥.

[٥٦٦] (٢) انفرد المختصر بهذه القطعة.

- [٥٦٧] (٣) من المختصر فقط.
- [٥٦٨] (١) الكلمة مطموسة.
- [٥٦٩] (٢) في البدء و التاريخ ٤: ١٠٤ (و بلخ يصيبها رجء و هذه فيغلب عليها الماء فتهلك).
- [٥٧٠] (٣) الخلم: بلدة بنواحي بلخ على عشرة فراسخ من بلخ. و هي بلاد للعرب نزلها الأسد و بنو تميم و قيس أيام الفتوح (معجم البلدان ٢: ٤٦٥).
- [٥٧١] (٤) في الأصل: راشجرد.
- [٥٧٢] (٥) في البدء و التاريخ ٤: ١٠٤ قيطورا.
- [٥٧٣] (١) في المختصر فقط.
- [٥٧٤] (٢) في البدء و التاريخ ٤: ١٠٤: الريح.
- [٥٧٥] (١) في البدء و التاريخ: الديلم و الطبرية.
- [٥٧٦] (١) واقعة فتح نهاوند بهذا الشكل موجودة في فتوح البلدان ٣٠٣.
- [٥٧٧] (٢) ما بين عضادتين من المختصر فقط.
- [٥٧٨] (١) في الأصل طلسمين.
- [٥٧٩] (٢) لدى ياقوت (٤: ٨٢٧) الذي نقل مادة نهاوند عن ابن الفقيه: (رستاق يقال له الأشتر).
- [٥٨٠] (١) في طبقات المحدثين بأصفهان ١: ٣٠ «... أن أكون من أهل فارس أو من إصبهان».
- [٥٨١] (٢) ما بين عضادتين في فتوح البلدان ٣١٠ و انفرد به مختصر البلدان.
- [٥٨٢] (١) في المختصر: و ألف صناجة. و الأسوار: كلمة يطلقها الإيرانيون القدماء على البطل الشجاع الحر (فرهنگ معین).
- [٥٨٣] (١) في المختصر (الرضا) بدلا من (المهدى).
- [٥٨٤] (١) في المختصر فقط كل ما مرّ مما هو بين عضادتين.
- [٥٨٥] (١) من المختصر.
- [٥٨٦] (١) في ذكر أخبار إصبهان ١: ٣٢: «من خواص إصبهان، خرزات في قرى معينة بقاسان و رویدشت. إذا غشيتهم سحابة ببرد، أخرجوا تلك الخرز و علّقوها من أطراف حصونها فتنتشع السحابة عنها و عن صحرائها من ساعتها. و تسمى هذه الخرزة بلغتهم مهره تذرك».
- و انظر: محاسن أصفهان ص ١٦.
- [٥٨٧] (٢) لدى ياقوت (إصبهان) عزی هذا القول لمنصور بن باذان.
- [٥٨٨] (٣) هذه القطعة في المختصر فقط.
- [٥٨٩] (١) البلاذري: فتوح ٣١٣.
- [٥٩٠] (٢) هو جعفر بن محمد الجرجاني الرازي الخوارى، أبو عبد الله. (مجمع الرجال ٢: ٣٦) و روايته عن قدوم المهدي إلى الري لدى البلاذري ٣١٥.
- [٥٩١] (١) ما يزال القول للرازي و هو في فتوح البلدان ٣١٥.
- [٥٩٢] (١) فتوح البلدان ٣١٦.
- [٥٩٣] (٢) من المختصر فقط.
- [٥٩٤] (١) أحمد بن إسحاق الرازي من أصحاب الإمام الهادي (ع) (٢١٣-٢٥٤ هـ) (جامع الرواة ١:

- (٤١) و انظر مجمع الرجال ١: ٩٥).
- [٥٩٥] (٢) من المختصر.
- [٥٩٦] (١) لا نعلم من يكون ابن كربويه، إلا ان الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل الأرقط المعروف بالكوكبي ظهر بقزوين و زنجان و تغلب عليها و طرد عنها آل طاهر و ذلك في عام ٢٥١ هـ (و قد أغار عام ٢٥٢ هـ - على الري و معه جستان صاحب الديلم فقتلوا و سلبوا...) (الطبرى ٩: ٣٧٢ و ٣٧٨) و انظر التدوين ٢: ٤٤١.
- [٥٩٧] (١) إسحاق بن سليمان الرازى الكوفى الأصل المتوفى عام ١٩٩ هـ (العبر ١: ٢٥٧) و ترجم له ابن حجر فى تهذيب التهذيب (١: ٢٠٥) ترجمة مطولة و قال إنه «إسحاق بن سليمان الرازى، أبو يحيى العبدى: كوفى نزل الري...».
- [٥٩٨] (٢) محمد بن الريان بن الصلت. من أصحاب الإمام الهادى (٢١٣-٢٥٤). انظر: جامع الرواة ٢: ١١٣ و رجال الكشى ٥٤٦. و رجال النجاشى ٣٧٠ فيه «محمد بن الريان بن الصلت الأشعري: له مسائل لأبى الحسن العسكرى عليه السلام...». فهو قد أدرك الإمام العسكرى (٢٣٢-٢٦٠ هـ) أيضا. أما الحسن بن على بن فضال، فهو أبو محمد بن عمر بن أيمن الزاهد العابد المتوفى سنة ٢٢٤ هـ - كما فى رجال النجاشى الذى ترجم له ترجمة مطولة (انظر ٣٤-٣٦) و ذكر مؤلفاته.
- [٥٩٩] (١) فى الأصل: جناحيها.
- [٦٠٠] (٢) هو محمد بن إسماعيل الرازى.
- [٦٠١] (٣) هو الإمام جعفر الصادق (ع).
- [٦٠٢] (٤) زيادة يقتضيها السياق.
- [٦٠٣] (١) فى الأصل: أربع.
- [٦٠٤] (٢) المقصود: بقاء.
- [٦٠٥] (١) ما بين عضادتين فى المختصر فقط.
- [٦٠٦] (١) ما بين عضادتين فى المختصر فقط.
- [٦٠٧] (٢) فى الأصل: فعلم على المقام.
- [٦٠٨] (٣) فى المختصر فقط.
- [٦٠٩] (٤) فى المختصر فقط.
- [٦١٠] (١) كلمة مطموسة. و يمكن أن تكون: جاذبه السلسلة.
- [٦١١] (١) فى الأصل: فإذا ضربوا.
- [٦١٢] (١) هذه الوقائع و ما يليها ذات صلة بأسطورة الملك الظالم بيوراسف أو الضحاك و هى من القصص التى رواها الفردوسى فى الشاهنامه (١: ٣٠-٣٧) و لا تختلف عما هى عليه هنا إلا فى بعض التفاصيل.
- [٦١٣] (٢) من المختصر.
- [٦١٤] (١) فى الأصل: رمحين.
- [٦١٥] (٢) ولى طبرستان و الرويان و دنباوند عام ٢٠٧ هـ ثم توفى عام ٢١١ هـ (الطبرى ٨: ٥٩٦، ٦١٨). و عليه فإن العمر لم يمتد به حتى عام ٢١٧ لينفذ رغبة المأمون المزعومة. نعم يمكن أن يكون ابنه هو المقصود حيث ولى طبرستان بعد وفاة أبيه و ظل فيها ست سنوات (تاريخ طبرستان ٢١١). أما محمد بن إبراهيم فهو العلوى الذى ذكره الطبرى فى تاريخه (٩: ٢٧٣) ضمن حوادث تتعلق بطبرستان جرت عام ٢٥٠ هـ.
- [٦١٦] (١) فى المختصر: فقال موسى بن حفص.

- [٦١٧] (١) في الأصل: ابن سليمان. و التصحيح من الطبرى ١: ١٩٥ الذى ذكر هذه الرواية أيضا.
- [٦١٨] (٢) في الأصل: سبع. و كلمة أژدها هي الأساس الذى حوّرت منه كلمة الضحاك الذى أشرنا إليه فيما سبق- و هي بالفارسية تعنى الأفعى ذات الرؤوس السبعة- و هو الحاكم الظالم المسجون فى جبل دناوند (أى دماوند).
- [٦١٩] (١) فى المختصر: جماعة من الديالمه و الطبرية.
- [٦٢٠] (٢) فى المختصر ٣٠ جريبا.
- [٦٢١] (٣) فى المختصر: ٣٠ نقبة.
- [٦٢٢] (٤) زيادة يقتضيها السياق.
- [٦٢٣] (١) فى المختصر فقط. و بكر بن الهيثم هو شيخ من شيوخ البلاذرى. انظر: فتوح البلدان فى كثير من صفحاته. أما الأخبار الموجودة هنا، فيوجد بعضها فى فتوح البلدان ٣١٧ و ما بعدها. و قد افتتحها البلاذرى بقوله: (حدثنى عدة من أهل قزوین و بكر بن الهيثم عن شيخ من أهل الرى ...).
- [٦٢٤] (٢) فى المختصر فقط.
- [٦٢٥] (٣) فى المختصر فقط.
- [٦٢٦] (٤) فى المختصر فقط.
- [٦٢٧] (١) فى الأصل: التقيان. و التصحيح من التدوين ١: ٤٧.
- [٦٢٨] (٢) النص مضطرب فى المخطوطة لذلك آثرنا نقله من المختصر، و معلوماته تتفق مع ما فى التدوين ١: ٤٧.
- [٦٢٩] (١) من هنا يبدأ النص فى التطابق مع فتوح البلدان ٣١٧.
- [٦٣٠] (٢) فى المختصر فقط.
- [٦٣١] (٣) فى المختصر فقط. و الخبر فى التدوين ١: ٤٧ و يبدأ هكذا: (فى كتاب أبى عبد الله القاضى و غيره ...).
- [٦٣٢] (١) الاصبهانى هذا شيخ من شيوخ البلاذرى حيث قال فى فتوح البلدان ٣١٩ (حدثنى محمد بن هارون الاصبهانى ...).
- [٦٣٣] (٢) يتطابق مع ما فى فتوح البلدان ٣١٩.
- [٦٣٤] (١) فى الأصل: الأشربة. و التصحيح من فتوح البلدان.
- [٦٣٥] (٢) إلى هنا ينتهى التطابق مع البلاذرى.
- [٦٣٦] (٣) زيادة يقتضيها السياق.
- [٦٣٧] (٤) فى المختصر فقط.
- [٦٣٨] (١) الحديث فى التدوين ١: ١٩ و يختلف قليلا عما هو عليه هنا.
- [٦٣٩] (٢) نرجح انه عمار السجستاني بقرينه روايته عن أبى عبد الله و هو الإمام الصادق (ع). انظر رجال الكشى ٣٤٢).
- [٦٤٠] (٣) زيادة يقتضيها السياق.
- [٦٤١] (١) فى الأصل: الثور. و فى المختصر: التوث و هو الصواب و يتفق مع ما فى التدوين ١: ٥٤.
- [٦٤٢] (٢) من المختصر.
- [٦٤٣] (٣) من المختصر.
- [٦٤٤] (٤) راجع عن هذا الحديث فى اللاكئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعه ١: ٤٦٣.
- [٦٤٥] (١) عن أبو حامد المستملى. انظر مقدمة الكتاب.
- [٦٤٦] (١) فى الأصل: تركجيد. و فى المختصر: ترنجه. و هو الصواب، يؤيده ما فى تاريخ طبرستان ٧٣.

- [٦٤٧] (٢) لم نجد هذا القول في فتوح البلدان.
- [٦٤٨] (١) إضافة من ياقوت (شروين) الذي نصّ على أنه نقل مادته من ابن الفقيه
- [٦٤٩] (٢) في الأصل: (لم تكتب). ولا معنى لها.
- [٦٥٠] (١) في الأصل: الجيوش.
- [٦٥١] (١) في المختصر: كجه و كذا في ياقوت و قد وردت في تاريخ طبرستان باسم: كجو (انظر فهرست الكتاب ٣٢٧).
- [٦٥٢] (١) وجد نقص في المخطوطة فأكملناه من المختصر و من البلاذري ٣٣٣ و يقع هنا فيما بين العضادتين.
- [٦٥٣] (١) من قوله (و لم يزل أهل طبرستان) حتى هنا موجود عند ابن خرداذبه حيث التطابق يكون حرفيا في أغلب الأحيان. و قد أكملنا بعض النقاخص و وضعناها بين عضادتين اعتمادا على ابن خرداذبه.
- [٦٥٤] (١) في الأصل: هذا.
- [٦٥٥] (١) في المختصر: سنه.
- [٦٥٦] (٢) من المختصر.
- [٦٥٧] (١) في المختصر إنه غلب عليها عام ٢٥٠هـ و بقي إلى أن مات في ٢٧١هـ.
- [٦٥٨] (٢) في المختصر: غياث.
- [٦٥٩] (٣) عن الكلاري و الروياني انظر تاريخ طبرستان ٢٣٦، ٢٣٧ و ٢٨١ و ابن الأثير ٧: ١٣١.
- [٦٦٠] (١) كذا في الأصل.
- [٦٦١] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، جلد ١، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.
- [٦٦٢] (١) من المختصر.
- [٦٦٣] (٢) في الأصل: رجلا.
- [٦٦٤] (٣) في الأصل: و عشرين. و في المختصر إن المدّة كانت ٣٨ سنة.
- [٦٦٥] (٤) في الأصل: زين، و في ياقوت (٣: ٥٠٧) (طبرستان): علي بن رزين. و الصواب ما أثبتناه.
- [٦٦٦] (١) في الأصل: وثب عليه العصفور. و التصحيح من ياقوت.
- [٦٦٧] (١) من المختصر.
- [٦٦٨] (١) لابن المقفع كتاب اسمه (ربع الدنيا) ينقل عنه گرديزي في تاريخه. فربما كان هو الذي ينقل عنه ابن الفقيه هنا.
- [٦٦٩] (١) يورد المؤلف بعد هذا و باختصار قصة فتح أرمينية. و لما كنا سننقل خبر فتحها بعد قليل اعتمادا على ياقوت الذي صرح أنه نقلها عن ابن الفقيه فلا داعي لذكر المختصر.
- [٦٧٠] (١) الدردور: موضع في وسط البحر يجيش ماؤه لا تكاد تسلم منه السفينة. و قال الجوهري: الدردور: الماء الذي يدور، و يخاف منه الغرق. لسان العرب (در).
- [٦٧١] (١) من شخصيات البلاط العباسي و اسمه الفضل بن سليمان كان من حاشية المنصور ثم ولي خراسان للرشيد (ابن الأثير ٥: ٥٠٣ و ٦: ٢١٥) توفي عام ١٧١ (الطبري ٨: ٢٣٥).
- [٦٧٢] (١) ما بين عضادتين من معجم البلدان (باب الأبواب) و يأتي بعد بيتي الشعر أعلاه ما يلي (يريد أن الترك أو الخزر لما قتلوا سلمان بن ربيعة و أصحابه كانوا يبصرون في كل ليلة نورا عظيما على موضع مصارعهم، فيقال إنهم دفنوهم و أخذوا سلمان بن ربيعة و جعلوه في تابوت و سيروه إلى بيت عبادتهم، فإذا أجدبوا أو أقحطوا، أخرجوا التابوت و كشفوا عنه فيسقون). و لا ندرى هل ان هذا التعليق من ابن الفقيه أم من ياقوت. و في فتوح البلدان ١٩٩ رواية تختلف في تفصيلاتها في أمر أنوشروان و بناء السدّ عما هو هنا.

- [٦٧٣] (١) لدى ياقوت (شمكور): السناوردية و في البلاذري ٢٠٦: السناوردية.
- [٦٧٤] (٢) لدى الطبري ٨: ١٤٢ حوادث ١٦٢ هـ (فيها غزا يزيد بن أسيد السلمي من باب قاليقلا فغنم و فتح ثلاثة حصون و أصاب سيبا كثيرا و أسرى). و خبر فتح شمكور موجود في البلاذري ٢٠٦.
- [٦٧٥] (٣) في ياقوت (شمكور) (إن بغا مولى المعتصم عمرها في سنة ٢، و هو والي أرمينية و آذربيجان و شمشاط و سماها المتوكلية) و هو يتفق مع ما لدى البلاذري ٢٠٦.
- [٦٧٦] (١) ما ورد أعلاه عن فتوح أرمينية موجود لدى البلاذري ١٩٧ و ما بعدها حتى ٢١٣.
- [٦٧٧] (١) من ياقوت (قاليقلا) الذي صرح بنقله هذه المادة عن ابن الفقيه.
- [٦٧٨] (٢) في ياقوت (خلائط) نسب هذه المعلومة إلى ابن الكلبي.
- [٦٧٩] (١) حدث اعتناق الخزرين لليهودية في عام ٧٤٠ للميلاد (إمبراطورية الخزر و ميراثها ص ٤٢) أي عام ١٢٣ للهجرة.
- [٦٨٠] (١) قال المقدسي في أحسن التقاسيم ٢٧٧ (ط بيروت): (قرأت في كتاب ابن خرداذبه و غيره في قصة هذا السد على نسق واحد. و اللفظ و الإسناد لابن خرداذبه لأنه كان وزير الخليفة و أقدر على و دائع علوم خزائن أمير المؤمنين مع أنه يقول: حدثني سلام المترجم).
- [٦٨١] (١) أشناس التركي أحد القادة العسكريين للمعتصم و الواثق الذي كان يجله حتى انه توجه بتاج و ألبسه و شاحين بالجواهر. توفي عام ٢٣٠ هـ. (انظر الطبري ٩: ١٢٤ و المنتظم ١١: ٧٩، ١٥٥).
- [٦٨٢] (٢) لم نهتد إلى معناها.
- [٦٨٣] (١) مصغر كلمة دندان و هي فارسية تعنى السن. و هي هنا تعنى الأسنان الصغيرة التي تمتد على طول المفتاح. أما دستج الهواوين، فهي المدقة. و الدروند التي مرت قبل قليل فهي - كما في كتاب السامي في الأسماء ٥٣١ -: مغلاق الباب.
- [٦٨٤] (٢) الأثافي التي تنصب ليوضع القدر عليها.
- [٦٨٥] (١) في الأصل: خمس.
- [٦٨٦] (١) كان دي خويه قد ترك فراغا حين بدأ بقصة سلام الترجمان في طبعه لمختصر البلدان. و يبدو أنه لم يجد فائدة في كتابتها لأنها موجودة في المسالك و الممالك الذي طبعه هو ضمن مسلسل المكتبة الجغرافية. و قد آثرنا نحن كتابتها هنا فنقلناها عن ابن خرداذبه فهو المصدر الأول لكل من روى تلك الرحلة. (انظر المسالك و الممالك ١٦٢ - ١٧٠).
- [٦٨٧] (١) ما بين عضادتين تكمله من ابن الفقيه نفسه الذي سيكرر هذه الواقعة ضمن الفصل المخصص للترك، مع اختلافات طفيفة في كتابة بعض الأسماء.
- [٦٨٨] (١) غير منقوطة في الأصل. و الصواب أن اسم هذا البطل الأسطوري هو: بيران و يسه بيران (فرهنگ أساطير ص ١٤٣ مادة بيران) و (بيست مقاله ١: ٧٨) و في تاريخ غرر السير ص ١٩٩ بيران بن وسيكان.
- [٦٨٩] (٢) في الشاهنامه (١: ٢٥٣) جودرز بن كشواذ.
- [٦٩٠] (٣) في الأصل: أبوك.
- [٦٩١] (٤) لم نهتد إلى تصحيحها و لعل (دارأت) هي (داراب ابجرد).
- [٦٩٢] (٥) كذا.
- [٦٩٣] (١) هو الدينوري.
- [٦٩٤] (١) النص في عيون الأخبار ١: ٢٠٤ - ٢٠٥ و هو لدى الجاحظ في رسالة مناقب الترك (ص ٤٨٠ من مجموعة رسائل الجاحظ: الرسائل السياسية).

- [٦٩٥] (٢) في المختصر فقط.
- [٦٩٦] (١) في المختصر فقط.
- [٦٩٧] (١) كذا في الأصل و لعلها: الهم.
- [٦٩٨] (٢) في المختصر: نهر.
- [٦٩٩] (٣) ذم ثمامة بن أشرس هذا لأهل مرو في الحيوان ٢: ١٤٩. و هو من كبار المعتزلة كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون و كان ذا نوادر و ملح. قال الجاحظ في شأنه: « ما علمت أنه كان في زمانه قروي و لا بلدى كان قد بلغ من حسن الإفهام مع قلّة عدد الحروف و لا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه. و كان لفظه في وزن إشارته و معناه في طبقة لفظه، و لم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك» البيان و التبيين ١: ٦١. و عن ثمامة انظر ميزان الاعتدال ١: ٣٧٢.
- [٧٠٠] (١) في الأصل: يلحق أو يعد أو يوصف.
- [٧٠١] (٢) كذا في الأصل.
- [٧٠٢] (١) في الأصل: معلق. أما التقيّة الواردة هنا فقد نقل صاحب لسان العرب (وقى) عن ابن الأعرابي قوله: التّقَاءُ و التّقيّةُ و التّقوى و الاتّقاء: كله بمعنى واحد.
- [٧٠٣] (١) في الأصل: ملك فارس ألف. و أرض العرب ألف. و لا يستقيم مع قوله ان الدنيا (٢٤) ألف فرسخ. و عند ياقوت ١: ١٦ ان مساحة الدنيا (٢٧) ألف فرسخ.
- [٧٠٤] (٢) عن هذا الحديث، انظر مقدمة الكتاب.
- [٧٠٥] (٣) الذى فى الإنجيل هو رؤيا يوحنا اللاهوتى و ليس السيد المسيح (ع) انظر (رؤيا ١٦: ١٢-١٦) النص الذى يتحدث عن معركة هرمجدون. فلعله هو المقصود من خلال قرينته (الملوك الذين من مشرق الشمس).
- [٧٠٦] (١) زيادة يقتضيها السياق.
- [٧٠٧] (٢) كذا في الأصل.
- [٧٠٨] (٣) كلمة مطموسة. و قبلها (أثقب لهم العز) غير واضحة المعنى.
- [٧٠٩] (٤) في الأصل: لا ينكرها إلّا غير ...
- [٧١٠] (١) للمدائنى كتاب اسمه: فتوح خراسان (ابن النديم ١١٥).
- [٧١١] (٢) في المختصر فقط.
- [٧١٢] (٣) في المختصر فقط. و قهندز تعنى الحصن أو القلعة فى وسط المدينة (معجم البلدان ٤: ٢١٠).
- [٧١٣] (٤) فى الأصل: أربعين.
- [٧١٤] (٥) فى الأصل: ثلاثين.
- [٧١٥] (١) فى الأصل: مؤدية.
- [٧١٦] (١) زيادة يقتضيها السياق.
- [٧١٧] (٢) فى المختصر فقط.
- [٧١٨] (٣) فى الأصل: أصدقهم و الصواب ما نقلناه من المختصر.
- [٧١٩] (٤) من المختصر. و اليخ هو الثلج بالفارسية.
- [٧٢٠] (١) هو أحمد بن جعفر المستملى (انظر مقدمة الكتاب). أما أبو حفص عمر بن مدرك فقد وصفه الخطيب البغدادي فى

- تاريخه (١١: ٢١١) بالقاص الرازي و يقال البلخي و قال (و أراه بلخيا، سكن الري و قدم بغداد و حدث بها ...) و انظر ميزان الاعتدال ٣: ٢٢٣.
- [٧٢١] (١) التقسيم الآتي موجود لدى ياقوت ٢: ٤٠٩ (خراسان) و قد نسبه إلى البلاذري أيضا، ترى هل نقله عن ابن الفقيه أم عن أحد كتب البلاذري، مع أن أغلب ما لدى ياقوت عن مادة خراسان موجود لدى ابن الفقيه؟
- [٧٢٢] (٢) في المختصر فقط.
- [٧٢٣] (٣) في المختصر فقط.
- [٧٢٤] (١) في المختصر فقط.
- [٧٢٥] (٢) في الأصل: و عشرين.
- [٧٢٦] (٣) زيادة يقتضيها السياق.
- [٧٢٧] (٤) في الأصل: ثلاثة.
- [٧٢٨] (١) إلى هنا تنتهي الرواية التي بدأت بقوله: قال عمر بن الأزرق الكرمانى. و هى موجودة بنصها مع اسم راويها الكرمانى أعلاه لدى ياقوت (نوبهار).
- [٧٢٩] (٢) من هنا و ما يليه من مسافات بين المدن موجود فى فتوح البلدان للبلاذري ٣٣-٣٤.
- [٧٣٠] (٣) فى ياقوت (جوزجان) هذا البيت و بعده آخر، قال إنهما لكثير بن الغريزة النهشلى.
- [٧٣١] (١) إلى هنا ينتهى التطابق مع البلاذري.
- [٧٣٢] (٢) عن أبى يوسف يعقوب بن إسحاق هذا، انظر مقدمه الكتاب.
- [٧٣٣] (٣) كذا فى الأصل.
- [٧٣٤] (١) المعلومات المتعلقة بالمسافات فيما يلى موجودة لدى البلاذري ٢٥.
- [٧٣٥] (٢) فى المختصر: من خشب.
- [٧٣٦] (٣) زيادة من ياقوت (سمرقند).
- [٧٣٧] (١) زيادة يقتضيها السياق.
- [٧٣٨] (٢) فى الأصل: ذلك.
- [٧٣٩] (١) فى حدود العالم ١٠٧: كرمينه و دبوسى و ربنجن، مدن أسفل بلاد السغد على طريق سمرقند. و فى بلدان الخلافة ٥١١: كرمينه و الدبوسيه و فى أنساب السمعاني ١: ٤٥٤ (الدبوسيه) و ٥: ٥٨ (كرمينه).
- [٧٤٠] (٢) وسيج من مدن فاراب (مسالك و ممالك ٢٦٣). أما برنمذ (بورنمذ) فهى بورنمذ و تقع على مرحلتين من سمرقند (القند ١٣٧) و فى أنساب السمعاني (١: ٤١١) بورنمذ: قرية من أعمال سمرقند بينها و بين اسروشنة.
- [٧٤١] (١) فى الأصل: خطوطا.
- [٧٤٢] (٢) المعلومات الآتية المتعلقة بالمسافات موجودة لدى البلاذري ص ٢٩ فما بعدها.
- و فى المخطوطة أخطاء فى الاعداد. فكل (أربعة فراسخ) وردت هنا هى فى المخطوطة (أربع فراسخ) و كذلك (سبعة فراسخ) كتبت (سبع) إضافة إلى ما سنشير إليه.
- [٧٤٣] (١) فى الأصل ميلين. و الفنجهير، يرد لدى البيرونى فى الجماهر ١٩٥ باسم پنجهير. و فى معجم البلدان ١: ٧٤٣ (پنجهير: مدينة بنواحي بلخ، فيها جبل الفضة).

[٧٤٤] (٢) لدى ابن خرداذبه (بارجاج). و في الأصل (أربعين فرسخا).

[٧٤٥] (٣) في ياقوت (بارجاج): يصاد فيه الدراج الأسود.

[٧٤٦] (٤) في الأصل: اثنين و عشرين.

[٧٤٧] (٥) في الأصل: فرسخين.

[٧٤٨] (١) عند ابن خرداذبه (٢٩): خرنجوان. و ما زال التطابق قائما بين ابن الفقيه و ابن خرداذبه في الأسماء و المسافات هنا.

[٧٤٩] (٢) تكمله من ابن خرداذبه ٣١.

[٧٥٠] (١) إلى هنا ينتهي التطابق مع ابن خرداذبه.

[٧٥١] (٢) قائمة خراج خراسان هذه توجد لدى ابن خرداذبه ٤٣ و ما بعدها. و توجد بين القائمتين بعض الاختلافات، إضافة إلى

بعض الاختلافات في أسماء المدن. كما لم يذكر ابن الفقيه بعض المدن مثل مرو الشاهجان.

[٧٥٢] (١) الطالقان: يمكن أن تكون الطايقان، إذ (الطايقان) مدينة على الحدود بين طخارستان و ختلان، كما في حدود العالم ص

١٠٠. و الوصف ينطبق على هذه المنطقة.

[٧٥٣] (٢) لدى ابن خرداذبه ايندج ص ٣٦.

[٧٥٤] (١) ابن خرداذبه ٣٦: قبروغش. و نرجح أن الصواب هو: جبغوكت التي وردت في حدود العالم ١١٥ و قال عنها: إنها معسكر

الشاش قديما.

[٧٥٥] (٢) ابن خرداذبه ٣٧: برمخان و جومرين و البنجار. و في رحلة ابن فضلان ٨٩ (فزنا رباطا يقال له زمجان و هو بباب الترك).

[٧٥٦] (٣) ابن خرداذبه ٣٧: الينقان.

[٧٥٧] (٤) ابن خرداذبه: شقنان. و يبدو أنها هي شكنان، بقريته و خان التي تليها حيث ورد الاسمان معا في حدود العالم ٤٠ و ٦٤.

[٧٥٨] (٥) في الأصل: و جان. و التصحيح من ابن خرداذبه ٣٧ و حدود العالم ٢٨، ٤٠، ١٢١. و جهان نامه ٤٨، ٥٨.

[٧٥٩] (١) ابن خرداذبه ٣٧: المندجان.

[٧٦٠] (٢) ابن خرداذبه ٣٧: الزمثنان. أما العندمين فنرجح أنها العندميس (ياقوت مادة جيحون) و الوخشان نرى أنها الوخشاب الواردة

في حدود العالم ٤٠، ١٩١.

و انظر أيضا بلدان الخلافة ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٢.

[٧٦١] (٣) ابن خرداذبه ٣٧: فارواف و أزران و خواس و خشك و خبرة. نرجح أن تكون (خبرة) هي (فره) الواردة في حدود العالم

١٠٢ و بلدان الخلافة ٣٨١ إذ أنها ترد قبل أو مع خواش.

[٧٦٢] (٤) ابن خرداذبه ٣٨: الباكبين.

[٧٦٣] (١) ابن خرداذبه ٣٨: رويان.

[٧٦٤] (١) تتفق أغلب المعلومات المتعلقة بالترك هنا مع ما هو موجود لدى ابن خرداذبه.

[٧٦٥] (٢) في الأصل: الجقر. و ارتأينا ذلك معتمدين على كتاب الكاشغري (ديوان لغات الترك الذي قال ضمن مادة جكل: اسم

لثلاث طوائف من الترك ... ان الغزيرة سمّت جميع الترك من لدن جيحون إلى الصين الأعلى، جكل. و ذلك خطأ) (١: ٣٣٠).

[٧٦٦] (٣) صوابها خفجاج. و قد يقال: قيقاق. أما التي قبلها فصوابها اذكش. و هم جيل من الترك (الكاشغري ١: ٨٩). و نخبة الدهر

٣٤٦

[٧٦٧] (٤) في الأصل: مصلحة. و التصحيح من ابن خرداذبه ٣١.

[٧٦٨] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، ١، جلد، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.

- [٧٦٩] (١) كذا في الأصل. و لدى ياقوت (تركستان): يليح.
- [٧٧٠] (١) تكلمة من ياقوت و هي لديه (يبيع) و عدلناها لتلاءم ما بعدها.
- [٧٧١] (١) و الفرند هو السيف.
- [٧٧٢] (١) في الأصل: عمدا.
- [٧٧٣] (٢) تكلمة يقتضيها السياق.
- [٧٧٤] (١) تكلمة من ياقوت.
- [٧٧٥] (١) في الأصل: لتستنصرون و تستنزلون.
- [٧٧٦] (٢) راجع مقدمة الكتاب فقد ترجمنا له بتفصيل.
- [٧٧٧] (١) تكلمة من ياقوت (تركستان).
- [٧٧٨] (٢) في الأصل: آخر.
- [٧٧٩] (١) تكلمة يقتضيها السياق.
- [٧٨٠] (٢) تكلمة من ياقوت.
- [٧٨١] (١) كذا في الأصل. و نقترح انها إما أن تكون جبغوكت التي هي من مدن الشاش و معسكرها القديم (حدود العالم ١١٥) أو جبوزن و هي من مدن الشاش أيضا (مسالك و ممالك ٢٦٠).
- [٧٨٢] (١) لم نهتد إليها فيما بين أيدينا من مصادر. إلا أن أوصاف أهلها تنطبق على قبيلة الجكل التركية. قال مسعر بن مهلهل في رحلته (الورقة ١٧٦ أ من مخطوطة المكتبة الرضوية بمشهد- و قد نقله عنه ياقوت أيضا ٣: ٤٤٦ في جملة ما ذكر من أوصافهم: «يتزوج الرجل بابنته و بأخته و سائر محارمه و فيهم دعة و لا يرون الشر. و جميع من حولهم من قبائل الترك تتخطفهم و تطمع فيهم».
- و قيل عنهم في حدود العالم ٨٤ «لهم الطباع الطيبة و حسن المعاشرة و هم عطوفون». و انظر أيضا: آثار البلاد ٥٨٢ فيه معلومات إضافية.
- إذن، فهم يشتركون مع من ذكرهم ابن الفقيه أعلاه بصفتي: الإباحية الجنسية و حب الموادة و السلام.
- [٧٨٣] (٢) هي مدينة سوار تقع إلى الشرق من بلغار. قال أبو الفداء «بلغار هي بلدة في نهاية العمارة الشمالية و هي قريبة من شط اتل من البر الشمالي الشرقي، و هي و سراي في برّ واحد و بينهما فوق عشرين مرحلة» تليق الأخبار ١: ٢٦٣ و سوار هي سخسين (الكاشغري ١: ٣٦٥).
- و انظر حدود العالم ١٩٥ حيث وردت باسم سوار.
- [٧٨٤] (١) لم نهتد إليها فيما بين أيدينا من مصادر.
- [٧٨٥] (٢) في حدود العالم ٧٨ «إغراج أرت: مكان لا يخلو من الثلج إطلاقا». و قد أوردها ضمن المدن التي هي في نواحي التغرغز. و هي إغراق لدى الكاشغري (١: ٢٧).
- [٧٨٦] (٣) لم نهتد إليها.
- [٧٨٧] (٤) هي مدينة اذكشية التي ذكرها ابن سعيد الذي قال ص ١٩٦ «يسكنها قوم من الاذكش و هم قوم من الترك تبصروا بالمجاورة».
- قلت: الصواب: تنصروا أي اعتنقوا النصرانية. و يبدو أنه خطأ طباعي. و عن اذكش انظر الكاشغري (١: ٨٩).
- [٧٨٨] (١) ذكرها ابن سعيد (ص ١٩٦) على أنها تقع غربي مدينة اذكشية التي ذكرت أعلاه و قال: «مدينة الكسا: و هم جنس من الترك تنصروا و تمدنوا و موضوعها على البحر.

و يبدو أن كلام المؤرخ المتأخر بدر الدين العيني (٧٦٢-٨٥٥هـ): «و من طائفة الترك:

الجراكسة. و أصلهم أربع قبائل و هم: جركس- و يقال لهم سر كس-، و أركس، و الآص، و كسا». (السيف المهند ص ٢٦) حيث أن أركس- و ربما هي مصحفه من قبل الناسخ عن (ادكس) أو (اذكش)- و كسا، يعنى المدينتين أعلاه.

[٧٨٩] (٢) إن تحديد موقع هذه المدينة بكونها بين الخزر و الروم يجعلنا نرجح أنها من مدن البجناكية.

قال الاصطخرى فى مسالك الممالك ص ١٠ «و قد انقطع طائفة من الأتراك عن بلادهم فصاروا بين الخزر و الروم يقال لهم البجناكية و ليس موضعهم بدار لهم على قديم الأيام و إنما اتابوها فغلبوا عليها».

و قال المروزى فى طبائع الحيوان (٢٠-٢١) «و البجناكية قوم سياره يتبعون مواقع القطر و الكلا. و طول أرض بجناك مسيرة ثلاثين يوما فى ثلاثين يوما. قد أحاط بهم من كل جهة أمم كثيرة. ففى ناحية الشمال منهم: بلاد خفجاق، و فى ناحية الجنوب فى المغرب: بلاد الخزر.

و من ناحية المشرق: بلاد الغزيرة. و من ناحية الجنوب: بلاد الصقالبة. و هذه الأمم يغزون البجناكية و البجناكية تغزوها».

و ينطبق الكلام الذى قاله المروزى مع ما هو موجود لدى گرديزى ص ٥٧٩ إلا أن هذا قال: و من المغرب: سقلاب. و يعنى بذلك الصقالبة. و يعزز هذا قول الكاشغرى (١: ٤٠٤) بجناك: جيل من الترك مسكنهم قرب الروم.

[٧٩٠] (١) نرى أنها هى مدينة بسكوف Pskov ولاية غربية من روسيا بها عدة بحيرات أهمها البحيرة المسماة باسمها. و فى جبتها الجنوبية الشرقية مستنقعات كثيرة و قسم منها تغشاها غابات من الصنوبر يستخرج منها كمية وافرة من القطران و سكانها على الأكثر من أصل روسى و لكن يوجد بينهم قبائل آخر و بعض من المسلمين. عن دائرة معارف البستاني ٥: ٤٢١ بتلخيص.

و فى Encyclopedia International انها تقع على نهر فيليكيا محاذية لأستونيا. و على بعد ثمانية أميال إلى الجنوب، تنبسط بحيرة بيبوس. ترتبط بخط للسكة الحديد و طريق من فيلينيوس، و وارشو، و ريغا، و لينينغراد.

[٧٩١] (١) يمكن مقارنة جدول ألقاب الملوك هذا بجداول مماثلة فى المسالك و الممالك ص ٣٩ و الآثار الباقية ص ١٠١ و مجمل التواريخ و القصص ص ٤٢٠-٤٢٢ و صبح الأعشى ٥: ٤٨٤.

و السيف المهند ص ٩٩. و توجد بعض الاختلافات فيما بينها.

[٧٩٢] (١) فى الأصل كو كابر خدها و التصحيح من الآثار الباقية ص ١٠٢. و المسالك و الممالك لابن خرداذبه ص ٤٠.

[٧٩٣] (٢) فى الأصل خنس.

[٧٩٤] ابن فقيه، احمد بن محمد، البلدان، جلد، عالم الكتب - بيروت، چاپ: اول، ١٤١٦ هـ.ق.

تعريف مركز القومية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمة" الثقافية بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" - "رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهاذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبى (صلواتُ الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجلَ الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمة" للتحرى الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتى المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللزومه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العداة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه

(ى) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان "ومفترق" وفائى/ "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنيه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجاريه و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

